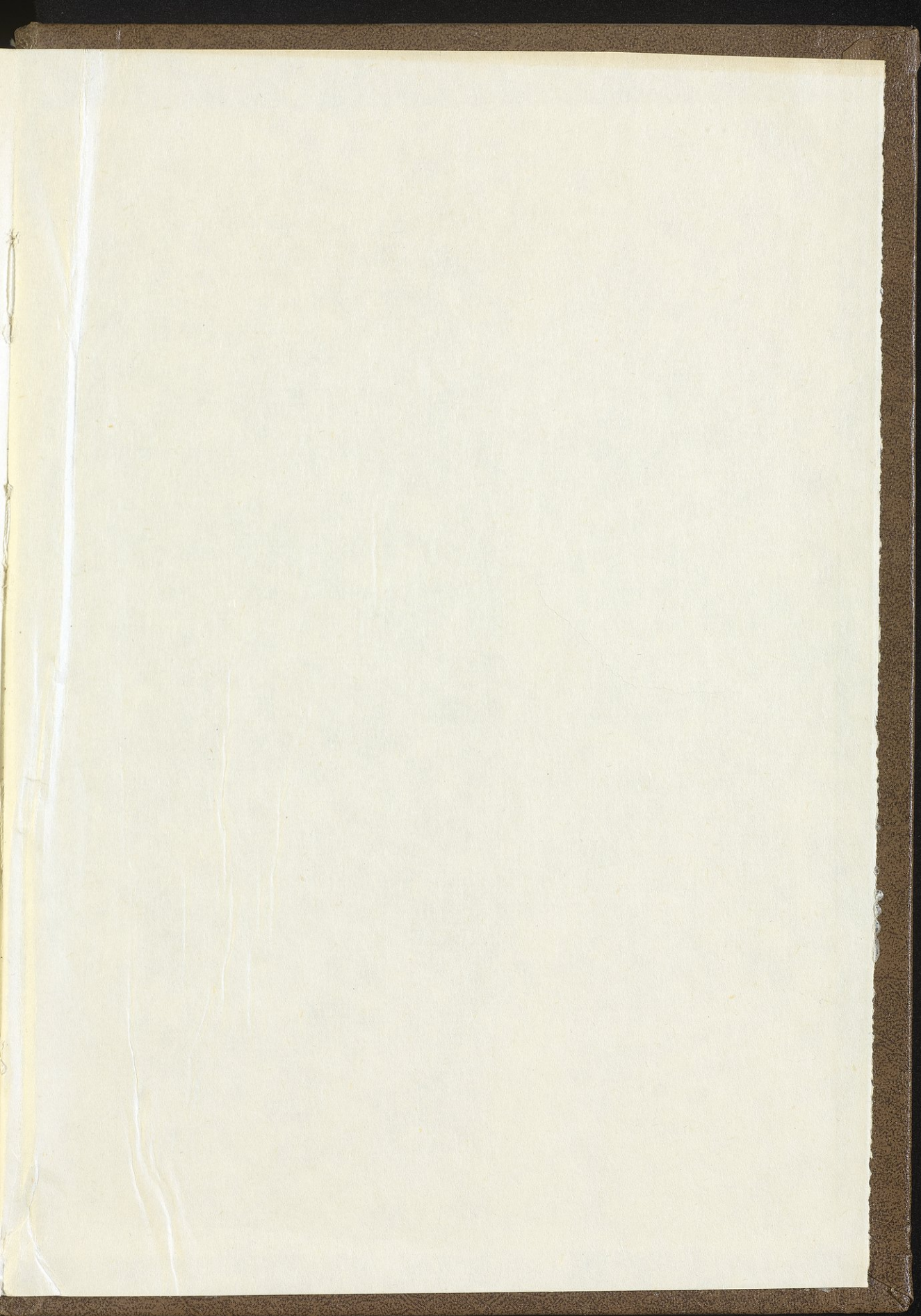


تفسير القرآن

الاستاذ الحق سماحة الحجة
مكيه السيد رشيد رضا الجويني

المجلد الثامن من المجلدات



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR

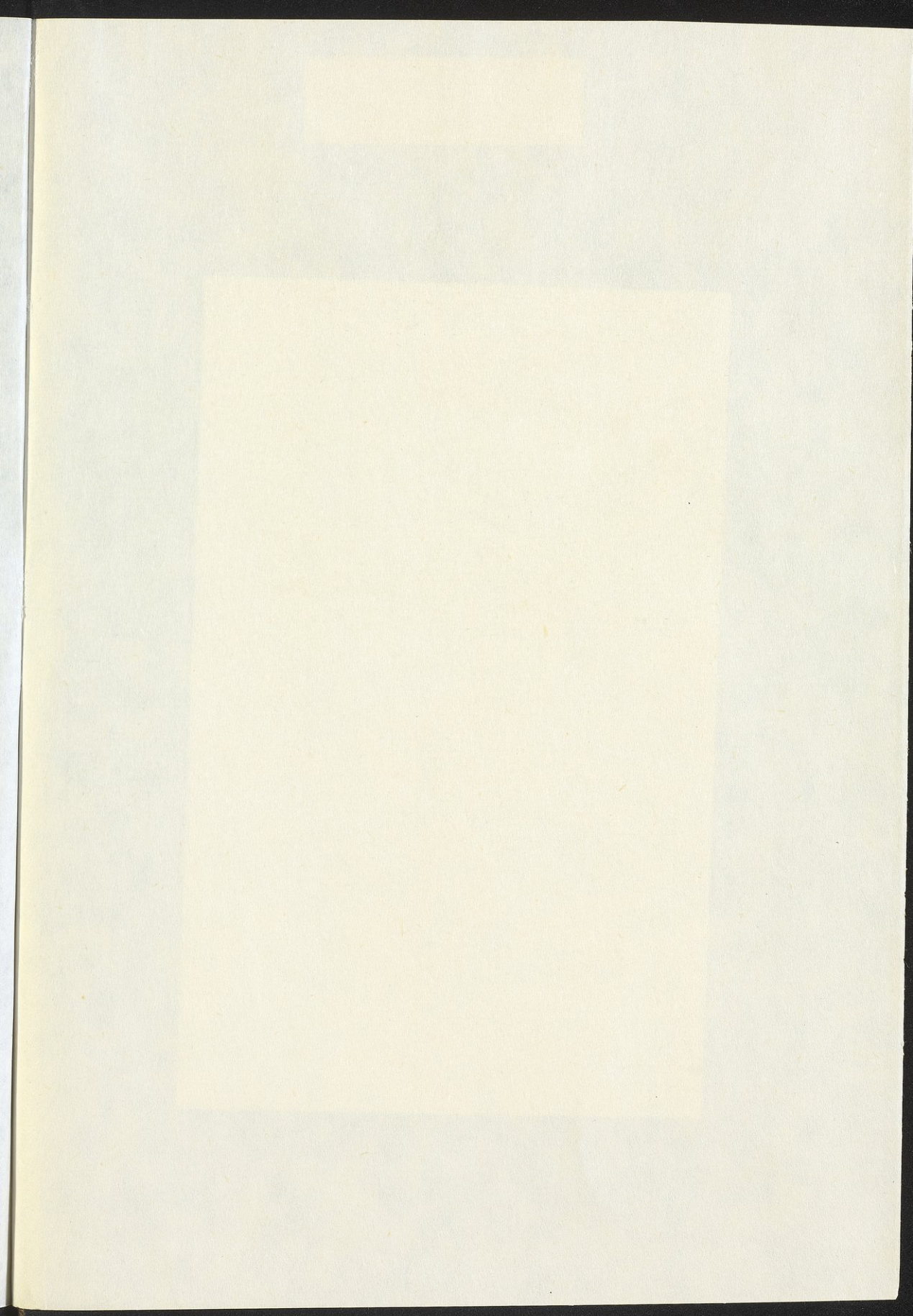


32101 023673658

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*





المجلد الثامن من المجموعتين

مكتبة

تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگارا الجوبباري

حفوف الطبع والتقليد محفوظة

للمؤلف

إيران - قم

١٤٠٦ هـ ق = ١٣٦٤ هـ ش

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدِينَةٍ وَهِيَ ثَمَانِي لَيَاتٍ

سورة الزلزال

نزلت بعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ

أَنْفُسُهَا وَأُخْرِجَتِ الْإِنْسَانُ
مَالَهَا يَوْمَئِذٍ

نُحْدِثُ خَبَارَهَا إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى
لَهَا

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِّبُرُ
أَعْمَالِهِمْ

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ



32101 023673658



قد جاءكم بصائر من ربكم

فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها

الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ،
تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي
روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر
في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ،
وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد
في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلهما وخوارجهما ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن علي بن معبد عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تملّوا من قراءة: «إذا زلزلت الأرض» فإن من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله عز وجل بزلزلة أبداً ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا، فإذا مات أمر به إلى الجنة، فيقول الله عز وجل: عبدي أبحتك جنّتي فاسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوعاً ولا مدفوعاً.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع إلا أن فيه: «لا ممنوع ولا مدفوع عنه» بدل «لا ممنوعاً ولا مدفوعاً» والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين.

وفي الكافي: مرفوعاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لا تملّوا من قراءة: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فإنّه من كانت قرائته بها في نوافله لم يصبه الله عز وجل بزلزلة أبداً ولم يمت بها، ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا حتى يموت، وإذا مات نزل عليه ملك كريم من عند ربّه، فيقعّد عند رأسه فيقول: يا ملك الموت إرفق بوليّ الله فإنّه كان كثيراً ما يذكرني، ويذكر تلاوة هذه السّورة وتقول له السّورة: مثل ذلك، ويقول ملك الموت: قد أمرني ربّي أن أسمع له واطيع ولا أخرج روحه حتّى يأمرني بذلك، فإذا أمرني أخرج روحه، ولا يزال ملك الموت عنده حتّى يأمره بقبض روحه، وإذا كشف له الغطاء فيرى منازله

في الجنة فيخرج روحه من ألين ما يكون من العلاج، ثم يشيَّع روحه إلى الجنة سبعةون ألف ملك يبتدرون بها إلى الجنة .

أقول : وذلك أنَّه إذا كان في الاستماع للقرآن الكريم رحمة إلهية تحيط المستمع ، وأنَّه في حماية الله جلَّ وعلا وكنفه فكيف القاريء المتدبِّر فيه ، فهل الرحمة إلا أن يكون العبد في صيانة الله عزَّ وجلَّ من كلِّ سوء ؟

قال الله تعالى : «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» (الأعراف : ٢٠٤) وهل الرحمة أن ينجز الله عزَّ وجلَّ للعبد وعده وأن ينعمه بنعمه ؟؟؟

قال الله تعالى : «إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون» فصَّلت : (٣٠) وقال : «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم» فصَّلت : (٣١-٣٢).

وفي تفسير كشف الاسرار للمبيدي عن الامام الحسين بن عليٍّ عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من قرأ : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» أربع مرَّات كان كمن قرأ القرآن كله .

وفي المجمع : ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من قرأها فكأنما قرأ البقرة واعطى من الأجر كمن قرأ ربع قرآن .

وفيه : وعن أنس بن مالك قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله رجلاً عن أصحابه فقال : يا فلان هل تزوجت ؟ قال : لا وليس عندي ما أتزوج به ، قال : أليس معك «قل هو الله احد» ؟ قال : بلى قال : ربع القرآن ، قال : أليس معك «قل أيُّها الكافرون» ؟ قال : بلى قال : ربع القرآن قال : أليس معك «إذا زلزلت» ؟ قال : بلى قال : ربع القرآن ثم قال : تزوج تزوج تزوج .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال

رسول الله ﷺ : من قرأ « إذا زلزلت الأرض » أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله.

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زلزلت الأرض، تعدل نصف القرآن، والعاديات تعدل نصف القرآن، و « قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن و « قل يا أيها الكافرون » تعدل ربع القرآن. وفيه: عن عبد الله بن عمر قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرني يا رسول الله قال له: اقرأ ثلاثاً من ذوات «الر»، فقال له الرجل: كبر سنّي، واشتد قلبي، وغلظ لساني قال: اقرأ ثلاثاً من ذوات «حم» فقال: مثل مقالته الأولى فقال: اقرأ ثلاثاً من المسبّحات، فقال: مثل مقالته، ولكن أقرني يا رسول الله ﷺ سورة جامعة فاقراه (فاقراها خ) «إذا زلزلت الأرض زلزالها» حتى فرغ منها قال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها ثم أدبر فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرّ و يجل أفلح الرّ و يجل.

وفي رواية: إن الرّ جل هو مصعصة بن معاوية عم فرزدق.

وفي المجمع: هو مصعصة بن ناجية جدّ الفرزدق.

وفي الدر المنثور: عن أبي أمامة أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما إذا زلزلت وقل يا أيها الكافرون.

وفي تفسير البرهان: قال رسول الله ﷺ : من كتبها على خبز رقاق و أطمعها سارق غصّ ويفتضح من ساعته، ومن قرأها على خاتم باسم سارق تحرّك الخاتم.

وفيه: قال الصادق عليه السلام: من كتبها وعلّقها عليه، وقرأها وهو داخل على سلطان، ويخاف نجي مما يخاف منه، ويحذر وإذا كتبت على طشت جديد لم يستعمل، ونظر فيه صاحب اللقوة أزيل وجعه بإذن الله تعالى بعد ثلث أو أقل.

أقول: ومن غير بعيد أن يكون لكلّ سورة من سور القرآن الكريم

خواص وآثار في الأرواح والأجسام، وفي المعنويات والماديّات، ومنها ما ورد في تلك الرّوايات كيف لا والقرآن الكريم يقول: «ونزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً» (الاسراء: ٨٢)

ويقول: «إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون» (الأنفال: ٣)

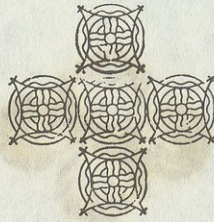
ويقول: «إذا تتلى عليهم آيات الرّحمن خرّوا سجّداً و بكيّاً»

مريم: ٥٨)

ويقول: «وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكريكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» (الحج:

٧١-٧٢)

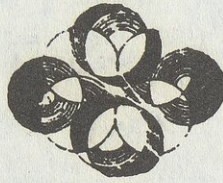
ويقول: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربّهم ثمّ تليّن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» (الزّمر: ٢٣)



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة إشارة إلى بعض أشراف البعث من تزلزل الأرض تزلزلا لم يسبقها لبعث الإنسان، فتحدث ما فعله علي ظهرها في الدنيا بعد إخراجها من بطنها بأمر الله عز وجل يوم القيامة، فيرى كل عمله: خيره وشره، صغيره وكبيره.

وفي السورة إنذار بهول القيامة وحسابه، وفيها وعظ وحث وترغيب الناس كافة في الخير وحملهم على الأقبال على صالح الأعمال، وعدم إهمال الخير مهما ضئول، وترهيب وتحذيرهم عن الشر وإبتعادهم عن الأعمال السيئة، وعدم الاستهانة بالشر مهما قل بصورة عامة، وإن السورة من هذه الناحية تنطوي على تلقين مستمر المدى.



﴿النزول﴾

سورة «الزلزلة» مدنية نزلت بعد سورة «النور» وقبل سورة «الحديد» على التحقيق وهي السورة الرابعة والتسعون نزولاً، والتاسعة والتسعون مصحفاً. وتشتمل على ثمان آيات، سبقت عليها / ٥٥٠٠ آية نزولاً، و / ١٣٨ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على / ٣٥ كلمة، و / ١١٩ حرفاً، وقيل: / ١٤٩ حرفاً، وقيل: / ١٦٩ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في أسباب النزول للسيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «ويطعمون الطعام على حبه» الآية كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

وفي رواية: ان الكفار كثيراً ما يسألون رسول الله ﷺ عن البعث ويوم الحساب، فيقولون: «أيتان يوم القيامة» و «متى هذا الوعد» وما إليها من أسئلتهم فانزل الله تعالى هذه السورة بذكر علائم البعث ليعلمهم أنه لا سبيل لهم أن يعلموا تعيين ذلك اليوم لمصالح إقضت.

قيل: لو علم الانسان وقت البعث، فلو كان يعيش بعيداً عنه لفعلوا ما شاءوا

من العصيان لبعدهم عن وقته، ولو كان يعيش قريباً منه لتركوا العمران والنسل تماماً.

وفي أسباب النزول للواحد النيسابوري عن عبد الله بن عمر قال: نزلت: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» وأبو بكر قاعد، فبكى أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أبكاني هذه السورة، فقال رسول الله ﷺ: لو أنكم لا تخطئون ولا تذنون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويزنوبون فيغفر لهم.

أقول: وفي الرواية على صحتها أمور: منها- كان أبو بكر يخطيء ويزنّب. ومنها- فيها ترغيب له على التوبة ليغفر.

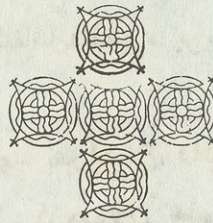
وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن أنس أن هذه الآية «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» نزلت على النبي ﷺ وأبو بكر يأت كل فأمسك وقال: يا رسول الله وإنا لنرى ما عملنا من خير وشر؟ قال: ما رأيت مما تكره فهو مثاقيل ذرة الشر ويدخر لكم مثاقيل ذرة الخير حتى تعطوه يوم القيامة.

وفي أسباب النزول للواحد في قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» قال مقاتل: نزلت في رجلين كان أحدهما يأتئ السائل، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا شيء وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نجبه، وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة ويقول: ليس عليّ من هذا شيء، إنما أودع الله بالنار على الكبائر فأنزله عز وجل يرغبهم في القليل من الخير فأنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنوب فأنه يوشك أن يكثر «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» إلى آخرها..

وفي نقل آخر: عن مقاتل: أن آخر السورة نزلت في رجلين من أهل المدينة كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكسرة أو التمرة، ويقول: إنما نؤجر على

ما نعطيهِ، ونحن نجبه وكان الآخريتهم اذن بالذنب اليسير ويقول: إنما أوعده الله النار على الكبائر.

وعن ابن مسعود: ان الآيتين الأخيرتين من السورة أجمع آية في القرآن، وسمّاها رسول الله ﷺ آية جامعة فاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال: ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الجامعة الفاذة: «فمن يعمل...»



﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم «زلزالها» بفتح الزاء والباقون بكسرهما، وقرأ عاصم «يره» بضم الياء في الموضعين، على أن الفعل من رأيت زيداً إذا أدركته ببصرك وأريتته عمراً مبنياً للمفعول، وعلى بناء الفعل للفاعل فتقديره: يريه الله إياه. وقرأ الباقون بفتحها على تقدير: يرجزائه.

وقرأ جعفر «يره» بضم الهاء بغير إشباع، والباقون بالسكون وقفاً، وبالضم إشباعاً وصلأ أي يرهو كما تقول: كرمهولاًن هذه الياء يتبعها حرف اللين: الواو والياء إذا كان قبلها كسرة أو ياء نحو: بهي وعليهي.



﴿الوقف والوصل﴾

«زلزالها لا» لعطف التالي، و«أنقالها لا» كالسابق، و«مالها ج» لاحتمال حذف عامل «إذا» أي إذا كانت هذه الأمور ترى مآثرى، وإحتمال أن يكون العامل: «يحدث» و«يؤمئذ» بدلاً من «إذا».

و«أخبارها لا» للمحدث عنه التالي، و«لهاط» لتمام الكلام من التحديث و المحدث عنه و«أعمالهم ط» لتمام الكلام، و«يره ط» كالمقدم.



﴿اللغة﴾

٢٠- الزلزال و الزلزلة - ٦٣٧

زلزل الشيء يزلزل زلزلة و زلزالأ- رباعي نحو دحرج :- حرّ كه حرّكة
عنيفة مكرّرة .

و الزلزلة في الأصل: الحركة العظيمة ، و الازعاج الشديد، ومنه زلزلة
الأرض .

زلزل الله الأرض : أرففها، و زلزل فلان الابل : ساقها بعنف.

قال الله تعالى : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» (الزلزلة: ١) أي أصابها الزلزال
الأكبر عند قيام الساعة ، وذلك إذا حرّكت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة
زلزالها الذي كتب عليها. ويمكن أن يكون إضافتها إلى الأرض لأنها تعمّ جميع
الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تختصّ ببعض الأرض فيكون في قوله :
«زلزالها» تنبيهاً على شدّتها. تزلزلت الأرض : اضطربت بالزلزلة.

و زلزل الله فلاناً : خوفه و حذرّه ، و زلزلت نفسه : رجعت عند الموت في

صدره .

قال الله عزّ وجل: «مسّتهم البأساء والضراء و زلزل لواء البقرة : ٢١٤) أي
إضطربت نفوسهم ، و أزعجوا إزعاجاً شديداً و زعزعوا من الرعب ، شبيهاً بالزلزلة
وفي الدعاء : «اللهم اهزم الأحزاب و زلزلهم» وهو هيهنا كناية عن التخويف و
التحذير أي إجعل أمرهم مضطرباً متقلقلأً غير ثابت .

ومنه حديث عطاء : « لادق ولا زلزلة في الكيل » أي لا يحرك ما فيه ويهز لينقسم ويسع أكثر مما فيه.

وفي حديث أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه : « حتى يخرج من حلمة نديه يتزلزل » . والزلازل : الشدائد والأهوال...

قال الله تعالى : « ان زلزلة الساعة شيء عظيم » (الحج : ١) باضافتها إلى فاعلها على تقدير : ان الساعة تزلزل الأشياء أو على تقدير المفعول منها على طريق الاتساع في الظرف ، وإجرائه مجري المفعول به كقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار ».

قيل : الزلزال - بكسر الزاء - : المصدر وبفتحها : الاسم . والزلزلة مأخوذة من الزل في الرأي ، فإذا قيل : زلزل القدم فمعناه صرفوا عن الاستقامة ، ووقع في قلوبهم الخوف والحدذر.

زلزل رجل : يضرب المثل بضربه العود يقال : اطرب من عود زلزل . والزلزل - بضم الزاين - : الطبال الحاذق ، و الزلزل - بفتح الزاء الاولى واللام وكسر الزاء الثانية - : الأثا والمتماع ، و - بضم الزاين - : الخفيف الظريف ، والخفة والقتال والشر ، يقال : تركتهم في زلزل وعلعول : في قتال .
إزلزل - بكسر الهمزة والزاين - : كلمة تقال عند حدوث الزلزلة.

١٢ - الثقل - ٢٠٥

ثقل الشيء يثقل ثقلاً وثقاله - من باب كرم - : عظم ورجح ضد خف فهو ثقيل وثقال - بفتح الثاء وضمها - وهي ثقيلة ، وجمعها : ثقال.

قال الله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالاً » (التوبة : ٤١) والمراد أمرهم بالنفار على كل حال يسهل النفار معها أو يصعب .

وجمع الثقل - بكسر الثاء وسكون القاف - : الأثقال وهي الأحمال الثقيلة وقديراد بها الذنوب لأنها شديدة الوطأة على المذنبين.

قال الله عز وجل : «وليجملن أنقالهم وأنقالاً مع أنقالهم» العنكبوت : (١٣)
اريد بها الذنوب والآثام.

وقال : «وأخرجت الأرض أنقالها» الزلزلة : (٢) أي قذفت من شدة الزلزال
بما في جوفها من كنوز ودفائن وأموات كلها كانت مثقلة فتخففت ، و من أشرط
الساعة أن نقىء الأرض أفلاذ كبدها وهي الكنوز.

وأصل الثقل يسكون في الأجسام ، وان الثقل والخفة متقابلان ، فكل ما
يترجح على ما يوزن أو يقدر به فهو ثقل ، وقد يستعمل في المعاني بنوع من
التشبيه لافادة معنى العظم أو الشدة في ناحية ما نحو أنقله العزم والوزر.

قال الله تعالى : «أم تسألهم أجراً فهم من معزم مثقلون » الطور : (٤٠)

وقال : «إننا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» المزمل : (٥) تعبير عن شدة ما يوحى
إلى النبي ﷺ من جهة أنه يحتاج في تبليغه وتفهمه والعمل به إلى مجهود
قوي . أو المراد : أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه يرجح على كل ما
سواه من الأقوال كما يقال : هذا الكلام رصين ، وهذا القول له وزن : إذا كنت
تستجيبه وتعلم أنه وقع موقع الحكمة والبيان ، فجعل الله تعالى ما أنزله على
رسوله ﷺ من الوحي ثقيلاً من جهة عظم قدره و جلالة مكانته ، وأنه ليس
بسفساف الكلام الذي يستخف به ، فهو ثقل وثقل و ثاقل و ليس معناه : قولاً
ثقيلاً يستثقله الناس فيعتبرون به كما زعم بعض المفسرين.

قال الله تعالى : « و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم -
المفلحون» الأعراف : (٨) أي رجحت كفة خيراته ...

وقال : «لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض» الأعراف : (١٨٧)
فالثقل ههنا وصف للساعة بأنها عظمت وجلت عن أن يعلموا وقت وقوعها أو أنها
عظم وقعها واشتدت على نفوسهم حيث يشفقون منها ويخافون شدايدها .

و قال : «ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً» الانسان : (٢٧) وصف ليوم القيامة

باعتبار ما فيه من الشدائد والأهوال...

ان الثقل والخفيف يستعملان على وجهين: أحدهما - على سبيل المضايقة وهو أن لا يقال لشيء: ثقل أو خفيف إلا باعتبار به غيره ولهذا يصح للشيء الواحد أن يقال: خفيف إذا اعتبرته بما هو أثقل منه، وثقل إذا اعتبرته بما هو أخف منه. وثانيهما - أن يستعمل الثقل في الأجسام المرحجة إلى أسفل كالبحر والمدر والخفيف يقال في الأجسام المائلة إلى الصعود كالنار والدخان. ومن هذا الثقل قوله تعالى: «ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إنا قلتم إلى الأرض» التوبة: ٣٨ أي تباطأتم ولم تسرعوا، وضمنت إنا قل معنى الميل والاخلاد فعدت: «إلى» والمعنى: ملتم إلى الدنيا ولذاتها وكرهتم مشاق السفر ونحوه إخلاداً إلى الأرض.

إنا قل إلى الدنيا: ركن إليها، وإنا قل فلان عن الأمر: تباطأ عنه وأصله تناقل أي تكلف الثقل وتظاهر به.

الثقل - بفتح التاء والقاف - ان العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون ثقل. وأصله من بيض النعام المصون. والثقلان - تشية الثقل محركة بالفتح - الجن. والانس لأنهما كالحملين على الأرض أو لعظم شأنهما.

قال الله تعالى: «سنفرغ لكم أيها الثقلان» الرحمن: ٣١ قيل: سمياً بذلك لتفضيلهما على سائر الحيوانات بالتميز، وكل ماله قدر ووزن يتنافس فيه فهو ثقل بالتحريك، وفي حديث سؤال القبر: «يسمعهما من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين» الثقلان هما الجن. والانس لأنهما قطآن الارض.

والثقل - كسبب -: كل شيء نفيس مصون ومنه قول النبي الكريم ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين القرآن وعترتي» وقد سمياً بذلك لرجاهما على غيرهما ونفاستهما على غيرهما. فجدير أن يتنافس فيهما المتنافسون، أولكو منهما مصونين عند الله تعالى إلى يوم القيامة فالقرآن الكريم مصون من الدس والتحريف،

والعترۃ الطاهرة مصونة من المعصية صغيرها وكبيرها.

وإن الثقل الأكبر هو القرآن الكريم، والثقل الأصغر هو أهل بيت الوحي عليهم السلام وفي حديث النبي عليه السلام أنه قال: «إن لكل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي»

وفي النهاية : وفي الحديث: «إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» سمّاها ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقل، و يقال لكل خطير نفيس: ثقل فسمّاها ثقلين إعظاماً لقدركهما وتفخيماً لثأنهما.

أصل المئثال - مفعال من الثقل -: ما يوزن به، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله قليلاً كان أم كثيراً، وذلك إسم لكل سنج ويطلق ويراد به المقدار. قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة: ٧ و ٨) وفي الحديث: «لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»

جمع المئثال: مئاقيل ، والمئثال الشرعي عبارة عن عشرين قيراطاً ، و القيراط ثلاث حبات من شعير ، وكل حبة من الشعير عبارة عن ثلاث حبات من الارز فيكون المئثال بحب الشعير عبارة عن ستين حبة ، و بالارز عن مائة وثمانين حبة ، و المشهور أن كل سبعة مئاقيل عشرة دراهم ، فيكون المئثال درهماً وخمساً من الدرهم ، فالدرهم هو اثنان وأربعين حبة من الشعير .

الثقل - كسبب -: متاع المسافر وحشمه ، يقال: للمسافر ثقل كثير، يقال: إحتمل القدم بثقلتهم أي أمتعتهم كلها.

ثقله يثقله ثقلاً - بسكون القاف - من باب نصر -: راز ثقله ، وثقل الشاة : رفعها لينظر ثقلها من خفتها ، وأثقلت المرأة : ثقلت بكبر حملها. وثقلت المرأة : إستبان حملها.

قال الله تعالى: «فلما تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين» (الأعراف: ١٨٩)

ثقل المريض بثقل ثقلًا - بفتح الشاء والقاف - من باب علم -: إشتدّ مرضه فهو ثقيل وثاقل. ويقال: وجدت ثقله في جسدي أى ثقلًا وفتوراً.

وثقل سمعه: ذهب بعضه، يقال: في أذنه ثقل: إذا لم يجد سمعه كما يقال: في أذنه خفة: إذا جاد سمعه كأنّه يثقل عن قبول ما يلقي إليه وقد يقال: ثقل القول: إذا لم يطب سماعه.

ثقله يثقله ثقيلًا - من باب التفعيل -: جعله ثقيلاً، والحرف: شدّده، وعلى فلان: حمّله ثقيلاً. المثقلة: رخامة ينقل بها البساط.

أثقله: حمّله ثقيلاً، وثاقل: أكل طعاماً ثقيلاً، وثاقل: تكلف الثقل، ومنه وطأ وطأة المتناقل وهو المتحامل على الشيء بوطئه.

في المفردات: الثقيل في الإنسان يستعمل تارة في الذّمّ وهو أكثر في التعارف، وتارة في المدح، ويقال: في أذنه ثقل إذا لم يجد سمعه كما يقال: في أذنه خفة إذا جاد سمعه كأنّه يثقل من قبول ما يلقي إليه، وقد يقال: ثقل القول إذا لم يطب سماعه، ولذلك قال تعالى في صفة يوم القيامة: «ثقلت في السموات والأرض» يعني الساعة خفي علمها على أهل السموات والأرض، وإذا خفي الشيء ثقل.

٤ - الخبر - ٣٩٢

خبر الشيء يخبره خبراً - بضم الخاء وسكون الباء وخبرة - بكسر الخاء وسكون الباء - من باب نصر -: علمه بكنهه وحقيقته ومنه قولهم: «لاخبرن خبرك» أي لا علمنّ علمك. يقال: من أين خبرت هذا الأمر: من أين علمت

خبره وداخله.

الخبر- كسبب :- هو الكلام الذي يفيد به المتكلم السامع واقعة من
الواقعات...

قال الله تعالى : « إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر »
(النمل: ٧)

وجمعه: الأخبار والأخبار... قال الله عز وجل : « يومئذ تحدث أخبارها »
الزلزلة: ٥) أي تخبر الأرض بما عمل على ظهرها.

والخاير: العالم بالخبر، والخبر: ما أتاك من نباء عمن تستخير، وقد يقال :
فلان رجل خبر: أي عالم به على المبالغة كزيد عدل.

خبر الشيء يخبره خبراً - بكسر الخاء وضمها وسكون الباء وخبرة كذلك
ومخبرة بضم الباء وفتحها - من باب كرم :- علمه بكنهه وحقيقته.

الخبرة - كقفل :- المعرفة ببواطن الامور.. قال الله عز وجل : « وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبراً » (الكهف: ٦٨) يقال : مالي به خبر أي علم ومنه
الحديث: « أعمى الله على هذا خبره » أي علمه، والخبر: التجربة والامتحان و
الاختبار وعليه قولهم: « صدق الخبر - كسبب - الخبر - كقفل » ان الاختبار
بالمشاهدة أثبت الخبر المسموع ، ورجل خبر - كقفل - ورجل خبر - ككتف :-
عالم بالخبر ومنه: خبره يخبره فهو خبير أي عارف ببواطن الامور.

وقيل : الخبر - كقفل :- العلم بالباطن الخفي لاحتياج العلم به للاختبار
والخبرة - بالضم :- العلم بالظاهر والباطن ومنه الحديث: « محمد ﷺ إرضاء الله
بخبرته »

والخبرة - بكسر الخاء وضمها :- العلم بالشيء ، و- بالضم - أيضاً: الشاة
التي يشتريها القوم بأثمان مختلفة ثم يقسمونها فيسهمون كل واحد منهم على
قدر مانقده، والخبرة - بالضم :- قصعة فيها خبز ولحم بين أربعة أو خمسة، والخبرة -

بالضم -: الثريدة الضخمة وما تشتريه لأهلك كالخبز والطعام والنصيب تأخذ من لحم أو سمك .

والخبير - ككتف -: السدر والخبير - كجبر -: العلم بالشيء والمزادة العظيمة والناقاة الغزيرة اللبن كالخبير - كفلس - شبهت بالمزادة في غزرها، والخبير - كفلس -: الزرع ومنقع الماء في الجبل، وشجر السدر والأراك وما حولهما من العشب الواحدة خيرة جمعها: خبور. والخيرة - بفتح الخاء وكسر الباء -: الأرض ذات الخبير أي السدر. والخبور: الأسد.

الخبير : إسم من أسماء الله تعالى فقال: « والله بما تعملون خبير » البقرة: (٢٣٤) والله تعالى عالم بما كان وما يكون لا يعزب عنه شيء ولا يفوته، فهو لم يزل خبيراً بما يخلق، عالماً بكنه الأشياء مطلع على حقائقها، ومنه: « بطن فخير » الخبير: العارف ببواطن الأمور وأسرارها من خبرت الأمر أخبره: إذا عرفته على حقيقته، الخبير: العارف بالخبير جمعه: خبراء، والخبير من الناس: المستخبر عن جهل وفي الحديث وقد سئل النبي ﷺ عن مسألة فقال: « على الخبير بها سقطت » أي على العارف والعالم بها وقعت. وقال الله تعالى: « فاسأل به خبيراً » الفرقان: (٥٩) أي إسأل عنه خبير يخبر. والخبير: الذي يخبر الشيء بعلمه، والخبير: عالم بالخبير، والخبير: المخبر .

الخبير: الأكار ومنه: « كجزء عفا قيل الكروم خبيرها » والخبير: الزرع والوبر والزبد، والخبير: إسم رجل، والخبيرة: مؤنث الخبير، والخبيرة: الشاة تشتري بين جماعة فتذبح، والخبيرة: الصوف الجيد من أول الجز، والخبير: النبات والعشب شبه بخير الابل وهو وبرها وإستخلا به: احتشابه بالمخلب وهو المنجل، و الخبير: الخبز المأدوم .

الخبيراء: المزادة العظيمة، والخبيراء: القاع ينبت شجر السدر، والخبيراء: قاع مستدير يجتمع فيه الماء. وجمع الخبيراء: الخبيراء أيضاً وخبور وخبير - ككتف - و

خبار وخبر اوات وخبارى كصحراء وصحاري.

والخيرى : الحيّة السوداء.

وخبير : حصن قرب المدينة وهي بلدة معروفة نحو من أربع مراحل عن المدينة المشرفة.

وفى معجم البلدان : خبير ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون و مزارع ونخيل كثيرة، ولفظ خبير بلسان اليهود بمعنى الحصن سمي باسم رجل من العمالق نزل بها، وهو خبير بن قانية بن عبيل بن مهلان بن ارم بن عبيل و هو أخو عاد.

خبرت الأرض خبراً - بفتح الخاء والباء - من باب علم :- كثر أخبارها، و خبر الموضع فهو خبر: كثر به الخبر وهو السدر وخبر الطعام يخبره خبراً: دسّمه والخبرة - بضم الخاء وسكون الباء :- الطعام والادام يقال : «أنا بخبرة ولم يأتنا بخبرة» واجتمعوا على خبرته: على طعامه، المخبور: الادام الطيب، ورجل مخبور: طيب الادام.

الخابور: شجر ونهر بين رأس عين والفرات وواد.

الخبار - بالفتح :- مالان من الأرض واسترخى، وفي المثل : « من تجنّب الخبر أمن العشار » والخبار: الجرائم، جمع جرثوم وهو التراب المجتمع باصول الشجر، والخبار: جرة الجرذان الواحدة خبارة، والخبار: أرض رخوة تنعنع فيه الدواب .

خبره الشيء وبه - من باب التفعيل :- أعلمه إيّاه وأنبأ به وهو بهذا المعنى يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل.

خابره مخابرة - من باب المفاعلة :- زارعه على نصيب معين كالثلث والرابع، وقيل : يبعث ما يخرج من الأرض، والمخابرة: مزارعة الخبر بشيء معلوم. و

في الحديث: «لا بأس بالمخابرة بالثلث والرابع والخمس» وهي المزارعة على نصيب معين.

وقيل: أصل المخابرة من خيبر لأن النبي ﷺ أقرها في أيدي أهلها على النصف من محصولها فقليل خابرهم أي عاملهم في خير. وقيل: هو من الخبار: الأرض اللينة وفي الحديث: «فدفعنا في خبار من الأرض» أي سهلة ليننة. والمخابرة: المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض، والمخابرة: المؤاكلة وجمعها: المخابرات والمخابرات: إدارة التلغن لتبادل الأخبار به.

أخبره بالشيء: مثل خبره، وأخبره خبره: أنباء ما عنده، وأخبر اللقحة: وجدها غزيرة.

تخبر فلان الأمر: علمه بحقيقته، وتخبر فلاناً: سئله الخبر، وتخبر القوم: إشتروا شاة فذبحوها وإقسموا لجمعها.

إختبر الأمر: تخبره، وإختبر الشيء: جرّبه وإمتحنه، وإختبر الأمر لأهله: أخذ الخبرة. وإختبار الله تعالى عبادهم عبادة عن إمتحانهم وهو عالم بأحوالهم، فلا يحتاج إلى أن يختبرهم ليعرفهم وتحقيق هذا المجاز: إن الله تعالى يكلف العباد ليثيب المحسن ويجازي المسيء.

إستخبره: سئله الخبر، والاستخبار: السؤال عن الخبر ومنه: «إستخبر إذا سئل عن الأخبار ليعرفها» يقال: تخبر الخبر وإستخبر إذا سئل عن الأخبار ليعرفها. وفي حديث الحديبية: «أنه بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش» أي يتعرف.

وفي المفردات: الخبر: العلم بالأشياء المعلومه من جهة الخبر، وخبرته خبراً وخبرة وأخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر.

وفي التهذيب: الخبر ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر.

وفي القاموس: الخبر والنبأ.

قيل: إن الفرق بين النبأ والخبر والحديث والأثر: ان النبأ خبر مقيم بكونه عن أمر عظيم، والخبر ما ينقل عن الغير ويحتمل الصدق والكذب، والنبأ لا يحتمل إلا الصدق، إن الحديث: ما عن النبي الكريم ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين والخبر ما عنه ﷺ وعن غيره، فالخبر أعم، وان الأثر هو الذي يعبر به عن غير الحديث وهو ما يروي عن الصحابة غالباً، والأثر هو نقل الكلام عن القوم، و من هذا قيل: حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً أي ينقله خلف عن سلف، يقال: منه أثرت الحديث فهو مأثور وأنا آثر. وقد يطلق الأثر على الخبر.

٨- الذرة - ٥١٣

ذرّ الملح المسحوق على الطعام ونحوه يذرّه ذرّاً - من باب نصر نحو مدّ: فرقّه ونثره عليه، وذرّ الشيء: أخذه بأطراف أصابعه ثم نثره على الشيء، يقال: ذرّ الفلفل على الثريد وذرّ الدواء في العين والجرح والفرح، وذرّ الحب في الأرض: بذره، وذرّ الله تعالى عباده في الأرض: نشرهم، وذرّ القرن والبقل: طلع أدنى شيء منه كالذرة، ذرّت الشمس: طلعت وظهرت.

يقال: «أنتم ولادة الدولة بكم ذرّ قرناها وصرّت اذنفاها وقرّت عينها» وفي الحديث: «الشیطان يقارن الشمس إذا ذرّت وكبدت وإذا غربت» أي طلعت، وذرّ قرن الشمس: هو أول طلوعها وشروقها أول ما يسقط ضوءها على الأرض، وكذلك الشجر والبقل والنبت، وذرّت الأرض نباتها: أطلعتها. الذرّ: ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والواحدة الذرة، وفي الحديث: «الذرة تخرج من جحرها تطلب رزقها» يريد النملة الصغيرة.

الذَّرَّ: صفار النمل والهواء المنبث في الهواء، والذَّرَّة: النملة الصغيرة التي لا تكاد ترى، ويقال: إن الماء منها زنة حبة شعير، وقيل: هي جزء من أجزاء الهباء المنبث الذي يظهر في الكوة من أثر الشمس، وقيل: الذرَّة ليس لها وزن وقيل: سبعون ذرَّة تزن جناح بعوضة، وسبعون جناح بعوضة تزن حبة. قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة: (٧-٨).

الذراة - بضم الذال - ما تنثر من الذرور، والذرور: ما يذر في العين من الدواء اليابس، وذر عينه بالذرور: كحلها، وذر الرجل: شاب مقدم رأسه. ذارت الناقة: ساء خلقها فهي مذار، والذراة - بكسر الذال -: الغضب والإعراض غضباً ومنه: في فلان ذراة. والمذرة - بكسر الميم -: آلة يذر بها الحب أي يبدد ويفرق كالمبذرة آلة البذر.

وذر ابن ذر الغفاري الصحابي، وأبو ذر إسمه جندب بن جنادة توفي سنة إثنين وثلاثين. الذرية: ولدا الإنسان الذكر والانثى، يقال للجمع أيضاً ذرية، وتجمع الذرية على الذريات والذراري، فالذرية: إسم يجمع نسل الإنسان من ذكروا نثى. قيل: أصلها من الذر بمعنى التفريق لأن الله ذرهم في الأرض أي فرقهم. قال الله عز وجل: «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرتهم» الأعراف: (١٧٢).

٦٨ - الخير - ٢٥٦

خار الشيء على غيره يخيره خيرة وخيراً - من باب ضرب نحو باع - : فضله

على غيره وانتقامه وخار الرجل على غيره : فضله ، وخار الرجل : صار ذا خير ، وخار الله تعالى لك في الأمر : جعل لك فيه الخير وفي دعاء الإستخارة : «اللهم خر لي» أي إختار لي أصلح الأمور . الخير : وجدان الشيء على كماله اللائقة ، وقيل : حصول الشيء لئلا يضره أن يكون حاصلًا له أي يناسبه ويليق به ، وجمع الخير : الخيور والخيار .

الخير : ما فيه نفع وصلاح ، وما هو ضد الشر بوجه عام .

قال الله عز وجل : «وما تفعلوا من خير يعلمه الله» البقرة : (١٩٧) .

وقال : «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» الزلزلة : (٧) .

ويلحق بهذا استعماله فيما هو أداة للنفع والصلاح كالمال والمتاع والخيل

وما إليها ...

قال الله تعالى : «إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على

المتقين» البقرة : (١٨٠) .

وقال : «قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين» البقرة : (٢١٥) .

وقال : «وانه يحب الخير لشديد» العاديات : (٨) .

الخير : المال الذي ربما كان خيراً لزيد وشرّاً لعمر و ولذلك وصفه الله تعالى

بالأمرين إذ قال في موضع : «إن ترك خيراً» وقال في موضع آخر : «أحسبون أنما نمدهم

به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات» المؤمنون : (٥٦ و ٥٥) .

وإنما سمّي المال ههنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو أن المال الذي

يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من وجه محمود طيب ، وعلى ذلك قوله تعالى : «وما

تنفقوا من خير فإن الله به عليم» البقرة : (٢٧٣) قيل : ولا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً

ومن مكان طيب .

الخير : الخيل لما فيها من الخير ، والخير : الرجل الكثير الخير كالخير كالقيس .

والخير تارة يكون إسم تفضيل ، أصله : أخير ، فحذفت همزته على خلاف القياس

لكثرة استعماله .

قال الله تعالى : « وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى » البقرة : (١٩٧) .

وقال : « ذلك خير لكم عند بارئكم » البقرة : (٥٤) .

وفي الحديث : « خير كم خير كم لأهلهم » وفي الحديث الآخر : « خير الناس خيرهم لنفسه » أي إذا جامل الناس جاملوه وإذا أحسن إليهم كافأوه بمثله .

و تارة يكون صفة مشبهة تخفيف خير ومنه : « جزاه الله خيراً » و « جزاك الله خيراً » .

و ربما استعمل خير للتعجب حملاً على إستعماله للتفضيل، فيقال : « ما خير فلاناً » وإذا أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ولم تقل : خيرة الناس، وفلان خير الناس ولم تقل : أخير ولا يثنى ولا يجمع لأنه في معنى أفعل .

الخيرة : إسم من قولك : إختاره الله تعالى، قال : « ويختار ما كان لهم الخيرة » القصص : (٦٨) .

الأخيار جمع خير المخففة من خير كالأموات جمع الميت، وقيل : هي جمع خير الذي هو أفعل تفضيل في الأصل، و قد جمع على أفعال للزوم تخفيفه بحذف الهمزة .

قال الله تعالى : « وإنيهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » ص : (٤٧) والأخيار : خلاف الأشرار .

الخيرات : جمع خيرة - بالتخفيف - و هي الصالحة الفاضلة من الناس والامور ...

قال الله تعالى : « فاستبقوا الخيرات » المائدة : (٤٨) .

وقال : « فيهن خيرات حسان » الرحمن : (٧٠) والمراد بذلك المختارات أي فيهن مختارات لارذل فيهن ، والخيرة من النساء : الكريمة النسب، الشريفة الحسب، الحسنة الوجه والخلق، الكثيرة المال التي إذا ولدت أنجبت ، والخيرة : الكثيرة الخير : الفاضلة من كل شيء، والخيرية : الجودة والفضل، والخير : الكريم، والخيرة :

لقب المدينة المنورة على صاحبها وآله المعصومين صلوات الله وآلاف التحية، قد سميت بها لفضلها على سائر المدن .

والخيرة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار . وامرأة خيرة - بالتشديد والتخفيف - : فاضلة في الجمال والخلق . و « محمد ﷺ خيرتك من خلقك » وقال زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام : « فأنا الخيرة إبن الخيرين » يريد خيرة الله تعالى من العرب هاشم ، ومن العجم فارس . والخير - بكسر الخاء وسكون الباء وفتحها - : الاسم منه : الكرم والشرف والأصل والهيئة .

الخيار : نضار المال ، والإسم من الاختيار وهو طلب خير الأمرين ، ومنه خيار البيع وغيره عند الفقهاء ، وخيار المال : أفضله . وفي الحديث : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » إما إمضاء البيع أو فسخه . أنت بالخيار : إختار ما شئت .

الخيار - بالكسر - : فاكهة تشبه القثاء ، والواحدة : خيارة . وخيار شنبر : شجر له ثمر كالخرنوب يتداوى به ، وهو كثير بالإسكندرية ومصر وله زهر أصفر عجيب . وخيران : حصن باليمن .

إختار يختار إختياراً : إنتقى وأخذ خير الشيء ، يتعدى إلى مفعولين ، ثانيهما مجرور بـ « من » وقد تحذف « من » ويوصل الفعل بالمفعول الثاني ، وقد يتعدى إلى المفعول الثاني بـ « على » لتضمنه معنى التفضيل .

قال الله تعالى : « وإختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » الأعراف : (١٥٥) . الاختيار : إرادة ما هو خير عند المختار وإن لم يكن خيراً في الواقع ، يقال : خير بين أمرين فاختر أحدهما دون الآخر . والمختار : لفظ مشترك بين إسمي الفاعل والمفعول ، فيعلم أحدهما بالقرينة .

خيره على غيره : فضله ، وخير فلاناً في الأمر وبين الأمرين : فوض إليه الخيار . خايره في العلم وغيره مخايرة فخاره : غالبه فغلبه وكان خيراً منه ، وخاير فلاناً بين الأمرين : فوض إليه الخيار .

تخيّر يتخيّر تخييراً: إختار وانتقى خيراً الشيء واصطفاه ، وقد شاع إستعماله في أخذ ما يراد مطلقاً سواء أكان خيراً الشيء أم لا ؟

قال الله تعالى : «وفاكهة مما يتخيرون» الواقعة: (٢٠)

وفي الخبر: «تخيّر والنطفكم» أي اطلبوا ما هو خير المناكح أي أزكاها وأبعدها من الخبث والفجور .

إستخار : طلب الخير في الشيء ، يقال : إستخار الله يخرك أي اطلب من الله أن يختار لك ما يوافقك فيختار . وفي الحديث: « من استخار الله راضياً بما صنع الله خار الله له حتماً » أي طلب منه الخيرة في الأمر .

في الصحاح: الخير: ضد الشر .

وفي المفردات : الخير: ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع ، وضده : الشر .

قيل: الخير ضربان: أحدهما - خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً - فيه بكل حال ، وعند كل أحد كما وصف به النبي الكريم ﷺ الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شرّ بشرّ بعده الجنة» .

ثانيهما - خير وشرّ مقيدان وهو أن يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشرّاً لعمره ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: «إن ترك خيراً الوصية» أي مالا وقال في موضع آخر: «أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات» .

وإن الخير والشرّ على وجهين: أحدهما - أن يكونا إسمين قال الله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير» ثانيهما - أن يكونا وصفين على تقدير : أفعّل منه كقوله تعالى: «نأت بخير منها» وقوله: «وأن تصوموا خير لكم» .

وإن الخير يقابل به الشرّ تارة ، والضرّ تارة أخرى كقوله تعالى: «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير» .

وفي النهاية: الخيرة بسكون الياء : الاسم منه وبالفتح : الاسم من قولك :
إختاره الله وعجده وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خيرة الله من خلقه . والاختيار: الاصطفاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرتك
من خلقك أي المختار المنتخب، الاختيار: أخذ ما يراه خيراً .

١٦ - الشر - ٢٨٤

شره يشربه شرآ فهو شرير - من باب ضرب ونصر وعلم وكرم - : عابه
وانتقصه وإزدرى به ، وشره : شربه في الناس ، وشر اللحم والأقط والثوب شرآ :
وضعه على خصة أو غيرها في الشمس ليحف ، وشر الرجل : زاد شره وأتى منه الشر
وانصف بالشر ، وشر فلاناً : شهره في الناس . والشر : العيب ، والسوء ، وجمعه : شرور
وجمع شرير - بفتح الشين وكسر الراء بالتخفيف ، وكسر الشين وتشديد الراء - :
أشرار وشريرون وأشرآء وشراد . والشرير : الكثير الشر ولقب إبليس .
مادة شرر تفيد معنى الانتشار والظهور ، وأشررت الشيء : أظهرته ، ومنه :
« ما قيل في يوم صفين حتى أشررت بالأ كف المصاحف » .

الشر - بفتح الشين وضمها - : نقيض الخير وهو إسم جامع للردائل والخطايا
يقال : « هو رجل لا يرجى منه إلا الشر » أي السوء والفساد والظلم ، ويقال :
فلان شر الناس ، والشر : الحمى والفقر والشر - بالضم - : المكروه والأشرار :
ضد الأخيار .

ويأتي شر - وصفاً - أفعل تفضيل حذفته همزته لكثرة الاستعمال كخير ، يقال :
هو شر من فلان ولا يقال : أشر منه ولا يشئ ولا يجمع .

قال الله عز وجل : « أولئك هم شر البرية » البيضة (٦) .

وقال : « أولئك شر مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل » المائدة : (٦٠) .

وفي الحديث : « ولد الزنا شر الثلاثة » قيل : هو عام في كل من ولد من الزنا

شرّ من والديه أصلاً ونسباً وولادة ، ولأنّه خلق من ماء الزّاني والزّانية فهو ماء خبيث ، وقيل: لأنّ الحدّ يقام عليها فيكون تمحيصاً لهما، وهذا لا يدري ما يفعل به . وقيل: هذا جاء في رجل بعينه كان إسمه شرّاً . وفي الخبر: «لا يأتي عليكم زمان إلّا والذي بعده شرّ منه» .

ويأتي شرّ - إسماء - بمعنى السوء ونقيض الخير والحدّة والنشاط والغضب والطيش والحرص .

قال الله تعالى: «وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم» البقرة : ٢١٦ أي السوء ونقيض الخير .

وقال: «ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة : ٨ أي سوءاً .

وقال: «ويخافون يوماً كان شرّهُ مستطيراً» الانسان : ٧ أي عيبه و سوءه . وفي الدعاء : «الخير بيديك والشرّ ليس إليك» أي لا ينسب إليك لأنك منزّه عنه، وفي الكلام إرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، وأن تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساوئها .

الشر - محرّكة - والشرارة : ما يتطاير من النار من معنى الانتشار في المادة جمع شررة .

قال الله تعالى: «انّها ترمي بشرر كالقصر» المرسلات : ٣٢ وقد سميت بذلك لاعتقاد الشرّ فيه .

والشرار - بكسر الشين - : ما يتطاير من النار، الواحدة : شرارة ، وفي الاساس : «كان أبوك نار شرارة وأنت منها شرارة» .

والشرّان : دوابّ كالبعوض تغشي وجه الانسان ولا تعضّ ، وربما سميت بالأذى لغة لأهل السواد ، والشرّانة واحدة الشرّان .

والشرّانة والشر - بالكسر - : الشر والحدّة : «أعوذ بالله من شرّة اللسن» وشرّة - بالكسر - الشباب : نشاطه .

وفي الخبر: « لكل شيء شرّة ولكل شيء فترة » وفي الحديث: « ان لهذا القرآن شرّة ثم إن للناس عنه فترة » الشرّة: النشاط والرغبة، ومنه الحديث الآخر: « لكل عابد شرّة » أي نشاط في عبادته .

شارّة: خاصمه، والمشارّة - بتشديد الراء - : المخاصمة، ومنه: « إيباك والمشارّة فانها تورث المعرة » المعرة: الأمن القبيح المكره .

وفي الحديث: « لا تشار أخاك » هو تفاعل من الشرّ أي لا تفعل به شرّاً فتحوجه إلى أن يفعل بك مثله .

وأشرّ - من باب الافعال - فلاناً: نسبته إلى الشرّ، وأشرّ الشيء: أظهره، و « أشرّ بنو فلان فلاناً: طرّده .

وتشارّا: تخاصما .

إستشرّ فلان إستشراراً: صار ذا إشرارة من الأبل .

الإشرارة: الخصفة التي يبسط عليها الأقط وغيره ليحفّ، والإشرارة: القطعة العظيمة من الأبل، جمعها: أشارير، والقطعة من القديد والقطع منه أشارير .

في المفردات: الشرّ الذي يرغب عنه الكلّ كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل، والشرّ - بالضم - : خصّ بالمكره .

وفي اللسان: الشرّ: السوء والفعل للرجل الشرير، والمصدر: الشرارة وقيل: الشرير: شجر ينبت في البحر، وقيل: الأشرة: البحور . والشرّ: بسطك الشيء في الشمس من الثياب وغيرها للتجفيف، والإشرارة: القطعة العظيمة من الأبل لانتشارها وإنبائها . وشرير - كرجيل - : موضع هو من الجار على سبعة أميال .

وفي القاموس: الشرّ: نقيض الخير والحمى والفقر وإبليس، والإشرارة: القديد، والخصفة التي يشرّ عليها الأقط، والقطعة العظيمة من الأبل لانتشارها وإنبائها، وأشرّة: أظهره .

وفي المصباح: الشرّ: الفساد والظلم .

﴿النحو﴾

١- (إذا زلزلت الأرض زلزالها)

«إذا» ظرف زمان خاص غير واجب، وفي عاملها وجوه:
أحدها - قوله تعالى: «تحدثت» والمعنى: إذا زلزلت الأرض تحدث أخبارها.

ثانيها - قوله عز وجل: «يصدر» فقوله: «يومئذ» بدل من «إذا».
ثالثها - قوله جل وعلا: «زلزلت» وذلك جائز لأن «إذا» بمعنى الشرط، فيعمل فيها ما بعدها، وتعمل هي فيه أيضاً كالشرط، فكما جاز عمل «إذا» فيما بعدها وهي في الحكم مضافة إلى الجملة بعدها، جاز عمل ما بعدها فيها كما يعمل في «من» و «ما» اللتين للشرط ما بعدهما، ويعملان هما فيما بعدهما، تقول: من تكرم أكرمه، وما تفعل أفعله و «ما» و «من» في موضع نصب بالفعل المجزوم الذي بعدهما، وهما قد جزما ما بعدهما، فعلا فيه الجزم وعمل فيهما النصب، وكذلك إذا جرت «إذا» كان فيها معنى الشرط على حكم «ما» و «من» وإن كانت هي في التقدير مضافة إلى جملة بعدها.

رابعها - على تقدير: إذا زلزلت فيكون «تحدثت» عاملاً في «يومئذ» وإن جاز أن يكون بدلاً أيضاً من «إذا»

خامسها - معنى قوله تعالى: «فمن يعمل» أي فمن يظهر ذلك اليوم في صحيفته خيراً أو شريراً يرى مكافأته.

سادسها - على معنى: فمن يعمل في الدنيا، ويكون كونه الفاء بعد ذكر ما ذكر في الآخرة على معنى: ما يكونه الله في الآخرة من الشدائد التي ذكرها توجب أنه من عمل في الدنيا خيراً أو شراً يره كما يقول القائل: الآخرة دار المجازاة فمن يعمل خيراً يره ولم يرد خيراً مستأنفاً دون ما عمله العاملون.

و «زلزلت» فعل ماضٍ، مبني للمفعول، والتاء للتأنيث باعتبار فاعله المؤنث المجازي وهي «الأرض» على نيابة الفاعل، و «زلزالها» الزلزال منصوب على المصدر للتأكيد، اضيف إلى ضمير الأرض لافادة الاختصاص من جهة كقولك: ضربتك ضربك، وحسنت إضافته إلى الضمير لتتفق رؤوس الآي على لفظ واحد من جهة أخرى، والزلزال - بالفتح -: إسم - بالكسر -: مصدر وقيل: هما جميعاً مصدر.

٢- (وأخرجت الأرض أثقالها)

الواو للعطف، و «أخرجت» فعل ماضٍ من باب الافعال، و «الأرض» فاعل الفعل، عطف على «زلزلت الأرض» و «أثقالها» مفعول به، والأثقال جمع الثقل من جموع القلّة، اضيف إلى ضمير الأرض.

٣- (وقال الإنسان ماله)

الواو للعطف، و «قال» فعل ماضٍ، أجوف واوي، و «الإنسان» فاعل الفعل، وهو القائل، و «ما» إسم إستفهام للتعجب، في موضع رفع على الابتداء، و «لهما» متعلق بمحذوف وهو الخبر، والضمير راجع إلى «الأرض» أي لأي شيء زلزلت الأرض أو

لأي شيء أخرجت الأرض أثقالها، وقيل: راجع إلى الأثقال أي ماتلك الأثقال، و الجملة مقولة القول.

٤- (يومئذ تحدث أخبارها)

«يوم» منصوب على الظرفية، اضيف إلى «إن» بدل من «إذا» و جوابها «تحدثت» وهو فعل مضارع من باب التفعيل، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الأرض» على حذف المفعول الأول أي تحدثت الأرض الانسان أو الناس يومئذ، وقد حذف المفعول لأن المقصود تحديثها لا من تحدثها، و «أخبارها» مفعول ثان، والأخبار: جمع الخبر، اضيف إلى ضمير «الأرض».

٥- (بأن ربك أوحى لها)

في الباء وجهان: أحدهما - أنها سببية أي بسبب أن ربك أوحى لها، والباء مع مجرورها بعد إنسباكه إلى المصدر متعلق بـ «تحدثت» أي تحدثت الأرض أخبارها بسبب إيعاء ربك إليها.

ثانيهما - أنها زائدة، و «أن» بدل من «أخبارها» و «أن» حرف تأكيد، فتحت همزتها لكان الباء و «رب» اضيف إلى كاف الخطاب للرسول ﷺ إسم لحرف التأكيد، و «أوحى» فعل ماض من باب الافعال، و فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «ربك» و الجملة في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و «لها» متعلق بـ «أوحى» و الضمير راجع إلى «الأرض» وفي اللام وجوه:

أحدها - أنها بمعنى «إلى» لأن الإيعاء يتعدى: «إلى» والعرب تضع لام الصفة موضع إلى.

ثانيها - أنها بمعناها لأنّ الإيحاء بتعدي تارة باللام و تارة أخرى بالي.

ثالثها - أنها زائدة لقوله تعالى : « وأوحى في كل سماء أمرها »
(فصلت: ١٢)

رابعها - إنّما قال هنا: أوحى لها لرعاية فواصل الآي، ولوقال: أوحى إليها لاختلاف نظم الفواصل ووزن الآية عن غيرها.

٤- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

في «يومئذ» وجوه: أحدها - بدل ثان من «إذا» ثانيها - على تقدير: اذكر يومئذ. ثالثها - ظرف لـ «يصدر» و «يصدر» فعل مضارع ، و «الناس» فاعل الفعل ، و «أشتاتاً» جمع شت و شتت كما أن شتّى جمع شتيت كمريض و مرضي ، و «أشتاتاً» حال من «الناس» و «ليروا» اللام لام كي، ومدخولها فعل مضارع من باب الأفعال ، منصوب بـ «أن» مقدرة أو بنفس لام كي ، و علامة نصب حذف النون ، والفعل بعد إنسبا كه إلى المصدر متعلق بـ «يصدر» و «أعمالهم» الأعمال جمع العمل، منصوب، مفعول به، اضيف إلى ضمير «الناس» .

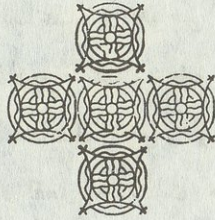
٧- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

الفاء تفريع لما تقدّم ، و «من» شرطية في موضع رفع على الابتداء ، و «يعمل» فعل مضارع، مجزوم بـ «من» و فاعل الفعل ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» و «مثقال» مفعول به، اضيف إلى «ذرة» و في «خيراً» وجهان : أحدهما - بدل من «مثقال ذرة» ثانيهما - تمييز على تقدير: مثقال ذرة من خير. و «يره» فعل مضارع ، مجزوم بـ «من» و علامة الجزم سقوط الألف ، والضمير في موضع

نصب، مفعول به ، راجع إلى «مثقال ذرة» و «يره» خبر المبتداء أو جواب للشرط على قول.

٨- (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

الواو للمعطف وإعراب المعطوف ظاهر من إعراب المعطوف عليه.



﴿البيان﴾

١- (إذا زلزلت الأرض زلزالها)

إشارة إلى بعض أشرط الساعة ، وهو حركة الأرض من أصلها ، حركتها الشديدة المناسبة لعظمتها، وإذار بوقوعها ، وتخويف لأهوالها وحسابها ، حيث تضطرب الأرض وتهتز إهتزازاً شديداً، وهذا الزلزال الذى سيقع يوم البعث هو زلزال خاص بهذا اليوم، وفي إثارة الفعل: «زلزلت» ماضياً مبنياً للمفعول من حتمية الوقوع ومن الترهيب والتخويف ما لا يخفى.

وإضافة المصدر وهو الزلزال إلى ضمير الأرض تفيد الاختصاص والتفخيم والتعظيم أي أنها منتهية في الشدة والهول ، والمعنى: إذا أصاب الأرض عند وقوع الساعة ذلك الزلزال الشديد والاهتزاز الرهيب وهو رجّة مخصوصة منتهية في الشدة والهول ما لم تسبقها بعد، ولا يكون بعد ذلك زلزال ، فكان هذا الزلزال هو الزلزال الوحيد الذى يزلزلها، وما يحدث من زلزال الأرض قبل هذا اليوم، فلا حساب له إذا نظر له من خلال هذا الزلزال العظيم: «إن زلزلة الساعة شيء عظيم، الحج: ١)

ومن المحتمل أن يكون في الاضافة تنبيه إلى إستغراق الزلزال لجميع الأرض بخلاف الزلزلة المعهودة التى تختص ببعض الأرض دون بعض ، و تنبيه إلى شدة أحوال الناس يومئذ لشدة ما يقع فيه من الأهوال، ولفت أنظار الكفار و المجرمين، والفساق والمستكبرين، والفجار والمستبدين إلى أن يتدبروا وتعتبروا

وكان يقال لهم: إذا كانت الأرض مع كبر جثتها وثقل وزنها يضطرب لهول ذلك اليوم وشدته فكيف أنتم؟ فهل لكم أن تستيقظوا من غفلتكم؟ وترجعوا عن كفركم و عنادكم؟ عن فرقكم وفجوركم؟ عن طغيانكم وإستكباركم؟ وعن بغيتكم وفسادكم؟؟؟

وأن تكون الاضافة كقولك: أكرم العالم العامل إكرامه وأهن الفاسق إهانته تنبيهاً إلى ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة.

٢- (وأخرجت الأرض أثقالها)

إشارة إلى أمر آخر من أشراط الساعة، وهو إخراج الأرض ما في جوفها من أنواع الدفائن والكنوز والأموات والأسرار والحضارات. وفي تكرير الأرض تفخيم لشأنها يومئذ لأنها لا تمتنع عما أمرها الله تعالى به .

ومن المحتمل أن يكون في إظهار الأرض موقع الاضمار زيادة تقرير وإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض، أو لأن إخراج الأثقال حال بعض أجزائها ... وفي ايثار الجمع بصيغة القلة: «أثقالها» مع كثرة ما في بطون الارض إيماء إلى الأنواع الجامعة للأفراد كلها لا إلى الأفراد ...

وفي تلخيص البيان قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «وأخرجت الأرض أثقالها»: والاثقال هنا كناية عن الأموات لأنهم كانوا ثقلاً على ظهر الأرض في حال الحياة، أجرى عليهم هذا الاسم لهم عند حصولهم في بطونها بعد الوفاة أو يكونون إنما سموا أثقالاً لأنهم في بطن الأرض بمنزلة الأجنة في بطون الامهات، وإذا جاز أن يسمي الجنين حملاً جاز أن يسمي ثقلاً لأن المعنى واحد قال تعالى: «فلما أثقلت دعوا الله ربهما» أي صارما في بطنها من الجنين ثقلاً لها. وقالت الخنساء:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد
حللت به الأرض أثقالها

أي زينبت به موتها، و قال أبو عبيدة : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كانت فوقه فهو ثقل عليه، (وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها) فتسمية الأموات بالأتقال على أحد هذين الوجهين: إما أن تكون هي المثقلة به، وإما أن يكون هو المثقل بها. وقال غيره: معنى قوله تعالى: «واخرجت الأرض أثقالها» أي لفظت ما فيها من مدافن الأموات والمكنون إلى ظهرها.

٣- (وقال الانسان ماله)

إشارة إلى ما يقع على الانسان فيتساءل عما كان وما يكون استعظاماً لما شاهده من الأمر الهائل لو كان المراد بالانسان العموم، وإلا فبطريق التعجيب لو كان المراد به أهل جهنم، فيقول مدهوشاً متعجباً من تلك الزلزلة الشديدة الهائلة المفزعة ومنكراً لتلك الحالة: ما لهذه الأرض تتزلزل هذا الزلزال لم يسبقني مثله بعد في الحياة الدنيا، فلا يلبث أن يعرف أن الله تعالى قد حقق بذلك وعده بيوم القيامة والحساب.

٤- (يومئذ تحدث أخبارها)

بيان لما يظهر من هذه الأرض المتزلزلة الهائلة المفزعة مالم يعهد عليه الانسان كهذه الزلزلة من أن تحدث الأرض أخبارها بما شهدتها وسجلتها كما تشهد على الانسان أعضاء من يده ورجله وسمعه وبصره وجلده...

وقيل : إن في التعبير عن إظهار أخبارها بالتحديث - إشارة إلى أن أحداثها التي يراها الانسان يوم القيامة هي أبلغ حديث وأظهر بيان، فهو شواهد ناطقة بلسان الحال أبلغ من لسان المقال... وفي التعبير عن خبء الأرض وما تخرجه من بطنها بلفظ الأخبار إشارة أخرى إلى أن هذه الأسرار المضمرة التي كانت مخبوءة في صدر الأرض قد أعلنت وأصبحت أخباراً يعلمها الناس جميعاً.

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها » أي تنشر أخبارها وتظهر أسرارها وتخرج خباياها ، وإن الضمير : « ها » الذي يعود إلى

الأرض في « زلزالتها » و « أنقالها » و « مالها » و « أخبارها » يشير إلى أمور خاصة بالأرض في هذا اليوم ، فللأرض في هذا اليوم زلزالها الذي ينتظرها ولها أنقالها التي تخرجها ، ولها هذا التساؤل الذي يتسائله الناس عنها ، ولها حديثها الذي تحدثه للناس وعن الناس في هذا اليوم الموعود .

وفي تلخيص البيان : في قوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها » قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه : في الجملة إستعارة - والمراد بذلك ما يظهر فيها من دلائل إنقطاع أحوال الدنيا وإقبال أشراف الآخرة فيكون ما يظهره الله تعالى فيها من ذلك قائماً مقام الاخبار ونائباً عن النطق باللسان ، وهذا كما جاء في الكلام : سل الأرض من شق أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك إعتباراً .

فكانت الأرض تحدث من يسئل عن أمرها بأن الله تعالى أوحى لها بأن تكون على تلك الصفة التي ظهرت منها ، و معنى : « أوحى لها » أي أوحى إلى ملائكته عليهم السلام بأن يظهروا فيها تلك الأشراف ويحدثوا بها تلك الأعلام ، فلذلك قال : « أوحى لها » ولو كان الوحي خاصة لها لكان الوجه أن يقال : أوحى إليها .

وقد قال بعضهم : « أوحى لها » وأوحى إليها بمعنى واحد والاعتماد على القول الذي قد مناه لأن الوحي يتضمن أوامر ومخاطبات ، ولا يجوز أن يؤمر ولا يخاطب إلا العاقل المميز والمجيب السامع ، وليس الوحي إلى الأرض جارية مجرى الوحي إلى النحل في قوله : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً » الآية لأن المراد عندنا بذلك أنه سبحانه ألهمها ما أراد منها ، وهي ما يصح فيه ذلك لأنها حيوان متصرف والأرض لا يصح فيها ذلك لأنها جاماد خامد .

٥- (بأن ربك أوحى لها)

الباء سببية ، واللام للانتهاء ، وفي الآية الكريمة بيان لوقوع التحديث و

إمكانه من الأرض وهي جامدة بالنظر البدوي، وتقدير لما يراه الانسان يوم القيامة من الأرض ما لم يره في الحياة الدنيا بأن تحديث الأرض يومئذ ليس من تلقاء نفسها، وإنما ذلك بسبب ما أوحى به إليها ربها، وما أمرها الله جل وعلا به، فامتثلت له و أمضته كما أمر الله تعالى.

و في إضافة الرب إلى ضمير الخطاب من التعظيم والانباء إلى التربية ما لا يخفى .

٦- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

إخبار بواقعة بعد واقعة من تزلزل الأرض وتحديثها وصدور الناس وتفرقهم، وإنصراف السعيد عن الموقف إلى الجنة، والشقي عنه إلى النار بعد ما رأى كل عمله، ففي الآية الكريمة تقرير لاختلاف أحوال الناس يوم القيامة لاختلافهم في العقائد والأعمال في الحياة الدنيا، فيصدرون يومئذ عن مخارجهم من القبور إلى المواقف متفرقين فمنهم أهل اليمين، ومنهم أصحاب الشمال.

وقوله تعالى: «ليروا أعمالهم» تعليل لهذا الصدور أي وذلك ليروا يومئذ أعمالهم بعينها التي عملوها في الحياة الدنيا، فلا يستطيع أحد بانكار ما عمل فيها، و في الآية إثارة الخوف فيهم من ذلك اليوم وحملهم على الاقبال على صالح الأعمال، و الابتعاد عن السيئات...

٧- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

تفريع على ما تقدم، وتفصيل لما سبق من إرائتهم أعمالهم كلها، وفيه تأكيد بيان بأنه لا يستثنى من الإراءة عمل خير كان أم شراً، صغيراً كان أم كبيراً حتى مثقال ذرة من خير أو شر وبيان حال كل من عمل الخير والشر في جملة مستقلة لغرض إعطاء الضابطة وضرب القاعدة، وفي الآية الكريمة ترغيب في قليل الخير وكثيره، وحث الناس على الخير، وتحريضهم في الاقبال على صالح الأعمال...

وقد روي: أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتاه ليستقرأه فقرأ عليه: «فمن

يعمل مثقال ذرة خيراً يره...» فقال: حسبي حسبي وهي أحكم آية. وقد كانوا يسمونها الجامعة فالذين يعملون خيراً مهما قلّ سيلقون خيراً ولا يضيع عليهم منه شيء.

٨- (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

نحذير وترهيب من الشر بصورة عامة، وابتعاد الناس عن الأعمال السيئة وعدم الاستهانة بالشر مهما قلّ، وعدم إهمال الخير مهما ضئول، فالذين يعملون شراً مهما قلّ سيلقون شراً.



﴿الاعجاز﴾

واعلم أن هذه السورة الكريمة مع قصرها معجزة من ناحية الأسلوب والنظم والتنسيق تارة ومن جانب الأخبار بما سيقع تارة أخرى .

أما الأولى: فإن السورة على هذا الاعتبار أعظم وأقوى وأول داع ديني تكون دعوته شاملة لجنسي الإنسان، وفي هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كل مستوى، وما يدل على عظمتها وبعد مداها، وقوة عناصر خلودها، وهو الأسلوب التنبيهى الموجه إلى مختلف الطبقات في المناسبات الملائمة بما تتناوله عقولهم وحواسهم بقصد الموعظة والهداية والتذكير والانذار بأن الناس راجعون إلى الله تعالى، ومعرضون عليه بعقائدهم وأعمالهم حقاً، وباطلاً خيراً أو شراً .

وأما الثانية: فلا يخفى على المتأمل الخبير: أن إعجاز القرآن الكريم بوجه عام من تلك الناحية على جهات أربع :

أحدها - الأخبار بما وقع قبل نزوله :

قال الله عز وجل : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً طه : ٩٩) .

وقال : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها » الأعراف : ١٠١) .

وقال : « وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في

هذه الحق وموعظة و ذكرى للمؤمنين » هود : ١٢٠) .

وقال : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » النساء : ٨٢) .

و قال : « ان هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » النمل: ٧٦ .

ثانيها - الاخبار بما يقع فوقع بما أخبر به جيلاً بعد جيل :
قال الله جل وعلا : « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون »
الروم : ٢-٦ .

وقال : « رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا » النصر: ٢ .

وقال : « ان شانئك هو الأبتر » الكوثر: ٣ .

وقال : « فاما نرينك بعض الذي نعدهم » غافر: ٧٧ .

وان الآيات الكريمة في ذلك كثيرة جداً ، وان هاتين الجهتين دليلاً على صحة الجهتين الآتيتين .

ثالثها - الاخبار بما سيقع في الحياة الدنيا قرناً بعد قرن قبل البعث والنشور ، وإنما الآيات الكريمة في ذلك كثيرة مما يتعلق بالأمور الدنيوية والاخرية منها :
قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » النور: ٥٥ .

وقال : « آمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض » النمل: ٦٢ .

وغيرهما من الآيات القرآنية المتعلقة بالأمور المادية والمعنوية مما يحتاج إليه المجتمع الانساني بوجه عام .

رابعها - الاخبار بما يقع بعد الحياة الدنيا :

ان هذه السورة الكريمة فضلاً عن إعجازها في الأسلوب والنظم والتنسيق

والدعوة الشاملة ، وترهيب مطلقة التوجيه للناس عموماً ، وحملهم على الاقبال على صالح الأعمال ، والابتعاد عن الأعمال السيئة ، وعدم الاستهانة بالشرّ مهما قلّ ، وعدم إهمال الخير مهما ضوّل ، وإنطوائها على تلقين مستمر المدى معجزة من الجهة الرابعة من الجهات بلاخفاء على المتدبّر الخبير لاحتوائها حقيقة يوم القيامة والحساب الايمانية فتدبّر جيداً و اغتنم جيداً .

ومن وجوه إعجاز السورة الكريمة ما فيها من الاشارة إلى ضبط الاعمال والاقوال والحركات وتسجيلها في الأرض ، وانّها حافظة لما يحصل عليها ، ولا تحدث عنها إلا وقت وقوع الساعة ، انّها تسجل و تحدث خلاف سائر المسجلات والاسطوانات ... فانّها تسجل طوال حياتها دون أن تحدث جهاراً حالها ، ثم تحدث بما سجلت عند احتضارها و موتها ، و تؤدّي أما ناتها بكاملها إلى أهلها .

فتبقى صور الأعمال وأصوات الأقوال وحالات الأفكار وخطورات القلوب وثقل الحركات ... في الأرض ليوم تشخص فيه الأبصار ، و قد نال إلى بعضها العلم بعد نحو أربعة عشر قرناً ، قد أخبر بها القرآن الكريم وقد كان الناس لا يصدقون قبل ذلك ، قبل صناعة التلفزيون والراديو والمسجلة وأشباهها من المسجلات للصور والأصوات ، كان الناس لا يصدقون هامة إنعكاس الأعمال يوم القيامة ، فكان الكافر ينكر ، وكان الشاك يستهزئ ، وكان المؤمن متحيراً و يؤوّل ، وقد كشف العلم بتقدمه زاوية من الملهمات الغيبية القرآنية ، ويستفاد من إطلاق آيات هذه السورة أن تسجل الأرض الخطورات القلبية للانسان ونياته ، ولم تصنع بعد آلات لضبطها وتسجيلها فستصنع إن شاء الله بأيدي المسلمين .

﴿ التكرار ﴾

واعلم أن هيهنا أموراً أربعة:

أحدها - أن السور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس

سور:

١- سورة الانشراح. ٢- سورة التين. ٣- سورة البينة. ٤- سورة الزلزال.

٥- سورة التكاثر.

ثانيها - أن السور التي ابتدأت بحرف «إذا» سبع سور:

١- سورة الواقعة. ٢- سورة المنافقون. ٣- سورة التكوثر. ٤- سورة

الانفطار. ٥- سورة الانشقاق. ٦- سورة الزلزال. ٧- سورة النصر.

ثالثها - أنه تكرر قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة» في الآيتين: (٧ و ٨)

وهذا ليس بتكرار فإن الأول متصل بقوله تعالى: «خيراً يره» والثاني متصل بقوله:

«شرّاً يره» وقد أعيدت الجملة لبيان حال كل من عمل الخير والشر في جملة مستقلة

لغرض إعطاء الضابطة وضرب القاعدة.

رابعها - أن نشير في المقام إلى صيغ ست لغات - أوردنا معانيها اللغوية

على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور

القرآنية:

١- جاءت كلمة (الزلزال) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ست

مرات:

١- سورة الحج: (١) ٣٦٢- سورة الزلزال: (١) ٤- سورة البقرة: (٢١٤) ٥٥ سورة

الاحزاب: (١١)

٢- »	»	»	(النقل)	»	»	٢٨ مرة:
٣- »	»	»	(الخبر)	»	»	٥٢ : »
٤- »	»	»	(الذّرّ)	»	»	٣٨ : »
٥- »	»	»	(الخير)	»	»	١٩٦ : »
٦- »	»	»	(الشر)	»	»	٣١ : »



﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث:
أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.
ثانيها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.
ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

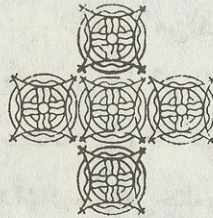
أما الأولى: فأنها نزلت بعد سورة «النور» على التحقيق ، فلما اشير في السابقة إلى بعض الأحكام والآداب وما إليها من أحكام الزنا وما يتعلق به ، ومن رمي المحصنات وما إليه ومن إشاعة الفحشاء وإتباع الشيطان ، ومن شهادة الألسن والأيدي والأرجل يوم القيامة ، على ما فعلوه في الحياة الدنيا ، ومن آداب الأسرة و دستور المعيشة الاجتماعية ، ومن رسوم النكاح وبعض شرائطه ، ومن تصنف الناس تجاه تلك الآداب والأحكام والدعوة على صنفين:

طائفة اتبعوا الحق وآمنوا به ، فأحاط بهم نور الله جلّ وعلا فاهتدوا به وعملوا أعمالاً صالحة ، فعقبهم الجزاء الحسن ، والفضل من الله تعالى ، ففازوا فوزاً عظيماً .
وطائفة اعرضوا عن الحق واتبعوا خطوات الشيطان ، فأحاطتهم الظلمات ، فكفروا بالله تعالى ورسوله ﷺ وبكتابه واليوم الآخر وطفخوا وسعوا في الأرض فساداً فعقبهم الدمار والعذاب والنار ، وأشار تعالى في ختامها إلى ما يتبئهم يوم القيامة بما عملوا في الحياة الدنيا ، أشار في هذه السورة إلى وقت الانباء وكيفيته وهو شهادة الأرض على ما فعله الانسان على ظهرها في الحياة الدنيا بعد ما أخرجته من بطنها

وقت الساعة.

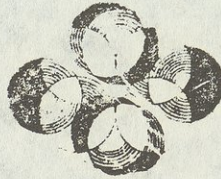
وأما الثانية : فلما ختم الله عز وجل سورة «البينة» ببيان حال الكافرين ووعيدهم من نار جهنم وخلودهم فيها، وحال المؤمنين ووعدهم من جنات عدن وخلودهم ورضوان الله أكبر من ذلك فكان سائلاً يقول: متى يكون هذا الوعيد؟ ومتى وقت الجزاء؟ فقيل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» بذكر بعض علائم التنجيز وزمان ذلك وعد من أماراته الزلزلة الشديدة التي تستأهلها الأرض وهي معنى إضافة الزلزال إلى ضمير الأرض.

وأما الثالثة : فلما بدئت السورة بذكر زلزال الأرض تزلزلاً لم يسبقها بعد ذكر ما يتعقب هذا التزلزل من خروج ما في بطنها من الانسان مدهوشاً متعجباً أو معه غيره فيتساءل الانسان إذ يرى تلك الأحوال المدهشة المفزعة ما لهذه الأرض هذا الزلزال؟ ومالها من إخراجها ما في جوفها تلك الأثقال؟ فكانه يقال: هذه مقدمة تحديثها أخبارها وشهادتها على ما فعله الانسان على ظهرها، فكان سائلاً يسأل: فكيف يمكن ذلك منها؟ فيقال: ليس هذا من تلقاء نفسها، إنما ذلك بإيحاء الله جل وعلا إليها، فيسأل لماذا؟ فيجيب لانصراف الناس عن مواقعهم لرؤية أعمالهم: خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها.



* النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه *

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدلّ على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً
أو متشابهاً فأيتها محكمات والله تعالى هو أعلم.



﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ - (إذا زلزلت الأرض زلزالها)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن ابن عباس ومجاهد : أي حرّكت الأرض من أصلها ، وكان يقول : في النفخة الأولى لقوله تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » وذكر المصدر للتأكيد ثم اضيف إلى الأرض كقولك : لاعطينك عطيتك أي عطيتي لك ، وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآي بعدها . و يروي : أن الأرض تنزل من صوت إسرافيل عليه السلام .

٢- قيل : أي إذا حرّكت الأرض تحرّكها الشديد المناسب لعظمتها ، حركة شديدة لقيام الساعة زلزالها التي كتب عليها . قيل : أي زلزالها المعهود والمكتوب عليها لما أنّها قدرت تقدير الحي . ويمكن أن يكون إنّما أضافها إلى الأرض لأنها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهودة التي تختصّ ببعض الأرض ، فيكون في قوله : « زلزالها » تنبيهاً على شدّتها التي تستأهلها الأرض ، و قريب منه قول من قال : أراد بزلزالها كلّ الزلزال ، وجميع ما هو ممكن منه أي يوجد من الزلزلة كلّ ما يحتمله المحل .

٣- قيل : أي إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصة بها ، وإضافة الزلزال إلى ضمير الأرض تفيد الاختصاص والتعظيم والتفحيم أي إنّها منتهية في الشدة والهول .

٤- قيل : أي ترتجف الأرض وتتشقّق وتغذف ما في بطنها كأنّها تنزل عند النفخة الأولى أو الثانية .

٥ - قيل : أي اضطربت الأرض اضطراباً خاصاً بهذا اليوم في آخر المطاف بعد زلازل موضعية تعيشها قبل موتها ، وبعد الرجفات التي تعيشها طول حياتها حفاظاً على كيانها الأرضي بين زملائها، ولهذا اضيف الزلزال إلى ضمير الأرض في قوله تعالى: «زلزالها» وكأنه هو الزلزال الوحيد الذي تزلزله أما ما يحدث من زلازل للأرض فيما قبل هذا الزلزال فلا حساب له إذا نظر له من خلال هذا الزلزال العظيم .

أقول: وعلى الأول أكثر المحققين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر.

٢ - (وأخرجت الأرض أثقالها)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وأبي عبيدة والأخفش: أي أخرجت الأرض موتها في النفخة الثانية ثم يحييهم الله تعالى. وذلك إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها. ومنه قيل للجن والإنس: الثقلان، وكانت العرب تقول: إذا كان الرجل سقياً كآ للدماء: كان ثقلاً على ظهر الأرض، فلما مات حطت الأرض عن ظهرها ثقلها. والمعنى: أخرجت الأرض ما حملت في بطنها موتها المدفونة فيها، فتخرجها أحياء للجزاء فكأنها تلدهم من جديد كما تلد الأم أبناءها بعد أن يتم حملها وتنقل به بطنها.

٢- قيل: الأثقال: الكنوز والمعادن والمعنى: لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها، فتلقاها على ظهرها ليراها أهل الموقف يومئذ وهم كانوا عنها غافلين في الحياة الدنيا، وتكون الفائدة في ذلك أن يتمحسر العصاة، ويتأسف الطغاة إذا نظروا إليها، لأنهم عصوا الله تعالى و طغوا فيها إذا استغنوا ثم تركوها لا تغني عنهم شيئاً، وأيضاً فإنه تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

٣- قيل: أي أخرجت كل ما فيها من المعادن والكنوز والموتى والحضارات وما إليها من الدفائن. ويرى: أنها تخرج كنوزها فيملاً ظهر الأرض ذهباً، ولا أحد يلتفت إليه، وكأن الذهب يصيح ويقول: أما كنت تخرب دينك ودينك

لأجلي . وقيل: إنَّ الأرض تنزلزل عند النفخة الأولى فتلفظ بالكنوز والدفائن ،
وعند النفخة الثانية ترجف فتخرج الأموات أحياء كالأم تلد حياً .

٤- قيل: أي أثقالها معنوياً من الإنسان الذي فضّل على كثير ممن خلق
تفضيلاً وأثقالها مادياً من الجواهر المرغوبة للإنسان ، ولقد دفنت الأرض كلا الثقلين
ليوم تقوم الأشهاد فكّلها أمانات فيها فتؤدّبها سالمة حين زلزالها يوم البعث من
دون تدجيل ولا تدغيل ولا زيادة ولا نقصان ولا تضليل .

٥ - قيل: الأثقال: الأسرار فتكشف الأرض يومئذ أسرارها التي ضبطت عليها
من العقائد والأعمال والأقوال خيرها وشرّها ، صغيرها وكبيرها .

٦ - قيل: الأثقال هي الموتى من الإنسان وكلّ ما فعله في الحياة الدنيا ،
وما اعتقد به ، وما قال ، كلّ ذلك هو الأثقال .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق ، والمؤيّد بالآيات الكريمة
والروايات الواردة .

٣ - (و قال الانسان مآلها)

في «الإنسان» أقوال: ١- قيل: الإنسان هو ابن آدم الكافر بالبعث لأنّه يسئل
عن زلزلة القيامة وأهوالها وفزعها وما يرى من أطرافه من الأعمال السيئة ، وهو
جاحد لها فلذلك يسئل عنها ، فيقول : «من بعثنا من مرقدنا» والمعنى: يقول الكافر
الذي لم يؤمن بالآخرة : أي شيء زلزلها وأصاها إلى هذه الحالة الهائلة المفزعة ؟
ومآلها من إخراجها تلك الأثقال . . . وأما المؤمن فهو معترف بها فلا يسئل عنها ،
فأنّه يقول : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

٢- عن ابن عباس: هو الأسود بن عبد الأسد . ٣- قيل: أراد كل إنسان يشاهد
ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن وكافر ، ومذكّر ومؤنث ، وهذا
قول من جعل الزلزلة في الدنيا من أشرط الساعة لأنّهم لا يعلمون جميعاً من أشرط
الساعة في ابتداء أمرها حتّى يتحقّقوا عمومها ، فلذلك سئل بعضهم بعضاً عنها .

والمعنى: يتساءل الناس بعضهم بعضاً عن ذلك . وقيل: يستل كل إنسان نفسه بعد أن تلفظه الأرض من جوفها وتلقى به على ظهرها .
أقول: والأول هو المؤيد بالآيات القرآنية سيأتي ذكرها في التفسير والتأويل فانظر وتدبر .

وفي «مالها» أقوال: ١- عن أبي مسلم: أي ما للأرض زلزلت هذه الزلزلة الهائلة المفزعة لم أر مثلها بعد ، أي لأي شيء زلزلت الأرض بأن الله تعالى يحيى الله تعالى الموتى بعد وقوع النفخة الأولى ثم تتحرك الأرض ، فتخرج الموتى فلما رأوا الزلزلة وإنشقاق الأرض عن الموتى أحياء فيقولون من الهول والشدة : مالها حدث فيها مالم يعرف منها ، ومائتات لأهلها ، وهذا قبل أن سكنت الأرض من الاضطراب والاهتزاز والحركة الشديدة .

٢- قيل: أي ما للأرض أخرجت أثقالها ، وهي كلمة تعجيب أي لأي شيء أخرجت الأرض أثقالها وهذا بعد أن سكنت الأرض من زلزالها . ٣- قيل: أي ما للأرض من هذه الزلزلة الهائلة المفزعة ؟ ومالها من إخراجها أثقالها .
أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق كما أن تلوين الاسلوب والابتار بكلمة الناس التي تشمل المؤمن والكافر والمعاصي لرؤية الأعمال يلهمنا أن الانسان من الناس لا كلهم .

٤ - (يومئذ تحدث أخبارها)

في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل: أي تخبر الأرض يوم القيامة بما عمل عليها الانسان من خير أو شر ، فتشهد على الأعمال كما تشهد عليها الأعضاء وكتّاب الأعمال من الملائكة وشهداء الأعمال من الانسان وغيرهم . . . سواء كان الانسان مذكراً أم مؤنثاً ، وكافراً أو مؤمناً . وهذا من قول الله تعالى .

وقيل: هذا من قول الانسان أي يقول الانسان يومئذ : مالها تحدثت أخبارها مدهوشاً متعجباً . وهذا قول من زعم أن هذه الزلزلة زلزلة القيامة ، وعلى هذا

فيجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها، وإنما نسبته إليها توسعاً ومجازاً، ويجوز أن يقلبها حيواناً يقدر على النطق، ويجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبّر عنه بالكلام كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك وتقول الشاعر: وقالت له العينان سمعاً وطاعة.

٢- عن يحيى بن سلام: أي تحدثت الأرض أخبارها بما أخرجت من أثقالها وهو قول من زعم أنها زلزلة أشرط الساعة. ٣- عن ابن مسعود: أي أنها تحدث بقيام الساعة إذا قال الانسان بمالها، فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم ووعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن. وقيل: أي تحدثت بأنها كانت مسكونة، فإذا جاءت الزلزلة تحدثت أن الدنيا قد انقضت أيامها، وإن الآخرة قد أقبلت.

٤- قيل: أي تبين أخبارها بالرّجّة والزلزلة وإخراج الموتى. والمعنى: تظهر الأرض أخبارها التي كانت مكنونة في صدرها، فأخبارها هي نفس إخراجها أثقالها. وقيل: أي يظهر ما يحدث للأرض ويحل فيها من خراب ودمار. أي إن حال الأرض عند الساعة وما يقع فيها من الاضطراب والاهتزاز والانقلاب وما لم يمهله نظير من الخراب والدمار تعلم السائل وتفهمه أن ما يراه لم يكن لسبب من الأسباب التي وضعت لأمثاله مما نراه حين إستقرّ نظام هذا الكون.

فالمعنى: إن الأرض تحدث الخلق بلسان الحال ما لأجله زلزالها وإخراجها كنوزها وموتها، فلا تصبح الأرض حيواناً ولا إنساناً تحدث بما أحدثه الانسان في الحياة الدنيا، ولا تصبح جبالها كاللسنة لها حداد، فإن أخبارها هكذا أجنبية عن كيان الأرض، بل تحديث أخبارها هو عرضها عليهم صور أعمالهم، وأصوات أقوالهم المسجلة في الأرض، فتحدث أخبارها بما شهدتها وسجلتها.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الأخر. وفي تحديث الأرض أخبارها ثلاثة أقاويل: أحدها- أن الله تعالى يقلب الأرض

ويجعلها على صورة حيوان يعرفها جميع الناس فتتكلم بما فعلوه على ظهرها في الحياة الدنيا فاما تشكو من الكفار والمجرمين، واما تمدح المؤمنين والمطيعين. ثانيها - ان الله جل وعلا يحدث فيها الكلام . ثالثها - انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام .

أقول: إن السؤال عن كيفية تكلم الأرض وتحدثتها، وليس لها لسان تتكلم به هو السؤال عن تكلم الشجرة لموسى بن عمران عليه السلام وتكلم الحصة بيد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله والجواب هو الجواب فراجع .

٥ - (بأن ربك أوحى لها)

في الآية الكريمة أقوال : ١ - عن ابن عباس وأبي عبيدة : أي ان الأرض تحدث أخبارها بوحى الله تعالى إليها . وان العرب تضع لام الصفة موضع « إلى » لأن الإيحاء يتعدى بـ « إلى » والمعنى : تحدث أخبارها بسبب أن ربك أوحى إليها أن تحدث فهي شاعرة بما يقع فيها من الأعمال : خيرها وشرها متحملة لها يؤذن لها يوم القيامة بالوحي أن تحدث أخبارها وتشهد بما تحملت وإن الحياة والشعور ساريان في الأشياء وإن كنا عن ذلك غافلين .

٢ - عن ابن عباس أيضاً: أي أذن لها لتخبر بما عمل على ظهرها الانسان في الحياة الدنيا من الأعمال والأقوال . وقال الفرّاء : أي تحدث أخبارها بوحى الله وإذنه لها . ٣ - عن مجاهد: أي أوحى أمرها . وعن عبدالله بن مسعود: أي أمرها بذلك . أي إن ما يكون للأرض يومئذ إنما هو بأمر إلهي خاص ، فيقول لها : كوني خراباً كما قال لها حين بدء النشأة الاولى: كوني أرضاً . وإنما سمّي ذلك وحياً لأنه أتى على خلاف ما عهد منذ نشأة الأرض .

٤ - عن السدي : أي قال لها . وقيل: إن الله تعالى يخلف في الأرض وهي جماد أصواتاً مقطّعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى . وقيل: يخلق الصوت فيها عند اخبارها . ٥ - قيل: أي ألهمها . ٦ - قيل: أي

عرفها بأن تحدث أخبارها . وقيل: أي أن الأرض تحدث بها فتقول : إن ربك يا محمد أوحى لها أي ألهمها وعرفها بأن تحدث أخبارها . ٧ - قيل : أي سخرها .
٨ - عن سفیان الثوري : أي يوم تكون الزلزلة وإخراج الأرض أثقالها تحدث الأرض أخبارها ما كان عليها من الطاعات والمعاصي ، وماعمل على ظهرها من خير أو شر . ٩ - قيل: أي بأن تلقى الأرض الكنوز والأموال على ظهرها يقال: أوحى لها وإليها أي ألقى إليه من جهة تخفى . وقيل : أي دلالتها بما وقع فيها من الأعمال بلسان الحال .

١٠ - قيل : ليس هذا الوحي وحى النبوة ولا وحى الإلهام ولا وحى العزيزة وإنما هو وحى في تكوينها و رمز في كيانها الذي يجمله من سوى الله تعالى والراسخين في العلم . ١١ - قيل : إن لكل ذرة لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والتحميد ، وبهذا اللسان تنطق الأرض يوم القيامة ، و به تنطق الجوارح .
أقول: والثالث هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الآخر، وأمّا كيفية تكلم الأرض ، فلا علم لنا بها كما أنه لا علم لنا بتسبيح غيرنا قال الله عز وجل : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (الاسراء : ٤٤)

٦ - (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

في قوله تعالى: « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً » أقوال : ١ - قيل: أي يرجعون عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين عندئذ ففريق منهم ، وهم أهل السعادة والفلاح يأخذون جهة اليمين إلى منازلهم في الجنة ، وفريق آخرون منهم وهم أهل الشقاء والخسران يأخذون جهة الشمال إلى مآل أمرهم في النار لقوله تعالى: « يومئذ يتفرقون - يومئذ يصعدون » الروم : ١٤ - ٤٣) وقيل : أي يرجعون فرقاً فرقاً عن الحساب بعد فراغهم من الحساب . وعن ابن عباس: أي متفرقين على قدر أعمالهم : أهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة .

٢- قيل: أي متفرقين على وجه الأرض لتشهد عليهم الأمكنة بما فعلوه فيها، فهم يرون أعمالهم يوم القيامة بعد إنصرافهم عن موقف البعث في كل مكان عملوا فيه في الحياة الدنيا من أقطار الأرض من كل ناحية ومكان، فهم يبعثون من أقطار الأرض ويتفرقون في أماكن أعمالهم ليردوا بعينها فلا يستطيعون إنكارها. وقيل: إن هذا الصدور إنما هو عند النشور فيصدرون أشتاتاً من القبور فيصار بهم إلى موقف الحساب ليردوا أعمالهم في كتبهم، فكأنهم ورددوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها، والوارد: الجائي والصادر: المنصرف.

٣- قيل: إن هذا الصدور عند معاينة الثواب والعقاب. وقيل: إن قوله تعالى «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً» جملة معترضة بين «بأن ربك أوحى لها» و «بين» ليردوا أعمالهم على تقدير: بأن ربك أوحى لها ليردوا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتاً عن موقف الحساب، فرقاً فرقاً متفرقين إلى منازلهم في الجنة والنار.

٤- قيل: أي يبعثون وهم مختلفون في الوجوه فبعضهم سواد الوجوه حفاة عراة معهم السلاسل والأغلال، والمنادي ينادي بين يدي الله تعالى: هؤلاء أعداء الله وهم شر البرية: «ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» القيامة: ٢٤-٢٥ (٢٥) «ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة» عبس: ٤٠-٤٢).

و بعضهم بياض الوجوه معهم الثياب الفاخرة والرائحة الطيبة، والمنادي يومئذ ينادي: أولئك هم خير البرية: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» القيامة: ٢٢-٢٣) و «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨-٣٩.

٥- قيل: أي يحشرون متفرقين أي كل فريق على شكله: اليهودي مع اليهودي والنصارى مع النصارى والمنافق مع المنافق والمؤمن مع المؤمن... «يوم ندعوا كل أناس بأمامهم - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و

أضلّ سبيلاً» الاسراء : ٧١-٧٢) ٦- قيل: أي يحشرون فرقاً فرقاً فالذكور مع الذكور والاناث مع الاناث غير مختلطين، فلا يرى الذكور الاناث ولا ترى الاناث الذكور يومئذ إلا بعد دخولهم في الجنة أو في النار . ٧- قيل: أي يبعثون متفرقين على قدر أعمالهم ومتشكّلين بأشكالها المتناسبة لها فالذي يثوب يتشكّل بصورة الخنزير ، والظلمة و سفاك الدماء يتشكّلون بصورة الذئب ، والكاذبون بصورة الكلاب ، والمتملّقون بصورة الهرّة والسارقون بصورة الفأرة ، وأهل المكر والحيلة والفدر يتشكّلون بصورة الثعالب ... وهكذا .

٨- قيل: أي كل واحد منهم يصدر وحده من دون ناصر ولا عاضد له لقوله تعالى: « ولقد جئتمونا فرادى » .

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق لتعليل الصدور أشتاتاً بقوله تعالى: « ليروا أعمالهم » إجمالاً ، و تفصيل ذلك بقوله عز وجل: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ... » وتؤيّد روايات المواقف وغيرها، والقول باعتراض الجملة غير وجيه ، إذ لا صدور عن موقف الحساب إلى الجنة والنار قبل رؤية الأعمال ، وشهادة الأرض وشهادة الأيدي والأرجل والألسن ... وغيرها من الشهداء ، وأما سائر الأقوال فممتّا تراه .

نعم: ما في غير الثاني من الأقوال يجيء بعد صدور الناس عن موقف البعث ورؤية الأعمال ، أو حين البعث كتشكّل العامل على صورة عمله ، وتمايز المؤمن من الكافر وعدم الاختلاط بين الذكور والاناث في المحشر وعرض الحساب... ولكن المقام ليس بصدد بيان ذلك ، فتأمل جيّداً .

وفي قوله تعالى: « ليروا أعمالهم » أقوال: ١- عن ابن عباس: أي ليروا ثواب أعمالهم وجزائها إن كان العمل خيراً فجزائه خيراً وإن شراً فشرّاً . فيرى المحسن المطيع لله تعالى يوم القيامة ما عمله في الحياة الدنيا وما أعد الله له وعلا له يومئذ من الكرامة على طاعته وإيثاره ومن الجنة ونعيمها ، ويرى المحسن العاصي لله

تعالى ما عمله في الدنيا وجزاء عمله وما أعد الله تعالى له من الهوان والخزي في نار جهنم . ٢ - قيل : أي يروا صحائف أعمالهم ، فيقرؤن ما فيها من أعمالهم التي عملوها في الدنيا . فيرون أعمالهم في كتب أعمالهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها فيها ، فلا يستطيعون على إنكارها . وإن الرؤية هي رؤية العين .

٣ - قيل : أي ليعرفوا أعمالهم . فالرؤية هنا بمعنى المعرفة بالأعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب . ٤ - قيل : أي ليروا نفس أعمالهم بناء على تجسّم الأعمال . . .

أقول : والآخر هو الظاهر من السياق والمؤيد بقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزلة : ٧-٨) و بكثير من الآيات القرآنية والروايات الواردة في المقام .

٧ - (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

في الآية الكريمة أقوال : ١ - عن ابن عباس : أي من يعمل من الكفّار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمل منهم مثقال ذرة شراً عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الكفر والشرك والمعصية ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من المؤمنين يره في الحياة الدنيا ، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرة خيراً يقبل منه ولا يضاعف له في الآخرة . ٢ - قيل : هذا مثل ضرب به الله تعالى أنه لا يقبل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة كقوله تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » النساء : ٤٠ .

٣ - عن محمد بن كعب القرظي : أي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتّى يخرج من الدنيا ، وليس له عنده خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتّى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر .

٤ - عن مقاتل : أي فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه

فيفرح به ، وكذلك من الشرّ يره في كتابه فيسوءه ذلك ، قال : و كان أحدهم يستقل أن يعطي اليسير ويقول: إنتما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وليس اليسير مما يحبّ ويتهاون بالذنب اليسير، ويقول: إنتما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشرّ .

٥ - قيل: أي فمن يعمل من المؤمن والكافر، والمذكّر والمؤنث في الحياة الدنيا يرى عمله بعينه يوم القيامة من غير زيادة ولا نقصان، أمّا المؤمن فيثاب به ، وأمّا الكافر فلا يقبل منه لكفره وطغيانه فإنّ من شرائط قبول الأعمال الصالحة هو الايمان فاذا انتفى إنتفى .

أقول: والأخير هو المؤيّد بالآيات القرآنية والروايات الواردة .

و في « الذرة » أقوال : ١ - قيل : الذرة لازنة لها ٢٠ - قيل : الذرة أن يضرب الرجل يده على الأرض فما علق بها من التراب فهو الذرّ . وعن ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض و رفعتها ، فكلّ واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من عبد عمل خيراً أو شراً ، قليلاً كان أو كثيراً إلاّ أراه الله تعالى إياه .

٣ - قيل : الذرة : النملة الصغيرة ، والمراد بها الهباء المنبثّ في الهواء .

٤ - قيل : الذرة : دودة حمراء ليس لها وزن . ٥ - قيل : الذرة : ما يرى في شعاع الشمس من هباءة من غبار لا ترى إلّا في ضوء الشمس المتسلل من كوة في مكان مظلم . ٦ - قيل : مثقال ذرة من الخير والشرّ إشارة إلى مدى تأثير الخير والشرّ في دنيا الحياة ، فكما الخير يرى بنفسه كذلك بآثاره التي خلفها خلفه كما أن الشرّ أيضاً يرى هكذائهم الجزءاء على الخير والشرّ سوف يكون جزاء وفاقاً لثقلها قدر التأثير ومداه .

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين .

وفي قوله تعالى: «خيراً» أقوال: ١ - قيل: الخير هو الايمان . ٢ - قيل: الخير

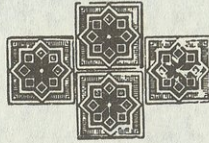
هو صالح العمل . ٣ - قيل: الخير هو كلما فيه نفع صلاح دنيوي واخروي للانسان

ممّا يتعلّق بالعتيدة والقول والفعل .

أقول: و لكلّ وجه ولكن الأوجه هو الثاني لكون الخير ههنا متعلقاً بالعمل ، وإن كان الايمان خيراً في نفسه ولكنّه متعلّق بالقلب .

و في قوله تعالى: « يره » أقوال : ١- قيل : أي يرى نفس عمله يومئذ كما عمله في الحياة الدنيا من دون زيادة ولا نقصان . ٢- قيل: أي يرى جزاء عمله و ثوابه لأنّ ما عمله قد مضى وعدم فلا يرى . ٣- قيل: أي يرى عمله بعينه وجزائه .

أقول: إنّ الآية الكريمة تشير إلى رؤية الانسان نفس عمله ، وليست بصدد بيان رؤيته جزاء عمله وإن يراه بعد .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١- (إذا زلزلت الأرض زلزالها)

إذا تحرّكت الأرض كلّها حركة شديدة لم تسبقها بعد في الحياة الدنيا ،
حركتها المقدرة لها، وإهتزّت إهتزازاً شديداً مهيلاً مفزعاً ، حركة سريعة ،
متصلة واحدة بعد أخرى بلا فصل.

وانّ النفخة الاولى تقدمه لزلزالها كما أنّ النفخة الثانية لتجميع الناس
بعد تشبّثهم ورؤيتهم أعمالهم في مواقفها لعرض الجزاء عليهم إمّا النار وعذابها،
وإمّا الجنة ونعيمها، فبالنفخة الاولى تزلزل الأرض.

قال الله تعالى: «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال
فدكتا دكتة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ،
الحاقة: ١٣-١٦)

وقال : « يا أيّها الناس اتقوا ربّكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم ،

الحج: ١)

وقال: «إذا وقعت الواقعة - إذا رجّت الأرض رجاً وبست الجبال بساً

فكانت هباء منبثّاً الواقعة: ١-٦)

و قال : « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ،

المزمل: ١٤)

و قال : « وإذا الأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلت ، الانشقاق :

(٤-٣)

وقال : «يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق: (٤٤)
 وقال : «فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء - و تركنا بعضهم يومئذ يموج في
 بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا -
 ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزولا، الكهف:
 (٩٨-١٠٧)

٢- (وأخرجت الأرض أثقالها)

وأخرجت الأرض عند الساعة لشدة إضطرابها ونوران باطنها كل ما في جوفها،
 فيقذف ما في باطنها من الدفائن والأموات والأسرار: «وإذا الأرض مدت وألقت ما
 فيها وتخلت» الانشقاق: (٣-٤)

ومنها هو هذا الانسان وما يتعلق به من العقائد والاقوال والأعمال المضبوطة
 في أرجائها... «وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت»
 الانفطار: (٤-٥)

فترها أصحابها خيرا وشرها، صغيرها وكبيرها...
 قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
 يره» الزلزال: (٧-٨)

وقال: «ولا تزروا زرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء»
 فاطر: (١٨)

وقال: «وقال الله كفر وا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم و
 ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم و أثقالا مع
 أثقالهم» العنكبوت: (١٢-١٣)

وإطلاق الثقل على ما يتعلق بالانسان باعتبار صدوره عنه على ظهر الأرض،
 والضبط فيها وتجسمها يوم البعث والحساب والجزاء.

قال الله تعالى حكاية عن لقمان: «يا بني انتها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير»
لقمان: (١٦)

وقال: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: (٢٩-٣٠)

وقال: «يوم نسير الجبال ونرى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً - لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً» الكهف: (٤٧-٤٩)

٣- (وقال الانسان ماله)

وقال الانسان الكافر بالبعث والحساب والجزاء بعد خروجه من القبر يوم القيامة عند تبدل الأرض غير الأرض، حين شاهد ما للأرض من الاضطراب والاهتزاز، وفي أطرافه من الأثقال الخارجة من الأرض، مدهوشاً من تلك الزلزلة الشديدة الهائلة المفزعة، متعجباً من تلك الحالة والأثقال الخارجة: ما لهذه الأرض تتزلزل هذا الزلزال؟ وما الذي وقع لها مما لم يعهد له نظير من قبل؟ وما لها من إخراجها تلك الأثقال وأنواعها؟؟؟

فيستل الكافر نفسه بعد أن تلفظه الأرض يوم البعث من بطنها، وتلقى به على ظهرها، منكراً لهذا الذي حدث... خائفاً مدهوشاً، وفزعاً متعجباً ما يراه في أطرافه، فكأنه سكران فليس بسكران، وقد كان من قبل في بطن الأرض، فماذا أخرجه منها؟ وماذا يراده؟؟؟

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «ونفخ في الصور فاذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا» يس: (٥١-٥٢)

وقال جل وعلا: «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» مريم: (٣٧)

وقال: «قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، الأنعام: ٣١)
وقال: «خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشرة مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر، القمر: ٧-٨)

وأما المؤمن فلا دهشة ولا فزع ولا خوف عليه، ولا له حزن فهو من فزع يوم القيامة وأهوا له آمن.

قال الله عز وجل: «يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون»
النمل: ٨٧-٨٩)

وقال: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، الزخرف: ٦٨-٦٩)

وقال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب، الأنبياء: ١٠٣-١٠٤)
وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبر جيداً.

٤- (يومئذ تحدث أخبارها)

يوم القيامة تخبر الأرض أسرارها وما سجلت فيها من الأعمال والأقوال ، فيشهد كل مكان منها على الناس ما فعلوه على ظهرها في الحياة الدنيا من خير أو شر ومن صغير أو كبير.

قال الله عز وجل: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يونس: ٦١)

وقال: «إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله، لقمان: ٦)

وقال: «وكل صغير وكبير مستطر، القمر: ٥٣)

كما يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم،
ويشهد عليهم كتاب أعمالهم من الملائكة وشهداء الأعمار من الانسان وغيرهم ،
فان هذا اليوم يوم شاهد ومشهود.

قال الله عز وجل: « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون،
فصلت: ٢٠)

وقال: « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون،
النور: ٢٤)

وقال: « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا
يكسبون، يس: ٦٥)

وقال: « ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ،
يونس: ٦١)

وقال: « ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد،
ق: ٢٠-٢١)

وقال: « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، الانفطار:
١٠-١٢)

وقال: « واليوم الموعود وشاهد ومشهود، البروج: ٢-٣)

هـ (بأن ربك أوحى لها)

بسبب أن ربك أوحى للأرض يوم القيامة بأن تحدث ما فعله الانسان
على ظهرها في الحياة الدنيا، فتطيع عندئذ أمر ربها، وحق لها أن تسمع وتطيع
لأمره جل وعلا: «وأذنت لربها وحقت، الانشقاق: ٥)

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، يس: ٨٢)

كأمرها بقوله تعالى: «وقل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء
فضى الأمر، هود: ٤٤)

كما كان تسخيرها وتسخير الشمس والقمر والنجوم والفلك والرياح و تنزل
الملائكة والروح وتقوم السماء والأرض بأمره جلّ وعلا.
قال الله عزّ وجلّ: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق
والأمر» (الأعراف: ٥٤)

وقال: «وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره» (إبراهيم: ٣٢)
وقال: «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره و
يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه» (الحج: ٦٥)
وقال: «فسخرنا له الرياح تجري بأمره» (ص: ٣٦)
وقال: «ينزل الملائكة والروح من أمره على من يشاء من عباده»
(النحل: ٢)

وقال: «ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره» (الروم: ٢٥)

٤- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليرُوا أعمالهم)

يوم البعث والنشور يجيء الناس صادرين من قبورهم، منصرفين عن موقف
الحشر أفراداً، متفرقين، متميزين لا تسير كافرهم ومؤمنهم، محسنهم ومسيئهم،
مطيعهم ومجرمهم ومصلحهم ومفسدهم في طريق واحد، بل كل نفس بما كسبت
رهينة فلا أنساب بينهم.

فللناس في هذا اليوم صدور وورود: صدور من القبور و ورود إلى موقف
الأعمال ليرُوا ما عملوه في الحياة الدنيا، كأنهم جراد منتشر إلى موقف الأعمال و
الأقوال والعقائد والأفكار كل بموقفه، فيشهد عليه الموقف، وهو يرى ما عمله فيه
وقد كان في غفلة عن هذا.

قال الله عزّ وجلّ: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس
معه سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد» (ق: ٢٠-٢٢)

وقال: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: (٣٠)
 وقال: «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون»
 المؤمنون: (١٠١)

وقال: «وبوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون» الروم: (١٤)
 وقال: «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة» الأنعام: (٩٤)
 وقال: «وكلهم آتية يوم القيامة فرداً» مريم: (٩٥)
 وقال: «فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» الشعراء: (٣٣-٣٧)
 فالأعمال والأقوال والعقائد والأفكار وحسن الظنون وسوءها كلها يوم الحشر حاضرة محضرة يحضرها الله جلّ وعلا بما سجلها في الأرض وفي أعضاء الانسان نفسها من دون زيادة ولا نقصان، فسوف يسمع أقواله كما قال، ويرى أعماله كما عمل، ويكشف ما في صدره من العقائد كأنه عملها الساعة، فخير الانسان وشره معه، وفي المكان الذي عمله حيث كان فلا يستطيع فراغه ولا يقدر على إنكاره.

قال الله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه»
 المجادلة: (٦)

وقال: «لكلّ نباء مستقرّ» وسوف تعلمون» الأنعام: (٦٧)
 وقال: «وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى» النجم: (٤٠-٣٩)

وقال: «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» ووجدوا ما عملوا حاضراً» الكهف: (٤٧-٤٩)
 وقال: «ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأختر بل الانسان على نفسه بصيرة»

القيامة: ١٣-١٤)

٧- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

فمن يعمل من المؤمن والكافر، والذكر والانثى في الحياة الدنيا مثقال ذرة - وهي ما يرى في شعاع الشمس من هباءة من غبار لا ترى إلا في ضوء الشمس المتسلل من كوة في مكان مظلم - خيراً يره بعينه في الدار الآخرة من دون زيادة ولا نقصان، أما المؤمن فاذا رآه سرّ به فيثاب به، وأما الكافر فلا يقبل منه لكفره وطغيانه .

قال الله عزّ وجلّ: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً» آل- عمران: ٣٠ (

وقال: «وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» البقرة: ١١٠)

وقال: «إنّما يتقبّل الله من المتقين» المائدة: ٢٧)

وقال: «اولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة» الأحقاف: ١٦)

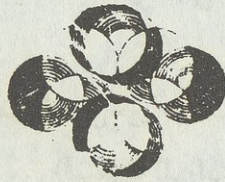
وقال: «ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة برزقون فيها بغير حساب» غافر: ٤٠)

وقال: «قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون» التوبة: ٥٣-٥٤)

٨- (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

ومن يعمل من المؤمن والكافر، والذكر والانثى في هذه الحياة الدنيا مثقال ذرة شراً يره بعينه يوم القيامة، أما المؤمن فيكفّر عنه سيئاته، فلا يؤاخذ به، وأما الكافر والطاغى، فاذا رأى صاحبه يومئذ بين يديه ساءه ذلك وملاً نفسه حسرة وغماً ويؤاخذ به.

قال الله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء
تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: (٣٠)
وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم
أحسن الذي كانوا يعملون» العنكبوت: (٧)
وقال: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» البقرة: (١٦٧)



* جملة المعاني *

٦١٣٩- (اذا زلزلت الارض زلزالها)

إذا تحرّكت الأرض كلها واهتزّت إهتزازاً مهياً لم يسبقها بعد.

٦١٤٠- (وأخرجت الأرض أثقالها)

وأخرجت الأرض عند الساعة لشدة إضطرابها كل ما في جوفها على ظهرها.

٦١٤١- (وقال الانسان مالها)

وقال الانسان بعد خروجه من القبر يوم القيامة حين ما شاهد وقوع الساعة وأهوالها مدهوشاً متعجباً: ماللأرض من هذه الحركة الشديدة وإخراجها أثقالها لم تسبقها بعد.

٦١٤٢- (يومئذ تحدث أخبارها)

يوم القيامة تخبر الأرض ما سجلت فيها من الأعمال والأقوال والحركات والخطورات...

٦١٤٣- (بأن ربك أوحى لها)

بسبب أن ربك أمر الأرض يوم القيامة بتحديث ما فعله الانسان على ظهرها في الحياة الدنيا.

٦١٤٤- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليرَوّأ أعمالهم)

يوم البعث والنشور ينصرف الناس أجمعون عن موقف الحشر متفرّقين إلى

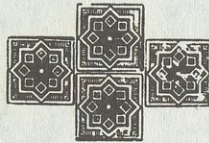
مواقف الأعمال، كل بموقفه ليروا ما عملوه في الحياة الدنيا.

٦١٣٥- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

فمن يعمل من الذكر والانثى مثقال ذرة خيراً يره بعينه في الدار الآخرة
بلا زيادة ولا نقصان.

٦١٣٦- (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

ومن يعمل من المؤمن والكافر في الحياة الدنيا مثقال ذرة شراً يرى نفس
عمله في الدار الآخرة.



* بحث روائي *

فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: « وأخرجت الأرض أنفـالها » قال: من الناس « وقال الانسان مالها » قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام « يومئذ تحدث أخبارها - إلى قوله - أشتاتاً » قال: يجيئون أشتاتاً مؤمنين وكافرين ومنافقين « ليروا أعمالهم » قال: يققون على ما فعلوه .

و فى تفسير البرهان: بالاسناد عن الحسن بن عبد الرحيم التمار قال: إنصرفت من مجلس بعض الفقهاء فمررت على سلمان الشاذكوني، فقال له: من أين جئت؟ فقلت: جئت من مجلس فلان يعني واضع كتاب الوحدة، فقال لى: ماذا قوله فيه؟ فقلت: شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: لا والله لا حدثت بك بفضيلة حدثني بها قرشي عن قرشي إلى أن بلغ ستة نفر ثم قال: رجفت قبور البقيع على عهد عمر بن الخطاب، فضج أهل المدينة من ذلك، فخرج عمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون لتسكن الرجفة، فما زالت تزيد إلى أن تعدى ذلك إلى حيطان المدينة، وعزم أهلها على الخروج عنها، فعند ذلك قال عمر: علي بابي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام فحضر فقال: يا أبا الحسن ألا ترى إلى قبور البقيع ورجفتها حتى تعدى ذلك إلى حيطان المدينة، وقد هم أهلها بالرحلة عنها، فقال علي عليه السلام: علي بمائة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله البدرين، فاختر من المائة عشرة فجعلهم خلفه، وجعل التسعين من ورائهم ولم يبق بالمدينة سوى هؤلاء إلا حضر حتى لم يبق بالمدينة نيب ولا عاتق إلا خرجت، ثم دعا

بأبي ذر ومقداد وسلمان وعمّار وقال لهم :

كونوا بين يدي حتى أتوسط البقيع ، والناس محدقون به ، ف ضرب الأرض
برجله ثم قال : مالك ؟ مالك ؟ مالك ثلاثاً ؟ فسكنت الأرض ، فقال : صدق الله
و صدق رسوله ﷺ لقد أنبأني بهذا الخبر وهذا اليوم وهذه الساعة ، وباجتماع
الناس له ، إن الله عز وجل يقول في كتابه : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت
الأرض أنقالها وقال الانسان مالها » أما لو كانت هي هي لقلت مالها وأخرجت الأرض
لي أنقالها ثم انصرف وانصرفت معه وقد سكنت الرجفة .

وفي العلل : باسناده عن هارون بن خازجة رفعه عن فاطمة ؓ قالت :
أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وفزعوا إلى أبي بكر وعمر فوجدوهما قد
خرجا فزعين إلى علي ؓ فقبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى علي ؓ فخرج
إليهم علي ؓ غير مكترث لما هم فيه ، فمضى فأتبعه الناس حتى انتهى إلى تلعة ،
فقعدها عليها وقعدوا حوله ، وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترجج جائية و ذاهبة ،
فقال لهم علي ؓ : إنكم قد اهالكم ما ترون ؟ قالوا : وكيف ليهولنا ولم نر
مثلاً قط ؟ فحرك شفتيه ثم ضرب الأرض بيده ثم قال : مالك ؟ اسكني فسكنت
فمجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم أو لا حيث خرج إليهم قال : فأنكم قد تعجبتم
أو لا حيث خرج إليهم قال : فأنكم قد تعجبتم من صني ؟ قالوا : نعم قال : أنا
الرجل الذي قال الله تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أنقالها
وقال الانسان مالها » فأنا الانسان الذي يقول لها : مالك ؟ يومئذ تحدث أخبارها
إنيأتى تحدث أخبارها .

أقول : لاتناف بين الرويتين إذ لايبعد تعدد الواقعة وتكرر رها .

وفي كنز الفوائد للكرامچي باسناده عن الأصبح بن نباته قال : خرجنا
مع علي ؓ وهو يطرق في السوق وهو يأمرهم بوفاء الكيل والوزنة حتى إذا
انتهى إلى باب القصر ركز الأرض برجله المباركة ، فقال : هي هي الآن مالك ؟

اسكنني أما والله انني أنا الانسان الذي تنبئته الأرض أخبارها أو رجل مني .
 وفي تفسير البرهان : بالاسناد عن فضيل بن الزبير قال أمير المؤمنين عليه السلام
 كان جالساً في الرحبة فتزلزلت الأرض فضربها عليه بيده ثم قال لها : قري انه
 ما هو قيام ، ولو كان ذلك لأخبرتني و انني أنا الذي تحدثت الأرض أخبارها ثم
 قرأ : « إذا زلزلت الأرض زلزالها » أما ترون انها تحدث عن ربها .

وفي العلل : باسناده عن جابر قال : حدثني تميم بن حاتم قال : كنا مع
 علي عليه السلام حيث توجهنا إلى البصرة قال : فبينما نحن نزول إذا اضطربت الأرض
 فضربها علي عليه السلام بيده الشريفة و قال لها : مالك ؟ ثم أقبل علينا بوجهه الكريم
 ثم قال لنا : أما انها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز
 لاجابتني ولكنها ليست بتلك .

وفي كنز الفوائد : باسناده عن الفضل بن الزبير قال : إن أمير المؤمنين
 علي بن أبي طالب عليه السلام كان جالساً في الرحبة فتزلزلت الأرض فضربها علي عليه السلام بيده
 ثم قال لها : قري انه إنما هو قيام ولو كان ذلك لأخبرتني وانني أنا الذي تحدثتني
 (تحدثه خ) الأرض أخبارها ثم قرأ « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض
 أنقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك اوحى لها » أما ترون
 انها تحدث عن ربها .

وفي البحار : عن الطرائف بالاسناد عن أسماء بنت عميس تقول : سمعت
 سيدي فاطمة عليها السلام تقول : ليلة دخل بي علي عليه السلام فزعني في فراشي قلت : بما
 ذا افزعك يا سيدي نساء العالمين ؟ قالت : سمعت الأرض تحدثني ويحدثها فأصبحت
 وأنا فزعة ، فاخبرت والدي ﷺ فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال :
 يا فاطمة أبشري بطيب النسل ، فان الله فضل بعلك علي سائر خلقه وأمر به الأرض
 أن تحدثني بأخبارها ، وما يجري علي وجهها من شرقها إلى غربها .

وفي الدر المنثور : أخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الایمان عن أنس

بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل ما عمل على ظهرها وقرأ رسول الله ﷺ : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» حتى بلغ «يومئذ تحدث أخبارها» قال : أتدرون ما إخبارها ؟ جئني جبريل قال : خبرها إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها - تقول : عمل كذاو كذا يوم كذا وكذا وهذا إخبارها .

وفيه : عن رسول الله ﷺ : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجبيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ويجبيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي و يجبيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا فلا يأخذون منه شيئاً» .

وفي روضة الواعظين : قال الصادق عليه السلام : صلوا من المساجد في بقاع مختلفة فان كل بقعة يشهد للمصلي عليها يوم القيامة .

وفي تفسير النيسابوري : وكان علي رضي الله عنه إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول : اشهدي أنني ملأتك بحق وفرغتك بحق .

وفي الدر المنثور : عن شداد بن أوس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيتها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر يحق فيها الحق ، ويبطل الباطل أيتها الناس كونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فان كل أم يتبعها ولدها إعملوا وأنتم من الله على حذر واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم ، وأنكم ملاقوا لله لا بد منه ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وفي المجمع : مرفوعاً إلى ربيعة الحرشي قال : قال رسول الله ﷺ : حافظوا على الوضوء وخير أعمالكم الصلاة ، وتحفظوا من الأرض فانها أمكم ، وليس فيها أحد يعمل خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به .

وفي جامع الاخبار : في قوله تعالى : «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا»

النبا : ١٨) .

عن ابن مسعود قال : كنت جالسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إن في القيامة خمسين موقفاً على كل موقف ألف سنة ، فأول موقف خرج من قبره مؤمن بربه موقن بجنّته وناره ، مؤمن بالبعث والحساب والقيامة ، مقرّاً بالله مصداً بنبيّه ، و بما جاء من عند الله عزّ وجلّ نجى من الجوع والعطش قال الله تعالى : « فتأتون أفواجا » من القبور إلى الموقف كل أمة مع إمامهم .

وفي المجمع : قال أبو سعيد الخدري : إذا كنت بالوادي فارفع صوتك بالأذان فأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا يسمعه جنّ ولا إنس ولا حجر إلّا يشهد له .
وفي تفسير العياشي : قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : « خيره و شره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتّى يعطي كتابه بما عمل » وقال الصادق عليه السلام : « يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتّى كأنّه فعل تلك الساعة » .

و في تفسير القمي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » يقول : إن كان من أهل النار قد عمل مثقال ذرة في الدنيا خيراً (كان عليه ظ) يوم القيامة حسرة إن كان عمله لغير الله « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » يقول : إن كان من أهل الجنة رأى ذلك الشرّ يوم القيامة ثمّ غفر له .

و في الجامع لاحكام القرآن : روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : « ما من أحد يوم القيامة إلّا ويلوم نفسه فان كان محسناً فيقول : لم لا ازددت إحساناً وإن كان غير ذلك يقول : لم لا تزعت عن المعاصي » وهذا عند معاينة الثواب والعقاب .
وفيه : روي المطلب بن حنطب : أن أعرابياً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقرأها فقال : يا رسول الله أمثقال ذرة ؟ قال : نعم فقال الأعرابي : واسوأناه مراراً ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلى الله عليه وآله : لقد دخل قلب الأعرابي الايمان .

وفي المجمع : عن أبي عبيدة قال : قدم صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على

رسول الله ﷺ في وفد بني تميم فقال: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ أوصني خيراً فقال: أوصيك بأمك وأبيك وإدانيك قال: زدني يا رسول الله قال: احفظ ما بين لحيتك ورجليك ثم قال رسول الله ﷺ: ماشيء بلغني عنك فعلته، فقال: يا رسول الله رأيت الناس يمجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أنني عملت أنهم ليسوا عليه فرأيتهم يثدون بناتهم، فعرفت أن الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم أنر كهم يثدون وفديت ما قدرت .

وفيه: وفي رواية أخرى: أنه سمع « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فقال: حسبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا .

وقال عبدالله بن مسعود: أحكم آية في القرآن: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » إلى آخر السورة وكان ﷺ يسميها الجامعة .

وتصدق سعد بن أبي وقاص بتمرّتين فقبض السائل يده فقال سعد: ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة وكان فيها مثاقيل .

وفي غرر الفوائد للسيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه وهذا الصعصة هو الذي منع الوئيد في الجاهلية حيث قال: « وإذا المؤودة سئلت « التكوير: ٨) . حيث كانت الجاهلية تقتل البنات ، وهو لم يدع تميمًا ثد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وجاء رسول الله ﷺ في وفد بني تميم ، وقد فدى أربعمأة جارية وقيل: ثلاث مأة جارية و لهذا يفتخر الفرزدق ، ويقول: إنني ابن محبي الموتى ويقول: إن جدتي أحيى إثنين وتسعين مؤودة :

وفيه: إجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محبي الموتى ، فقال له سليمان: أنت ابن محبي الموتى فقال: إن جدتي أحيى المؤودة ، وقد قال الله تعالى: « ومن أحيّاها فكأنما أحيى الناس جميعاً » المائدة: ٣٢ .

وقدأ حبي جدّي اثنتين وتسعين مؤودة فتبسم سليمان ، وقال : انك مع شعرك لفقيه .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن عمر بن يزيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا عليه السلام أني أصبت بآبنين ، وبقي لي بني صغير فقال: تصدق عنه ثم قال حين حضر قيامي: مر الصبي فليصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء ، وإن قل فإن كل شيء يراد به الله ، وإن قل بعد أن تصدق النية فيه عظيم أن الله عز وجل يقول: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الحديث . . .

وفي توحيد المفضل: عن جعفر بن محمد عليه السلام في الرد على منكري الصانع: الحمد لله مدبر الأديار ومعيد الأكواري طباقاً عن طبق ، وعالم بعد عالم « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » عدلاً منه فقد ست أسماؤه وجلت آلاؤه ولا يظلم الناس شيئاً ، ولكن أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله عز وجل: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

وفي الكافي: باسناده عن أبي جميلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة ولو بتمرة ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة ليثة ، فإن أحدكم لاق الله فقائل له: ألم افعل بك؟ ألم أجعلك سمياً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً ولداً؟ فيقول: بلى فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ما قد مت لنفسك قال: فينظر قد أمه وخلقه ، وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئاً بقي به وجهه من النار .

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إعلموا أن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

وفيه: أن ابن عباس أدخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ، وقال: كل من هؤلاء مثقال ذرة .

نعم ما قال الشاعر في ذلك :
ان من يعتدي و يكسب إثمًا
و يجازي بفعل شرّ شرًّا
هكذا قوله تبارك ربّي
و قال الآخر :

وزن مثقال ذرّة سيرا
و بفعل الجميل أيضاً جزاء
في إذا زلزلت و جلّ ثناء

إذا قربت ساعة يا لها
تسير الجبال على سرعة
تحدث أخبارها بها
و يصدر كلّ إلى موقف
ترى النفس ما عملت محضر
ترى الناس سكرى بلا قهوة

و زلزلت الأرض زلزالها
كمرّ السحاب ترى حالها
و ربك لا شك أوحى لها
يقيم الكهول و أطفالها
و لو ذرّة كان مثقالها
ولكن ترى العين أهوالها

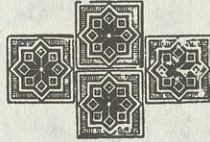
وفي روضة الكافي - كلام لعليّ عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا يقول فيه عليه السلام - : « دأبنا يا بن آدم أن وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة يوم لا يقال فيه عشرة ، ولا يؤخذ من أحد فدية ، ولا تقبل من أحد معذرة ، ولا لأحد فيه مستقبل توبة ، ليس إلّا الجزاء بالسيئات ، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من خير وجده ، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من شرّ وجده . »

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « إنا كم ومحقرات الذنوب فانتهن على الرجل حتى يهلكه . »

وفي رواية : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : « أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه . »

وفي الدر المنثور : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال : لما أنزلت هذه الآية : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره . . . » قلت : يا رسول الله ﷺ

إني لراء عملي؟ قال: نعم قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم قلت: وائكل أمي! قال: أبشر يا أباسعيد فإن الحسنه بعشر أمثالها يعني إلى سبعمئة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله ، قلت: ولا أنت يا نبي الله! قال: ولا أنا! إلا أن يتغمّد في الله منه بالرحمة .



* بحث مذهبي *

يستدل بقوله عز وجل: «وأخرجت الأرض أثقالها - ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزلة: ٢-٨) على تجسّم الأعمال يوم القيامة، وعلى المعاد الجسماني . وفي قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزلة: ٧-٨) ردّ على الأشاعرة المجبرة من أهل السنّة إذ زعموا أن ليس للإنسان إختياراً على فعل ولا على ترك، فلا يقع فعل، ولا يتحقق عمل من الأعمال ولا تترك إلاّ بإرادة الله جلّ وعلا، فلا مدخل لاختبار العباد وإرادتهم إذ لا إختيار لهم ولا إرادة.

وانّ الآيتين الكرّمتين تدلّان على أنّ هناك أفعالاً إختيارية تصدر من الفاعل المختار حسب إرادته وإختياره، فيكون هو المسؤول عنها تحسّناً أو تقبيحاً مدحاً أو ذمّاً، ثواباً أو عقاباً، ولا يسئل عنها غيره بتاتاً، وكلّ عامل مسؤول عن عمله، وهذا ما تشهد به ضرورة العقل وبداهة الوجدان، وعليه صحّ التكليف و التشريع، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، والأمر والنهي والوعد والوعيد، والمثوبة والعقوبة وما إليها، وإلّا لغيّ التكليف وبطل التشريع والبعث والزجر، ولم يكن موقع لتحسين أو تقبيح، ولا إستحقاق جزاء ولأصبح تحسين المحسن على إحسانه عبثاً كمدح الجميل على حسن صورته، وهكذا لغيّ ذمّ المسيء على إساءته كذمّ الدنيم على قبح منظره وقدح القصير على قصر قامته أو الأعرج على عرج رجله، و قد دلّ على ذلك غير هاتين الآيتين من الآيات الكثيرة القرآنية.

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزلة: ٧-٨) على العموم فيهما وحسنات الكافرين محبطة لقوله تعالى: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف» إبراهيم: ١٨) وقوله: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً» النور: ٣٩) وقوله: «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة» البقرة: ٢١٧) وغيرها من الآيات الكريمة...

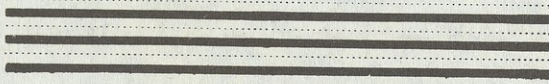
وسينات المؤمنين معفو عنها، مغفورة باجتنب الكبائر لقوله عز وجل: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً» النساء: ٣١) وقوله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم» الأنفال: ٢٩) وقوله: «والذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاؤا المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون» الزمر: ٣٣-٣٥) وقوله: «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» التغابن: ٩) وغيرها من الآيات القرآنية... فكيف تثبت رؤية كل عامل عمله موافقه عند البعث؟

اجيب عنه : ان رؤية كل عامل عمله في موافقه يوم البعث لاينا في حبط أعمال الكافرين لكفرهم عند الجزاء، ولا تكفير سيئات المؤمنين لايمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم... فيرى الكافرون أعمالهم الصالحة في موافقها يوم القيامة حسرة عليهم لقوله عز وجل: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» البقرة: ١٦٧) ويرى المؤمنون صفائهم السيئة عدلاً من الله تعالى ثم يعفو عنهم رحمة منه تعالى لايمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم...

قال الله جل وعلا: «ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ١٥٦)

فلا استدلال بالآيتين على بطلان الحبط بدلالتهما على جزاء كل عمل، فما حبط فلا يجازي وإثبات الحبط بالحكومة غير وجهيه، فإن رؤية الأعمال خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها في مواقفها على ما عليه آيتا سورة الزلزلة: (٧-٨) قبل محاسبتهما لاتنا في حبطها عند الحساب والجزاء عليها من عدم قبولها بغير إيمان وتقوى: «إنما يتقبل الله من المتقين» المائدة: (٢٧) وكذلك لاتناني انتقال بعض الأعمال من نفس إلى نفس بالغيبة والقتل والظلم وما إليها من موجبات الانتقال، ولاتنا في أيضاً تبديل السيئات بالحسنات عند الحساب والجزاء يوم القيامة بسبب التوبة في الحياة الدنيا.

فشتان بين الموقفين: موقف الرؤية، وموقف الجزاء فتدبر جيداً واغتنم جداً.



﴿ كلام حول الزلزلة ﴾

قال الله عز وجل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» الزلزلة: (١)
واعلم أن الزلزلة هي إهتزاز الأرض دفعة أو دفعات متوالية بالقوة الطبيعية
على حالة هائلة لما يلحق من الهول بازعاجها العنيف، وربما تكون حركتها الشديدة
بطريق التكرير بحيث قد يزيل الأشياء عن مقارها، ويخرجها عن مراكزها، وبها
خراب الأرض، وإندك الجبال.

و قد تحدث قبل الانفجارات البركانية و بعدها وقد تكون مصاحبة
وغير مصاحبة لها، فإذا رافقت الانفجار البركاني لم تمتد مسافة بعيدة لتبدد
الحرارة الجوفية من الفوهة البركانية، وإذا لم ترافقه زاد إمتدادها لانحصار
الحرارة في جوف الأرض، وهي حيث كانت ملمة مهلكة تسبب في تلف النفوس
والأموال...

وأن الزلزلة عند المتأخرين من أصحاب علم الأرض: هي من آثار
التفاعلات الأرضية الحاصلة في بطن الأرض، و سببها هو سبب تكون البراكين
- وهي جمع البركان وهي جبال النار تخرج منها الغازات والمواد التي تشق
القشرة الأرضية بقوتها - و ذلك أن مياه البحر تتسرب من خلال طبقات
الأرض حتى تصل إلى عمق تكون فيه درجة الحرارة شديدة، فيتبخر هذا
الماء فيطلب مخلصاً، ولا يزال يتراكم بعض على بعض حتى يهد ما يصادفه

أمامه من الحواجز ، فترتج له القشرة الأرضية إرتجاجاً مخيفاً هو ما يسمّى بالزلزلة ، وأحياناً تنخسف قطعة كبيرة من الأرض ، وتغور في باطن الأرض بيوتها ومدائنها كما حصل في (اليابان) آخر سنة : ١٩٢٣م إذا نخسفت مدن برمتها دفعة واحدة .

وهي تكثر في بعض البلاد وتكاد لا تذكر في البعض الآخر وقد اعتاد الذين تكثر في بلادهم إتخاذ بيوتهم من الخشب حتى لا تنهدم بارتجاج الأرض ، فيصيبها الحرائق الهائلة حتى أن أمثال تلك البلاد لو احترق بيت فيها التهم معه الوف أخرى ، فيصبح اهلوها في العراء ، وتصبح محلّتهم قاعاً صافياً .

وذلك أن جوف الأرض في حالة ذوبان من الحرارة ، وقد شوهد أنه كلما نزل الانسان إلى باطن الأرض ثلاثة وثلاثين متراً إرتفع الترمومتر درجة ، فلو نزل الانسان ثلاثة كيلومترات صارت الحرارة مائة ، وإذا استمر هذا القانون منتظماً لم يصل الانسان بفكره إلى مركز الأرض حتى يجد الحرارة بلغت مائتي ألف درجة .

والدليل على ذلك وجود عيان مياه حارة ، وقد شوهد أنه في إبان الزلزال تظهر ينابيع حارة جديدة ، وأحياناً يخرج من باطن الأرض بخار ماء حار محبوساً بلغط على شكل نافورة هائلة ، كما أن الطحفات البركانية تحدث عقب الزلازل ، ومتى خرجت إنتهت بانتهائها الزلازل أو كادت ، وإذا لم يطفح البركان حدثت زلازل غاية في الشدة .

وإن العلاقة بين هاتين الداهيتين سهلة الاستطلاع إلا أنه لم يبحث فيها بحثاً دقيقاً قبل هذا العصر ، وأكثر النتائج فيها مقصودة على المشاهدة ، والاختبار وبعضها راجع إلى المعارف الجيو لوجية ، فتكثر الزلازل في البلاد التي كانت البراكين مشتعلة فيها قبل الأزمنة القديمة المعروفة ، وفي البلاد

التي فيها الآن براكين نائرة إلا أنها في القسم الأول أكثر منه في القسم الثاني ، و مع ذلك فجميع أجزاء الأرض معرضة لها ، و حيثما وجد بركان فهناك زلزلة أحدثته و لكنّه لا يترتب على كلّ زلزلة إخراج بركان إلا أن السبب فيهما واحد لأنّه لمّا كان في باطن الأرض كتلة سائلة مضطربة كانت القشرة الأرضية كغلاف صلب لهذه الكتلة العظيمة ، فإذا حصل اضطراب في السائل الداخلى أثر ذلك في القشرة الخارجية ، فكانت الزلزلة أو البركان .

و أمّا العلاقة بين الزلزلة و الجو و إن كان ظاهر أمرها عرضياً ، فهي مهمة إذ علم بالاختبار أن الهزّات في أكثر البلاد تترادف و تشتدّ في فصل الشتاء أكثر منه في الصيف ، و لا سيما في البلاد الشديدة اليبوسة كآسيا الصغرى و سوريا ، و في البلاد التي يكثر تصاعد الدخان من براكينها ، و التي تغور ثلوجها و أمطارها في شقوق الأرض ، و قد أنكر بعض المتأخرين هذه العلاقة .

أقول: كل ذلك ليس إلا ظناً وخرصاً لا يغنى من الحق شيئاً.

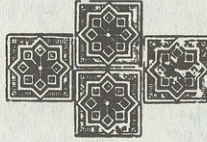
قال الله تعالى : « ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون » الزخرف : (٢٠) .

وقال : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » النجم : (٢٨)

وقد اعترف أصحاب علم الأرض : أنّه الحيوان ، وخاصة الفرس والبقر و الكلب تعرف بوقوع الزلزلة بساعة أو أقل منها ، وإن الانسان مع وسائله المادية والتقدم العلمي ، و رقى التمدن والتجديد غافل عن ذلك .

وقد اتفق المتأخرون على أن التقدم العلمي مع إختراع الآلات التي تعلم بها درجات الزلزلة تسمى (ميكرو سيسميك) Meugimsiesorci لم

يدرك وقوع الزلزلة وأسبابها، وإن أدرك أكثر آثارها، و لذلك يصفها، فاذا
وقعت الزلزلة كثرت أخبارها في الاذاعات و المجلات و المسجلات من تخريبها
البلاد والدور وقتلها الأنفس و جرحها و تلفاتها ... بخلاف المتقدمين، فانهم لم
يدرکوا آثارها كالمتاخرين، فما كانوا يستطيعون بضبط درجاتها وشعاعها و
إذاعة أخبارها...



﴿ نظرات القدماء والمتأخرين حول الزلزلة ﴾

قال الله عز وجل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» الزلزلة: (١)
وقد اختلفت آراء القدماء والمتأخرين حول الزلزلة إختلافاً كثيراً، وقد كانت أقوال المتقدمين مقبولة في أزمانهم، ثم وقعت تلك الأقوال عند المتأخرين في حيز الأوهام... ونحن نشير إلى أهم أقوال كلمتا الطائفتين عندهم على طريق الاختصار:

أما المتقدمين: ومنهم أرسطاطا ليس و فيثاغورس فيقولون: إن الزلازل متسببة عن الرياح، و في رأي طاليس و سنيكس وغيرهما: أنها ناتجة عن حركات المياه، وكان في زعم المنجمين الكلدانيين: أن عواملها في الأجرام السماوية...

ومن المتقدمين فريق زعموا أن الأدخنة والأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولا يقاومها برودة حتى تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلباً لا يكون فيها منافذ ومسام، فالبخارات إذا قصدت الصعود ولا تجد المسام والمنافذ تهتز منها بقاع الأرض، وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة إحتسبت في خلال أجزاء البدن، فتشتعل فيها الحرارة الغريزية، فتذيبها وتحللها وتصيرها بخاراً ودخاناً، فيخرج من مسام جلد البدن، فيهتز من ذلك البدن ويرتعد، ولا

يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فاذا خرجت يسكن ، وهذا حركات بقاع الأرض بالزلزال ، فربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة .

ومنهم من قالوا : ان زلزلة الأرض في الأغلب لعبس الأبخرة بالمعنى الأعم ، فيشمل البخار الدخاني ، فاذا كانت الأبخرة غليظة بحيث لا ينفذ في مجاري الأرض أو كانت الأرض مستصحفة عديمة المسامات ، و اجتمعت طلباً للخروج ، فزلزلت الأرض ، وإثماً قلنا : في الأغلب ان قد تحدث من تساقط عوالي و هددات في باطن الأرض ، فيتموج به الهواء المحتقن فيتزلزل به الأرض .

وأما المتأخرون : ففريق منهم قالوا : ان الفاعل في الزلزلة إنما هو نيران البراكين ورفضه الأكثرون ، ومنهم من قال : ان المياه التي ترشح إلى باطن الأرض تجتمع داخلها في خلايا وتبقى فيها إلى أن تتبخر بقوة الحرارة الداخلية ، فلا تبجلها منفذاً فتتمدد وتسبب الزلزلة ، ومنهم من قال : إن المد والجزر الناشئين من القمر يسببان ذلك لأن فعل المد القمري في السوائل الداخلية كفعله في مياه البحار والبحيرات ، فاذا علا المد على السيل الداخلي في جوف الأرض ارتفع إلى القشرة الخارجية ، فحالت دون تمدده فحدث فيها هذا الارتجاج ، ومنهم من قال : إن الأسباب العاملة في الزلازل قد تكون متنوعة أي انها لا تكون ناشئة عن سبب واحد ، فتأتي عن جملة أسباب فاعلة ، ومنهم من قال : إن الأبخرة إذا اجتمعت تحت الأرض لا يقاومها برودة وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحلل بأقل حرارة ، وإذا كان وجه الأرض صلباً لا منفذ فيه و لا مسام ، فاذا أرادت هذه الأبخرة الارتفاع لم تجد منافذ و لا مسام ، فتتهتز عنها بقاع الأرض ، و تضطرب كما يضطرب المحموم عند شدة الحمى ، ولا تزال تهتز إلى أن تخرج تلك المواد .

ومنهم من قال: إن السائل الكهربائي هو العامل فيها، ومنهم من قال: إن الحرارة الداخلية في جوف الأرض ليست إلا بقية من الحرارة التي كانت منتشرة لما كانت كلها مائعة، فلمّا أخذت الحرارة في الانحطاط أخذت الأرض في التقلّص والتجمّد مبتدئة من القشرة السطحية، ولا يزال هذا التقلّص فاعلاً فيها، والبرودة بما ولى القشرة آخذة في الازدياد بنسبة انحطاط الحرارة، فإذا حدث ما يهيج هذه الحرارة، ويمنع مجرى التقلّص الطبيعي حصلت في الأرض إرتجاجات تسببت عنها الزلازل.

وقال شارح المقاصد: قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب ما يتحرك تحته، فيحرك ما فوقه، ويسمى الزلزلة، وذلك إذا تولّد تحت الأرض بخار أو دخان أو ريح أو ما يناسب ذلك، وكان وجه الأرض متكاثراً عديم المسام أو ضيقها جداً وحاول ذلك الخروج، ولم يتمكن لكثافة الأرض تحريك في ذاته، وحرك الأرض وربما شقتها لقوته، وقد ينفصل منه نار محرقة وأصوات هائلة لشدة المحاكاة والمصاكنة، وقد يسمع منها دوي لشدة الريح ولا يوجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة، وكلّما تكون في الصيف لقلّة تكاثف وجه الأرض.

والبلاد التي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتّى كثرت مخالص الأبخرة قلّت الزلزلة، وقد يصير الكسوف سبباً للزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة، وحصول البرد الحاقن للرياح في تجايف الأرض بالتحصيف بغتة، ولا شك أن البرد الذي يعرض بغتة يفعل ما لا يفعل العارض بالتدريج، قال: ذلك وأمثاله نقلاً عن الحكماء.

ثم قال شارح المقاصد: ولعمري إن النصوص الواردة في إستناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة، وطرق الهدى إلى ذلك واضحة، لكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وفي البحار: و قال بعض من يدعى إفتفاء آثار الأئمة الأبرار وعدم الخروج عن مدلول الآيات والأخبار: ولما كانت الأبخرة والأدخنة المحترقة في تجاوير الأرض بمنزلة عروقها، وإنما تتحرك بقوى روحانية، ورد في الحديث: ان الله سبحانه إذا أراد أن يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرك عروقها، فيتحرك بأهلها، وما أشبه ذلك من العبارات على اختلافها والعلم عند الله.

ثم قال المجلسي عليه الرحمة: قد عرضت مراراً أن تأويل النصوص والآثار والآيات والأخبار بلا ضرورة عقلية أو معارضات نقلية جراءة على العزيز الجبار ولا نقول في جميع ذلك إلا ما ورد عنهم صلوات الله عليهم، وما لم تصل إليه عقولنا نرد علم ذلك إليهم.

وفيه: قالوا: في علة حدوث الزلزلة والرجفة: إذا غلظ البحار وبعض الأدخنة والرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدة استحكامها وتكاثفها، إجتمع طالباً للخروج، و لم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض، وربما اشتدت الزلزلة، فخصفت الأرض فتخرج منه نار لشدة الحركة الموجبة لاشتعال البحار والدخان لا سيما إذا امتزجا إمتزجاً مقرباً إلى الدهنية، وربما قويت المادة على شق الأرض فتحدث أصوات هائلة.

وربما حدثت الزلزلة من تساقط عوالى وهداث في باطن الأرض، فيتموج بها فيتزلزل بها الأرض قليلاً ما تزلزل بسقوط قلل الجبال عليها لبعض الأسباب، وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوة كبريتية ينبعث منها دخان، وفي الهواء رطوبة بخارية، فيحصل من اختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائية مزاج دهني، وربما اشتعل بأشعة الكواكب وغيرها، فيرى بالليل شعل مضئية.

وفي الملل والنحل: وأما الأبخرة داخل الأرض فتميل إلى جهة، فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيوناً، وإن لم تدعها السخونة تبرد و

كثرت وغلظت فلم تنفذ في مجاري مستحصفة، فاجتمعت واندفعت مرة، فزلزلت الأرض فخرست و قد تحدث الزلزلة من تساقط أعالي و هدة في باطن الأرض، فيموج بها الهواء المحترق، و إذا احتسبت الأبخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر إذا وصل إليها من سخونة الشمس و تأثير الكواكب خط و ذلك بحسب اختلاف المواضع والأزمان والمواد...



﴿ بحث روائي حول الزلزلة ﴾

وقد وردت روايات كثيرة حول الزلزلة تشير إلى ما يسعه المقام ونحن على جناح الاختصار :

في توحيد المفضل : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : فان قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إن الزلزلة و ما أشبهها موعظة و ترهيب يرهّب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي ...

وفي الخصال : بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام قال : « إذا فشت أربعة ظهرت أربعة : إذا فشا الزلّ فاكثرت (ظهرت خ) الزلازل ، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية ، وإذا جار الحكّام في القضاء أمسك القطر من السماء ، وإذا خقرت الذمّة نصر المشركون على المسلمين » .

فعلى كل فرد أن يعتبر بما يراه من الزلازل التي تزهق النفوس ، و تبديد القرى و من العواصف الشديدة والأوبئة و ما إليها ، فان الله تعالى يريد بذلك أن يعلم الناس أن الحياة والممات بيده ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء كي ينتبه هذا الانسان عن غوايته وطيشه ، فلا يعصي الله تعالى في السرّ والعلن ، ويترك ما فيه فساد وإفساد في الأرض ، فهو عزّ وجلّ قادر على أن يبيد الأرض ، ومن عليها بطرفة عين وحاش لله سبحانه أن يريد ظلماً بأحد من الناس .

و ان الزلازل و ما إليها من العواصف والأوبئة و غيرها تكون للعقاب أي ان الله تعالى يبيد طائفة من عباده العاصين لافسادهم في الأرض ، وعدم تأثير النصح

فيهم والامهال بعد إتمام الحجج البالغة مع تنويعها وكثرتها ، ويبيد طائفة وهم غير عاصين ولكنهم إما كانوا راضين عن أفعال العاصين ، وإما تركوا الأمر بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ، ولانعم جميع العاصين بل تبديد قرية أو مدينة عبرة للآخرين ليعلموا : « إن ربك لبالمرصاد ، الفجر : ١٤) .

ولكي تنتهي طائفة عمّاهم فيه من معاص وإفساد في الأرض ، وتنتهي طائفة آخرون عمّاهم فيه من الرضا عن أعمال العاصين ، أو من تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثيراً ما يهلك في ذلك من الأطفال والكهول غير العاصين لينالوا أجورهم أضعافاً مضاعفة في الآخرة أو ليخفف عنهم العذاب الأليم ، فليست الزلازل وما إليها نقامات من الله تعالى بغير استحقاق الهالكين بها ، بل إنما بسبب أعمالهم الفاسدة وعقيدتهم الكاسدة من طائفة ، وبتركهم ما كان يجب عليهم وكان به نظام مجتمعهم من طائفة آخرين ، ولا يكون بين ترك الصلاة والصوم والحج ، وبين ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق كثير . . .

قال الله تعالى : « ذلك بما قدمت أيديكم و إن الله ليس بظلام للعبيد » آل عمران : ١٨٢) .

وقال : « وما كان ربك أن يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » هود : ١١٧) .

وقال : « وما كنّا مهلكي القرى إلّا وأهلها ظالمون » القصص : ٥٩) .

فعلينا العبرة وإزالة الأدران ، و تطهير النفس وجعلها قمينة لمعرفة الله عز وجل .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمار عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : إن الزلازل والكسوف والرياح الهائلة من علامات الساعة ، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك ، فتذكروا قيام القيامة وافزعوا إلى مساجدكم .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة - : « عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال و يكثر

فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال ، إعلموا عباد الله أن عليكم رسداً من أنفسكم ، وعيوناً من جوارحكم ، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم ، وعدداً نفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكنسكم منهم باب ذورناج ، و ان غداً من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ، ويجيء الغد لاحقاً به ، فكأن كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته ومخط حفرته ، فياله من بيت وحدة و منزل وحشة و مفرد عربة .

و كأن الصيحة قد أتتكم ، والساعة قد غشيتكم ، و برزتم لفصل القضاء ، قد زاحت عنكم الأباطيل و اضمحلت عنكم العسل ، و استحققت بكم الحقائق ، و صدرت بكم الامور مصادرها ، فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير و انتفعوا بالنذور .
وفى رواية: قال النبي ﷺ : إذا ظهرت في امتي عشر خصال عاقبهم الله تعالى بعشرة : قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إذا قللوا الدعاء نزل البلاء ، وإذا تركوا الصدقات كثرت الأمراض ، وإذا منعوا الزكاة هلكت المواشي ، وإذا كثر جاد السلطان منع المطر ، وإذا كثر فيهم الزنا كثر فيهم فوت المفاجات ، وإذا كثر الرياء كثر الزلازل ، وإذا حكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى سلط عليهم عدوهم ، وإذا نقضوا العهد ابتلاهم الله بالقتل ، و إذا طففوا الكيل أخذهم الله بالسنين ثم قرأ : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

وفى رواية: قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « إحدروا يوماً تفحص فيه الأعمال ، وتكثر فيه الزلازل ، وتشيب فيه الأطفال » .
وفى رواية: قال الامام علي عليه السلام : « كل أحوال الدنيا زلزال وملكها سلب و إنتقال » .

وفى رواية: قال الامام علي عليه السلام : « كن في الشدائد صبوراً وفي الزلازل وقوراً » .

وفي رواية: قال الامام علي عليه السلام: « حاربوا أنفسكم على الدنيا واصر فوها عنها فانها سريعة الزوال كثيرة الزلازل و شبيكة الانتقال » .

وفي المجالس للصدوق عليه الرحمة باسناده عن عبدالله بن حماد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات ، فاذا هو بملك قائم على جبل ، طوله خمسمائة ذراع ، فقال له الملك : يا ذا القرنين! أما كان خلفك ملك؟ فقال له ذا القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكل بهذا الجبل ، فليس من جبل خلقه الله عز وجل إلا وله عرق إلى هذا الجبل ، فاذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها .

قوله عليه السلام: « أما كان خلفك ملك » أي لأي شيء جئت هيهنا مع سعة الأرض خلفك .

وفي العلل: باسناده عن محمد بن سليمان الديلمي قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن الزلزلة ماهي؟ آية قلت: وما سببها؟ قال: « إن الله تبارك وتعالى وكل بعروق الأرض ملكاً ، فاذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك أن حرّك عروق كذا وكذا قال: فيحرّك ذلك الملك عروق تلك الأرض التي أمره الله فتتحرك بأهلها قال: قلت: فاذا كان ذلك فما أضع؟ قال: صل صلاة الكسوف ، فاذا فرغت خربت ساجداً ، وتقول في سجودك: « ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً » فاطر: (٤١) أمسك عنا السوء انك على كل شيء قدير .

وفي التهذيب: عن علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام - وهو الامام التاسع محمد الجواد عليه السلام - وشكوت إليه كثيرة الزلازل في الأهواز و قلت: ترى لي التحول عنها؟ فكتب عليه السلام لا تتحولوا عنها و صوموا الأربعاء والخميس والجمعة واغتسلوا وطهروا ثيابكم ، وابرزوا يوم الجمعة وادعوا الله فانه يدفع عنكم قال: ففعلنا فسكنت الزلازل .

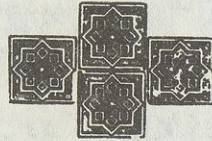
وفي البحار: عن ابن عباس قال: خلق الله جبلاً يقال له: (ق) محيط بالعالم وعرفه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فاذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها ويحرك كها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ - في حديث - : « يكون في امتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف، عشرون ألفاً، ثلاثون ألفاً، يجعلها الله موعظة للمتقين وعذاباً على الكافرين ».

وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ - في حديث - : « ثم رجفة بالشام يهلك فيها مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ».

و في رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلفظ: « أكثر من مائة ألف ».

وقال بعض المعاصرين: أرضنا هذه راجفة: محكومة بحركات عدة أنهاها العلماء حتى الآن إلى أربع عشرة حركة، رجفة تعيشها ومن عليها، عامرة معمورة، ثم تأخذها رجفة تدمرها وتميت من عليها: رجفة الامامة، ثم رجفة الاحياء: « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » النازعات: ٦-٧).



* تعداد الزلزلة و اختلافها *

في ممالك الدنيا طول السنة

ومن المعلوم أن الزلزلة في ممالك الدنيا مختلفة في وقوعها ودرجاتها ففي بعضها كثيرة جداً فنشير إلى بعض ماورد في المقام قديماً وحديثاً:
وقال المتقدمون والمتأخرون: إن وقوع الزلازل يكثر في البلاد التي كانت البراكين مشتعلة فيها في الأزمنة السالفة، فهذه البلاد بحسب زيادة تعرضها لها هي أولاً جبال هملايا في الهند، ثم سوريا وجزائر العرب والسواحل الغربية لأميركا الشمالية، و وادي ميسيسيبي وسكو تلانده و انجلترا الجديدة، و وادي سنت لورنس، وقال المتأخرون: تقع الزلزلة في اليابان في كل سنة (٧٥٠٠) مرة، ومنها (١٥٠٠) مرة قوية محسوسة تصل شاعها إلى (٢٠٠) كيلومتراً وأكثر ولا يوم إلا وتقع فيه الزلزلة بمرات...

وان البلاد التي يبعد وقوع الزلازل فيها بحسب وضعها الجغرافي هي مصر وشرقي وجنوبي إفريقية، وشمالى اوربا وآسيا و استراليا، وكثير من شمالى أميركا، والقسم الشرقي من جنوبي أميركا وغرينلاندة.

وهم يقولون: إن جميع أجزاء الأرض معرضة لها إلا أنها في الجزائر أكثر وقوعاً من البر المقابل لها، وعلى شواطئ البر أكثر منه فيما والاها من البلاد الداخلية، وفي البلاد الحارة أكثر منها في البلاد الباردة والمعتدلة، و

فلما تقع في الأراضى الجرفية ولا يحصل في الغالب إلا إهتزاز ضعيف في الأراضى الكلسية ذوات الطبقات الافقية بخلاف الأراضى الأصلية والانتقالية والثانوية فان التزلزل يشتد فيها.

وقد كانت مدينة انطاكية منذ أقدم القدم مجالاً للزلازل والاهتزازات منها زلزلة هدمت أكثرها سنة : / ١١٥ ق م) لما أتاها القيصر تريبانوس و كان في جملة الجرحى، وقد حدثت فيها سنة : / ٥٢٦ م) فكانت أشد وبالأ من سائر ما سلف إذ أنلفت / ٢٥٠ (ألف نفس ، سنة : / ٥٨٧ م) فأنلفت فيها ثلاثين ألفاً، و سنة : / ١٨٧٢ م) فدمرت البيوت وقتلت النفوس ... وقد وقعت الزلزلة في شبلي في (٢٥) ثانوية: / ١٩٣٩ م) فأهلك / ٢٥٠٠٠ نفراً، وكانت الجرحى في هذه الواقعة: / ٥٠٠٠٠ نفراً وقد انهدم نحو: / ١٠٠ / ٠٠٠ داراً.

ومن البلاد التي كثرت فيها الزلازل في كل زمن جنوبي ايطاليا (وصقلية) وقد تعاقبت فيها الزلازل سنوات متواليات من سنة: / ١٧٧٣ - إلى - / ١٧٧٩ م)، وقد تلف بزلزلة كلابرة سنة: / ١٧٨٣ م) زهاء مائة ألف نفس وشعر بها في قسم عظيم من اوربا وهدمت مدينة مسينا، وفي البرتوغال سنة: / ١٧٥٥ م) حدثت زلزلة في عاصمتها اشبونة كانت من أشهر الزلازل المشهورة في التاريخ دمرت أكبر قسم منها، وقتلت ستين ألفاً، وكانت الزلزلة بالغة في الشدة تقدمها دوي مهول ثم أشعر بها، وجزر البحر مسافة طويلة، ثم رجع دفعة واحدة، وعلت المياه ستمائة قدم فوق قسم من البلدة، وامتد الارتجاج مسافات شاسعة فشر به في جبال الالب وسواحل اسوج، وغارت بنابيع تلبس الحارة في بوهميا، ثم انفجرت دفعة واحدة بمواد جديدة وهدمت عدة مدن في شمالي افريقية واتصلت تموجات الاهتزاز إلى سكولاندة، فارتفعت مياه لوخ لومول أكثر من قدمين، ثم هبطت تحت سطحها الأصلي، وبلغت سرعة التموجات ألفي قدم في الثانية.

وفي الهند سنة: / ١٨١٩ م) غرقت بزلزلة مساحة ألفي ميل مربع من

الأرض في جوار مصب نهر السند، وفي الهند الغربية تتتابع الزلازل، وفي (٦) حزيران
جون سنة: / ١٦٩٢ م) تزلزلت الأرض من جمايكا فاغرقت العاصمة برت رويال
وعلمتها مياه البحر بأقل من ثلاث دقائق، وكانت تنفتح الأرض وتنطبق بسرعة البرق
حتى أن الساقطين في هذه الشقوق كان يظل نصفهم فوق الأرض ونصفهم تحتها.
وليس آثار الزلزلة مقصورة في هدم البلدان وخراب الدور، وقتل النفوس
و جرحها و تلف الأموال ... بل هي ذات تأثير عظيم في كل سطح الأرض إذ
تحدث فيها إنقلابات شتى ... فمن هذه الانقلابات ما يكون سريعاً، ومنها ما
يكون بطيئاً، فالسريع كغور جزيرة في البحر وتكون جبل في واحد أو واد في
سهل وماشا كل.

ذكر بلينيوس: ان جزيرة صقلية انفصلت عن ايطاليا بزلزلة، قيل: انفصلت
جزيرة قبرس عن سوريا.

وأما الانقلابات البطيئة فتحدث إما إرتفاعاً، وإما إنخفاضاً متوالياً إلى
حد معلوم في بعض أقطار الأرض، و من أمثلة الارتفاع البطيء شبه جزيرة
سكندينايا وهي اسوج ونروج والدانمارك الآخذة في الارتفاع في سواحلها
الشرقية خمسة أقدام في القرن والمظنون أن نصف جزائر المحيط آخذة في
الارتفاع، وكذا جميع السواحل الغربية من جنوبي أميركا، ومن أمثال الانخفاض
البطيء غرينلاندة في أميركا حيث غمرت المياه برّاً على مسافة مائتي فرسخ، و
بعض من جزر المحيط وبلاد هولاندة والبلجيك والدانمارك، وسواحل بحر
الباطيك الجنوبية، وليس بعجيب أن تحدث الزلازل مثل هذه الانقلابات و الفشرة
الأرضية بالغة في الرقعة بالنسبة إلى السائل الداخلي.

وقال أرسطو طاليس - وواقفه علماء المتأخرين - لما شاهد من كثرة الزلازل
في جزر بحر الروم: إن تموجات الزلازل على ثلاثة أنواع:
أحدها - أن تكون افقية.

ثانيها - أن تكون عمودية بأن ترتفع الأرض وتنخفض على التعاقب.

ثالثها - أن تكون رحوية تدور.

ويغلب وقوع الارتجاج الأفقي والعمودي في آن واحد، وإذا وقعت الثلاثة معاً زاد بها في التلف والانقلاب، وقد تكون وقيّة ودورية ودائمة أيضاً، وتكون خفيفة وشديدة، وتتجه أحياناً إلى جهة معلومة، وقد تصدر من نقطة مركزية، فتأخذ في التباعد إلى كل الجهات، وقد تتجه نحو نقطتين متقابلتين، فتكون كلّها على خط واحد أما الظواهر والأعراض المرافقة للزلازل فهي كثيرة، ولكننا لا نطبق دائماً على قانون معلوم.

فقد يتقدّم الزلزلة اضطراب في الهواء ورياح عاصفة، وقد ينشأ عنها لغط ودوي عظيم يتقدّمها أو يصحبها أو يعقبها، وقد يحصل هذا الدوي ويدوم مدة طويلة، ولا ينشأ عنه أقلّ إهتزاز أو إهتزاز يسير في الأرض، وقد يرافق الزلازل ضباب واضطراب في الجو، ولا بدّ أن تشعر الحيوانات قبل الإنسان، وقد شوهد ذلك بالاختبار في محال مختلفة، فقبل وقوع زلزلة البرتوغال اضطربت كلّ الحيوانات عموماً والأوز والبطّ وسائر الحيوانات الأهلية.

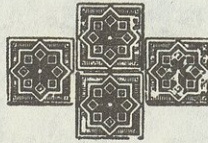
قال دولوميو: وكان نباح الكلاب شديداً أثناء زلزلة كلابرة حتى أمر بقتلها واضطربت الخيل والبقر، وذكر هبلدت أنّها كانت تبعد كلّاً من قوائمها عن الأخرى في زلازل أميركا الجنوبية كأنّها تريد بذلك إبقاء الخطر من الوقوع في حفرة تنفتح تحت أرجلها، ومنه علم أنّ في بسط الذراعين نفعاً أثناء الزلازل.

أقول: وقد كنت شاهداً على اضطراب الفرس والبقر اضطراباً عجيباً قبل وقوع الزلزلة بدقائق، حوالي ثلاثين سنة من قبل في محلّتي: (كلاكر محلة الجوبيار) بمازندان.

وقد تحدث الزلازل في البحار وأكثرها يكون في المحيط فتتكوّن أمواج عظيمة، ويضطرب البحر إلا أنّه لا يشعر في المحال العميقة منه بشدة فعلها، وبسرعة

سير الأمواج وكلما تقدّمت إلى البرّ زاد تأثيرها باضطراب البحر، فيخال
الراكبون بالسفن أنّها تلامس الصخور ولا شيء من ذلك، وقد تقطع هذه الأمواج
كله بسرعة عجيبة، فإذا اتصلت إلى الشاطئ اجتذبت مياهه وذهبت بها، وانكشفت
من تحتها يابسة ذات صخور وحيوانات متنوّعة ثمّ اندفعت على الساحل، فدحرجت
عليه جبلاً من الأمواج، ولكن الزلازل البحريّة لا ينشأ عنها من المضارّ ما ينشأ
عن زلازل البرّ، وقد تكون زلازل البحر خفيفة لا يكاد يشعر بها.

واعلم أنّ أثرات الزلازل وشعاعها في أطراف مراكزها مختلفة، فمنها كثيرة
جداً حتّى تنتهي إلى آلاف كيلومتراً مربعاً كزلزلة آسام في (١٢) ژوئن: (١٨٩٧ م)
(م) فقد انتهت شعاعها إلى (٤/٥٠٠/٠٠٠) كيلومتراً مربعاً و زلزلة كانسو في
(١٦) دسامبر: (١٩٢٠ م) فقد انتهت شعاعها إلى (٤/٠٠٠/٠٠٠) كيلومتراً مربعاً
وزلزلة ليسبن في أوّل نوامبر: (١٧٥٥ م) فقد انتهى شعاعها إلى (٢/٦٠٠/٠٠٠)
كيلومتراً مربعاً. وقد تكون شعاعها في أطرافها كيلومترات قليلة، وربما لا ينتهي
إلى كيلومتراً.



اختلاف آثار الزلازل في الأشياء

الواقعة ليلاً و نهاراً في شهور السنة

في الأنوار النعمانية نقلاً عن كتاب القصص عن الصدوق رضوان الله تعالى عليه
باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إن في كتاب دانيال عليه السلام - حديث
طويل - و أما أحوال الزلازل فإن كان في نيسان نهاراً دلت على حسن حال الفواكه
والعنب ، وإن كان ليلاً ينتقل الناس من أماكنهم ، وإن كان في أيار نهاراً دلت على
كثرة الرخص والغصب التام والمطر في أكثر البلاد ، وإن كان ليلاً فموت يقع في
الناس والبقر والغنم وحرب يقع في خراسان ، وإن كان في حزيران نهاراً دلت على
الغلاء في تلك السنة وقلة المريع ، وإن كان ليلاً يخرب مدينة بابل ويقع الموت في
النساء ، ويمرض خاصة الملك ، ويموت ملك نينوى .

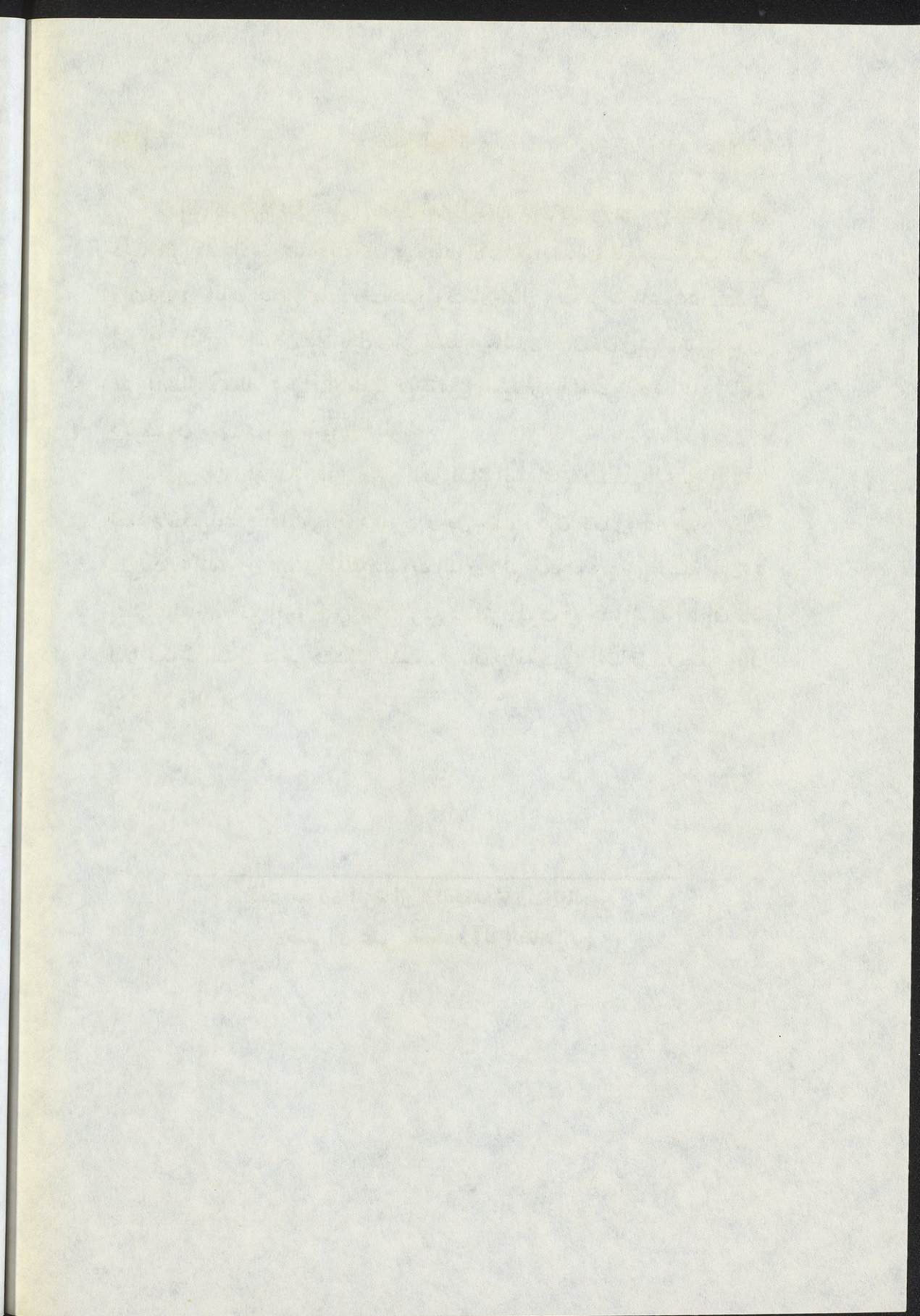
وإن كان في تموز نهاراً يدل على موت رجل جليل القدر ، وإن كان ليلاً دلت
على أن في خراسان مرضاً و شرّاً عظيماً في أيام الحصاد ، وإن كان في آب نهاراً
دلت على حسن الطعام وكثرة القتال والسبي وتظهر اللصوص ، وإن كان ليلاً دلت
على ظهور اللصوص وقطع الطرق وفوران الحروب ، وإن كان في ايلول نهاراً دلت
على كثرة التناسل ، وحسن حال الغلات والثمار وموت رجل جليل القدر وإن كان
ليلاً يقع الحرب ، وإن كان في تشرين الأول نهاراً دلت على ظهور ملك يستولي
على الدنيا ، ويفتقر الأغنياء ويستغنى الفقراء ويكون موت في خراسان .

وإن كان ليلاً تدلّ على إسقاط أهل الجبال، وإن كان في تشرين الثاني نهراً دلت على كثرة الأمراض، وإن كان في كانون الأول نهراً دلت على موت الحيوانات، وإن كان في كانون الثاني نهراً دلت على موت الأطفال، وكثرت الخيرات وتكون أمراض كثيرة، وإن كان ليلاً يدلّ على اضطراب الناس، وإن كان في شباط نهراً يدلّ على إتصال الأمطار ومرض الأطفال وإجتماع الجيوش، وتعصي الأولاد على آبائهم ولا يقبلون منهم ويقع الجوع والوباء .

وإن كان ليلاً يدلّ على عموم الغم لسائر البلدان، ويتكلم الجنين في بطن أمه، ويكثر الشرّ والأمراض ويموت رجل عظيم، وإن كان في آذار نهراً يدلّ على كثرة اللصوص ويقتل الملك وتموت الناس، ثم يكون في آخر السنة فرح ويكثر الطعام ويقع الجوع في بلاد الروم ويكثر الموت في هذه السنة، وإن كان ليلاً يكون القتال بمصر وتكثر المياه، ويظهر الموت في الناس، ويصلح حال الأشجار والثمار .

تمت سورة الزلزال والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين



سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات

وَالْعَادِيَّاتِ صَبْحًا ۚ
فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ۚ
فَالْجَبَّارَاتِ
صَبْحًا ۚ فَاتَّزُنَّ بِهِ نَعْمَاءُ فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا ۚ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۚ
وَإِنَّهُ عَلَىٰ
ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۚ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَبْرِ لَشَدِيدٌ ۚ
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۚ وَحُصِّلَ
مَا فِي الصُّدُورِ ۚ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ۚ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

﴿ فضلها و خوارصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة «العاديات» وأدمن قرائتها بعثه الله عز وجل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة خاصة وكان في حجره ورفقائه .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار ، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة .

و ذلك من قرأها متدبراً فيها، متعظاً بما فيها من الترهيب والوعيد فأمن بالله جل وعلا حقاً، وبرسوله ﷺ وكتابه ، وباليوم الآخر وأطاع الله تعالى ورسوله ﷺ واتفق، وتولى بأوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فبعثه الله عز وجل مع مولاة إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في حجره ورفقائه من دون ريب .

قال الله تعالى: « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » النساء : (٦٩) .

وقال : « يوم ندعوا كل أناس بإمامهم » الاسراء : (٧١) .

وفي المجمع : أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمردلفة و شهد جمعاً .

وفي البرهان : روى عن النبي ﷺ : أنه قال : من قرأ هذه السورة أعطى من الأجر كمن قرأ القرآن ومن أدمن قرائتها ، وعليه دين أعانه الله على قضائه سريعاً

كائنا ما كان .

وفيه: وقال رسول الله ﷺ : من صلى بها العشاء الآخرة عدل ثوابها نصف القرآن ، ومن أدام قرائتها وعليه دين أعانه الله تعالى على قضائه سريعاً . وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من قرأها للخائف أمن من الخوف ، وقرأتها للجائع يسكن جوعه والعطشان يسكن عطشه ، فاذا قرأها وأدام قرائتها المديون أدى الله عنه دينه باذن الله تعالى .

أقول: ولا يخفى على من له الداربة من الضعف سنداً في الروايات الأربع الأخيرة ، ونحن لا نرى بعداً ما فيها من الخواص والفضيلة ، وأما سليمان بن خالد النخعي فكان ثقة قارئاً فقيهاً وجهاً روى عن الامامين: الباقر والصادق صلوات الله عليهما .



﴿ الغرض ﴾

غرض السّورة تنويه بشأن ما يدافع عن حوزة الحق وأهله ، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون كل واحد منهم مستعداً في أي وقت للدفاع ، ثم تنبيه موجه إلى واقع بعض الناس أو أكثرهم وكنودهم تجاه ذلك لحبّهم الشديد بالمال وما إليه تنديداً وزجراً عليه .

تنديد بهم وإستغراقهم في حب المال و زجرهم عن هذه الأخلاق الفاسدة ، و حملهم على الارعواء ، و حثهم على أن يكونوا بصدد الأخلاق الشخصية والاجتماعية حيث انّها ترتفع بالانسان إلى أن لا يكون المال هو كل شيء لديه فينسيه واجباته نحو ربّه بالاعتراف برؤوسيته والخضوع له و شكره على نحوه ونحو الناس بالبرّ والرّحمة ، و تذكيره بنعمة ربّه عليه و إحاطته جلّ و علا بأعماله و محاسبته عليها في الدّار الآخرة .

و اسلوب السورة عرض عام للدّعوة .

﴿النزول﴾

سورة «العاديات» مكّية نزلت بعد سورة «العصر» وقبل سورة «الكوثر» على التحقيق ، ويؤيد ذلك أسلوبها وتبكير نزولها ، وما ورد في نزولها لابناني مكّيتها بناء على تقديم النزول ، وتأخير الانطباق في واقعة إخباراً أو تمهيداً ، وهي السورة الرابعة عشر نزولاً ، والمائة مصحفاً على التحقيق ، وتشتمل على إحدى عشرة آية ، سبقت عليها : ٢٨٠ آية نزولاً ، و ٦١٤٦ آية مصحفاً على التحقيق أيضاً .
وهي مشتملة على ٤٠ كلمة ، و على ١٦٣ حرفاً ، وقيل : على ١٦٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

ففي أسباب النزول : للواحدي النيسابوري عن مقاتل قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حى من كنانة ، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري ، فتأخر خبرهم فقال المنافقون : قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها فأنزل «العاديات ضبحاً» .
يعنى تلك الخيل .

وفيه : عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً فأسهبت شهراً لم يأتها منها خبر فنزلت : «العاديات ضبحاً» : ضبحت بمناخرها إلى آخر السورة ، و معنى أسهبت : أمعنت في السهوب و هي الأرض الواسعة جمع سهب .

وفى أسباب النزول : للسيوطي عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً و لبث شهراً لا يأتية منها خبر فنزلت : «العاديات ضبحاً» .

وفى الجامع لأحكام القرآن : و روى أن رسول الله ﷺ بعث سرية

إلى أناس من بني كنانة فأبطأ عليه خبرها و كان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري ، وكان أحد النقباء فقال المنافقون : إنهم قتلوا فنزلت هذه السورة إخباراً للنبي ﷺ بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم الذين بعث إليهم .
وفي المجمع : وقيل : نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ علياً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة ، فرجع كل منهم إلى رسول الله ﷺ وهو المروى عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل...
وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : «والعاديات ضبحاً» قال : هذه السورة نزلت في أهل وادي اليابس ، قال : قلت : وما كان حالهم وقصتهم ؟ قال : إن أهل وادي اليابس اجتمعوا إثني عشر ألف فارس وتعاهدوا وتعاهدوا وتوافقوا على أن لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحداً ، ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم على حلف واحد ويقتلوا محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بقصتهم ، وما تعاهدوا عليه وتوافقوا وأمره أن يبعث أبا بكر إليهم في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

ثم قال : يا معشر المهاجرين والأنصار إن جبرئيل قد أخبرني أن أهل الوادي اليابس إثنا عشر ألف فارس قد استعدوا وتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يغدر رجل منهم بصاحبه ولا يفر عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علياً ابن أبي طالب عليه السلام وأمرني أن أسير إليهم أبا بكر في أربعة آلاف فارس ، فخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانفضوا إليهم على اسم الله وبر كته يوم الاثنين إن شاء الله .

فأخذ المسلمون في عدتهم وتهيتوا وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر بأمره وكان فيما أمره به أنه إذا رايهم أن يعرض عليهم الإسلام ، فإن بايعوك والادافهم فاقتل مقاتليهم ، واسب ذراريهم واستبح أموالهم وخرب ضياعهم وديارهم ، فمضى أبو بكر ومعه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدة وأحسن تهية يسير بهم سيراً رفيقاً حتى

إنتهوا إلى أهل وادي اليابس .

فلما نظر القوم نزول القوم عليهم ، ونزل أبو بكر وأصحابه قريباً منهم خرج إليهم من أهل الوادي اليابس مأتار جل مدحجين في السلاح ، فلما صادفوهم قالوا لهم : من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون ليخرج إلينا صاحبكم ، حتى نكلمه؟ فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين ، فقال لهم : أنا أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ قالوا : ما اقدمك علينا؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أعرض عليكم الاسلام ، وأن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون ولكم مالهم وعليكم ما عليهم ، وإلا فالحرب بيننا وبينكم ، قالوا : واللوات والغزى لولا رحم ماسّة وقرابة قريبة لقتلناك ، وجميع من معك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم ، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية ، فانا إنمّا نريد صاحبكم بعينه وأخاه عليّاً ابن أبي طالب عليه السلام فقال أبو بكر لأصحابه : يا قوم القوم أكثر منكم اضعافاً وأعدّ منكم ، وقدنأت داركم عن إخوانكم من المسلمين فارجعوا فاعلموا رسول الله ﷺ بحال القوم .

فقالوا له جميعاً: خالفت يا أبا بكر قول رسول الله ﷺ وما أمرك به فاتق الله وواقع القوم ، ولا تخالف قول رسول الله ﷺ فقال: إننى أعلم ما لا تعلمون ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فانصرف وانصرف الناس أجمعون ، فأخبر النبي ﷺ بمقالة القوم وما ردّ عليهم أبو بكر فقال ﷺ : يا أبا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك ، فقال النبي ﷺ حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

وقال: يا معاشر المسلمين! إننى أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس ، وأن يعرض عليهم الاسلام ، ويدعوهم إلى الله فإن أجابوه ، وإلا واقعهم ، وأنه سار عليهم وخرج منهم إليه مأتار رجل فلما سمع كلامهم ، وما استقبلوه به انتفخ صدره و دخله الرعب منهم ، وترك قولي ولم يطع أمري ، وإن جبرئيل عليه السلام جاء من

عند الله ان ابعث إليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر ياعمر على اسم الله ولا تعمل ما عمل أبو بكر أخوك .

فانه قد عصي الله وعصاني وأمره بما أمر به أبا بكر فخرج عمر والمهاجرون والأنصار الذين كانوا مع أبي بكر يقصدونهم في سيرهم حتى شارف القوم ، وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه ، فخرج إليهم مأتا رجل ، فقالوا له ولأصحابه : مثل مقاتلتهم لأبي بكر فانصرف وانصرف الناس معه ، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم ورجع يهرب منهم ، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بما صنع عمر وانه قد انصرف وانصرف المسلمون معه .

فصعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم بما صنع عمر وما كان منه وانه قد انصرف والمسلمون معه مخالفاً لأمرى عاصياً لقولي ، فقدم عليه وأخبرهم بمثل ما أخبره به صاحبه ، فقال : ياعمر عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك إلا (الأخ) فبح الله رأيك ، وان جبرئيل عليه السلام قد أمرني أن ابعث علي بن أبي طالب عليه السلام في هؤلاء المسلمين وأخبرني أن الله يفتح عليه وعلى أصحابه ، فدعا علياً عليه السلام وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر وأصحابه أربعة آلاف ، وأخبره أن الله سيفتح عليه وعلى أصحابه فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار فسار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر .

و ذلك انه أعنف بهم في السير حيث خافوا (حتى خافوا) أن ينقطعوا من التعب وتحفى دوابهم ، فقال لهم : لاتخالفوا فان رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأخبرني ان الله سيفتح علي و عليكم ، فأبشروا فانكم على خير وإلى خير فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب (المتعب) حتى إذا كان (كانوا) قريباً منهم حيث يرونه ويراهم أمر أصحابه أن ينزلوا .

وسمع أهل الوادي اليابس بمقدم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه فخرج إليهم منهم مأتا رجل شاكين في السلاح ، فلمّا رأهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من

أصحابه ، فقالوا لهم : من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟
قال: أنا علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه رسول الله إليكم
أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (وأن محمداً عبده ورسوله خ)
ولكم ما للمسلمين ، وعليكم ما على المسلمين (ما عليهم خ) من خير وشر فقالوا له :
إيّاك أردنا وأنت طلبتنا قد سمعنا مقالتك ، وما عرضت علينا ، فخذ حذرك واستعد
للحرب العوان ، وأعلم أنا قاتلوك وقاتلوا أصحابك ، فجاء الموعود فيما بيننا وبينك
غداً ضحوة ، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك ، فقال علي عليه السلام : ويلكم تهدّوني
بكثرة تكلم وجمعكم ، فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه فلما جن الليل
أمر أصحابه أن يحسوا إلى دوابهم ويقضوا ويحسوا ويسرجوا فلما انشق عمود
الصبح صلى الناس بغلس ثم أغار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتى وطئهم الخيل ،
فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرّب
ديارهم وأقبل بالأسارى والأموال معه ، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ
بما فتح الله على علي عليه السلام وجماعة المسلمين ، وصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد
الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين وأعلمهم أنه لم يقتل منهم
إلا رجلاً ، فنزل وخرج يستقبل علي عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى
لقيه على ثلاثة أميال من المدينة ، فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ، ونزل
النبي ﷺ حتى التزمه وقبل ما بين عينيه ، فنزل جماعة من المسلمين إلى
علي عليه السلام حيث نزل رسول الله ﷺ فأقبل بالغنيمة والأسارى ، وما رزقهم الله
به من أهل وادي الياسر .

ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام : ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن يكون من
خير فأنها مثل خير فأنزل الله في ذلك : « والعاديات » يعني بالعاديات : الخيل

تعدو بالرّجال ، والضبح صيحتها في أعنتها ولجمها « فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً » فقد أخبرك أنّها أغارت عليهم صبحاً ، قوله : « فأثرن به نقعاً » قال : يعني الخيل فأثرن بالوادي نقعاً « فوسطن به جمعاً » قلت : قوله : « إنّ الانسان لربه لكنود » قال : الكفور ... الحديث .

و في نور الثقلين : بالاسناد عن الحلبي قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « والعاديات ضبحاً » قال : وجه رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يحبّ أصحابه ، ويجبّونهم أصحابه ، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال لعلي : أنت صاحب القوم فهياً أنت ، ومن تريد من فرسان المهاجرين والأنصار فوجهه رسول الله ﷺ وقال له : اكمن النهار وسر الليل ولا تفارقك العين قال : فانتهي علي عليه السلام إلى ما أمره رسول الله ﷺ فصار إليهم ، فلما كان عند وجه الصبح أغار عليهم ، فأنزله الله على نبيّه ﷺ : « والعاديات ضبحاً » إلى آخرها .

وفي فضائل أمير المؤمنين وإمامته من دلائل الصدق : قال المصنف قدّس روحه : (السابعة والثلاثون) أقسم الله تعالى بخيل جهاده في غزوة السلسلة لما جاء جماعة من العرب ، واجتمعوا على وادي الرملة ليبيتوا النبي ﷺ بالمدينة ، فقال النبي ﷺ لأصحابه : من لهؤلاء ؟ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا : نحن فول علينا من شئت فأقرع بينهم ، فخرجت الرقعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم ، فأمر أبو بكر بأخذ اللواء والمضي إلى بني سليم وهم ببطن الوادي ، فهزموهم وقتلوا جمعاً من المسلمين وانهزم أبو بكر ، وعقد لعمر وبعثه فهزموه فساء النبي ﷺ فقال عمر وبن العاص ابعتني يا رسول الله فأنفذ فهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وبقي النبي ﷺ أيتاماً يدعو عليهم .

ثم طلب أمير المؤمنين عليه السلام وبعث إليهم ودعا له وشيعه إلى مسجد الأحزاب وأنفذ معه جماعة منهم أبو بكر وعمر وعمر وبن العاص ، فسار الليل وكمّن النهار

حتى استقبل الوادي من فمه ، فلم يشك عمرو بن العاص انه يأخذهم ، فقال لأبي بكر : هذه أرض سباع و ذئاب وهي أشد علينا من بني سليم والمصلحة أن نعلو الوادي ، و أراد إفساد الحال وقال : قل ذلك لأمير المؤمنين ، فقال له أبو بكر فلم يلتفت إليه ثم قال لعمر فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام وكبس على القوم الفجر فأخذهم ، فأنزل الله تعالى : « والعاديات ضبحاً » السورة واستقبله النبي صلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين وقال له النبي صلى الله عليه وآله : لولا أن أشفق أن يقول فيك طوائف من امتي : ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملاً منهم إلا اخذوا التراب من تحت قدميك ، اركب فان الله و رسوله عنك راضيان .

و قال الفضل :

قصة غزوة ذات السلاسل منقولة في الصحاح وانها تصداها عمرو بن العاص بتأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الفتح بيده ، وأما ما ذكره فليس بمنقول في الصحاح بل اشتمل على المما كير فان النبي صلى الله عليه وآله كيف يجوز أن يدعي الوهية علي والمفهوم من هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد أن يقول بالوهية علي ولكنه خاف أن يعبده الناس ، وهذا كلام غلاة الرافضة ، ولا ينبغي نقل هذا لمسلم فضلاً عن فاضل .

أقول :

لم يذكر البخاري ولا غيره ممن اطلعت على ذكره لهذه الغزوة كالطبري وابن الأثير أن الفتح على يد عمرو فلا يبعد انه من وضع الفضل ، وأما نفيه لوجود ما حكاه المصنف (ره) في صحاحهم فلا يدل على عدم صحته إذ ليس كل ما لم يكن فيها غير صحيح عندهم ، وأما قوله : « والمفهوم من هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد ... » فمنشأ إعوجاج فهمه أو تغيير الكلم عن مواضعه فان صريح الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله أشفق من قولهم بالهية علي عليه السلام التي لا يقولها إلا مبطل كآلهية المسيح ، وهو حق فانه صلى الله عليه وآله لو ذكر فضله الواقعي ، وان الله أقدره على خوارق

العادات ، حيث انه أظهر مصاديق قوله تعالى في الحديث القدسي : « عبادي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون » .

أو بين فضائله الفاضلة التي يفوق بها الأنبياء السابقين، ويمتاز بها عن الأمة أجمعين لخاف ~~عليه السلام~~ من لوائف من أمته أن يقولوا بربوبيته كما وقع لكثير منهم لما رأوا منه بعض خوارق العادة ، وقد ورد مضمون هذا الخبر في جملة من أخبار القوم فضلاً عن أخبارنا فقد حكاه في ينابيع المودة عن أحمد في مسنده من طريقين ، وكذا عن موفق ابن أحمد وقال الشافعي فيما نسب إليه :

لو أن المرتضى أبدى محله لصار الخلق طرّاً سجداً له

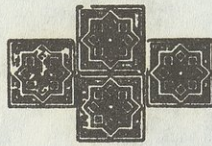
كفى في فضل مولانا علي وقوع الشك فيه أنه الله

وفي الجامع لأحكام القرآن : في قوله تعالى : « إن الإنسان لربه لكنود »
وقال الضحاك : نزلت في الوليد بن المغيرة .



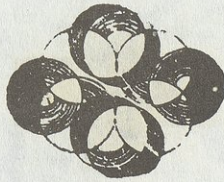
﴿ القرائة ﴾

قرأ حمزة وأبو عمرو «والعاديات ضبحاً» و «فالمغيرات صبحاً» بالادغام أي
 بادغام التائين في الضاد والصاد.
 وفي الشواذ قراءة أبي حية «فأثرن» بتشديد الناء من باب التأثير فالهمزة
 فاء الفعل، وقراءة الجمهور «فأثرن» بالتخفيف من الاثارة على زيادة الهمزة، وفي
 قراءة علي بن أبي طالب وقتادة وإبن أبي ليلى «فوسطن» بتشديد السين معناه: ميّز به
 جمعاً أي جعلته شطرين قسمين وشقين، وعلى قراءة التخفيف معناه: فوسطن أي صرن
 في وسطه.



﴿الوقف والوصل﴾

«صبحاً لا» للعطف بالفاء للاتصال، و«قدحاً لا» و«صبحاً لا» و«نقماً لا» كل ذلك كالمتقدم و«جمعاً لا» لجواب القسم، و«لكنود ج» لأن ما بعده يصلح للعطف والاستيناف، و«لشهيد ج» للوجهين المتقدمين، و«لشديد ط» لتمام الجواب أصلاً وعطفًا، و«القبور لا» للعطف التالي، و«الصدور لا» لمتعلق العلم المتأخر وهو قوله جل وعلا: «ان ربهم بهم...».



﴿ اللغة ﴾

٢٢ - العدو - ٩٨٨

عدا الأمر يعدوه عدواً و عدواً و عدواناً واعتداه - من باب نصر نحو دعا -: تجاوزه و تركه ، وعدا طوره و قدره : جاوزه ، و عدا الماء : جرى ، ومنه جرى الانسان - فوق المشي -: عدوه ، وبالجري تكون مجاوزة الشيء إلى غيره .

ومن الجري قوله عز وجل : « والعاديات ضبحاً » العاديات : ١) العادية : الخيل التي تعدو ، العادية : الخيل المفيرة من عدوة القوس . والعدي - بفتح العين و كسر الدال كالبنى - : جماعة القوم يعدون لقتال ، وقيل : أول من يحمل من الرجال .

والعداء : الشديد العدو ويكون ذلك في المادي فيكون في المعنوي بمجازة الحق .

ومن الحسنى في المادة العدو - بالضم والكسر - : الناحية أو شاطئ الوادي أو المكان المتباعد أو المرتفع أو صلابه من شاطئ الوادي ، وكل خشبة بين خشبتين ، وقد طرح التاء فيقال : عدو ، و جمعها : عدى - بالضم والكسر - و في ذلك المعنى أيضاً قالوا : العدى - بالكسر و الفتح - و العداء -

بالمدة - : الناحية والجانب أطوار الشيء و - بالفتح - : ما سايره من عرضه و طوله ، والعداء - بالكسر - : المتباعدون والغرباء و الأجانب و الأعداء ، و عديات - بفتحيتين - والعداء - بالضم - : الخلّة من النبات و هي ما فيه حلابة، و عدوة الأمد : مدّ البصر والعدوة - بالفتح - : المرأة و إلى هذه الحسيّات سترد معاني المادة.

وقد وردت العدوة في قوله تعالى : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » (الأنفال: ٤٢) العدوة - بالضم - : المكان المتباعد والمكان المرتفع جمعها: عداء وعديات، والعدوة : الجانب المتجاوز للمقرب. ويقال : السلطان ذو عدوات و ذوبدوات.

ومن المجاوزة المادية قوله تعالى: « ولا تعد عينك عنهم » (الكهف: ٢٨) أي اصرف بصرك عنهم.

ويقال: عاد رجلك عن الأرض: جافها، وعادى الوسادة، تناها، وعادى الشيء: باعده، وتعادى عنه: تجافى وفلان لا يعاديني ولا يواديني: لا يجافيني ولا يواتيني و من المجاوزة المعنوية قوله تعالى: « ومن يتعدّ حدود الله البقرة: ٢٢٩) ومجاوزة القدر والحق: ظلم عدا واعتدى أي ظلم، عدى الرجل غيره: ظلمه، قال الله تعالى: « فیسبوا الله عدواً بغير علم » (الأنعام: ١٠٨).

إعتدى عليه إعتداء: ظلمه. الاعتداء في الأصل: المجاوزة، وهي قد تكون مجاوزة الحق إبتداء قال الله تعالى: « تلك حدود الله فلا تعتدوها » (البقرة: ٢٢٩).

وقد تكون بالمجازاة قال الله عز وجل: « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة: ١٩٤) أي قابله بحسب إعتدائه و تجاوزوا إليه بحسب تجاوزه فكان تجاوزهم بغير حق إبتداء ، و تجاوز المأمورين بالاعتداء على سبيل المجازاة والتقابل، قال الله تعالى: « فلا تعدوان إلا على الظالمين »

البقرة: (١٩٣)

المعتدون: هم أصحاب الظلم و العدوان. والعدوان - بالفتح والضم -:
الظلم الصراح.

العداوة: مافسد ما بين شخصين لتباعد بينهما في الاعتقاد أو النيات أو العمل،
فيعدى كل منهما على صاحبه بالمكرهه، وتلك هي العداوة: ضد الصداقة ويقال: عادى
فلان فلاناً. والعداوة: إسم بمعنى الخصومة والمباعدة.

والعدو وصف على فعول لكنته شابه الإسم و يكون للواحد والاثنين و
الجمع، و المذكر و المؤنث بلفظ واحد، و قالوا: عدوة كصديقة، وجمعوا
العدو على الأعداء، والعدو: ضد الولي والصديق. وورد من معنى العداوة وفعلها
ووصفها، قال الله تعالى: «لتجدن أشد الناس عداوة» المائدة: (٨٢)

والعدى - بالضم - إسم جمع للعدو.

العداى: المختلس، عدا يعدو على الشيء: إذا اختلسه، وعدا اللص على
القماش: سرقه.

قال الله تعالى: «بل أنتم قوم عادون» الشعراء: (١٦٦) أي معتدون وقال: «غير
باغ ولا عاد» البقرة: (١٧٣) أي غير متجاوز سد الجوعاة أو غير عاد في المعصية
طريق المحسنين. والعادية: الحدة و الغضب، و الظلم و الشر وهو مصدر
كالعاقبة.

والعداوة - بالضم -: الأرض اليابسة الصلبة والمر كب لا يطمئن من قعد عليه
يقال: جئت على مركب ذي عداوة أي ليس بمطمئن، و عداوة الشغل: موانعه و
صوارفه، وجمع العادية: العوادي. والعدوى - بالفتح -: الفساد وما يعدى من
جرب أو غيره أي يسرى من واحد إلى آخر وطلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك
أي ينتقم منه، وهي إسم بمعنى المعونة.

واستعداه إستعداء: إستغاثه واستنصره، يقال: إستعديت على فلان الأمير

فأعداني: إستعنت به عليه فأعاني عليه.

وعدا الرجل فلاناً عن الأمر: صرفه وشغله، ومنه الحديث: «أنه أهدى له لبن بمكة فعداه» أي صرفه عنه، وعدوته عن الأمر: صرفته عنه.

عدى له يعدى عدأً - من باب علم نحو رضى -: أبغضه.

وعداه عن الأمر تعديّة: صرفه وشغله، وفلاناً عن الأمر: خلاه و أنصرف عنه.

عوادي الدهر: عوائقه، والعداء - كالسماء -: البعد والشغل يصرفك عن الشيء، والعداء - بالكسر -: حجر رقيق يستربه الشيء، و - بالفتح والكسر -: الطلق الواحد، والعدو - بالكسر -: حجر رقيق يستربه الشيء جمعه: عداء، عدو كل شيء وعداه: طواره، وقوم عداة - كقضاء -: أعداء، والعدوى - بالفتح -: إسم من الإعداء والسبع العادي: الظالم الذي يقصد الناس ويفتر سهم والمأشي بالقتل والجرح ومنه «مأذبان عاديان» وفي الحديث: «رفعت عنك عادية فلان» أي ظلمه و شره.

عداه يعدّيه تعديّة - من باب التفعيل -: أجازته وأنفذه ومنه تعديّة الفعل عند النحاة وهو جعل الفعل لفاعل يصير من كان فاعلاً له قبل التعديّة منسوباً إلى الفعل نحو خرج زيد فأخرجته.

تعادى القوم تعادياً: عادى بعضهم بعضاً وتباعداً أحدهما عن الآخر كقوله: و تعادى عنه النهار. والتعادي: الأمكنة غير المتساوية، مكان متعاد: منقاد ليس بمستو، وأرض متعادية: ذات حجرة، و العدواء من الأرض: المكان المشرق ببرك عليه البعير فيضطجع عليه و إلى جنبه مكان مطمئن، فيميل فيه البعير فيتوهن.

والعدواء - بالضّم -: المكان الغليظ الخشن وأعداء الوادي وأعناؤه: جوانبه، والأعداء: حجارة المقابر.

والمعدى - كمرمى - : المجاز يقال: مالي عن فلان معدى أي لا تجاوز لي إلى غيره ولا قصور دونه. ويقال: فلان معدو عليه ومعدى عليه - بقلب الواو ياء استتقلاً أي مظلوم. والمعدى كرب: إسم.

و عاده معادة و عداء : خاصمه و صار له عدوًّا ، و عادى فلان شعره : أخذ منه ، و المعادة : الموالاة والمتابعة ، و تعادى القوم على بنصرهم أي تولوا و تابعوا .

أعداه إعداء: حملة على الحضر وعليه: ظلمه، وأعدى الأمر: جاوز غيره إليه وأعدى زيدا على غيره: نصره وأعاناه وقواه، وفي المثل: «قرين السوء يعدى قرينه» وفي منطق: جار. يقال: أعداه الداء وهو أن يصيبه مثل ما يصاحب الداء ذلك أن يكون بعبير جرب مثلاً فتتقوى مخاطته بابل أخرى حذاراً أن يتعدى ما به من الجراب إليها فيصيبها ما أصابه.

عدا ينصب ما بعده والفاعل مضمرفيه، وحرف إذا كان بعده مجرور، وعلى أي التقدير يستثنى به مع ما وبغير ما و «عدا» كخلا في جميع أحكامه تقوى: قام القوم عدا زيدا وعدا زيد وما عدا زيدا.

عدي - كبنى - : قبيلة ومنهم عدي بن حاتم.

في المفردات: العدو: التجاوز و منافات الائتنام، فتسارة يعتبر بالقلب، فيقال له العداوة والمعادة، وتارة بالمشي فيقال له: العدو وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العدوان والعدو قال: «يسبوا الله عدواً بغير علم» وتارة بأجزاء المقر فيقال له العدو لقال: مكان ذو عدواء أي غير متلائم الأجزاء.

فمن المعادة: يقال: رجل عدو وقوم عدو قال تعالى: «بعضكم لبعض عدو» وقد يجمع على عدي وأعداء. قال تعالى: «يوم يحشر أعداء الله»

والعدو ضربان: أحدهما بقصد من المعادي نحو: «وإن كان من قوم عدو لكم - عدواً شياطين الانس والجن» والثاني: لا بقصد بل تعرض له حالة بتأذي بها كما

يتأذى مما يكون من العدى نحو قوله : «فانهم عدو لي إلا رب العالمين» وقوله في الأولاد قال الله تعالى: «عدواً لكم فاحذروهم»
و في النهاية : و قد عدا يعدو عليه عدواناً وأصله من تجاوز الحد في الشيء.

٢ - الضبح - ٨٩٢

ضبح يضبح ضبحاً وضباحاً - من باب منع :- نبح. وضبحت الخيل في عدوها ضبحاً: أسمعت من أفواهاها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة ، تقول : جاءت الخيل ضوايح وقيل: الضبح: صوت أنفاسها عند العدو.
قال الله تعالى: «والعاديات ضبحاً» العاديات: (١) وهو من الضباح وهو الصوت الذي يسمع من جوف الخيل إذا عدت وهو السير.
الضبح : تغيّر لون من فعل ناز وقد يكون منه تغيّر الصوت فيكون كالبحح فيه .

وضبحت الارنب والثعلب والصدى والبوم والاسود من الحيات والقوس ضباحاً : صوتت. يقال : ما سمعت إلا نباح الأكلب وضباح الثعالب ، والضباح - كقرب :- صوت الثعلب.
وفي حديث ابن مسعود: «لا يخرجن» إلى أحد ضبحة بليل - أي صيحة يسمعها - فلعله يصيبه مكره»

وضبحت النار والشمس الشيء كالعود : غيرته و لم تبالغ ، و أصبحت العود النار: أحرقت شيئاً من أعاليه ... الضبح - بالكسر :- الرماد لتغيّر لونه، و الضبحاء: القوس وقد عملت فيها النار، والمضبوح: حجر الحرّة لسواده، والمضابح: المقالي وجمع الضبح: الضوايح.

وفي شعر أبي طالب عليه السلام يمدح ابن أخيه محمداً رسول الله ﷺ وأنه دليل على عمق إيمانه بالنبي الكريم ﷺ :

فأنني والضوايح كل يوم وما تملوا السفاسرة الشهور

السفاسرة: أصحاب الأسفار وهي الكتب، والشهور: العلماء.

ضابحه: قابحه وكافحه، والضبح - بالفتح فسكون -: إسم موضع يدفع منه أوائل الناس من عرفات، وانضح لون فلان: تغير إلى السواد قليلاً.

في المفردات: قيل: الضبح: صوت أنفاس الفرس تشبيهاً بالضباح وهو صوت الثعلب دقيل: هو حفيف العدو وقد يقال ذلك للعدو. وأصله: إحراق العود وشبهه عدوه به كتشبيهه بالنار في كثرة حركتها.

٢٨ - الوري - ١٦٦١

ورى القبيح جوفه يريه ورياً و رية - و اوي الفاء يائي اللام من باب ضرب نحو: و قى يقى -: أفسده وأكله. ومن الحديث: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قبيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً» أي حتى يداوي جوفه.

ورى فلان فلاناً: أصاب رئته، ورى فهو مورى: إذا أصاب جوفه الداء، و ورت النار: انتقدت، و ورت الابل: سمنت وكثر شحمها ونقيها.

الورى - بفتح الواو وسكون الراء -: مصدر، و - بفتح الراء -: إسم كانت العرب تقدر بعودين تحك بأحدهما على الآخر فتخرج النار، ويسمى الأعلى الزند والأسفل الزندة.

قال الله تعالى: «أفرأيتم النار التي تورون» الواقعة: ٧٨ أي تستخرجون بقدرحكم.

وقال: «فالموريات قدحاً» العاديات: (٢) يعني الخيل في المكر تقدح النار بحوافرها عند صك الحجارة، يقال: أدرى النار إذا أوقدها وأشعلها.

ويقال: صكت الخيل في سيرها الحجارة فاوردت النار: تطايرت من الحجارة شرر كالنار وهذا على سبيل التشبيه بما سبق، ويقال للمخيل إذا فعلت ذلك موريات.

الواري: الذي تظهر ناره سريعة، ومنه حديث الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: «حتى أدرى قسماً لقابس» أي أظهر نوراً من الحق لطالب الهدى.

الواري: إسم فاعل، والشحم السمين، ومسك وار رفيع جيد والورى - بفتح الواو وسكون -: مصدر وقیح في الجوف أو فرح شديد يقاء منه القيح والدم - بفتح الواو والراء -: إسم من الورى، والورى: الخلق يقال: ما أدرى أي الورى هو أي الخلق. قيل: هو مأخوذ من معنى الستر والاختفاء لأنهم يسترون وجه الأرض، ولهذا لا يطلق على من مضى أو سوف يأتي من الخلق، بل على من حضر فقط.

أبو الورى: كنية الدهر لأن الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. والورى: الأنعام الذين على وجه الأرض في الوقت، ليس من مضى ولا من يتناسل بعدهم، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم.

ومنه: «أنتم كهف الورى يستظلون بكم» كالكهف الذي يستظل به.

والوارية: مؤنث الواري: داء في الرئة وليست من لفظها لأن الرئة من مهموز العين، والوارية: داء يأخذ في الرئة فيأخذ منه السعال، فيقتل صاحبه.

والوربة: المرة، ووربة النار: ما تورى به من خرقة أو عتبة أو بكرة أو فطنة كالوربة والرية: مصدر.

والدرى - كغنى -: الشحم السمين ، ولحم وار: سمين، والواري : الشحم السمين صفة غالبية، والواري: السمين من كل شيء ، وزند وري: خرجت ناره و الوري: الضيف.

ويقال: فلان وري فلان أي جاره الذي تواريه بيوته وتستره.

وري المخ يريه ورياً - من باب حسب نحو: ولى يلى -: إكتنز.

يقال: وريت كذا إذا سترته.

قال الله تعالى: «ما وري عنهما من سوء آتتهما» (الأعراف: ٢٠) أي غطي عنهما من عورتتهما. وفي الحديث: «إذا تورى القرص كان وقت الصلاة والافطار» أي إذا استتر وخفي.

التورة: الضياء والنور وهي عند البصريين (وورية) على وزن فועلة من وري الزند إذا خرجت ناره فقلبت الواو الاولى تاء كما في تولجة، والياء ألفاً لتحركها وإنفتاح ما قبلها، وهو الصواب المناسب بيزوغ بعثة موسى عليه السلام ومن هنا سمي كتابة تورا، وعند الكوفيين فأصلها (تورية) على وزن تفعلة ، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وإنفتاح ما قبلها.

قال الله تعالى: «إن قال موسى لأهله إنني آنست ناراً» (النمل: ٧)

ورى الشيء يوريه تورية - من باب التفعيل -: أخفاه، يقال: ورى الخبير تورية: إذا سترته وأظهرت غيره حيث يكون للفظ معنيان : أحدهما - الظاهر فتنتطق به و تريد الخفى. والترية - كغنية -: إسم لما تراه الحائض عند الاغتسال وهو الشيء الخفى اليسير وهو أقل من الصفرة والكدره.

و اراه يواريه مواراة: ستره وأخفاه. والمواراة: الاستتار والاستخفاء.

قال الله تعالى: «فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه» (المائدة: ٣١)

تواري: استتر واختفى. قال الله تعالى: «فقال إنني أحببت حب الخير عن ذكر

ربّي حتى توارت بالحجاب، ص: ٣٢) أي استترت الشمس وتوارى بها غروبها.
و قال : « يتوارى من القوم من سوء ما يشربه، النحل: ٥٩) أي يستخفي
من أجل سوء الميثر به ويحدث نفسه وينظر أي مسكه على هون وذل أم يدسه
في التراب حياً.

١١ - القدح - ١٢٠٣

قدح الزند يقده قدحاً -: من باب منع -: ضربه بحجره ليخرج منه النار
ويقال: قدح بالزند.

قال الله تعالى: «فالموريات قدحاً» العاديات: ٢) وقد أقسم الله تعالى: بالخيّل
التي تخرج النار بضرب الأرض الصخرية بخفافها أدحوا فرها، والمراد بالخيّل خيل
الجهاد وقيل: أريد بالموريات: الأبل

القدح - بالفتح -: مصدر - بالكسر -: السهم قبل أن ينصل ويراش، ومنه
كلام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام استنهضهم
للجهاد فلم ينهضوا: «أثقل ثقل القدح في الجفير الفارغ وإنما قطب الرحي تدور
علي» فالقدح: السهم، والجفير: الكنانة، واستعار لفظ القطب باعتبار دوران رحي
الاسلام عليه.

والقدح - بالكسر -: الميسر أيضاً ومنه الحديث: «كانوا يستقسمون بالقدح»،
وفي حديث قراءة القرآن الكريم: «ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده وأقامه
إقامة القدح، كأنه الذي يستقسم ويلعب به كما يستقسم بالقدح.

وجمع القدح: قدح وأقدح وأقداح.

والقدح - محرّكة -: إناء يشرب فيه ويروى الرجلين أو ثلاثة ومنه يقال:

شربت كأساً لا قدحاً، وفي حديث النبي الكريم ﷺ : « لا تجعلوني كقدح الراكب، أي لا تجعلوني آخر في الذكر لأن الراكب يعلق قدحه في آخرة الرحل بعد فراغه من استصحاب الابهة .

والقدح - محرّكة - أيضاً : إسم من إقتداح النار و من إقتداح الأمر . وقدح في عرضه قدحاً : طعن فيه وعابه وتنقصه . وقدح فلان في فلان : إذا وقع فيه ، و منه قدح في نسبه وعدالته إذا عابهما ، و ذكر ما يؤثر في إنقطاع النسب و ردّ الشهادة ، وقدح في ساق أخيه : غشه ، وعمل في شيء يكرهه .

القدحة - بكسر القاف فسكون ثم الفتح - : إسم للضرب بالمقدحة من اقتدح النار بالزند ، والمقدحة : الحديدية ، والقدحة - بالفتح - : المرة ضربها مثلاً لاستخراجه بالنظر حقيقة الأمر و اقتدح الأمر : دبّره و نظر فيه ، والقدحة - بالكسر - : النوع ، و - بالضم - : من المرق : غرفة منه . والقدح : الغرف ومنه : « أقدحني من برمتك » اغرفني ، والقдах والقداحة - بكسر القاف - : حجر القدح ، وقيل : الحديدية التي يقدح بها .

القداح : متخذ الأقداح وصناعته ، والقدوح : الذّباب ، يقال : هو أطيّش من القدوح الأفرح ، والأقدح أيضاً : الذّباب ، والقدوح : الركيّ تغترف باليد ، وقدوح الرّحل : عيدانه لا واحد لها ، والقديح : المرق ، وقيل : ما يبقى في أسفل القدر فيعرف بجهد يقال : في أسفل البرمة قديح أي بقية مرقه ، والمقداح والمقدح - بكسر الميم فيهما - : حديدية القدح ، والمقدح أيضاً والمقدحة : المغرفة .

القادحة أيضاً : الدودة التي تنخر الشجر والأسنان جمعها : قوادح ، تقول : قد أسرع في أسنانه القوادح ، و حمى قادحة : شديدة الاشتعال .

قدح في القدح : خرقه بسنخ النصل ، وقدح الشيء في صدري : أثّر وقدحت العين : غارت ، وقدح الطبيب العين : أخرج منها الماء المنصب إليها من داخل . و في الحديث : « اتني اريد أن أقدح عيني » أي اخرج فاسد الماء منها من

قدحت العين : إذا أخرجت منها الماء الفاسد ، و قدح الدود في الأسنان والشجر :
 وقع فيها تأكل ، و قدح الشيء : غرفه ، و قدح القدر : غرف ما فيها .
 قاده في كذا : ناظره يقال : جرت بينهما مقادحة : منازعة و مطاعنة ، و
 تقادحا في كذا : تناظرا فيه .

تقادح الشجر : كان رخو العيدان ضعيفها إذا حر كته الريح حك بعضه
 بعضاً ، فالتهب ناراً فإذا قدح به لمنفعة لم يور شيئاً .

في النهاية : في حديث عمرو بن العاص : « إستشار و ردان غلامه و كان حصيفاً
 في أمر علي عليه السلام و معاوية إلى أيتهما يذهب ؟ »

فأجابه بما في نفسه وقال له : الآخرة مع علي عليه السلام و الدنيا مع معاوية و ما
 أراك تختار علي الدنيا ، فقال عمرو :

يا قاتل الله و ردانا و قدحته أبدى لعمر ك ما في القلب و ردان

٤١ - الغور و الاغارة - ١١١٠

غار في الشيء يغور غوراً و غياراً و غؤوراً - من باب نصر نحو : قال - :
 دخل فيه . و غار في الأمر : دقق النظر فيه و جيده ، و منه يقال : غار في الضحك أي
 خفض رأسه في الضحك تارة و رفعه تارة اخرى .

فلان بعيد الغور : متمق النظر وهو بحر لا يدرك غوره ، و منه عرفت غور
 المسئلة : فهمت حقيقتها ، و الغور أيضاً : ما انحدر من الأرض و يقابله النجد . و غار
 في الامور : أدق النظر فيها ، و رجل بعيد الغور : قعير الرأي : جيده .

وفي الحديث : « انه سمع ناساً يذكرون القدر فقال : إنكم قد أخذتم في
 شعبين بعيد الغور » أي يبعد أن تدركوا حقيقة علمه كالماء الغائر الذي لا يقدر
 عليه .

وفي الحديث: «بالعقل يستخرج غور الحكمة وبالحكمة يستخرج غور العقل» أي بالعقل يمكن الوصول إلى كنه الحكمة وبظهور الحكمة من العاقل يظهر ما كان مخزوناً في عقله.

من الحسِّيّ: غور كل شيء: عمقه وقعره وبعده. والغور: الهابط المنخفض من الأرض وهو يقابل النجد والجلس أي ما ارتفع منها.

والغار: الحجر الذي يأوي إليه الوحش، والغار: الكهف، جمعه: أغران و غيران، ومنه حديث يحيى بن زكريا عليه السلام: «فساح و لزم أطراف الأرض وغيران الشعاب» والغار الذي آوى إليه النبي الكريم ﷺ في جبل ثور وهو مطل على مكة قال: «إذ هما في الغار» التوبة: ٤٠ غار حراء و ثور مشهوران. و مثل الغار: المغار والمغارة وهما الموضعان اللذين يغيب ويستتر فيهما الانسان، و ربّما سميت مكانس الظباء مغاراً، و جمع الأخيرتين مغارات... قال الله تعالى: «لويجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلًا» التوبة: ٥٧.

ومن هذا يقال - في قرب - : غار الماء و غور: ذهب في الأرض و سفل فيها، وغارت عينه: دخلت في الرأس وانخسفت، ويقال: غور على الوصف بالمصدر كقولهم: ماء سكب. ومنه يجيء غار بمعنى دخل، وغار بمعنى طلب، وأغار: ذهب، وأغار: شد العدو وأسرع فيه، ومنه أغار على القوم إغارة: دفع عليهم الخيل، والاغارة: مصدر والغارة: إسم. والمغيرات: الخيل جمع مغيرة. قال الله تعالى: «فالمغيرات صبحاً» العاديات: ٣.

وأغار على القوم: دفع عليهم الخيل وأخرجهم من جنابهم بهجومه عليهم، و أوقع بهم. وفي الحديث: «من دخل إلى طعام لم يدع إليه دخل سارقاً و خرج مغيراً» المغير: إسم فاعل من أغار يغير إذا نهب فشبّه دخوله عليهم بدخول السارق و خروجه بمن أغار على قوم ونهبهم.

والغارة: السرقة والنهب والخيل المغيرة: المسرعة، و رجل مغوار ومغاور:

مقاتل كثير الغارات جمعها : مغاوير ، وفرس مغوار : سريع ، وأغار الفرس : إذا أسرع في العدو والاسم : الفارة وشنوا الاغارة : فرقوا الخيل . غارهم الله بخير : أصابهم بخصب ومطر ونفعهم بخير ورزق ، وغار لهم الله وغارهم : أعانهم بخير ورزق ، وغارت الشمس : غربت وغار النهار : اشتد حره . وغار الرجل : نام في نصف النهار ، وغارت النجوم : تسفلت وأخذت بالهبوط والانخفاض بعد ما كانت آخذة بالعلو والارتفاع .

الفور - بالضم - : مكيال لأهل خوارزم إثنى عشر سخيًا ، والفور - كعنب - : الدية ، والفور - بالفتح - : ناحية واسعة ، وقصبتها بيسان ، وذات الغار واد بالحجاز فوق قوران ، والغار : موضع بالشام ، وغور تهامة : ما بين ذات عرق منزل لحاج العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .
والغوري : القمر من كل شيء ، وحبل شديد الفارة أي القتل ، والاغارة : شدة القتل ، وحبل مفار : محكم القتل ، وأغرت الحبل : فتلتته فهو مفار وفارس مفار : شديد المفاصل .

والغار : ورق الكرم ، والغار : ضرب من الشجر ، والغار : نبات طيب الريح على الوقود ومنه السوس ، والغار : الغبار ، والفورة : المرأة والشمس والقائلة أي النائم قبل الزوال ، والتفوير : الهزيمة والطرده ، والفارة : السرة .
وغور الجيش : هزمهم وطردهم ، وغاور العدو : مفادرة : أغار عليهم والمغوار : مبالغ في الغار ، رجل مغوار : يبتغى الفوار أي مقاتل كثير الغارات على أعدائه .

إغتار : إنتفع ، واستغارت الجرحه والقرحة : تورمت .
الغار : الجماعة من الناس ، وقيل : الجيش الكثير يقال : إلتقى الغاران : أي الجيشان وفي حديث الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام : « قال يوم الجمل : ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين » أي الجيشين .

وفي حديث : « من دخل إلى طعام لم يدعه دخل سارقاً وخرج مغيراً » المغير

إسم فاعل من أغار يغير إذا نهب ، شبه دخوله عليهم بدخول السارق وخروجه بمن أغار على قوم ونهبهم .

والغاران: العظمان اللذان فيهما العينان ، والغاران: فم الانسان وفرجه ، وقيل : البطن والفرج ، ومنه يقال : المرء يسعى لغاريه وغار الرجل : نام في

نصف النهار .

المغيرة بن أبي العاص هو الذي أهدر النبي ﷺ دمه لجنابته وطغيانه ، ولعن من يأويه ويطعمه ويسقيه ، ومن يجهزه ويعطيه سقاء ووعاء ورشاء وحذاء ففعل عثمان بن عفان جميع ما لعن به النبي ﷺ ثم أمر به النبي ﷺ علياً عليه السلام فقتله لارحمه الله .

والمغيرة بن شعبة كان والياً في عهد عمر بن الخطاب ، وكان يشرب الخمر و يصلي في الناس جماعة وكان يزيد في الركعات على ما ورد عن طريق العامة أكثر وأكثر من ذلك .

٢١ - الثور والاثارة - ٢١٤

نار الغبار أو السحاب يشور ثوراً و ثودراً و ثوراناً - من باب نصر نحو قال - : ظهر وسطع وهاج وانتشر ، وأثرته : هيجته ونثرته ساطعاً ، وناربه الدم : هاج ، و كل ما ظهر وانتشر من الغبار والسحاب والدخان وما إليها ...

قال الله عز وجل : « فأتروا به نقعاً » العاديات : ٤ أي فهي تجن به غباراً و حر كنه و ذلك من أثر الغارة .

وقال : « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً » الروم : ٤٨ أي تنشر الرياح السحاب .

يقال : نارت الماشية : هاجت ، والثوران : الهيجان ، وأثرت السبع والصيد :

إذا هيجته ، وأثرت فلاناً: هيجته لأمر ، وأثار التراب بقوائمه إثارة : بحثه وثورة من مال كثرة من مال . قيل : ومنه الثروة لكثرتها وتفرقها .

يقال : نادر الجراد : تفرق وانتشر وثار القطا : نهض من مجائمه ، وثار فلان إليه : وثب وأثار الأرض : شققها وقلبها للزراعة أو لغيرها .

قال الله تعالى : « كانوا أشدّ منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها » (الروم : ٩) أي قلبوها للزراعة وعمروها بالفلاحة وإستخراج الماء والمعادن والكنوز ونحو ذلك .

الثور : الذكر من البقر وكنيته أبوعجل ، سمّي بالثور لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة لأنها تبقرها ، والمثورة من الأرض : الكثيرة الثور والمثيرة : البقر تثير الأرض .

قال الله عز وجل : « قال إنه يقول إنها بقرة لأذلول تثير الأرض » البقرة : (٧١) أي قلبها للزراعة ، وجمع الثور : أنوار وثير وثيرة وثيابة وثورة وثيران . وأرض مثارة : إذا اثرت بالسّن وهي الحديد التي تحرث بها الأرض . وفي الحديث : « فرأيت الماء يشور من بين أصابعه » أي ينبع بقوة وشدة . ومنه الحديث : « جاء رجل من أهل نجد نائر الرأس يسئله عن الإيمان » أي منتشر شعر الرأس قائمه .

ومن الاثارة المعنوية : ما ورد في الحديث : « من أراد العلم فليثور القرآن » أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته ، ثوير القرآن : قراءته ومفاتيحة العلماء به في تفسيره ومعانيه .

وفي الخبر : « أنيروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين » يقال : ثور الكتاب : بحث عن معانيه ومحتوياته . . . ومنه : « ثارت بينهم الفتنة وثار به الحصة » وثور الشر : إنتشر . وثار ثائره : هاج غضبه ، وفي الحديث : « يقوم إلى أخيه نائراً فريسته » أي منتفخ الفريضة قائمها غضباً ، والفريضة : اللحمة التي

بين الجنب والكف لا تزال ترعد من الدابة وأراد بها هيئتها: عصب الرقبة وعروقها لأنها هي التي تثور عند الغضب، وثور الغضب: حدته، والثائر: الغضبان، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائرته وثار فائره إذا غضب وهاج غضبه.

الثور - بالفتح فالسكون -: جبل بمكة، وفيه الغار الذي بات فيه رسول الله ﷺ لما هاجر وهو مذكور في القرآن الكريم، وقد نسب إلى هذا الغار ثور بن عبد مناف لأنه نزل به. وثور: أبو قبيلة من مضر وهو ثور بن عبد مناف، وثور القوم: سيدهم ورئيسهم وبه كنيتي عمر وبن معدي كرب أبا ثور، وثور الجامعة: أشهرهم وثور رجالة: كثرة رجال.

الثور: برج من بروج السماء الاثني عشر على التشبيه، والثور: القطعة العظيمة من الأقط، والثور: القوس البقية من التمر تبقى في أسفل الجلة والكعب الكتلة من السم، والأقط هو لبن جامد مستحجر.

الثور: الأحق، ويقال للرجل البليد الفهم: ما هو إلا ثور: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض» إن الفعلين - أكلت وأكل - كلاهما مبنيان للمفعول، وقد أراد الإمام علي عليه السلام بالثور عثمان بن عفان، وجعله أبيض لأنه كان شيباً بياض الشعر.

الثور: السطوح وظهور الدّم، وما علا الماء من الطحلب، والبياض الذي في أصل ظفر الإنسان، وكل ما علا الماء من القماش، والثور: المجنون والثائرة: الضجة جمعها: ثوائر.

سقط ثور الشفق: يريدون به إنتشار الشفق وثورانه أي حمرة ومعظمه.

وفي الحديث: «صلوا العشاء إذا سقط ثور الشفق».

الثأر : هو طلب الدم أصله مهموز العين، فليس من هذا الباب. فقال السجستاني

٨١ - النقع - ١٥٥٦

نقع الرجل ينقع نقعاً - من باب منع - : رفع صوته. النقع : الغبار الساطع يشور في الجو ، و يجمع على نقاع - كبجار - و نقوع - كبجور - وأنقع ، و النقع أيضاً : الصياح ، يقال : نقع الصارخ بصوته : تابعه و أدامه .

قال الله تعالى: «فأثرن به نقعاً» العاديات : ٤) وقد فسر النقع بالتفسيرين : الغبار الساطع الثائر في الجو ، والصياح.

ونقع الماء في المسيل ونحوه واستنقع : اجتمع وثبت و طال مكثه ، يقال : طال إنقاع الماء واستنقاعه حتى إصفر .

و نقع الماء في بطن الوادي : إجتمع فيه و طال مكثه ، و نقع الماء في الغدير : إجتمع و ثبت ، و نقع البئر : ما اجتمع فيها من الماء ، والمستنقع - بفتح القاف - : المكان الذي يجتمع فيه الماء و الموضع من الغدير ينزل فيه الانسان و يفتسل ، يقال : إستنقعت في الغدير : أي تزلت و اغتسلت فيه ، والمنقع - بالفتح - : البحر و الموضع يستنقع فيه الماء ، جمعه : مناقع ... و المنقاع : الاناء ينقع فيه الدواء و النبيذ ، منقع البرم : وعاء القدر .

النقع : الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، و الانقوعة : كل مكان سال إليه الماء من شعب و نحوه ، و انقوعة الميزاب : ما يسيل فيه ، و المنقع - كمنخل - : برمة صغيرة يطرح فيها اللبن و التمر و يطعمه الصبي . و النقع : محبس الماء ، و نقع البئر : الماء المجمع فيها قبل أن يستسقي ، و النقيع : البئر الكثيرة الماء جمعه : أنقعة ، و من جمع النقع أيضاً : نقعان - بضم النون - و النقيع : الماء النافع المجمع ،

والنقع: الماء النافع، ومنه الحديث: «إتقوا الملاعن الثلاث فذكرهن يقعدكم أحدكم في ظل يستظل به أو في طريق أو نقع ماء» وهو محبس الماء ونقع البئر: الماء المجتمع فيها قبل أن يستسقي، وقيل: هو فضل ماء البئر الذي يخرج منه قبل أن يصب منه في وعاء.

وفي الحديث: «نهى أن يمنع نقع البئر» أي فضل مائها لأنه ينقع به العطش أي يروي، وقد فسره الحديث الآخر: «من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاء منعه الله فضله يوم القيامة» وأصل هذا في البئر يحتضرها الرجل بالفلاة من الأرض يسقي بها مواشيه فإذا سقاها فليس له أن يمنع الماء الفاضل عن مواشيه مواشي غيره أو شارباً يشرب بشفتيه، وإنما قيل للماء: نقع لأنه ينقع به العطش أي يروي.

ومنه الحديث: «لا يباع نقع البئر ولا رءه الماء».

وأنقع الماء عطشه: أذهب دسكته، وفي المثل: الرشف أنقع أي الشراب الذي يترشف قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجع وإن كان فيه بقاء، ونقع الماء العطش: سكته وقطعه وأرداه وفي الحديث: «شارب الخمر لا ينقع» أي لا يروي، وفي الحديث: «لم يبق من الدنيا إلا جرعة كجرعة الاناء لو تمزرها الصديان لم تنقع علقته» أي لم يسكن عطشه ولم يرو، ونقع الماء: إصفر وتغير لونه، ونقع فلان في النهر: دخله ومكث فيه يتبرّد.

النقوع: الماء العذب البارد أو الشروب، وما ينقع في الماء من الدواء والنبيذ والنقاع - كسحاب - : إناء ينقع فيه الشيء، والنقيع: شراب يتخذ من زبيب ينقع في الماء من غير طبخ أو كل ما ينقع فيه التمر جمعه: أنقعه. ماء نقيع: فاجع.

وفي حديث الكرم: «تتخذونه زيباً تنقعونه» أي تخلطونه بالماء ليصير

شراباً، وكلّ ما القى في ماء فقد انقع، والنقوع - بالفتح -: ما ينقع في الماء ليلاً ليشرب نهاراً وبالعكس .

نقع فلان فلاناً: قتله، وفي حديث بدر: «رأيت البلياء تحمل المنايا نواضح يشرب تحمل السمّ النافع» أي القاتل، يقال: نقعت فلاناً: إذا قتلتها، سمّ نافع: بالغ قاتل ثابت، سمّ منقع: مربى، ودم نافع: طريّ، ونقع الموت كثر، و نقع الميت: دفنه، وموت نافع: دائم، ونقع روحه: خرج واجتمع في فيه كما يستنقع الماء في مكان قراره، ونقع فلان ريقه: جمعه في فيه، ونقع السمّ في أنياب الحية: اجتمع.

انتقع لونه: تغير من همّ أو فزع أو ألم أو حزن ونحوها، وفي حديث المولود: «فاستقبلوه في الطريق منتقعاً لونه» أي متغيراً، وفي حديث المبعث: «أنه أتى النبي ﷺ ملكان فاضجعا و شقاً بطنه فرجع وقد انتقع لونه».

نقع فلان جيبه: شقه، ونقع الرجل: نحر النقيعة، ونقع القوم نقيعة: ذبحوا من الغنيمة شيئاً قبل القسم، والنقيعة: طعام يصنع للقادم من السفر. وإذا زوج الرجل فاطم عيبته قيل: نقع لهم أي نحر.

النقع: رفع الصوت، نقع الصوت واستنقع: إذا ارتفع، والنقيع: الصراخ، والنقع: صوت النعامة يقال: نقعت النعامة: صات، ونقع فلاناً بالشم: شتمه شتماً قبيحاً، ونقع له الشرّ: أدامه، ونقع فلان فلاناً: ضرب أنفه باصبعه، ونقع البيت: زخرفه أو جعل أعلاه أسفله، والنقوع: ضرب من الطيب، والنقوع صبغ يجعل فيه من أنواع الطيب، يقال: صبغ فلان ثوبه بنقوع، والنقيع: رجل أمه من غير قومه .

النقاع - فعّال - للمبالغة: المتكثّر بما ليس عنده من الفضائل، والنقاع: المتكثّر بما ليس له عنده من مدح نفسه بالشجاعة والسخاء والعلم والثروة

وما أشبهها ، رجل نقوع أذن : أي يؤمن بكل شيء ، و فلان منقوع : يستشفي برأيه .

العنقاء: طائر غريب يبيض في الجبال لم يعرفه أحد بعد.

النقيع : موضع حماء لنعم الفيء وخيل المجاهدين ، فلا يرعاه غيرها وهو موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء أي يجتمع . ومنه الحديث : « أول جمعة جمعت في الاسلام بالمدينة في نقيع الخضات » وهو موضع بنواحي المدينة.

٣٢ - الوسط - ١٦٦٥

وسط الشيء وسطه وسطاً ووسطة - من باب ضرب نحو: وعد :- كان بين طرفيه تقول: وسط الطريق، ووسط القوم: جلس وسطه ووسطهم ووسط المكان: جلس وسطه فهو واسط.

قال الله تعالى: «فوسطن به جمعاً» العاديات: (٥)

وسط الرجل قومه وفيهم وساطة: توسط الحق والعدل.

وسط الشيء - محرّكة -: إسم لما بين طرفيه، وهو المعتدل، يقال شيء وسط: بين الجيد والردىء، تقول: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار، فللوسط طرفان متساويان في القدر، ويقال: ذلك في الكم المتصل بالجسم الواحد، فتقول: وسطه - بفتح السين - صلب، وضربت وسط رأسه، وتقول - بسكون السين - في الكم المنفصل كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم كذا.

ويستعمل الوسط في الفضائل إذ كانت وسطاً بين الرذائل، كالشجاعة فإنها وسط بين الجبن والتهور والسخاء فإنها وسط بين البخل والتبذير وكذا سائر

الفضائل، ثم جعل الوسط وصفاً للمتصف بالفضائل، فصار معناه الخير الفاضل، ورجل وسط: حسن، فكل خصلة محمودة لها طر فان مذمومان، وان الانسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ويتعزى عنه، وكلما ازداد بعداً ازداد تعزياً، ومن شأن هذا أن يكون عدلاً في قضائه وشهادته، وهذا الوصف نظراً إلى أصله يستوي فيه موصوفه، فلا يتغير لتغير موصوفه، يقال: رجل وسط، وأمة وسطاً. قال الله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» (البقرة: ١٤٣).

ان الوسط قدياً تى صفة، وإن كان أصله أن يكون إسماً من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، ووسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكّن الراكب، ومنه الحديث: «خيار الامور أوساطها». وفي الحديث المشهور: «خير الامور أوساطها» ومنه قوله تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (الحج: ١١) أي على شك فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن، فلمّا كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة وذلك في مثل قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» أي عدلاً فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وانه إسم لما بين طرفي الشيء وهو منه. ان أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية البعد عنهما، فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الامكان.

الأوسط: إسم تفضيل من وسط، وائناء: الوسطى، يأتي في معنى الأقرب إلى الاعتدال والقصد والأبعد عن الغلو في الجودة والرداءة ونحوهما، ويأتي في معنى الأفضل إذا كان أوسط الشيء محمياً من العوارض التي تلحق الأطراف. قال الله تعالى: «قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون» (القلم: ٢٨) أي أفضلهم رأياً أو أعدلهم أو خيرهم أو أشرفهم وأحسبهم على ما قيل. وفي الحديث: «أنه كان من أوسط قومه» أي من أشرفهم وأحسبهم. وقال تعالى: «فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم»

المائدة : ٨٩) أي يكون أقرب إلى الاعتدال بين الاسراف والتقثير .

والوسطى : تأتي في معنى الواقعة بين شيئين ، وبمعنى الفضلى كالأوسط .

قال الله عز وجل : « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » البقرة : (٢٣٨)
الوسطى : المتوسطة بين الصلوات أو بين الصلاتين ، ف قيل : هي صلاة العصر لتوسطها
بين صلاتي النهار وصلاتي الليل ، أو الوسطى بمعنى الفضلى وقد اختلف في تعيينها
أيضاً ، وقيل : الصلاة الوسطى : المتوسطة بين الطول والقصر .

وفي حديث الامام الصادق عليه السلام قال : « نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله
على خلقه وحججه في أرضه والرسول شاهد علينا » .

والوسطى - من الأصابع - ما بين البنصر والسبابة ، و أوسط أصابع اليد
والرجل : أطولها غالباً .

وسط الرجل يوسط وساطة - من باب كرم - : صار شريفاً وحسيباً فهو وسيط ،
ومنه حديث رقيقة : « انظروا رجلاً وسيطاً » أي حسيباً في قومه . الوسيط : المتوسط
بين المتخاصمين ، جمعه : وسطاء وهي وسيطة و هو وسيط فيهم أي أوسطهم نسباً و
أرفعهم محلاً . يقال : صار الماء وسيطة : إذا غلب على الطين .

الوسوط - كصبور - من بيوت الشعر : أصغرها ، والوسوط من الابل : التي
تجر أربعين يوماً بعد السنة ، و وسوط الشمس : توسطها السماء ، و دين وسوط :
متوسط بين الغالي والتالي . والواسط : الباب ، و واسطة القداة : الدرة التي
في وسطها وهي أنف خرزها .

أوسط القوم اي ساطاً : دخل وسطهم .

وسطه توسيطاً : قطعه نصفين وجعله في الوسط و صيره وسيطاً ، والبحر
المتوسط : البحر الأبيض ، ويعرف ببحر الروم أيضاً .

توسط القوم والمكان : جلس وسطهم ، وتوسط بينهم : عمل الوساطة ، و
توسط الرجل : أخذ الوسط بين الجيد والردىء ، يقال : هو الواسطة بينهما وهو

واسطة بكذا أي علة ، وبواسطة كذا أي بعلة كذا ، ويقال: فلان في واسطة قومه أي خيارهم .

في المفردات: وسط الشيء : ماله طرفان متساويا القدر و يقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت : وسطه صلب ، و ضربت وسط - بفتح السين - رأسه ، و وسط - بالسكون - يقال: في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم كذا .

الوسط تارة يقال: فيما له طرفان مذمومان يقال: هذا أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومه وأدفعهم محلاً والجود الذي بين البخل والسرف، فيستعمل إستعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة نحو: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » وعلى ذلك: « قال أوسطهم » ، وتارة يقال: فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم: فلان وسط من الرجال تنبيهاً أنه قد خرج من حد الخير .

الوسط - بفتح السين - : إسم وبسكونها ظرف، و كل موضع صالح فيه «بين» فهو بالسكون وإلا فبالفتح .

في النهاية : يقال : بالسكون فيما كان متفرق الأجزاء غير متصل كالناس والدواب وغير ذلك ، فإذا كان متصل الأجزاء كالدّار والرأس فهو بالفتح .

وفي اللسان: الوسط بالتحريك : إسم لما بين طرفي الشيء وهو منه كقولك: قبضت وسط الجبل وكسرت وسط الرمح ، وجلست وسط الدار .

٤٦ - الكنود - ١٣١٩

كند يكند كنداً و كنوداً - من باب - نصر - : قطع ، وكند الشيء : قطعه ، وكند الجبل : إذا قطعه ، والكناد : القطّاع . والكندة - بكسر الكاف - :

القطعة من الجبل، والكنود - من كند - : إذا قطع كأنه يقطع ما ينبغي أن يواصله بالشكر وأداء الحق والانفاق في سبيل البر .

أرض كنود : إذا لم تنبت شيئاً ، وفي الحديث : « أصبحنا في زمن كنود » أي لاخير فيه .

كند النعمة : إذا جحدها و لم يؤد حقها بالشكر فهو كاند ، والكند - كعق - : كافر النعمة ، يقال : رجل كند وامرأة كند ، والكنود : الكفور وصف للذكر والانثى مبالغة في كاند ويدل على الكثرة أو على رسوخ خلق الكنود في نفس الانسان يقال : رجل كنود وامرأة كنود .

قال الله عز وجل : « ان الانسان لربه لكنود » العاديات : ٦) أي شديد الجحود لله تعالى فلا يشكره على نعمه التي لا تحصى ، وآية ذلك عصيانه لربه في أوامره ونواهيه ...

والكنود - بالضم - أيضاً : كفران النعمة .

والكنود - بالفتح - : الكافر واللواط لربه ، والبخيل والعاصي ، والكنود : من يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده . وهو المروي عن النبي الكريم ﷺ . والمرأة الكنود : الكفور للمودة والمواصلة في زوجها وفي ذلك قال الأعشى :

أحدث لها تحدث لو صلك انها
كند لوصل الزائر المعتاد
أي كفور للمواصلة .

قال المبرد : الكنود : المانع لما عليه ، وأنشد للكثير ما قال به الأعشى من البيت الكنود : الذي يعد المصائب وينسى المواب . الكنود : القطاع كالكناد . قال الأعشى :

أميطي تميطي بصلب الفؤاد
وصول حبال و كنادها

كندة - بكسر الكاف - : لقب ثور بن عفير وهو أبو حنيفة من اليمن لأنه كند أباه النعمة ولحق بأخواله وقيل : كان بخيلاً . و كندة - بالفتح فسكون - : ناحية

بخبند من فرغانة توصف نساءها بالحسن والجمال ، وإليها نسب أبو إبراهيم
إسماعيل بن إسحق بن إبراهيم بن يحيى الكندي الفرغاني .
باب كندة : هي أحد أبواب مسجد الكوفة عن يمين القبلة لمن دخل المسجد
مستقبلاً ولعل طوائف من كندة سكنوا هناك فنسبت إليهم .

٥٠ - بعثر - ١٣٤

بعثر الشيء - يبعثره بعثرة وبعثاراً - رباعي من باب دحرج - : قلب
بعضه على بعض ليخرج شيئاً تحته ، ويقال : بعثرت الشيء وبعثرت به : إذا استخرجته
وكشفته . وبعثر الشيء : فرقته ، وبعثر التراب والمتاع : قلبه ، وبعثر الخبر :
بعثه وفتشه .

قال الله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور » العاديات : ٩ أي قلبت
فاخرج ما فيها واثيرت من الموتى وكشفوا ، والمراد : البعث والنشر .
قال الله عز وجل : « وإذا القبور بعثرت » الانفطار : ٤ أي قلب بعضها على
بعض ليخرج ما تحتها بقلب ترابها وإثارة ما فيها وهو من أشراط الساعة أن تخرج
الأرض أفلاذ كبدها . وقيل : أي خرج ما في بطنها من الذهب والفضة ، وخرج
الموتى بعد ذلك وهو من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها .
ويقال : بعثروا متاعهم وبعثروه : إذا قلبوه وفرقوه وبددوه وقلبوا بعضه
فوق بعض ، ويقال : بعثرت حوضي : هدمته وجعلت أسفله أعلاه .

قيل : بعثر : مر كُتب من بعث واثير وهذا لا يبعد في هذا الحرف فإن البعثرة
تتضمن معنى بعث واثير .

والبعثرة : غثيان النفس ، وقولهم : « تبعثرت نفسي » أي جاشت وانقلبت
وغثت يريد عند البعث ، والبعثرة : اللون الوسخ من ذلك .

٤٤ - الحصول والتحصيل - ٣٣٢

حصل الشيء يحصل حصولاً ومحصولاً - من باب نصر - : ثبت وبقي وذهب ما سواه ، يقال : حصل عليه من حقّي كذا أي بقي ، وحصل لي عليه كذا : ثبت ووجب . والمحصول : هو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالمعقول والميسور والمعسور وحصلت الدابة حصلاً - محرّكة - : أكلت التراب فبقي في جوفها ثابتاً ، وحصل الفرس : إشتكى بطنه من أكل تراب النبت .

والحاصل من كل شيء : ما بقي وثبت وذهب ما سواه يكون من الحساب والأعمال ونحوها ، وحاصل الشيء : لقيته ، جمعه : حواصل ، والحاصل أيضاً : ما خلص من الفضّة من حجارة المعدن ، ويقال للمّذي يخلّصه : محصّل ، والمحصلة : المرأة التي تحصّل تراب المعدن ، ومستخرج البشر من المعدن يسمّى محصّلاً . وحصّل الشيء يحصّله تحصيلاً - من باب التفعيل - : أظهره وجمعه وميّزه وحصّلت الأمر : حققته وأثبتته ، والتحصيل : تمييز ما يحصل .

قال الله عزّ وجلّ : « وحصّل ما في الصدور » العاديات : ١٠ أي أظهر ما فيها وجمع كاظهار اللبّ من القشر ، وجمعه أو كاظهار الحاصل من الحساب ، فجمع محصّلاً .

وقال ليبيد :

وكلّ امرئ يوماً سيعلم سعيه إذا حصّلت عند الإله الحاصل

وحصّل النخل : إستدار بلحه وطلعه ، وحصّل الكلام : ردّه إلى محصّوله ، وحصّل الشيء والعلم : حصل عليه ، والتحصيل : إخراج اللبّ من القشور كإخراج الذّهب من حجر المعدن والبشر من التبن .

الحصالة : ما يبقى في الأندر من الحبّ بعد ما يرفع الحب وهو الكناسة ،

والحاصل - محرّكة - والحصالة - بضم الحاء - : ما يبقى من الشعير والبرّ في البيدر إذا نفّس وعزل رديئه ، والحصل أيضاً : ما تنائر من حمل النخلة ، و هو أخضر غضّ مثل الخرز الأخضر الصغار والبلح قبل أن يشتدّ وتظهر تفاريقه الواحدة .

والحصيل : نبات وما حصل من الأموال ، وقيل للحمالة : الحصيل ، والحصيلة : الاسم من التحصيل وهو تمييز ما يحصل ، يقال : ما حصيلتك وما حصائلك أي ما حصّلته ، وسمّي كتاب الحصائل بذلك لادعاء صاحبه أنّه حصّل فيه مافات للخليل .
والحصائل : البقايا الواحدة حصيلة ، والمحصول : الحاصل ، يقال : هذا محصول كلامه أي حاصله وقع موقع إسم الفاعل . وفرّق في الاصطلاح العلمي بين الحاصل والمحصول ، فالأوّل تفصيل بعد الاجمال ، والثاني عكسه .

حوصلة الطير : ما يحصل فيه من الغذاء ، و حوصل الطائر : ملأ حوصلته ، وجمع الحوصل : حواصل . وفي الحديث : « سئلت عن الحواصل التي تصاد ببلاد الشرك » و حواصل الطير : ما يجتمع فيه الحبّ وغيره من المأكول و هي للطير كالعدة للانسان . احوصل الطائر : ثنى عنقه وأخرج حوصلته .

الحوصلة : الشاة التي عظم من بطنها ما فوق سرّتها ، و حوصلة الانسان و كل شيء : مجتمع الثفل أسفل من السرّة ، حوصلة الحوض : مستقرّ الماء في أقضاه ، والحوصلة : أسفل البطن إلى العانة من الانسان ، وقيل : ما بين السرّة إلى العانة . والحصيل : الباذنجان .



﴿ النحر ﴾

١- (والعاديات ضبحاً)

الواو للقسم، و «العاديات»: جمع العادية، إسم فاعل، مجرور بواو القسم، و في نصب «ضبحاً» وجوه: أحدها - منصوب على المصدر لفعل مقدّر أي يضحن ضبحاً. ثانيها - مصدر منصوب في موضع الحال أي أقسم بالعاديات حال كونها ضابحة كقوله تعالى: «أصبح ماؤكم غوراً» المملك: (٣٠). ثالثها - منصوب بالعاديات على الحال. رابعها - منصوب بالعاديات لأنّ العدو - لا يخلو عن الضبح.

٢- (فالموريات قدحاً)

الفاء للعطف، و «الموريات» إسم فاعل من باب الافعال، جمع - المورية، مجرور بحرف القسم، عطفاً على «العاديات» وفي نصب «قدحاً» وجوه: أحدهما - مصدر مؤكّد لأن الموريات بمعنى القادحات. ثانيها - إلى - خامسها - انتصب بما انتصب به «ضبحاً» من الوجوه الأربعة المتقدمة.

٣- (فالمغيرات صبحاً)

الفاء للعطف، و «المغيرات» إسم فاعل من باب الافعال، جمع المغيرة، مجرور بحرف القسم، عطفاً على «العاديات» وفي نصب «صبحاً» وجهان أحدهما - منصوب على الحال أي مصبحة العدو. ثانيها - انّ «صبحاً» ظرف زمان عمل فيه

«المغيرات» فمنصوب على الظرفية أي وقت الصبح باغارة أصحابها، والهاء ضمير الوادي ولم يجر له ذكر هنا.

٤- (فأثرن به نقعاً)

الفاء للتفريع ، و قيل : للعطف على ما قبله ، ولا بأس بعطف «أثرن» وهو فعل على ما قبله وهو صفة لأنه إسم فاعل، وهو في معنى الفعل كأنه قيل: اقسم باللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن، و«أثرن» فعل ماض لجمع المؤنث، وفاعله «العاديات» والنون علامة التانيث.

وفي ضمير «به» وجوه: أحدها- راجع إلى المكان. والمعنى: فهيتجن بمكان عدوهن غباراً. ثانيها- راجع إلى الموضع الذي تقع فيه الاغارة وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجر له ذكر بالتصريح لدلالة الحال عليه كقوله تعالى: «حتى توارت بالحجاب» ص: ٣٢)

ثالثها- راجع إلى العدو والمعنى: فهيتجن بالعدو والاغارة غباراً. رابعها- يعود إلى وقت الصبح أي فهيتجن بذلك الوقت غباراً. خامسها- يعود إلى ميدان القتال المفهوم من مسيرة هذه الخيل العادية. و «نقعاً» مفعول به، نصب بـ«أثرن».

٥- (فوسطن به جمعاً)

الفاء للعطف، ومدخولها فعل ماض كالمتقدم، عطف على «فأثرن»، وفي «به» وجوه: أحدها- في موضع نصب على الحال، والضمير راجع إلى عدوهن أي صرن بعدوهن. ثانيها - راجع إلى ذلك المكان. ثالثها - راجع إلى «صبحاً» والباء بمعنى «في» والمعنى: فصرن في وقت الصبح في وسط جمع. رابعها - راجع إلى «نقعاً» والباء للملازمة أي بالغبار. خامسها- أن الباء سببية، والضمير راجع إلى كل واحد مما تقدم كالضمير المتقدم. سادسها - راجع إلى

الاثارة من «أثرن». سابعها- أن الباء زائدة والضمير في موضع نصب ، مفعول به أى وسطنه.

و في « جمعاً » و جهان : أحدهما - منصوب على الحال . ثانيهما - مفعول به لـ « وسطن » أي فوسطن بر كبا فهن العدو أي الجمع الذي أغاروا عليهم .

٦- (ان الانسان لربه لكنود)

«إن» حرف تأكيد و«الانسان» إسمها، و«لربه» الضمير راجع إلى «الانسان» والجار والمجرور متعلق بـ «لكنود» واللام في «لكنود» ، للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد أي كفور لنعم ربه أو لكنود لربه ، و حسن دخول لام الجر تقديمه على إسم الفاعل ، و إذا كان التقديم حسن دخول لام الجر مع الفعل كقوله تعالى : «الذين هم لربهم يرهبون» الأعراف: ١٥٤ فهنا أولى لأن إسم الفاعل إنما يعمل بالشبه بالفعل ، فإذا ثبت ذلك في المشبه به الذي هو الفعل و هو الأصل فلان يثبت في المشبه و هو الفرع أولى ، والجملة جواب للقسم المتقدم .

٧- (وانه على ذلك لشهيد)

الواو للعطف، و «إن» حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب إسم لحرف التأكيد، وفي الضمير وجهان: أحدهما- راجع إلى «لربه» أي وان ربه على ذلك من ابن آدم لشهيد. ثانيهما- راجع إلى «الانسان» والمعنى: وإن الانسان على كفرانه بربه شاهد متحمل، فيشهد على نفسه بضعفه. و«على ذلك» متعلق بـ «لشهيد».

واللام في «لشهيد» للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد: «ان» والجملة المؤكدة عطف على الجملة المؤكدة المتقدمة.

٨- (وانه لحب الخير لشديد)

الواو حرف عطف، و«ان» حرف تأكيد، والضمير في موضع نصب، إسمها، و

الضمير راجع إلى «الانسان» وفي اللام في «لحب الخير» وجوه: أحدها - أنها بمعنى «من» أي من أجل حب المال لبخيل. ثانيها - بمعنى «على» ثالثها - للتعليل، ومجرورها المضاف إلى «الخير» متعلق بـ «لشديد»، واللام في «لشديد» للتأكيد و مدخولها خبر لحرف التأكيدي: «ان»، والجملة عطف على الجملة المؤكدة المتقدمة الاولى.

٩- (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور)

الاستفهام للانكار، و«يعلم» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الانسان» ومفعول «يعلم» جملة قائمة مقام المفعولين يدل عليه المقام على معنى: أفلا يعلم الانسان ان لكونه تبعة ستلحقه ويجازى بها، وقيل: إن قوله تعالى: «إن ربهم بهم يومئذ لخبير» قائم مقام المفعولين، وقد كسر حرف التأكيدي للفصل. ثم استوف فصيل: «إذا بعثر ما في القبور الخ» تأكيداً للانكار. وفي عامل «إذا» وجوه: أحدها - أن العامل في «إذا» قوله تعالى: «يعلم» ثانيها - أن العامل في «إذا» مادل عليه قوله تعالى: «إن ربهم بهم يومئذ لخبير» والمعنى: إذا بعثر جوزوا ثالثها - العامل في «إذا» قوله تعالى: «بعثر» ولا يعمل فيه «يعلم» إذ لا يراد به العلم من الانسان ذلك الوقت، إنما يراد به العلم منه في الحياة الدنيا، ولا يعمل فيه «خبير» لأن ما بعد «ان» لا يعمل فيما قبلها، إذ لو قلت: يوم الجمعة إن زيدا لقائم لم يجز إلا على كلامين، واضمار عامل «يوم» كأنك قلت: إذ كرى يوم الجمعة ثم قلت: إن زيدا لقائم، فلا يعمل فيه قائم البتة.

و«بعثر» فعل ماض، رباعي، مبني للمفعول، و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل نيابي أ «بعثر» و«في القبور» جمع القبر متعلق بمحذوف، وهو صلة الموصول.

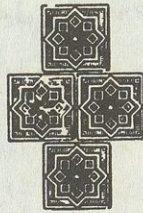
١٠- (وحصل ما في الصدور)

الواو للعطف، و«حصل» فعل ماض من باب التفعيل، مبني للمفعول، و «ما» موصولة في موضع رفع، فاعل نيابي أ «حصل» و «في الصدور» جمع الصدر متعلق

بمحذوف، وهو صلة الموصول.

١١- (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

«ان» حرف تأكيدي، و«ربهم» الرب المضاف إلى ضمير الانسان باعتبار المعنى،
إسم لحرف التأكيد، و«بهم يومئذ» كلاهما متعلقان ب«خبير» وجاز أن يعمل ما بعد
اللام فيما قبلها هيهنا لأن اللام في تقدير التقديم، فجاز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها
بخلاف «إن»، وذلك ان التقرير في اللام أن تكون في الابتداء، وإنما دخلت في الخير
لدخول «إن» على الابتداء، فعمل الخبر فيما قبله، وإن كان فيه لام على أصل حكم
اللام في التقدير قبل الابتداء.



﴿البيان﴾

١ - (والعاديات ضبحاً)

قسم رباني بخيل الغزاة في سبيل الله، وخيل الجهاد لردع الطفاة بالخصوص، وهي تعدو عدواً شديداً تسمع أصوات أنفاسها، أشبه بأنفاس الانسان وهو يلهث أثناء الجري... وسمي «ضبحاً» حكاية لصوت الخيل الذي يشبه صوت هذا اللفظ عندالنطق به «ضبح».

إن الله عز وجل أقسم بالخيل المتصفة بصفاتھا التي ذكرھا بالأعمال التي سردها لينوّه بشأن الخيل وما إليها من القوى الدفاعية، و يعلى من قدرھا في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ليعنوا بقنيتها وتدريبھا على الكر والفر وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسيّة والتدريب على ركوب الخيل وما إليها والإغارة بها ليكون كل واحد منهم مستعداً في أي وقت لأن يكون جزء من قوة الأمة إذا اضطرت إلى صدّ العدو أو بعثها باعث على كسر شوكته.

وفي آيات أوائل السورة، وفي قوله جل وعلا: «و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الأنفال: ٦٠) وفيما نزلت الآيات القرآنيّة، والروايات الواردة في ذلك مما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدّمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل وما إليها من القوى الدفاعيّة، ويبعث القادرين منهم على قنية الخيل وما إليها على التنافس في عقائلها، وأن يكون في السباق عندهم يسبق بقيّة الفنّون إتقاناً مما لا ينبغي أن يخفى.

ان المقسم به هنا هو الخيل في حال عدوها، حاملة فرسانها إلى معركة القتال ، وهي تعدو ضابحة، وهي تورد في عدوها نارا تنقذ من إحتكاك حوافرها بالحجارة التي تعدو عليها، وقيل: إن في هذا ما يشير إلى أنها تسير تحت جناح الظلام بفرسانها حتى لا تراها عين العدو، وحتى لا يندربها هذا العدو ويأخذ حذره من المفاجأة حين تطلع عليه على غير إنتظار ، ولهذا يظهر هذا الشر الذي ينقذ من إحتكاك حوافرها بالصوت أن ... كما يقول الشاعر في وصف سيوف الأبطال في الحرب :
تقد السلوقي المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نار الجبابه

فاذا بلغت الخيل المكان الذي تشرف به على عدوها، أمسكت عن السير حتى تهجم عليه وتبغته على حين غفلة منه، مع مطلع الصبح قبل أن يدب ديب الحياة في الأحياء ... فهذه ثلاثة أقسام بالخيل في مسيرتها نحو معركة القتال ، فاقسم الله جل وعلا بها ، وهي في أوّل طريقها إلى القتال ، ثم أقسم بها ، وهي تكيد للعدو ، فتسير إليه ليلاً ، وتستخفي نهاراً ، ثم أقسم بها وهي تلقى العدو بغتة مع أوّل النهار . وفي هذا تعظيم لمسيرة هذه الخيل في كل حال من أحوالها، وإنها لجدير بها أن تكون خيل المؤمنين ، التي تسير هذه المسيرة المباركة للجهاد في سبيل الله جل وعلا وإن هذا التدبير لجدير أن يكون من تدبير المؤمنين في لقاء العدو ، فيلقون عدوهم بالعدد والعدد ، وبالتدبير والمكيدة ، وبهذا يكتب لهم القلب و يتحقق لهم النصر .

٢ - (فالموريات قدحا)

وصف ثان عام للقوة الدفاعية بإيقاد الشرارة والشعلة والنار بسبب الحك الشديد بالشئ الصلب لبعث الشرر ، فلا يختص بالخيل والإبل .

٣ - (فالمغيرات صبحاً)

صفة ثالثة للقوة الدفاعية ، قيل: هي صفة أصحاب الخيل ونسبتها إلى الخيل مجاز، وفي إسناد الاغارة التي هي مباغته العدو للنهب أو القتل أو الاسر إلى جياذ

الخييل وما إليها ، وهي حال صاحبها ايدان بأن الخيل و ما إليها هي العمدة في إغارتهم ، وذلك لولا القوة والدفاعية لكل اسرة أوامة لتخل بأقل من الدس .
مضافاً إلى أن لاعدل بلاقوة منفذة و رادعة كما أن القوة بلاعدل ظلم و فساد ، فيجب على المسلمين العناية بها لصيانة الحق والعدل من عبث المعتدين .
٤ - (فأترن به نقعاً)

إلغات إلى موقف القوة الدفاعية ، وقد دخلت ميدان القتال ، إنثها تثير فيه الغبار بسرعة هجومها ، وتنقل ركبانها عليها بين كر و فر و محاورة ومداورة إنتهازاً للفرصة التي تمكّن من العدو و تصيبه في مقاتله .
وفي تخصيص الاثارة بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر الثوران بالليل ، فاطعنى :
فهيتجن بالعدو والاغارة والهجوم بغتة غباراً وقت الصبح .

٥ - (فوسطن به جمعاً)

في الفاءات الأربع من الدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من أن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو للهجوم على الأعداء في مأمنهم ليقعوا المهابة فيهم و يخسروهم معنوياتهم في البداية و يخسروهم أنفسهم في النهاية ، وفي ذلك من فنون الحرب والغلبة ما لا يخفى على الغازي الخبير .

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن القوى الدفاعية من الخيل وما إليها وإن جاءت فرادى وهي متجهة إلى معركة القتال ، وميدان الحرب ، فانثها لا تشبك مع العدو في الحرب إلا مجتمعة ، حيث يضرب المغيرون عليهم عدوهم بيد مجتمعة قوية متمكنة ، وإشارة أخرى إلى أن هذه القوى إنما تدخل المعركة بركبانها ، وتهجم على قلب العدو ، وتدخل في كيانه ، لا أنثها تخطف الخطفة من بعد دون أن تلتحم بالعدو وتختلط به .

وفي العطف بالفاء في الفعلين الأخيرين : « فأترن - فوسطن » إشعار بأنهما

من أفعال تلك القوى الدافعية، وأنهما داخلان في حيز القسم بها، فالتقدير :
فالمثيرات به نقعاً، فالتوسطات به جمعاً .

وكل ذلك تخطيط للحرب، ولما ينبغي أن يكون من تدبير جيش المسلمين
في لقاء العدو، فهو درس بليغ في الحرب يأتي عرضاً، فيكون أثره أبلغ وأوقع
من الدرس المباشر الذي يواجهه الإنسان مواجهة الاستاذ لتلميذه... فلقد جاء
العرض للمخيل وركبائها وأفعالهم في الحرب، والمسلمون محصورون في مكة
واقعون تحت قبضة المشركين، لا يدور في تفكيرهم أبداً أنهم سيكونون يوماً هم
فرسان هذه الخيل، وهم جنود الله، تعدو بهم هذه العاديات إلى الجهاد في سبيل الله
تعالى فيمكن الله لدينه بهم في الأرض، ويقيم بهم دولة الإسلام!

٦ - (ان الانسان لربه لكنود)

جواب للمأقسام الثلاثة المتعقبة، إخباراً عما في طبع أكثر الناس من إتباع
الهوى والانكباب على عرض الدنيا ومتاعها، والانقطاع به عن شكر ربهم على ما
أنعم عليهم، وعن أداء حقه بالامساك والبخل وصرها فيما لا يجوز، ولذلك جاء
الحكم مطلقاً إذ ليس في الناس إلا قلة قليلة تعرف فضل الله عز وجل عليها وإحسانه
إليها، وإلى هذا يشير قوله تعالى: « وقليل من عبادي الشكور » (سبأ: ١٣) فالمراد
بالإنسان هو المتصف بالكنود لا كل أفراد .

فآية الكريمة تنديد بالذين يعرفون نعم الله تعالى عليهم ثم ينكرونها قلباً
أو قولاً أو عملاً، وفيها زجرهم عن هذه الأخلاق الذميمة وحملهم على الاعواء
وتذكيرهم بنعم ربهم عليهم، وفيها تعريض للقوم المغار عليهم، فكأن المراد
بكنودهم كفرانهم بنعمة الاسلام التي أنعم الله تعالى بها عليهم، وهي أعظم نعمة
أوتوها فيها طيب حياتهم الدنيوية، وسعادة حياتهم الآخوية الأبدية: « قل لا
تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان » (الحجرات: ١٧)
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »

المائدة : ٣) .

وفي تقديم الجار «لربّه» على متعلّقه : «لكنود» من إفادة التخصيص ورعاية الفواصل، مزيد تقريع يعنى انّ هذا الانسان التابع لهواه هو لنعمة ربّه خصوصاً لشديد الكفران ، فكيف نعمة غيره مثل الأيوين وغيرهما .

وفي الآية الكريمة من التأكيدات الثلاث بحر في التأكيد وبالجملة الاسمية ما لا يخفى على الأديب الأريب .

٧ - (و انه على ذلك على شهيد)

تحذير وتنديد بكنود الانسان وإستدعاء له أن يستحضر وجوده وبحاسب نفسه فسيرى - إن كان على علم وحق - أنّه مقصّر في حق الله جلّ وعلا ، وجاحد لفضله عليه إذ يشهد عليه آثار أفضاله تعالى، وفي الآية كالسابقة والتالية من التأكيدات الثلاث ما لا يخفى .

٨ - (و انه لحب الخير لشديد)

إخبار أيضاً عما في طبع الانسان من حب الدنيا ومتاعها وهو رأس كل خطيئة فهو يراه خيراً في حيوة حياته في الدنيا فيبخل به ويبالغ في إمساكه ، وهذه طبيعة الانسان ما لم يخالط قلبه الانسان فيغيّر من تصوّراته وقيمه وإهتماماته ويحيل كنوده إعترافاً بفضل الله جلّ وعلا شكراً بالکفران، انه يظلّ مرتكساً في حماة الأرض سجيناً في سجن اللذات ما لم يتحرّر بالایمان والهدى عن حب اللذات إلى حب خالق الذوات واللذات ، فلا بأس بحبّه شريطة أن لا ينسى الوقوف بين يدي الله تعالى للحساب عليه ، وإلا أخذ بأقسي العقوبات ...

وفي الآية الكريمة تنديد باستغراق الانسان في حب المال ، وإنذار له عليه ، حبّه الشديد لتحصيل المال والاستكثار منه هو آفته التي تنسيه فضل الله عزّ وجلّ عليه ، فيغشط حقوق الله تعالى ويعمى عن وجوه الانفاق في سبيل الله جلّ وعلا ، وفي التعبير عن المال بلفظ الخير - إشارة أنّه خير في ذاته ولكنّه قد يتحوّل في أيدي

كثير من الناس إلى شرٍّ مستطير يحرق أهله .

وفي وصف الانسان بهذا الوصف بعد وصفه بالكنود ايماء إلى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال ، فتمسك نفسه ، ولا تنفق في وجوه البر .

٩ - (أفلا يعلم اذا بعث ما في القبور)

كناية عن بعث الناس وخرجهم من قبورهم يوم القيامة ، على طريق تساؤل في معرض الاستنكار والإنذار والتهديد والتوبيخ والتخويف بالعلم التام الأزلي الأبدي الشامل لأحوال مبدأ الانسان ومعاده ، والتحذير من كنوده وحبته المال بأن ما عمله سيجازى عليه يوم القيامة ، والتذكير عما إذا كان الانسان لا يعرف ان الله عز وجل هو محاسبه على ما يقدم من عمل حين يبعث من قبورهم فيواجهون بأعمالهم . . .

والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أي أيجحد هذا الانسان ويكند ويمسك ويقطع ما ينبغي أن يواصله بالبر وسعيه أو لا يلاحظ فلا يعلم حاله ولا يعلم ، وفي حذف مفعول : «يعلم» استدعاء للعقل أن يبحث عن هذا المفعول ، وأن يستدل عليه ، وفي هذا ما يدعوه إلى إعمال فكره ، فيجد العبرة والعظة . . . أي أفلا يعلم ما يكون في هذا اليوم ؟ إنّه لو علم لكان له مزدجر عن غيئه و ضلاله .

١٠ - (و حصل ما في الصدور)

كناية عن مواجهة الناس بما حفظ عنهم وسجل عليهم من أعمال ونوايا ، فيرونها عياناً بين أيديهم فلا يستطيعون على إنكارها .

قيل : ولم يقل : «ما في القلوب» بدل «ما في الصدور» لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله جل وعلا ، وإنّما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلّها ما يقرب من الصدر .

١١ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

تذكير لهم بالآخرة ، وتحذير لهم من أعمالهم الفاسدة ونواياهم الكاسدة ، لإحاطة الله تعالى بها فليسوف يظهر لهم جلياً ان الله عز وجل خبير بهم وبأعمالهم ، فيحاسبهم عليها ويجازيهم في الدار الآخرة ، فإن الإنسان متى علم أن خالقه يرى جميع أعماله ويعلم جميع خفاياه وأسراره ويحقق ذلك لا بد أن ينزجر عن المعاصي ...

فآلية الكريمة تعقيب على السؤال المتقدم : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور » أي فإذا لم يكن الإنسان يعلم ماذا يكون في يوم القيامة فليذكر هذه الحقيقة المطلقة التي ينادي بها في الوجود كله وهي حقيقة ثابتة : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » فإذا علم هذه الحقيقة وآمن بها ، علم ماذا يكون عليه حاله يومئذ ، إن ربّه الذي يعلم كل شيء ، قد علم ما كان منه في الحياة الدنيا ، وأنه محاسبه على ما عمل ، فليس الظرف في قوله عز وجل : « ان ربهم بهم يومئذ لخبير » قيد لعلم الله تعالى وحصره في هذا اليوم ، بل إن علم الله بما يعمل الناس هو علم دائم متصل ، ولكن علمه جل وعلا في هذا اليوم بأعمال الناس ونواياهم يقتضي محاسبتهم عليها ، جزاءهم بما عملوا ، فهذا يوم الجزاء لعمل كل عامل .

ومن المعلوم أن الله تعالى عالم بعباده وبأعمالهم وخفاياهم في كل وقت ومكان لا يومئذ فقط ، ولكن التقيد لأجل الجزاء يوم ذاك على حسب العلم بالأعمال والأقوال والأحوال وإليه المصير والمآب .

فان تسئل : إن الله تعالى لخبير بما في قلوب العباد وبأعمالهم في كل حال إذ قال : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً » (الاسراء : ٩٦) وقال : « بل كان الله بما تعملون خبيراً » (الفتح : ١١) وقال : « هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة » (المجادلة : ٧) فما وجه تخصيص ذلك بذلك اليوم ؟

تجيب عنه - إجمالاً - : ان "المقام ليس بصدد بيان علمه الشامل ، بل المقام في صدد علمه جل وعلا بأحوال العباد وبأعمالهم يوم التناد ، فهو يجازيهم على ما يتعلق بهم من الأعمال والنوايا ، فالعلم مجاز عن المجازاة ، ويقرب منه قوله تعالى : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » غافر : ١٦-١٧) وقيل : إن تقييد العلم بذلك الزمان حيث قال : « يومئذ » وهو عالم بأحوالهم أزلاً وأبداً والتعبير عن مجازاتهم على ما كسبت أيديهم بالخبرة بهم والعلم المحيط بأعمالهم هو التوبيخ والتهديد بهم كما أنك تقول لشخص في معرض التهديد : سأعرف لك عملك هذا مع أنك تعرفه الآن قطعاً ، ولا يخفى عليك منه شيء ، وإنما عرفانه الآتي هو ظهور أثر المعرفة وهو مجازاته بما يستحق ، فكأنه تعالى قال : ان من لم يكن عالماً في الأزل فإنه يصير بعد الاختبار عالماً ، فالذي هو عالم في الأزل كيف لا يكون خبيراً بهم في الأبد ، فمن كان خبيراً في الأزل والأبد بأحوال العباد فكيف لا يجازي كل عامل بما استحق .

وفي الآية الكريمة من تأكيدات ثلاث بأداتي التأكيد والجملة الاسمية ، ومن إضافة الرب إلى ضميرهم المنبئ إلى التربية الشاملة ما لا يخفى ، وفي تقديم « بهم يومئذ » على متعلقه : « لخبير » لرعاية الفواصل ، و ان اللام غير مانعة من ذلك لتقدمها رتبة .

وفي تلوين الافراد بالجمع - نظراً لمعنى الانسان - دلالة على شمول علمه عز وجل بجميع ما في صدور العباد وبأحوالهم وأعمالهم . . . مؤمناً أم كافراً ، ذكراً أو أنثى ، خيراً أم شراً ، صغيرها أو كبيرها .

﴿الاعجاز﴾

واعلم أن هذه السورة مع قصرها معجزة على جهات عديدة:
الاولى : من جهة الاسلوب والتنسيق، ومن التنويه بشأن ما يدافع به عن
 حوزة الحق وأهله، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون
 كل واحد منهم مستعداً في أي وقت للدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين ، كما
 أشار تعالى في سورة «العصر» إلى الايمان وصالح العمل، والتواصي بالحق والتواصي
 بالصبر تجاه إحقاق الحق وسبيله.

وهذه أركان اربعة لسعادة الانسان وفلاحه ، وسلامة المجتمع وصلاحه ولا
 يمكن بنيلها إلا بالقوة الدفاعية عن حوزتها، فانها بلامدفع تنحلّ بقليل من
 الدسّ، إذ لا عزّة مع الضعف، ولا ايمان بغير القوة ، وإثما العزّة والقوّة في
 المادّة والروح معاً، وليس المؤمن من صغرت نفسه، وضؤل شخصه، وأمسك من دنياه
 بقبض الريح منها.

كفاك فضلاً لهذه القوة عناية الله جلّ وعلا لها أن يقسم بها قسماً بالمسرعات
 في سبيل الله تعالى، قسماً بالمناضلات في معركة الشرف والكرامة، وقسماً بالطاقات
 والخطوات المجيدة في ميدان الدفاع عن كيان الحق وأهله ، و خضد شوكة
 الاعداء و صدّ عدوانهم ، سواء أكانت هذه القوى الدفاعية خيلاً وإبلاً - كما
 تناسب زمن نزول السورة - أم دبابات و طائرات و أشباهها - كما تناسب

الأزمان - يدافع بها الانسان عن نفسه و نفيه ، ويدافع بها الامة الاسلامية عن شريعة الله جلّ و علا و عن أرضها و عرضها في كل وقت و مكان ، فان شريعة الدّفاع لا تختصّ بزمن الخيل والابل ، و لذلك أشارت السورة إلى القسمين كليهما إذ أخذت مثالا : « العاديات ضبحاً » زمن نزولها ، ثم وصفتها بما لا تختصّ بالخيل والابل في قوله عزّ وجلّ : « فالموريات قدحاً و المغيرات صبحاً » فأتى به نقعاً فوسطن به جمعاً فان هذا الكتاب كتاب خالد نزل لكل زمن لازل من نزوله فحسب.

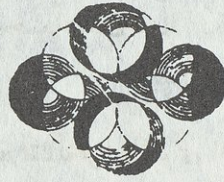
فيجب على المسلمين أن يتسلّحوا بالقوى الدّفاعيّة المناسبة لكلّ وقت لهذه الأغراض كما أمرهم الله جلّ و علا به في قوله : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم و آخريين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (الأفقال: ٦٠)

الثانية : من ناحية التنبيه الموجه إلى واقع أكثر الناس تجاه هذه الدّعوة فوق كمانه جدّاً كما عليه المنافقون في كلّ زمان بفداء الحق و أهله بالدنيا لا ستغرافهم في حبّ المال و ما إليه مما ليس فيه إلّا خسران مبين في قوله تعالى : « انّ الانسان لربه لكنود و انّه على ذلك لشهيد و انّه لحبّ الخير لشديد » .

الثالثة : من جانب تضمّن السورة إخباراً لرسول الله الأعظم ﷺ بما يجري في غارة سرية يبعثها بعد ذلك على الأعداء و إمعانها فيهم فوق علي ما أخبر به .

والرابعة : من جهة الاخبار بما سيقع في الدار الآخرة لحدث الانسان على ما هو الغرض و القصد منه منها ، و دليل صدق الأخير هو الثلاث الاولى . و بالجملة : ففي الآيات الخمس الاولى من الايماء إلى تجهيز القوى للدّفاع

عن الحق وإعلاء كلمته، وإلى قواعد الحرب والغلبة على الأعداء، كما أن في الخمس
الآخرى من الأيماء إلى من يتكاسل ويتواني في ذلك، وما يتعلق به، مختتماً بأن الله
تعالى لخبير بهم وبهم ما لا يخفى على الغازي المدافع، ولا على المصلح السياسي، ولا
على المتدبر الاجتماعي.



* التكرار *

واعلم أن خمس سور قرآنية يشتمل كل واحد منها على إحدى عشرة آية:
 ١- سورة الجمعة. ٢- سورة المنافقون. ٣- سورة الضحى. ٤- سورة العاديات. ٥-
 سورة القارعة.

ونحن نشير في المقام إلى صيغ إحدى عشرة لغة -أوردنا معانيها اللغوية على
 سبيل الاستقصاء في بحث اللغة- الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور
 القرآنية:

١- جاءت كلمة (العدو) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ١٠٦ مرة.
 ٢- » » (الضُّبْح) » » : مرة واحدة :
 وهي في هذه السورة: (١).

٣- » » (الورى) » » : ٥٠ مرة .

٤- » » (القدح) » » : مرة واحدة :

وهي في هذه السورة: (٢).

٥- » » (الفور) » » : خمس مرات :

١- سورة الكهف: (٤١) ٢- سورة الملوك: (٣٠) ٣- سورة التوبة: (٤٠ و ٥٧)
 ٥- سورة العاديات: (٣).

٦- » » (الثور) » » : خمس مرات :

١ و ٢- سورة الروم: (٩ و ٤٨) ٣- سورة العاديات: (٤) ٤- سورة البقرة: (٧١)

٥- سورة فاطر: (٩).

٧- » » » (النقع) : مرة واحدة :

وهي في هذه السورة: (٤).

٨- » » » (الوسط) : خمس مرات :

١ و ٢- سورة البقرة: (١٤٣ و ٢٣٨) ٣- سورة المائدة: (١٩) ٤- سورة القلم: (٢٨)

٥- سورة العاديات: (٥).

٩- » » » (الكنود) : مرة واحدة :

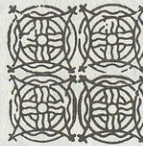
وهي في هذه السورة: (٦).

١٠- » » » (البعثر) : مرتين :

إحداهما - في سورة الانفطار: (٤) ثانيهما - في سورة العاديات: (٩).

١١- » » » (الحصول والتحصيل) : مرة واحدة :

وهي في سورة العاديات: (١٠).



﴿ التناسب ﴾

و اعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فإن هذه السورة نزلت بعد سورة « العصر » فلما اشير في السورة السابقة إلى ما فيه نجاة الانسان وصلاحه ، وسعادته وفلاحه من الايمان ، وصالح العمل ، ومن التواصي بالحق والصبر على ذلك والاستقامة على إحقاق الحق ، أشار في هذه السورة إلى ما يحق به الحق ويدافع به عن حوزته ، و إلى التنويه بشأن ما يدافع به ، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون كل واحد منهم مستعداً في أي وقت للدفاع ، فإن الحق بلا مدفع ينحل بقليل من الدس .

و أما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور أهمها أمران : أحدهما - أنه لما اشير في السورة السابقة إلى رؤية الناس أعمالهم يوم القيامة بلا خفاء ذرة منها عليهم ، خيرها وشرها ، صغيرها وكبيرها ، و جزائهم عليها ، اشير في هذه السورة إلى أن أكثر الناس لربهم لكنود ، فيؤثرون الشر على الخير ، والحياة الدنيا الزائلة على الدار الآخرة الباقية ، فلا يستعدون لحياتهم الثانية بتعويد أنفسهم فعل الخير ، فيتركون ما فيه خيرهم و صلاحهم واقعاً لحبهم

الشديد إلى ما فيه شرّهم في الواقع، وانّهم يزعمون أنّه خير لهم .
قال الله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم » البقرة : ٢١٦ .

وقال : « ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل
هو شرّ لهم » آل عمران : ١٨٠ .

وليسوا هم وحدهم شاهدين على أعمالهم، بل الله عزّ وجلّ بهم يومئذ لخبير
لا يخفى عليه خافية ، لا يخفى عليه النوايا وما في صدورهم فضلاً عن الظواهر والأفعال
المعمولة .

ثانيهما - أن الزلزلة التي تزلزل الأرض يوم البعث ، والأرض التي تخرج
أنفالها من جوفها على ظهرها، وصدور الناس أشتاتاً من قبورهم إلى موقف الحساب ،
والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين ، وفزع الكافرين وفرارهم وسرور المؤمنين
والحاق بعضهم ببعضهم ... كل ذلك تمثله صورة واقعة في الحياة نجدها حين تقوم
حالة حرب بين الناس ، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة
القتال ، بما يركبون من خيل ، وما يحملون من عدد القتال ، وهم يصدرون من
بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدو ، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق
حتّى يبلغوا ساحة الحرب ...

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات و وحدانا
هكذا يوم الحرب ، أنّه من يوم الحشر قريب في أهواله وشدائده وما يلقى
الكافرون و أذناهم منه من هول وفزع و شدة و فرار ... ، ففي ميدان الحرب
حساب و جزاء ، و في معركة القتال ربح و خسران و هول وفزع و سرور و فرح
يشمل المحاربين جميعاً ، فالجرب و ميدان القتال في الحياة الدنيا هي أقرب شيء
يمثّل به المحشر والحساب والجزاء في الدار الآخرة ، ولهذا جاءت سورة « العاديات »
تالية سورة « الزلزلة » لهذه المشابهة التي بينهما .

و أما الثالثة : فلمّا أقسم الله جلّ و علا بثلاثة أشياء : « العاديات » و « الموريات » و « المغيرات » جعل جوابها أيضاً ثلاثة أشياء : من كنود الانسان لربه ، وشهادته على عمله ، و كونه شديداً للحب بما فيه خيره بزعمه وليس كذلك . و تدبّر في ثلاثة أقسام بالخيل و ما إليها في مسيرتها نحو الحرب إذ أقسم بها و هي في أوّل طريقها إلى القتال ، ثم أقسم بها و هي تكيد للعدو ، فتسير إليه ليلاً و تستخفي نهاداً ، ثم أقسم بها و هي تلقى العدو بغتة مع أوّل النهار .

و أمّا التناسب بين القسم و المقسم به فإنّ المقام مقام الجهاد في سبيل الله تعالى و الدفاع عن حوزة الحقّ و أهله ، و انّ الجهاد تعقبه الغنائم غالباً ، و قد قال رسول الله ﷺ : « إنّ أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا . . . » و في حديث آخر : « انّ الدنيا خضرة حلوة و انّ الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون » .

ولقد غزا المسلمون و انتصروا و فتحت لهم الدنيا و نالوا الغزّ و الغنى و المال فالله تبارك و تعالى يذكر هؤلاء الغزاة و من ينحون نحوهم من بعدهم في ضمن نوع الانسان قائلاً ما معناه : إيّاكم أيّها الغزاة أن تقصدوا جمع المال ، فانه يوشك أن يكون حائلاً بينكم و بين الفضائل ، فتعاقبوا يوم القيامة ، و هذا تحذير بلطف و إرشاد على طريق الاشارة ، لأنّه ليس بجدير أن يكون القوم مجدّين في الجهاد و يدافعون عن حوزة الحقّ و أهله و كسر شوكة الأعداء فيقال لهم : ستحاسبون على النعم ، بل يكتفي بالتلميح ، ثمّ انّ ما خاف النسيب الكريم ﷺ قد تمّ فعلاً إذ أصبحت الامّة الإسلامية متحاربة متقاطعة متدابرة ، و أصبح بأسهم بينهم شديداً ، و فرق حبّ المال جمعهم ، و تحاربوا على الملك ، لأنّ الملك يأخذ من المال ما يشتهي ، ثمّ انّ كل عقاب في الآخرة يتقدّمه عذاب الدنيا أصلح الله جلّ و علا امورهم و أعاد عزّهم الإسلامي بحقّ محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

ثم أتبع ذلك باستفهام إنكاري توبيخاً ووعيداً و تذكيراً لهم بالبعث و ما
يكشف ما في صدورهم ، وليسوا هم وحدهم شاهدين على ذلك فينكرون يومئذ
ما عملوا في الحياة الدنيا ، بل الله عز وجل بكل ما في صدور العباد و بأعمالهم
يومئذ لخبير فلا يستطيع أحد بانكار متعلقاته ...



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً
أو متشابهاً فأياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿تحقيق في الأقوال﴾

١- (والعاديات ضبحاً)

في «العاديات» أقوال: ١- عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع وعطاء وعكرمة: هي الخيل التي يغزو عليها المؤمنون الكفار، والضبح من الخيل: الحممة، ومن الابل: التنفّس. والمعنى: الأفراس تعدو - في سبيل الله فتحمحم. ٢- عن ابن عباس أيضاً وابن مسعود والسدي: هي إبل حين ذهبت إلى غزوة بدر تمدّ أعناقها في السير وسمّيت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي. ٣- قيل: هي إبل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى يوم النحر.

قالت صفية بنت عبدالمطلب:

ألا والعاديات غداة جمع بأيديها إذا سطح الغبار

والعاديات جمع العادية من العدو وهو الجري، فتتنفّس في إرتفاعها بر كبانها من الجمع إلى المنى يوم النحر.

٤- قيل: العاديات من العدو وهو الجري السريع، فيشمل خيل الغزاة التي تعدو لقتال الكفار لكيان الاسلام ونواميس المسلمين، ويشمل الابل والسيارات و الدوابات تسرع في الحركات...

أقول: وعلى الأول جمهور المفسرين، ومن غير بعيد أن تكون الأقوال من

قيل بيان المصديق باعتبارات ومناسبات فتدبر جيداً.

وفي «ضبحاً» أقوال: ١- عن قتادة وأبي صالح: الضبح: الحمحمة. وعن الفرّاء: الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدون. وعن ابن عباس: ليس شيء من الدواب يضح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما يضح هذه الحيوانات إذا تغيرت حالها من فزع أو تعب أو طمع. وقيل: الضبح: صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، بل هو صوت نفس حينما تر كض وتعب. وكان ابن عباس يصف الضبح: اح اح. وهو صوت أجواف الخيل إذا عدت. ٢- قيل: الضبح: أن يجعل شيء على فم البعير لئلا تصهل فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة. وقيل: الضبح هو شدة النفس عند العدو. وقيل: هو صوت أنفاس الخيل حين الجري.

٣- قيل: الضبح هو الصهيل. ٤- قيل: الضبح: الرماد. ٥- قيل: الضبح نوع من السير. ٦- عن المبرد: الضبح: مدّ أظباعها في السير. ٧- قيل: الضبح: أن تمدّ أعناقها في السير حتى لا يجد مزبداً. ٨- قيل: الضبح هو صوت أرجل الخيل عند العدو. ٩- قيل: الضبح صوت قوة هاجمة دفاعية على الأعداء من الخيل أو الأبل أو السيارات والطيارات الغازيات...

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين، ولكن الأخير هو الأنسب بالغرض العام كالمتقدم.

٢- (فالموريات قدحاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس وعكرمة وعطاء والضحاك: هي الخيل التي تورد النار بحوافرها، وهي سنا بكها إذا صارت في الحجارة والأرض المحصبة، فإن الحوافر ترمى بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجراً آخر فتورى النار بعد إنصراف الغزاة من الحرب أو قبله. وعن مقاتل: أي. يقذفن بحوافرهن النار في الحجارة. وهذا مشاهد عند عدو الخيل حينما تصطدم حوافرها بقطع الصخر

فتقدح شرارة وتسمى نار الجباحب.

٢- عن ابن عباس أيضاً وابن مسعود: هي الابل التي تظأ الحصى، فتخرج منها النار. وأصل القدح: الاستخراج، ومنه قدحت العين إذا خرجت منها الماء الفاسد. ٣- عن ابن عباس أيضاً ومجاهد وزيد بن أسلم وفتادة: إن المراد بالموريات قدحاً مكر الرجال في الحرب، تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لا أدري لك بزندوار ولا قدحن لك. وهي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة. ٤- عن ابن عباس أيضاً: هم الذين يغزون فيوردون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم. وقيل: إن الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويوردون نارهم. ٥- عن ابن عباس أيضاً: أنها نيران المجاهدين إذا كثرت نارها إرهاباً، وكل من قرب من العدو يوقد نيراناً كثيرة ليظنهم العدو كثيراً. وعن محمد بن كعب: هي النار تجمع ٦- عن عكرمة: هي السنة الرجال توري النار من عظيم ماتكلم به، ويظهر بها من إقامة الحجج وإقامة الدلائل وايضاح الحق وإبطال الباطل.

٧- قيل: أي الحجاج ير كبون الابل إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة فإن الوري هو إيقاد الشرارة والشعلة والنار. ٨- عن ابن عباس أيضاً: يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فاودت منه النار مثل الزناد إذا قدح. ٩- قيل: الموريات: المسرعات التي تخرج النار نتيجة سرعة الحراك والعدو هجوماً على العدو «قدحاً» صكاً بصدام السير لسرعة، سواء أكانت الخيل الغازية، أم الطيارات السريعة في الجو توري من إصكاكها الجوّي قدحاً، أو سرعة الدبابات المورية بصدامها عبر سيرها الأرضي أو السفن المقاتلة السريعة كذلك في الماء.

أقول: والأول هو المروي ولكنه لا يناسب في التعميم إذا كان هو الغرض.

٣- (فالمغيرات صباحاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة: أي الخيل التي تغير في سبيل الله على العدو عند الصبح بغتة، فتهاجم عليهم وهم غافلون، وإن الاغارة هي صفة أصحاب الخيل فنسبتها إليها مجاز، فالمعنى: أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوهم بغتة، وذلك أن الغزاة كانوا إذا أرادوا الغارة سراً ليلاً و يأتون العدو صباحاً لأن ذلك وقت غفلة الناس.

٢- قيل: أي لعزهم أغاروا نهاراً فصباحاً بمعنى علانية تشبيهاً بظهور الصبح.
٣- عن عبد الله بن مسعود ومحمد بن كعب القرظي: هي الأبل حين تدفع بركبائها يوم النحر من جمع إلى منى إذ يفيضون من جمع، والسنة ألا تدفع حتى تصبح، والاغارة: سرعة السير فإن الحجاج يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين إلى منى.

٤- قيل: إن الله تعالى أقسم بالمغيرات صباحاً من غير تخصيص بمغيرة دون مغيرة فكل مغيرة صباحاً فداخله فيما أقسم به، سواء أكافئت خيلاً أم قوة دفاعية أخرى.
أقول: والأخير هو الأنسب بالفرض العام.

٤- (فأثرن به نقعاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: فخيل الجهاد في سبيل الله هي تجن الغبار بشدة عدوهم في المكان الذي أغارت به. وقيل: أي فهي تجن بمكان عدوهم غباراً بغتة وقت الصباح حين تطفئ الأرض والمكان باخفافها وحوافرها، وهو لدى الهجوم على الأعداء فيرتفع الغبار عنده فعلى الأول فالضمير: «به» راجع إلى الجري السريع للخيل، وعلى الثاني راجع إلى مكان الأعداء أو قريب منه من الوادي.

٢- عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: أي إبل الحجاج أثرن بعدوهم ما بين مزدلفة إلى منى غباراً حين تطوؤها باخفافها وحوافرهما. والمعنى: فهيتجن بأرض منى والمزدلفة في طريق الوادي غباراً بسرعتهم. ٣- قيل: النقع: رفع الصوت الشديد أي متى سمعوا صراخاً أحلبوا الحرب أي جمعوا لها. وقيل: النقع: وضع التراب على الرأس. ٤- قيل: أي تهيج دخاناً أثناء الجري لا يقاد الشرارة والشملة والنار.

٥- قيل: أي هيتجن بوقت الصباح غباراً بشدة حر كتهن. ٦- قيل: أي فهيتجن بميدان القتال غباراً بحرركاتها وتنقل فرسانها عليها بين كر وفر، و محاورة ومداورة إنتهازاً للفرصة التي تمكن من العدو وتصيبه في مقاتلة. ٧- قيل: أي فهيتجن بسبب كل واحد من جري الخيل وما إليها من القوى الدفاعية في سبيل الله تعالى وإيرائهن وإغارتهن وهجومهن على الأعداء غباراً وقت الصباح فجأة في الوادي القريب منهم وفي مكانهم.

أقول والأخير هو الأنسب بالقرض العام.

٥- (فوسطن به جمعاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد: أي فوسطن بر كبانهن جمع الأعداء الذين أغاروا عليهم وهم جمع الكفار. ٢- عن مجاهد أيضاً وابن مسعود ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والضحاك: أي فوسطت الابل بوقت الصباح جمعاً أي مزدلفة، وسميت جمعاً لاجتماع الحجاج بها. ٣- قيل: أي صرن- خيل القتال - بعدوهم وسط جمع الكفرة. فالمعنى: تتوسط خيل الجهاد الجمع المفار عليه.

٤- عن الضحاك: أي صرن بذلك المكان وسط جمع العدو وهم الكتيبة، وهكذا يجب أن تكون الحرب أن يهاجموا الأعداء في عقردارهم ومآ منهم

ليوقعوا المهابة فيهم ويخسر وهم معنوياتهم في البداية ويخسر وهم أنفسهم في النهاية. ٥- قيل: أي فوسطن بالنقع جمعاً من العدو أي صرن بالغبار جمعاً من جموع الأعداء فوقن في وسطهم، فالباء للملازمة. والمعنى: فوسطن جمعاً ملا بسين للنقع. ٦- قيل: أي فصرن في وقت الصبح في وسط جمع من جموع الأعداء فتفرقوا عن جمعهم إذا رأوا تلك الغوغاء فجأة فصرن في وسط الجمع، فالمراد بالجمع كتيبة العدو فالباء بمعنى «في».

٧- عن قتادة: أي وسطت خيل الغزاة بالقوم وهم أصحابها جمع العدو. ٨- قيل: أي وسطت خيل الجهاد بالغبار جماعة الغزاة، فالمراد بـ «جمعاً» جماعة الغزاة. ٩- قيل: أي فوسطت خيل الغزاة وما إليها من القوى الدفعية بعدد هن وإيرائهن وإغارتهن وجريهن السريع وإنارتهن غباراً وقت الصباح وهجومهن على الأعداء بغتة ودخولهن على جمعهم فجأة.

أقول: والأخير من الأقوال هو الأنسب أيضاً بالغرض العام كما تقدم مراراً فتأمل جيداً.

٤- (ان الانسان لربه لكنود)

في «الانسان» أقوال: ١- قيل: هو الوليد بن المغيرة فان الآية الكريمة نزلت فيه. ٢- قيل: إن الانسان ههنا الكافر لقوله تعالى بعد ذلك: «أفلا يعلم». ٣- قيل: إن المراد بالانسان ههنا جنس الانسان بأنه مفضول على كفران النعمة لاتباعه هو إلا من عصمه الله جلّ وعلا بلطفه وتوفيقه بالايمان و صالح الأعمال...

أقول: وعلى الثالث أكثر المحققين وهو المختار عصمنا الله جلّ وعلا من كل زلة و ضلال بعصمة محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قوله تعالى : «لكنود» أقوال : عن ابن عباس و قتادة و الحسن و مجاهد و ابن زيد : أي لكفور جحود لنعم الله تعالى . ٢- عن المبرد : الكنود : المانع لما عليه ، ومنه الأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً . وأصل الكنود : منع الحق و الخير . ٣- عن الحسن أيضاً : الكنود : اللوام لربه بأن يذكر الانسان المصائب و المحن ، وينسي الراحة و النعم ، أخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه :

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

٤- عن ابن عباس أيضاً و مقاتل و الكلبي : الكنود بلسان كندة و حضرموت : العاصي ، و بلسان ربيعة و مضر : الكنود : الكفور و بلسان كنانة و بني مالك : البخيل السيئ الملكة . وقال الشاعر :

كنوداً لنعماء الرجال و من يكن كنوداً لنعماء الرجال يبعد
أي كفور

وقال إبراهيم بن هرمة الشاعر :

دع البخلاء إن شمخوا و صدوا و ذكرى بخل غانية كنود
أي بخيل .

٥- قيل : الكنود هو الذي يكفر اليسير و لا يشكر الكثير . ٦- قيل : الكنود : الجاحد للحق . ٧- قيل : الكنود : قاطع المواصلة من كند إذا قطع ، يقال : كند الجبل إذا قطعه قال الأعشى :

أميطي تميطي بصلب الفؤاد وصول حبال و كنادها
ومنه سمي رجلاً بكندة لأنه كند أباه و قطع رحمه ففارقه .
وقال الأعشى :

أحدث لها تحدث لو صلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد

فكأنّ الانسان يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر لمنعمه. ٦- عن أبي بكر الواسطي: الكنود: الذي ينفق نعم الله في معاصي الله. ٧- عن أبي بكر الوراق: الكنود: الذي يرى النعمة من نفسه وأعوانه. ٨- عن الترمذي: الكنود: الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم. ٩- عن ذي النون المصري: الهلوع والكنود: هو الذي إذا مسّه الشرّ جزوع وإذا مسّه الخير منوع. ١٠- قيل: الكنود: هو الحقود. ١١- قيل: الكنود: الحسود. ١٢- قيل: الكنود: هو الجهول لقدره. وفي الحكمة: من جهل قدره هتك ستره.

١٣- قيل: الكنود: كل خصال مذمومة وأحوال غير محمودة. ١٤- عن عطاء: الكنود: الذي لا يعطى في النائبة مع قومه. ١٥- عن أبي عبيدة: الكنود: القليل الخير.

أقول: و على الأول أكثر المحققين ، و الباقي من قبيل بيان المصاديق ...

٧- (وانه على ذلك لشهيد)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء: أي و ان الله عزّ و جلّ على كفر ابن آدم وكفرانه لشهيد، و يشهد على أعمال العباد ونواياهم يوم القيامة. فالضمير راجع إلى «ربه» وهو أقرب فيكون كالوعيد من حيث ان الله يحصى على عباده أعمالهم... ٢- عن مجاهد وقتادة أيضاً والحسن ومحمد بن كعب القرظي: أي وانّ الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع في الحياة الدنيا، فانك لو سألته عن النعمة لم يذكرها، ويذكر جميع مصائبه ومحنه. ٣- قيل: أي وانّ الانسان لشهيد على أوضاع الحق الذي في بقائه يحتاج إلى القوى الدفّاعية عن حوزته.

٤- قيل: أي و انّ الانسان شاهد يشهد على نفسه يوم القيامة بكفرانه

لنعم ربه عليه في الحياة الدنيا. ٥- قيل: أي وإن الإنسان يشهد على كفرانه في ضميره ، ويشهد في أقواله و أفعاله ، شاء أم أبى ، و سوف يشهد يوم يقوم الأشهاد مع الأشهاد على نفسه شهادة صوتية وصورية بما سجلها ربه عز وجل في أعضائه ، فيشهد عليه لسانه بما سجل الله فيه من أقواله ، و يشهد عليه سمعه بما سجل تعالى فيه من مسموعاته ، و يشهد عليه بصره بما سجل فيه من مرئياته و مبصراته ، و يشهد عليه جلوده بما سجل فيها من أعماله بظاهر الجسد، فلا يقدر عندئذ أن يجحد شيئاً مما شهدت عليه أعضائه لظهور أماراتها عليها .

٦- قيل: إن المراد بكون الإنسان شهيداً على كفران نفسه، علمه بكفران نفسه المذموم وتحمله له، فاطمئنى: وإن الإنسان على كفرانه بربه شاهد متحمل، فالآية في معنى قوله جل وعلا: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» (القيامة: ١٤) فالإنسان مع كفرانه لنعمة ربه ولجأته في الطغيان وتماديه في الانكار والبهتان إذا خلى و نفسه رجع إلى الحق، وأذن عن إلى أنه ما شكر ربه على نعمه إلى أن أعماله كلها جحود لنعم الله عز وجل، فهي شهادة منه على كفرانه شهادة بلسان الحال وهي أفصح من لسان المقال.

٧- قيل: إن تصرفات الإنسان تشهد عليه أنه كافر جاحد لنعمة ربه. أقول : وعلى الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الأخر فتأمل جيداً.

٨- (وانه لحب الخير لشديد)

في «لحب الخير» أقوال: ١- عن الحسن : أي لحب المال، ومنه قوله عز وجل: «إن ترك خيراً» (البقرة: ١٨٠) أي مالاً، وعن ابن زيد: سمى الله تعالى المال خيراً وعسى أن يكون شراً وحراماً ولكن الناس يعدونه خيراً فسماه الله خيراً

لذلك كما سمي الجهاد سوءاً في قوله تعالى: «لم يمسسهم سوء» آل عمران: (١٧٤) على ما يسميه الناس وليس عند الله تعالى بسوء.
وقال عدي:

ماذا ترجى النفوس من طلب الـ خير وحب الحياة كاربها
ان الانسان لحب الخير لا لحب الصالح ، إنما الذي يراه خيراً في حيوة
الحياة ملائماً في تلك الحياة اللئيمة المشؤمة دون ما يصلح الايمان ، و ما هو
بدافع الايمان ، وهذا طبيعة الانسان ما لم يخالط قلبه الايمان ، فيغير من
تصوراته و قيمه و إهتماماته ، و يحيل كنوده إعترافاً بفضل الله شكرياً
بالكفران .

٢- قيل: اريد بالخير مطلقه على أن حب الخير فطري للانسان، ثم انه يرى
عرض الدنيا وزينتها خيراً فتجذب إليه نفسه وينسيه ذلك ربه أن يشكره.
٣- عن ابن زيد أيضاً: أي انه لحب الدنيا لشديد. ٤- قيل: أي انه لحب
الخيرات الحقيقية غير ميسر منبسط، ولكنه شديد منقبض.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الاخر.
وفي قوله تعالى: «لشديد» أقوال: ١- قيل: أي لقوي في حبه للمال. ٢- قيل:
أي لبخيل، ويقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقال طرفة بن العبد الشكري:
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
والمعنى: وان الانسان لأجل حب المال لبخيل شحيح.

٣- عن الفرأء: أي وان الانسان لحب الخير لشديد الحب للمال أي انه
يحب المال ويحب كونه محباً له فاكتفى بالحب الأول من الثاني، فلمّا تقدّم
الحب قال: شديد، و حذف من آخره ذكر الحب لأنه قد جرى ذكره و
لرؤوس الآي كقوله تعالى: «في يوم عاصف» إبراهيم: (١٨) و العصف للريح لا
الأيام فلمّا جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من آخره ذكر الريح كأنه قال: في

يوم عاصف الريح.

وقيل: أي لشديد الحب للمال. فيبخل به فيدعوه ذلك إلى الامتناع من إعطاء حق الله عز وجل، والانفاق في وجوه البر فيبخل به.

٤- قيل: أي أنه لأجل ابتار الدنيا وطلب ما فيها مطيق قوي لأجل عبادة ربه عاجز ضعيف.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بين الأقوال.

٩- (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي أفلا يعلم ابن آدم إذا بعث الموتى و اخرجوا من في القبور و نشروا ف «ما» بمعنى «من» كقوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع» النساء: ٣) فاريد به الجمع أي الموتى من المؤمنين والمتقين، والكافرين و المجرمين. ٢- قيل: أي أفلا يعلم هذا الانسان الجاحد لنعم الله تعالى ما يكون في هذا اليوم إذا بعث و خرج من في القبور من الموتى: المتقين و المؤمنين، و الكافرين و المجرمين، والذكر و الانثى.

٣- قيل: أي أفلا يعلم الانسان الكنود إذ خرج ما في القبور من أجسادهم البهيمية: «ما» لا «من» لأنهم خرجوا عن كونهم إنساناً إلى حيوان، فلا يحق لهم التعبير بما يخص ذوي العقول: «من».

٤- قيل: أي أفلا يعلم الانسان الكنود إذا بعث كل من في القبور من الانسان والحيوان، فلم يقل: «من في القبور» بدل «ما في القبور» بحكم التغليب فان أكثر ما في بطن الأرض ليسوا مكلفين، والذين هم مكلفون يكونون حال البعثة أمواتاً غير عقلاء ثم يصيروا أحياء بعد البعثة.

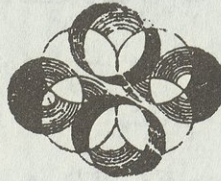
أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين ما في بعض

الأقوال الآخر.

١٠- (وحصل ما في الصدور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي ميّز ما في الصدور من خير وشر. ٢- عن ابن عباس: أي أبرز وأظهر ما اختفته الصدور ليجازى على السر كما يجازى على العلانية، ويبتن ما في الصدور واقعياً وشهوداً عليها لتضطرهم إلى الإقرار. ٣- قيل: أي جمع ما في الصدور من خفايا الأعمال فرأوه عياناً بين أيديهم. ٤- قيل: أي كشف ما في البواطن من الأخبار وما في الأستار من الأستار ويندرج فيه أعمال الجوارح تبعاً.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (والعاديات ضبحاً)

إنَّ اللهَ جلَّ وعلا يقول: أقسم بالخيـل وما إليها من القوَى الدِّفاعيَّة عن نواميس الإسلام وكيان المسلمين، قسمًا بـخيـل الجهاد لردع الطغاة وكسر شوكتهم وصدَّ عدوانهم، قسمًا بالخيـل التي تعدو في خفة وسرعة، تسمع أصوات أنفاسها، قسمًا بالخيـل في ميدان القتال لدفع الفتنة، وفي معركة الشرف والكرامة، قسمًا بـخيـل الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ التي تجري جرياً سريعاً وعدواً شديداً حين تعزم الإغارة فيغد ونفسها ضبحاً، وقسمًا بالقوَى الدِّفاعيَّة عن حوزة الحقِّ وأهله حين تسمع أصواتها المخوفة في الجري وعند الهجوم على الأعداء...

قال الله تعالى: «وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» (الأنفال: ٦٠). وقال: «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (الحديد: ٢٤).

٢ - (فالموريات قدحاً)

إنَّ اللهَ تعالى يقول: وأقسم بالخيـل الجياد التي تخرج النَّارَ بحوافرها، ويتطاير منها الشرر أثناء الجري وعند الهجوم على الأعداء، وما إليها من القوَى الدفاعيَّة عن كيان الإسلام ونواميس المسلمين لسرعة الحركة، سرعة في الجوّ فتورى من إصطكاكها الجوّي شرادة و شعلة و ناراً، وسرعة الدبابات الموربة بصدامها عبر

سيرها الأرضي ، وسرعة السفن الغازية كذلك في الماء .

قال الله تعالى: « إن الله يدافع عن الذين آمنوا - الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره . (الحج : ٣٨ - ٤٠) .

وقال: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة : (٢٥١) .
وقال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » البقرة : (١٩٠ - ١٩٣) .

٣ - (فالمتغيرات صباحاً)

ويقول الله عز وجل : واقسم بالخييل وما إليها من القوى الدفاعية عن حوزة الحق وأهله التي تغير وقت الصباح الباكر باغارة أصحابها لتفاجيء العدو الغادر ، نعم صباحاً لتصبح غالبية على حين غفلة وغفوة من العدو فتهاجم عليه وتبغته قبل أن يدب ديب الحياة في الأحياء ، نعم صباحاً وهو وقت المفاجأة لأخذ الأعداء على غير أهبة لا يكون لوجودهم أثر إلا فتنة وفساداً في الأرض ، فكانوا يستحقون القتل أو الأسادة وإستلاب أموالهم ، و ان وقت الصباح هو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم الأعداء ويهجمون عليهم صباحاً ليردوا ما يأتون وما يذرون .
قال الله تعالى: « وإن جندنا لهم الغالبون - فساء صباح المنذرين » الصافات : (١٧٣ - ١٧٧) .

٤ - (فأترون به نقعاً)

فهتجت خيل الغزاة في سبيل الله جل وعلا وما إليها من القوى الدفاعية عن كيان الاسلام والمسلمين بسبب سرعة جريها عند هجومها بغتة وقت الصباح على الأعداء المفتئين المفسدين غباراً في الوادي القريب منهم وفي مكانهم .

٥ - (فوسطن به جمعاً)

فوسطت خيل الغزاة في سبيل الله عز وجل وما إليها من القوى الدفاعية عن حوزة الحق وأهله بسبب الجري السريع والهجوم على الأعداء فجأة وقت الصباح جمعهم و هم على حين غفلة ، فكأنهن بهذا السبك الغازي وقعن في قلب جمع الأعداء ومر كزهم ، ففرقنهم عن جمعهم وشتتن شملهم بقتل جماعة منهم و إسادة فريق منهم و هزيمة الآخرين .

وما ورد في الآيات الخمس فمن باب الجري والإنطباق والتأويل والله عز وجل هو أعلم .

٦ - (ان الانسان لربه لكنود)

إن الانسان لكفور لنعم ربه عليه قلباً ولساناً وعملاً إذ قال : « إن الانسان لكفور ، الحج : ٦٦) .

إن الانسان ليقطع بالامساك ما ينبغي أن يواصله ، وما يربط به بينه وبين ربه باستجابة دعوة الحق ، والانفاق في وجوه البر ، وتر كيز القوى الدفاعية عن كيان الاسلام ونواميس المسلمين ، وعن الحق وأهله ، وعن حوزة كل مافيه كماله وعيشه الهنيء ، فتأبى نفسه عن ذلك إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله جل وعلا .

قال الله تعالى : « والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر : ١ - ٣) .

إن أكثر الناس لا يؤدّون النعمة حقها بمعرفة منعمها ، ولا يشكرونها لساناً بثناء منعمها ، ولا عملاً بالتضحية والبذل في وجوه البر ولا يحسنون إلى المحتاجين كما أحسن الله تعالى إليهم ، وهذا حال أكثر الناس في كل وقت ومكان لا تباعهم أهوائهم وإنكبا بهم على عرض الدنيا ومتاعها والانقطاع به عن شكر ربهم على ما أنعم الله تعالى عليهم ، فإن قليلاً منهم يعرفون فضل الله عز وجل عليهم

وإحسانه إليهم ، و مع هذا فهم لن يبلغوا مهما اجتهدوا ما ينبغي لله سبحانه من حمد وشكر له .

قال الله عز وجل : « و قليل من عبادي الشكور ، سبأ : ١٣) .

و ذلك ان أكثر الناس يحصرون همهم فيما يحضرهم ، وينسون ماضيهم ، وما عسى أن يستقبلهم ، فاذا أنعم الله جل وعلا عليهم بنعمة غرتهم غفلتهم ، فيجحدون ما في التربية الروحية وكمالهم وصلاحهم وفلاحهم من الايمان بالمنعم و إستجابة دعوة الحق ولا يشكروه ، ويغفلون عما فيه التربية الجسمية وسعادتهم الدنيوية وعيشهم الهنيئ وحياتهم الطيبة فلا يشكروه قولاً وعملاً .

قال الله تعالى : « وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » العنكبوت : ٤٧) .

وقال : « وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور » لقمان : ٣٢) .

وقال : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و جعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » النحل : ٧١ - ٧٢) .

٧ - (و انه على ذلك لشهيد)

و ان الانسان الكنود لشهيد على نفسه ، يشهد في ضميره في الحياة الدنيا و إن لم يشهد علانية ، و في الدار الآخرة علانية يشهد على كنود نفسه وآثاره في الحياة الدنيا فانه على نفسه بصيرة .

قال الله تعالى : « و يوم يحشرهم جميعاً - يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا و غرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » الأنعام : ١٢٨ - ١٣٠) .

و قال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »

(النور : ٢٤) .

وقال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » يس : ٤٥) .

٨ - (و انه لحب الخير لشديد)

وان الانسان بسبب حبه الشديد للمال وشغفه به وتعلقه بجمعه وإدخاره لبخيل ، شديد في بخله ، شحيح حريص متناه في حرصه ، مستغرق في حب المال ، مجتهد في طلبه ، متهاك على تحصيله ، وانه لحب المال قوي مبالغ جداً ، ممسك مبالغ في إمساكه ، متشدد فيه ، يمنع منه حق الله تعالى ، فلا يؤدي حقه بالشكر والانفاق في وجوه البر .

قال الله عز وجل : « ان الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشرّ جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلواتهم دائمون والذين هم في أموالهم حق معلوم » المعارج : ١٩ - ٢٤) .

وقال : « كلما بل لا تكرمون اليتم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لماً وتحبسون المال حباً جماً » الفجر : ١٧ - ٢٠) .
وان حب المال يوجب ضعف حب الله تعالى وعبادته : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » الأحزاب : ٤) .

٩ - (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)

أفلا يعلم هذا الانسان الكنود ، شديد الحب للمال ، ما يكون لهم في هذا اليوم من توبة لكنوده وإستغراقه في حب المال إذا بعث الموتى ، وخرجوا من قبورهم للحساب والجزاء ، من المؤمنين والكافرين ، من المتقين والفاجرين ، من المطيعين والعاصين ، ومن المصلحين والمفسدين من الذكر والانثى .

قال الله تعالى : « وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور »

(الحج : ٧) .

وقال : « وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت » الانفطار :

٤ - ٥) .

١٠ - (و حصل ما في الصدور)

و ظهر يوم القيامة ما في قلوب العباد من الكفر والايمن ، وبين ما فيها من حب الخير والشر ، وكشف ما فيها من الرياء والاخلاص ، وبرز ما فيها من النفاق والخلوص ، وأفرز ما فيها من اعتقاد الحق والباطل ، وظهر ما فيها من عزم الطاعة والمعصية ظهوراً محصلاً مجموعاً لما فيها من العزائم والنوايا . . .

يوم تتقلب القلوب ، وتتكشف الأسرار وتتهتك الأستار فان كثيراً ما يكون باطن الانسان خلاف ما عليه ظاهره ، فيبرز يومئذ ما أخفته القلوب في الحياة الدنيا ، فيجازي كل على ما في قلبه كما يجازي على ما فعله علانية .

قال الله تعالى : « يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » النور : ٣٧) .

وقال : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » آل عمران :

(١١٨) .

وقال : « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » غافر : ١٩) .

وقال : « قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله » آل عمران :

(٢٩) .

وقال : « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ،

الملك : ١٣) .

وقال : « إلینا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور ،

لقمان : ٢٣) .

وقال : « بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل » الأنعام : ٢٨) .

وقال : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »

البقرة : ٢٨٤) .

نعم: يوم القيامة ينكشف ما في الصدور من الملكات الفاضلة وغيرها للانسان ، فان النفس مجمعة للملكات الحاصلة فيها تدريجاً ، وازدحمت فيها ، وان النفس لم تكن بدواً إلا قوة مهتدة لتصور الملكات فيها كالماء الممهّد لتلون الألوان المصبوبة فيه ، و كالتاجر الذي اكتسب أموالاً كثيرة ، وهم لا يعلم قدرها مع سعيه في إكتسابها ، فاذا مات فيحاسبها ورثائه بدقة ، وهي لم تكن عند مكتسبها معلومة ، وكالصبي الذي أدخل الدراهم في إناء بمدة طويلة ، وهم لا يعلم ما فيها ، فاذا كسرها إنكشف له ما فيها ومقداره فكذلك الانسان ينوي ويقول ويعمل طول حياته ، فينتقش كلها في نفسه ، فاذا مات ظهرت ملكاته النفسانية وانكشفت له وهذا هو يوم تبلى السرائر ...

قال الله عز وجل: « يوم تبلى السرائر » الطارق : (٩) .

١١ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

إن رب العباد يوم القيامة لخبير بأحوالهم من حسنها وقبيحها ، وبأقوالهم من صدقها وكذبها ، وبأعمالهم من خير وشرّها ، وما أسروا في صدورهم من الايمان والكفر ، من النفاق والخلوص ، و من نيّة الاصلاح والافساد ، فلا يخفى على ربهم منها فيها خافية ، فيجازيهم يومئذ عليها كما لا يخفى عليه جلّ وعلا منها في حال من أحوالهم في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم - وإن تحسنوا و تتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً - وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » النساء : (٦٣ و ١٢٨ و ١٣٥) .

وقال : « أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » البقرة : (٧٧) . قال : « و لتنظر نفس ما قدمت لقد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » الحشر : (١٨) .

وقال : « وكفى به بذنوب عباده خبيراً » الفرقان : (٥٨) .

وقال : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّتْهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ »
التوبة : (٧٨) .

و قال : « وَإِنْ كَلَّامًا لِيُوقِنَ أَنَّ رَبَّكَ أَعْمَالُهُمْ إِنَّمَا يَكْمَلُ الْخَيْرَ »
هود : (١١١) .



* جملة المعاني *

٦١٤٧ - (والعاديات ضبحاً)

إنَّ الله عز وجل يقول : اقسم بالخيل و ما إليها من القوى الدفاعية عن حوزة الحق و أهله ، تعدو في خفة و سرعة تسمع أصوات أنفاسها ...

٦١٤٨ - (فالموريات قدحاً)

و اقسم بها التي تقدح شرراً و شعلة و ناراً في العدو والجري .

٦١٤٩ - (فالمغيرات صباحاً)

و اقسم بها التي تهجم على أعداء الحق و أهله وقت الصباح بغتة لأخذ العدو المفتن و قتله أو إيسارته .

٦١٥٠ - (فائرن به نقعاً)

فهيجن بسبب العدو والايراء والجري السريع والهجوم على الأعداء غباراً وقت الصباح فجأة في الوادي القريب منهم و في أماكنهم ...

٦١٥١ - (فوسطن به جمعاً)

فدخلن بسبب الجري السريع والهجوم على الأعداء و إثارة الغبار في عقر دارهم ، و وقعن على قلب جمعهم و هم على حين غفلة فغلبن عليهم بيسر .

٦١٥٢ - (ان الانسان لربه لكنود)

إنَّ أكثر الناس لكفور لنعم ربهم عليهم فلا يشكرونه ولا يؤدّون حقها .

٦١٥٣ - (و انه على ذلك لشهيد)

و إن هذا الانسان الكنود لشهيد يشهد على نفسه .

٦١٥٤ - (و انه لحب الخير لشديد)

و إن هذا الانسان الكنود لحب المال وجمعه حريص ، وفي إنفاقه في وجوه البر لبخيل فلا يؤدى حقه بالشكر والانفاق في سبيل الله تعالى .

٦١٥٥ - (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)

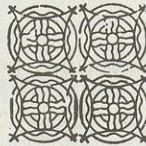
أفلا يعلم هذا الانسان الكنود المستغرق في حب المال إذا بعث الموتى كلهم و خرجوا من قبورهم للحساب والجزاء .

٦١٥٦ - (و حصل ما فى الصدور)

و ظهر يوم القيامة ما فى قلوب العباد من الكفر والايمان ، و ميّز ما فيها من نيّة الخير والشر ، و من حب الحق والباطل ...

٦١٥٧ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

إن رب العباد يوم القيامة لخبير بأحوالهم و أقوالهم و أعمالهم فيجازيهم فيها عليها .



* بحث روائي *

في تفسير القمي : قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى : «والعاديات ضبحاً» أي غدوا عليهم في الضبح وضباح الكلاب صوتها «فالموريات قدحاً» كانت بلادهم فيها حجارة فاذا وطئها سنا بك الخيل كان يقدح منها النار «فالمغيرات صباحاً» أي صبحهم بالغارة «فأثرن به نقعاً» قال : قال : ثارت الغبرة من ركض الخيل «فوسطن به جمعاً» قال : قال : توسط المشركين بجمعهم «إن الإنسان لربه لكنود» أي كفور وهم الذين اسروا وأشاروا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يدع الطريق مما حسدوه وكان علي عليه السلام قد اخذ بهم على غير الطريق الذي اخذ فيه أبو بكر وعمر فعلموا أنه يظفر بالقوم، فقال عمر بن العاص لأبي بكر إن علياً غلام حدث لا علم له بالطريق وهذا طريق مسبع لا يؤمن فيه من السباع، فمشيا إليه وقال له : يا أبا الحسن هذا الطريق الذي اخذت فيه طريق مسبع : فلورجعت إلى الطريق ؟ فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام ألزما حالكما ، وكفأعماً لا يعنيكما واسمعا وأطيعا، فإني أعلم بما اصنع فسكتا.

و في البرهان : بالاسناد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عز وجل : «والعاديات ضبحاً» قال : ركض الخيل في ضباها ، فقال : «فالموريات قدحاً» قال : توري وقد النار من حوافرها «فالمغيرات صباحاً» قال : أغار علي عليه السلام عليهم صباحاً «فأثرن به نقعاً» قال : اثر بهم علي عليه السلام وأصحابه الجراحات حتى اسلنقعوها في دمائهم «فوسطن به جمعاً» قال : توسط علي عليه السلام

وأصحابه ديارهم «إن» الانسان لربه لکنود، قال: لأنّ فلاناً لربه لکنود «وإنه على ذلك لشهيد» قال: إن الله شهيد عليهم «وإنه لحب» الخير لشديد، قال ذاك أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه: عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: «إن» الانسان لربه لکنود، قال: كان فلاناً لکنود بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفى الدر المنثور: عن الامام علي عليه السلام أنه كان يقول: «العاديات»: هي الابل تذهب إلى وقعة بدر.

وفى المجمع: وقيل: هي الابل حين ذهبت إلى غزوة بدر تمتد أعناقها في السير فهي تصبح أى تضبع روى ذلك عن علي عليه السلام.

وفيه: و روى أيضاً: انها ابل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى.

وفيه: قال ابن عباس: هي الخيل في القتال، فقلت أنا قال علي عليه السلام: هي الابل في الحج، وقلت: مولاي أعلم من مولاك. وفي رواية اخرى: ان ابن عباس قال: هي الخيل الأتراء يقول: «فأثرن به نقعاً» فهل تشيره إلا بحوافرها، وهل تضبع الابل! إنما تضبع الخيل، قال علي عليه السلام: ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر ومامعنا إلا فرس ابلق للمقداد بن الأسود.

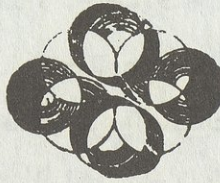
وفيه: و روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: بينما أنا في الحجرة جالس إذ أتاني رجل فسئل عن «العاديات ضبحاً»؟ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويوردون نارههم فانفتل عني وذهب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم فسئله عن «العاديات ضبحاً» فقال: سئلت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سئلت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله قال: فازهد فادعه لي فلمّا وقف على رأسه قال: تفتى الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأوّل غزوة في الاسلام بدر وما كانت

معنا إلا فرسان فرس للزير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون «العاديات» الخيل؟ بل «العاديات ضبحاً»: الأبل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى، قال ابن عباس: فرغبت عن قولي ورجعت إلى الذي قاله علي عليه السلام.

وفيه: وروى أبو امامة عن النبي ﷺ أنه قال: أتدرون من الكنود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده» أي أنه لا يعطي شيئاً مما أنعم الله تعالى به عليه، ولا يرأف بعباده كما رأف به، ولا يحسن إلى أحد كما أحسن الله تعالى إليه، فهو كافر بنعمته جل وعلا، مجانف لما يقضي به العقل والشرع.

وفي رواية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بشاركم؟

قالوا: بلى يا رسول الله قال: من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده.



* بحث فقهي *

وقد استدلّ بقوله تعالى : « والعاديات ضبحاً - وانه لحب الخير لشديد »
(العاديات : ٨-١)

على وجوب تجهيز القوى على المسلمين للدفاع عن حوزة الاسلام
و نواويس المسلمين عند تعرض الأعداء الطغاة و هجومهم عليهم ، وعند خطر
بيضة الاسلام و الممالك الاسلامية لفتنة الأعداء و المعاندين ، و على حرمة
إمسك الأغنياء عن الانفاق في ذلك ، و ذلك أن الأقسام الربانية بالخيل و ما
إليها من القوى الدفاعية في مسيرتها نحو القتال في سبيل الله جلّ و علا والعتاب
والتقريع على الانسان الكنود المستغرق في حب المال دليل على ذلك كله .

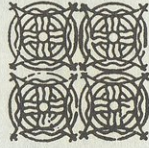
وان الاسلام دين حياة وعدل و مساواة ، و لا عدل بلا قوة منقذة و رادعة كما
أن القوة بلا عدل ظلم و فساد ، فيجب على المسلمين العناية بها لصيانة الحق و
العدل من عبث المعتدين .

و ان الآيات الكريمة في معنى قوله تعالى : « الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة و هم لا يتقون فامّا تنقضتهم في الحرب فشرّ د
بهم من خلفهم لعلهم يذكرون و إمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على
سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسن الذين كفروا سبقوا انهم
لا يعجزون و أعدّ و الهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله
و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم و ما تنفقوا من شيء في

سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون و إن جنحوا للسلم فاجنح لها ، الأنفال :

(٥٦ - ٦١)

وفي معنى قوله عز وجل : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا
إن الله لا يحب المعتدين - وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » البقرة : ١٩٠-١٩٥



* بحث مذهبي *

وقد اختلفت كلمات المحققين من الفقهاء والمفسرين، والحكماء والمتكلمين قديماً وحديثاً : هل الانسان يجازى يوم القيامة بما نواه في الحياة الدنيا ، وقد كان مصمماً على إتيائه ، خيراً أم شراً ، ولكنه ما أتاه أم لا ؟

فذهب الأكثرون منهم إلى أنه يجازى به كما يجازى على أعماله يوم الحساب ، وذلك ان نيات الانسان صحيحها وفسادها ، خيرها وشرها كملكات النفس حسنها وقبيحها ، وإعتقاداتها ، حقها وباطلها تتجسم يوم القيامة ، فتصير النفس الانسانية بهيأتها مبادئ الأجسام للنيات والملكات والاعتقادات في الدار الآخرة كما أن الأعمال الخارجية تتجسم يومئذ فيؤخذ بها وبها الانسان يوم القيامة ، إن كانت خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً .

و استدلوا على ذلك بآيات كثيرة قرآنية و روايات واردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

فمن الآيات الكريمة قوله تعالى : « وحصل ما في الصدور » العاديات : (١٠) .
و منها قوله عز وجل : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » البقرة (٢٨٤) .
ومنها قوله سبحانه : « وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » آل عمران : (١٥٤) .

ومنها قوله جل وعلا : « إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ

منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم « الانفال : ٧٠ » وغيرها من الآيات القرآنية .
و أما الروايات فمنها :

في العلل : باسناده عن زبد الشحام قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني سمعتك تقول : نية المؤمن خير من عمله فكيف تكون النية خيراً من العمل ؟ قال : لأن العمل ربما كان رياء للمخلوقين (المخلوقين خ) والنية خالصة لرب العالمين ، فيعطي الله عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل ، قال أبو عبد الله عليه السلام : إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه ، فينام فيثبت الله له صلاته و يكتب نفسه تسبيحاً و يجعل نومه عليه صدقة .

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب ارزقني حتى أفعل كذا و كذا من البر و وجوه الخير ، فإذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله إن الله واسع كريم .

وفيه : باسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله و كل عامل يعمل على نيته » . و ذلك أن عمل كل عامل على وفق نيته في النقص والكمال والرد والقبول لأن المدار في الأعمال على النية التابعة للحالة التي إتصفت النفس بها من العقائد والأخلاق الحسنة والسيئة .

وفيه : باسناده عن أبي هاشم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، و إنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً ، فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء ثم تلا قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » قال : على نيته .

وفيه : باسناده عن عمر بن يزيد قال : إني لأتعشى مع أبي عبد الله عليه السلام إذ تلا

هذه الآية : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » يا أبا حفص ما يصنع الانسان أن يتقرب إلى الله عز وجل بخلاف ما يعلم الله تعالى؟ ان رسوالله ﷺ كان يقول : من أسر سريرة رداه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً أفسر .
و غيرها من الروايات الواردة في المقام .



﴿ تجهيز القوى والدفاع عن الحق ﴾

قال الله عز وجل: «والعاديات ضبحاً فالمواريات قدحاً فالملغيرات صبحاً فأترن به نفعاً فوسطن به جمعاً إن الإنسان لربّه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحبّ الخير لشديد» العاديات: ١-٨

واعلم أن المستفاد من السور المبكرة: أن الوحي عند بزوغ نزوله على محمد رسول الله الأعظم ﷺ كان يلقى في فكره أمرين:

أحدهما:- الانذار والدعوة إلى الحق وإبلاغ الرسالة الإلهية بصراح.
ثانيهما:- تجهيز القوى وإعداد الأمة المسلمة بكل ما تستطيعه من قوة للدفاع عن الحق ضمناً وإيماء حسب الاقتضاء لأن تقنين القانون بلا قوة إجراء لا يكون إلا عبثاً، وإن الاسلام دين حياة وعدل، ولا عدل بلا قوة منفذة و رادعة كما أن القوة بلا عدل ظلم وفساد، ولا عزّة مع الضعف، ولا إيمان بغير القوة والعزة، القوة في الروح والمادة معاً، فليس المؤمن من صغرت نفسه، وضؤل شخصه، وأمسك من دنياه بقبض الريح منها.

وان قصة إنذار العشيرة: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعراء: ٢١٤) أصدق شاهد على ذلك، وإن الأمر في كلتا الناحيتين لم ينسخ، فيجب على كل مكلف يستعد نفسه للدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين، وعن حوزة الحق وأهله إذا صار واجباً عينياً كما في بعض الأحوال...

ويدخل فيه السلاح على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال حسب المقتضيات من البرّي والبحري والجوّي، ومن نقل العسكر والأدوات والزاد والسلاح، ويدخل فيه الزّاد ونظام سوق الجيش، وما إليها من العلوم والفنون الغازية... ويجب على الأمة المسلمة من رباط الخيل، فإنّه من أهمّ القوى الحربيّة حتّى اليوم مع كثرة مراكب النقل البخاريّة والكهربائيّة على أنواعها بالأخصّ مرابطة الفرسان في ثغور البلاد الإسلاميّة، وقد صرّح جلّ وعلا بذلك في قوله: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل» (الأنفال: ٦٠)

وليكن القصد الأوّل من إعداد هذه القوى وتجهيزها، والمرابطة إرهاب الأعداء الطاغية وإخافتهم من عاقبة التّعديّ على كيان الاسلام ونواميس المسلمين، وعلى البلاد الإسلاميّة حتّى تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على أهلها ومصالحها وأموالها... وقد أشار عزّ وجلّ إلى ذلك بقوله: «ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» (الأنفال: ٦٠)

فلا بدّ من إنفاق المال وبذله في سبيل الله عزّ وجلّ لأعداد ما ذكر الذي لا يمكن بغير المال، وإليه أشار بقوله تعالى: «وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون» (الأنفال: ٦٠)

ويحثّ المسلمين حسب استطاعتهم على إنفاق المال في ذلك، ويسمّيه جهاداً بالأموال في كثير من الآيات القرآنية...

منها: قوله تعالى: «فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» (النساء: ٥٩)

ومنها: قوله عزّ وجلّ: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون» (الحجرات: ١٥)

ومنها: قوله جلّ وعلا: «إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم

في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» التوبة: (٤١)

ومنها: قوله سبحانه: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة» البقرة: (٢٦١) وغيرها من الآيات الكريمة.

ولا بد لهذا الانفاق من نظام يدخل في ميزانية الحكومة الإسلامية. وان تجهيز القوى وإعداد الأمة المسلمة للدفاع عن كيان الإسلام و نواويس المسلمين وعن بلادهم ضرورة من ضروريات الدين الإسلامي لا ينبغي أن يغفل عنها قط.

وان الله عز وجل قد وبتخ وهدد و أوعد الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله جل وعلا ولا يبذلونها للدفاع عن حوزة الحق وأهله وفي إعلاء كلمة الله تعالى وتقطيع دابر المتكبرين الطغاة، ويكنزون الذهب والفضة، ولا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم من ذوي الثروة والأقدار أو يمنعون الناس عن ذلك بوسادهم إن قال: «ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض» الحديد: (١٠)

وقال: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» التوبة: (٣٤)

وقال: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله - وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لو أنهم رؤوا رؤسهم ورأيتمهم يصدون وهم مستكبرون - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل يأتي أحدكم الموت»

(المنافقون: ١-١٠)

فللإسلام نظام في داخل الأمة ، و نظام في خارجها ، فيجب على الأمة المسلمة من تجهيز القوى بالأموال و الأنفس ليبقى النظم ، فلا ينفصم فتحفظ به الأموال من الذّهاب ، و الأعراض بالضياع ، و النواميس بالتجاوز ، و النفوس بالقتل ... و يجب عليهم القتال و الدفاع بملك القوى عن كل ما يوجب هدم أساس النظام من الدين و ما إليها من الأحكام ... كما أن لا بد لربّ الدّار من قدرة يحفظ بها النظم في داخل الأسرة و خارجها ، فلولها لا تحل النظم من كلتا الناحيتين بالاختلاف و التنازع من داخلها ، و التجاوز من خارجها .

فلا بدّ للإسلام من قوّة دفاعيّة في تطهير الأرض من لوث مطلق الشرك و إخلاص الإيمان لله جلّ و علا وحده فيموت بها الشرك و تعلو كلمة الحق و إدحاض كلمة الباطل ، و دفع الفتنة و الفساد ، مع أنّ حق الدفاع مبني على أساس الاحتياج الفطري الموجود في جميع الحيوانات ، يحفظ به الوجود و البقاء كما أنّ حقّ التصرف علي حدّ محدود لجميعها من الإنسان و الحيوان ، و لا يمكن إستيفائه إلّا بالدّفاع ، فإنّ الدّار دار التراحم و الناموس ناموس التنازع في البقاء كما نشاهده في أنواع الحيوانات من أنّها تتوسّل عند التنازع بأدواتها البدنية في مورد الدفاع كالقرون و الأنياب و المخالب و الأظلاف و المنقار و ما إليها ...

و بعضها لم يتسلّح بشيء من الأسلحة الطبيعيّة القوية ، بل سلاحها هو الفرار أو الاستتار أو الخمود كما في الصيد و الحشرات أو بأعمال الحيل و المكائد كالقرد و الدّبّ و الثعلب و ما إليها ... وأمّا الإنسان فمسلّح بشعور الفكر الّذي به يقدر على إستخدام الغير في سبيل الدّفاع كما يقدر عليه في سبيل التصرف للانتفاع ، فللإنسان حقّ تصرف و حقّ دفاع كسائر الحيوان بالفطرة ، و به

يقاقل وينازع...

ولا يمكن له ذلك إلا أن يجهز بفكره قوى يدفع بها عن حقه، فائننا نرى دائماً بأعيننا ان الضعيف مأكول للقوى وهكذا... حتى أن الفاتحين من الملوك و المتغلبين من الدول يدعون الحق لأنفسهم كحق الحاكمية والتآمر على غيرهم، فيعتذرون بذلك في مهاجمتهم على الناس وسفك الدماء وفساد الأرض وإهلاك الحرث والنسل وهو ليس بحق ومخالف للفطرة.

وأما الاسلام فأثبت أن أهم حقوق الانسانية هو التوحيد : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، والأول أساس الدين، وبالثاني تحفظ منافع الأفراد والاجتماع في حياتهم، وبالأول تحيى الفطرة المولود بالشرك والكفر والظلم، وبالثاني يوازن حقوق كل إنسان وحيوان لأنفسها، ويمنع عن التعدي على حقوق الغير، ويسير الانسان إلى سبيل الخير والحق ويسوق الانسان إلى السعادة والصلاح والفلاح وإلى الغرض الواحد مع بقاء التساوي والعدل في أصل الفطرة، وإذا لم يكن توحيد الكلمة مبتنئاً على كلمة التوحيد فلا أثر للثاني هكذا...

فهل يمكن ذلك بالعجز والضعف والكسل والتواني والتواكل بدون السعى والعمل...

وقد وردت روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها :

في الكافي: باسناده عن عمر بن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الخير كله في السيف، ونحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيف مقاليد الجنة والنار.

وفيه: باسناده عن رسول الله ﷺ - في حديث - قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله عز وجل ذلاً وفقراً في معيشته ومحققاً في دينه، ان الله عز وجل أغنى امتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها.

وفيه: باسناده قال رسول الله ﷺ: خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة

ان أردية الغزاة لسيوفهم.

وفيه : باسناده عن الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه قال : كتب أبو جعفر عليه السلام في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية : ومن ذلك ماضيت الجهاد الذي فضله الله عز وجل على الأعمال ، وفضل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة لأنه ظهر به الدين ، وبه يدفع عن الدين ، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلاً منجهاً ، إشتراط عليهم فيه حفظ الحدود ، وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله عز وجل من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد وإلى ولاية الله من ولاية العباد... الحديث.

وفيه : باسناده عن أبي حفص الكلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشرين سنين ، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال ، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ.

وفيه : باسناده عن ابن محبوب رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان الله عز وجل فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به.

وفيه : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً.

وفيه : باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : جاهدوا تغنموا .

وفيه : باسناده عن معمر عن أبي جعفر عليه السلام قال : الخير كله في السيف وتحت السيف وفي ظل السيف ، قال : وسمعه يقول : إن الخير كل الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة.

وفيه : باسناده عن أبي عمرو الزبيرى عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث

طويل :- فلما نزلت هذه الآية : «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم أحلّ لهم جهادهم بظلمهم إياهم واذن لهم في القتال ، فقلت : فهذه الآية نزلت في المهاجرين بظلم مشركي أهل مكة لهم فما بالهم في قتالهم كسرى وقيصر ومن دونهم من مشركي قبائل العرب؟

فقال: لو كان إنما أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكة فقط لم يكن لهم إلى قتال جموع كسرى وقيصر وغير أهل مكة من قبائل العرب سبيل لأنّ الذين ظلموهم غيرهم، وإنما أذن لهم في قتال من ظلمهم أهل مكة لأخراجهم إياهم من ديارهم وأموالهم بغير حق ، ولو كانت الآية إنما عنت المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة كانت الآية مرتفعة الفرض عمّن بعدهم إذا لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد وليس كما ظننت ولا كما ذكرت ، ولكن المهاجرين ظلموا من جهتين : ظلمهم أهل مكة بأخراجهم من ديارهم وأموالهم فقاتلوهم باذن الله لهم في ذلك ، و ظلمهم كسرى وقيصر و من كان دونهم من قبائل العرب والعجم بما كان في أيديهم ممّا كان المؤمنون أحقّ به منهم فقد قاتلوهم باذن الله عزّ وجلّ لهم في ذلك و بحجّة هذه الآية يقاتل مؤمنوا كلّ زمان ... الحديث.

أقول : وحاصل الجواب : أنّ جميع ما في أيدي المشركين كان من أموال المسلمين ، فالمسلمون مظلومون طول الأعصار إلى أن يستردوه منهم بحول الله تعالى وقوّته ، وأمّا المهاجرون فظلموا من هذه الجهة، ومن جهة اخراجهم من خصوص مكة.

وفيه : باسناده عن عقيل الخزاعي عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث طويل - قال: ثم إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الاسلام وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة وهو الكرامة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة و

بالرزق غداً عند الرب والكرامة يقول الله عز وجل: «لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله...» الآية.

ثم إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدين مع الذل والصغار وفيه إستيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار».

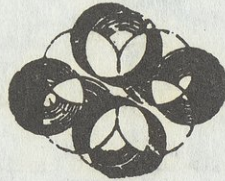
فحافظوا على أمر الله عز وجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة، فإن الله عز وجل لا يعثو بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علماً، وكل ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى فاصبروا وصابروا واسئلوا النصر ووطنوا أنفسكم على القتال، واتقوا الله عز وجل فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وفيه: باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه فسمعها رسول الله ﷺ في الخيل فركب فرسه في طلب العدو وكان أول أصحابه لحقه أبو قتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله ﷺ سرج دفتاه ليف ليس فيه أثر ولا بطر فطلب العدو فلم يلقوا أحداً وتابعت الخيل، فقال أبو قتادة: يا رسول الله ﷺ إن العدو قد انصرف فإن رأيت أن نستبق؟ فقال: نعم فاستبقوا فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم ثم أقبل عليهم، فقال: أنا ابن العواتك من قريش انه لهو الجواد البحر - يعني فرسه - .

قوله عليه السلام: «على سرح المدينة» السرح: الموضع الذي تسرح إليه الماشية و «يا سوء صباحاه» يعني تعال فهذا أوانك ينادي بمثله في محل الندبة، و «أثر و لا بطر» كناية عن عدم الزينة فيه، فإن ما يكون فيه الزينة يحصل من رؤيته الأثر

والبطرو هو شدة الفرح.

وقوله ﷺ : « أنا ابن العواتك » جمع عاتكة وهي من أسماء النساء
و العواتك ثلاث نسوة كن من جدات رسول الله ﷺ : إحداهن : عاتكة بنت
هلال بن فالح بن ذكو ان ام عبد مناف، والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال
بن فالح ام هاشم بن عبد مناف ، و الثالثة : عاتكة بنت الاقصى بن مرة وهي
ام وهب أبي آمنة ام رسول الله ﷺ و «لهو الجواد البحر» أي واسع الجري، و
سمي البحر بحراً لسمته.



﴿الدفاع عن حوزة الحق بقوتي المعنوية والمادية﴾

إذا راجعنا إلى الآيات القرآنية والروايات الواردة في الدفاع عن كيان الاسلام ونواميس المسلمين وإنفاذ الدعوة الحقّة نجدها على حد التلازم بين قوتي المعنوية من العلم والعمل والبيان ، والمادية من السيّف وما يجري مجراه في ذلك طول الأعصار... وتحت المرء المسلم فرادى والامة المسلمة جماعة إلى تجهيزهم بها تين القوتين سواء بسواء ، وإن إحداهما دون الاخرى لأثرها إلا الضعف والذلّ والهوان، وإن سيرة النبي الكريم ﷺ أصدق شاهد على ذلك ، وما قديتوهم ما في زمن أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، فالجواب القاطع من لسانهم في محله .

فلا ينبغي لعادل أن يجول في فكرته الدفاع عن الحق وأهله باحدى القوتين المتقدّمتين دون الاخرى ، وإن بلغت ما بلغ فضلاً عن فاضل خير .
في الكافي : باسناده عن ابن أبي عمير عن يحيى الطويل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «ما جعل الله عز وجل بسط اللسان وكف اليد ولكن جعلهما يبسطان معاً و يكفّان معاً» .

ومن المعلوم : أن الرواية ليست بصدد جواز الأمرين : البسط والكف بل في بيان التلازم بين اللسان و اليد في الآثار و عدمها في الأفراد و المجتمع الانساني .

وان الجهاد في الاسلام لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم

اليوم من اصطلاح « الحرب الدفاعية » من ما كرى المستشرقين ، وإنما كان الجهاد حركة الاندفاع و الانطلاق لتحرير الانسان في الأرض ، و كان دفاعاً عن الانسان ذاته بتحريره من العبودية للعباد و تقرير الوهيّة الله جلّ و علا وحده و ربوبيّته للعالمين ، و تحطيم مملكة الهوى البشرى في الأرض ، و إقامة مملكة الشريعة الالهية السّمتحة في عالم الانسان ، و تحرير فطرة البشرية ، ظلمت بالباطيل و الأوهام من عبادة الهياكل المصنوعة و الأصنام و الأوثان و ما إليها من الآلهة المزعومة الموهومة ...

و قد كان الجهاد ضرورة لهذه الدّعوة العامّة ، و كان السلم بما يرجى إسلامهم من غير قتال و كذلك الفداء أو الجزية .

فاقرأ ماورد في السيرة: انه قال ربعى بن عامر و حذيفة بن محصن و أضرابهم من جيش الاسلام لرستم قائد جيش الفرس في القادسية و هو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية قبل المعركة: « ما الذي جاء بكم؟ فيكون الجواب: الله إبتعنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله منا قبلنا منه ، و رجعنا عنه و تركناه و أرضه ، و من أبي قاتلناه حتّى نفضي إلى الجنّة أو الظفر.

فكان تحرير نوع الانسان هو موضوع الجهاد في الدين الاسلامي، و كان إنقاذ الانسان في الأرض من العبودية لغير الله سبباً لتشريع القتال، و كان من حق الاسلام أن يتحرّك إبتداء ليحطم الحواجز من الأنظمة و الأوضاع التي تغلّ من حرّية الانسان في الاختيار و حسبه انه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على إعتناق عقيدته : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» البقرة: (٢٥٦)

إنما يهاجم الأنظمة و الأوضاع ليحرّر الأفراد و المجتمع الانساني من

التأثيرات الفاسدة المفسدة للفطرة المقيدة لحرية الاختيار لأنّ الاسلام ليس
نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، إنما هو منهج إله ونظام عالم ، فمن حقّه أن يخرج
الناس من عبادة العباد إلى عبادة خالقهم وحده ليحقق إعلان الله العامّ برؤيته
الله جلّ وعلا للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين ، وعبادة الله وحده لانتحقق في
التصوّر الاسلامي ، ولا في الواقع العملي إلا في ظل النظام الاسلامي ، فهو
وحده النظام الذي يشرع الله عزّ وجلّ فيه للعباد كلّهم : حاكمهم ومحكومهم ،
رئيسهم ومرؤوسهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ،
مذكرهم ومؤنثهم ، عالمهم وجاهلهم ، سوقيهم ورعاتهم . . تشريعاً واحداً لا بدّ و
أن يخضع له الجميع على السواء ...

وانّ الاسلام ليس مجرد عقيدة حتّى يقنع ببلاغ عقيدته للناس بوسيلة
البيان ، إنّما الاسلام هو منهج يتمثل في تجميع تنظيمي حرّكي يزحف لتحرير
كلّ الناس ومن ثمّ يتحتّم على الاسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات
للتحرّر العام .

قال الله تعالى : «انّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله - قل
للمذين كفروا إنّ ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّة الأولين
وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّهُ لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون
بصير ، الأنفال : ٣٨-٣٩)

وانّ الاسلام ليس دين سيف وكرام على العقيدة كما توهم المستشرقون
الماكرون أو قالوا عناداً إضلالاً وهم يعلمون أنّ هذه ليست هي الحقيقة ، وتقبل
منهم بعض المسلمين المستغربين الذين لا معرفة لهم ولا علم بطبيعة الاسلام و
وظائفه وحقّه ومفهومه وحكمه ومعارفه على ما هو عليه ...

وإنّ الاسلام منهج الله عزّ وجلّ للحياة البشرية الذي يقوم على افراد الله
تعالى وحده بالالوهيّة ، متمثلة في الحاكميّة ، وينظم الحياة الواقعية بكلّ

تفصيلاتها اليومية ، فالجهاد فيه جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام ، أمّا العقيدة فأمرها موكول إلى حرية الاقتناع في ظل النظام العام بعد رفع جميع المؤثرات... و إن الإسلام لا ينظر إلى مصلحة أمة دون أمة ، ولا يقصد إلى النهوض بشعب دون شعب ، وكذلك لا يهتم في قليل ولا كثير ان تملك الأرض ، وتستولي عليها هذه المملكة أو تلك ، و ليس غرض الإسلام إستعمار الممالك الضعيفة ، وإستثمار أفرادها ، وإتباعه سعادة البشر وفلاحهم ، و له فكرة خاصة ، ومنهاج عملي مختار لسعادة المجتمع البشري والصعود به إلى معارج الكمال والفلاح ...

و كل حكومة مؤسسة على فكرة غير فكرة الإسلام هذه ومنهاج غير هذا المنهاج يقاومها الإسلام ، ويريد أن يقضى عليها قضاء مبرماً ، ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد التي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضية أو الأمة التي ينتمي إليها القائمون بأمرها ، فإن غاية الإسلام إستعلاء فكرته ، وتعميم منهاجه ، وإقامة الحكومة الإلهية وتوطيد دعائمها على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج ، ويأتي لواء الحق والعدل ، يأتي راية الكمال والفلاح ، ويأتي لواء الصلاح والاصلاح بيد من كان يليقاً أن يكون خليفة الله في أرضه ، وينكس راية الفتنة والفساد كلها... و ان الإسلام يتطلب الأرض كلها ولا يقنع بقطعة دون قطعة أو جزء دون جزء منها ، وإنما يستدعي المعمورة الأرضية كلها ، ولا يتطلبها لتستولي عليها ، وتستبد بمنابع ثروتها أمة بعينها بعد ما تنتزع من أمة أو أمم شتى بل يتطلبها الإسلام و يستدعيها ليتمتع الجنس البشري بأجمعه بفكرة السعادة البشرية ، ومنهاجها العملي للذين أكرمهم الله تعالى بهما ، و فضله بهما على سائر الأديان والشرائع ...

فليس للإسلام نظر خاص ، و ان الإسلام يريد أن يستخدم جميع القوى و الوسائل التي يمكن إستخدامها لاجداث إنقلاب علمي وحر كته وببذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظمى ، ويسمى هذا الكفاح المستمر وإستنفاد القوى

البالغ وإستخدام شتى الوسائل المستطاعة بالجهاد .

فالجهاد كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعى و بذل الجهد في العلوم والصناعات ، وتجهيز القوى ، والجهاد باللسان والبيان والقلم ، والجهاد في تدبير المنزل و نظام العائلات ، والجهاد في إقامة الشعائر ... فليس الجهاد الإسلامي جهاداً لا غاية له ، وإنما هو جهاد في سبيل الله عز وجل و هو من الكلمات التي إصطلح عليها الإسلام لتبين فكرته ، وإيضاح تعاليمه لالحرب الذي يكون معناه بالنسبة إلى الجهاد خاصاً .

فان الإسلام دين عام يخاطب لبني آدم كافة بلفظ عام يكون فيه حرمة بينهم العامة .

قال الله عز وجل : « قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (الأعراف : ١٥٨) .

كما أن كانت سائر دعوته من التوحيد وغيره عامة ، و دعوته في سبيل الإصلاح والتجديد ، وفي سبيل الهدم والبناء عامة للجنس البشري كافة لانتختص بأمة دون أمة ، ولا بطائفة دون طائفة ، فان الإسلام هو يدعو بني آدم كافة إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، وانه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله تعالى في أرضه ، و استأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس ، يهيب بالملوك الطاغية والامراء الجائرة أنفسهم و يناديهم قائلاً : « لا تطغوا في الأرض » وادخلوا في كنف حدود الله التي حدتها لكم وكفوا أيديكم عما نهاكم الله عنه ، و حذركم إتياءه ، فان أسلمتم لأمر الله تعالى و دنتم لنظام الحق والعدل الذي أقامه للناس خيراً و بركة فيها و نعمت .

و لكم الأمن والسلامة ، فان الحق لا يعادي أحداً ، وإنما يعادي الحق الجور والفساد والفحشاء ، و أن يتعدى المرء حدوده الفطرية ، و يتبغي ما وراء

ذلك مما لاحظت له فيه حسب سنن الكون وفطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل أمة آمنت بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن تصير عضواً من الأمة المسلمة لافرق في ذلك بين الأبيض والأسود، ولا بين العرب والعجم، ولا بين الغني والفقير، ولا بين الذكر والانثى، ولا بين القروي والمدني، بل كلهم سواء كاسنان المشط لا فضل لطبقة على طبقة...

قال الله عز وجل: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» آل عمران: (١١٠).

وقال: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات: (١٣).

وبذلك يتكون الحزب العالمي الذي يسمى بلسان الوحي بحزب الله، ولا يتكون هذا الحزب إلا أن يبدأ بالجهاد في سبيل الله تعالى، وهو الغاية التي أنشأ لأجلها، فإن لم يجاهد حق جهاده في هذا السبيل فقط فاقته غايته وهي نظام الحق والعدل، وإدراك هذه الغاية لا يختص بطبقة خاصة من الروحانيين، بل إن الأمة المسلمة بواقعهم هم حزب الله الذين أنشأهم الله جل وعلا لتحمل لواء الحق والعدل بعاقبتهم - وإن كان بمقدمهم الروحانيون - و تقطع دابر الجور والفساد، دابر الظلم والاستبداد، دابر الجناية والعناد، و دابر الكفر واللجاج في الأرض.

قال الله عز وجل: «لأنجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان و أبدى لهم بروج منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم و رضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» المجادلة: (٢٢).

وقال: «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»

المائدة: (٥٦).

وقال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعدوا ان الله لا يحب المعتدين - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » البقرة : ١٩٠ - ١٩٣) .

وهذه الأمة المسلمة بصرف النظر عما يرمى إليهم من إصلاح العالم ، وبث الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافة لا يقدرّون على أن يبقوا ثابتين على خطتهم ، متمسكين بمنهجهم ، عاملين وفق مقتضياتهم ، مادام نظام الحكم قائماً على أساس آخر سائراً على منهاج غير منهاجهم الاسلامي ، فلا بدّ لهم من المنهاج الاسلامي و رمى غيره إذ قال الله عز وجل : « وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الأنعام : ١٥٣) . و ذلك انّ حزباً مؤمناً بمبدأ ونظام الحياة ، والحكم خاص لا يمكن أن يعيش متمسكاً بمبدأ عاملاً حسب مقتضاه في ظلّ نظام الحكم ، مؤسس على مبادئ وغايات غير المبادئ والغايات التي يؤمن بها ، ويريد السير على منهاجها لأنّ النظم اسس لهذه الأمة غير النظم الذي بنى لغيرهم ، كما أن سمّوا بحزب الله وغيرهم بحزب الشيطان ونظامهم كذلك ، فكيف يمكن أن يعيش مسلم في ظلّ نظام الشيطان .

فغاية الجهاد في الاسلام هي هدم بنيان نظم المناقضة لمبادئه ، وإقامة حكومة مؤسّسة على قواعد الاسلام في مكانها إستبدالها بها ، وهذه المهمة هي مهمة احداث انقلاب إسلامي عام ، غير منحصرة في قطردون قطر ، بل مما يريد الاسلام ، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء الأرض المعمورة .

هذه هي غايته العليا ومقصده الأسمى ، وتدعوا الناس جميعاً إلى خير البشر وسعادتهم ، إلى كمالهم وسيادتهم ، وإلى فلاح الناس وعزّتهم أجمعين ، لا يمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر أو طبقة خاصّة ، بل الحق أنّها وظيفة الانسانية العامّة تنسجى مفهومها .

فأينما وجد الانسان مقهوراً فالحق من واجبه أن يدركه و يأخذ بحقه و ينتصر له ، و مهما اصبحت الانسانية في أبنائها المستضعفين ، فعلى العدل و مبادئه و الحاملين للوائه أن يلبّوا نداءها ، و يأخذوا بناصرهم حتّى ينتصروا لهم من أعدائهم الجائرين ، و يستردّوا لهم حقوقهم المغصوبة التي استبدّ بها الطغاة الجبابرة ، و العتاة الفجرة و البغاة الكفرة بغياً و عدواناً ، و بهذا المعنى نطق لسان الوحي حيث ورد التنزيل :

« و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرّجال و النساء و الولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها - الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله و الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً » النساء : ٧٥ - ٧٦ .

و زاد على ذلك أنّ الأواصر البشريّة و العلاقات الانسانية على ما اثرت فيها الفوارق القوميّة و الوطنيّة ، و احدثت فيها من نزعات الشّتات و الاختلاف قد تشتمل على ثلاثم شامل و تجانس عامّ بين أجزائها ، ربّما يتعدّد معه أن تسير مملكة في قطر بعينه بحسب مبادئها و خططها المرسومة المستبينة مادامت الأقطار المجاورة لها لا توافقها على مبادئها و خطتها ، و لا ترضى بالسير وفق منهاجها و برنامجها من أجل ذلك و جب على حزب الله تعالى حفظاً لكيانه ، و ابتغاء للإصلاح المنشود إلّا أن يقنع بأقامته نظام الحكم الاسلامي في قطر واحد بعينه ، بل من واجبه الذي لا مناص له منه بحال من الأحوال إلّا يدّخر جهداً في توسيع نطاق هذا النظام ، و بسط نفوذه في مختلف أرجاء الأرض .

و ذلك بأن يسعى الحزب الإلهي في جانب وراء نشر الفكرة الاسلامية ، و تعميم نظرياتها الكاملة ، و نشرها في أقصى الأرض و أدناها ، و يدعو سكّان المعمورة على اختلاف بلادهم و أجناسهم و طبقاتهم أن يتلقّوا هذه الدعوة بالقبول ، و يدينوا بهذا المنهاج الذي يضمن لهم السعادتين : سعادة الدنيا و سعادة الآخرة .

وبجانب آخر يشمّر عن ساق الجدّ ويقاوم النظم الجائرة المناقضة الشيطانية لقواعد الحق والعدل بالقوّة إذا استطاع ذلك وأعدّ له عدّته ، ويقيم مكانها نظام العدل والنصفة المؤسّس على قواعد الاسلام ، ومبادئه الخالدة التي لا تبلى جدتها على مرور الأيام والليالي والشهور والسنين ، هذه هي الخطّة التي سلكها ، وهذا هو المنهاج الذي إنتهجه الرسول الأعظم الالهي ﷺ بابتدائه بعشيرته الأقربين ثم بلده مكّة ثم بلاده العرب ثم أشرق شمس الاسلام في آفاقها باخضاعها أوّلاً لحكم الاسلام ، وإدخالهم في كنف المملكة الاسلاميّة الجديدة فيها العدل والخير فيها الصدق والأمانة فيها العفّة والحياء ، وفيها العيش الهنيء الذي يليق بالانسان . كما دعا رسول الله ﷺ الملوك والامراء والرؤساء في مختلف بقاع الأرض إلى دين الحق والاذعان لأمر الله تعالى ، فالذين آمنوا بهذه الدعوة ولبّوا بها إنضمّوا بهذه الحكومة الاسلاميّة ، وأصبحوا من أهلها ، ومن لم يلبّ دعوتها ولم يتقبلوها بقبول حسن شرع في قتالهم وجهادهم لفتنتهم وفسادهم في الأرض . هذا هو حقيقة الدين وطبيعة الاسلام وقيمة الجهاد فيه من إعلام الاسلام وإعلانه العام بتحرير الانسان من العبوديّة لغير الله ، وبتقرير الوهيّة الله جلّ وعلا في الأرض ، وتحطيم الطواغيت التي تعبدونها الناس ، وإخراجهم من العبوديّة للعباد إلى العبوديّة لله عزّ وجلّ وحده وهذه تشرع من القريب وهم قريش إلى البعيد من ممالك العالم تماماً .

ومن هنا يعلم ما يحتويه قوله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » (الحديد : ٢٥) من القوتين في إجراء القانون الالهي وإنفاذ أمره وإنهاء عذره ، والدفاع عن نوااميس الاسلام وكيان المسلمين :

أحدهما - العلم والحكمة والعمل والبيان .

ثانيهما - السيف وما يجري مجراه .

و ذلك أن الناس تجاه الدعوة الحقّة والقانون الإلهي على فريقين :
فريق يقودهم العلم والحكمة والعمل والبيان ، كما أشار إليه بقوله جلّ
وعلا : « ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط » .

و فريق يقودهم السيف وما إليه كما أشار إليه بقوله تعالى : « وأنزلنا
الحديد فيه بأس شديد » .

فان القانون لابدّ له من حام يحميه على ما عليه الناس ، إمّا بالحجّة
والبرهان ، وإمّا بالسيف وما يجري مجراه .
فلولاهما لكان وضع القانون لغواً و عبثاً بلا مراء .

فيجب على دعاة الإسلام خاصّة ، و على المسلمين كافّة في كل وقت ومكان
أن ينظر في سبك دعوة النبي الكريم ﷺ و سياسته العسكرية وطريقهما إذ
لهم كلّهم فيه ﷺ أسوة حسنة حتّى يستنتجوا منهما ما استنتج ﷺ منهما
حيث ان منذ الأيام الاولى من عمر الدعوة الحقّة المباركة والأساليب العملية
التي سلكها رسول الله الخاتم ﷺ لاحداث العملية التغيريّة الكبرى في دنيا
الناس ، خاضعة للتجديد والتبدّل ، فمرّة يلتزم السرية في العمل ، و يتخذ دار
التثقيف الطليعة الاولى من اتباعه ، و مرّة يخصّ عشيرته الأقربين بالدعوة دون
سواهم : « وأنذر عشيرتك الأقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »
الشعراء : ٢١٤ - ٢١٥) .

ثم يتخذ اسلوب الدعوة العامّة ، طريقاً إلى ايصال دعوته إلى الناس .
فيخاطب قريشاً جمعاء عند البيت الحرام ، ثم يتجه ﷺ للبحث عن أرض
حديثة للدعوة ، فتكون هجرة الحبشة ، ثم كانت لقاءاته مع القبائل ، خارج مكّة
فيزور الطائف و يقضي فيها شهراً ، يعرض دعوته و يطلب النصرة .
و أخيراً كانت اللقاءات مع حجاج يثرب ، فتوجت باحتضان أهل المدينة

المنوِّرة لرسالة الله عز وجل ، و ما ترتب عليه من هجرة النبي الكريم ﷺ والمؤمنين إليها، على أن الهجرة المباركة ، قد وضعت بين يدي الرسالة والدعوة ، إمكانيات كثيرة ، تجعلها قادرة على المواجهة ، و رد العدوان ، وهكذا كان قيام الحكومة الإسلامية بقيادة رسول الله ﷺ أولى نتائج الهجرة المباركة .

و قد استتبع قيام الحكومة الإسلامية مباشرة تبني سياسة عسكرية كأحد أساليب العمل الإسلامي لايصال الدعوة للنفوس ، الظمأى إلى الخلاص والانتعاش ، نظراً لتوفر إمكانيات هذه السياسة ، وإذا تتبعنا سياسة الاسلام العسكرية لوجدنا انها تهدف إلى إعطاء دعوة الله جل وعلا فرصة مخاطبة الناس وجهاً لوجه .

ومن غير مرأ أن السياسة العسكرية للحكومة الإسلامية لم تكن إلا وسيلة لازالة الحواجز المادية التي تحول دون وصول نور السماء إلى البشرية و نجاتها من الذلّة والهوان والعذاب والنار ، و كان هذا القصد مفهوماً لاعلى مستوى القيادة الإسلامية فحسب ، وإنما على مستوى القواعد التي تؤلف الجيوش الإسلامية ، وهذا عامر بن ربيع أحد جنود الفتح الإسلامي لبلاد الفرس يخاطب لرستم قائد جيش الفرس بقوله :

« ... ان الله إبتعثنا والله جاء بنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك منّا قبلنا منه و رجعنا عنه ، و تركناه و أرضه يليها دوننا و من أبى فاتلناه أبداً حتّى نفضى إلى موعود الله » .
على أن سياسة الحكومة العسكرية لم تكن على نمط واحد وإنما سارت عملياً من خلال طابعين :

أحدهما - الطابع الهجومي الذي يبرره كون الإسلام رسالة الله تعالى إلى عباده في الأرض ، فلا بدّ من تبليغها للناس بالرغم من الحواجز والعوائق المادية ، من دول وقوى و زعامات ، فان وقفت تلك الهياكل ، المادية في طريق

الدعوة فإن ضرورة التبليغ ، و مستلزماته تقضي بإزالة تلك الحواجز .
ثانيهما - الطابع الدفاعي الذي يقتضيه وجوب حفظ الرسالة الإسلامية ،
و حكومة الرسالة و اتباعها من العابثين والمتربصين بها والمهددين لوجودها
العملي ، وبناء على ذلك فأنه بالرغم من اتجاه الفتح الإسلامي والأعمال العسكرية
الإسلامية نحو هدف استراتيجي واحد هو إزالة العقبات عن طريق الدعوة الإسلامية ،
فأننا نجد الطابعين المذكورين يميزان طبيعة الفتوح والحروب والأعمال العسكرية
الإسلامية بشكل واضح .

فمعرفة بدر و فتح مكة و معركة حنين كانت هجومية بشكل لاغبار
عليه ، في حين كانت احد والخندق و معارك اخرى دفاعية بشكل جلي .
وفي رواية : عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن الجهاد
أسنة هو أم فريضة ؟ فقال : الجهاد على أربعة أوجه : فجهادان فرض الله ، و جهاد
سنة لا يقام إلا مع فرض ، و جهاد سنة ، فأما أحد الفريضين فمجاهدة الرجل نفسه
عن معاصي الله عز وجل وهو من أعظم الجهاد ، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار
فرض ، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض
على جميع الأمة ، و لو تركوا الجهاد لأنهم العذاب و هذا هو من عذاب الأمة
وهو سنة على الامام أن يأتي العدو مع الأمة ، فيجاهدهم ، و أمّا الجهاد الذي
هو سنة ، فكل سنة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها و أحيائها فالعمل
والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنه أحيى سنة قال النبي ﷺ : من سن سنة
حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من غير أن ينتقص من أجرهم شيء .

﴿ هدف الرسالة الإسلامية والسياسة العسكرية ﴾

ومن البين : أن الإسلام هودين بني على أساس الفطرة وهو القيم على إصلاح الإنسانية في حياتها ، وقد بادرت الرسالة الإسلامية إلى الإفصاح عن هويتها الإنسانية العالمية منذ أيامها الأولى في مكة ، وإنما هي رسالة تهية للإنسان جميع فرض النمو والازدهار وتوازن بين كافة جوانبه ، فلا تمكن لجانب بالتغكر لجانب آخر ، ومن الطبيعي أن ذلك الأمر لن يكون إلا إذا اعترفت الرسالة بالإنسان كما هو : طاقاته كلها وحاجاته كلها ، وكيانه جميعه...

ولعل أبلغ نص قرآني دلالة على الصفة الإنسانية للرسالة الإسلامية قول الله عز وجل : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم: ٣٠)

وإنما الإسلام هودين الفطرة الإنسانية، وهويتجاوب معها ، فلا يحرفها ولا ينكرها، وإنما يعترف بها ويقر متطلباتها جمعاء، وهو الدين الكامل ختم الله جل وعلا به الأديان كلها، فلا كتاب بعد كتاب هذا الدين ولا رسول بعد رسوله ﷺ ولا شريعة بعد شريعته.

قال الله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الإسلام ديناً» المائدة: (٣)

وقال: «إن الدين عند الله الإسلام - ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»

آل عمران: ١٩ و ٨٥

فإقامة هذا الدين و التحفظ عليه أهمّ حقوق الإنسانية المشروعة كما قال تعالى: « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا » الشورى: (١٣)

ثمّ بيّن تعالى: أنّ الدّفاع عن هذا الحقّ الفطري المشروع حق آخر فطري بقوله عزّ وجلّ: « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره » الحجّ: (٤٠)

و بيّن أن قيام التوحيد على ساقه و حياة ذكره منوط بالدفاع كما أشار إليه بقوله جلّ وعلا: « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة: (٢٥١)

ثمّ بيّن في ضمن آيات القتال بأنّ القتال سواء كان دفاعاً عن كيان الإسلام و نواميس المسلمين أم كان إبتدائياً لرفع الحواجز عن طريق الدّعوة الحقّة كلّ ذلك دفاع عن حقوق الإنسانية في حياتها ، وإعادة الحياة بعد موتها بالشرك و الطغيان ، بالكفر و العصيان و بالفتنة و الفساد في وجه الأرض.

فانّ الشرك بالله سبحانه هلاك الإنسانية و موت الفطرة و هكذا الكفر و المعصية ...

قال الله تعالى: « يجادلوك في الحقّ بعد ما تبين - ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ و يبطل الباطل ولو كره المجرمون » الأنفال: (٨-٦)

وقال: «يا أيُّها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»
(الأنفال: ٢٤)

وقد جعل الله عز وجل الغاية من القتال الديني حرية الدين ، ومنع فتون
أحد وإضطهاده لأجل إرجاعه عن دينه وذلك قوله جل وعلا: «وقاتلوهم حتى لا
تكون فتنة ويكون الدين كله لله» (الأنفال: ٣٩)

وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكل ما قدروا عليه من الإيذاء
والتعذيب لأجل دينهم: «وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول
وأيّاكم أن تؤمنوا بالله ربكم» (المتحنة: ١) «فالذين هاجروا واخرجوا من
ديارهم واذوا في سبيلي» آل عمران: ١٩٥) «ما يودّ الذين كفروا من أهل
الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم خير من ربكم - ود كثير من أهل الكتاب
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق - والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم
إن استطاعوا» (البقرة: ١٠٥ و ١٠٩ و ٢١٧).

أي فتنة المشركين في دين المسلمين بالقاء الشبهات في قلوبهم أو بتعذيبهم
وإيذاءهم كما فعلوا بعمار بن ياسر وبلال وخبّاب بن الأرت وغيرهم...
فقد عذبوا عمّاراً بالكى بالنار ليرجع عن دينه ، وعذبوا أباه وأخاه
وأمه ، فمربّهم رسول الله ﷺ فقال: «صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فإن
موعدكم الجنة» ومات ياسر في العذاب ، وطعنت أمه بحربة في موضع عفتها
فماتت .

وكان أمية بن خلف يعذب بلالاً بالجوع والعطش ليلاً ونهاراً ثم يطرحه على
ظهره في الرمضاء - الرمل المحمى بحرارة الشمس - ويضع على ظهره صخرة عظيمة
ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبّد اللات والعزى ،
فيأبى ذلك وتهون عليه نفسه في سبيل الحفاظ على دينه.

وما امتنع منهم إلا من له عصبة من قومه على أنه لم يسلم من أذاهم ذوو
العصبات فقد آذوا رسول الله ﷺ فوضعوا سلا الجزور - الكرش المملوء بالقرث -
على ظهره وهو يصلي حتى نحتته فاطمة الزهراء عليها السلام عنها ، وتعرضوا له
بضروب أخرى من الأيذاء وقام الله جل وعلا شرها إذ قال: «إنا كفيناك المستهزين»
(الحجر : ٩٥)

وكانوا يقاتلون المسلمين ويفتنونهم عن دينهم بالجبر والإكراه، ويصدون
عن سبيل الله ويعطلون سير الدعوة، ويضطرونهم إلى الخروج من موطنهم مرغمين:
إرغام المسلمين على الارتداد عن الإسلام الذي كان يمارسه زعماء المشركين بمكة
ضد ضعفاء المسلمين.

قال الله تعالى: «ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء - واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء: ٨٩-٩١
وقال: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا»
الأنفال: ٣٩

الانتهاء عن موقف العدوان وفتنة المسلمين من الرد والابتعاد والارجاع و
الفساد إلى أن يتوبوا ويؤمنوا ويسيروا الصلاة ويؤتوا الزكاة.
قال الله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم
واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»
التوبة: ٦) فان آمنوا فيها ونعمت ويصبحوا إخواناً للمسلمين.

وقال: «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين»
التوبة: ١١) وإن لم يؤمنوا وحافظوا على عهدهم واستقاموا عليه فلا مانع:
«كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» التوبة: ٧) وإن كنتم أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في الدين فيقاتلون حتى ينتهوا من هذا الموقف العدواني.

قال الله عز وجل: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و همؤا باخراج الرسول و هم بدؤكم أول مرة» التوبة: (١٢-١٣)

وفي قوله تعالى: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً» النساء: (٩٠)

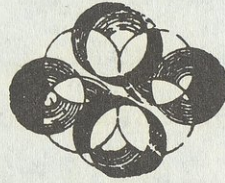
وقوله عز وجل: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» الأنفال: (٦١) أمر صريح بأن يسالم كل من جنح إلى المسالمة من الأعداء.

وفي قوله عز وجل: «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله - فإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعدو إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها» محمد ﷺ: (١-٤) أمر بقتال الكفار الطاغين الصادقين عن سبيل الله إلى أن تخضع شوكتهم، ثم يؤسر الباقون إلى أن يفقدوا أنفسهم، أو يطلق سراحهم متآدون إرغام على الاسلام لأن المقصود من القتال قد حصل.

ولم يرد أي خبر بأن محمداً رسول الله الأعظم ﷺ رفض في أي وقت طلب الصلح أو عهد أمان من أعداء محاربين، كما أنه ما ورد من خبر بأنه قاتل أو أمر بقتال أناس مسلمين أو حياديين، والذي يدرس وقائع الجهاد: أن رسول الله الخاتم ﷺ لم يبعث سرية، ولم يباشر غزوة، ولم يشتبك بقتال مع فئة إلا رداً على عدوان، أو دفعاً لأذى أو تنكيلاً بغادر أو تأديباً لباغ، أو ثأراً لدم إسلامي أهدر أو ضماناً لحرية الدعوة والاستجابة إليها أو بناء على نكث عهد أو بسبب مظاهرة عدو أو تأمر معه على المسلمين.

وكل هذا متسق مع النصوص القرآنية التي لا يمكن أن يصدر منه ما ينقضها بطبيعة الحال، وكل هذا ينطبق على وقائع القتال مع اليهود و

النصارى الكتائبين أيضاً ، فكلّ عملية تأديب أو تنكيل أو غزوة ضدّ يهود
 يشرب و القرى اليهودية الأخرى طريق الشام كانت ردّاً على عدوان أو مؤامرة
 ضدّ الاسلام والمسلمين ، و كانت الحرب في الاسلام دفاعاً عن حرية العقيدة
 و دفع الفتنة عن دينهم و عن حقوقهم و هي حرب تعدّ مقدّسة في كلّ أزمنة
 و أمكنة .



﴿ الدعوة الإسلامية العالمية والدفاع عنها ﴾

و قد أفصح الاسلام عن هويته الانسانية منذ كان دعوة بمكة كما يتجلى ذلك من خلال السور المكيّة التي تتناول حقيقة الكائن الانساني وتركيبه الروحي- المادي ، و إلى جانب الاعلان عن الهوية الانسانية من لدن الرسالة الاسلامية أعلنت عن هويتها العالمية منذ أيامها الاولى ، فالآيات التي كشفت عن هذه السمة بكل قوة و وضوح كانت مكيّة : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (الأنبياء : ١٠٧) « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً » (سبا : ٢٨) .

و إن خطاب - يا أيها الناس - تكرر في السور المكيّة مراراً منها كقوله جل وعلا : « قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً » (الأعراف : ١٥٨) .

و بالرغم من إعلان النصوص الاسلامية الأصيلّة عن الصفة العالبيّة للاسلام ، فإنّ الواقع التطبيقي منذ بداية الدعوة كان يجسد تلك الاطروحة ، فطليعة الدعوة كان تركيبتها يشير بحزم وقوة إلى تخطي الاسلام لكل الفروق الجغرافية والقومية والقبلية والحواجز الطبقيّة وسواها ، ففي الدعوة الأوّل كان الغنيّ والفقر ، وكان الأبيض والأسود والعربي والعجمي و سوى ذلك ، فهناك ابن عبدالمطلب و عمّار و بلال الحبشي و صهيب الرومي و مصعب بن عمير و غيرهم ، و أمّا بعد الهجرة المباركة فقد عبر الاسلام عن طبيعته العالبيّة بوسائل جديدة ، منذ أوّل فرسه سنحت ، فبعد تجميد الصراع بين المسلمين والمشرّكين من قريش على اثر توقيع صلح الحديبية . . بدا الاتصال بالعرب من غير قريش والاتصال بقيادة الدول المعاصرة

لحكومة القرآن الكريم :

الدول الصغيرة منها والكبيرة ، كل ذلك إلقاء للحجّة على الناس وإبلاغاً لهم بشريعة الله جلّ وعلا ، وإذا كان النبيّ الكريم ﷺ قد بعث بدعاة مبلّغين بالرسالة إلى أحياء العرب ، وقبلئهم يدعوهم إلى الاسلام ، فانه ﷺ رأى أن يبعث للملوك والقادة في العالم المعاصر له بكتب يدعوهم فيها إلى الله تعالى وشريعته اسوة بالعرب ...

وهكذا كتب إلى قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس والمقوقس زعيم الاقباط والنجاشي ملك الحبشة والحارث الغساني ملك دمشق ، والحارث الحميري ملك صنعاء اليمن ، وكتب إلى ملك عمان وملك البحرين وملك اليمامة وغيرهم ... أمّا قيصر الروم فقد عرض الأمر على زعماء الروم فرفضوا الكتاب رفضاً شديداً ، وأعلن رفضه معهم ، و انتهى موقفه عند هذا الحد ، وأمّا كسرى فقد مزّق كتاب رسول الله ﷺ و كتب إلى نائبه على اليمن وإسمه باذان : أن يبعث رجالاً لالقاء القبض على النبيّ الكريم ﷺ وإرساله إليه و نفذ باذان أمره وأرسل رجلين من مدللي قصره ، فلما وصلا للرسول ﷺ كره منظر التخنث والنعومة عليهما ، فقال ﷺ لهما : من أمر كما بهذا ؟

قالا : ربّنا - يقصدان كسرى - فقال ﷺ : أبلغا صاحبكما - يعني باذان - : انّ ربّي قتل ربّه كسرى في هذه الليلة ، فعادا وأخبرا صاحبهما بذلك ، وما هو إلّا وقت قصير حتّى يأتي النبا إلى باذان بموت كسرى ، فأسلم باذان و من معه باليمن من أبناء الفرس .

وأما النجاشي : ملك الحبشة فأسلم ووضع كتاب رسول الله ﷺ على عينيّه و نزل من سريره و جلس على الأرض إجلالاً للنبيّ الكريم ﷺ ثم كتب إليه برسالة يعلن إسلامه ، و تصديقه بما جاء به من عند الله جلّ وعلا .

وأما عظيم القبط فقد اعترّ بكتاب الرسول ﷺ واحتفظ به وأكرم حامل

الكتاب وأرسل كتاباً رقيقاً لرسول الله ﷺ وجاريتين إحداهما ، مارية القبطية التي تزوجها النبي الكريم ﷺ وكسوة وبغلة فقبل رسول الله ﷺ هديته ، وأما الحارث الغساني ، فقد رمى كتاب رسول الله ﷺ وعزم على قتاله ، وأراد التعاون مع قيصر على ذلك فرفض قيصر فكرته ، وملك اليمامة ردّ على النبي الكريم ﷺ بأنّه يسلم شريطة أن يعينه ملكاً فلعمري رسول الله ﷺ .

وأما ملك البحرين فقد أسلم بعد وصول الكتاب من النبي الكريم ﷺ إليه وكذلك الحارث الحميري ملك صنعاء فأنه قد أسلم ، وهكذا كانت ردود القادة والملوك المعاصرين لرسول الله ﷺ الخاتم ﷺ مختلفة ، ففهم من ردّ ردّاً سيئاً وفهم من كان ردّه حسناً ، ومهما يكن من أمر فإن طريقة المكاتبة قد كانت اسلوباً فذاً من أساليب رسول الله ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية ، وبطبيعة الحال فإن رسول الله ﷺ قد حدّد موافقه فيما بعد وفقاً لنتائج تلك المكاتبات ، حيث رسم خطته المستقبلية من التعبئة الجهادية وسواها طبقاً لردود حكّام تلك البلدان .

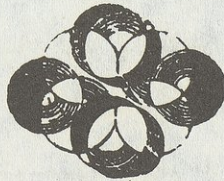
في الكافي : باسناده عن الزهري قال : دخل رجال من قریش على علي بن الحسين عليه السلام فسألوه كيف الدعوة إلى الدين ؟ قال : تقول : بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عز وجل وإلى دينه ، وجماعه أمران : أحدهما معرفة الله عز وجل والآخر العمل برضوانه ، وإن معرفة الله عز وجل أن يعرف بالوحدانية والرافة والرحمة والعزة والعلم والقُدرة والعلو على كل شيء ، وأنه النافع الضار القاهر لكل شيء الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وإن محمداً عبده ورسوله وإن ما جاء به هو الحق من عند الله عز وجل وما سواه هو الباطل فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

وفيه : باسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام لما وجهني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : يا علي لا تقاتل أحداً

حتى تدعوه إلى الإسلام ، و أيم الله لأن يهدي الله عز وجل على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لأوه .

فاذا أردت أن تعرف صدق ذلك فانظر إلى آيات القتال ، و ما ورد من الروايات في أمر الجهاد و حكمته والغرض له تجد أن الجهاد في الدين الاسلامي كان لتخليص الانسان من الرقيّة لذوي الأقدار و من العبودية لذوي الهياكل المصنوعة من الأصنام وما إليها، ولقطع مواد الفساد التي نمت في القلوب والاجتماع... و كان لأن يطيع الانسان لله تعالى وحده و لايجاد الصلح والالفة والاخوة والأمانة والعيش الهنيئ لأفراد المجتمع ، و كان للدفاع عن حرّية الدعوة والمسلمين ومقاومة الأذى والعدوان والصدّ إلى أن تضمن الحرية والسلامة للمسلمين والحرية والانطلاق للدعوة ، و يمتنع الأذى والعدوان على الاسلام والمسلمين و ظلّ هذا المبدأ محكماً إلى النهاية .

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إطعام الأسير حق على من أسره و إن كان يراد من الغد قتله ، فانه ينبغي أن يطعم و يسقى و يظلّ و يرفق به كافرأ كان أو غيره .



﴿الامام علي عليه السلام وحكمة الجهاد﴾

وقد وردت روايات كثيرة في حكمة الجهاد في سبيل الله جل وعلا نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة : «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنبته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء و ضرب على قلبه بالاسهاب وادبل الحق منه بتضييع الجهاد و سيم الخسف و منع النصف .

ألا وإنني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً و سرّاً و إعلاناً و قلت لكم اغزوه قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا فتوا كلمتم و تخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات و ملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري، و أزال خيلكم عن مسالحتها ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهدة، فينتزع حجلها و قلبها و قلاندها و رعتها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع و الاسترحام ، ثم انصرفوا و افرين ما نال رجلاً منهم كلم و لا اريق لهم دم، فلو أن امرأة مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً !

فيا عجباً ! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من إجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفريقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم و ترحاً حين صرتم غرضاً يرمى بفار عليكم ولا تغيرن وتفزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون ! فاذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم : هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرّون فأنتم والله من السيف أفر !

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال لوددت انني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرّت ندماً و اعقبت سدماً قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قبحاً ، وشحنتم صدري غيظاً وجرّ عتموني نعب التهمام أنفاساً وأفسدتهم علي رأيت بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبيطالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، و أقدم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها ، وما بلغت العشرين و هانذا قد ذرّفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

هذه الخطبة من مشاهير خطب الامام علي عليه السلام :

وذلك انه انتهى إلى علي عليه السلام ان خيلاً وردت الأنبار لمعاوية فقتلوا عاملاً له يقال له : حسان بن حسان ، فخرج مخضباً يجرّ رداءه حتى أتى النخيلة - وهي اسم موضع خارج الكوفة - و اتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض أي مكاناً مرتفعاً منها ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم قال : أما بعد !

الخطبة ...

وقوله عليه السلام : «سيم الخسف ، أي اولى الخسف و كلف إياه ، والخسف : الذلّ والمشفة و «جنته» الجنة : ما يجتنّ به أي يستمر كالدرع والحجفة ، و «ديث بالصغار» أي ذلل ، والصغار : الذلّ والضم ، و «القماء» أي صار قمياً وهو

الصغير الذليل و «الاسهاب» وهو ذهاب العقل أو التكلم بما لا فائدة تحته و «اديل الحق منه» الدال والدالان: مشي يقارب فيه الخطو ويبغي فيه، كأنه منقل من حمل فاطمعي ذهب الحق منه بسبب تضييعه الجهاد.

وقوله **عليه السلام**: «النصف»: الانصاف، و «عقر دارهم»: أصل دارهم و «توا كلمتم» من و كلمت الأمر إليك، و «كلمته إلى» أي لم يتوكله أحد منّا فأحال به كل واحد على الآخر و «شنت عليكم الغارات»: فرقّت وما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال المباء على الوجه دفعة بعد دفعة و «مسالحها» المسالح: جمع مسلحة و هي كالنغر والمربق، و «المعاهدة»: ذات العهد وهي الذميمة، و «حجلها»: خلخالها و «رعنها»: شنوفها، و «قلبها»: سوادها، و «الكلم»: الجراح، و «فقبحاً لكم وترحاً» دعاء بأن ينحيتهم الله تعالى عن الخير وأن يخزيهم ويسؤهم، و «غرضاً» هدفاً.

وقوله **عليه السلام**: «حمارة القيط» بتشديد الراء: شدة حرّة، و «يسبّخ عنا الحرّ» أي يخفّ و «صبارة»: شدة برد الشتاء و «ربّات الحجال»: النساء و «سدما»: حزناً و غيظاً، و «قيحاً» القيح: ما يكون في القرحة من صديدها، و «شحنتم»: ملأتم، و «نغب» جمع نغبة وهي الجرعة، و «التهمام»: الهمّ، و «أنفاساً»: جرعة بعد جرعة، و «ذرفت»: زدت.

فقام إلى الامام علي **عليه السلام** رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين انني وأخي هذا كما قال الله تعالى: «ربّ انني لا أملك إلا نفسي وأخي» المائدة: (٢٥) فمرنا بأمرك فوالله لننتهين إليه، ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعاهما بخير وقال: وأين تقعان مما اريد؟ ثم نزل.

وقوله **عليه السلام**: «هذا أخو غامد» وهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي.

وفيه: قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **عليه السلام**:

«فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة

نسيباً للرزق، والصيام إبتلاء لإخلاص الخلق، والحج تقوية للدين، والجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الرحم مناة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة، وترك الزنا تحصيناً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادات إستظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريعاً للصدق، والسلام أماناً من المخاوف، والأمانة نظاماً للأمة، والطاعة تعظيماً للإمامة..

قوله **عَلَيْهَا**: والجهاد عزاً للإسلام، وقد فرض الجهاد عزاً للإسلام، وذلك ظاهر.

قال الله عز وجل: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً» (الحج: ٤٠)
وقال: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (الأنفال: ٦٠)

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين **عليه السلام** - قال: «عجبا لسعد وابن عمر! يزعمان أنني أحارب على الدنيا أفكان رسول الله **ﷺ** يحارب على الدنيا؟ فان زعما أن رسول الله **ﷺ** حارب لتكسير الأصنام وعبادة الرحمن، فانما حاربت لدفع الضلال والنهي عن الفحشاء والفساد أفمثلي بز نحب الدنيا، والله لو تمثلت لي بشراً سوياً لضربت بها بالسيف».

وفيه: قال الامام علي **عليه السلام**: «الجهاد ثلاثة: جهاد باليد، وجهاد باللسان، وجهاد بالقلب، فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك، ثم لسانك، ثم يصير إلى القلب، فان كان لا يعرف معروف ولا ينكر منكر أنكس فجعل أعلاه أسفله».

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي **عليه السلام** في خطبة -: «والله والله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله».

ومن كلام أفلاطون: ان إتخاذ الأسلحة الموافقة وإقتنائها والاجتماع و
التآلف هي أشياء ضرورية لما في الطباع من الحرب الدائم، ومن فوائد الحرب
مغالبة المرء نفسه وطلب القدرة على قمع الشرور النفسانية، وطلب العدل في
الامور...

قال الله عز وجل: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من
الذين كفروا أويكبهم فينقلبوا خائبين، آل عمران: ١٢٦-١٢٧)
قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الفالب بالشر مغلوب، المحارب
للحق محروب».



* ما يتعلق بالجيش *

في تحف العقول: في وصية مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لزياد بن النضر حين أنفذه إلى صفين:

«إتق الله في كل ممسي ومصبح، وخف على نفسك الغرور، ولا تأمنها على حاك (حال خ) من البلاء، وأعلم أنك لم تزع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر حتى تظعن، فكن لنفسك مانعاً وازعاً عن الظلم والغي والبغي والعدوان، قد وليتك هذا الجند فلا تستذلّهم، ولا تستطل عليهم، فإن خيركم أتقاكم، تعلم من عالمهم، وعلم جاهلهم، وأحلم عن سفيهم، فانك إنما تدرك الخير بالعلم وكف الأذى والجهل».

ثم أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذره:

«إعلم أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوك، فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر والخمر، وفي كل جانب حتى لا يغيركم عدوكم، ويكون لكم كمين، ولا تسير الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلا لتعبية، فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية، وإذا أنزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم في اقبال الاشراف أو في سفاح الجبال، أو اثناء الأنهار كي ما تكون لكم رداءاً ودونكم مردأً.

ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد وإثنين، واجعلوا رقبائكم في صياصي

الجبال، وبأعلى الاشراف، وبمناكب الأنهار يريثون لكم لئلا يأتىكم عدو من مكان مخافة أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل، فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة، واجعلوا رماتكم يلوون ترستكم كيلا تصاب لكم غرّة، ولا تلقى لكم غفلة، واحرس عسكرك بنفسك وإياك أن ترقد أو تصبح إلا غارداً أو مضمضة.

ثم ليكن ذلك شأنك ودأبك حتى تنتهي إلى عدوك، وعليك بالتأني في حربك، وإياك والعجلة إلا أن تتمكنك فرصة، وإياك أن تقاتل إلا أن يبدوك أو يأتىك أمرى والسلام عليك ورحمة الله»

أقول: إن هذه الرواية وردت في نهج البلاغة مقطعة.

وفى الكافى: باسناده عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينافيه عدوً فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدو لكم فانكم بحمد الله على حجة، وتركم إياهم حتى يبدو لكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتهم فلاتقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تملأوا بقتيل.

وفيه: باسناده عن مالك بن أعين قال: حرض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفين، فقال: إن الله عز وجل دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، وتشفي بكم على الخير الايمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنوب، ومساكن طيبة في جنّات عدن.

وقال: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» فسوّوا صفوفكم كالبنين المرصوص، فقدّموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعضّوا على النواجد فانه أنبأ للسيوف على الهام، والتّووا على أطراف الرماح فانه أمور للأسنة، وعضّوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فانه أطرّد للفشل، وأولى بالوقار، ولا تملأوا براياتكم، ولا تزيّلوها

ولا تجعلوها إلامع شجعانكم، فإن المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تستكوا (تهتكوا) (خ) سترأ، ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسبين امراءكم، فانهن ضعاف القوى والأنفس والعقول.

وقد كنتاؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعتربها وعقبه من بعده واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحفون برأيانهم، ويكتنفونها ويصيرون حفا فيها وورائها وأمامها، ولا يضيعونها لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها، رحم الله امرءاً واسى أخاه بنفسه، ولم يكمل قرنه إلى أخيه، فيجتمع قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة و يأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين وهذا ممسك يده قد دخل قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرضوا لمقت الله عز وجل، فاتما ممركم إلى الله وقد قال عز وجل: «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً»

وأيما الله لن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق فاتما النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوة إلا بالله.

أقول: إن الرواية وردت في نهج البلاغة مقطعة.

وقوله عليه السلام: «وتشفى» أشفى على الشيء: أشرف، وقوله تعالى: «مرصوص»: محكم لاصق بعض الشيء ببعضه لا يغادر منه شيء شيئاً، وقوله عليه السلام: «الدارع»: لابس الدرع و«الحاسر»: الذي لا مغفر له ولا درع، أمرهم الامام عليه السلام بتقديم المستلثم على خير المستلثم لأن سورة الحرب وشدهتها تلقى وتصادف الأول فلا أول، فلا بد وأن يكون أول القوم مستلثماً و«النواجد»: أقصى الأسنان -

والضواحك منها ، و ذلك انّ العضّ على الأضراس يشدّ شئون الدماغ و
باطاته ، فلا يبلغ السيف مبلغه لو صادفه رخواً أو يبدؤ و هم با لحنق و
الجدّ .

وقوله عليه السلام : «الهام» : الرأس ، و «التوا» أمرهم بأن يلتوا إذا طعنوا
لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أي يتحرك عن موضعة الطعنة ،
فيخرج زالقاً و إذا لم يلتوا لم يمرّ السنان ، ولم يتحرك عن موضعه ، فيخرق
و ينفذ فيقتل و «عضّوا» أمرهم بغضّ الأبصار في الحرب فانه أثبت للقلب لأنّ
القاض بصره في الحرب أخرى أن لا يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر ، «أميتوا» أمرهم
بامانة الأصوات وإخفائها ، فانه أطرده للفشل وهو الجبن والخوف ، و ذلك لأنّ
الجبان يرعد ويرق والشجاع صامت .

وقوله عليه السلام : «ولا تملوا» أمرهم الإمام عليه السلام بحفظ رأيهم وإقامتها و ألا
يميلوها فانها إذا مالت إنكسر العسكر لأنهم ، إنما ينظرون إليها و ألا يخلوها
من محام عنها ، و ألا يجعلوها بأيدي الجبناء و ذوي الهلع منهم كي لا يخيموا و
يجبنوا عن إمساكها ، و «الذمار» : ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن يحميه ، و
سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمّر له : أي الغضب ، و «الحقائق» : جمع
حاقة و هي الأمر الصعب الشديد ، ومنه قول الله عزّ وجلّ : «الحاقة ما الحاقة»
يعنى الساعة .

وقوله عليه السلام : «يكتنفونها» : يحيطون بها ، و «حفايها» : جانبها و طرفها ،
و «واسى» المواساة : الإعانة بالنفس و المال ، و «قرنه» القرن - بكسر القاف - :
الكفوف في الشجاعة ، و «لم بكل» : لم يدع قرنه ينضمّ إلى قرن أخيه فيصيرا معاً
في مقاومة الأخ المذكور و «من سيوف الأجلة» أي من عقاب الله تعالى في الآخرة ،
و سمي ذلك سيفاً على وجه الاستعارة وصناعة الكلام لأنه قد ذكر سيف الدنيا ،
فجعل ذلك في مقابلته .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله عز وجل ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى، وتستوجبوا غضبه، وإذا رأيتم من إخوانكم المجروح، ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه فقوموا بأنفسكم.

وفيه: قال عليه السلام أيضاً: «وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإذا بدؤوا بكم فانهضوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار وعضوا على الأضراس فانه أنبأ للسيوف عن الهام، وغضوا الأبصار ومدوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلوا الكلام، فانه أطرده للفشل وأذهب بالوهل، ووطنوا على المبارزة والمنازلة والمجادلة، واثبتوا واذكروا الله عز وجل كثيراً فإن المانع للذمار عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحقون برأيانهم ويضربون جافيتهم وأمامها، وإذا حملتم فافعلوا ففعل رجل واحد، وعليكم بالتحامي، فإن الحرب سجال لا يشدون عليكم كربة بعد كربة، ولا حملة بعد جولة، ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه، واستعينوا بالصبر، فإن بعد الصبر النصر من الله عز وجل: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

قوله عليه السلام: «فانهضوا»: انهضوا واقصدوا واصمدوا واشرعوا في قتالهم، و«مدوا جباه الخيول» كناية عن إقامة الصف وتسويته ركباناً ورجالاً، و«بالوهل»: الضعف والفرغ، و«سجال» مرة لكم ومرة عليكم.

وفي نهج البلاغة: ومن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «انه شيع جيشاً يغزيه فقال عليه السلام: اعزبوا عن النساء ما استعظمن».

قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه: ومعناه: أصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن، امتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت في عضد الحمية، ويقدر في معاهد العزيمة، وبكسر عن العدو ويبلغت عن الابعاد في الغزو.

فكل من امتنع من شيء فقد عزب عنه ، والعازب والعزوب: الممتنع من الأكل والشرب .

وفي شرح النهج: لابن أبي الحديد- من الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : « كن في الحرب بخيلتك أوثق منك بشدتك ، وبحذرک أفرح منك بنجذتك ، فان الحرب حرب المتهور و غنيمة المتحذر » .

وفي نهج البلاغة : من وصية له عليه السلام وصى بهامقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاث آلاف مقدمة له :

« اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ولا تقاثلن إلا من قاتلك ، وسر البردين وغور بالناس ورقه في السير ولا تسرا أول الليل ، فان الله جعله سكناً ، وقدّره مقاماً لا ظعناً فارح فيه بدنك ، وروح ظهرك ، فاذا وقفت حين ينبطح السحرا وحين ينفجر الفجر ، فسر على بركة الله فاذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً ، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتي يأتيك أمري ، ولا يحملنكم شئاً نهم علي قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم » .

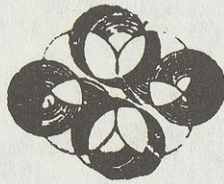
قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « معقل بن قيس كان من رجال الكوفة وأبطالها ، وله رئاسة وقدم أوفده عمّار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهر مزان بفتح تستر ، وكان من شيعة علي عليه السلام وجهه إلى بني ساقه ، فقتل منهم وسبي وحارب المستورد بن علقمة الخارجي من تميم الرباب فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة - وقوله عليه السلام : « ولا تقاثلن إلا من قاتلك » نهى عن البغي ، و « سر البردين » البردين : الغداة والغشى وهما الأبردان أيضاً ، وصاه أن يرفق الناس ولا يكلفهم السير في الحر ، و « غور بالناس » : أنزل بهم القائلة ، و « ورقه في السير » : دع الابل ترد رفهاً وهو أن ترد الماء كل يوم متى شئت ولا ترهقها وتجشمها السير . وقوله عليه السلام : « ولا تسرا أول الليل » معللاً بقوله جل وعلا : « فان الله جعله

سكناً» و«حين ينبطح» : ينسبط، و«قف من أصحابك وسطاً» لأنه الرئيس فلا بد وأن يكون في قلب الجيش كما أن قلب الانسان في وسط جسده ولأنه إذا كان وسطاً كانت نسبته إلى الجوانب كلها واحدة ، وإذا كان في أحد الطرفين بعد من الطرف الآخر ، فربما يختل النظم ويضطرب ، و«البأس» : الحرب ، فلا بد له أن يكون على حال متوسطة بين هذين حتى يأتيه الأمر من أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أعرف بما تقتضيه المصلحة .

ثم قال له الامام عليه السلام : لا يحملتكم بغضكم لهم على أن تبدؤهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلى الطاعة، وتعتذروا إليهم أى تصيروا ذوى عذري حريهم، و«الشنآن» : البغض .

وفي الكافي : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شعارنا : «يا محمد يا محمد» - ويوم الفتح : «نحن عباد الله حقاً حقاً» - وشعار الحسين عليه السلام : «يا محمد» وشعارنا : «يا محمد» .

وفي رواية : قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «اللهم احقن دمائنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأنقذهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعوى عن الفى والغدر من لهج به» .



﴿التشجيع والدفاع عن الحق﴾

ومن غير مرأى: أن المحقق الخبير إذا تدبر في القرآن الكريم لا يجد مورداً ذكر فيه أمر الدفاع عن كيان الإسلام ونواميس المسلمين، والقتال في سبيل الله تعالى إلا وفيه تشجيع للمؤمنين وبشارة لهم بالظفر والغلبة على من اعتدى على الحق وأهله بشرط الصبر والثبات على إحقاقه، وحث لهم على ذلك، وإن الآيات الكريمة كثيرة تشير إلى ما يسعه المقام:

قال الله عز وجل: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوفاً كفوراً» الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» (الحج: ٣٨-٤٠)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسوا لهم وأضل أعمالهم - ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم» محمد ﷺ (١١-٧).

وقال: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» (غافر: ٥١)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله - فأيدنا الذين آمنوا على

عدوهم فأصبحوا ظاهرين، الصف: ١٤)

وقال: « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً - وذكروا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً - واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً » النساء : ٧٥-٩١)

وقال: «قاتلوهم بعدّ بهم الله بأيديكم ويغزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، التوبة: ١٤)

وقال: « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشر كوابه، آل عمران: ١٥٠-١٥١)

وقال: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، النساء: ١٤١)

وقال: « إني معكم فنبئتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب - يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار - ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين - وان الله مع المؤمنين، الأنفال: ١٢-١٩)

وقال: « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا

من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون « المائدة: ٣٣ - ٣٥)

وقال: « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم » محمد ﷺ عليه السلام : (٣٥)

و قال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » آل- عمران : (١٣٩)

وقال: « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » البقرة: (٢٤٩)

وقال : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » الأنفال : (٦٥)

وقال: « إستحوز عليهم الشيطان فأنسأهم ذكرا لله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز لا تجد قومأ يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيديهم بروح منه - اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » المجادلة: (١٩-٢٢)

وقال: «أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» التوبة: (١٣)
وقال: «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» المائدة: (٥٦)

وقال: «وإن جندنا لهم الغالبون» الصافات: (١٧٣)
وغيرها من الآيات القرآنية النازلة في الدفاع عن حوزة الحق وأهله وإنقاذ

أمر الله تعالى وإنهاء عذره.

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في حث أصحابه على القتال - : « وأيم الله لئن فررت من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة ، وأنتم لها ميم العرب والسنام الأعظم ، ان في الفرار مودة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفار غير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه ، من إلى الله كالظمآن يرد الماء ! الجنة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار ، والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم ، ألهم فان ردوا الحق فافض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم ،

قوله عليه السلام : « سيف الآخرة » : عقاب الآخرة سمى سيفاً لمقابلته سيف الدنيا ، و « لها ميم » : السادات الأجواد من الناس ، الواحد لهموم ، و « السنام الأعظم » : شريفهم وعلو أنسابهم لأن السنام أعلى أعضاء البعير ، و « مودة الله » : غضبه وسخطه ، و « الجنة تحت أطراف العوالي » هذا من قول رسول الله ﷺ : « الجنة تحت ظلال السيوف » وسمع بعض الأنصار رسول الله ﷺ يقول يوم أحد : « الجنة تحت ظلال السيوف » وفي يده تميرات يلو كها فقال : بنح ! ليس بيني وبين الجنة إلا هذه التميرات ! ثم قذفها من يده وكسر جفن سيفه ، وحمل على قریش فقاتل حتى قتل.

وفي الكافي : و قال علي عليه السلام حين مرّ براية لأهل الشام أصحابها لا يزولون عن مواضعهم فقال عليه السلام : إنهم لن يزولوا عن مواضعهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم ، و ضرب يفلق الهام و يطيح العظام ، و يسقط منه المعاصم و الأكف حتى تصدع جباههم بعمد الحديد و تنشر حواجبهم على الصدور و الأذقان ، أين أهل الصبر و طلب الأجر ؟ فسارت إليه عصابة من المسلمين ،

فعادت ميمنته إلى موقفها ومصافها وكشفت من بازائها فأقبل حتى إنتهى إليهم .

وقال **عليه السلام** : إني قد رأيت جولاتكم وإنحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفافة والطغاة وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، ودعوة أهل الحق ، إذ ضلّ الخاطئون ، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم ، وكرّكم بعد إنحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولّى يوم الزحف دبره ، وكنتم فيما أرى من الهالكين ، ولقد هوّن عليّ بعض وجدي وشفى بعض حاج صدرى إذا رأيتكم حزتموهم كما حازوكم ، فازلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسيف حتى ركب أولهم آخرهم كالابل المطرودة اليهم الآن ، فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتكم الله باليقين ، وليعلم المنهزم بأنه مسخط ربه ، وموبق نفسه ، إن في الفرار موجدة الله والذلّ ، اللازم والعار الباقي ، وفساد العيش عليه ، وإن الفار لغير مزيد في عمره ، ولا محجوز بينه وبين يومه ، ولا يرضى ربه ، ولموت الرجل محققاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والاقرار عليها .

قوله **عليه السلام** : « طعن دراك » : متتابع يتلو بعضه بعضاً ، و « يخرج منه النسيم » أي لسعته ، والنسيم : الريح اللينة ، فهذا وصف الطعنة بأنها لاتساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ما وراءها ، وإنه لولا شعاع الدّم وهو ما تفرّق منه لبان منها الضوء ، فأراد الامام عليّ **عليه السلام** من أصحابه طعنات يخرج النسيم منهنّ ، و « يفلق » : يشق فلق الشئ : شققته ، و « يطيح » : يسقط ، و « المعاصم » : مواضع السوار من اليد و « تحوزكم » : تركوا منزلهم ، و « تصدع » : تشق .

وقوله **عليه السلام** : « جولاتكم » : هزيمتكم فاجمل في اللفظ ، وكنى عنه المنفر عادة منه إلى لفظ لاتنفر فيه ، وكذلك « وإنحيازكم عن صفوفكم » كناية

عن الهرب أيضاً و هو من قوله عز وجل : « إلا متحرفاً للقتال أو متحيزاً إلى فئة » و هذا باب من أبواب البيان لطيف ، و هو حسن التوصل بإيراد كلام غير مزعج عوضاً عن لفظ يتضمن جنباً و تقريباً ، و « تحوزكم » : تعدل بكم عن مراكزكم ، و « و جدي » الوجد : تغير الحال من غضب أو حب أو حزن ، و « حاج صدري » الحاج : الشوك . وفي النهج : « و حاوح صدري » : حرقها و حرارتها ، و « الهيم » : العطاش ، و « الآن » من الآنين .

وفي نهج البلاغة : كان الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب : « لا تشدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة ، و اعطوا السيوف حقوقها ، و وطنوا للجنوب مصارعها و إذ مرّوا أنفسكم على الطعن الدّعيّ و الضرب الطلحفيّ ، و أميتوا الأصوات فأنّه اطرّد للفشل ، و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهرده » .

وفي شرح النهج : قال ابن أبي الحديد : قال عليه السلام : « لا تستصعبوا فرّة تفرّونها بعدها كرّة ، تجبرون بها ما تكسّر من حالكم ، و إنما الذي ينبغي لكم أن تستصعبوه فرّة لا كرّة بعدها ، و هذا حضّ لهم على أن يكرّوا و يعودوا إلى الحرب ان وقعت عليهم كسرة .

ومثله قوله عليه السلام : « ولا جولة بعدها حملة » و الجولة : هزيمة قريبة ليست بالمعنة و « إذ مرّوا أنفسكم » من ذمّره على كذا أي حضّه عليه ، و « الطعن الدّعي » : الذي يحشى به أجواف الأعداء و أصل الدّعس : الحشو ، دعست الدعاء : حشوته ، و ضرب طلحفي - بكسر الطاء و فتح اللام - : شديد ، و اللام زائدة .

ثم أمرهم باماتة الأصوات لأنّ شدّة الضوّ ضاء في الحرب إمارة الخوف و الوجل ، ثم أقسم ان معاوية و عمرآ و من والاهما من قريش ما أسلموا ولكن

استسلموا خوفاً من السيف ، و نافقوا ، فلما قدروا على إظهار ما في أنفسهم أظهروه وهذا يدل على أنه عليه السلام جعل محاربتهم له كفراً ، وقد تقدم في شرح حال معاوية و ما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفاية . انتهى كلام ابن أبي الحديد .

وفي الكافي : باسناده عن عدي بن حاتم و كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه ان أمير المؤمنين عليه السلام قال : في يوم التقى هو ومعاوية بصفين و رفع بها صوته لسمع أصحابه : والله لاقتلن معاوية وأصحابه ثم يقول في آخر قوله : إن شاء الله - يخفض بها صوته - و كنت قريباً منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين انك حلفت على ما فعلت ثم استثنيت ، فما أردت بذلك ؟ فقال لي : إن الحرب خدعة و انا عند المؤمنين غير كذوب ، فاردت أن أحرص أصحابي عليهم كيلا يفشلوا و كي يطمعوا فيهم فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله و اعلم أن الله جل ثناؤه قال لموسى عليه السلام حيث أرسله إلى فرعون : « فقلوا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى »

وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب .

وفيه : - وفي حديث يزيد بن إسحق عن أبي صادق قال : سمعت علياً عليه السلام يحرّض الناس في ثلاثة مواطن : الجمل وصفين ويوم النهر يقول : عباد الله اتقوا الله و غضّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقبلوا الكلام و وطنوا أنفسكم على المنازلة و المجادلة و المبارزة و المناضلة و المنابذة و المعانقة و المكادمة و أثبتوا و انكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا ان الله مع الصابرين .

قوله عليه السلام : « المنازلة » : أن يتنازل الفريقان في الحرب من إبلهما إلى خيلهما فيعاركوا و المناضلة : المراماة ، و المنابذة : إلقاء أحدهما الآخر ، و المكادمة :

أن يحضّ أحدهما الآخر أو يؤثر فيه بحديد كدم الصيد: طرده.
 وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
 عليه السلام: «لا تشدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة، ولا جولة بعدها صولة، واعطوا السيوف
 حقوقها، وأدقّصوا للحرب مصارعها، واذمّروا أنفسكم على الطعن الدعسى والضرب
 الطلحفي، وأميتوا الأصوات فانه أطر دلفشل».



﴿ ما يتعلق بالدفاع عن كيان الاسلام ﴾

ونواميس المسلمين

واعلم أن البحث في المقام يدور حول ثلاثين أمراً:

١- وجوب الدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين على الأمة المسلمة فرادى وجماعة حسب الاقتضاء واختلاف الموارد من هجوم الأعداء على الحق وأهله، أو وقوعه في عرضة الخطر بفتنة الأعداء...

قال الله عز وجل: «فقاتلوا أولياء الشيطان» النساء: (٧٦)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله» الصف: (١٤)

٢- وجوب إعداد الأمة بكل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائهم، فيدخل في ذلك عدد المقاتلة، فيجب على كل مكلف أن يستعد نفسه للقتال إذا صار واجباً عينياً كما في بعض الأحوال... ويسمى بالنفير العام، ولا يمكن هذا في أمم الحضارة إلا بمقتضى نظام عام، ويدخل فيه السلاح على اختلاف الأزمنة والأحوال والأمكنة والاستراتيجي من البري والبحري والجوي ومن نقل العسكر والأدوات والزاد والسلاح، ويدخل فيه الزاد ونظام سوق الجيش والسياسة العسكرية وما إليها من العلوم والفنون الغازية...

قال الله عز وجل: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» الأنفال: (٦٠)

٣- وجوب رباط الخيل لأنه من أهم القوى الحربية حتى اليوم مع

كثرة مراكب النقل البخارية والكهربائية على أنواعها، وخاصة مرابطة الفرسان في ثغور البلاد...

قال الله تعالى: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»،
(الأنفال: ٦٠)

٣- أن يكون القصد الأول من إعداد تلك القوى والمرابطة إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التمدّي على كيان الحق وأهله، ونواميس الاسلام والبلاد الاسلامية حتى تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على أهلها ومصالحها وأموالها وذخائرها الأرضية كلّها، وهذا ما يسمّى اليوم بالسلم المسلح، وتدعيه الدول العسكرية فيه زوراً وخداعاً، وأمّا الاسلام فامتاز على الشرائع كلّها بجعله من فروع الدين واجباً مفروضاً.

قال الله تعالى: «ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمون
نهم الله يعلمهم» (الأنفال: ٦٠)

٥- وجوب الاتفاق على المستطيعين حسب استطاعتهم في سبيل الله تعالى لاعداد ما ذكر الذي لا يمكن بغير المال وبذله.

قال الله جلّ وعلا: «وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون» (الأنفال: ٦٠)

وقد كان هذا الاتفاق في العصر الأول موكولاً إلى ايمان المؤمنين في يسرهم وعسرهم كما بيّن في أخبار غزوة تبوك مجعلة في سورة التوبة، ومفصلة في سير نبويه ولكن اليوم لا بدّ في نظام يدخل في ميزانية الحكومة الاسلامية برأى من يتبع رأيه في الاسلام.

٦- تفضيل السلم على الحرب إذا مال العدو إليه ايثاراً له على الحرب التي لا تكون مقصوداً بالذات، بل هي ضرورة من ضروريات الاجتماع بل الحياة كلّها تقدر بقدرها.

قال الله عز وجل: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، الأنفال: ٦١»
ولما كان جنوح العدو للسلم قديكون خديعة لنا لنكف عن القتال ريثما
يستعدون هم له أو لغير ذلك من ضروب الخداع، وكان من المصلحة في هذه
الحال أن لا تقبل الصلح منهم ما لم نستفد كل ما يمكننا منه تفوقنا عليهم - لم
يعد الشارع إحتمال ذلك مانعاً من ترجيح السلم بل قال: «وإن يريدوا أن
يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، الأنفال: ٦٢»
وفيه برهان قاطع لا يمكن الإنكار وإن كان أشد عداوة على الله جل وعلا:
إن الاسلام دين السلام لكن عن قدرة وعزة لا عن ضعف وذلة.
قال الله عز وجل: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون، المنافقون: ٨»

٧- المحافظة على الوفاء بالعهد والميثاق في الحرب والسلم، وعدم الاعتداء
على الأعداء فوق إعتدائهم، وعدم التعرض عليهم إذا اعتزلوا.
قال الله جل وعلا: «وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق، الأنفال: ٧٢»
وقال: «الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا
عليكم أحداً فأتموهم عهدهم إلى مدتهم - كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقيموا لكم فاستقيموا
لهم إن الله يحب المتقين، التوبة: ٤-٧»

وقال: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين - فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واثقوا الله،
البقرة: ١٩٠-١٩٤»

وقال: «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم
عليهم سبيلاً - فإن لم يعتزلوكم ولم يلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم

واقتلوهم حيث تقفتموهم واولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء: ٩٠-٩١)
 ٨- تحريم الخيانة في العهد سرّاً وجهرّاً كما حرّم الله تعالى الخيانة على الأمانات كلّها: ماديا ومعنويها إذ قال جلّ وعلا في النهي عن الخيانة مطلقاً: «يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم» الأنفال: (٢٧)

٩- نبذ العهد بشرطه إذا خيف من العدو المعاهد لنا أن يخون في عهده إذا ظهرت آية ذلك من قوله أو فعله ، فيجب حينئذ على من يتبع رأيه ويده الأمر أن ينبذ إلى العدو عهده على طريق عادل سوى صريح لخداع فيه ولا خيانة .

قال الله تعالى: «وإنّا تخافن» من قوم خيانة فابند إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين» الأنفال: (٥٨)
 وبهذه الفضائل يمتاز بها التشريع الاسلامي على جميع شرائع الأمم و قوانينها .

١٠- وجوب معاملة ناقضي العهد بالشدة التي يكونون بها عبرة ونكالا لغيرهم تمنعهم من الجرأة والافدام على مثل خيانتهم بنقضهم، وذلك قوله تعالى فيمن نقضوا عهد رسول الله ﷺ مرة بعد مرة من اليهود: «فإنّا نقضنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون» الأنفال: (٥٧)
 وقال الله تعالى: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون» لأنقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و هموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» التوبة: (١٢-١٣)

ومن هنا يظهر الفرق بين تعاليم الاسلام الجامعة ، بين الحزم والعدل و

الشدة والفضل، وبين ما عليه دول المتمدنة من القسوة والظلم.

١١- جعل الله تعالى الغاية من القتال الديني حرية الدين، تحرير الانسانية تجديد الحياة، حرية الدعوة، حرية العقيدة وإحياء الفطرة الميته بالشرك والطغيان والكفر والعصيان... ومنع فتون أحد وإضطهاده لأجل إرجاعه عن دينه وذلك قوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير» الأنفال: ٣٩

وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكل ما قدروا عليه من الايذاء والتعذيب لأجل دينهم، وأما المسلمون فلم يفعلوا ذلك ومن عساه شد عن ذلك فقد خالف دين الاسلام الذي حرّم الفتنة، وحرّم الاكراه في الدين وشرع فيه الاختيار.

١٢- كون الثبات في الدفاع عن حوزة الحق وأهله، وتحرير الفطرة من أسباب النصر المعنوية التي يحصل بها ما يعبر عنه في عرف العصر بالقوة الروحية.

١٣- ذكر الله عز وجل عند لقاء العدو والنص في هذين الأمرين قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» الأنفال: ٤٥

١٤- طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ ومن يتبع رأيه في الاسلام من الامام علي عليه السلام ومن ينوب منابه من المجتهد الجامع للشرائط في الفتوى، وفي تدبير نظام الامّة المسلمة، فيدخل في حكم طاعة الرسول الامام علي عليه السلام ونائبه الذي يحارب المسلم تحت لوائه وطاعة قواده وهي من أسباب النصر المعنوية أيضاً بنص قوله عز وجل: «عطفاً على السببين السابقين: «وأطيعوا الله ورسوله» الأنفال: ٤٦» وبقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» النساء: ٥٩»

١٥- إتقاء التنازع وإختلاف التفريق في حال الدفاع والقتال وما إليهما

معتلاً بأنه سبب للفشل، وذهاب الريح والقوة أشار إليه بقوله تعالى: «ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (الأنفال: ٤٦)

١٦- وجوب الصبر على الدفاع والقتال، وما يتعلق بهما، وكون الصبر أعظم أسباب النصر ولذلك عظم الله تعالى بعد أمره بالطاعة بذكره: «واصبروا إن الله مع الصابرين» (الأنفال: ٤٦)

١٧- التوكل على الله تعالى وكونه أمر الله جل وعلا به في هذه السورة في مقام توطین النفس على إثبات السلم على الحرب، وثبوت الصلح من الأعداء مع احتمال إرادتهم به الخداع في قوله عز وجل: «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين» (الأنفال: ٤٢) وفي تعريف حقيقة الايمان قال: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون» (الأنفال: ٢) وقال: «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» (الأنفال: ٤٤)

١٨- إتقاء البطر ومراعاة الناس في الحرب كالمشر كين أشار إليه بقوله تعالى: «ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله» (الأنفال: ٤٧)

١٩- تحريم التولي من الزحف والوعيد عليه بقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار» (الأنفال: ١٥) وهذا أكد من إيجاب الثبات في القتال وميدان الحرب.

٢٠- تشريع قتال المؤمنين في حال القوة لعشرة أمثالهم من الكفار من باب العزيمة وقتالهم لمثلهم في حال الضعف من باب الرخصة، قال الله جل وعلا: «يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون» والله مع

الصّابرين» الأنفال: ٤٥-٤٦)

٢١- توطين النفس على الفوز و النصر عليهم و تعليله بما يقتضيه الاسلام من كون المؤمنين أكمل صبراً من المشركين ، و يفقهون من علم الحرب و أسباب النصر فيما لا يفقهه المشركون ، و ان الله تعالى يؤيد المؤمنين ، و يخذل عدوّه و عدوهم قال جلّ و علا : « يا أيّها النّبيّ حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين » الأنفال : ٤٤) و قال : « و ان الله مع المؤمنين » الأنفال : ١٩)

٢٢- منع إتخاذ الأسرى و مفاداتهم بالمال في حال الضعف و تقييد جواز ذلك بالأئخان في الأرض بالقوّة و العزّة و السيادة كما في قوله تعالى: « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتّى تثنى في الأرض » الأنفال: ٤٧) و ما إليه في أحكام الأسر و المنّ و الفداء .

٢٣- ترغيب الأسرى في الايمان و إنذارهم خيانة المسلمين بعد إطلاقهم بمنّ أو فداء قال الله عزّ و جلّ : « يا أيّها النّبيّ قل لمن في أيديكم من الاسرى أن يعلم الله في قلوبكم خيراً ممّا أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم » الأنفال: ٧٠)

٢٤- إباحة أكل غنائم الحرب ، و منه فداء الأسرى بعد إعطاء الحق .
قال : « و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فإن لله خمسّه و للرّسول ... »
الأنفال ٤١)

و قال : « فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً » الأنفال: ٤٩)

٢٥- ولاية النصرة بين المؤمنين في دار الاسلام و أصله ما كان بين المهاجرين و الأنصار قال الله تعالى : « انّ الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله و الذين آووا و نصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » الأنفال : ٧٢)

٢٦- عدم ثبوت ولاية النصرة بين المؤمنين الذين في دار الاسلام والمؤمنين في دار الحرب أو خارج دار الاسلام إلا على من يقاتلهم لأجل دينهم ، فيجب نصرهم عليه إذا لم يكن بيننا وبينه ميثاق صلح و سلام بحيث يكون نصرهم عليه نقضاً لميثاقه.

قال الله تعالى : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، الأنفال: ٧٢)

٢٧- ان ولاية الكفار بعضهم لبعض تروى من ولاية الشيطان و سلطانه عليهم .

قال الله عز وجل : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، الأنفال: ٧٣)

٢٨- لا بد من تحطيم دعائم تلك الولاية وهدم أركانها التي هي منشأ الفتنة والفساد والفحشاء و إمارة الانسانية والكرامة على وجه الأرض.

قال الله عز وجل : « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير ، الأنفال: ٧٣)

٢٩- في تعريف المؤمنين وحققتهم ومكانتهم عند الله جل وعلا:

إذ قال: «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم، الأنفال: ٧٤)

٣٠- ان الظفر والقلبة للمؤمنين إذا دافعوا عن حقهم وحق الفطرة البشرية، واستقاموا على ذلك، و انتهم في ولاية الله عز وجل لاسبيل للكفار عليهم إذا طردوا الكسالى والتواني والتواكل عن أنفسهم ، و انتهم حزب الله تعالى و انتهم هم الغالبون.

قال الله تعالى: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا

من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون « المائدة : ٣٣ - ٣٥)

وقال: «الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» البقرة: (٢٥٧)
وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النساء : (١٤١)
وقال: «وانّ جندنا لهم الغالبون» الصافات: (١٧٣)



﴿الحرب وتوحش عصر التمدن﴾

فهاؤم اقرؤوا ما أوردناه من نصوص القرآن الكريم والروايات الواردة من نبي الرحمة محمد المصطفى وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وسيرتهم ، وسيرة المؤمنين في الدفاع عن كيان الإسلام وحوزة الحق وعن واقع الحياة الانسانية ، وفي رفع حواجز الدعوة الحقة الالهية وإنفاذ أمر الله تعالى وإنهاء عذره .

ثم اقرؤوا ما في الكتب المدونة والآثار والسير مما ظهر طول الأعصار من همجية الباطل وأصحاب الفتن ، وخاصة توحش عصر التمدن قد إسود وجه الانسانية ، وقد أبيض وجه عصر الجاهلية ... ثم اقضوا ما بينهما ولا تكونوا ممن ساء ما يحكمون .

أيمكن التماثل؟ أو التشابه؟ أيمكن التقارب؟ أو التقارن؟ أيمكن التجانس بينهما؟ فشتان بينهما !!!

هذا هو الحق وذاك هو الباطل ، هذا هو الخير وذاك هو الشر ، هذا هو النور وذاك هو الظلمة ، هذا هو العدل وذاك هو البغي ، هذا هو في ولاية الله جل وعلا وذاك هو في ولاية الشيطان ، هذا هو الدفاع عن الحق وأهله ، وذاك هو الحماية عن الباطل وأهله ، هذا هو الايمان وذاك هو الكفر ، هذا هو دفع الفتنة والفساد وذاك هو إشاعة الفتنة والفساد ، هذا هو الدعوة إلى العزة والكمال والصلاح والفلاح ، وذاك هو الدعوة إلى الذلة والانحطاط

والفساد والخسران ، و هذا هو الدّعوة إلى الهدى والجنة ، و ذاك هو الدّعوة إلى الضلال والنار ، و هذا هو تحرير الانسانية و إنطلاقها من العبودية للعباد إلى عبادة الله جلّ وعلا و ذاك هو تعبيد الانسانية لغير الله و إنطلاقها في الشهوات ، و هذا هو إحياء الفطرة الانسانية و ذاك هو إماتها ، و هذا هو الجنة و ذاك هو النار .

فشتان بينهما !!!

فهل التماثل بين الحق والباطل ؟ هل التشابه بين الخير والشر ؟ هل التقارب بين العدل والظلم ؟ هل التقارن بين ولاية الله جلّ وعلا و ولاية الشيطان ؟ و هل التجانس بين النور والظلمة ، و بين الجنة والنار ؟؟

فينبغي أن تقفوا قليلاً عند قوله تعالى : « انّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا - انّ بطش ربك لشديد » (البروج : ١٠ - ١٢) .
و قوله عزّ وجلّ : « و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا انّ الله لا يحبّ المعتدين و اقاتلوهم حيث تقفتموهم و اخرجوهم من حيث اخرجواكم و الفتنة أشدّ من القتل - و قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و يكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين » (البقرة : ١٩٠ - ١٩٣) .

و قوله عزّ وجلّ : « و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله و عدوّكم و آخريّن من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (الأنفال : ٦٠) .

و قوله سبحانه : « و الذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير » (الأنفال : ٧٣) .

و قوله جلّ وعلا : « فستبصر و يبصرون بأيّكم المفتنون » (القلم : ٥ - ٦) .
فتجدوا الآيات الكريمة منظوبة على مبدأ يحفظ به إنسانية الانسان ، و يحفظ به المجتمع الانساني من الفوضى ، و يردع به الطغاة الأقوياء من التلاعب

بحياة الانسان وإستغلال الناس وإستثمارهم ...

وهذا المبدأ هو وجود قوة في قبضة أهل الحق والعدل ليرد عوابها أهل الباطل والبغي ، ويخضعوهم لحكم الله عز وجل وشريعته التي تدعو الناس جميعاً إلى أن يعيشوا طبقاً لقوانين الحياة و سننها ، ولا ينحرف عنها أحد فاذا ما ارادته نفسه بالميل والانحراف أرغمته القوة على الرجوع إلى تلك السنن والقوانين والحياة واقعاً ، و لا يكون لهذه القوة غاية إلا منع الفتنة عن حياة البشرية ، و لن تكون للبغي والعدوان والضراوة بسفك الدماء كحروب الملوك المستبدين ، و لغرض الانتقام والبغي الديني كالحروب الصليبية ، و لا لأجل الطمع في المال و ذخائر الممالك وسعة الملك ، و تسخير البشر للعبودية و إرهابهم لتمتّع الطغاة الأقوياء من ثمرات كدّ الضعفاء كحروب او ربه الاستعمارية و و

و يكفي مثالا على ذلك القوة التي تملكها الولايات المتحدة الأميركية و تستغلها في السلب والنهب دون رادع و زاجر إلا نضال الشعوب العزلاء يقول (نيكولاس سبيكمان) في كتابه : (الاستراتيجية الأمريكية في السياسة العالمية) : « مسموح لنا نحن الأميركيين بكل أشكال الجبر والقسر بما فيها حروب الدمار أن نملئ إرادتنا و نفرضها بالقوة على الذين لا قوة لهم » .

و يقول (ليو ويلتش) الأمريكي : « واجبنا أن نحقق زعامتنا الايجابية بالقوة على العالم سياسياً و إقتصادياً و إجتماعياً » .

نم هجوم إسرائيل الصهيونيسم الفاصب على فلسطين و غصبه ، و قتل أهله و هدم مدنه ... و هجوم روسيا على أفغانستان و إفساد الحرث والنسل ، و سفك الدماء و إشغاله ، و إخراج المواطنين منه ، و فعل عليه ما فعل في زماننا هذا لا يسع المقام بذكره .

و لو أن أرباب العقول والمتخصصين بحثوا عن السبب لمشكلات الحياة و ويلاتها لوجدوه من ناحية ضعف القوة الرادعة عن العدوان ، و من الأسف غفلة

القائدين عن ذلك ، والقوّة الشخصية تنحلّ بموت صاحبها أو تردع بأقواها ، ولاسرّ لهذا التعاظم من أعداء الله جلّ وعلا والجهر بالعدوان على عباد الله المستضعفين من غير مبالاة إلاّ عدم الخوف والرّهبة من القوّة الرادعة الّتي هي تجعل كلمة الله جلّ وعلا هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى .

و نفذ القادة في الولايات المتحدة الأميركيّة ما جاء في كتاب (الاستراتيجية الأميركيّة) و اعتبروه انجيلهم دون كتاب الله و كذلك الروس المهلكة المفسدة في الأرض و أذنا بهما في العالم كيف ما رسوا جميع أشكال الجبر والقسر والفسوة بما فيها حروب الدمار والهلاك والفناء ليفرضوا إرادتهم على الذين لا قوّة لهم فألقوا بالقذائف المحرقة على الأطفال والعجائز والحوامل ... و بالقنابل الكيماوية على المحاصيل والمواليد والصنایع و وسائل الرزق والحياة من نبات و حيوان لتموت جوعاً البقية الباقية من قنابل النابالم وغيرها ...

و كل ذلك محرّمة في الاسلام لا يبيح ما أباحوا لذلك لأنّها لحظوظ الدنيا و شهواتها ، و عداوة الحق و إماتة الحياة الانسانية والحريّة ... و لهذه الغاية أقامت الولايات المتحدة الأميركيّة والروسية على أرضهما العديد من قلاع الموت أنشأ فيها المحاميل والمحتبرات لاكتشاف أشد المكرروبات فتكاً بالانسان والحيوان والنبات ، و لاختراع الغايات الّتي تذهب العقل و تنهك الأعصاب ... و من هنا يعلم القارئ الخبير المتدبّر أسرار الأقسام الربانية بالقوّة الدفاعية والعناية الالهية لها في سورة العاديات و حكمها والسلام على من اتبع الهدى .

تمت سورة العاديات

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وأهل بيته المعصومين

سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ٢ مَا الْقَارِعَةُ ٣ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا
الْقَارِعَةُ ٤ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ ٥ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المنفوشِ ٦
فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٧ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ ٨ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٩ فَأُمَةٌ
هَٰؤُلَاءِ ١٠ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا هِيَةٌ ١١ نَارُ حَامِيَةٍ ١٢

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال بإسناده عن عمرو بن ثابت عن أبي جعفر عليه السلام قال : «من قرأ واكثر من قراءة القارعة آمنه الله عز وجل من فتنة الدجال أن يؤمن به ، ومن قبح جهنم يوم القيامة إن شاء الله» .
أقول: رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار ، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة .
 وذلك أن من تدبر في السورة ، وعلم أن الإيمان بالله تعالى ورسوله عليه السلام وما جاء به النبي عليه السلام وباليوم الآخر ، وأن صالح العمل كلها يوم القيامة من موازين ثقيلة ، مآلها الجنة والرضوان وعيشة راضية فيها ، وعلم أن الكفر وفساد العمل فيها من موازين خفيفة ، مآلها نار حامية ، وعلم أن الإيمان بالدجال وإتباعه ليس إلا كفرًا بالله جل وعلا ، وليس مآله إلا قبح جهنم يوم القيامة ، فاذًا لا يرغب إلا في الأول ، ولا يميل إلى الثاني فيتهدي بهدي الله تعالى .

قال الله عز وجل : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» (المنكبوت : ٦٩) .

وفي البرهان: روى عن النبي عليه السلام أنه قال: من قرأ هذه السورة ثقل الله ميزانه من الحسنات يوم القيامة ، ومن كتبها وعقلها على محارف معسر من أهله وخدمه فتح الله على يديه ورزقه .

وفيه: و قال الصادق عليه السلام اذا علققت على من تعطل و كسوت سلعته
رزقه الله تعالى نفاق سلعته: و كذا كل من أدمن في قرائتها فعلت به ذلك باذن
الله تعالى .

أقول: و من غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء في الروايتين
الأخيرتين لأهل التقوى واليقين .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة ترغيب الناس إلى الإيمان وصالح العمل، وترهيبهم عن الكفر وفساد العمل بتوصيف القيامة بما يترعرع القلب وتنهك الأعصاب، وتصنيف الناس يؤمّنذ حسب أعمالهم على فريقين :

فريق : موازينهم ثقيلة فمآل أمرهم إلى الطمأنينة والعيشة الراضية.

و فريق: موازينهم خفيفة فمصيرهم إلى أعماق النار الحامية .

حيث إن السورة تحتوى دعوة ضمنية للناس ليلسلكوا طريق الحق والهدى، طريق الخير والفلاح ، و طريق الكمال والصلاح ، ويرجعوا عن سبيل الباطل والضلالة ، عن سبيل الشر والغواية ، وعن سبيل الانحطاط والجناية في الحياة الدنيا حتى ينالوا الحياة الطيبة والعيشة الهنيئة الراضية في الدار الآخرة ، و تحتوى بياناً لمصير المحسنين والمسيئين يوم القيامة ، وتقريراً ضمنياً أيضاً لمسئولية الناس عن أعمالهم ، وانها إنما تصدر عن كسبهم ، وأنهم إنما ينالون حقاً وعدلاً وفاقاً لها .

ويؤيد ذلك كله ما في طرفيها من السور حسب الترتيب النزولي والمصحفي، فاذا علم الإنسان أن أعماله ستوزن يوم القيامة أمام الناس يكون أقرب إلى الإيمان والطاعة ، وإلى الاجتناب عن الكفر والمعصية .

﴿النزول﴾

سورة «القارعة» مكّية نزلت بعد سورة «قريش» وقبل سورة «القيامة» وهي السورة الثلاثون نزولاً، والواحدة والمائة مصحفاً.

وتشتمل على إحدى عشرة آية، سبقت عليها / ٤٩٣ آية نزولاً، و / ٦١٥٧ مصحفاً، ومشملة على / ٣٦ كلمة، وعلى / ١٥٢ حرفاً، وقيل: / ١٥٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في تفسير البرهان: بالاسناد عن الهيثم بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده صلوات الله عليهم في قوله عز وجل: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام «وأما من خفت موازينه فأما هاهنا» قال: نزلت في ثلاثة يعني في الثلاثة.



﴿ القرائة ﴾

قرأ أبو عمرو « القارعة » بالامالة ، وقرأ حمزة « ما هي » بغيرهائ السكت
وصلاً والباقون بالهاء وصلأ و قطعاً .

﴿ الوقف والوصل ﴾

« القارعة لا » للخبر التالي ، و « ما القارعة ج » لتمام الكلام والعطف التالي ، و
« ما القارعة ط » لتمام الكلام ، و « المبعوث لا » للعطف التالي ، و « المنفوش ط »
للابتداء بالشرط و « موازينه لا » لأن « ما بعده جواب ، و « راضية ط » لتمام الكلام ، و
« موازينه لا » للجواب ، و « هادية ط » لتمام الكلام ، و « ماهيه ط » والوقف على قراءة
غير حمزة بوجه .

* اللغة *

٢٦- القرع - ١٢١٨

قرع الشيء يقرعه قرعاً - من باب منع - ضربه أودقته بقوة ، وقرع الباب : دقته ونقر عليه ، ومنه المثل : «من قرع باباً ولجّ ولجّ» و قرع رأسه بالعصا : ضربه بها ، و قرع صفاته : تنقصه وعابه ، و قرع ساقه للامر : تجرّد له ، و قرع الأمر فلاناً : جاءه على غرّة فأذهله ، و قرع الشيء قرعاً : سكّنه و قرعه : صرفه .

القارعة : المصيبة الكبيرة الشديدة الوقع ، وسمي يوم القيامة : «القارعة» لأنه يفزع الناس ويذهلهم بحوادثه المروعة ، وانّها تقرع بالأهوال ...
قال الله تعالى : «القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة» القارعة : (١ - ٣)

معنى القارعة - في الأصل - النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم ، ولذلك قيل ليوم القيامة : القارعة : والقارعة : الليلة التي تقرع القلب بشدة المخافة .
يقال : قرعتهم قوارع الدهر : أصابتهم نوازل الشديدة ، يقال : قرعه أمر : اذا أتاه فجأة ، و يقال : أنزل الله به قرعاء وقارعة ومقرعة : هي المصيبة التي لا تدع مალًا ولا غيره ، ومنه قوله : «وخاف القارعات الكدّة» .
قال الله تعالى : «و لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة»
الرعد : (٣١) أي داهية أو مصيبة تروّعهم كالحرب المبيدة أو العقاب الشديد .

وقوارع القرآن : هي الآيات التي من قرأها أمن من شرّ شياطين الجنّ و الإنس كأنّها تفرع من يتعرّض بسوء له فإذا قرئت فزع منها الجنّ و الإنس ويقال : نعوذ بالله من قوارع فلان أي من قوارص لسانه .

وقرع الفناء يقرع قرعاً - بسكون الراء وفتحها - من باب علم - : خلا من الفاشية ، وقرعت النعامة : سقط ريش رأسها من الكبر ، وقرع الحجّ : خلت أيامه من الناس ، وقرع ماء البشر : نفد ، وقرع الرجل : ذهب شعر رأسه ، وقرع الشعر : قصّه ، وقرع : إفتقر ، وقرع : إذا انعظ .

والقرع - كفرس - : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس من آفة كالأصلع أو أشد منه ، والأقرع : من ذهب شعر رأسه من علة ، والآنثى : قرعاء جمعها : قرع وقرعان ، يقال : عندي ألف أقرع ، تام . جبل أقرع لانبات فيه ، وعود أقرع : قشر لحاؤه ، وقدح أقرع : حك بالحصى حتى بدت طرائفه ، والأقرع : السيف الجيد الحديد ، ومن الحيات : المتمتعط شعر رأسه كثرة سمّه وطوله ، ورياض قرع : ليس فيها كلاً ، وفي الدعاء : «و أعوذ بك من قرع الفناء و صفر الاناء» أي خلوّ الديار من سكّانها و الآتية من مستودعاتها ، ومنه حديث الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «ان أعرأ بياسئل النبي ﷺ عن الصليعاء والقريعاء : أرض لعنهما الله إذا أنبتت أو زرع فيها نبت في حافتيها ولم ينبت في مقنها شيء ومنه الحديث : «قرع أهل المسجد حين أصيب أصحاب النهر ، أي قلّ أهلهم كما يقرع الرأس إذا قلّ شعره .

وقرع الرأس و هو أن يصلح فلا يبقى على رأسه شعر ، و قيل : هو ذهاب الشعر من داء ، وأقرع وقرع الغائص والماتح : إذا انتهى إلى الأرض و أقرع في سقائه : جمع والقرع - كفرس - : بثر أبيض يخرج بالفصال ، و القرع : السبق و الندب أي الخطر يستبق عليه ، و القرع من الأرض : ذات الكلاء لانبات فيها ، و القرعة - محرّكة - : موضع القرع من الرأس ، أرض قرعة - كفرحة - : لا تنبت شيئاً .

القرعاء : مؤنث الأقرع ، و روضة رعتها الماشية ، ويقال : أصبحت الأرض قرعاء : إذا رعى نباتها ، والقرعاء : الشديدة والداھية وساحة الدار وأعلى الطريق والفاسدة من الأصابع ... قارعة الدار : ساحتها ، وقارعة الطريق : أعلاه ومعظمه و هو موضع قرع المارة ، ومنه الحديث : « نهى عن الصلاة في قارعة الطريق » والمراد بها ههنا نفس الطريق و وجهه . و منه قوله : « نصبوا بقارعة الطريق خيامهم » .

القرع : مصدر ونوع من اليقطين ، طويل إلى نحو شبر دقيق ، ومنه ماله عنق طويل ، وأسفله كرة كبيرة كبطن الإبريق ، الواحدة : قرعة ، وأكثر ما تسميه العرب الدباء وقل من يستعمل القرع ، والقرع - ككتف - : القابل المشورة و من لا ينأى والفاسد من الأظفار ...

والمقرع : فأس تكسر بها الحجارة ، والمقرعة : الشديدة ، والمقرع - بكسر الميم وفتح الراء - : دواء يجمع فيه التمر والسقاء : يخبأ فيه السمن ، والمقرع : الذي قد أقرع فرفع رأسه ، و المقرعة : منبت القرع ، يقال : أرض مقرعة ، إبل مقرعة - محرقة - كمعظمة - وسمت بالقرعة ، والمقرعة : السوط و كل ما فرغت به ، والمقرعة : خشبة تضرب بها البغال والحمير ، والقريرة : خيار المال وعمود البيت الذي يعمد بالزر و الزر أسفل الرمانة ، و قد قرعه به ، و خير موضع في البيت إن كان في حر فخير ظلّه و إن كان في قر فخير كنفه ، و قيل : سقف البيت .

وأقرعه : أعطاه خيار المال ، وأقرع فلان : إمتنع ، ولم يقبل المشورة ، و أقرع المسافر : دنا من منزله ، وأقرع الحمير : صك بعضها بعضاً بحوافرها ، و أقرع عنه : كف ، وأقرع إليّ : رجع و ذل ، وقرع فلاناً : كفه ، وقرع الدابة بلجامها : كبجها به ، وقرع الشئ : أطاقه ، وقرع داره اجراً : فرشها ، وقرع الشر : دام وقرع في الحق : استبدله ، وقرعه بالحق : دماه .

القرعة : المرة - واحدة القرع - وسمة للعرب علي ايبس ساق البعير وهي وكزة بطرف الميسم ، والقريع : الغالب في المقارعة ، والفضيل جمعها : قرعى وفي المثل : إستنتت الفصال حتى القرعى يضرب للمضعيف الذى يتشبهه بالأقوياء و يعرض نفسه لمجازاتهم ...

القرعاء: فعل الابل، وناقة قريعة: يكسر الفحل ضرابها ويبطىء لقاها، وفي حديث علقمة: «أنه كان يقرع غنمه ويحلب ويعلف» أي ينزى عليها الفحول، ومنه حديث هشام يصف ناقة: «أنها لمقرع»: هي التي تلقح في أول قرعة يقرعها الفحل، والقراع - بكسر القاف - الضراب، وقرع الفحل الناقة: ضربها، يقال ناقرت الابل: إذا اخترتها للضراب والمقروع: المختار للفحلة سمي به لأنه قد اقترع أي اختير، والتقريع: إترء الفحل.

القريع - فعييل للمبالغة - : السيد ، والمقروع أيضاً : السيد ، وفي حديث مسروق: «أنك قريع القرعاء»: رئيسهم، والتقريع: المختار، والمقروع: بعير وسم بالقرعة . يقال : فلان قريع دهره : أي المختار من أهل عصره . و القريع : الغالب والمغلوب أيضاً وقريعة البيت : خير موضع فيه قرع القوم قرعاً : غلبهم بالقرعة ، قارعه فقرعه : غالبه في القرعة فغلبه وأصابته القرعة دونه ، وقرع بين القوم : ضرب القرعة ، وهيتأهم للقرعة على شيء ، وقارع القوم مقارعة وقراعاً : ضربوا القرعة ، وقارع فلان فلاناً : ساهمه، وقارع الأبطال : ضارب بعضهم بعضاً ، تقول: شهدت مقارعة الأبطال ، و المقارعة : المضاربة بالسيوف ، والأقاريع : الشدائد ، و القراع - فعال للمبالغة - وهي قرعة: طائر يقرع العود الصلب بمنقاره فيدخل فيه ، جمعها : قرعات .

والقراع : الصلب الشديد يقال : لي ترس أقرع وقراع ، والقراة أيضاً : الإست واليسير من الكلاء .

و القرعة - بالضم - : السهم والنصيب ، وإلقاء القرعة : حيلة يتعین بها

سهم الإنسان ونصيبه ، و القرعة خيار المال ، تقول : أعطاه قرعة ماله : خيرته ، وفي الحديث : « كل مجهول ففيه القرعة » و القرعة في كل أمر مشكل . القرعة : الخيار ، و قرعة كل شيء : خياره ، والإقتراع : الاختيار .

والقرعة - بالضم - : الجراب الواسع يلقي فيه الطعام ، وقيل : الجراب الصغير ، جمعها : قرع وهي أيضاً سمة للعرب على وسط أنف البعير والشاة ، و القرعة - محركة - : الجحفة وهي الترس ، و القراع : الصلب الشديد ، و ترس أقرع و قرع : صلب شديد ، سمي به لصبره على القرع . و القرعة - محركة - أيضاً : الواسع الأسفل يجعل فيه الطعام ، وفتح رائه أفصح من تسكينها ، و القرعة : المراح الخالي من الإبل .

قرعه يقرعه تقريراً ، عنقه ، وقرع القوم ، أفلقهم ، والتقرير : التعنيف والتأنيب والتثريب ، وقيل : الإيذاء باللوم ، وقرعت الرجل : إذا وبخته و عدلته . وقرع الرجل : تقلب ، و تقارع القوم : ضربوا القرعة ، و تقارح بالرمح : تطاعنوا بها ، و المقارعة : المساهمة ، ومنه : « اقترعوا عند التنافس أيهم يكفل مريم وكانوا يلقون الأقلام بالنهر فمن غلاسه » أي إرتفع « كان له الحظ » و اقترع معاني كذا : ابتكرها و اقترع كذا : إختاره ، و اقترع النار : أوقدها ، واستقرع الحافر : إشتد .

في المفردات : القرع : ضرب شيء على شيء ومنه قرعته بالمقرعة . وفي المجمع : القرع : الضرب بشدة الاعتماد ، وقرعت الباب قرعاً : طرقت ، وقرع ناقته : ضربها بالسوط ، و المقرعة - بالكسر والسكون - : ما يقرع به الدابة ، و قارعت : ضاربتة و جادلت ، فقرعته : غلبته بالمجادلة ، والأقرع من الحيات : الذي قرع السم في رأسه أي جمعه فذهب شعره ، وقيل : لكثرة سمّه وطول عمره ، وأرض قرعاء : لانبثاق فيها ، و قارع : إسم جبل على يسار الطريق لمريد الحج و منه الحديث : « باني قارع و هادمه يقطع إرباً إرباً » يعني بذلك جعفر بن يحيى البرمكي ،

وقد أمر أن يبني له ثم مجلس يجلس عليه ، ثم لما رجع من مكة صعد إليه ثم أمر بهدمه ، فلما انصرف إلى العراق قطع إرباً إرباً .

وفي النهاية: القرع في الأصل: الضرب، وفي الحديث: «من لم يفز ولم يجهز غزياً أصابه الله بقارعة» أي بداهية تهلكه ، وعنه الحديث: «أقسم لتقرعن بها أباهريرة» أي لتفجأته بذكرها كالصك له والضرب .

٣٣ - الفرش - ١١٤٢

فرش الشيء يفرشه فرشاً وفرشاً - من باب ضرب ونصر - : بسطه ، وفرش فلاناً أمراً : أوسع له إتياء وبسطه له كله . وفي الحديث : «لا تفرش ذراعيك» يعني لا تبسطهما في سجودك ، وافرش الأسد ذراعيه : مدّهما .

من المادّي : الفرش : الفضاء الواسع من الأرض ، وفرش الشيء على الأرض : بسطه عليها ، و يقال : ذلك في الصغير الخفيف من النبات و الحيوان ، و يقال لكلّ خفيف : فراشة ، و يكون منه هذا الفراش الذي يطير لخفته واحدة فراشة .

قال الله عزّ وجلّ : «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» القارعة : ٤)
الفراش - بالفتح وتخفيف الراء - جمع الفراشة ، وهي صفار البق ، وقيل : شبيهة بالبعوض تنهافت في النار ، وذلك لضعف أبصارها فهي نسيت ضوء النهار فإذا رأت المسكينة ضوء السراج بالليل ظنّت أنّها في بيت مظلم فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها إلى النار حتّى تحترق ، وقد شبه الله عزّ وجلّ الناس يوم البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث لأنّهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض ، والفراش من النبيذ: الحبيب الذي يبقى عليه . والفراش: عش الطائر أي وكره .

الفراش - بكسر الفاء - : ما يفرش وينام عليه، فعال بمعنى مفعول - ككتاب بمعنى مكتوب - وفراش الهام : عظام رقيقة تلي قحف الرأس ، وكل عظم رقيق فراشة مثل سحاب وسحابة ، ومنه : «فراشة القفل» وهو ما ينشرب فيه ، ومنه حديث الإمام علي عليه السلام : «ضرب بالمشرفية نظير منه فراش الهام» والأرض فراش الأنعام ، قيل : هي أرض تستوي وتلين وتنفسح عنها الحبال .

الفرش : الزرع إذا صارت له ثلاث ورقات أو أربع ، وفرش الحطب والشجر : دقه وصغاره ، والفرش : صفار الإبل وغيرها مما لا يصلح إلا للذبح ، وأخذت من هذا المادّي معنويات كثيرة لامجال لا يراد جميعها .

افترض فلان لسانه : تكلم كيف شاء وبسطه ، وفرش : كذب ، ويقال : كم فرش : كم تكذب ، وفرشت له : يضرب في الكشف عن باطن الأمر وحقيقته ، وافترض فلان فلا تأغلبه وصرعه ، وافترض عرضه : إستباحه بالوقية فيه وحقيقته جعله لنفسه فراشاً يطؤه ، وافترض المال : إغتصبه ، مال مفترض : منصوب ، وجمل مفترض الأرض : لاسنام له وافترض الشيء : وطنه ، افترض الطريق : سلكه ، وافترض فلان ذراعيه : بسطهما على الأرض كالفرش له . والفرش : بسط الثياب ، ويقال للمفروش : فرش وفرش .

ورد من المادة الفرش للصفار من الحيوان قوله عز وجل : «حمولة وفرشاً» الأنعام : ١٤٢ .

الفرش - بالفتح - : الإبل التي لا تطيق أن يحمل عليها وهي الصفار من الإبل ، وقيل : هي الصفار من الإبل وغيرها مما لا يصلح للذبح ، وقدّم المحمولة على الفرش لأنها أعظم في الإنتفاع .

وكذلك ورد منها الفراش للمفروش ، و الفراش مفرداً وجمعاً على فرش . قال الله تعالى : «جعل لكم الأرض فراشاً البقرة : ٢٢) أي وطأها وذللها لكم يمكن الإستقرار عليها ، فلم يجعلها نائية لا يمكن الإستقرار عليها ، وجمع الفراش : فرش .

قال : «متكئين على فرش» الرحمن : (٥٤) .

وفرش اللسان : اللحم التي تحته ، والفرش : عظم الحاجب ، وقد كنيت بالفرش عن كل واحد من الزوجين كما يسمي كل واحد منهما لباساً للآخر ، وسمي المرأة فراشاً لأن زوجها يفرشها فقال النبي الكريم ﷺ : «الولد للفرش وللعاهر الحجر» أي مالك الفرش .

ويقال لكل خفيف : فراشة ، ويكون منه هذا الفرش الذي يطير لخفته ، واحده : فراشة والفرشة : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج فيخترق ، جمعها : فرش . قال رسول الله ﷺ : «ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما تتابع الفرش في النار» وقد شبه الله تعالى الناس يوم القيامة بالجراد المنتشر ، و بالفرش المنبوت لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض ، وانهم يتها فتون من المجرمين منهم في النار كالفرش التي تهافت في النار .

والفرش - بالفتح : غوغاء الجراد ، والفرشة أيضاً : كل رقيق من عظم أو حديد وما شخص من فردع الكتفين ، والماء القليل ، يقال : ما بقي في الحوض إلا فراشة ، ويقال : ما هو إلا فراشة و هو مثل في الخفة و الحقايرة ، و الفراشة : الماء القليل في الماء . أفرش المكان : كثر فراشه ، وأفرش عن المكان : أفلح ، وأفرش فلان فلاناً : أساء القول فيه و اغتابه ، و أفرش زيدا : أعطاه فرشاً من الإبل ، و أفرش السيف : رققه وأرهفه ، وأفرش الشاة للذبح : ألقاها على الأرض ليذبها ، وأفرش الرجل امرأة : زوجته إياها ، وأفرش الرجل إمرأتها : ألقاها على ظهرها فجامعها ، ويقال : هو كريم المفارش : يتزوج الكرائم من النساء .

وفرش الطائر : رفر ف بجناحيه على الشيء وبسطهما ، وفرش الزرع : أنبسط ، وامتدت أوراقه وانتشرت ، و فرش الدار : بلطها وبسط فيها الآجر و الصفيح ، وفرش الطائر : رفر ف بجناحيه على الشيء ، والمفرشة - إسم فاعل - :

الشجّة تصدع العظم .

الفراش - بالفتح :- ما يبس بعد الماء من الطين على الأرض، والفراش: الحديدتان يربط بهما العذاران في اللجام، والفريش: الفرس بعد نتاجها بسبع ليال وهو خير أوقات الحمل عليها، جمعها: فرائش، والفريش: الناقة الحديثة الوضع كالنساء من النساء إذا طهرت، والفريش من النباتات: ما انبسط على وجه الأرض ولم يقم على ساق، و فرس فريش: إذا حمل عليها صاحبها بعد النتاج بسبع.

الفرشة: الطريقة المظمّنة من الأرض شيئاً يقود اليوم والليلة، جمعها: فروش يقال: هو حسن الفرشة أي الهيئة. والفريش: الثور العربي الذي لاسنام له، والفريش: الجارية التي يفترشها الرجل ويجامعها.

في اللسان: الفراش: الزوج، والفراش: الزوجة، والفراش: ما ينامان عليه والفراش: البيت.

٧- البث - ٩١

بث الشيء يبنّثه بئثاً - من باب ضرب ونصر نحو: فرّ ومدّ -: نشره وفرّقه وبثّ الخبر: نشره وأذاعه، ومنه: «بثّوا الخيل في الغارة، وبثّ كلابه على الصيد، وخلق الله الخلق فبثّهم في الأرض» وبثّ الغبار: هبّجه وبثّ السرّ وأبّثه إياه: أطلعه عليه، وبثّ ما في نفسه: كاشفه به.

قال الله عز وجل: «وبثّ فيها من كل دابة» البقرة: ١٦٤ أي فرق فيها

و نشر .

وإسم المفعول: المبثوث والمبثوثة.

قال الله عز وجل : «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» القارعة: ٤) أي المتفرق .

وقال: «ورزابي مبثوثة» الفاشية: ١٦) أي متفرقة.

وفي الحديث: «إبليس يبث جنوده» أي يفرقهم وينشرهم من بئ الحديث : أذاعه وأنشره، ومنه: «بث السلطان جنوده» ومثله: «بث الخير وأبثه» ، وبث حاجتك : أذكرها.

قال الله عز وجل: «وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً» النساء: ١) البث: الحال أو الغم أو أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه أو يشكوه، والحزن: الهم.

قال الله تعالى: «قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله» يوسف: ٨٦) قيل: البث: ما أبداه الانسان، والحزن: ما أخفاه لأن الحزن مستكن في القلب، والبث: ما يبث ويظهر فالبث غير الحزن. إنبث: إنتشر وتفرق، وإسم الفاعل منه: منبث.

قال الله تعالى: «فكانت هباء منبثاً» الواقعة: ٦) المنبث: ما تبثه الخيل بسنابكها من الغبار، والمنبث: المفترق، وتمر بث و منبث: متفرق غير مكنوز.

وباث السر: أظهره له. ومنه حديث أم زرع: «زوجي لا أبث غيره» أي لا أنشره لقبح آثاره.

وفي الحديث: «لا تبث حديثنا تبثيئاً» وفي الحديث أيضاً: «ولا يولج الكف ليعلم البث».

البث في الأصل: أشد الحزن والمرض الشديد كأنه من شدته يبثه صاحبه. والمعنى: أنه كان بجسدها عيب أو داء فكان لا يدخل يده في ثوبها فيمسسه لعلمه أن ذلك يؤذيها تصفه باللطف، وقيل: هو ذم له أي لا يتفقّد

أمورها و مصالحها.

و بثبت الخبر: نشره، وبثبت الغبار: هيّجه كبثّ فيهما، وبثبت الأمر: إذا فتشت عنه ونخبّرتّه. وفي الحديث: «لما حضر اليهودي الموت قال بثبثوه» أي كشفوه.

في المفردات: أصل البث: التفريق، وإثارة الشيء كبثّ الريح التراب، و بثّ النفس ما انطوت عليه من الغم والسرّ.

وقوله تعالى: «وبثّ فيها من كل دابة» إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إيّاه.

وقوله: «كالفراس المبنوث» أي المهيتج بعد سكونه وخفائه.

وقوله: «إنّما أشكوا بشّي وحزني إلى الله» أي غمّي الذي يبثّه عن كتمان فهو مصدر في تقدير مفعول أو بمعنى غمّي الذي بثّ فكري نحو: توزّ غمي الفكر فيكون في معنى الفاعل.

٨٩-العهن-١٠٥٤

عهن الرجل بالمكان عهنأ وعهونأ - من باب نصر وضرب ومنع -: أقام فيه ودام وثبت، وعهن الرجل عن المكان: خرج منه، فهو ضدّ بما يتعدّى به كالرغبة والميل. وعهن الرجل في العمل: جدّ، وإليه: عهد، وعهن لفلان مراده: عجله له، وعهن السعف: يبست، وعهن القضيّب: تنثى، وقيل: إنكسر أو بلا بينونة.

تدور المادة على اللين، ومنها العهن الصوف مطلقاً أو الصوف المصبوغ بصبغ ما أو الملوّن بعدة أصباغ، وتخصيصه في الاستعمال القرآني لما فيه من اللون كما ذكر اللون في قوله عزّ وجل: «وردة كالدّهان»

وقد ورد المهن وصفاً أدمع وصفه بالمنفوش في قوله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن» (المعارج: ٩) ومعه وصفه بالمنفوش في قوله عز وجل: «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» (القارعة: ٥)

العهن: الصوف أو المصبوغ ألواناً جمعه: عهون، والعهان - بالكسر -: أصل الكباشنة.

وعهن له كذا يعهن عهنًا - من باب علم -: عجل، وعهن الشيء: حضر، و يقال: رمى فلان الكلام على عواهنه: أوردته على ما حضر منه من غير فكر وروية وتدبر، وعجل من خطأ وصواب لم ينل أصاب أم أخطأ، وذلك كقولهم: أورد كلامه غير مفسر. وفي الحديث: «ان السلف كانوا يرسلون الكلمة على عواهنها» أي لا يزمونها ويحطمونها.

العهان - إسم فاعل -: الفقر لإنكساره، والمال التالد كالآهن والحاضر، والعاهن: المقيم الحاضر الثابت، يقال: فلان لعاهن المال أي حاضر النقد، و فلان لعاهن الطعام: حاضره، و فلان لعاهن المال: آخذ من عاجله وآجله، والعاهن: المسترخي الكسالى هو عهن المال: حسن القيام عليه، مال عاهن: حاضر ثابت، العاهن: الطعام الحاضر والشراب الحاضر.

العواهن: جرائد النخل إذا يبست، والعواهن: جوارح الإنسان، و قيل: أصل العاهن: أن يتقصّف القضيّب من الشجرة ولايبين، فيبقى متعلّقاً مسترخياً، والعهنة: إنكسار في القضيّب من غير بينونة إذا نظرت إليه حسبته صحيحاً فاذا هزته انثنى، والعواهن: عروق في رحم الناقة، عواهنها: موضع رحمها من باطن كمواهن النخل، و العهنة: بقلة، و قيل: العهنة من ذكور البقل، والعهنة: الحقد والفضب.

وفي المجمع: العهن: الصوف المصبوغ، والقطعة منه: عهنة، شبه الجبال بالصوف المصبغ ألوانه، وبالمنفوش منها لتفرّق أجزائه.

وفي النهاية : الهن: الصوف الملوّن، والعواهن: أن تأخذ غير الطريق في السير والكلام، جمع عاهنة.

٢١- النفس - ١٥٤٧

نفشت الإبل والغنم تنفش نفشاً ونفوشاً- من أبواب ضرب ونصر وعلم -: رعت ليلاً بلا راع، وذلك يكون حين تخرج من حظيرتها وتتفرّق. والنفش - محرّكة -: إسم، ولا يكون النفس إلا ليلاً، والهمل يكون ليلاً ونهاراً، ويقال: نفشه فنفس لازم ومتعدّد.

قال الله تعالى : « إذ نفشت فيه غنم القوم » (الأنبياء: ٧٨) أى رعته ليلاً. وأنفس الراعي الغنم والإبل: أرسلها ليلاً ترعى وتركها، ويقال: باتت غنمه نفشاً وهو أن تفرّق في المرعى من غير علم صاحبها، إبل أو غنم نفّاش أي ترعى ليلاً بلا راع، وذلك يكون حين تخرج من حظيرتها وتتفرّق، وقد يكون النفس في جميع الدواب ...

نفس الصوف والقطن ونحوهما ينفشه نفشاً- من باب نصر -: مدّه حتى يتجوّف، وفرّق ما كان متلبّداً من أجزائه، وأبان بعضه من بعض إذا هيج، ونفس القطن والصوف: شعته بالأصابع حتى ينتشر وقد انتفش، ونفس القوم نفوشاً: أخصبوا، نفس فلان على الشيء: أقبل عليه يأكله، ونفس الطائر: نفّض ريشه كأنّه يخاف أو يرد.

والصوف المفرّش منفوش وكذلك القطن.

قال الله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» (القارعة: ٥)

النفيش: المتاع المتفرّق في الوعاء، وفي حديث ابن عباس: «وإن أتاك

منتفش المنخرين» أي واسع منخري الأنف وهو من التفريق، والنفش: كثيرة الكلام والدعاوي، والنفاش: المتكبر والنفاش: نوع من الليمون أكبر ما يكون، ومنتفشة: منبسطة على الوجه.

في المفردات: النفس: نشر الصوف، قال تعالى: «كالمهن المنفوش» ونفس الغنم: إنتشارها، والنفس - بالفتح -: الغنم المنتشرة قال تعالى: «إذ نفشت فيه غنم القوم» والإبل النوافش: المترددة ليلاً في المرعى بلا راع.

وفي المجمع: ومنه الحديث: «على صاحب الماشية حفظها فما فسدت بالليل ضمنوا وهو النفس» ولا يكون النفس إلا بالليل والهمل يكون ليلاً ونهاراً، يقال: نفشت الغنم والإبل تنفش نفوشاً: إذا رعت ليلاً بلا راع ونفش القطن نفشاً من باب قتل: إذا هيجته.

وفي النهاية: في حديث: «أنه: نهى عن كسب الأمة إلا ما عملت بيديها نحو الخبز والغزل والنفس» وهو ندف القطن والصوف، والنفیش: المتاع المتفرق.

وفي القاموس و شرحه: النفس: تشييت الشيء بأصابعك حتى ينتشر كالتنفيش والنفس: تفريق مالا يعسر تفريقه كالقطن وصوف، وقال أئمة الاشتقاق: وضع مادة النفس للنشر والانتشار.

٣١ - الوزن والميزان - ١٦٦٣

وزن الشيء وزن وزناً ووزنه - من باب ضرب نحو: وعد -: قدره بما يعادله في الثقل، وزن الشيء: رازنقله وخففته وامتحنه بما يعادله، ووزن تمر النخلة وزناً: خرصه وخرزه، يقال: وزن لفلان الشيء ووزن فلاناً الشيء كما يقال: شكرته وشكرت له، وكلت له وكلته.

قال الله تعالى : « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » المطففين : (٣) .
و وزنت الشعر : قطعته ونظمته موافقاً للميزان .
الوازن : إسم فاعل، درهم وازن : تام ، والزنة مصدر، أصل الكلمة : الوزن ،
والهاء فيها عوض من الواو والمحدوذة من أولها .
و في الدعاء : « سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه » أي بوزن عرشه في عظم
قدره .

قال الله تعالى : « وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » الحجر : (١٩) قيل : هو
المعادن كالفضة والذهب ، وقيل : بل ذلك إشارة إلى كل ما أوجده الله عز وجل ،
وأنه خلقه باعتماد ، والموزون : ما يوزن كالجواهر أو مستحسن له وزن وقيمة
أو مقدّر بتقدير الله جل وعلا كما قال : « إننا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : (٤٩)
وقال : « والوزن يومئذ الحق » الأعراف : (٨) إشارة إلى العدل في محاسبة الناس
كما قال : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » الأنبياء : (٢٧) .
وقد ذكر الميزان في مواضع بلفظ الواحد إعتباراً بالمحاسب ، و في مواضع
بالجمع إعتباراً بالمحاسبين ، جمع الميزان : موازين ، ومنه الميزان الذي توزن به
الأعمال يوم القيامة و انه وزن حقيقي ، وعليه جمهور المحققين .
قال الله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه - وأما من خفت موازينه » القارعة :
(٦ - ٨) .

هي الموازين الحقيقية ، وقيل : هو تمثيل لإظهار الجزاء ، وهذا على سبيل
المجاز ، ويرى بعضهم : أن وزن الأعمال يوم القيامة تمثيل لتقدير الأعمال و
إظهارها على رؤوس الأشهاد ثم القضاء والجزاء عليها .
الميزان - بالكسر - : أصله : موزان ، فقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسرة
مذ كثر ويأتي لمعاني تالية :

١ - الميزان : آلة تقدر بها الأشياء بوضعها في كفة بازاء صنجات مقدرة

في كفة اخرى ، و منه ميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة بما يناسب يومئذ .

الميزان: آلة معروفة يوزن بها صنجات ... قال الله تعالى: « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، الأنعام : ١٥٢) وفي الحديث : « نهى عن بيع التمار قبل أن توزن ، أي تحزر وتخرس ، سماء وزناً لأن الخارص يحزرها ويقدرها فيكون كالوزن لها و وجه النهي أمران: أحدهما- تحصين الأموال ، و ذلك انتها في الغالب لا تأمن العاهة إلا بعد الإدراك ، و ذلك أوان الخرص . والثاني : أنه إذا باعها قبل ظهور الصلاح بشرط القطع ، وقبل الخرص سقط حقوق الفقراء منها لأن الله تعالى أوجب إخراجها وقت الحصاد .

٢ - الميزان : العدل والقسط في الأحكام والمعاملات ...
قال الله عز وجل : « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ، الشورى : ١٧)
أي العدل .

٣ - الميزان : الشريعة التى يتناصف بها الناس ، وبها يقوم العدل بينهم .
قال الله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد : ٢٤) .

٤ - الميزان : المقدار يقال : عندي لكل مخاصم ميزانه ، يقال : إستقام ميزان النهار أي إنتصف . وفي الحديث : « الصلاة ميزان فمن وفى و استوفى » قال بعض المحدثين : يعني بذلك أن يكون ركوعه مثل سجوده و لبثه في الأولى والثانية سواء و من وفى بذلك إستوفى الأجر .

الوزن : مصدر والوزن : الميثقال ، جمعه : أوزان ، الوزن : وزن الجبل : ناحية منه ويقال : هذا درهم وزن و وزناً أي موزون أو وزان ، فالرفع على أنه نعت والنصب على أنه حال ، والوزن عند العرويين ، و أوزان العرب : ما بنيت عليه أشعارها ، والوزنة - بالفتح - : المرأة ، والوزنة : المرأة القصيرة العاقلة و

- بكسر الواو - : النوع ، والوزني "نسبة إلى الوزن ، والموزونة: المرأة القصيرة العاقلة ، والوزنة : الدرهم الذي يتعامل به .

وزن الشيء يوزن وزانة فهو وزين - من باب كرم - : ثقل و تثبت ، يقال : فلان رجل وزين : كان أصيل الرأي والمشى والحركة ، ويقال : فلان راجح الوزن: موصوف برجاحة العقل والرأي، ويقال: فلان وزين الرأي ووزينه: أصيله ، والأوزن: إسم تفضيل ، يقال: هذا القول أوزن من غيره أي أقوى وأمكن، ويقال: لوقلته لكان أوزن أي أقوى و أوزن القوم أي أو جههم .

ويقال: هذا شيء يوزن أي نفيس يستحسن في حقه أن يوزن كالجواهر ولا يكال ولا يؤخذ جزافاً ، ومن هذا قيل: الوزن للقدر والمكانة ، تقول : فلان له وزن أي مكانة ومنزلة ، ولا يقام لعمل فلان وزناً أي لا يقدر بقدر لعظمته ، وليس له قدر لخصته أي هو حقير لا يعبأ به لحقارته .

قال الله عز وجل : « فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » (الكهف : ١٠٥) أي لا ينظر إلى أعمالهم ولا يعتد بها ولا يزن لهم سعيهم لكفرهم و طغيانهم . أوزن نفسه على كذا : وزنها ، و وزن نفسه على كذا توزيعاً : وطينها . و ازنه موازنة و وزاناً : ساواه في الوزن و قابله و حاذاه ، و وازن فلاناً : كافاه على فعاله ، هو وزانه و بوزانه و بوزانته : قبالته ، وهذا وزان لك : معادله و مساويه في الوزن ، هو وزنة الجبل : حذائه .

توازننا توازناً : تعادلاً ، و اتزن مطاوع وزن يقال : وزنت الدراهم والشعر فاتزنت ، و اتزن العدل : إعتدل بالآخر ، و أصل اتزن إوتزن فقلبت الواو تاء .
في المفردات : الوزن : معرفة قدر الشيء ، والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان . وقوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس المستقيم - و أقيموا الوزن بالقسط » إشارة إلى مراعاة المعتدلة ، وفي جميع ما يتحرّاه الإنسان من

الأفعال والأقوال .

وفي الأساس : وزنت الشيء ووزنته وثقلته إذا رزته بيدك لتعرف وزنه .
 وفي المحكم : الوزين : حب الحنظل المطحون يبل باللبن و يؤكل .
 وفي المجمع : الوزن عبارة عن إعتدال الأجزاء لا بمعنى تساويها ، فإنه لم يوجد بل باضافته إلى ذلك النوع و ما يليق به ، و أمّا إختلاف أنواع النبات ،
 فبحسب إختلاف أجزائها و كيفياتها ...

وفي اللسان: الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم .

و في القاموس و شرحه : الوزن كالوعد: ردوا الثقل والخفة بيدك لتعرف
 وزنه كالزنة بالكسر و أصل الكلمة الواو والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة
 من أولها .

١٠١ - العيش - ١٠٦٦

عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشاً وعيشة ومعيشة وعيشوشة كلها مصادر -
 من باب ضرب نحو : باع - : صار ذاحية فهو عائش، رجل عائش : له حالة حسنة ،
 يقال: إنهم لعائشون أي لهم حالات حسنة ، ويقال: عاش عيشة صدق ، وعيشة سوء .
 والعيشة : ضرب من العيش .

العيش : مصدر يقال : إنّه لفي عيش رغد ، والحياة المختصة بالحيوان
 والطعام ، وما يعاش به ، يقال: عيش بنى فلان اللبن: إذا كانوا يعيشون به والخبز .
 ويقال: فلان عيش وجيش ، ومرتة عيش ومرتة جيش: مرتة معي ومرتة علي أو ينفع
 مرتة ويضر أخرى .

ترجع المادة إلى البقاء وهو أخص من الحياة ، فالعيش: بقاء الحيوان ، ومنه
 الإنسان على حين تقال الحيوان على الحيوان . والمعيشة: مابه البقاء والعيش من مطعم

ومشرب وما إليهما من وجوه النعم والمنافع ، وما يتوصل به إلى ذلك ، وجمعهما : معاش .

والمعاش : ما يعاش به كذلك ، وما يعاش فيه زماناً ومكاناً وجمعه : معاش . قال الله تعالى : « وجعلنا النهار معاشاً » (النبا : ١١) أي وقت معاش يلتمسون به للعيش .

وقال : « وجعلنا لكم فيها معاش » (الأعراف : ١٠) فالنهار معاش والأرض معاش للخلق يلتمسون فيها معاشهم .

العيشة : الحالة والهيئة قال الله عز وجل : « عيشة راضية » (القارة : ٧) . وفي الحديث : « لا خير في العيش إلا لرجلين يزاد كل يوم خيراً ورجل يتدارك منية بالتوبة » ومنه : « لولا ذلك ما انتفع أحد بعيش » ومنه : « الفرق نصف العيش » وفي الدعاء : « أسئلك برد العيش بعد الموت » والمراد به الحياة الطيبة بعد الموت وفي الخبر : « لا عيش إلا عيش الآخرة » .

عِيشة تعييشاً : جعله ذاهية ، وعاشه : عاش معه ، وأعاشه إعاشة : جعله ذاهية ، عيَّاش - فعَّال - للمبالغة ، والمتعيش : من له بلغة من العيش ، وتعيش الرجل : تكلف أسباب المعيشة ، وتعاشوا بالغة ومودة : عاشوا مجتمعين على اللفة والمودة .

في المفردات : العيش : الحياة المختصة بالحيوان ، وهو أخص من الحياة لأن الحياة تقال في الحيوان ، وفي الباري تعالى وفي الملك ، ويشق منه المعيشة لما يتعيش منه قوله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - معيشة ضنكاً - لكم فيها معاش » وقال في أهل الجنة : « فهو في عيشه راضية » .

٤٣ - الخفة - ٤٣١

خف الشيء يخف خفاً و خفة - بفتح الخاء و كسر ها - وخفوفاً - من

باب ضرب نحو : فرّ - ضدّ ثقل فهو ثقيل ، وجمعه : خفاف ، وتكون الخفة في الحسيّات والمعنويات ، فتكون في الجسم والعقل والحال والعمل ، ونون الخفيفة : خلاف الثقيلة .

خفّت الاتن لغيرها : أطاعته ، وخفّ الرجل : قلّ ماله ، وخفّ في سفره وحضره : قلّ ثقله وعياله ، وخفّ الضبع خفّاً : صاحت ، وخفّ القوم : إرتحلوا مسرعين .

و في الحديث قال رسول الله ﷺ في مرض موته : « أيّها الناس ! قد دنا منّي خفوف من بين أظهركم » أي حركة وقرب إرتحال ، يريد الإنذار بموته . وفي الحديث : « خففوا الخرس » أي لا تستقصوا عليهم فيه .

و خفّ القوم خفوفاً : قلّوا ، وقد خفّت زحمتهم وخفّ له في الخدمة يخفّ : خدمه ، والخفوف : سرعة السير من المنزل ، يقال : حان الخفوف ، و جاءت الإبل على خفّ واحد : إذا تبع بعضها بعضاً كأنّها قطار كلّ بعير رأسه على ذنب صاحبه .

و خفّ الرجل : حمق وطاش ، وأخفّ إخفافاً : خفّت حاله و رقت ، و أخفّ فلاناً : أزال حلمه وحمله على الخفة ، والخفة : ضدّ الثقل والرجوح تكون في الجسم والعقل والعمل .

قال الله جلّ وعلا : « وأما من خفّت موازينه » القارعة : ٨) و ذلك كناية عن قلّة الأعمال الصالحة . . .

تخفّف خفّاً : لبسه ، والخفّ : الملبوس ، وخفّ النعامة والبعير تشبيهاً بخفّ الإنسان ، والخفّ - بالضم - : الإبل ، ومنه قوله ﷺ : « لم ترفع راحلتك خفّاً إلّا كتب لك كذا » و جمعه : أخفاف كقفل وأقفال . وقوله ﷺ : « صدقة الخفّ تدفع إلى المتجملين » اريد بالخفّ : الإبل كما في قوله ﷺ : « لا سبق إلّا في خفّ أو نصل أو حافر » على حذف المضاف أي في ذي خفّ وفي ذي نصل ،

و ذي حافر ومنه: «الرهان في الخف» وخفت الانثى للفحل: ذلت له وانقادت.
والخف أيضاً: ما يلبس في الرجل، وجمعه: خفاف ككتاب، ومنه الحديث:
«سبق الكتاب الخفين» يريد ان الكتاب أمر بالمسح على الرجل لا الخف،
فالمسح على الخفين حادث بعده.

وفي الحديث: «لم يعرف للنبي ﷺ خف» إلا خفاً أهده له النجاشي،
الخف: ما يستر ظهر القدمين سواء كان له ساق أم لا.

الخفيف: ضد الثقيل، والسريع في عمله أو سيره، وخفوا عن منازلهم:
ارتحلوا منها في خفة، ويقال: فلان خفيف العارضين أي قليل شعر الوجه،
وفلان خفيف الروح: لطيف رقيق العشرة، وخفيف الظهر: قليل العيال، و
خفيف اليد: سريع في العمل، وخفيف القلب: ذكي، وخفيف العقل: أحمق
جمعه: خفاف، وأخفاء والخفيف أيضاً: بحر من أبحر الشعر.

وقال الله عز وجل: «حملت حملاً خفيفاً» (الأعراف: ١٨٩) أي خف
عليها ولم يكن كرباً كما تلقى بعض الجبالى من الكرب.

وفي حديث ابن سلف: «أنه كان خفيف ذات اليد» أي فقيراً، قليل المال
والحظ من الدنيا، وجمعه: أخفاف، ومنه الحديث: «خرج شبان أصحابه
وأخفافهم حسراً»، وهم الذين لا متاع معهم ولا سلاح، ورجل خفيف: فقير
وأخف فلاناً: إذا أغضبه، وخفف عنه تخفيفاً: ضد ثقل عليه ثقيلًا.

قال الله تعالى: «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً» (النساء: ٢٨).
تخاف الرجل تخافاً: ضد تناقل، وفي الحديث: «وإذا سجدت فتخاف»
أي ضع جبهتك على الأرض وضماً خفيفاً، وفي الحديث: «خففوا على الأرض»
أي لا ترسلوا أنفسكم في السجود إرسالاً ثقيلاً فيؤثر في جباهكم.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» أي تخففوا من الذنوب تلحقوا من سبقكم في

المعمل الصالح. وقال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه: فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أبعد غورها من كلمة وأنفع نطقها من حكمة. وفي الخبر: « بين أيدينا عقبة كؤود لا يجوزها إلا المخف » أي من الذنوب وأسباب الدنيا وعلقها، وهو من قولهم: أخف الرجل فهو مخف: إذا خفت حاله ودابته، وإذا كان قليل الثقل. وفي الحديث: « استخففتها ونلت بها » الخفاف - بالضم - : الخفيف القلب المتوقد، وخفاف كذلك: رجل، والخف - بالضم - : الأرض الغليظة، والخف: الجمل المسن، ومن الإنسان: ما أصاب الأرض من باطن قدمه، والخفاف - كشداد - مبالغة: بائع الأخفاف.

والخف - بالكسر - : كل شيء خف محمله، والخف: الجماعة القليلة، ويقال: خرج فلان في خف من أصحابه أي جماعة قليلة، وخف المتاع: خفيفه، وخف المطر: نقص، وخف القوم عن وطنهم خفوا: إرتحلوا مسرعين. خفان - كحسان - : موضع كثير الفياض قرب الكوفة وهو مأسدة و منه قوله: « هصور له في غيل خفان أشبل » أي أسدله أولاد في هذه الأرض، و الخفوف: الضبع.

الإستخفاف: الإستهانة والإهانة والتهاون. واستخفه إستخفافاً: ضد إستثقله واستخف: إستهان، وفي الحسيات: وجد حملة خفيفاً عليه كقوله عز وجل: « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم » النحل: (٨٠)

وفي المعنويات: إستخف عقله أو أزاله عما كان عليه من الصواب كقوله تعالى: « فاستخف قومهم فأطاعوه » إنهم كانوا قوماً فاسقين، الزخرف: (٥٤) أي دعاهم إلى الخفة والطيش فأطاعوه أو وجدهم طائشين وخفافاً في أبدانهم عزائمهم... وقوله تعالى: « فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » الروم: (٦٠) أي ولا يزعجك ويزيلنك عن إعتقادك بما يوقنون من الشبه.

واستخفّ الطرب فلاناً: حمّله على الخلاعة، وفلاناً عن رأيه: حمّله على الجهل والخفة، واستخفّه: أطربه وأزاله عما كان عليه من الصواب، واستخفّه الفرح: إذا ارتاح لأمر، واستخفّه: أسجّله، فحمّله على إتباعه في غيّه، واستخفّه: طلب خفّته، واستخفّ فلان بحقّي: إذا استهان به.

وفي الحديث: «ليس منّي من استخفّ بصلاته» وفي الحديث أيضاً: «من استخفّ بصلاته لا يرد على الحوض لا والله» أي من استهان بها ولم يعبأ بها ولم يعظم شعائرها مثل قولهم: استخفّ بدينه: إذا أهانه ولم يعبأ به ولم يعظم شعائره، وفي حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة» أي مستهيناً بها مستحقراً لها على وجه التكذيب والإنكار أو عدم المبالاة في تركها وما إليها من مراتب الإستهانة بها.

في المفردات: الخفيف بازاء الثقيل، ويقال: ذلك تارة باعتبار المضايقة بالوزن وقياس شيئين: أحدهما بالآخر نحو: درهم خفيف، ودرهم ثقيل، والثاني باعتبار مضايقة الزمان نحو: فرس خفيف وفرس ثقيل إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال: خفيف فيما يستحليه الناس وثقيل فيما يستوخمه، فيكون الخفيف مدحاً والثقيل ذمّاً، ومنه قوله تعالى: «الآن خفف الله عنكم - فلا يخفف عنهم» وأرى أن من هذا قوله: «حملت حملاً خفيفاً».

الرابع: يقال: خفيف فيمن يطيش، وثقيل فيما فيه وقار فيكون الخفيف ذمّاً والثقيل مدحاً، والخامس: يقال: خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجح إلى أسفل كالأرض والماء

٤٨- هـ ١٦٣٢

هـ - بكسر الهاء وفتح الياء - : كلمة مؤلفة من كلمتين: «هي» و«هاء»

ساكنة فالكلمة: «هي» ضمير الغائبة المؤنثة، والهاء هاء السكت تزداد في الوقف على الكلمة محافظة على حركة آخرها. هيه: من ينحى لدنس ثيابه يقال له: هيه هيه .

قال الله عز وجل: «وما أدراك ما هيه» القارعة: (١٠)

في النهاية: في حديث أمية وأبي سفيان: «قال: يا صخر هيه فقلت هيه» هيه بمعنى ايه فابدل من الهمزة هاء، وايه: إسم سمّي به الفعل ومعناه الأمر. تقول للرجل: ايه بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما، فان نوّنت: استزدته من حديث ما غير معهود لأنّ التنوين للتنكير فإذا سكنته وكففته قلت: أيها بالنصب. فالمعنى: إن أمية قال له: زدني من حديثك فقال له أبو سفيان: كف عن ذلك .

وفي اللسان: إن الهيه هو الذي ينحى لدنس ثيابه يقال له: هيه هيه وهي كلمة تقال لشيء يطرد ولا يطعم وهي كلمة استزادة أيضاً، وهياه - كسحاب - من أسماء الشياطين، وايه كلمة استزادة للكلام وهاه كلمة وعيد وهي أيضاً حكاية الضحك والنوح.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا تثاؤب أحدكم فليردّه ما استطاع ولا يقولنّ هاه هاه فأنما ذلكم الشيطان يضحك منه».

وفي الحديث قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام - ذكر العلماء الأتقياء - : «اولئك أولياء الله من خلقه ونصحاؤه في دينه والدعاة إلى أمره هاه هاه شوقاً إليهم»

٧٥ - الحمى والحمية - ٣٦٣

حميت النار تحمي حمياً - بفتح الحاء وسكون الميم و تخفيف الياء - و

حمياً - بضم الحاء وكسر الميم وتشديد الياء - وحمواً - بضم الحاء والميم وتشديد الواو - من باب علم نحو: رضى - :إشتدَّ حرُّها فهي حامية ، وحميت الحديد: إشتدَّ حرُّها بالنار، وحمى الفرس حمى: سخن وعرق، وحمى فلان على فلان: غضب.

قال الله عزَّ وجلَّ: «تصلى ناراً حامية» القارعة: (١١)

حميت على كذا في النار: أوقدتها له، وحمّة - بضم الحاء - الحر: معظمه، والحمّة: السم، وحمّة العقرب: سمها وضربها، وحمّة الغضب: أوله . الحمى: الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية كالنار والشمس، ومن القوة الحارّة في البدن. قال الله عزَّ وجلَّ: «في عين حامية» الكهف: (٨٦) على قراءة أي حارّة . وقال تعالى: «يوم يحمى عليها في نار جهنم» التوبة : (٣٥) وحمى النهار وحميت الحديد إحماء وحميا الكأس سورتها وحرارتها .

وفي الحديث: «وقدر القوم حامية تنور» أي حارّة تغلى يريد عزّة جانبهم وشدة شوكتهم وحميتهم، وفي حديث حنين: «الآن حمى الوطيس» الوطيس: التنور وهو كناية عن شدة الأمر وإضطرام الحرب، ويقال: إن هذه الكلمة أوّل ما قالها النبي ﷺ لما اشتدَّ البأس يومئذ ولم تسمع قبله وهي من أحسن الاستعارات .

حماء يحميه حمياً وحماية وحمية ومحمية - من باب ضرب نحو: رمى - :منعه ودفع ومنه سمى الحامي، وحمى الشيء من الناس :منعه عنهم ، وحمى المريض ما يضره: منعه إياه متعدياً إلى مفعولين ، والأشهر تعدّيه إلى الثاني بالحرف، وحمى من الشيء: أنف أن يفعله ، وفي حديث الإفك: «أحمى سمعي و بصري» أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه ومن العذاب لو كذبت عليهما . والحامي هو: الفحل من الإبل لا يركب ولا يجزّ وبره وكان من عادة الجاهليّة، فأبطلها الاسلام، وفي الحديث: «لم تدخل الجنة حمية غير حمية حمزة»

وذلك حين أسلم غضباً للنبي ﷺ في حديث السلا الذين ألقى على النبي ﷺ وحمزة هو عم النبي ﷺ. قال الله عز وجل: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام» (المائدة: ١٠٣) قيل: هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن كان يقال: حمى ظهره فلا ير كب ولا يمنع من كلاء ولا ماء.

والحمى - كإلى - : المكان والكلاء والماء يحمى أي يمنع، ومنه «حمى السلطان» وهو كالمرعى الذي حماه فمنع منه، فإذا سبب الإنسان ماشية هناك لم يؤمن عليها أن ترتع في حماه فيصيبه من بطشه ما لا قبل له به، وتثنية الحمى «حميان» بكسر الحاء على لفظ الواحد، ومنه الحديث: «ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» وفي قوله ﷺ: «إن حمى الله محارمه» إعلام بأن التجنب عن مقاربة حدود الله والحذر من الخوض في حماه أحق وأجدر من مجانبة كل ملك، فإن النفس الأمارة بالسوء إذا أخطأتها السياسة في ذلك الموطن كانت أسوأ عاقبة من كل بهيمة خليع العذار.

وفي الحديث: «جعل رسول الله ﷺ إثنى عشر ميلاً حول المدينة حمى» أراد تحريم صيدها وقطع شجرها، وهذا شيء حمى: محظور لا يقرب، واحتمى من الطعام: لم يقربه، ومنه الحديث: «عجبت لمن يحمى من طعام مخافة الداء كيف لا يحمى من الذنوب مخافة النار» وإطلاق الحمية على الذنوب من باب المشاكلة. وحمى السوحى: كثر نزوله، والحم: واحد الأحماء وهم أقارب الزوج كالأب والأخ وفيه أربع لغات، وحماة - بضم الحاء - المرأة: أم زوجها، ولا يجوز فيها غير القصر ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة «حمياطي» أي يحمى الحريم ويمنع من الحرام ويوطئ الحلال.

الهامي: الكلب لحراسته والأسد لحميه فريسته، وفلان حامى الحميا: يحمى حوزته وما واولاه، وفلان حامى الحقيقة، والحامية أيضاً: الرجل يحمى أصحابه ويذب عنهم، والتاء للمبالغة للتأنيث كما هي في نحو الرواية الكثير

الرواية، والجماعة لأنها تحمي نفسها، والحامية: الحجارة تطوى بها البشر، يقال: هو على حامية القوم أي آخر من يحميهم في مضيئهم أي عند إنهازهم من وجه العدو وهو بتقدير اثر حامية القوم، ومضيت على حاميتي: على وجهي، جمعها: الحوامي والحوامي: ميا من الفرس ومياسره يقال: هو حماء لك أي فداء عنك.

الحمّة - بضم الحاء وفتح الميم -: سم كل شيء يلدغ ويلسع، وقيل: الإبرة يضرب بها الزبور والحيتة ونحوهما أو يلدغ بها وتاؤها عوض عن اللام المحذوف لأن أصلها: الحمى وحمّة البرد: شدته.

الحمى: المريض الممنوع عما يضربه من الطعام والشراب، والحميتا: شدة الغضب وأوله يقال: لا تكلمه في حميتا غضبه، والحميتا - من الخمر -: سورتها وشدتها، والحميتا: الخمر نفسها مجازاً كقوله: «شربن الحميتا أو بهن جنون»، والحميتا من كل شيء: ومن الشباب: أوله ونشاطه، وشديد الحميتا: عزيز النفس أبي. وفي الحديث: «لا حمى إلا لله ولرسوله»، قيل: هو رد لما كان يصنع في الجاهلية وذلك أن الشريف من العرب كان في الجاهلية إذا نزل بلداً في عشيرته يستعوى كلباً فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره، فلم يرعه معه أحدو كان شريك القوم في سائر المراتع حوله، فنهى النبي ﷺ أن يحمى على الناس كما كانوا في الجاهلية يفعلون وأضافه إلى الله ورسوله: «لا حمى إلا لله ورسوله»، أي إلا ما يحمى لخيال المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد والابلا التي يحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة في سبيل الله.

وقوله: «القرض حمى الزكاة» أي حافظ لها بمعنى إذامات المقترض أو اعسر احتسبت عليه.

والحمية: الأنفة والغيرة لأنهما سبب الحماية، والحمية: النخوة والمرؤة و الحمية: المحافظة على المحرم والدين من التهمة، وحمية: إسم، ويقال: فلان

ذو حمية منكورة: إذا كان ذا غضب وأنفة.

قال الله تعالى: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»

(الفتح: ٢٤)

والحمية - بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء -: ما حمى من الشيء ،
والإسم من حمى المريض إذا منعه ما يضره أو من احتذى بهذا المعنى، وفي الحديث:
«المعدة بيت الداء والحمية رأس كل داء» والمحمى: الأسد.

في المفردات: وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحمية ف قيل:
حميت على فلان أي غضبت عليه. قال تعالى: «حمية الجاهلية» وعن ذلك استعير
قولهم: حميت المكان حمى. والحمأة والحماء: طين اسود منتن قال تعالى: «من حماء
مسنون» .

وفي المجمع: الحام: الفحل إذا انتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حمى
ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء، والحمية: الأنفة والغيرة، واحماء
المرأة: كل من كان من قبل زوجها، وذلك لكونهم حماة لها ، فالأنفة والغيرة
سبب الحماية.

وفي النهاية: وحميته حماية: إذا دفعت عنه ومنعت، وحميت القوم الماء
أي منعتهم إياه، وحماه عن الدنيا: حفظه من مالها ومناصبها وما يضر بها.



﴿ النحو ﴾

١- (القارعة)

في «القارعة» وجوه: أحدها - مبتداء ، وخبرها الآية التالية. ثانيها - خبر لمبتداء محذوف أي هذه الحاقة، وهي في الأصل صفة لكل حادثه هائلة ثم خرجت عن الوصف وصارت علماً ليوم القيامة، وإن كان فيها إيماء إلى أصل معناها أيضاً وهو الإصطكاك بشدة وإعتماد ومثلها الواقعة والحاقة والصاخة والطامة والغاشية... ثالثها مبتداء «يكون الناس» خبره بمعنى: أن القارعة تحدث في هذا اليوم، فيكون: «ما القارعة وما أدراك ما القارعة» إعتراضاً ، ومن المحتمل أن يكون التقدير: هذا الأمر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث .

٢- (ما الحاقة)

«ما» إسم للاستفهام ومعناها التعجب، في موضع رفع على الإبتداء و«القارعة» خبره وعلى ما قيل سابقاً: أن الجملة خبر من «القارعة» الأولى، وكان حكمه أن يقال: القارعة ما هي إلا أنه أقام المظهر مقام المضمحل للتفخيم والتعظيم، والمعنى: أي شيء هي القارعة ولهذا جاز أن يقع المبتداء الثاني وخبره خبراً من الأول .

٣- (وما أدراك ما القارعة)

الواو حرف نسق، و«ما» استفهامية يريد بها التعجب، في موضع رفع على الإبتداء، و«أدرى» فعل ماض من باب الإفعال، وكاف الخطاب للنبي الكريم ﷺ .

في موضع نصب، مفعول به الأول، والجملة خبر لـ «ما».

و «ما» الثانية كالاولى، و«القارعة» خبره والجملة في موضع نصب، مفعول ثان لـ «أدرى» ولم يعمل «أدراك» في «ما» لأنها إستفهامية، ولا يعمل في الإستفهام ما قبله. والمعنى: وما أعلمك يا محمد ﷺ أي شيء القارعة!

٤- (يوم يكون الناس كالفرش المبثوث)

في «يوم» وجوه: أحدها - خبر عن «القارعة» أي هي يوم يكون الناس و «يوم» منصوب بمادل عليه «القارعة» أي تفرع الناس يوم كذا .
ثانيها - أن العامل في «يوم» هو «القارعة» نفسها أي تفرع آذان الخلق .
ثالثها - أن «القارعة» رفعت باضمار فعل، وذلك الفعل هو العامل في «يوم» فالتقدير: ستأتي القارعة يوم يكون الناس.

رابعها - منصوب على الظرفية على تقدير : تكون القارعة في يوم يكون الناس .

خامسها - منصوب لفعل مقدّر: أي اذكر يوم الناس.

و«يكون» فعل مضارع من الأفعال الناقصة، و«الناس» إسمه، و«الفرش» في موضع نصب، خبراً لـ «يكون» و«المبثوث» إسم مفعول من بـ «يثبت بشأفة» لـ «الفرش».

٥- (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

الواو للعطف، والكلام في إعراب الجملة المعطوفة هو الكلام في إعراب الجملة المعطوف عليها.

٦- (فأما من ثقلت موازينه)

الفاء للتفريع، و «أما» حرف تفصيل غالباً، وفيها معنى الشرط للزوم الفاء، والتزم حذف شرطها وعوض بينهما عن فعلها جزء مما في حيزها ، و«من» إسم تام، مبهم للشرط لا يحتاج إلى صلة، في موضع رفع بالابتداء، و«ثقلت» فعل ماض لفظاً، ومضارع معنأ لكان الشرط، وجيئت بالتاء باعتبار جماعة الفاعل، و«موازينه»

الموازنين: جمع الميزان، اضيف إلى ضمير «من» وأصل الميزان: موزان، فقلبت الواو ياء لكسر ما قلبها.

٧- (فهو في عيشة راضية)

الفاء جواب لـ «أما» لما فيها من معنى الشرط، و«هو» مبتداء و «في عيشة» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداء، و«راضية» اسم فاعل بمعنى المفعول، نعت «عيشة» أي مرضي بها، وهو مما جاز علي وزن فاعل ويراد به مفعول، فإن أهلها يرضون بالعيش في دار الخلود فالقوم راضون، والعيش مرضي به.

٨- (وأما من خفت موازينه)

الواو للمعطف، وإعراب المعطوف ظاهر من إعراب المعطوف عليه.

٩- (فامه هاوية)

الفاء جواب الشرط، و«أمه» مبتداء، اضيف «أم» إلى ضمير «من» و«هاوية» خبر المبتداء والجملة جواب لـ «أما» لما فيها من معنى الشرط.

١٠- (وما أدراك ماهيه)

«ما» اسم، إستفهامية معناها التعجب، في موضع رفع على الابتداء، وأدري فعل ماض من باب الإفعال، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به الأدر، «ما» مبتداء و«هيه» خبره والضمير راجع إلى «هاوية» والجملة في موضع نصب، مفعول ثان لـ «أدري».

ودخلت هاء السكت على «هي» لبيان الحركة في الياء لأنها خفية، وهاء السكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة تحذف وصلاً، ومن أنبتها وصلاً أجرى الوصل مجرى الوقف لئلا تختلف رؤس الآي.

وهي في القرآن الكريم في سبع مواضع: ١- قوله تعالى: «لم يتسنه» البقرة: (٢٥٩) ٢- قوله سبحانه: «سلطانيه» الحاقة: (٢٩) ٣- قوله عز وجل: «ما هيه» الفارعة: (١٠) ٤- قوله جل وعلا: «ماله وحسابه وكتايبه» الحاقة: (٢٠) و (٢٨) ٧- قوله تعالى: «إفقدته» الأنعام: (٩٠).

والقرءاء كلهم يقفون عليها بالهاء إن وقفوا إتباعاً للمصحف، فإذا أدرجوا
 إختلفوا، فكان حمزة يسقطها درجاً، والكسائي يسقط بعضاً وينبت بعضاً، وسائرهم
 ينبتونها وصلاً ووقفاً، فمن أثبت كره خلاف المصحف وبني الوصل على الوقف، ومن
 حذفها في الدرج وهو الاختيار عند النحويين، قال: إنما أنى بهذه الهاء للوقف،
 فمتى وصلت حذفتم والعرب تقول: إرم يازيد وارمه واقتد يازيد واقتده ومن
 أثبت بعضاً دون بعض أعلمك أن القرائتين جائزتان.

١١- (نار حامية)

«نار» خبر لمحذوف أي هي نار حامية، والنار مؤنث مجازي لتصغيرها على
 نورية، فلذلك انث النار، و «حامية» نعت لـ «نار».



﴿البيان﴾

١- (القارعة)

«القارعة» اسم من أسماء القيامة التي مبدؤها لنفخة الاولى، ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما في سورة التكوير.

وقد سميت القيامة بالقارعة تنبيهاً إلى أنها تفرع قلوب الكفار والمجرمين بفنون أهوالها، وتفرع أسماع الفجار والمستكبرين بأنواع أفزاعها، وتفرع ضمائر الفساق والمستبدين بشدة عذابها، وإلى أنها تخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال ... السماء بالإنشقاق والإنفطار، والشمس بالتكوير والجمع، والنجوم بالانكدار والانتثار، والأرض بالزلزال والتبديل، والجبال بالدك والنسف، فلا أهول منها.

القرع هو: الضرب بشدة وإعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد، فكانت القيامة مفرقة تقع على رؤس أعداء الله جلّ وعلا بضربة مفاجئة، ولذلك قال في الاخبار عنها: «ما القارعة» كما تسمى الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة كقوله تعالى: «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» (الرعد: ١٣) أي حادثة عظيمة فاجئة تفرع قلوبهم وتصد أجسامهم فيآلمون لها.

٢- (ما القارعة)

سؤال إستعظام و تعجيب ، سؤال إجلال وتأكيد لأمر القارعة و تهويل

لشأنها، فالمعنى: أي شيء عجيب هي في الفخامة والفضاعة! فإن مدار إفادة الهول و الفخامة هو كلمة «ما»، وفي وضع الظاهر موضع الاضمار تفخيم وتهويل آخر وتأكيد ل شأنها.

ففي الآية الكريمة تعظيم بعد تفخيم، وتهويل فوق تهويل مبالغة في الغرض الذي سيق له الكلام، فكأنها لشدة ما يكون فيها من الأفزاع والأهوال التي تفرع منها النفوس، وتدهش لها العقول، يصعب تصورها، ويتعذر إدراك حقيقتها.

٣- (وما أدراك ما القارعة)

إن الآية الكريمة بصدد لفت النظر إلى خطورة «القارعة» وتهويل لها و ليومها، وتفضيع ل شأنها وتفخيم أمرها، تأكيداً لما سبق، ببيان أنها مما لا تحيط بكنهها العقول، فكأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب وإدراكه في هذه الحياة الدنيا، على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها وما اشتملت عليه من الأوصاف بحيث لا تكاد تناله دراية أحد من المخاطبين و لم تصل إليه معرفة أحد من السامعين، ولا أدركه وهمه وكيفما قدر حالها فهي وراء ذلك وأعظم إذ لا يبلغها وصف واصل ولا نعت مخبر.

ومن هنا يعلم أن الاستفهام في «وما أدراك» كناية عن لازمة من أنها لا تعلم ولا يصل إليها دراية دار ولا تبلغها العقول والأفكار... وفي وضع الظاهر: «القارعة» موضع الضمير: «ماهي» تأكيد بعد تأكيد ل شأنها ومبالغة أخرى لما سبق له الكلام.

ان تسئل: لم قال: «وما أدراك» بصيغة الماضي، ولم يقل: «وما يدريك» كما في قوله عز وجل: «وما يدريك لعله يزكى» عبس: (٣)؟

تجيب: أنه يقال للمعلوم بفعل الماضي، ويقال لما ليس بمعلوم بفعل المضارع، وأن الكلام في المقام لمن يعلمها بالصفة ولا يخفى عليه واقعها، وعن

إبن عباس : أنه قال : إن ما في القرآن من قوله عز وجل : « وما أدراك » كناية و « ما يدريك » تصريح ، وعن سفيان بن عيينة : إن كل ما في القرآن قال فيه : « ما أدراك » فإن النبي ﷺ أخبر به ، وكل ما قال فيه : « وما يدريك » فإنه ﷺ لم يخبر به .

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

إخبار عن « القارعة » ببيان ما يقع فيها من أحوال الناس بأهوالها ، وقد شبه الناس عند البعث بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والحيرة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش وتهافت على النار ، فانهم ذاهبون يومئذ في كل أوب كما شبههم بالجراد المنتشر في موضع آخر لذلك لا لصفر الجنة والنحول والضعف فقط ، فهم إذا بعثوا وأحاط بهم الفزع يجول بعضهم في بعض ، وتوجهوا إلى جهات شتى فيدل ذلك على أنهم يفرعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة كالفراش إذا نار لم يتجه إلى جهة واحدة كسائر الطير ، كما سيتوجهون إلى منازلهم و يتهافتون في النار كتهافت الفراش عليها وتشبيه الناس بالفراش المبثوث مستمد من مألوفات الناس ومدركاتهم ، فالفراش دائم الاضطراب والتحريم والانتشار وسيكون الناس كذلك يوم القيامة من شدة القلق والرعب .

٥- (وتكون الجبال كالعنق المنفوش)

إخبار عما يقع يوم القيامة من الأهوال بتلاشي الجبال وزوالها عن أماكنها على اختلاف ألوانها وتفرق أجزائها وتطايرها في الجو بزلزلة الساعة فتصبح الجبال بواسطة التفجير النووي الراباني كالصوف المنفوش ، فتزول عن أماكنها وتصبح خفيفة السير وإليه يشير قوله عز وجل : « يوم تسير الجبال » (الكهف: ٤٧)

وقد شبه الجبال بالعهن لاختلاف أجزائها في الحمرة والبياض والسواد و
وصفه بالمنفوش لتفرق أجزائها وزوال تأليفها وتفكك شعيراته بعضها عن بعض وخفة
سيرها، فتصير هباء منبثاً.

وفي الآية الكريمة تخويف وتحذير للانسان وتوكيد لشدة يوم القيامة و
تهويلها بوقعة القارعة ودكة مفرغة.

وتشبيه الجبال بالعهن المنفوش مستمد من ما لوفات الناس ومدركاتهم
كتمشيه الناس بالفراش المبثوث ، فالجبال معروفة عندهم بصلابتها وصخورها
و رسوخها في الأرض و إرتفاعها في السماء، فاريد إفهام السامعين أن أشد ما
يعرفونه صلابة و رسوخاً يتفكك وينحل ويصبح كالعهن المنفوش رخاوة وليناً و
خفة من شدة الهول ، و قد تنوع وصف حالة الجبال يوم القيامة ، و قد
يدل هذا التنوع على أن الغرض من هذا الوصف و أمثاله توكيد لهول يوم
القيامة وشدة.

٤- (فأما من ثقلت موازينه)

تقرير إجمالي لتصنيف الناس في العقائد والأقوال والأعمال والأحوال على
فريقين : فريق الحق والإيمان وصالح العمل فموازينهم ثقيلة، فمصيرهم طمأنينة
و عيش رضي ، و فريق الباطل والكفر وفساد العمل، فموازينهم خفيفة فمآلهم
أعماق النار الحامية.

وتنبه إلى كيفية الأحوال الخاصة بكل من الفريقين إثريان الأحوال
السابقة الشاملة للكل ظاهراً ، و إشارة إلى وزن الاعمال و ما إليها ، فمنها
ما هو ثقيل في الميزان ، فله قدر و منزلة عند الله عز و جل فتتبعه السعادة
و الجنة ، ومنها ما هو خفيف و هو الكفر و أنواع المعاصي ، فلا يعابأه فيتبعه
الشقاء و النار.

وقيل : في الآية الكريمة ايماء إلى تجسّم ما يتعلّق بالانسان ، والجمع : «موازينه» إمّا باعتبار تعدد الموزونات فلكلّ نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان، وإمّا باعتبار كثرة الموزون لهم.

٧- (فهو في عيشة راضية)

تفريع على ثقل الموازين و تقرير لجزاء من ثقلت موازينه في الدار الآخرة ففي الجملة من تعليق العيش المرضي به على ثقل الموازين ما لا يخفى على القارىء الخبير.

والعيشة - بكسر العيش كالجلسة - : بناء نوع ، و توصيفها براضية - والراضي وصف لصاحبها - من المجاز العقلي إذ كان الوجه أن يقال : « في عيشة مرضية» ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم: شعر شاعر و ليل ساهر إذا شعر في ذلك الشعر وسهر ذلك الليل، فكأنّهما وصفا بما يكون فيهما لا بما يكون منهما، فبان أن تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الانسان فيها حاله جاز أن توصف هي بالرضا مبالغة في كمالها وجمالها وھنيئها إلى حدّ كان الرضا ادغمت في ذاتها فاصبحت راضية في ذاتها و اجتمع لها أسباب الرضوان كلّها لجميع الناس على اختلاف مطالبهم .

٨- (وأما من خفت موازينه)

تقرير لأحوال الآخرين من الفريقين ، وفي جمع الميزان الذي توزن به العقائد و ما في الضمائر والصدور: من الحق و الباطل ، من الايمان والكفر، من الخلو و النفاق ، و من الحب و البغض ، و ما توزن به الأقوال : من صدقها و كذبها ، من حسنھا و قبيحھا ، و من لينھا و خشنھا ... و ما توزن به الأعمال : من خيرھا و شرھا ، من صالحھا و فاسدھا... تنبيه إلى أن كلّ ما يتعلّق بالانسان من العقائد والأقوال والأعمال له ميزانه الذي يوزن به حسب قدره وقيّمته...

٩- (فامه هاوية)

تفريع على خفة الموازين و بيان لجزاء من خفت موازينه في الدار الآخرة ، و في الجملة من تعليق العذاب و الهاوية على خفة الموازين ما لا يخفى.

الهاوية من أسماء النار سميت بها لأنها نار عتيقة يهوى فيها أهلها على أم رأسهم فيتها فتون في قعرها كتهافت الفراش على النار فكأنها تهوى بأهلها إلى قعرها، فكان ظاهر الفعل لها و حقيقة لغيرها ، و إنما جعلت أمه لضمها له و إشتما لها عليه على باب الاستعارة ، و كل شيء جمع شيئاً و ضمه إليه فهو أم له ، و من ذلك أم الرأس : مجمع الدماغ، و لشبه ذلك قوله عز وجل : «مأواكم النار و بش المصير» وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوى فيها أهلها على رؤسهم .

فمأوى من ثقلت موازينه يأوى إليه مهواة سحيقة في جهنم يهوى فيها كما يأوى الولد إلى أمه، فجعل مسكن أهل جهنم فيها أمًا لهم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد و مفزعه.

قال امية بن أبي الصلت:

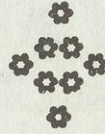
فالأرض معقلنا و كانت أمنا فيها مقابرنا و فيها نولد

١٠- (وما أدراك ماهيه)

سؤال إستعظام و تجهيل و تعجيب لاخراج الأمر عن حدود التصور و الإدراك على واقعه ، و إن يدرك بذكر بعض أوصافه ... ففي الآية الكريمة تفخيم و تعظيم لأمر الهاوية ، مع الإشعار بخروج ما تحويه عن الحدود المعهود للتفخيم و التهويل ، فالمخاطب لا يعلم تفصيلها و أنواع ما فيها من العذاب و إن كان عالماً إجمالاً ببيان بعض أحوالها و أهوالها...

١١- (نار حامية)

جواب للاستفهام التعجبي على طريق البيان بذكر بعض الأوصاف للهائية
 بعد إبهامها ، وفي الآية الكريمة إيماء إلى أن جميع النيران إذا قيسَتْ بها و
 وزنت حالها بحالها لم تكن حامية، فنيران الدنيا بالنسبة إلى نار الآخرة غير حامية
 وذلك دليل على قوة حرارتها وشدة إستعارها.



﴿ الإعجاز ﴾

واعلم أن هذه السورة المباركة: «القارعة» مضافاً إلى إعجازها بأسلوبها وتنسيقها تقرر بأصواتها الصارخة المدممة على واقعها أسماع الكفار والمعاندين ، وآذان الفجار والمجرمين، وتفظع بنغمها المهيبة قلوب الطغاة والمستكبرين وضمائر العتاة والمستبدين...

فاتها تثير الهول والفرع بما تبعث من نذر الهلاك والدمار ، والعذاب والنار وبما تحمل من صور الانقلابات الهائلة المروعة التي تقلب أوضاع هذا الوجود، فمثل هذه الصواعق المزلزلة كانت تضرب آذان قريش ومن إليهم إلى يوم القيامة، فتضطرب لذلك القلوب وتهيج النفوس، وتنهك الأعصاب، فيرغب المتدبر فيها إلى ما فيه كماله وصلاحه، ما فيه فلاحه وسعادته ، ما فيه خيره ونجاته من الإيمان وصالح الأعمال ويرغب الشارد عن ما فيه انحطاطه وفساده، ما فيه خسارته وشقائه، ما فيه شره و هلاكه، ودماره وعذابه من الكفر وفساد الأعمال.

فهيهات أن يفر الإنسان من وجه هذا الترغيب ومن وجه هذا التهيب، فما ان تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان حتى تنطبع في كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها وتوازن آياتها، وتقابل معانيها... وإذا هي على كل فم ، وفي كل بيت غناء وحذاء ونشيداً.

﴿ التكرار ﴾

يدور البحث في المقام حول امور أربعة :

أحدها - انه ابتدئت سورتان من السور القرآنية باسمين آخرين من أسماء القيامة: إحداهما - سورة «الحاقة». ثانيهما - سورة «القارعة».

ثانيها - ان تكرير «القارعة» ثلاث مرات للتفخيم والتهويل والتخويف لشانها.

ثالثها - ان خمس سور قرآنية يشتمل كل واحد منها على إحدى عشرة آية:

١- سورة الجمعة. ٢- سورة المنافقون. ٣- سورة الضحى. ٤- سورة العاديات.

٥- سورة القارعة.

رابعها - أن نشير في المقام إلى صيغ عشرة لغات - أوردنا معانيها اللغوية

على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١- جاءت كلمة (القارعة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرات:

٣٩٢١- سورة القارعة: (١-٣) ٤- سورة الرعد: (٣١) ٥- سورة الحاقة: (٤).

٢- » » » (الفرش) » » : ست مرات:

١- سورة البقرة: (٢٢) ٢- سورة الأنعام: (١٤٢) ٣- سورة الذاريات: (٤٨) ٤- سورة

الرحمن: (٥٤) ٥- سورة الواقعة: (٣٤) ٦- سورة القارعة: (٤):

٣- » » » (البث) » » : تسع مرات:

١- سورة البقرة: (١٦٤) ٢- سورة النساء: (١) ٣- سورة يوسف: (٨٦) ٤- سورة لقمان: (١٠) ٥- سورة الشورى: (٢٩) ٦- سورة الجاثية: (٤) ٧- سورة الواقعة: (٦) ٨- سورة الغاشية: (١٦) ٩- سورة القارعة: (٤).

٤- » » » (العن) : مرتين:
إحداهما- سورة المعارج: (٩) ثانيهما- سورة القارعة: (٥).

٥- » » » (النفث) : مرتين:
إحداهما- سورة الأنبياء: (٧٨) ثانيهما- سورة القارعة: (٥).

٦- » » » (الوزن) : ٢٣ مرة :

٧- » » » (العيش) : ثمان مرات:

١- سورة الاعراف: (١٠) ٢- سورة الحجر: (٢٠) ٣- سورة طه: (١٢٤) ٤- سورة القصص: (٥٨) ٥- سورة الزخرف: (٣٢) ٦- سورة الحاقة: (٢١) ٧- سورة النبأ: (١١) ٨- سورة القارعة: (٧).

٨- » » » (الخف) : ١٧ مرة :

٩- » » » (هيه) : مرة واحدة:

وهي في سورة القارعة: (١٠)

١٠- » » » (الحمى) : ست مرات:

١- سورة المائدة: (١٠٣) ٢- سورة التوبة: (٣٥) ٣- سورة الفتح: (٢٦) ٥- سورة الغاشية: (٤) ٦- سورة القارعة: (١١).



* التناسب *

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث:
أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.
ثانيها - التناسب بينها وما قبلها مصحفاً.
ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أما الأولى: فإن هذه السورة نزلت بعد سورة « قريش » فلمّا أمر الله جلّ وعلا في السورة السابقة نزولاً قريشاً بعبادته تعالى لما أنعم عليهم من نعمه الماديّة والمعنويّة ، رغب في هذه السورة الناس كلّهم إلى ما يتقلّ على الموازين يوم القيامة من الإيمان والأعمال الصالحة بذكر ما يؤدّول إليه أمر الإيمان وصالح الأعمال من الجنّة ونعيمها ، والعيش الهنيئ المرصّي به ، ورهبهم عما يخفّ على الموازين من الكفر وفساد الأعمال بذكر ما تصير إليه عاقبة الكفر والعمل الفاسد من النار والعذاب.

أما الثانية: فالتناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً فبأمور:
أحدها - ان سورة « العاديات » لمّا ختمت بقوله عزّ وجلّ: « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور... » اشير في هذه السورة إلى كيفة البعث وأحوال المبعوثين حين البعث ، وذكر ما فيه نجاتهم من أهوال يوم البعث وما يستتبعه من العيش المرصّي به لترغيبهم إليه في الحياة الدنيا ، وذكر ما

فيه فزعهم في الدار الآخرة و يستتبعه من النار و العذاب لترهيبهم عنه في الحياة الدنيا .

ثانيها - ان " آخر السورة السابقة كان في وصف يوم القيامة ، جاءت هذا السورة بأسرها في وصف ذلك اليوم ، و ما يكون فيه من الأهوال والأحوال ، فاتصلت هذه السورة بما قبلها إتصال النظير بالنظير فان " كلتيهما في ذكر القيامة.

ثالثها - لما ختمت السابقة بقوله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان " ربهم بهم يومئذ لخبير » وفيها دعوة الناس إلى أن يحاسبوا أنفسهم في الحياة الدنيا قبل أن يحاسبوا يوم القيامة ، جاءت سورة « القارعة » تفرع الناس بهذا اليوم : يوم الجزاء و الحساب ، وتدعوهم إلى الحساب و الجزاء بعد أن أخذوا الفرصة الممكنة لهم من حساب أنفسهم و إعدادها لهذا اليوم.

أما الثالثة : فلما بدئت السورة بما تفرع به الأسماع ، وبتزعزع عنه القلوب زاد أمرها تعظيماً ، تنبيهاً إلى أنه مما لا يكتنه به علماً ، ولما ذكر الله عز وجل ان إدراك حقيقة « القارعة » مما لا سبيل إليه أخذ يعرف بزمانها الذي تكون فيه وما يحدث فيه من الأهوال و للناس من الأحوال ... فاشير إلى بعض أوصاف الظرف و بعض أحوال المظروف ...

ولما ذكر بعض أوصاف الظرف و أحوال المظروف يوم القيامة اشير إلى أن الناس يومئذ على فريقين: فريق تثقل موازينهم ، فتسكن بها قلوبهم ، فلا خوف عليهم يومئذ ولا هم يحزنون ، فيستتبعهم العيش المرضي " به ، وفي ذكره ترغيب الناس إلى تلك الموازين في الحياة الدنيا لينجوابها من عذاب الآخرة ، و فريق تخف " موازينهم فتزعزع بها قلوبهم و تحيط بهم

الأهوال و الأفزاع فيتهاقون على نار جهنم كتهافت الفراش على النار ، وفي ذكر ترهيب الناس عن تلك الموازين ...
 و ان " الانسان إذا علم أن أعماله ستوزن أمام الناس و مرآهم كان ذلك أقرب ما يدعوههم إلى الايمان و الطاعة و صالح العمل ، و يجنبهم عن الكفر و المعصية و فساد العمل .



* النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه *

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدلّ على أنّ في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً
أو متشابهاً، فأيتها محكمات والله تعالى هو أعلم.



﴿تحقيق في الأقوال﴾

١- (القارعة)

في «القارعة» أقوال: ١- عن ابن عباس وقتادة: القارعة من أسماء يوم القيامة عظمه الله جلّ وعلا وحذّره عباده .

قيل : وجه تسمية القيامة بالقارعة: أنّ الأجرام العلوية والسفلية تصطكان اصطكاكاً شديداً عند تخريب العالم فتقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال، و أمّا المؤمنون «وهم من فزع يومئذ آمنون» (النمل: ٨٩) كما سميت بأسماء أخرى يشير كل واحد منها إلى سمة وحالة خاصة :

منها: أسماء مفردة كالطامة والغاشية والحاقة والصاخة والواقعة والساعة ...

ومنها: أسماء مركبة إضافية كاليوم الموعود واليوم الآخر ويوم التغابن ويوم الجمع ، ويوم أليم ويوم عسير ويوم عظيم ويوم القيامة ، ويوم كبير ويوم عصيب ويوم شاهد ومشهود ويوم الحساب ويوم الدين ويوم الآزفة ويوم التناد ويوم الفصل ويوم الخلود ويوم الحسرة ويوم التأويل ...

ومنها: أسماء مركبة بيانية كيوم تبلى السرائر، ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، ويوم لا يبيع فيه ولاخلة ، ويوم ندعو كل اناس بامامهم ، ويوم ينفخ في الصور، ويوم توفى كل نفس ما عملت ، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لا تكلم نفس إلا بأذنه ، ويوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ويوم يقوم الأشهاد ، و

يوم ترجف الراجفة ...

ويوم القيامة يومان: يوم الإحياء والآيات الكريمة تبحث عن اليومين وتعتبر عنهما جميعاً بيوم القيامة .

٢- قيل : القارعة: هي البليّة التي تفرع القلوب بشدة مخافتها، كأنّها المقرعة التي تقع يومئذ على رؤس الخلائق بضربة مفاجئة. ٣- قيل : القارعة: هي الصيحة التي تموت وتحيي بها حين البعث ، وهذه الصيحة صيحتان : صيحة تموت بها الخلائق كلهم بالنفخة الاولى، وصيحة تحيي بها الخلائق أجمعون بالنفخة الثانية للحساب والجزاء .

أقول : و على الأوّل جمهور المفسرين و إن كان لكل وجه من غير تناف بين الأقوال الثلاثة .

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أي تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . قال قتادة وأبو عبيدة وابن زيد : الفراش : الطير الذي يتساقط في النار والسراج وليس هذا الطير بذباب ولا بعوض . والمعنى : انّهم يتهافون يوم القيامة في النار كتهافت الفراش على السراج والنار .

وقيل: إن أوّل حالهم كالفراش لا وجه له، يتحير في كل وجه، ثم يكونون كالجراد لأنّ لها وجهاً تقصده كقوله تعالى : « كأنّهم جراد منتشر » القمر: (٧) و المعنى : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لهول القارعة فيتفرقون إلى جهات شتى بلا قصد لأنّهم كانوا في الحياة الدنيا في اتجاهات شتى ، فكلّ إنسان كان يعمل على شاكلته، فيرجع إلى شاكلته شاء أم لا، ثم يتوجهون كلّ إلى مقاصدهم ومنازلهم المختلفة سعادة وشقاء ...

٢- عن الفراء : الفراش هو الهمج الطائر من بعوض وغيره ، ومنه الجراد و هو أطيش من فراشة وقال:

طويش من نفر أطياش أطيش من طائرة الفراش
وقال الآخر :

و قد كان أقوام رددت قلوبهم إليهم وكانوا كالفراش من الجهل
والفراش : هو الحشرة التي ترى تترامى على ضوء السراج ليلاً ، وبها يضرب
المثل في الجهل بالعاقبة وغاية الضعف و الحمق واللاهف ، و هكذا يصير مصير
الانسان الذي عاش حياته كالفراش المبثوث إلا من ثقلت موازينه .
قال جرير :

ان الفرزدق ما عملت و قومه مثل الفراش غشين نار المصطفى
٣- عن الفراء أيضاً وابن عباس : « كالفراش المبثوث » كغوغاء الجرادير كب
بعضها بعضاً كذلك الناس يجول بعضهم في بعض إذا بعثوا للحيرة إلى أن يدعوا
للحساب .

أقول : وعلى الأول أكثر المفسرين .

٥- (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

في «العهن المنفوش» أقوال : ١- عن قتادة : أي الصوف الذي ينفش باليد
أي تصير هباء وتزول كقوله تعالى : «هباء منبثاً» الواقعه (٦) فتفكك شعيراته
بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ريح ، فالجبال لتفتتها وتفرق
أجزائها لم يبق لها إلا صورة الصوف المنفوش ، فلا تلبث أن تذهب و تتطاير ،
فكيف يكون الإنسان حين حدوثها و هو على ذلك الجسم الضعيف السريع
الإنحلال .

٢- عن قتادة أيضاً ومجاهد : أي كالصوف المصبوغ المندوف . والمنفوش من
النفش و هو نشر الصوف بندق ونحوه ، فالعهن المنفوش : الصوف المنتشر . و
المعنى : ان الجبال تزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير حتى تستوي مع الأرض ،
فأجزائها تتفرق وتتطاير في الجو ، فيالها من وقعة قارعة ، ودكة مفرغة ، تهزم

الجبـال فتـهزـم في هـذه المعـرـكة الدامـية ، فهـذه سماءـه كالمـهل : «يوم تكون السماء كالمهل » المعارج: ٨) أي حمراء كالملطوم المجروح ، وهذه جباله كالعهن المنفوش: الصوف نشر بندف ، فنداف القارعة هكذا يندف وينفش الجبال ، فياله من مشهد تطير له القلوب وترجف منه الأوصال ويكأن كل شيء في الكون يسير حول الإنسان هباءاً فماذا إذاً حال الإنسان في الختام .

٣- قيل : أي الصوف ذو الألوان المختلفة ... ٤ - عن الحسن: أي كالصوف الأحمر و هو أضعف الصوف و قال : إن الجبال تلين بعد الشدة و تتفرق بعد الاجتماع وتصير أو لا كثيراً رملامهياً ، ثم تصير عهنأ منفوشاً ثم هباء منثوراً .
٥- قيل : أي كالصوف في الخفة والطيران بالريح .

أقول : و على الثالث أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الأقوال

الآخر .

٦- (فأما من ثقلت موازينه)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن عبدالله بن عمر: أي توزن صحائف أعمال

العباد .

قيل : الميزان : الكتاب الذي فيه أعمال الخلق لأن الأعمال أعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها ، فتوزن صحائف الأعمال ...

فالمعنى : أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف لما روى : «إن ميزان بعض بني آدم كاد يخف بالحسنات ، فيوضع فيه رق مكتوب فيه : لا إله إلا الله» فيثقل فيكون ثواب كلمة الشهادة أو في وأوفر من سائر الأعمال لأن معرفة الله عز وجل هو أصل جميع العقائد الحقّة وهو شرط لقبول الأعمال الحسنة .

فقد علم أن ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه الاعمال لأنفس الأعمال ، وإن الله تعالى يخفف الميزان إذا أراد ويثقله إذا أراد بما يوضع في كفتيه من

الصحف التي فيها الأعمال ... فالوزن يعود إلى الصحف التي كتبت فيها أعمال العباد ...

٢- عن ابن عباس والحسن والجبائي: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته... ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخفف وزنه حتى يقع في النار.

فالمنعنى: فمن ثقلت موازين حسناته ورجحت على موازين سيئاته ... و من خفت موازين سيئاته ورجحت على موازين حسناته ...

فالموازين جمع الميزان، قيل: إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزاناً توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة أخرى، فتوزن أعمال الناس كلهم بالميزان.

وقيل: إن الله تعالى يخلق كل جزء من أعمال العباد جوهرًا فيقع الوزن على تلك الجواهر.

وعن ابن عباس أيضاً: يظهر للحسنات صورة حسنة وهي وزنها الثقيل، وللسيئات صورة سيئة وهي وزنها فلا توزن الأعمال في الميزان بل صور الأعمال هي وزنها. وقال الجبائي أيضاً: يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس.

٣- قيل: إن المراد بوزن الأعمال وخفتها هو وزن عاملها من حيث عملهم لقوله تعالى في الكافرين: «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» (الكهف: ١٠٥) بأن من حبطت أعماله فلا وزن له فيبقى الوزن لمن لم تحبط أعماله. وعن عبيد بن عمير: أي توزن نفس المؤمن والكافر ويؤتى بالرجل العظيم الجنة فلا يزن جناح بعوضة.

٤- عن مجاهد: الميزان: الحسنات والسيئات بأعيانها، فمن أحاطت

حسناته بسيئاته أذهبت حسناته سيئاته ، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه أي أذهبت سيئاته حسناته .

قيل : إن الحسنات توجب ثقل الميزان ، والسيئات خفة الميزان لأن توزن الحسنات فيؤخذ مالها من الثقل ثم السيئات ويؤخذ مالها من الثقل ، ثم يقايس الثقلان فأيهما كان أكثر كان القضاء له فان كان الثقل للحسنة كان القضاء بالجنة وإن كان للسيئة كان القضاء بالنار ولازم ذلك صحة فرض أن يتعادل الثقلان كما في الموازين الدائرة بيننا من ذى الكفتين والقبان وغيرهما . قيل : أريد بذلك الموازنة بين الأعمال بعد تجسسها يوم القيامة وبين موازين الحق بأن لكل عمل مقياساً معيناً ، فان وازنه العمل ووافقه وفاقاً تاماً فهو ثقيل وله القدر عند الله عز وجل فيستتبعه العيش المرضي به ، وإن لم يوافقه فهو خفيف لا يعاب به فيستتبعه العذاب والنار .
٥ - قيل : أي يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله ... كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله فكل حادثة لها ميزان

فيكون لكل نوع من أنواع الطاعات والمعاصي يوم القيامة ميزان . وقيل : و يجوز أن يكون كل ميزان صنفاً من أصناف أعماله ، و يؤيد هذا ما جاء في الخبر : « ان الصلاة ميزان فمن و في استوفى » فيكون لأفعال القلوب ميزان ، ولأفعال الجوارح ميزان ، و لما يتعلق بالقول ميزان .

فهناك أمر تقاس به الأعمال والأقوال والعقائد ، والثقل له فما كان منها حسنة إنطبق عليه و وزن به ، و هو ثقل الميزان ، و ما كان منها سيئة لم ينطبق عليه و لم يوزن به ، و هو خفة الميزان كما نشاهده فيما عندنا من الموازين ، فان فيها مقياساً وهو الواحد من الثقل كالمثقال يوضع في إحدى الكفتين ، ثم يوضع المتاع في الكفة الأخرى فان عادل المثلقال وزناً بوجه على ما يدل عليه الميزان اخذ به و إلا فهو الترك لامحالة ، والمثقال في الحقيقة هو الميزان الذي

يوزن به ، و أمّا القبآن و ذوالكفتين و نظائرهما فهي مقدّمة لما يبيّنه المثلقال من حال المتاع الموزون به ثقلاً و خفة كما أنّ واحد الطول ، و هو الذراع أو المتر مثلاً ميزان يوزن به الأطوال ، فان انطبق الطول على الواحد القياس فهو و إلّا ترك .

ففي العقائد والأعمال والأقوال واحد مقياس توزن به فللمتوحيد مثلاً ميزان يوزن به وهو التوحيد الخالص من الشرك و أنواع الرياء ، و للصلاة ميزان توزن به و هي الصلاة التامة التي هي حق الصلاة و للزكاة و الإنفاق و ما إليها و للكلام و القول حق القول الذي لا يشتمل على باطل ، فلكل واحد موازين كثيرة من جهة اختلاف الحق الذي يوزن به باختلاف الأعمال فالحق في الصلاة وهو حق الصلاة غير الحق في الزكاة و الصيام و الحج وغيرها .

٦ - قيل: للميزان كفتان و خيوط و لسان و الشاهين ، فالجمع يرجع إلى أجزاء الميزان . ٧ - عن مجاهد أيضاً و قتادة و الضحاك و البلخي : ذكر الميزان مثل ، و ليس ثم ميزان ، و إنّما هو العدل فلا ظلم فيها على أحد ، يقال: كلام فلان موزون و أفعاله موزونة يراد بذلك أنّها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها و لا زائدة عليها زيادة مضرّة أو داخلية في باب العبث ، قال مالك بن أسماء الفزاري :

و حديث الذّة هو مما ينعت الناعتون يوزن وزناً

منطق صائب و يلحن أحيا نا و خير الحديث ما كان لحناً

أي يعرض في الكلام و لا يصرّح به . وقيل: إنّّه من اللحن الذي هو سرعة الفهم و الفطنة ، و على هذا فيكون معنى الوزن أنّه قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك ، فالمراد بالموازين هي التعديل بين الأعمال و الجزاء عليها ، و وضع كل جزء في موضعه و إيصال كل ذي حق إلى حقه . ٧ - قيل : يكون ذلك ميزاناً واحداً عبّر عنه بلفظ الجمع كما تقول :

خرج فلان إلى مكة على البغال وخرج إلى البصرة في السفن ، قال الله عز وجل :
 « كذبت قوم نوح المرسلين - كذبت عاد المرسلين » الشعراء : ١٠٥ و ١١٣)
 وإنما هو رسول واحد في أحد التأويلين . ٨ - قيل : الموازين جمع موزون لا
 جمع ميزان أراد بالموازين الأعمال الموزونة .

٩ - عن أبي مسلم : ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ، ومقدار
 الكافر في الذلّة كما قال تعالى : « فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً » فمن أتى بالعمل
 الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ، ومن أتى بالعمل السيئ الذي
 لا وزن له ولا قيمة فقد خسر . ١٠ - عن عبد العزيز بن يحيى : الموازين هي
 الحجج والدلائل . ١١ - قيل : إن جمع الموازين باعتبار اختلاف الموزونات و
 تجدد الوزن و كثرة الموزون لهم كقوله تعالى : « عن الأهلة » وإنما هو
 هلال واحد .

١٢ - عن مجاهد أيضاً والضحاك والأعمش : الوزن والميزان بمعنى العدل
 أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن . وقال الزجاج : هذا سائغ من جهة
 اللسان فالمراد بالميزان هو العدل لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالوزن
 والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل . و عن القشيري : لو حمل الميزان
 على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على
 الأرواح دون الأجساد والشرطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة
 على القوى المحمودة .

١٣ - قيل : إن الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزاناً له لسان وكفتان ، فتوزن
 به أعمال العباد من الحسنات والسيئات ، و إن نسبة الخفة والثقّل إلى الموازين
 باعتبار كفة الحسنات و إن المراد بمن خفت موازينه من خفت كفة حسناته
 بسبب ثقل كفة سيئاته .

أقول : وعلى الخامس أكثر المحققين ، من غير تناف بينهما وبين أكثر الأقوال

الآخر كما لا ينافي ما ورد من الأخبار : أن أهل بيت الوحي هم صلوات الله عليهم أجمعين موازين القسط يوم القيامة ، سواء أقلنا : إن أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم مقاييس لأعمال العباد وأقوالهم وعقائدهم ؟ أم هم بأنفسهم حاضرون عند الأعمال ... يوم الحساب ، ويحكمون عليها كما أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو قسيم الجنة والنار بين أهلها .

وإن إضافة الموازين إلى عامل العمل مشعر بأن لكل واحد من العاملين موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله ...

٧ - (فهو في عيشة راضية)

في « عيشة راضية » أقوال : ١ - عن مجاهد و قتادة : أي في عيشة قدر فيها في الجنة . ٢ - قيل : أي معيشة ذات رضي يرضاها صاحبها ويهنأ بها فالمعنى : عيشى مرضى يرضاه صاحبها .

٣ - قيل : أي إن العيشة هي فاعلة للرضا وهو اللين والإنقياد لأهلها ، فالفاعل للعيشة لأنها أعطت الرضا من نفسها وهو اللين والإنقياد ، فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضا كالفرش المرفوعة وإرتفاعها مقدار مائة عام ، فإذا دنا منها ولي الله أنضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيئتها ، و مثل الشجرة فروعها كذلك أيضاً من الإرتفاع ، فإذا انتهى ولي الله ثمرتها تدلت إليه حتى يتناولها ولي الله قاعداً و قائماً ، و ذلك قوله تعالى : « قطوفها تذليلاً » (الانسان : ١٤) . و حيث ما مشى أو ينتقل من مكان إلى مكان جرى معه نهر حيث شاء علواً وسفلاً و ذلك قوله عز وجل : « يفجر منها فجيراً » (الانسان : ٦) فيروى في الخبر : « انه يشير بقضيبه فيجرى من غير اخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه » فهذه الأشياء كلها عيشة قد أعطت الرضا من نفسها فهي فاعلة للرضا و هي اندلّت و إنقادت بذلاً و سماحة .

أقول : ولكل وجه باعتبار .

٩ - (فامه هاوية)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس و ابن زيد : أي جهنم وسمّاها
 أمّا لأنّه يأوي إليها كما يأوي الولد إلى أمّه ، ولأنّ الأصل: السكون إلى الأمّهات.
 فالمعنى: فمأوى الكافر جهنم ومسكنه النار ، وكل شيء جمع شيئاً وضمّه إليه
 فهو أمّ له ، ومن ذلك أمّ الرأس: مجتمع الدماغ . ومنه قول اميّة بن أبي الصلت :

فالأرض معقلنا و كانت أمّنا فيها مقابرنا و فيها نولد

وقيل : كل شيء من قريب ، يقال: أهوى و كل شيء من بعيد يقال: هوى
 كما قال الله تعالى : « والنجم إذا هوى » لأنّه من بعيد أقسم الله عزّ وجلّ بنجم
 القرآن أي بنزوله .

٢- قيل : سمّيت النار هاوية لأنّ الكفار والمجرمين يهودون فيها مع بعد
 قعرها والهاوية من أسماء جهنّم وهي المهواة التي لا يدرك قعرها . وقيل : إنّ
 الهاوية : إسم الباب الأسفل من النار . وعن عكرمة والكلبى وأبي صالح : إنّما قال:
 « فامه هاوية » لأنّ أهلها يهودون فيها على أمّ رؤسهم في النار فيلقون فيها على
 أم رؤسهم . وتهادى القوم في المهواة : إذا سقط بعضهم في إثر بعض .

٣- عن قتادة: أي فمصيره ومأواه إلى النار ، وقال: الهاوية كلمة عريّة كان
 الرجل إذا وقع في أمر شديد قيل : هوت أمّه . وعن الأخفش: « امه » أي مستقرّه .
 وقال الشاعر :

يا عمرو لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوى به الهاوية

وقيل: الام : الأصل ، والهاوية من أسماء النار لأنّها نار عتيقة ، والمعنى :
 منزله ومأواه الذي يأوي إليه . والهاوية : المهواة وتقول : هوت أمّه فهى هاوية
 أي ناكلة . قال كعب بن سعد الغنوي :

هوت أمّه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يؤدّي الليل حين يؤوب

٤ - قيل : الامّ هي المعروفة ، والهاوية : الهالكة ، وهذا من مستعملات

العرب يقولون : هوت أمّه أي هلكت وسقطت يعنون الدعاء عليه بالويل والثبور
والخزي والهوان .

أقول: والمعاني متقاربة والمآل واحد أعاذنا الله تعالى منها بحقّ محمد وأهل
بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (القارعة)

«القارعة»: الحادثة العظيمة المفزعة المفاجئة الواقعة يوم القيامة، تفرع بها القلوب، ويفزع منها الناس إلا المؤمنون الصالحون.

قال الله عز وجل: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون»

(النمل: ٨٩)

وقال: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٧ و ٦٨

وقال: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين» الزخرف: ٦٨ و ٦٩

وقال: «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» النمل: ٨٧.

وقال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب» الأنبياء: ١٠٣-١٠٤.

وقال: «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» المائدة: ٦٩.

وقال: «فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون» البقرة: (٣٨).
وسميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة في قوله تعالى: «ولا يزال
الذين كفروا يصيبهم بما صنعوا قارعة» الرعد: (٣١) أي حادثة عظيمة مفاجأة مفزعة
تقرع قلوبهم وتصلك أجسامهم فيألمون لها.

«القارعة» إسم من أسماء يوم القيامة يشير إلى سمته كأمثالها من أسمائها
التي يشير كل إلى سمة و حالة خاصة كالحاققة و الصاخة والطامة والغاشية و
الواقعة ... وقد سميت بها القيامة باعتبار وقوعها فيها ، لأنها تقع في الساعة
التي تقرع قلوب الكفار والمستكبرين بأهوالها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء
عند وقوعها، وذلك صبيحة لا ليل بعدها، وهي التي تقرع آذان الفجار والمجرمين
بشدّة مخافتها وأفزاعها كانتها المقرعة التي تقع على رؤسهم حين وقوعها بضربة
مفاجئة، وهي التي تقرع أسماع أعداء الله جلّ وعلا بنارها وعذابها فلا أهول ولا أفزع
ولا أشدّ منها.

فانها تقع حين تقرع السموات بالانشقاق والإنفطار، وتقرع الشمس والقمر
بالجمع والتكوير، والكواكب والنجوم بالإنكدار والانتثار، والجبال بالدك و
النسف، والأرض بالطي و التبديل ... وانها يوم التضارب يتضارب الكون فيها ،
ويوم التداق والتداك يتصادم ما في العالم العلوي والسفلي بعضه بعضاً، وبها تقرع
إنسانها بما قدّمت نفسه من قوارع العقائد والأفكار والأقوال والأعمال وتبدّل
الأرض غير الأرض.

قال الله عزّ وجلّ: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار» إبراهيم: (٢٨).

٢- (ما القارعة)

أي شيء هي القارعة التي يقرع الكفرة الفجرة هولها؟ ما أفزعها؟ ما أهولها؟
ما أظمها؟ وأي شيء هو أعظم منها؟؟؟

وهذا اسلوب يراد به تهويل أمرها وحالها وتعظيم شأنها وهولها كسؤال
يصور رهبة الموقف كأنها لشدة ما يكون فيها من الأهوال التي تفرع منها النفوس
وتدهش لها العقول، يصعب تصورها ويتعذر إدراك حقيقتها لحدّ كأنه خفي على
النبي الكريم ﷺ.

وذلك لما سمع الناس كلمة «القارعة» وقع عليهم الفزع والرعب واستبدّ
بهم الخوف من مجرّد التلفّظ بها، فكأنّهم إنجّسوا بهذا السؤال إلى النبي
الكريم ﷺ الذي ألقى بها على أسماعهم... كقوله عز وجل: «الحاقة ما الحاقة»
الحاقة: ١ و ٢).

فالقارعة هي التي تفرع الكون بقرع ولطم شديدين قلباً وقالباً، و تفرع
القلوب المقلوبة التي تذرعتها الشياطين لقرع الحياة وقلبها إلى غير ما تعنيه، والقوالب
كلّها مقروعة في هذه الدّكة العظيمة الشاملة... وإنّما تسلم القلوب السليمة،
الثقيلة الموازين، الشديدة الرباط بالله العظيم.

قال الله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذوا جفة أبصارها
خاشعة» النازعات: ٦-٩).

وقال: «يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» النور: ٣٧).

وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال و
لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم» الشعراء: ٨٧-٨٩).

٣- (وما أدراك ما القارعة)

وأي شيء أعلمك ما هي القارعة؟ وأي شيء عرفك ما هي القارعة؟ وما
أشعرك أي شيء هي القارعة؟ وقد بلغت من الشدة والفزع من الصيحة والخوف، و
من الرعب والهول أن لا يبلغها علم المخلوقين، ولا يبلغ حقيقتها وصف الواصفين، و
لا كنهها خبر المخبرين لكونها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لعظم شأنها ومدى
هولها وشدتها، فلا تحيط بها العبارة، ومهما يقدر الإنسان حالها فهي أعظم من ذلك

وفوقه، فلا يدري أحد حقيقة ما إلا بعد وقوعها، وإن كنت تدري وصفها بما عرفك الله جلّ وعلا وأدراكها بما في الآيات التالية ...

إن ليس لها مثيل ولا نظير في دنيا الحياة حتى يدركها في عقابها، وإنّما هو الوحي: وحي السماء: يدريك ما هي القارعة.

نظير قوله عزّ وجل: «وما أدراك ما الحاقة» الحاقة: (٣).

وقوله تعالى: «ثم ما أدراك ما يوم الدين» الانفطار: (١٨).

وقوله جلّ وعلا: «وما أدراك ما سقر» المدثر: (٢٧) إذ وصف الله تعالى: «الحاقة» ويوم الدين» و«سقر» بالآيات التالية من غير بيان كنهها وحقيقتها إذ لا يمكن العلم بمالم تقع وما رأى نظيره في الحياة الدنيا عادة، فالحوادث العظيمة الواقعة في الدنيا ليست إلا شبيهة بها في الاسم كشابه نعم الآخرة بنعم الدين وعذاب الآخرة بعذاب الدين... فشتان بينهما!

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

تقع القارعة يوم يكون الناس كالفراش المتفرّق لهولها، فيتفرّقون إذا خرجوا من قبورهم وأحاط بهم الخوف والفرع، فيموج بعضهم في بعض بلا قصد ولا هدف، فيتفرّقون على جهات مختلفة حيارى هائمين على وجوههم لا يدرون ماذا يفعلون ولا ماذا يراد بهم كالفراش إذا نار لم يتّجه إلى جهة واحدة، بل يذهب كلّ فراشة إلى جهة غير ما تذهب إليها الأخرى، فيكون الناس من هول ذلك اليوم كالفراش المنتشر في انطلاقهم إلى الحشر وفي حومهم حول النار كما يحوم الفراش إلى أن يدعوا للحساب والجزاء، فيتوجهون إلى منازلهم المختلفة إما جهنم وعذابها وإما الجنة ونعيمها.

قال الله عزّ وجل: «يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جرّاد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر: (٨-٦).

وقال بعض الظرفاء: إن الفرائس تنهافت في النار والسراج لضعف أبصارها، فهي تنسى ضوء النهار فإذا رأت المسكينة ضوء السراج أو النار بالليل ظننت أنها بيت مظلم فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها إلى النار حتى تحترق، ولعلك تظن أن هذا لنقصان فهمها وجهلها، وجهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الإنسان في الإنكباب على الشهوات والتهافت فيها أعظم جهلاً منها لأنه لا يزال يرمى نفسه في النار بانكبابه على الشهوات والمعاصي إلى أن يغمس في النار ويهلك هلاكاً مؤبداً، فليت الجاهل الآدمي كجهل الفرائس فانها باغترارها بظاهر الضوء احترقت و تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبداً الآبدن أمدّة مديدة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنكم تنهاقون في النار تنهافت الفرائس».

هـ) (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

وتكون الجبال عند وقوع البعث كالصوف ذي الألوان المختلفة تفرق شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ريح. وقد شبه الجبال حين وقوع الساعة بالصوف في تلونها ألواناً، واختلاف أجزائها في البياض والحمرة والسواد والصفرة لقوله عز وجل: «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» فاطر: ٢٧). فتتلاشى الجبال على اختلاف أنواعها وألوانها، وتزول عن أماكنها، وتفرق أجزائها، ويؤول تأليفها بتلك القارعة، فتخرج هدأً وتنسف نفسها، وتصير خفيفة السير فتكون هباء منبثاً.

قال الله تعالى: «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة: ١٣-١٥).

وقال: «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً فيومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً» طه: ١٠٥-١٠٨).

وقال: «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل: ١٤).

وقال: «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم تغادر مِنْهُمْ أَحَدًا»
(الكهف: ٤٧).

وقال: «إنَّ عذاب ربك لواقع - يوم تمور السماء موداً وتسير الجبال سيراً»
(الطور: ١٠-٧).

وقال: «وسيرت الجبال فكانت سراباً» (النبا: ٢٠).

وقال: «إذا رجَّت الأرض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً»
(الواقعة: ٤-٦) كل ذلك ليبين أن تلك الأجسام العظيمة التي من طبعها الاستقرار
والثبات تؤثر فيها هذه القارعة فما بالك أيُّها المخلوق الضعيف الذي لا قوة له ؟
٦- (فأما من ثقلت موازينه)

فأما من وافقت عقيدته حق العقيدة لا باطل فيها، ووازن عمله حق العمل
لإفساد فيه ، وطابق قوله حق القول لا كذب فيه...

٧- (فهو في عيشة راضية)

فهو في عيشة بالغة في الرضا لثقل موازينه بالإيمان وصالح العمل وحسن
القول، فيتنعم بنعيم الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت لأهل التقوى
واليقين وإن هذه العيشة عيشة هنيئة راضية في ذاتها إذا اجتمع لها كل أسباب الرضوان
لأصحابها تقر بها أعينهم، وتسربها نفوسهم، فكانت الرضا عينه: رضا العبد و
رضوان من الله جل وعلا رضوان مزدوج.

قال الله عز وجل: «فأما من أتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه»
فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في
الآيات الخالية» (الحاقة: ١٩-٢٤).

وقال: «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون»
(الاعراف: ٨).

وقال: «يا أيُّتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في

عبادي وادخلي جنّتي، الفجر: ٢٧-٣٠).

٨- (وأما من خفت موازينه)

وأما من لم توافق عقيدته حق العقيدة بالكفر والشرك والرياء والباطل، ولم يوازن عمله حق العمل بالافساد، ولم يطابق قوله حق القول بالكذب والزور...

٩- (فأما هاوية)

فأمّ من خفت موازينه نار جهنم يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمّه لتضمّته، لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفرّغه، فلمّا كانت الأمّ كافلة الولد وغاذيته ومأواه و مربّيته، وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمّه لأنّه يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمّه، ولمّا كان حال الكافر ينتهى به إلى النار شبّهت حاله بحال الولد إلى أمّه، وإنّما جعلت أمّه لضمّها له وإشتمالها عليه، فالكافر والمجرم والفاجر والمستكبر ومن إليهم يهودون في نار جهنم، وهي التي تضمّتهم إليها وتحنو عليهم حيث تهوى بأصحابها إلى قرار الجحيم ومسكنهم، ويشبه ذلك قوله تعالى: «مأواكم النار وبئس المصير» فبئست الأم وبئس الولد، وبئس المولى وبئس المصير، وتسميتها بهاوية لهوى من القى فيها أي سقوطه إلى الدرك الأسفل من النار.

قال الله عزّ وجل: «ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون» المؤمنون: ١٠٣-١٠٤).

وقال: «وأما من أدنى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أدت كتابيه - خذوه فقلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه أنّه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين فليس له اليوم هیهنا حميم ولا طعام إلّا من غسلين لا يأكله إلّا الخاطئون» الحاقة: ٢٥-٣٧).

وقال: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّكم الأماني حتّى جاء أمر الله وغرّكم

بالله الغرور فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما دام النار هي مولاكم وبئس المصير « الحديد : ١٣-١٥) وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً.

١٠- (وما أدراك ماهية)

وما أعلمك ما الهاوية؟ وأي شيء يخبرك بما هي تلك الهاوية؟ وأنها أي شيء تكون، فلا تعلم كنهها ولا تفصيلها وأنواع ما فيها من العقاب عادة، وإن كنت تعرفها على طريق الاجمال بذكر بعض أوصافها...

نظير قوله تعالى: «وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة الهمة: ٥-٦). وقوله عز وجل: «وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحاً للبشر عليها تسعة عشر» المدثر: ٢٧-٣٠).

١١- (نار حامية)

نار ملتهبة يهوى فيها الكافر والمجرم، والطاغي والمستكبر ليلقوا جزاء ما قدّموا من أعمال فاسدة، وما اجتروا من سيئات، نار شديدة الحرارة تأكل أهلها كما تأكل النار الحطب، نار بلغت النهاية في الحرارة قد حميت من الوقود عليها كأن نيران الدنيا إذا قيست بها ووزنت حالها بحالها لم تكن حامية، وذلك دليل على قوة حرارتها وشدّة إستعارها، فتكوى بها جباه الكفار والمنافقين و جنوبهم وظهورهم.

قال الله عز وجل: « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع » الغاشية: ٢-٧).

وقال: «ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترّون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم

على النار، البقرة ١٧٤-١٧٥).

وقال: «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً» النساء: ١٠٠).

وقال: «يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحمبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة و ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» التوبة: ٣٤-٣٥).



* جملة المعاني *

٦١٥٨- (القارعة)

الحادثة العظيمة المهولة المفاجئة المفزعة الواقعة يوم القيامة تفرع بها القلوب
إلا المؤمنون الصالحون .

٦١٥٩- (ما القارعة)

أي شيء عجيب هي القارعة؟ ما أفزعها؟ ما أهولها؟ وأي شيء هو أعظم منها؟
٦١٦٠- (وما أدراك ما القارعة)

وأي شيء أعلمك ما هي القارعة؟ ومن علمك إياها ما هي؟ فلا تكتنه علماً
عادة وإن عرفتها إجمالاً بذكر بعض علائمها وآثارها ، وهي تحدث :

٦١٦١- (يوم يكون الناس كالفرش المبثوث)

تقع تلك الحادثة يوم يكون الناس يومئذ كالفرش المبتثر قلهولها فيتفرقون
إذا خرجوا من قبورهم على جهات شتى حيارى إلى أن يدعوا للحساب والجزاء.

٦١٦٢- (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

وتكون الجبال يومئذ كالصوف ذي الألوان المختلفة تفرق شعيراته بعضها
من بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ربح .

٦١٦٣- (فأما من ثقلت موازينه)

فأما من وزن عمله حق العمل لافساده ، ووافقت عقيدته حق العقيدة لا
باطل فيها ، وقوله حق القول لا كذب فيه ولا زور .

٦١٦٤- (فهو في عيشة راضية)

فهو في عيشة بالغة في الرضا كأنّها الرضا عينه .

٦١٦٥- (وأما من خفت موازينه)

وأما من لم يوازن عمله حق العمل بالإفساد، ولا عقيدته حق العقيدة بالباطل،
ولا قوله حق القول بالكذب والزور .

٦١٦٦- (فأما الهاوية)

فأما وه جهنم يأوى إليها كأوى الصبي إلى أمه .

٦١٦٧- (وما أدراك ماهية)

وما أشعرك ما هي الهاوية؟ ومن عرفك إياها أي شيء هي ؟

٦١٦٨- (نار حامية)

نار حارة شديدة الحرارة قد حميت من الوقود عليها كأن نيران الدنيا
بالنسبة إليها غير حامية .



* بحث روائي *

في تفسير القمي : «القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة» يرددها الله لهولها وفزع بها الناس «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» قال: العهن : الصوف. وفي الدر المنثور : كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سئل عنه ، فإن كان غائباً دعاه ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده ، ففقد رجل من الأنصار في اليوم الثالث فسئل عنه ، فقالوا تر كناه مثل الفرخ لا يدخل في رأسه شيء إلا خرج من دبره قال ﷺ : عودوا أخاكم ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ نعوذه فلمّا دخلنا عليه قال رسول الله ﷺ : كيف تجدك ؟ قال : لا يدخل في رأسي شيء إلا خرج من دبري قال : وممّ ذلك ؟ قال : يا رسول الله ﷺ مررت بك ، وأنت تصلي المغرب فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة : «القارعة ما القارعة - إلى آخرها - نارحامية»

فقلت : أَللهم ما كان من ذنب أنت معذّبي عليه في الآخرة فأقبل لي عقوبته في الدنيا ، فنزل بي ما ترى قال رسول الله ﷺ : بسّ ما قلت ألا سئلت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة و يقيك عذاب النار فأمره النبي ﷺ فدعا بذلك ، ودعاه النبي ﷺ فقام كأنما نشط من عقال. أقول : و ذلك ان أسماء الله جلّ وعلا طبّ روحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق ، فيحصل بها الشفاء باذن الله تعالى ، فلمّا عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني ، كما قال رسول الله ﷺ : «لو أن رجلاً موقناً

قرأها على جبل لزال .

وفي تفسير القمي : «وأما من خفّت موازينه» قال : من الحسنات ، «فأما هاروية» قال : أم رأسه يقذف (يقلب خ) في النار على رأسه ثم قال : «وما أدراك» يا محمد «ما هي» يعني الهاروية ثم قال : «نار حامية» .

و في الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري : أن رسول الله قال : إن نفس المؤمن إذا قبضت يلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير من أهل الدنيا ، فيقولون : انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان في كرب شديد ثم يسئلونه ما فعل فلان و فلانة ؟ هل تزوجت ؟ فإذا اسئلوه عن الرجل قدمات قبله فيقول : هيهات قدمات ذاك قبلي فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاروية فبئست الام وبئست المربية .

و في الجامع لاحكام القرآن : و في صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثلكم كمثلي رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي» .

و فيه : و في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال : «فأنشأ فضلت عليها تسعة و ستين جزءاً كلها مثل حرها» .

و في الدر المنثور : مر عيسى عليه السلام بقرية قدمات أهلها : انساها وجنتها و هوامها و أنعامها و طيورها ، فقام ينظر إليها ساعة ثم أقبل على أصحابه ، فقال : مات هؤلاء بعباد الله ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا متفرقين ، ثم ناداهم يا أهل القرية فأجابهم مجيب لبئسك يا روح الله قال : ما كان جنائتكم ؟ قالوا : عبادة الطاغوت و حب الدنيا ، قال : و ما كانت عبادتكم الطاغوت ! قال الطاعة لأهل معاصي الله

تعالى قال : فما كان حبكم الدنيا ؟ قالوا : كحب الصبي لأمه كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا مع أمل بعيد وإدبار عن طاعة الله وإقبال في سخط الله . قال : وكيف كان شأنكم ؟ قالوا : بتنا ليلة في عافية و أصبحنا في الهاوية ، فقال عيسى عليه السلام : ما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال : وما سجين ؟ قال : جمره من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا ملجمون بلجام من نار قال : فكيف كلمتني أنت من بينهم ؟ قال : إني كنت فيهم ولم أكن على حالهم ، فلما جاء البلاء عمي معهم ، فانا معهم بشجرة في الهاوية لا أدري أكرس في النار أم انجوا فقال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم : لا كل خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وفي البرهان : ابن شهر آشوب قال الإمامان الجعفران عليهما السلام في قوله تعالى : «فأما من ثقلت موازينه» فهو أمير المؤمنين عليه السلام «فهو في عيشة راضية» و «أما من خفت موازينه» وأنكر ولاية علي عليه السلام «فأمه هاوية» فهي النار جعلها الله أمه ومأواه .

وفي العلل : بإسناده عن سهل الحلواني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : بينا عيسى بن مريم عليه السلام في سياحته إذ مر بقريه ، فوجد أهلها موتى في الطريق والدور قال : فقال : إن هؤلاء ماتوا بسخطة ، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا قال : فقال أصحابه : وددنا أن نأمرنا قصصهم ، فقل له : نادهم يا روح الله ! قال : فقال : يا أهل القريه ، فأجابه مجيب منهم لبنيك يا روح الله قال : ما حالكم و ما قصتكم قال : أصبحنا في عافية ، وبتنا في الهاوية ، قال : فقال : وما الهاوية ؟ قال : بحار من نار فيها جبال من نار قال : وما بلغ بكم ما أرى ؟

قال : حب الدنيا وعبادة الطاغوت ، قال : وما بلغ من حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبي لأمه ، إذا أقبلت فرح ، وإذا أدبرت حزن ، قال : وما بلغ من

عبادتكُم الطَّاغوت ؟ قال : كانوا إذا أمروا أطعناهم ، قال : فكيف أجبتني أنت من بينهم ؟ قال : لأنَّهم ملجُمون بلجُم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد وإنِّي كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما أصابهم العذاب أصابني معهم ، فأنا معلق بشجرة أخاف اكبكب في النار قال : فقال عيسى عليه السلام لأصحابه : النُوم على المزابل وأكل خبز الشعير كثير مع سلامة الدين .

وفي الكافي : باسناده عن مهاجر الأسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مرَّ عيسى بن مريم على قرية قدمات أهلها وطيرها ودوابها ، فقال : أما انَّهم لم يموتوا إلَّا بسخطة ولوما تواتمفرفين لتدافنوا ، فقال الحواريون : يا روح الله وكلمته ادع الله أن يحييهم لنا فتخبرو ناما كانت أعمالهم فنجتنبها ، فدعى عيسى ربَّه فنودي من الجوان نادهم ، فقال عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال : يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب : لبيك يا روح الله وكلمته ، فقال : ويحكم ما كانت أعمالكم ؟ قال : عبادة الطَّاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب ، فقال : كيف حبكم للدنيا ؟

قال : كحب الصبي لأمه ، إذا أقبلت علينا رضينا وفرحنا وسررنا ، وإذا أدبرت بكينا وحزننا ، قال : كيف كان عبادتكم الطَّاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي ، قال : كيف كان أمركم ؟ قال : بتنا ليلتنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية ، فقال : وما الهاوية ؟ فقال : سجين ، قال : وما سجين ؟ قال : جبال من حجر (جمرخ) توقد علينا إلى يوم القيامة ، قال : فما قلتم ؟ وما قيل لكم ؟ قال : قلنا : ردنا إلى الدنيا نزهة فيها ، قيل لنا : كذبتُم قال : ويحك لم لم يكلمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا روح الله انهم ملجُمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وإنِّي كنت فيهم ، ولم أكن منهم ، فلما نزل العذاب عمَّني معهم ، فأنا معلق بشجرة على شفير جهنم لأدري اكبكب فيها أم أنجوا فالتفت عيسى إلى الحواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش خير كثير مع عافية الدنيا والاخرة .

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد استدلّت المرجئة بقوله تعالى: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأما هاهنا» (القارعة: ٦-٩) على أن المعصية لا تنزع مع الايمان، فقالوا: إن الله تعالى حصر أهل الموقف في هذه السورة على فريقين: فريق تزيد حسناتهم على سيئاتهم ، فهم أهل الجنة ونعيمها، وفريق تزيد سيئاتهم على حسناتهم فهم أهل النار وعذابها، ولا ريب أن المتأخرين أهل الكفر لأنه تعالى حكم عليهم بأنهم أهل النار وهذا لا يليق بالكافر ولئن سلم أن العاصي معاقب لكنه يعاقب أيّاماً ثم يعفى عنه، ويتخلص إلى رحمة الله تعالى لقوله عز وجل: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم» (التوبة: ١٠٢)

فالناس على طوائف ثلاث: الاولى من محض الايمان ، و الثانية من محض الكفر والثالثة خلطوا بينهما، فالآيات الكريمة تحدث عن الطائفتين الاوليين دون الثالثة .

وقال بعض الظرفاء : إن تسئل كيف قال الله عز وجل: «وأما من خفت موازينه» أي رجحت سيئاته على حسناته «فأما هاهنا» أي فمسكنه النار وأكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم ؟

تجيب : ان قوله تعالى: «فأما هاهنا» لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه ثم تخرج منها إلى الجنة. وقيل: إن المراد بخفة

الموازين خلوها من الحسنات بالكليّة وتلك موازين الكفّار.

وقال بعضهم: إنّ في الآيات الكريمة: «فمن ثقلت موازينه...» (٦-٩) دلالة على أنّ الذي تكون حسناته وسيئاته متعادلتين متساويتين غير موجود يوم القيامة. أقول: وقد سبق البحث منّا مراراً: أنّ للايمان أركاناً ثلاثة: الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان، والعمل بالجوارح، فمن لم يبتن ايمانه على تلك الأركان كلّها فهو إمّا كافر وإمّا مسلم، فليس بمؤمن.

قال الله عزّ وجلّ: «قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم - إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون» الحجرات: (١٤-١٥) وإنّما نار جهنّم قد حرّمت على هؤلاء المؤمنين، وأمّا المسلمون فكثير منهم يحكم عليهم بالكفر إمّا حين الموت، وإمّا يوم البعث وعند الحساب، فهم في زمرة الكافرين فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، وأمّا الباقون فيدخلون الجنة بالعفو والشفاعة ولادلالة في الآيات على عدم وجدان تساوي الحسنات والسيئات يوم القيامة أيضاً حيث أنّ الآيات الكريمة بصدد بيان رجحان أحد طرفي الحسنات والسيئات على الأخرى.

ويستدل بقوله عزّ وجلّ: «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث - إلى قوله - وأمّا من خفت موازينه» القارعة: (٤-٨) على المعاد الجسماني، وعلى تجسّم الأعمال يوم القيامة، وعلى مسئوليّة الناس عن أعمالهم، وأنها إنّما تصدر عن كسبهم وإختيارهم غير مجبورين فيها، وأنّهم إنّما ينالون جزاءها حقاً وعدلاً وفقاً لها.

﴿ الموازين وحققتها ﴾

قال الله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَادِيَةٌ» (القارعة: ٦-٩)

واعلم أن الموازين: جمع الميزان وهو على قسمين:

أحدهما - ميزان صناعي وهو آلة ذات كفتين يوزن بها الأشياء فيعرف مقدارها خفة وثقلًا، وقد يتخلف هذا القسم من الميزان في الوزن إما من جهة نفسه للنقص فيه، وإما من جانب من يزن به الشيء، والأخير هو الأكثر الأغلب. ثانيهما - ميزان طبيعي لا يتخلف فيه أبداً، ومنه ما أنزل الله عز وجل على رسله صلوات الله عليهم أجمعين ليحكموا به بين الناس، وهم يقومون بالقسط، كما يشير إليه قوله عز وجل: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد: ٢٤)

وبهذا الميزان تزن عقائد الناس وأقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وما إليها في الحياة الدنيا، وهذا ميزان الدنيا.

وأما ميزان الآخرة: فقد اختلف فيه كلمات المفسرين والمحدثين والحكماء والمتكلمين وغيرهم قديماً وحديثاً إختلافاً كثيراً لاجدوى لذكر جميعها، فنشير إلى أهمها:

فمنهم: من قال: يبتني على كيفية ميزان الآخرة تجسم الأعمال وعدمه،

فعلى الأول فميزانها كالميزان الصناعي، ولكن بلا تخلف فيه، ولا فيمن يزن به: يزن به ما يتعلق بالإنسان من العقائد والأقوال والأعمال بعد تجسّمها يوم القيامة، وعلى الثاني فميزان الآخرة كالميزان الطبيعي وهو عدل الله تعالى، فنقيّل الأعمال ما يوافقّه وخفيفها ما يخالفه.

ومنههم: من قال: بعدم الابتداء بل بتجسّم كلّ ما يتعلق بالإنسان فيوزن بالقسط، لقوله تعالى: «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» (الاعراف: ٨-٩)

وقوله عزّ وجلّ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» (الأنبياء: ٤٧) فللمحسنات بعد تجسّمها ولصاحبها قدر لتوافقها على القسط، فيتبعه العيش المرضي به قال الله جلّ وعلا: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» (القارة: ٦) وليس للسيئات ولا لعاملها بعد ذلك قدر لعدم توافّقها على الحق فتتبعه النار والعذاب.

قال الله سبحانه: «وأما من خفت موازينه فأما هادية» (القارة: ٨) وهذا القول هو الذي يمكن فيه الجمع بين الروايات الواردة في تجسّم الأعمال، وأنّ الأعمال لا توزن كالأشياء التي توزن بالقبان ونظائره، وأنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هم الموازين يوم القيامة، فيتجسّم كلّ ما يتعلق بالإنسان من العقائد والأعمال والأقوال والأحوال في الدار الآخرة ليسرّ به الناظر إن كانت خيراً وحقاً، فيحكم عليه بالثقل لموازنته الخير والحق فيتبعه العيش المرضي به، وليعزن به الناظر إن كانت شرّاً وباطلاً، ولثلاً ينكرها صاحبها، فيحكم عليه بالخفة لعدم موازنتها ثقل الخير والحق، فلا قدر له ولا لصاحبها، فتتبعه النار والعذاب.

ففي الآخرة ماله الثقل وتقاييس به ما يتعلق بالإنسان من العقائد والأعمال

والأقوال والأحوال فما وافقه منها وانطبق عليه، فهو ثقل الميزان وما خالفه منها ولم ينطبق عليه، فهو خفة الميزان، كما أن لكل شيء في الحياة الدنيا أصولاً وضوابط وقواعد علمياً كانت أم أدبياً أو عملاً أم فنّاً أو شيئاً، وبها يتميز شيء عن غيره، فيعرف جيداً من رديئته، وحقه من باطله، صحيحه من فاسده، وحسنه من قبيحه، وطيبه من خبيثه، وثقله من خفيفه .. وتسمى تلك الأصول والضوابط والقواعد ميزاناً ومقياساً ومنهاجاً وحكماً.

فالمنقال أو المن مثلاً له الثقل، فيوضع في إحدى الكفتين ثم يوضع المتاع في الكفة الأخرى، فإن عادل المتقال أو المن وزناً بوجه على ما يدل عليه الميزان أخذ به وإلا ترك قطعاً، فالمنقال أو المن في الواقع هو الميزان الذي يوزن به الشيء، وأمّا القبان وما إليه فمقدمة لما يبينه المتقال، أو المن من حال المتاع الموزون به ثقلاً وخفة، كما أن واحد الطول وهو الذراع أو المتر مثلاً ميزان توزن به الأطوال، فإن انطبق الطول على الواحد المقياس فهو وإلا ترك، فلكل عمل وقول وعقيدة واحد مقياس يوزن كل واحد بمقياسه، فللصلاة مثلاً ميزان توزن به، وهي الصلاة التامة التي هي حق الصلاة، وللزكاة والإِنفاق والقول وما إليها ... ويشير إلى ذلك قوله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته» آل عمران: (١٠٢)

وقوله تعالى: «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» البقرة: (١٢١)

وقوله عز وجل: «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» الأنعام: (١١٥-١٥٣).

وقوله جل وعلا: «حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق - ألم يؤخذ عليهم

ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه، الاعراف: ١٠٥-١٦٩) ولا ينجون من خطر الميزان إلا من حاسب في الحياة الدنيا نفسه، ووزن فيها بميزان الشرع عقيدته وأقواله وأعماله وسلك مسلك الأنبياء والأوصياء والأولياء، فاتهم الموازين يومئذ يوزن بهم العقائد والأقوال والأعمال...

قال الله عز وجل: «وأشرق للأرض بنور ربها» وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون، الزمر: ٦٩)

وفي كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: «أحوال القيامة من الميزان والصراط والحساب وتطابير الكتب أمور ممكنة، وقد أخبر الله تعالى بوقوعها، فيجب التصديق بها لكن اختلفوا في كيفية الميزان، وقال شيوخ المعتزلة: إنه يوضع ميزان حقيقي له كفتان يوزن به ما يتبين من حال المسكّلين في ذلك الوقت لأهل الموقف بأن يوضع كتاب الطاعات في كفة الخير، ويوضع كتاب المعاصي في كفة الشر، ويجعل رجحان أحدهما دليلاً على إحدَي الحالين أو ينحون ذلك لورود الميزان سمعاً، والأصل في الكلام الحقيقة مع إمكانها، وقال عباد وجماعة من البصريين وآخرون من البغداديين: المراد بالموازين العدل دون الحقيقة» انتهى كلامه.

وفي التأسفار: قال: «في قدرة الله أن يكشف للخلائق جميع أعمالهم وميزان حسناتهم وسيئاتهم وثوابها وعقابها في لحظة واحدة وهو أسرع الحاسبين ثم قال: «إن ميزان الآخرة هو ما يعرف به صحة العلم والإيمان بالله وصفاته وأفعاله، وبملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر وهذا الميزان هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على الرسول ﷺ بواسطة جبرئيل عليه السلام فباحكام القرآن يقاس علم الإنسان وعقله وجميع أقواله وأفعاله، وتعرف حسناته من سيئاته، فإن كان الرجحان للحسنات فصاحبها من أهل السعادة، وإن كان للسيئات فصاحبها من أهل الشقاوة و مع تساوى الحسنات والسيئات، فصاحبها موقوف حتى يحكم الله تعالى فيه بالعذاب أو العفو ولكن جانب الرحمة أرجح لأن الله غفور رحيم»

وفي العرشية : قال : «وأما وضع الموازين فالميزان عبارة عن معيار صحيح يعرف به قدر الشيء ووزنه، سواء كان آلة مخصوصة أو غيرها، وميزان كل موزون من جنسه وإن لم يسار ميزان الآخرة لميزان الدنيا ولا موازين العلوم والأعمال لموازين الأجرام والأثقال كما لا يساوي ميزان الحنطة والشعير والأقط والدبس لميزان الشعر كالعروض وميزان الفكر كالمناطق وميزان الإعراب والبناء كالنحو، وميزان مقادير الساعات كالأسطرلاب والارتفاعات والأعمدة كالشاقول أو الدوائر واستدارات كالفرجار والاضلاع والاستقامات كالمسطرة والعقل ميزان الكل».

وبالجملة: ميزان الآخرة نوع آخر من الموازين، فتوزن به الكتب و الصحائف وتجعل فيه ، ومما ورد في هذا الباب عن أئمتنا عليهم السلام ما رواه محمد بن علي بن بابويه: انه سئل هشام بن سالم عن قول الله عز وجل: «نضع الموازين القسط ليوم القيامة»؟ قال: هم الأنبياء والأوصياء»

ثم قال ملا صدرا: «واعلم أن كل عمل بدني أو قلبي وكل ذكر أو نية يوضع في الميزان ويدخل فيه ويقابله شيء إلا كلمة التوحيد من قول: «لا إله إلا الله» مخلصاً لأن كل عمل له مقابل في هذا العالم: عالم التضاد، وليس للتوحيد مقابل إلا الشرك وهما لا يجتمعان في ميزان واحد لأن اليقين الدائم لا يجمع مع نقيضه في قلب واحد ولا يتعاقبان على موضوع كما أو ما أنا إليه من أن نفس المؤمن الموحد بحسب الجوهر والذات تخالف نفس الكافر مخالفة النوعية فضلاً عن الشخصية، فليست للكلمة ما يقابلها ويعادلها في الكفة الأخرى من قول أو عمل أو نية، فضلاً عن أن يرجع عليها كما يدل عليه حديث صاحب السجالات.

ولهذا روى عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه قال: كما لا ينفع مع الكفر شيء، لا يضر مع الإيمان شيء وروى أبو الصامت عنه عليه السلام: ان الله يغفر للمؤمن وإن جاء بمثل ذا وأوماً ييده قال: قلت : وإن جاء بمثل تلك الهيئات فقال: إي والله وإن جاء بمثل تلك الهيئات فقال: إي والله مرتين، وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وإن زنى وإن سرق.

ثم قال: واعلم أن أفعال الجوارح خيرها وشرها كلها مما يدخل في الموازين وأما الأعمال الباطنة فلا يدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيه العدل وهو ميزان الحكمي المعنوي، فالمحسوس يوزن بالمحسوس والمعنى بالمعنى، فلذا توزن الأعمال من حيث ماهي مكتوبة، وآخر ما وضع في الميزان قول الإنسان: «الحمد لله» وبه يملأ الميزان وإليه الإشارة فيما قال النبي ﷺ: «الحمد لله يملأ الميزان» ومن اللطائف الكشفية: أن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله لازيادة ولا نقصان، إنتهى كلامه.

وفي أسرار الآيات: قال ملا صدار: «وأما القول في ميزان الأعمال: فاعلم أن لكل عمل من الأعمال الحسنة كالصلاة والصيام والقيام وغيرها باعتبار تأثيره في النفس وتخليصها من أسر الشهوات وتطهيرها عن غواشق الطبيعة وجذبها من الدنيا إلى الآخرة وإصعادها عن المنزل الأدنى الأسفل إلى المحل الأعلى مقداراً معيناً وقوة معينة، وكذلك لكل عمل من الأعمال السيئة قدراً معيناً من التأثير في اظلام جوهر النفس، وتكثيفها وتكديرها وتعليقها بالدنيا وشهواتها و تقييدها بسلاسلها وأغلالها، وكل ذلك محجوب عن مشاهدة الخلق في الدنيا، و عند وقوع القيامة ينكشف لهم لأجل رفع الحجاب وكشف النقاب حقيقة الأمر في ذلك.

فكل أحد يرى غاية عمله وسعيه في الدنيا والآخرة، وقوة إنجذابه إلى النعيم والجحيم، ويرى ثقل أحد جانبي ميزانه ورجحان أحد كفتي ميزانه رفعاً ووضعاً، وبالجمله كل واحد من أفراد الناس له تفاريق أعمال، إما حسنات أو سيئات أو مختلفات، فإذا جمعت يوم القيامة متفرقات حسناته أو سيئاته كان إما لأحدهما الرجحان أولاً، فإن كان الرجحان للاولى كان من أهل السعادة وإن كان للثاني كان من أهل الشقاوة، ومن استوت حسناته وسيئاته كان متوسطاً بين الجانبين حتى يحكم الله فيه، وهي هنا قسم آخر أرفع من الثلاثة وهم الذين إستقرقوا في شهود جلال الله ولا

إلتفات لهم إلى عمل صالح أو سييء فكسروا كفتي ميزانهم، وخلصوا من عالم الموازين والأعمال إلى عالم المعارف والأحوال وأنوار الجمال والجلال.

فنقول من الرأس: كل أحد مالم يتخلص ذاته بقوة اليقين ونور الايمان عن قيد الطبيعة واسر الدنيا، فذاته مرهونة بعمله فهو بحسب مزاولة الأعمال والأفعال وثمراتها ونتائجها وتجاذبها للنفس إلى شيء من الجانبين بمنزلة ميزان ذي كفتين إحدي كفتيه تميل إلى الجانب الأسفل أعني الجحيم بقدر ما فيها من متاعها متاع الدنيا الفانية وزادها، والاخرى تميل إلى العالم الأعلى ودار النعيم بقدر ما فيها من متاع الآخرة وزادها، ففي يوم القيامة ويوم العرض الأكبر إذا وقع تعارض بين الكفتين والتجاذب إلى الجنبتين، فالحكم من الله العلي الكبير لكل أحد في إدخاله إحدي الدارين: دار النعيم ودار الجحيم على حسب ميزانه من جهة رجحان إحدي الكفتين: كفة الحسنات وكفة السيئات.

واعلم أن كفة الحسنات في جانب المشرق وكفة السيئات في جانب المغرب، وإن الأولى كفة أصحاب اليمين والاخرى كفة أصحاب الشمال ثم لا يذهب عليك انه إذا وقع الترجيح والمجازاة ونفذ الحكم وقضى الأمر تصير الكفتان كلتاهما في حكم واحدة في اليمينية والشمالية والمشرقية والمغربية والجنائية والجحيمية، فأهل السعادة كلتا يديهم تصير يمينية وكلتا يدي أهل الشقاوة تصير شمالية، إنتهى كلامه.

وفي المنار: عن الشعراني أنه صوّط الميزان الالهي الذي يزن به أعمال العباد المعنوية كلها في وقت واحد قصير لأنه تعالى أسرع الحاسبين بصورة الموازين البشرية التي اخترعوها بفنون الصناعة، ثم قال صاحب المنار: نحن نرى البشر قد اخترعوا في هذا العصر أنواعاً من الموازين الدقيقة للاتقال المادية، وللأمور المعنوية كالرطوبة والحرارة والبرودة والسرعة حتى أنهم ليصرفون أثقال الكواكب وإن ركاب السفينة الغواصة ليعلمون وهم في لجة البحر ما يكون حولهم إلى أبعاد عظيمة من أحوال المراكب التي على ظهر البحر وأثقالها وبعض ما يتحرك في البحر أيضاً.

وفي الجامع لأحكام القرآن: قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، ومن المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح: إن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف.

أقول: إن كلام ابن فورك وأذا به مردود بتجسم جبرئيل عليه السلام وتزوله بصورة حية الكلبى على رسول الله ﷺ وتزوله على مريم عليها السلام بشر أسوياً مع كونه عليه السلام من الجواهر.

و قال الشيخ البهائي قدس سره: الحق أن الموزون في الآخرة هو نفس الأعمال لأصنافها، وما يقال من أن تجسم العرض طور خلاف طور العقل، فكلام ظاهري عامي، والذي عليه الخواص من أهل التحقيق أن سنخ الشيء وحقيقته مغايرة للصورة التي يتجلى بها على المشاعر الظاهرة، ويلبسها لدى المدارك الباطنة، وأنه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت، فيلبس في كل موطن لباساً ويتجلبب في كل نشأة بجلباب كما قالوا: إن لون الماء لون إنائه، وأما الأصل الذي تتوارد هذه الصورة عليه، ويعترون عنه تارة بالسنخ ومرة بالوجه وأخرى بالروح فلا يعلمه إلا علام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي آخر جوهرراً ألا ترى إلى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم، فانه في تلك النشأة أمر عرضي، ثم انه يظهر في النوم بصورة اللين، فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلى في كل موطن بصورة فقد تجسم في مقام ما كان عرضاً في مقام آخر.

و قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: جميع الأحوال والأفعال في الدنيا تتجسم وتمثل في النشأة الأخرى إما بخلق الأمثلة الشبيهة بها بازائها أو بتحويل الأعراض هناك جواهر والأول أدق بحكم العقل ولا ينافيه صريح ما ورد في النقل.

وفي دعاء الجوش الكبير : - رقم ٤٢ - «يا من في البر والبحر سبيله، يا من في الافاق آياته ، يا من في الآيات برهانه، يا من في الممات قدرته، يا من في القبور عبرته ، يا من في القيامة ملكه ، يا من في الحساب هيبتة ، يا من في الميزان قضائه، يا من في الجنة ثوابه ، يا من في النار عقابه .

وقال بعض المفسرين : لا يعني بميزان الآخرة وزن الجسد ، وإنما ما به الإنسان إنسان من موازين العقل والايان وأعمال الايمان ، وعلى حدّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام : «الموازين هي موازين الانسانية» والميزان هو آلة الوزن و القياس ما يوزن به الشيء ويقاس ، فان كان ذلك الشيء جسمًا فالميزان الجسماني على اختلاف حالات الأجسام ، فاختلاف موازينها ، فلا يوزن ما يسوى غرامًا بما يوزن به أطنان ، ولا يوزن النور بما يوزن به سائر الأجسام غير النورية ، وكما لا توزن الدوائر والقسي أو الحرارة والبرودة والأعمدة والخطوط أو الشعر والفلسفة لا توزن هذه وأمثالها بالقياس وغيره .

ثم الروحانيات و الصفات و العقول و الأرواح إنها أخرى أن توزن بالمثل العليا من أمثالها ، وفي هذا الباب ليس الثقل إلا للصالحات دون الطالحات فالصالحات هي ثقل الميزان و السيئات هي خفتها إذ ليس للسيئات ثقل ، فانما الوزن هو الحق والموازين هي القسط : «والوزن يومئذ الحق» الاعراف : ٧

لا : الوزن حق ، مع أنه حق ، إنما الوزن هو الحق ، فالحق هو الميزان و الميزان هو الحق ، دون أن يكون وزن أو ميزان للباطل ، فلا يقام للكافر ميزان لحبط أعماله : «اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف : ١٠٥ .

فالقسط والحق هما الميزان وهما ثقل الميزان : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبياء : ٤٧

فأفراد القسط هنا لجمع الموازين يوحي لنا أن مجموعة الموازين تتحد في أنها القسط ، دون أن يكون للظلم ميزان ولا وزن حتى توزن به السيئات ، إنما هو ميزان واحد هو الحق و القسط و العدل ، وإذا كان القسط و الحق و العدل هي الميزان ، فأحرى أن يكون النبي الكريم ﷺ و أهل بيته المعصومون هم الموازين كسائر الأنبياء وأوصياءهم كقول الإمام الصادق عليه السلام : «إن الموازين هم الأنبياء والأوصياء»

فلا الموازين تكون مادية ، و لا ما يوزن فيه الموازين ، إنما هي القيم و المثل العليا للإنسان أيّاً كان ، وإنّها - رغم اختلافها صورياً - تتحد في كونها حقاً و قسطاً ، تظهر في مظاهر عدّة حسب عديد الأعمال و الأقوال و مراتب الإيمان و الأحوال ، فالحق الذي يوزن به الإيمان هو حق الإيمان ، وما توزن به الصلاة هو حق الصلاة وأمثالها لأمثاله

و منهم : من قال : إن الموازين هي التعديل بين الأعمال و الجزاء عليها ، ووضع كل جزاء في موضعه و إبطال كل ذي حق إلى حقه.

و منهم :- من قال : إن الموازين هي الموازنة بين الحسنات و السيئات . و غيرها من الأقوال التي لا نرى لها وجهاً ولا لذكرها فائدة .

فبالجملة : إن أصل الميزان مما لا شك فيه و لا شبهة تعتريه و إنكاره كفر ، و إنما الخلاف في معنى الميزان ، فالذي عليه أكثر المفسرين و المحدثين و الحكماء و المتكلمين قديماً و حديثاً من العامة و الخاصة الحمل على ظاهره بأن الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزاناً له لسان و كفتان فتوزن به أعمال العباد : حسناتها و سيئاتها...

وقال الآخرون : بل يظهر الرجحان في الكفة ، وفي هذا إشارة إلى أن أعمال الناس التي تعرض عليهم يوم القيامة ليست لمجرد عرضها و العلم بها ، و إنما لتكون موضع حساب و مناقشة ، فتوزن أعمال كل إنسان بميزان الحق و العدل ،

وانّ جمع الموازين مشعر إلى أنّ لكل إنسان ميزاناً توزن به أعماله ، فلا ينتظر غيره حتّى يفرغ من حسابه و وزن أعماله ... بل لكل إنسان موازين كثيرة : بعضها لحسناته و بعضها لسيئاته ، ولكل عمل من أعماله من الحسنات و السيئات ميزان خاصّ .

ولعلّ الفائدة في وضع الميزان يوم القيامة لأعمال العباد هي ظهور الرجحان لأهل الموقف وإزدياد الفرح والسرور للمؤمن ، وبالضدّ للكافر .
وقال بعضهم: في كيفة وزن الأعمال طريقان : أحدهما - أن توزن صحائف الأعمال، والثاني : أن تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة ، فيوجب ثقلها، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فتوجب خفتها .

وفي دعاء الحوائج للدنيا والآخرة :- « واجعلني من الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وبارك لي في المحيا والملمات والموقف والنشور والحساب والميزان وأهوال يوم القيامة وسلّمني على الصراط وأجزني عليه ... » الدعاء

وفي دعاء العديلة :- « وأشهد أنّ الموت حق ، ومسائلة القبر حق ، والبعث حق ، والنشور حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، والحساب حق ، والكتاب حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور ... » الدعاء



﴿ الموازين و انواعها ﴾

قال الله عز وجل : «فأما من ثقلت موازينه - وأما من خفت موازينه، القارعة: ٩-٦) لعل ايجاد الموازين بصيغة الجمع إشارة أن الموازين أنواع كثيرة فمنها ميزان العقائد وما في الصدور ، ومنها ميزان الأقوال ، ومنها ميزان الأحوال و الصفات ، ومنها ميزان العلوم ...

وقد سئل الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة » الأنبياء : ٤٧) قال عليه السلام الموازين الأنبياء والأصياء .

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه رحمه الله تعالى عليه: اعتقادنا في الحساب أنه حق منه من يتولاه الله عز وجل ، ومنه من يتولاه حججه فحساب الأنبياء و الأئمة يتولاه الله عز وجل ، و يتولى كل نبي حساب أوصيائه ويتولى الأوصياء حساب الامم ، والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل و هم الشهداء على الاوصياء والأئمة شهداء على الناس و ذلك قول الله عز وجل : « ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » وقوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيداً » وقوله تعالى : « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم » .

أما ميزان العلوم فاعلم أن الله عز وجل قد وضع ميزاناً مستقيماً أنزل من السماء ليعرف بأقسامه مكائيل الأغذية المعنوية ، و مثاقيل الأرزاق الروحانية

الباطنية ، و يعلم بها حقها من باطلها ، ويوزن بها نفود الحقائق العقلية وجواهر الصور الإدراكية ليميز رايها في سوق الآخرة من زيفها وخالصها من مغشوشها ، وعلمنا بتعليم رسول الله ﷺ كيفية الوزن به ، معرفة أقسامه الخمسة ، وتميز مستقيمتها عن مايلها ، حيث قال : وزنوا بالقسطاس المستقيم ، فمن يعلم هذه الموازين الخمسة التي أنزلها في كتابها المنزل على رسوله وعلم بها أنبيائه وعباده الصالحين فقد اهتدى ، ومن عدل عنها ، وعمل بالرأي والتخمين ، فقد ضلّ وغوى وتردى إلى الجحيم .

ان تسئل : أين ميزان العلوم في القرآن الكريم و هل هذا إلا إفك و

بهتان ؟؟؟

تجيب عنه : ألم تسمع قوله تعالى في سورة الرحمن : «الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان - والسماء رفعها ووضع الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» : ١ - ٩ ؟

ألم تسمع قوله عز وجل : «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» الحديد : ٢٤ ؟

أترعم أيها العاقل أن الميزان المنزل من عند الله عز وجل مع أنزال الكتاب المقرون اسمه باسم الكتاب هو ميزان البر والشعر والارز والأقط وغيرها؟ أتتوهم أن الميزان المقابل وضعه لرفع السماء هو القبان والطيّار ونظائرهما ؟ ما أبعد هذا الزعم و الحساب ؟ و ما أسخف هذا الافتراء و البهتان ؟ و اتق الله جلّ و علا يا أخي و لاتعسف في باب التأويل و اترك الجهالة و اللجاج : «إني أعظك أن تكون من الجاهلين» .

و اعلم أن هذا الميزان برهان معرفة الله عزّ و جلّ و صفاته و أفعاله و ملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته ليعلم كيفية الوزن به تعليماً من قبل أنبيائه عليهم السلام كما تعلم الأنبياء من ملائكته ، فالله عزّ و جلّ هو المعلم

الأول ، و المعلم الثاني جبرئيل ، وثالث المعلمين هو النبي الكريم ﷺ و
أول من استعمل هذا الميزان بتعليم الله تعالى وتعليم جبرئيل هو أب الأنبياء وشيخهم
إبراهيم الخليل عليه السلام سائر الأنبياء إلى ابنه المقدس خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ
وقد شهد الله تعالى لهم بالصدق .

واعلم أن الموازين الواردة في القرآن الكريم في الأصل ثلاثة: ميزان التعادل،
وميزان التلازم ، وميزان التعاند .
أما ميزان التعادل فينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأكبر و الأوسط و الأصغر ،
فيصير الجميع خمسة :

الأول : الميزان الأكبر من موازين التعادل وهو ميزان الخليل إبراهيم عليه السلام
وقد استعمله مع نمرود وهو كما حكى الله عز وجل بقوله : « قال ربني الذي
يحيي ويميت - فبهت الذي كفر » البقرة : (٢٥٨) .

وقد أثنى الله تعالى عليه في استعماله لهذا الميزان قال : « ذلك حجتنا
آتيناه إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » الأنبياء :
(٨٣) فان في حجته الثانية التي بها صار نمرود مبهوراً لأنه أدركها ولم يبلغ دركه
إلى الحجة الاولى أصلين إذ مدار القرآن الكريم على الحذف والإيجاز ، وكمال
صورة هذا الميزان أن يقال : كل من قدر على إطلاع الشمس من المشرق هو الإله ،
هذا أحد الأصلين ، وإلهي هو القادر على إطلاعها منه الأصل الاخر فلزم من مجموعها
ان إلهي هو الإله دونك يا نمرود والأصل الأول مقدمة ضرورية متفق عليها ، و
الثاني من المشاهدات ، ويلزم منهما النتيجة ، فكل حجة صورتها هذه الصورة ،
وصح فيها أصلان كان حكمها في لزوم النتيجة المناسبة هذا الحكم ، إذ لا دخل
لخصوص المثال ، فاذا جردنا روح الميزانية عن خصوصية المثال نستعملها في أي موضع
أردنا وننتفع بها كما يأخذ الناس معياراً صحيحاً وصنجة معروفة فيزنون الذهب
والفضة وغيرهما بتلك الصنجة المعروفة .

الثاني : الميزان الأوسط و هو أيضاً واضعه الله عز وجل و مستعمله الأول خليل عليه السلام حيث قال : « لا احب الآفلين » الأنعام : ٧٦ و كما صورته ان القمر آفل ، والاله ليس بآفل فالقمر ليس باله ، وأما حد هذا البرهان و روحه فهو ان كل شيئين وصف أحدهما بوصف يسلب عن الآخر فهما متباينان .

الثالث : الميزان الأصغر فهو أيضاً مبناه من الله عز وجل حيث علم به نبوته محمداً ﷺ في القرآن الكريم وهو قوله تعالى : « و ما قدروا الله حق قدره إن قالوا ما أنزل الله على بشر » الأنعام : ٩١ و وجه الوزن به أن يقال قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر قول باطل للازدواج بين أصليين : أحدهما - أن موسى وعيسى عليهما السلام بشر . ثانيهما - انه منزل عليهما الكتاب فيبطل بها الدعوى العامة بأنه لا ينزل الكتاب على بشر أصلاً .

الرابع : ميزان التلازم وهو المستفاد من قوله تعالى : « قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » الأنبياء : ٢٢ و كذا من قوله : « لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها » الأنبياء : ٩٩ .

وأما حد هذا الميزان و روحه وعياده فهو ان من علم لزوم أمر لأمر آخر و علم وجود الملزوم يعلم منه وجود اللازم ، و كذا لو علم نفي اللازم يعلم منه نفي الملزوم ، أما الاستعلام من وجود اللازم على وجود الملزوم أو من نفي الملزوم على نفي اللازم فهو ملحق بموازين الشيطان إذ ربما كان الملزوم أخص من لازمه .

الخامس : ميزان التعاند وهو المستفاد من قوله عز وجل تعليم النبوة ﷺ : « قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله و إنا أو إيتاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » سبأ : ٢٤ .

ففيه إضمار أصل آخر لا محالة ، إذ ليس الغرض منه ثبوت التسوية بينه وبينهم وهو انه معلوم أننا لسنا في ضلال مبين ، فيعلم من ازدواج هذين الأصلين نتيجة ضرورية وهي انكم في ضلال مبين ، وأما حد هذا الميزان وعياده فكل ما انقسم

إلى قسمين متباينين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر وبالعكس لكن بشرط أن القسم حاصرة لمنتشرة ، فالوزن بالقسمة الغير المنحصرة وزن الشيطان فهذه هي الموازين المستخرجة من القرآن الكريم وهي بالحقيقة سلاسل العروج إلى عالم السماء بل إلى معرفة خالق الأرض والسماء وهذه الأصول المذكورة فيها هي درجات السلاسل . . . وأما المعراج الجسماني فلا يفي به سعة قوة كل أحد بل يختص ذلك بالقوة النبوية .

ان تسئل : فما وجه التطابق بين الميزان الروحاني والميزان الجسماني ؟
و أين في ميزان الآخرة العمود الواحد والكفتان ؟ و أين في موازين الآخرة ما يشبه القبان ؟

فجيب عنه : و قد مر أن هذه المعارف التي هي سبب عروج النفس إلى معارج الملكوت مستفادة من أصلين ، فكل أصل كفة والحد المشترك بين الأصلين الداخل فيهما عمود ، و أما ما يشبه القبان فهو ميزان التلازم إذ أحد طرفيه أطول والآخر أقصر و يتولد النتيجة من ازدواج أصلين يدخل شيء من أحدهما في الآخر فهذه الموازين الخمسة التي يعرف بها مناقيل الأفكار و مكائيل الأنكار في العلوم الحقيقية التي هي الأرزاق المعنوية لأهل الآخرة ، و قد أنزل الله عز وجل هذه الموازين من السماء ليعلم كل أحد مقدار علمه وعقله وميزان سعيه وعمله ، وبحسب حساب رزقه وأجله ، وبحضر كتاب عمره و أمله .

فإن لكل مخلوق رزقاً خاصاً وبحسب كل رزق له أجل مكتوب وحساب محسوب والأرزاق المعنوية كالأرزاق الحسية متفاوتة في الأكل متفاوتة في دوام الحياة والأجل كمّاً وكيفاً و نفعاً و ضرراً بل الأرزاق الاخرية أكثر تفاوتاً و أشد تفضيلاً من الأرزاق الدنيوية كما في قوله تعالى : « و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً » (الاسراء : ٢١) .

و قال أيضاً مخاطباً لنبيه المنذر ﷺ : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن « النحل : ١٢٥) .
وقال : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني » يوسف :
(١٠٨) .

و قال : « و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون « الانعام : ١٥٣) .
فأمر الله عزّ وجلّ خاتم رسله محمداً المصطفى ﷺ أن يدعوا الناس بمعيار
واحد إلى أنواع مختلفة من الرزق حسب تفاوت الغرائز والجبيلات للخلق ، فالقرآن
الكريم بمنزلة مائدة نازلة من السماء إلى الأرض ، مشتملة على أقسام من الرزق
لطوائف من الناس ، ولكلّ منها رزق معلوم وحياة مقسومة ، فالحكمة والبرهان
لقوم والموعظة والخطابة لقوم والجدل والشهرة لقوم ، و يوجد فيه لغير هؤلاء
الطوائف الثلاث أغذية ليست بهذه المثابة من اللطف ، بل أنزل منها على حسب
مقاماتهم في الكثافة والسفالة إلى حدّ القشور والنخالة كما في قوله عزّ وجلّ :
« ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين « الأنعام : ٥٩) وقوله تعالى : « و نزّلنا
عليك الكتاب تبياناً لكل شيء « النحل : ٨٩) .

فكما يوجد فيه اللبوب كذلك يوجد فيه التبن والقشور وهي للعوام الذين
درجتهم درجة الأنعام كما قال : « متاعاً لكم ولأنعامكم « عبس : ٣٢) و ذلك لأنّ
الغذاء يجب أن يكون مشابهاً للمغتذي .

و من الامور التي لا بدّ من معرفتها لكلّ أحد ممن آمن بالله تعالى و
برسوله ﷺ و بكتابه وباليوم الآخر و هو أن يعلم كيفية الموازنة بين الامور
الدنيوية والاخرية وتحقق التطابق بين النشأتين ، فمن فتح على قلبه باذن الله
تعالى باب الموازنة بين العالمين : عالم الملك والمملوكوت ، وعالمي الغيب والشهادة ،
يسهل عليه سلوك سبيل الله تعالى و ملكوته ، و اطلع على أكثر أسرار القرآن
و اغواره و شاهد حقائق آياته و أنواره مما غفل أكثر الخواص وكافة العوام عن

هذه الموازنة ، و هي باب عظيم في معرفة أحوال الأشياء وحقائق الموجودات على ما هي عليها ، سيما معرفة أمور المعاد ، وهو أول مقامات النبوة و الرسالة و شرط الدعوة الحقّة لأن مبادئ أحوال الأنبياء عليهم السلام أن يتجلّى لهم في المنام النشأة الثانية ، و يتصوروا حقائق الأشياء في كسوة الأشباح المثالية لأنّ الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة ، و لا يتجلّى حقائق الأشياء بلا إلتباس إلّا في عالم القيامة لقيامها بذواتها ...

و أما في هذا العالم فهي في أغطية من الصّور الحسيّة والآن : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (ق : ٢٢) فتأمل في هذا المقام فعساك أن تنفتح لك روزنة إلى عالم الملكوت ، و إلّا فما زلت متوجّهاً إلى ملابس العالم الحيواني ، مصروف الهمة و الوجهة إليه من أنوار الملكوت مستفيداً من آثار الحسّ ، فمحال أن يتجلّى لك شيء من عجائب الحكمة و غوامض أسرار القيامة .

و اعلم أنّك أيّها القاريء الخبير و كل إنسان مسافر من الدنيا إلى الآخرة ، و كلّ واحد تاجر أيضاً ، و رأس ماله حيوته الدنيوية ، و تجارتها هي الايمان و صالح العمل و التقوى و إكتساب القنية العلمية و هي زاد سفره إلى معاده ، و فائده و ربحه هي حياته الأبدية ينعمها برضوان الله جلّ و علا و جنته ، و خسارته هو هلاك نفسه باحتجابه عن دار كرامته و وقوعه على ام رأسه في نار جحيمه . و ليعلم كل أحد أنّ الناقد بصير لا يقبل من أحد إلّا الخالص من ذهب المعرفة و فضة الطاعة ، فوزن حسناته بميزان صدق و احسب حساب نفسه قبل أن يوافي عمره و قبل أن يحاسب عليه في وقت لا يمكنه التدارك و التلافي ، فموازين الدار الآخرة مرفوعة ليوم الحساب وفيه الثواب و العقاب : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية و أمّا من خفت موازينه فأما هاهنا و ما أدراك ماهيه نار حامية » (القارعة : ٦ - ١١) .

﴿ بحث روائى فى الموازين ﴾

وقد وردت روايات كثيرة حول موازين القيامة نشير إلى ما يسعه المقام:

١- فى نهج البلاغة قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: « زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا » .

٢- فى شرح النهج لابن أبي الحديد - من الحكم المنسوبة إلى الإمام عليّ عليه السلام - أنه قال: « لورأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك » .

٣- فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن أبي عمير عن حفص بن البختري عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه قال: وقع بين سلمان الفارسي رحمه الله وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أمّا أولى وأوّلئك فنظفة قذرة، وأمّا أخرى وآخرك فبحيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خفّ ميزانه فهو اللئيم.

٤- فى شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي فى قوله تعالى: «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية» القارعة: ٦-٧) باسناده عن ابن عباس قال: أوّل من يرجّح كفة حسناته فى الميزان يوم القيامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك ان ميزانه لا يكون فيه إلّا الحسنات ويبقى كفة السيئات فارغة لا سيئة فيها، لأنّه

لم يعص الله طرفة عين!!! فذلك قوله: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» أي في عيش في الجنة قد رضى عيشه فيها.

٥- في تفسير روح البيان: روى: أن داود عليه السلام سئل ربه أن يريه الميزان فأراه إتياء في المنام فلما رأى عظمته غشى عليه ، فلما أفاق قال : إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفتيه من الحسنات فقال: يا داود إنني إذا رضيت عن عبدى أملأها بتمرة .

٦- في تفسير النيسابوري : عن عبدالله بن سلام: ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش إحدي كفتي الميزان على الجنة ، و الأخرى على جهنم ولودضعت السموات والأرض في إحداها لوسعتهن وجبريل أخذ بعموده ناظراً إلى لسانه.

٧- في الجامع لاحكام القرآن: عن أنس بن مالك مرفوعاً: «ان ملكاً هو كلاً بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان، فان رجح نادى الملك! بصوت يسمع الخلائق! سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف نادى الملك شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»

٨- وفيه : وقال أبو سعيد الخدري : «يؤتى بأعمال كجبال نهامة فلا تزن شيئاً».

٩- وفيه و قال عليه الصلاة والسلام - يعني رسول الله ﷺ - حين ضحكوا من حمش ساق - يعني دقيقتها- ابن مسعود وهو يصعد النخلة: «تضحكون من ساق توزن بعمل أهل الأرض ، فدل هذا على أن الأشخاص توزن ذكره الغزنوي .

١٠- وفيه: قال عبيد بن عمير: «يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكل الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة».

١١- وفيه : عن صحيح البخارى و مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّه ليأتى الرجل العظيم السَّمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة إقراً إن شئتُم : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » والمعنى : أنَّهم لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة و من لاحسنة له فهو في النار.

١٢- وفيه : وروى عن النبي ﷺ : أن الله تعالى يقول يوم القيامة : « يا آدم أبرز إلى جانب الكرسي عند الميزان وانظر ما يرفع إليك من أعمال بنيك فمن رجع خيره على شره مثقال حبة فله الجنة ، ومن رجع شره على خيره مثقال حبة فله النار حتى تعلم أني لا أعذب إلا ظالماً.

١٣- وفيه : وفي الخبر : « إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأ نملة فيلقبها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته ، فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك ! فمن أنت ؟ فيقول : أنا محمد نبيك وهذه صلواتك التي كنت تصلى علي قد وفيتك أحوج ما يكون إليها.

قوله ﷺ : « بطاقة - بكسر الباء - : رقعة فيها رقم المتاع بلغة أهل مصر.

١٤- وفيه : قال حذيفة : صاحب الميزان يوم القيامة جبرئيل عليه السلام يقول الله تعالى : « يا جبرئيل زن بينهم فرداً من بعض على بعض » قال : وليس ثم ذهب ولا فضة فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرداً على المظلوم ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتحمل على الظالم ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال.

١٥- في تحف العقول عن الإمام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى : « فلما أتاهم العذاب قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ».

قال عليه السلام : فان قلتُم أيها الناس : إن الله إنما عني بهذا أهل الشرك فكيف ذاك وهو يقول : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان

مُنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ؟

إِعلموا عباد الله أَنَّ أَهلَ الشَّرْكِ لَا تُنْصَبُ لَهُمُ الْمَوَازِينُ وَلَا تُنْشَرُ لَهُمُ الدَّوَابِينُ وَإِنَّمَا يُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ، وَإِنَّمَا تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ وَتُنْشَرُ الدَّوَابِينُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ... الحديث.

١٦- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه.

١٧- في الاحتجاج - في حديث طويل -: قال الزنديق : فما معنى الميزان؟ قال عليه السلام : العدل ، قال: فما معناه في كتابه: «فمن ثقلت موازينه»؟ قال عليه السلام : فمن رجح عمله.

١٨- في الدر المنثور : عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه يوم القيامة ، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة.

١٩- وفيه : عن أنس قال : لقي رسول الله ﷺ أباذر فقال : ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر و أثقل في الميزان عن غيرهما قال: بلى يا رسول الله ﷺ قال: عليك بحسن الخلق و طول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلاق بمثلهما.

٢٠- في المنار: عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن خلق.

٢١- في نور الثقلين : بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وان الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به، فيخرج الصلاة فيضعها في ميزانه فيرجح.

٢٢- في التوحيد عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن

أبيطالب عليه السلام - في حديث - وقد سئله رجل عما إشتبه عليه من الآيات - وأما قوله تبارك وتعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم ببعض بالموازين .

٢٣- في المعاني باسناده عن هشام قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » قال : هم الأنبياء والأوصياء .

أقول : لعل المعنى : انهم عليهم السلام أصحاب الميزان والحاكمون عنده .
٢٤- في البرهان عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » قال : الرسل والأئمة من آل بيت محمد عليه السلام .
٢٥- وفيه : عن ابن عباس قال : الموازين : الأنبياء والأولياء .

٢٦- في الاحتجاج - في حديث طويل - عن الامام علي عليه السلام في جواب الزنديق إذ سئل عن آي متشابهة فقال عليه السلام : وأما قوله عز وجل : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة بدين الله تبارك وتعالى الخلائق بعضهم من بعض ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم ، ومعنى قوله : « فمن ثقلت موازينه - ومن خفت موازينه » فهو قلة الحساب وكثرته ، والناس يومئذ على طبقات ومنازل ، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يتلبسوا من امر الدنيا ، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها ههنا ، ومنهم من يحاسب على النقيير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة ، فاولئك لا يقيم لهم وزناً ولا يعبؤ بهم بأمره ونهيهم يوم القيامة ، وهم في جهنم خالدون وتلفح وجوههم النار وهم فيها كالحن.

٢٧ - في صحيح مسلم عن صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ - يريد مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة - قال : سمعته يقول : « يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه ، فيقرّ به بذنوبه ، فيقول : هل تعرف ؟ فيقول : أي ربّ أعرف قال : فاني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته ، و أما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله .

قوله ﷺ : « فيعطى صحيفة حسناته » دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف و توزن .

٢٨ - في تفسير النيسابوري : يروى أن رسول الله ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة ؟ فقال : الصحف .

٢٩ - في نور الثقلين عن مصباح الشريعة قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث طويل - : فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد معنك و غور دعواك و غيرهما بقسطاس من الله عز وجل كأتك في القيامة - قال الله تعالى : « والوزن يومئذ الحق » فإذا اعتدل معنك بدعواك ثبت لك الصدق . أقول : و ذلك كما ورد : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر » لقوله عز وجل : « ولتنظر نفس ما قدمت يداها » .

وانّ لسان ميزان الحق هو صفة العدل ، و إحدى كفتيه هو عالم الحسن ، والكفة الأخرى هو عالم العقل ، فمن كانت له صفات المعقولة من الأخلاق الفاضلة ، و أوصاف الظاهرة الحسنية من الأعمال الخيرية المقرونة بالنيات الصادقة « ثقلت » أي كانت ذات قدر و وزن ، و من كانت له صفات الخبيثة الباطنية بأنواعها و الرذائل المحسوسة من اللذات الزائلة والشهوات الفاسدة و الأخلاق الرديئة « خفت » أي

لا قدر لها ولا اعتداد بها ولا لصاحبها فكلاهما خفيفان .

٣٠- في تفسير الصافي عن الإحتجاج عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :
أنه سئل أو ليس توزن الأعمال ؟ قال : لا لأن الأعمال ليست أجساماً ، وإنما
هي صفة ما عملوا ، وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف
ثقلها وخفتها ، و أن الله لا يخفى عليه شيء قيل : فما معنى الميزان ؟ قال : العدل
قيل : فما معناه في كتابه : « فمن ثقلت موازينه » ؟ قال : فمن رجح عمله .

قال الفيض رحمة الله تعالى عليه : وسر ذلك أن ميزان كل شيء هو المعيار
الذي به يعرف قدر ذلك الشيء ، فميزان الناس يوم القيامة : ما يوزن به قدر
كل إنسان وقيمه على حسب عقيدته وخلقه وعمله لتجزى كل نفس بما كسبت ،
وليس ذلك إلا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إذ بهم ، وباتباع شريعتهم وإقتفاء آثارهم ،
وترك ذلك وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم
وسيئاتهم ...

فميزان كل أمة هو نبي تلك الأمة ، ووصي نبيتها و الشريعة التي أتى
بها ، فمن ثقلت حسناته وكثرت هم المفلحون ، ومن خفت وقلت فاولئك الذين
خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم إلتباعهم .
٣١- في تفسير الرازي : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ، ويؤتى له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل
منها مد البصر فيها خطايا و ذنوبه ، فتوضع في كفة الميزان ، ثم يخرج له
قرطاس كالأنملة فيها شهادة : « أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله » فيوضع
في الآخر فيرجح .

٣٢- وفيه : وعن الحسن : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، واضع رأسه في
حجر عائشة قد اغشى إذ سالت الدموع من عينها ، فقال : ما أصابك ؟ ما أبكاك ؟
فالت : ذكرت حشر الناس ، و هل يذكر أحد أحداً فقال لها : يحشرون حفاة

عراة ، وقرأ : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » لا يذكر فيها أحداً عند الصحف وعند وزن الحسنات والسيئات .

٣٣- في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : إن الله يبعث يوم القيامة أقواماً يمتلئ من جهة السيئات موازينهم فيقال لهم : هذه السيئات فأين الحسنات ؟ وإلا فقد عصيتم ! فيقولون : يا ربنا ما نعرف لنا حسنات ، فاذاً النداء من قبل الله عز وجل : لئن لم تعرفوا لأنفسكم عبادي حسنات فاني أعرها لكم وادقرها عليكم ، ثم يأتي بصحيفة صغيرة يطرحها في كفة حسناتهم ، فترجح بسيئاتهم بأكثر مما بين السماء والأرض ، فيقال لأحدهم : خذ بيد أهلك و أمك وإخوانك وأخواتك وقرباتك وأخدامك ومعارفك ، فادخلهم الجنة ، فيقول أهل المحشر : يا رب أمّا العشر : يا رب أمّا الذنوب فقد عرفناها فماذا كانت حسناتهم ؟

فيقول الله عز وجل : يا عبادي مشى أحدهم ببقية دين لأخيه إلى أخيه فقال : خذها فاني احببك بحبك علي بن أبي طالب ، فقال له الآخر : قد تركتها لك بحبك علياً ولك من مالي ماشئت ، فشكر الله تعالى ذلك لهما فحط به خطاياهما وجعل ذلك في حشو صحيفتهما وموازينهما ، وأوجب لهما ولوالديهما الجنة ، ثم قال : يا بريدة يدخل النار يبغيض علي أكثر من حصي الخذف الذي يرمى عند الجمرات ، فإياك أن تكون منهم .

قوله صلى الله عليه وآله : « الخذف » : هو الرمي بالحصى ، وحصى الخذف : يرمى به .

٣٤- في كتاب فضائل الشيعة للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ، وعند النشور وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط .

﴿الموازن والاعمال﴾

وفي الكافي: باسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض. وفي روضة الكافي: - في خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - قال: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهدتان ترفعان القول، وتضاعفان العمل خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه. وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهدتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزانه توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه».

وفي الخصال: باسناده عن محمد بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن الشر خف على أهل الدنيا على قدر خفته في موازينهم يوم القيامة.

وفي العلل: باسناده إلى الحسن بن عبد الله عن آبائه عن جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث طويل في تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وقوله: لا إله إلا الله يعني بوحديته لا يقبل الله الأعمال إلا بها وهي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة.

وفي الدر المنثور: أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي في البعث عن أنس قال: سئلت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل قلت: يا رسول الله أين أطلبك؟ قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فأطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فأطلبني عند الحوض فإني لا أخطيء هذه الثلاثة مواطن.

وفي قرب الاسناد: بإسناده عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: الصلاة ميزان أمّتي من وفي يستوفى.

وفي أمالي الصدوق: بإسناده عن مدرك بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء».

وفي أمالي الشيخ المفيد: بإسناده المجهول عن الصادق عن آبائه عليه السلام عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء».

وفي أمالي الصدوق: عن سعيد بن المسيّب عن علي بن الحسين عليه السلام - في حديث - قال: ثم رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب، فقال عز وجل: «ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين» فإن قلت أيتها الناس! إن الله عز وجل إنما عني بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول: «وضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»؟ إعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما تنشر الدواوين لأهل الإسلام ... الخبر.

وفي ثواب الاعمال: بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام - في ثواب

قراءة سورة يس - إلى أن قال - : «ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى أعنان السماء إلى أن يخرج الله من قبره فإذا أخرجه لم يزل ملائكة الله معه يشيعونه ويحدثونه ويضحكون في وجهه ويبشرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان...» الحديث .

وقال حاتم (الطائي ظ) : «من سوف أربعاً إلى أربع دخل الجنة : النوم إلى القبر ، والفخر إلى الميزان ، والراحة إلى الصراط ، والشهوة إلى الجنة»
وفي الدعاء : بعد زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «اللهم إنا نعوذ بك من عثرة اللسان وسوء المقام وخفة الميزان ...» الدعاء .

و في أعمال ليلة العرفة : - «وأستلك بحق هذا القرآن العظيم وبحق محمد خاتم النبيين وبحق إبراهيم وبحق فصلك يوم القضاء وبحق الموازين إذا نصبت و الصحف إذا نشرت - وبحق هذه الأسماء وبهذه الدعوات أن تغفر لنا ما قد منا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أبدنا وما أخفينا وما أنت أعلم به منا إنك على كل شيء قدير برحمتك يا أرحم الراحمين ...» الدعاء .

وفي مناجاة خمس عشرة : - «الهي فآلهنا ذكرك في الخلاء والملاء والليل والنهار والأعلان والأسرار وفي السراء والضراء وآنسنا بالذكرك الخفي واستعملنا بالعمل الزكي والسعي المرضي وجازنا بالميزان الوفي ...» الدعاء .



﴿ اهل بيت الوحي ﷺ وشيعتهم وموازين القيامة ﴾

في البحار : عن الفضل عن الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : من أقر بتوحيد الله - إلى أن قال - : وأقر بالرجعة والملتعتين و آمن بالمعراج و المسئلة في القبر والحوض و الشفاعة وخلق الجنة و النار و الصراط و الميزان و البعث و النشور و الجزاء و الحساب فهو مؤمن حقاً و هو من شيعتنا أهل البيت .

و في روضة الكافي : باسناده عن ثور بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : إذا كان يوم القيامة ونصبت الموازين و احضر النبيون والشهداء - و هم الأئمة - يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل ، و دعاهم إلى سبيل الله ... الخبر .

وفي رواية : قال علي عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : يا علي سئلت ربي فيك خمس خصال فأعطاني : أما أولها فسئلت ربي أن أكون أول من تنشق عنه الأرض و انفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني ، و أما الثانية فسئلت ربي أن يقضى عند كفة الميزان و أنت معي فأعطاني ، و أما الثالثة فسئلت ربي أن يجعلك في القيامة صاحب لوائي فأعطاني ، و أما الرابعة فسئلت ربي أن يسقى امتي من حوضي بيدك فأعطاني ، و أما الخامسة فسئلت ربي أن يجعلك قائد امتي إلى الجنة فأعطاني فالحمد لله الذي من علي بذلك .

وفي رواية: وقال رسول الله ﷺ: حبِّي وحبُّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوا لهم عزيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ إن الله أعطى شيعةك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل الامم بأربعين عاماً.

وفي رواية: عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النبي ﷺ إذا أقبل بوجهه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال ألا ابشرك يا أبا الحسن؟ قال: بلى يا رسول الله قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله عز وجل أنه قال: قد أعطى شيعةك ومحبيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس، ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالصدقة فإن فيها عشر خصال: خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة: أمّا الدنيا تطهير أموالكم و تطهير أبدانكم، ودواء مرضاكم ودخول المسرّة في القلوب، وزيادة الأموال وسعة الرزق، وأمّا في العقبى فظلّ في القيامة، وسهولة الحساب، ورجحان الميزان بالثواب، وجواز على الصراط، ودرجة الأعلى.

وفي رواية: إن بعض الصحابة سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: «له مقاليد السموات والأرض» فقال: سئلتني عن شيء عظيم ماسئلتني غيرك هو: «لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير و

هو على كل شيء قدير ، فمن قالها عشراً حين يصبح وحين يمسي أعطيت خصال : فأول خصلة أن يحرسه الله من شر إبليس وجنوده ، الثانية يعطى قنطاراً من الثواب يكون في ميزانه أثقل من جبل احد الثالثة يرفع الله له درجة في الجنة لا ينالها إلا الأبرار الرابعة يزوجه الله من الحور العين الخامسة يشهده إثنى عشر ملكاً يكتبونه في رق منشور يشهدون له به يوم القيامة السادسة كان كمن قرأ الكتب الأربعة وكتب له حجة مقبولة و عمرة مبرورة ، وإن مات في يومه أو ليلة أو شهره طبع له بطابع الشهداء وكان في زمريهم .

وفي رواية : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة ، فلا يشكن أحداته في الجنة فإن حب أهل بيتي عشرون خصلة : عشر منها في الدنيا ، وعشر منها في الآخرة ، أما في الدنيا فالزهد و الحرص على العمل (العلم خ) والورع في الدين و الرغبة في العبادة ، و التوبة قبل الموت والنشأة في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس ، والحفظ لأمر الله ونهيه عز وجل ، و التاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء ، وأما في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويعطى كتابه بيمينه و يكتب له براءة من النار و يبيض وجهه ، و يكسى من حلل الجنة ، و يشفع في مائة من أهل بيته و ينظر الله عز وجل إليه بالرحمة و يتوج من تيجان الجنة ، و العاشرة يدخل الجنة بغير حساب ، فطوبى لمحبي أهل بيتي .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : خمس ما أثقلهن في الميزان : سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و الولد الصالح يتوفى لمسلم فيصبر و يحتسب .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : لا يرد دعاء أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإن امتي يؤتون يوم القيامة و هم يقولون : « بسم الله الرحمن

الرحيم » فيثقل حسناتهم في الميزان فيقال إلا ما أرجح موازين أمّة محمد ﷺ فتقول الأنبياء ﷺ : انّ إبتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله لو وضعت في كفة الميزان وضعت سيئات الخلق في كفة اخرى أرجحت حسناتهم .

وفي رواية: قال الامام عليّ بن موسى الرضا ﷺ من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى اخلصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا ، وعند الصراط ، وعند الميزان .

و في دعاء اذن الدخول : في البقاع الشريفة لأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين :- « اللهم فاذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات ، وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذلّ العبودية وفرض الطاعة حتى نقر بما يجب لهم من الأدصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق إذا نصبت الموازين في يوم الأعراف والحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين . »

وفي الزيارة المطلقة لأئمة المؤمنين ﷺ :- « السلام على يعسوب الدين و الايمان وكلمة الرحمن ، السلام على ميزان الأعمال و مقلب الأحوال وسيف ذي الجلال وسافي السلسيل الزلال... » الزيارة .

وفي زيارة الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في يوم ولادته :- « السلام عليك يا ميزان يوم الحساب ، السلام عليك يا فاصل الحكم الناطق بالصواب ... » الزيارة .

﴿ كلمات قصار حول الموازين ﴾

غرر حكم و درر كلم عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين حول الموازين نشر إلى ما يسعه المقام:

١- قال مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «زن الرجال

بموازينهم»

٢- وقال عليه السلام: «إنك موزون بعقلك فزكته بالعلم»

٣- وقال عليه السلام: «رأى الرجل ميزان عقله»

٤- وقال عليه السلام: «ظنّ الانسان ميزان عقله وفعله أصدق شاهد على أصله»

٥- وقال عليه السلام: «لن يزان العقل حتى يوازره الحلم»

٦- وقال عليه السلام: «اللسان ميزان الانسان»

٧- وقال عليه السلام: «كلام الرجل ميزان عقله»

٨- وقال عليه السلام: «رسولك ميزان نبلك وقلمك أبلغ من ينطق عنك»

٩- وقال عليه السلام: «الحازم من تخير لخلته فان المرء يوزن بخليله»

١٠- وقال عليه السلام: «السفر ميزان الأخلاق»

١١- وقال عليه السلام: «بالتواضع تزان الرفعة»

١٢- وقال عليه السلام: «اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك وأحبّ له ما تحبّ

لنفسك وأكره له ما تكره لها، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك ، ولا تظلم كما

تحب أن لا تظلم»

١٣- وقال عليه السلام: «بالسقاء تزان الأفعال»

١٤- وقال عليه السلام: «خير الأعمال ما زانه الرفق»

١٥- وقال عليه السلام: «إن العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه».

١٦- وقال عليه السلام: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا و تنفثوا من ضيق الخناق قبل عنف السياق»

١٧- وقال عليه السلام: «سفحك على من في درجتك نقار كنفار الديكين وهراش كهراش الكلبين، ولن يتفرقا إلا مجروحين أو مفضوحين، وليس ذلك فعل الحكماء ولا سنة العقلاء ولعله أن يحلم عنك فيكون أوزن منك وأكرم وأنت أنقص منه والأمر». قوله عليه السلام: «سفحك»: مجادلك ومنازعتك.

١٨- وقال عليه السلام: «شيئان لا يوزن ثوابها: العفو والعدل»

١٩- وقال عليه السلام: «شيئان لا يوزنهما عمل: حسن الورع والاحسان إلى المؤمنين»

٢٠- وقال رسول الله ﷺ: «أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»

٢١- وقال عليه السلام: «أول ما يوزن في الميزان الخلق الحسن»

٢٢- وقال عليه السلام: «أول ما يوضع في الميزان العبد نفقته على أهله»

٢٣- وقال عليه السلام: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»

٢٤- وقال الامام علي عليه السلام: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسقاء»

ولما خلق الله عز وجل الإيمان قال: اللهم قوتي فقوتاه بحسن الخلق والسقاء»

٢٥- وقال عليه السلام: «مثل الصلاة المكتوبة كالميزان من أوفى إستوفى»

٢٦- وقال رسول الله ﷺ: «وهديّة الميزان أربعة أشياء: كظم الغيظ، و

ورع صادق، والمشي إلى الجماعات والتداعي إلى المغفرات»

٢٧- وقال عليه السلام: «الصلاة عمود الدين وفيها عشر خصال: زين الوجه، و

نور القلب وراحة البدن، وانس القبور، ومنزل الرحمة، ومصباح السماء، وتقل
الميزان ورضا الرب، وثمن الجنة وحجاب من النار ومن أقامها فقد أقام الدين
ومن تركها فقد هدم الدين».

تمت سورة القارعة والحمد لله في الاولى والآخرة
وصلّى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ كَثِيْرَةٌ هِيَ ثَمَانِي اَيَاتٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْهَيْكَلُ النَّكَاتُ حَتّٰى زُرْنُمُ الْمَضَابِرَ

كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُوْنَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

نَعْلَمُوْنَ ه كَلَّا لَوْ نَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْبَیْنِ

لَنَرُوْنَ الْحَجِيْمَ ۚ ثُمَّ لَنَرُوْهَا عَيْنَ الْبَیْنِ

ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ

صَدَقَ اللّٰهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ

﴿ فضلها وخواصها ﴾

في الكافي : باسناده عن درست عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ «ألهاكم التكاثر» عند النوم وفي فتنة القبر.

أقول: رواه الصدوق في نواب الأعمال، والطبرسي في المجمع، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين إلا أن في نواب الأعمال والبحار «وفي من فتنة القبر» بدل «وفي فتنة القبر».

وذلك من قرأها إذا ينوم متدبراً فيها فحصل له اليقين بالموت والقبر والحساب والجزاء ويرى الجحيم عين اليقين ثم مات وقام الله عز وجل من وحشة القبر وعذابه كما يقيه من فزع يوم القيامة وأهواله ...

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» فصلت: (٣٠ - ٣١)

وقال: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» يونس: (٦٢ - ٦٤)

وقال: «فَمَنْ تَبَعَ هَدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» البقرة: (١٢٣ و١٢٤) وقال: «لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ

توعدون» الأنبياء : (١٠٣)

وإنما الوحشة والفزع والعذاب لمن لا يستيقن بيوم الحساب .
قال الله جلّ وعلا : «إذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظنّ إلا ظناً وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا» الجاثية : (٣٢ - ٣٤)

وقال : «يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين» المدثر : (٤٠ - ٤٧)

فشتان بين الميئين والمماتين : المؤمن وموته ، والكافر وموته ؟؟؟
قال الله تعالى : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» الجاثية : (٢١)
وفي أمالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورة «ألهاكم التكاثر» في فريضة كتب الله له ثواب و أجر مائة شهيد ، ومن قرأها في نافلة كتب الله له ثواب خمسين شهيداً وصلى معه في فريضته أربعون صفّاً من الملائكة إن شاء الله .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين بأدني تفاوت ، والمجلسي في البحار مثل ما في ثواب الأعمال .

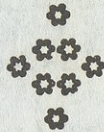
وفي دعوات قطب الدين الراوندي رحمه الله تعالى عليه : قال النبي ﷺ : «من قرأ «ألهاكم التكاثر» عند النوم وفي فتنة القبر وكفاه الله شر منكر ونكير» .

وفي الدر المنثور : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم ؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ؟ قال : أما يستطيع أحدكم أن يقرأ «ألهاكم التكاثر» ؟

وفي المجمع: في حديث أبي : ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية .

وفي البرهان : روى عن النبي ﷺ أنه قال : من قرأ هذه السورة لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعم بها عليه في الدنيا ، و من قرأها عند نزول المطر غفر الله ذنوبه وقت فراغه .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام: من قرأها وقت نزول المطر غفر الله له ومن قرأها وقت صلاة العصر كان في أمان الله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني باذن الله تعالى .
وفيه: عن بستان الواعظين عن زينب بنت جحش عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قرأ القاريء : «ألهاكم التكاثر» يدعى في ملكوت السموات مؤدّى الشكر لله .
أقول: كل ذلك لمن آمن بالله جل وعلا ورسوله ﷺ وبكتابه وباليوم الآخر وعمل صالحاً .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة - على ما يستفاد من طرفيها من السور نزولاً ومصحفاً - تنبيه إلى تلهي أكثر الناس بالتكاثر في الأموال والأولاد والقوى الظاهرة الفانية ، واستغراقهم في متاع الدنيا وغفلتهم عن الدار الآخرة ، وتوبيخهم على ذلك ، وإلى تفاخرهم بالأنساب والأحساب والجاه والمقام ، وتنديدهم بذلك ، وغفلتهم عما وراءه من تبعة الخسران والنار والعذاب ، وإن كل ذلك ناشيء عن المراء والغفلة .

إذ لو كان لهم يقين بما وراء ذلك لما تلهّوا بها ، وما بدّ لو أنعم الله عز وجل التي أنعمها عليهم كفراً وطغياناً ، وتنبيه لهم بأنهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنهم كانوا مخطئين في تلهيهم وإستغراقهم فيما ألهاهم عن الموت والتفكير فيما بعده .

فليس الخطاب لأصحاب الأموال والأولاد والمتنعمين إطلاقاً ، وخاصة الذين يؤدّون حق الله عز وجل بالإيمان والطاعة والشكر وحق الناس بالبر ويلتزمون القصد والاعتدال في ذلك كله .



﴿ النزول ﴾

سورة « التكاثر » مكّية نزلت بعد سورة « الكوثر » وقبل سورة « الماعون » وهي السورة السادسة العشرة نزولاً ، والثانية والمائة مصحفاً .

وهي تشتمل على ثمان آيات ، سبقت عليها / ٢٩٤ آية نزولاً ، و / ٦١٦٨ آية مصحفاً على التحقيق ، و مشتملة على / ٢٨ كلمة ، و / ١٢٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

وقد اختلفت كلمات الباحثين في نزول السورة :

ففي أسباب النزول للواحدي النيسابوري عن مقاتل والكلبي : ان « السورة نزلت في حين من قريش بني عبدمناف ، و بني سهم كان بينهما لحافتعاند السادة والأشراف أيّهم أكثر ؟ فقال بنو عبدمناف : نحن أكثر سيّداً وعزّاً عزيزاً وأعظم نفراً ، و قال بنو سهم مثل ذلك فكثروهم بنو عبدمناف ثم قالوا : نعد موتانا حتّى زاروا القبور فعدّوا موتاهم فكثروهم بنو سهم لأنّهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية . وفيه : وقال قتادة : نزلت في اليهود قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، و بنو فلان أكثر من بني فلان ، ألهاهم ذلك حتّى ماتوا ضلّالاً .

وفي أسباب النزول للسيوطي أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة و بني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان وفلان ، وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : إنطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ومثل

فلان يشيرون إلى القبر وتقول الاخرى مثل ذلك فأنزل الله: «ألهاكم التكاثر حتى زرتهم المقابر» .

وفي المجمع: عن أبي بريدة: نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا .

و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي عن عمرو بن دينار: حلف ان هذه السورة نزلت في التجار، وعن شيبان عن قتادة قال: نزلت في أهل الكتاب .

ثم قال القرطبي: قلت: الآية تعم جميع ما ذكر وغيره .

و في جامع البيان للطبري عن أنس بن مالك و أبي بن كعب قال: كنا نرى ان هذا الحديث من القرآن: «لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنّى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب حتى نزلت هذه السورة: «ألهاكم التكاثر، إلى آخرها» .

وفي الجامع لاحكام القرآن: فقد روى أن أبابكر لما نزلت هذه الآية: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: يا رسول الله أرأيت أكلتها أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن اليتهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسئل عنه؟ فقال ﷺ: ذلك للكفار ثم قرأ: «و هل يجازى إلا الكفور» .

قوله: «قد ذنب» محرّكة: أي بدافيه الإرباب .

وفيه: وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال الناس: يا رسول الله عن أي النعيم نسئل؟ فأنماهما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا، قال: إن ذلك سيكون . قوله: «الأسودان»: التمر والماء .

﴿ القِرَاءَةُ ﴾

قرأ ابن عباس «آلهامكم» بادخال الألف توبيخاً على لفظ الاستفهام، فلمّا التقت همزتان : همزة التوبيخ و همزة القطع لينوا الثانية كقوله تعالى : « آذرتهم » وقرأ الكسائي «ألهاكم» بهمزتين على الأصل نحو: «أأذرتهم» والباقون «ألهاكم» بغير همزة الإستفهام وقرأ ابن عامر «لترون» بضمّ التاء من الإراءة مبنياً للمفعول من أربته الشيء أي تحشرون إليها فترونها، وروى ذلك عن الإمام علي عليه السلام وقرأ الباقر بفتح التاء من الرؤية مبنياً للفاعل أي لترون الجحيم بأبصارهم على البعد، وأما «لترونها» فهي متفقة الفتح .

﴿ الوقف والوصل ﴾

«التكاثر لا» للغاية ، و«المقابر ط» لأنّ «كلّا» بمعنى حقّاً ، وقد يحمل على الردع عن التكاثر، و«تعلمون لا» للعطف التالي ، و«اليقين ط» لأنّ جواب «لو» محذوف ، وقوله : «لترون» جواب للقسم ، و«الجحيم لا» للعطف ، و«اليقين لا» للعطف أيضاً .

﴿اللغة﴾

٥٠- اللهو والالهاء - ١٣٨٧

لها الرجل بالشّيء يلهو لهواً - داويّ من باب نصر نحو : دعا - : لعب .
ولهابه : اولى به ، ولهت المرأة إلى حديث الرجل : انست به وأعجبها .
اللهو: تناول ما لا يجدى من الأعمال و هو بهذا المعنى مصدر ، لها يلهو :
تسلّى وشغل نفسه بما فيه لذتها أو بما لا يجدى من الأعمال .
قال الله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير
علم » لقمان : ٦ (لهو الحديث هو : الحديث غير المجدى أو الخيالي الذي لا يستند
إلى أساس واقعي أو هو كلّ ما شغلك عن عبادة الله تعالى و ذكره من السمر
والأضاحيك والأباطيل والخرافات والغناء ونحوه : « قل ما عند الله خير من اللهو
ومن التجارة » الجمعة : ١١) أي مما تلهون وتسلون من الأعراس وحفلات الطرب
و نحوها ...

اللهو : الشّيء الذي يتلذّذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي ، وقيل : اللهو :
الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة ، والمرأة الملهو بها ، ولهوة : إسم امرأة ،
واللهوة : ما يشغل به الرّحى مما يطرح فيه ، وسميت العطية لهوة تشبيهاً بها ،
واللهوة : المرأة واللهية - بالضم - : العطية أو أفضل العطايا وأجز لها .
اللهو بمعنى الإسمي : ما يلهو به المرء ويتسلّى من الأعمال غير المجدية كالغناء

والأساطير الوهمية ، واللهو : الطبل ، وقد يعبر عن كل ما به إستمتاع باللهو ، وقد يكتنى باللهو عن الجماع .

قال الله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » (الأنعام : ٣٢) أي وما الأعمال التي تتناولونها في هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو إذا قيست بأعمال الآخرة أو وما الحياة الدنيا نفسها إلا لعب ولهو إذا قيست بالآخرة .
ألهاه عن الشيء يلهي به إلهاءاً - من باب الافعال - : أشغله أو صرفه عنه ، وألهى الرجل : إذا اشتغل بسماع الغناء .

قال الله عز وجل : « ألهاكم التكاثر » (التكاثر : ١) أي أشغلكم التفاخر بكثرة أولادكم وأموالكم عن أداء ما عليكم من واجبات ، وعن الموت وما بعده .
لهي عن الشيء يلهي لها ، ولهيأ - نحو ضرباً - ولهيأ - بضم اللام وكسر الهاء وتشديد ألياء - ولهيأاً - بكسر اللام - يائي من باب علم نحو : رضي - : إنصرف و غفل فهو لاه وهي لاهية ، ولهي به : أحبه ، ولهي عنه : ترك ذكره و غفل عنه و أعرض عنه .

قال الله تعالى : « وهم يلعبون لاهية قلوبهم » (الأنبياء : ٣) متشغلة عما يدعون إليه ساهية مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره ، منصرفة عن الاعتراف بالحق .
وفي الحديث : « سئلت ربي ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم » قيل : هم البله الغافلون ، وقيل : الذين لم يتعمدوا الذنوب ، وإنما فرط منهم سهواً ونسياناً ، وقيل : هم الأطفال الذين لم يقترفوا ذنباً .
لاهاه ملاهاة : قاربه ، ولاها فلاناً : نازعه ، ولاها الشيء : داناه ، ولاها الغلام الفطام : دنا منه و قرب .

الملهي - بكسر الميم - : آلة اللهو جمعه : ملاه وآلات الملاهي : آلات الموسيقى ، واللاه - كالزهاء - : المقدار ، والملاهة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، جمعها لهوات

ولهيات ولهي - بكسر اللام و ضمها مع كسر الهاء - ولها ولهاء - بكسر اللام و فتحها .

وفي الحديث: « تحرّك الرجل لسانه في لهواته » هي بالتحريك جمع لهات كحصاة وهي سقف الفم ، والملهي: اللهو و زمانه وموضعه ، يقال: هذا ملهي القوم: موضع إقامتهم .

و في دعاء الخلوة: « الحمد لله الذي أخرج عني أذاه وأبقى في قوته يالها نعمة ، ثلاثاً ، وقيل: إن اللام في « يالها » نعمة للاختصاص دخلت هنا للمعجب ، والضمير يرجع إلى النعمة المذكورة سابقاً أو إلى ما دلّ عليه المقام من النعمة ، ونصب نعمة على التمييز نحو: « جاءني زيد فياله رجلاً » ولفظ « ثلاثاً » قيد لهذه الجملة الأخيرة أو لمجموع الدعاء .

تلهى عن الشيء يتلهى تلهياً: إنصرف أو شغل عنه .

قال الله تعالى: « فأنت عنه تلهى » عبس: ١٠) أي تلهى بمعنى تنصرف و تشغل بغيره ، حذفت منه إحدى التائين، وتلهى به: تروّح بالاقبال عليه ، وتلاهى بالملاهي تلاهياً: اشتغل بها وتلاعب .

في المفردات: اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمّه يقال: لهوت بكذا ولهيت عن كذا: إشتغلت عنه بلهو، ويقال: ألهاه كذا أي شغله عما هو أهمّ إليه ، قال تعالى: « ألهاكم التكاثر - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » وليس ذلك نهياً عن التجارة و كراهية لها ، بل هو نهى عن التهاوت فيها ، والإشتغال عن الصلوات والعبادات بها، ألا ترى إلى قوله: « ليشهدوا منافع لهم - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » وقوله: « لاهية قلوبهم » أي ساهية مشغلة بما لا يعينها . وفي اللسان: يلهو إزارها إلى الكفل، فلا يفارقه، والإنسان اللاهي إلى الشيء: إذا لم يفارقه ، ويقال: قد لاهى الشيء: إذا دانه وقاربه، فالهاء: الصرف إلى اللهو، واللهو: الإنصراف إلى ما تدعو إليه الإنسان هو، ولا يخفى في أن الإنصراف إلى

الشيء سبب للإعراض عن غيره و ضدّه .

المكاثرة بين الإثنين والأكثر في المال والأولاد والعدّة والعدّة وما إليها من العوارض سريعة الزوال ، فيقول كل واحد لصاحبه : أنا أكثر منك مالاً و ولداً وعدداً وعشيرة وما إليها فيتفاخر ويتباهى كل واحد على غيره .

٣٦ - الزور والزياره - ٦٥٣

زاره يزوره زوراً و زيارة و زوارة و زواراً و مزاراً - من باب نصر نحو : قال - : قصد و مال إليه ، و زار البعير : شدّه بالزيار .

قال الله تعالى : « حتّى زرتم المقابر » (التكاثر : ٢) أي إلى أن متمّ دفنتم في المقابر أو إلى أن تفاخرتم بأجدادكم المقبورين .

زور الشيء يزور زوراً - من باب علم نحو : خاف فانّ أصله خوف - : مال و زور الرجل والقرص : إعوجّ زوره أي صدره أو أشرف أحد جانبي زوره على الآخر .

الزور - بالضمّ - : الباطل والرأي و لذّة الطعام و طيبه و لين الثوب و نقائه والزور - بالضمّ - : العقل لغة في الزور - بالفتح - والكذب والشرك بالله سبحانه وأعياد اليهود والنصارى ، والرئيس ومجلس الغناء وما يعبدون من دون الله كالزور - بالنون - والقوّة ، يقال : ماله زور ولا يصيّر أي لا قوّة له ولا مرجع إليه ، والزور - بالضمّ - : التهمة والغناء والأقوال اللاغية واللاهية وقد تكرّر ذكر شهادة الزور في حديث وهي من الكبائر ...

فمنها قوله : « عدلت شهادة الزور والشرك بالله » و إنّما عادلته لقوله : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر » ثم قال بعدها : « والذين لا يشهدون الزور » . قال الله تعالى : « واجتنبوا قول الزور » (الحجّ : ٣٠) .

والزور - بالفتح - : مصدر و وسط الصدر ، وقيل : ما ارتفع منه إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت ، ومنه فرس عريض الزور ، ويسمى الصنم زوراً ليكون ذلك كذباً وميلاً عن الحق ، ويقال للكذوب : زور لأنه يميل عن الصدق والواقع والحق .

والزور - بالفتح - : العقل والسيّد والخيال يرى في النوم وقوة العزيمة ، والحجر الذي يظهر لحافر البئر فيعجز عن كسره فيدعه ظاهراً ، ويوم الزور من أيام حروب العرب ، و رجل زور : زائر .

والزور - معرّكة - : الميل .

الزارة : الجماعة الضخمة من الإبل والغنم والاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب ، و زاورة القطة - مفتوحة الواو - : ما حملت فيه الماء لفراخها ، والزارة : الجماعة من الناس ، والزارة : قرية كبيرة .

الزوار - بكسر الزاء - والزيار - بقلب الواو ياء - : كل شيء كان صلاحاً لشيء وعصمة ، وحبل يجعل بين التصدير والحقب ، جمعه : أزورة ، والزيار : خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس لينذل فيتمكّن من يبطرته .

الزير - بقلب الواو ياء - : الكتان والذن والعادة ، والذي يحبّ محادثة النساء لغير شرّ ، جمعه : أزوار بردّ الواو على الأصل ، يقال : فتية أزوار وزيرة و أزيار بابقاء الياء على الحال وهي زير أيضاً أو خاص بالرجال ، والدقيق من الأوتار وأحدّها ، والزيرة أيضاً : هيئة الزيادة يقال : زرته زيرة الحبّ وقطعة الكتان ، والزير - كسيّد - : الغضبان المقاطع لصاحبه ، والزير : ما استحكم قتله من الأوتار ، والزّر - على قلب الواو راء - لغة من الزور .

الزور - بكسر الزاء وفتح الواو وتشديد الراء - : السير الشديد ، والشديد مطلقاً ، والبعير المهيباً للأسفار والسيّد والرئيس والرأس ، وكل شيء يتخذ رباً ويعبد من دون الله تعالى .

الزوير : بفتح الزاء وكسر الواو - والزوير - بضم الزاء وفتح الواو مضعراً - : سيد القوم و زعيمهم ، و يوم الزوير - كيوم الزور - : يوم من أيام حروب العرب المشهورة .

الازور : من به زور، والأزور : المائل تقول : هوأزور عن مقام الذل ، و تقول : قوم عن مواقف الحق زور : فعلهم دياء وقولهم زور، والأزور: كلب إستدق جوشن صدره، والأزور: الناظر بمؤخر عينيه، والذي يقبل على شق إذا اشتد السير وإن لم يكن في صدره ميل .

المزار : الزيارة وموضعها ، وما يزار من أما كن الأولياء ، جمعه : مزارات، وزوار - ككفار - : الزائر وفي الحديث : «حق على الله أن يكرم زواره» أي زائريه أي قاصده ، وفي الدعاء : «اللهم اجعلني من زوارك» أي من القاصدين لك والمليتين إليك، وفي الحديث : «من فعل كذا فقد زار الله في عرشه» زيارة الله عز وجل زيارة أنبيائه وحججه عليهم السلام فمن زارهم فقد زار الله تعالى كما أن من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله ومن تابعهم فقد تابع الله تعالى ، وليس ذلك على ما تأوله المشبهة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والزيارة : قصد المزار إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به ، وتزاروا : زار بعضهم بعضاً .

الزوراء : بالفتح والمد - : مؤنث الأزور و البئر البعيدة القعر والقدرح و إناء من فضة والقوس تقول : رمى بالزوراء والزوراء : دجلة بغداد ، و الزوراء : مدينة بغداد أيضاً سميت بذلك لأن المنصور لما عمرها جعل أبوابها الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة البعيدة من الأراضي أي ليست على سمتها ، فمدينة الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي سميت زوراء لازوار قبلتها ، ومفازة زوراء : مائلة عن السميت والقصد ، وكلمة زوراء : دنية معوجة ، منادة زوراء : مائلة عن السميت ، فلاة زوراء : بعيدة ، والزوراء : موضع بالمدينة يقف المؤذنون على سطحه للنداء الثالث قبل خروج إمام الجمعة ليسعوا إلى ذكر الله ولا تفوتهم الخطبة،

و النداء الأول بعده عند صعوده للخطبة ، والثاني الإقامة بعد نزوله من المنبر ،
وهذا الأذان أمر به عثمان بن عفان ، وهذا بدعة من بدعه .
و الزوراء في شعر ابن أبي عقبة :

وشجر بالزوراء منهم لدى ضحى
ثمانون ألفاً مثل ما تنحر البدن
هو جبل بالري يقتل فيه ثمانون ألفاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة يقتلهم
أولاد العجم - كذا مروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وربما كان ذلك في
دولة القائم عليه السلام .

و الزوراء : دار بالحيرة بناها النعمان بن المنذر و ان أبا جعفر هدم
الزوراء بالحيرة في أيامه . و الزورة : المرأة و العبد و الناقة التي تنظر بمؤخر
عينها لشدةها .

و رجل زور : زائر . أزاره : حمله على الزيادة ، وأزار الشيء فلاناً : ساقه إليه
ومنه ، وأزور عنه أزويراداً : عدل عنه وانحرف .

زور فلان يزور تزويراً : زين الكذب والباطل ، وزور الشيء : حسنه و
قوته أي أزال زوره وزور الزائر : أكرمه ، و زور الشهادة : أبطلها ، و زورت
فلان معناه : إستضعف فغمز و غمرت شهادته فأسقطت ، و قيل : رحم الله امرأ
زور نفسه على نفسه أي قوتها وحسنها ، وزور الطائر : إمتلأت حوصلته .

المزور - إسم مفعول - من الإبل : الذي إذا سلّه المزمر من بطن أمه
إعوج صدره فيغمزه ليقيمه فيبقى فيه من غمزه أثر يعلم منه أنه مزور ، والمزورة -
إسم مفعول - من التزوير وهو الكذب أو الباطل .

تزور الشيء : زوره لنفسه ، و تزاور عنه يتزاور تزاوراً : مال وتنحى و
انحرف عنه .

قال الله عز وجل : « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين »
(الكهف : ١٧) أصلها : تتزاورو في الحديث : « تزاوروا تلاقوا و تذاكروا أمرنا

و احيوه، أي زوروا إخوانكم و يزورونكم و لاقوا إخوانكم و يلاقونكم،
 و هذا كروا فيما بينكم أمرنا وما نحن عليه و احيوه و لا تميتوه يعني تدرسونه .
في المفردات : الزور: أعلى الصدر و زرت فلاناً: تلقيته بزوري أو قصدت
 زوره نحو و جهته ، و رجل زائر و قوم زور نحو سافر و سفر و قد يقال: رجل
 زور فيكون مصدراً موصوفاً به نحو ضيف . و قيل لكذب : زور لكونه مائلاً
 عن جهته .

في المجمع: الزور: الكذب و الباطل و البهتة، و المزار - بفتح الميم - : مصدر
 أو موضع الزيارة ، و الزيارة في العرف : قصد المزور إكراماً و تعظيماً له
 و استيناساً به، و التزوير: تزوين الكذب .

وفي النهاية : و فيه « ان لزورك عليك حقاً » الزور : الزائر و هو في
 الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم و نوم بمعنى صائم و نائم ، و قد يكون
 الزور جمع زائر، و التزوير: إصلاح الشيء، و كلام مزور رأي محسن .

وفي اللسان:- الأزور : الذي ينظر بمؤخر عينيه ، و نافقة زورة : تنظر
 بمؤخر عينها لشدة حدةها ، و زور القوم - بفتح الزاء فسكون الواو - :
 رئيسهم و سيدهم ، و الزور: العزيمة ، و ليس لهم زورأي ليس لهم قوة و لا رأي .

٣ - القبر - ١١٥٩

قبر الميت يقبره قبراً - من باب نصر و ضرب : دفنه .

القبر - مصدر - : مقر الميت و مدفنه ، جمعه : القبور .

قال الله عز وجل : « و لا تقم على قبره » التوبة : (٨٤)

و قال ، « و أن الله يبعث من في القبور » الحج : (٧)

و المقبر - كمسكن - : موضع القبور تقول : هذا مقبر فلان .

والمقبرة - مثلثة الباء - : موضع القبور كقوله : « لكل اناس مقبر بفنائهم »
وجمع المقبرة : مقابر .

قال الله تعالى : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » التكاثر : ٢) زيارة
المقابر : كناية عن الموت . و المقبرى - بفتح الباء و ضمها - : نسبة إلى
المقبرة .

وفى الحديث : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر » أي لا تجعلوها لكم كالقبور فلا
تصلّوا فيها لأنّ العبد إذا مات وصار في قبره لم يصلّ ، ويشهد له قوله : « إجعلوا
من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً » .

والقبور - كصبور - : الأرض الغامضة والنخلة السريعة الحمل ، وقيل : التي
يكون حملها في سعتها .

القبر - بالكسر - : موضع متآكل في عود الطيب ، والقبر - كصرد : غيب
أبيض ، طويل جيّد الزيب ، والقبرى - بالقصر : العظيم الأنف ، وقيل : الأنف
نفسه ، تقول : رفع قبراه : إذا تكبّر ، والقبرة - بكسر القاف و الباء - : طرف
الأنف ، ورأس القنفاء تصغيره : قبيرة .

أقبره : أمر أن يقبر أو جعله ذا قبر و أقبره : جعل قبراً يوارى فيه و يدفن
فيه ، و أقبر : إذا أمر إنساناً بحفر قبر سيد فن فيه الميت ، و أقبرته : أمرت
بأن يقبر .

قال الله عزّ وجلّ : « ثم أماته فأقبره » عبس : ٢١) أي جعله مقبوراً ممن يقبر
ولم يجعله ممّناً يلقى للطير والسباع والكلاب ، ولا ممن يلقى في النواويس ، كان
القبر مما أكرم به المسلم ، ولم يقل : فقبره لأنّ القابر هو الدافن بيده ، والمقبر هو
الله تعالى لأنّه صيّره ذا قبر وليس فعله كفعل الآدمي .

والاقبار : أن يهتّى له قبراً أو ينزل له منزله .

المقبور « ولد مقبوراً » وقال ابن عباس في الدجال « ولد مقبوراً » قيل : معناه :

ان أمه و ضعته في جلد مضمته لاشق فيها و لانتقب ، فقالت : قابلته هذه سلعة ليس فيها ولد فقالت أمه : بل فيها ولد و هو مقبور فيها فشقوا عنه فاستهل .

القبّار - كشداً - : قوم يجتمعون لجر ما في الشباك من الصيد .
والقبر - وقد يخفف - : نوع من العصافير ، الواحدة : قبرة .
و في الحديث : « القبرة كثيرة التسييح لله و تسييحها لله : لعن الله مبغضي آل محمد ﷺ » .

١٧ - اليقين - ١٧٢٩

يقن الأمر يقن يقناً - بسكون القاف و فتحها - من باب علم - : و ضح و ثبت .

الوصف : يقين ، ويقال اليقين للعلم الذي انتفت عنه الشكوك والشبه ويقال خبر يقين : لاشك فيه .

قال الله تعالى : « وجئتكم من سباء ببناء يقين » النمل : (٢٢)

و اليقين من صفة العلم فوق المعرفة و الدراية و أخواتها ، يقال : علم يقين ، ولا يقال : معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، قال الله تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين - ثم لترنثها عين اليقين » التكاثر : (٥-٧) .

و قال : « ان هذا لهو حق اليقين » الواقعة : (٩٥)

و قد أضاف العلم والعين والحق إلى اليقين ، وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه لأن كل واحد من الثلاثة غير اليقين ، وإنما هو خالصه وأصله ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل .

ويقال: اليقين للموت لأنه لا يمتري فيه أحد. قال الله تعالى: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (الحجر: ٩٩) بناء على تفسير اليقين بالموت، سمى باليقين لتيقن لحاقه لكل مخلوق حي، سمى به حقيقة كما عليه الأكثر ومجازاً كما عليه الآخرون من تسمية الشيء بما يتعلق به.

اليقين: العلم وإزاحة الريب وتحقيق الأمر، واليقين: نقيض الشك، والعلم: نقيض الجهل.

وفي الحديث: «لم يقسم بين الناس أقل من اليقين» وقد فسر بالتوكل على الله تعالى والتسليم لله والرضا بقضائه والتفويض إليه.

وفي الاصطلاح: اليقين: إعتقاد الشيء بأنه كذا مع إعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال، والقيد الأول جنس يشمل الظن والثاني يخرج، والثالث يخرج الجهل المركب، والرابع يخرج إعتقاد المقلد المصيب وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان. وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

وقوله عز وجل: «وما قتلوه يقيناً» (النساء: ١٥٧) أي ما قتلوه قتلاً يتيقنونه بل إنما حكموا تخميناً ووهماً.

رجل ذوقن - بفتح الياء والقاف -: لا يسمع شيئاً إلا أيقن به كالآذن - بضم. الألف والذال -

أيقن الأمر وأيقن به: علمه وتحققه علماً وتحقيقاً لا شك فيه، والوصف: موقن، والايقان عند الإطلاق هو الايقان بما يجب الإيمان به في الدين.

إستيقن الأمر واستيقن به: أيقنه وعلمه، والوصف: مستيقن، قال الله تعالى: «إن نحن إلا ظننا وما نحن بمستيقنين» (البقرة: ٣٢).

١٢- الجحيم - ٢٣٠

جحمت النار تجحجج جحوماً - من باب كرم - : عظمت وتأججت .
 وجحمت النار تجحجج وجحماً - بفتح الجيم وسكونها - وجحوماً - من باب
 علم ومنع - : اضطربت وكثر جمرها وتوقدها، وجحمت النار أجحماً جحماً :
 أجبجتها، وجحمت النار: أوقدها، وجحمت العين: فتحها، والجاحمة : العين الشاحصة ،
 ونار جاحمة: شديدة الحر، والأجحمت الشديد: حمرة العينين مع سعتهما، مؤنثه:
 جحماء وجمعه جحجج - بضم الجيم، وجحجج - بضم - بفتح - : طائر والجحام :
 داء يأخذ الكلب في رأسه فيكوى منه ما بين عينيه، وقد يصيب الانسان فترم عيناه
 وجحمت الأسد عيناه لتوقدهما.

الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال، والجاحم من الحرب: معظمها وشدة القتل
 في معركتها، يقال: «إصطلى فلان بجاحم الحرب وذاق جاحم الحرب فبرء» أي
 فتر وسكنت حفيظته.

الجحيم: إسم من أسماء جهنم من باب إطلاق الوصف على الموصوف مباغة
 وأصله: ما اشتد لهبه من النيران .

قال الله تعالى: «لترن الجحيم» (التكاثر: ٦) والجحيم: النار الشديدة التأجج،
 وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم والمكان الشديد الحر .

والجحمة: كل نار بعضها فوق بعض، والجحمة: شدة تأجج النار ويقال
 للنار: جاحم أي توقد وإلتهاج، وعين جاحمة: شاحصة.

وجحمته بعينيه تجحججاً: أحد إليه النظر وأججم عنه: كف عنه، وأججم
 الرجل: دنا أن يهلكه، وتجحمت: احترق حرصاً وبخلاً، والمكان والقلب: تضايق
 من جحمت وجهه من شدة الغضب، إستعارة من جحمة النار وذلك من نوران حرارة

القلب، والجحيم - بضمتين -: القليل والحياء يقال: قول جحيم وهو جمع أجحيم.

٤٢- النعمة والنعيم - ١٥٣٧

نعم الرجل ينعم نعمة ومنعماً - من باب نصر ومنع -: رفه فهو ناعم وهي ناعمة: كان في رفاهية من العيش وترف ولذاعة وحياة فتمتع بذلك وقرت عينه، ونعم عيش الرجل: طاب ولان واتسع.

ونعم العود ينعم نعمةً - محرّكة - من باب علم -: إخضر ونضر.

ونعم ينعم نعمة - من باب حسب - وهو شاذ، يقال: «هذا منزل ينعمهم بتثليث العين» أي كثير النعمة موافق، يقال: نعمت بهذا عيناً: سررت وفرحت وعيناً منصوب على التمييز من ضمير الفاعل، ولما كثر إستعماله لهذا المعنى صار متلأفي الرضا حتى قيل: نعم الله بك عيناً، ونعمك أي أقر بك عين من تحبه أو أقر عينك بمن تحبه.

ونعم ينعم نعمومة - من باب كرم -: لان ملمسه فهو ناعم وهي ناعمة، كان ليّن العيش ناضراً، ويقال من هذا: وجه ناعم أي ناضر ذو بهجة ورواء. قال الله عز وجل: «وجوه يومئذ ناعمة» الفاشية: (٨) أي منعمة في أنواع اللذات ظاهر عليها آثار النعم والسرور مضيئة مشرقة.

الناعم: النبت المستقيم المستوى، والثوب اللين الملمس، وعيش ناعم: ذونعمة وطراثة والناعمة: مؤنث الناعم، والناعمة: الروضة، وجارية ناعمة: حسنة العيش والغذاء.

وفي حديث الميّت مع الملائكة في القبر: «نم نومة الشاب الناعم» قيل: هو من النعمة - بالكسر - وهو ما يتنعم به الإنسان من المال ونحوه أو بالفتح وهي

النفس المتنعمة، وفي الحديث : «انها لطير ناعمة» أي سمان مترفة، وثوب ناعم : لين، ومنه قول بعض الوصاف : «عليهم الثياب الناعمة»

النعمة: الخير الذي يصل إلى المرء في دينه أو دنياه من القوى الظاهرة المتصلة والمنفصلة والقوى الباطنة، فالمال والجاه والايمان والدين والقرآن والطاعة و التوفيق لعمل الصالح والعلم والحكمة والولاية الحقّة العلوية والأولاد والسمع والبصر والبيان... كلها نعمة إلهية.

قال الله تعالى: «ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جائته، البقرة: ٢١١) أي الدين والإسلام والنبوة والدعوة المحمدية ﷺ.

وفي الحديث قال الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنافاز من فاز»

يقال: فلان واسع النعمة: واسع المال، قال الله تعالى: «ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل» الزمر: ٨)

والنعمة: اليد والصنيعة والمنّة، وما أنعم الله به عليك، وقد يراد بالنعمة الجنس فتوضع موضع النعم، وقد توضع النعمة موضع الأنعام، فتكون إسم مصدر من أنعم.

قال الله تعالى: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» إبراهيم: ٣٤) النعمة هنا في معنى الجمع.

وقال: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» القلم: ٢) النعمة هنا بمعنى الأنعام. وجمع النعمة: نعم وأنعم ونعمات - بكسر النون وسكون العين وفتحها و كسرهما - . قال الله تعالى: «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠) وقال: «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف» النحل: ١١٢) أنعم: أفضل وزاد وأنعم القوم: أتاهم متنعماً على قدميه حافياً على غير دابة، و أنعم صديقه: شيعه حافياً خطوات، وأنعم في الأمر: بالغ كأمعن، يقال: إذا أعملت

عملاً فأنعمه : فأجده ، وأنعم النظر في كذا : حقق النظر وبالح فيه ، ويقال : دقت الدواء وأنعمت : بالغت وزدت فيه ، وأنعم عليه : أوصل إليه خيراً وأحسن إليه أو دفع عنه ضرراً أو عفى عنه فلم يصبه بسوء ، وإنما يكون الأنعام على ذوي العقول ، فلا تقول : أنعمت على الفرس ، وتقول : أنعم عليه بخير وأنعم عليه نعمة جليلة ، ولن أنسي نعمتك التي أنعمتها عليّ .

قال الله تعالى : «صراط الذين أنعمت عليهم» الفاتحة : (٧)
أنعم الله النعمة عليه ، وأنعمه بالنعمة : أحسن وأوصلها إليه ، وأنعم الله صباحك : جعله ذانعومة ولين وطراثة ، وعم صباحاً ومساءً - بحذف الهمزة والنون تخفيفاً لكثرة الاستعمال - : كلمة تحية أي صباحك ومساءك فاعمين ، وهذا منزل ينعم أي كثير الخير موافق للطبع .

و النعمة - بالفتح - : المرة ، وإسم من التمتع والتمتع ونعمة العيش : جنسه وغضارته .

النعيم : كل ما يتلذذ به و يتنعم من مطعم ومفرش و مركب وأمن وصحة وغير ذلك ، وقد فسّر النعيم بالنعيم الكثيرة كما فسّر بلين العيش ورغده ، وقد يأتي بمعنى التلذذ بالنعيم والتمتع بها ، وكثيراً ما اضيفت الجنة والجنات إلى النعيم .

قال الله تعالى : «فروح وريحان وجنة نعيم» الواقعة : (٨٩) .

وقال : «ولأدخلناهم جنات النعيم» المائدة : (٦٥) .

وقال : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» التكاثر : (٨) أي تسئلون يوم القيامة عن

كل ما استمتعتم به في الدنيا .

النعيم : الخفض والدعة والمال ، يقال : رجل نعيم البال : هاديء البال مرتاحه ،

نعيم الله تعالى : عطيته .

النعيم - بالتحريك وسكون العين - في أصل وضعها : الإبل ، سميت بذلك

لنعومة مشيها ولينه أولاتها عند العرب أجل النعم، وقد يتوسّع في النعم، فيقال للابل والبقر والغنم إذا أريد جماعة الأصناف الثلاثة، فيقال: تجب الزكاة في النعم، ولا يقال للبقر وحدها ولا للغنم وحدها: نعم، وجمعه: نعمان وأنعام، فالأنعام في الأصل: الابل، ويقال للثلاثة: الأنعام توسعاً، وقد ورد النعم والأنعام في القرآن الكريم مراداً بهما الابل والبقر والغنم.

قال الله تعالى: «ومن قتلته منكم متعمداً فجزأؤه مثل ما قتل من النعم»
(المائدة: ٩٥).

وقال: «والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام»
آل عمران: (١٤) وجمع الجمع: أناعيم.

وان النعم - بالفتح فسكون - لغة في النعم - محركة.

النعم - بضم النون وسكون العين -: خلاف البؤس تقول: يوم نعم ويوم بؤس، جمعه: أنعم وأبؤس، والنعم - بالضم والسكون -: إسم امرأة.

نعم - بكسر النون وسكون العين وفتح الميم -: فعل لإنشاء المدح، غير متصرف بازاء بش للذم تقول: نعم الفتى عليّ، وتقول: نعم ما تقول ونعماً تقول وأصل نعماً: نعم ما تقول فحرّكت العين بالكسرة إتباعاً لحركة النون قبلها وادغم الميمان وجرى الوصل في الكتابة، وتقول: نعم ما هو ونعم ما هي وعلى طريقة الادغام تقول: نعماً هو ونعماً هي.

قال الله عز وجل: «ونعم أجر العاملين» آل عمران: (١٣٦).

وقال: «نعماً يعظكم به» النساء: (٥٨) أي نعم شيئاً يعظم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به.

وقال: «إن تبدوا الصدقات فنعماً هي» البقرة: (٢٧١) أي نعم شيئاً، وهي يأتي للتأنيث، فيقال: نعمت المرأة صدقة، ولا يأتي مثنى وجمعاً إلا قليلاً، فيقال: نعموا ونعموا ونعمنا ونعمنا.

وفي الحديث: «من توضع يوم الجمعة فيها ونعمت» وإن قلت: إن فعلت كذا فيها ونعمت أي نعمت الخصلة أو الفعلة هي، فحذف المخصوص بالمدح ومنه الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»

نعم - محرّكة -: حرف جواب وهي لايات ما وقعت جواباً له وتقريبه في الايات والنفي، تقول: أحضر زيد؟ فإذا اجيب بنعم كان المعنى أنه حضر وإذا قيل؟ ألم يحضر زيد؟ فاجيب بنعم كان المعنى: أنه لم يحضر. ونعم معناه التصديق أن وقع بعد الماضي نحو: هل قام والوعد إن وقع بعد المستقبل نحو: هل تقول. وقال سيويه: نعم عدة في الاستفهام وتصديق للأخبار.

قال الله عز وجل: «فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم» الأعراف: (٤٤) و نعم - بالفتح - لغة في نعم، ويقال في نعم و بفتح النون وكسر العين وكسرها أيضاً.

النعماء - بالفتح -: النعمة واليد البيضاء الصالحة، جمعها: أنعم كبأساء و أبوس، والنعماء بازاء الضراء.

قال الله تعالى: «ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني» هود: (١٠).

فيل: النعماء - بالفتح والمد -: النعم الباطنة، والآلاء هي: النعم الظاهرة.
رجل منعم - بكسر الميم -: مفضل، وكلام منعم: لين، والمنعم - بالكسر -: المكنسة، والمنعم - إسم فاعل -: مولى النعمة ومولى العتاقة، والمنعم عليه - إسم مفعول -: الكثير المال والحسن الحال.

النعام - بفتح النون -: المفازة، والنعام الصادر أربعة كواكب، والنعام الوارد أربعة كواكب أخرى وهي من منازل القمر والنعائم أيضاً: منزل من منازل القمر صورته كالنعامة وهي ثمانية كأنها سرير معوج.

ونعام عين - بالثلاث - والنصب باضمار الفعل أي إفعل ذلك إنعاماً لعينك

و إكراماً وما أشبهه، و نعمة عين - بالضم - : قرّة عين يعني أقرّ عينك بطاعتك و إتباع أمرك ، يقال: جاء فلان كالنعامة : رجع خائباً خاسراً ، ما أنت إلا نعمة يقال لمن يكثر عله عليك : أنت كصاحبة النعامة: مثل يضرب في المزريّة على من يشق بغير الثقة لأنّها وجدت نعمة قد غصّت بصعور و أي بصمعة فأخذتها فربطتها بخمارها إلى شجرة ثم دنت من الحيّ فهتف من كان يحفّنا و يرفّنا ، فليترك و قوّضت بيتها لتجمل على النعامة، فانتهت إليها ، و أساءت غصّتها و افلّنت، فبقيت المرأة لاصيدها احرزت و لا يصيبها من الحيّ حفظت.

النعامي - بالضم - : ربح الجنوب الناعمة الهبوب لأنّها أبلّ الرياح و أرطبها، جمعها: نعائم، و نعامي عين كنعام عين.

والنعمي - بالضم - : الحفض والدعة و المال و اليد البيضاء الصالحة، و النعمي: نفيض البؤسى.

ابن النعامة : عظم الساق و قيل: صدرها، و الساقى على البئر، و قيل: الطريق و الفرس .

النعمان - بالضم - : إسم من أسماء الدم و لقب كلّ من ملك الحيرة، و نعمان بن المنذر: ملك العرب نسبت إليه شقائق لأنّه حماء و - بالفتح - : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، و شقائق النعمان: نبات أحمر يشبه بالدم.

النعامة - كسحابة - : حيوان مر كّب من خلقه الطير و الجمل أخذ من الجمل العنق و الوظيف و المنسم ، و من الطير الجناح و المنقار و الريش يقال بالفارسيّة : « شتر مرغ » و يقال لها : أمّ البيض و أمّ الثلاثين ، و يقال : أصمّ من نعمة لأنّها لا تلوّى على شيء إذا جفّلت و لكن له شمّ بليغ و لذلك يقال : فلان أشمّ من نعمة ، و هي تذكّر و تؤنّث جمعها : نعام و نعامات و نعائم كلّها بفتح النون .

والنعامة : أشدّ الأشياء نفاراً و لهذا قيل للرجل إذا فزع من شيء و ادّخل

أومات: نفرت نعماته ويقال للمنهزمين: اضحوا نعماً، ويقال: فلان ركب جناحي النعامة: جدّ في أمره ويقال للفرس: له ساقاً نعامة يقصر ساقيه، وله جؤجؤ نعامة لارتفاع جؤجؤها .

والنعامة: الخشبة المعترضة على الزرنوقين، والنعامة: القدم وقيل: باطنها، والنعامة: الرجل وقيل: ما تحته، وكلّ بناء على الجبل كالظلّة، ومن الفرس: دماغه أوفمه، والطريق و النفس و الفرح و السرور والإكرام والفيج المستعجل، والنعامة: صخرة ناشرة في البئر والظلمة والجهل والعلم المرفوع، والجلدة تغشى الدماغ وجماعة القوم والمحبّة الواضحة، وشالت نعماتهم: تفرقت كلمتهم وذهب عزّهم و درست طريقتهم، ويقال: سكنت نعماته: جهله، ويقال للانسان ضعيف العقل: انه لخفيف النعامة، والنعامة: خطّ في باطن الرجل. نعمه: جعله في سعة عيش وترف ورفاهية، يقال: نعم أو لاده و نعمه: رفّهه .

قال الله تعالى: «فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن، الفجر: ١٥).

نعمه تنعيماً فتنعم: جعله في نعمة أي لين عيش وخصب.

التنعيم: شجرة ناعمة الورق، ورقها كورق السلق ولا تنبت إلا على ماء لا

ثمر لها وهي خضراء غليظة.

التنعيم: موضع قريب من مكة وهو أقرب إلى أطراف الحلّ إلى مكة

ويقال: بينه وبين مكة أربعة أميال ويعرف بمسجد عائشة.

ناعم الرجل مناعمة: ترفّه، وفلاناً رفّهه، وناعم حبله وغيره: أحكمه.

تنعم الرجل: تناول ما فيه النعمة، وطيب العيش كترّفه وتمنّع ومشى حافياً

وتنعم فلاناً بالمكان: طلبه فيه، وتنعم الدابة: ألحّ عليها سوقاً دائماً، وتنعم

قدميه: ابتذلها.

في المفردات : النعمة : الحالة الحسنة و بناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الانسان كالجلسة و الركبة ، و النعمة - بالفتح - : التمتع و بناؤها بناء المرأة من الفعل كالضربة و الشتمة ، و النعمة للمجنس يقال للقليل و الكثير .

والأنعام: ايصال الاحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين فإنه لا يقال: أنعم فلان على فرسه.

وفي اللسان : النعمة - بكسر النون - : إسم من أنعم الله عليه ينعم بإنعاماً و نعمة اقيم الاسم مقام الانعام .



* النحوي *

١- (ألهاكم التكاثر)

«ألهي» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و«كم» ضمير وصل لخطاب الجمع المذكر في موضع نصب، مفعول به، و«التكاثر» مصدر من باب التفاعل، فاعل الفعل.

٢- (حتى زرتهم المقابر)

«حتى» حرف غاية، ينصب المضارع باضممار «أن» ويخفض الأسماء باضممار «إلى» و«زرتهم» فعل ماضٍ لخطاب الجمع المذكر نحو: «قلتم» أجوف واوي و«المقابر» صيغة منتهى الجموع، جمع المقبرة - بفتح الباء وضمها - والتاء فيه غير قياس، والقبور: جمع القبر، و«المقابر» نصب على المفعولية.

٣- (كلاسوف تعلمون)

«كلا» حرف ردع وزجر وليس باسم، وتضمنه معنى إرتدع لا يدل على أنه كصه بمعنى اسكت، ومه بمعنى اكفف ألا ترى أن «أما» تتضمن معنى مهما يكن من شيء وهو حرف فكذلك «كلا» فيكون حرفاً.

قال أبو علي: لو كان «كلا» إسمًا لتعاقب عليه التعريف والتنكير كما يتعاقب على (صه ومه) وقال ابن أبي حاتم: «كلا» بمعنى «إلا» وقال الفراء بمعنى «حقاً». و«سوف» حرف تنفيس للوعيد والتهديد في المقام و«تعلمون» فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر.

٤- (ثم كلاسوف تعلمون)

«ثم» حرف عطف، و«كلاسوف تعلمون» عطف على الجملة السابقة، و«كلا»

بديل من الأول، وإنما تكرر زلنا كيد الوعيد والتهديد نظير قوله تعالى: «ويل يومئذ للمكذبين»، مكرر رأفي سورة المرسلات على قول، ولكن التحقيق عندي هو المغايرة في المعطف.

٥- (كلالو تعلمون علم اليقين)

«كلال» فيه هنا وجهان: أحدهما - أنه حرف ردع وزجر كما لسابق فتأ كيد لما تقدم ثانيهما - أنه بمعنى «حقاً» و«لو» حرف إمتناع يمتنع به الشيء لإمتناع غيره وجوابه محذوف لأن قوله تعالى: «لتسئلن» أمر واقع قطعاً، فلو كان «لترون» جواباً للشرط لكانت الرؤية محققة الوقوع أمراً مشكوكاً فيه حيث إن جواب «لو» الإمتناعية لا يتحقق، فيلزم المخالفة بين المعطوفات أو الشك فيما هو واقع قطعاً وكلاهما غير سديد.

وفي تقدير الجواب وجوه: أحدها - عن الأخفش أنه قال: أي لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر. ثانيها - عن أبي مسلم أنه قال: لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لأجله لاشتغلتم به. ثالثها - قيل: أي لو علمتم لرجعتم عن كفركم. رابعها - عن أهل البيان: إن الأولى تقدير ما هو عام في كل شيء وهو لعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه كنهه ولكنكم ضلال جهلة. خامسها - أن الجواب هو قوله تعالى: «لترون» وهو الصواب سيأتي وجهه في البحث البياني فانتظر. «علم» مصدر، نصب على المصدرية أي لو تعلمون ذلك علماً يقيناً حقاً لا شك فيه، اضيف إلى «اليقين» من إضافة الموصوف إلى الصفة نحو: «ولدار الآخرة خير للذين اتقوا» يوسف: ١٠٩) فالمعنى: علماً يقيناً، وإضافة العلم إلى بعض أنواعه جائزة نحو: علم الطب وعلم الدين وعلم الحساب. وقال الأخفش «علم» منصوب بنزع الخافض على حذف واو القسم والأصل: وعلم اليقين، فلما حذف الواو نصبت كقوله تعالى: «وحب» الحصيد، ق: ٩).

٦- (لترون الجحيم)

اللام لام تو كيد، والنون المشددة نون تأ كيد، وأصل «ترو» : ترأبون

فحذفت الهمزة من ترى في المستقبل تخفيفاً ونقلت حركتها إلى الراء فبقى تريبون، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت ترون، فاجتمعت الألف والواو وهما ساكنان، فحذفت الألف للتقاء الساكنين، وكان حذف الألف أولى من الواو لأن الألف لم تدخل لمعنى، وكان حذفها بخلاف الواو لأنها علامة الجمع التي لا تحذف، فلمّا حذفت الألف بقي ترون، ثم ادخلت عليه نون التوكيد بعد حذف نون الإعراب للبناء لأن نون التوكيد إذا دخلت على الفعل أكدت فيه الفعلية، فردته إلى أصله من البناء.

فلمّا حذفت نون الإعراب بقيت الواو ساكنة، والنون الأولى من النون المشددة للتأكيد ساكنة لأن الحرف المشدّد بحرّين: الأول ساكن والثاني متحرك، فوجب تحريك الواو للتقاء الساكنين، وإثما وجب حرّكتها ودون حذفها لأن قبلها فتحة فلا يكون في اللفظ دلالة على حذفها بخلاف ما إذا كان قبلها ضمة، فانها تحذف لدلالة الضمة عليها، فوجب هيئتها تحريكها وكان تحريكها بالضم أولى لأنه من جنسها ولهذا ضمّوها في قوله تعالى: «اولئك الذين اشتروا الضلالة» البقرة: ١٦

ولم تقلب الواو همزة لأنها ضمة عارضة غير لازمة، وإثما تقلب الواو همزة إذا كانت ضممتها لازمة غير عارضة، فصار «لترون» ومنهم من يقلبها همزة يجريها مجرى الضمة اللازمة وليس بقوى في القياس ووزن «لترون» «لتفون» لذهاب العين واللام.

«الجحيم» مفعول به على تقدير المضاف أي عذاب الجحيم لأن الوعيد برؤية العذاب لا برؤيتها لأن المؤمنين أيضاً يرونها قال الله تعالى: «وإن منكم إلا وادها» مريم: ٧١ بناء على عموم الخطاب للسامعين أجمعين.

٨- (ثم لترونها علم اليقين)

«ثم» حرف عطف و«لترونها» عطف على «لترون» وضمير التأنيث راجع إلى «الجحيم» و«عين اليقين» مصدر على المعنى لأن رأى وعين بمعنى واحد، منصوب

على التأكيد كقولك : رأيت زيد أعينه نفسه والمعنى : لتعاينتها عياناً يقيناً .

٨- (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم)

«ثم» حرف عطف، واللام في «لتستلن» للتأكيد ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبني للمفعول، مؤكّد بنون التأكيد، والأصل: لتسألون فسقطت الواو لسكونها وسكون النون .

«يومئذ» منصوب على الظرفية، و«يوم» اضيف إلى «إذ» ولما كانت المعروف لا يضاف إليها جعلوا لإذ مزية على غيرها فنوّها. و«عن النعيم» متعلق به «لتستلن».



﴿البیان﴾

١- (ألهاكم التكاثر)

تنديد شديد بالمستغرقين في متاع الحياة الدنيا وزخارفها بما هم فيه من المباراة في الاستكثار من الأموال والأولاد والتفاخر بالعدة والعدة، والتباهي بكثرة الأنصار والتفاخر بازدياد الثروة والتسابق في ميدان الجاه والمقام إستغرافاً يمنعهم من التفكير في الموت وما بعده بحيث لا ينتهون عما هم فيه إلا إذا جاءهم الموت فاذا ماتوا انتبهوا. ولا يخفى على الأديب الأريب: أن خطابات السورة وإن كانت موجهة إلى المخاطبين، ولكنها لا تحتوي الإشارة إلى موقف معين، فتكون عامة العرض والتوجيه إلى كل من تلهيه أمواله وأولاده وعدته وعدته وجاهه ومقامه فيرى نفسه مخلصاً في هذه الأرض ويتبع هواه ويستغرق في شهواته فلا يستيقن لها حساباً وجزاء ...

وان هذه السورة تحتوي تلقيناً جليلاً مستمرى المدى ومتسقاً مع التلقينات التي إحتوتها السور السابقة المماثلة وهو وجوب تنبه الناس إلى واجباتهم نحو الله تعالى ونحو الناس في الحياة الدنيا، وعدم الإندفاع في الاستكثار ومن الإستغراق في النعيم، وجعل شهوات الحياة ونعيمها قصارى الهم والمطلب.

وقد حذف الملهى عنه مبالغة في الإلهاء بأنه ألهاهم عن كل خير وصلاح. فروح الآيات الكريمة تلهم أن التنديد والتنبيه موجّهان إلى كل من تلهيه الأموال والأولاد والشهوات وما إليها من العوارض الزائلة عن واجباته نحو الله

عز وجل ونحو الناس ، ويستغرق في ذلك إستغراقاً يملك عليه تفكيره ويعمى بصيرته ويجعله لا يحسب للعواقب حساباً، ويوهمه بأنه في أمن دائم وليس ورائه نار وعذاب، لا إلى أصحاب الأموال والأولاد والمتنعمين إطلاقاً، وخاصة الذين يؤدون حق الله تعالى بالإيمان والطاعة والشكر وحق الناس بالبر والإحسان، وحق النفس بالتقوى والاعتدال...

ويشير إلى ذلك قوله عز وجل: «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (الاعراف: ٣١-٣٣)
٢- (حتى زرتهم المقابر)

زيارة القبور كناية عن الموت، وهو غاية الهاء على أن الغفلة عما وراء ما يرزق به بسبب الإلهاء عمتهم مدى حياتهم، وفي إثارة الماضي تعجب من حالهم: انهم زاروا القبور في معرض المفارقة والإستغراق في حب ما لا طائل تحته من التباهي بالكثرة والتباري فيها مع أن زيارة القبور مظنة ترفيق القلب وإزالة القسادة.
 ومن المحتمل أن تكون زيارة المقابر كناية عن ذكر الموتى، ففي التعبير عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكم بهم على أنكم تكاثرتهم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التفاخر والتفاخر والتكاثر والأموال،...

٣- (كلا سوف تعلمون)

ردع عن الإشتغال بالتكاثر في الأموال والأولاد، وزجر عن التفاخر بالمقام والجاه وما إليها مما لا يهتمهم عما يعنيههم أوبهاو بالعظام البالية، وتنبيه على وخامة عاقبتها وتخطئة لهم على ما هم عليه وتهديد ووعد شديد عليهم ببيعة تلهمهم هذا ومعرفتهم بها إذا انقطعت عنهم الحياة الدنيا، وتبصير لهم أيضاً بأنهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنهم مخطئون في تلهمهم.

٤- (ثم كلا سوف تعلمون)

في التراخي إيماء باستقلال الردع والزجر والتهديد والتوبيخ، وبتعدد الموقف،

وقيل: أريد بالأول علمهم بها عند الموت، وبالثاني علمهم بها عند الحشر وقيل: تأكيد بعد تأكيد.

٥- (كلا لو تعلمون علم اليقين)

ردع بعد ردع وزجر بعد زجر وتوبيخ بعد توبيخ، وتهديد بعد تهديد لتعدّد المواقف، و«لو» حرف شرط تسدلّ على إمتناع الجواب لإمتناع الشرط، وذلك محقق في الماضي لأنّ الشرط لم يقع فامتنع لذلك وقوع الجواب، وأمّا إذا جاء الشرط والجواب مضارعين كان الحكم معلّقاً، فقد يقع الشرط فيقع الجواب تبعاً، وقد لا يقع الشرط فلا يقع الجواب، نقول: لو جاء الضيف لأكرمته، وهذا يعني أنّ الضيف لم يجيء وبالتالي لم يقع إكرامه، ونقول: لو يجيء الضيف لأكرمته، فالضيف لم يجيء بعد وقد يجيء فإذا جاء لم يكن بدّ من إكرامه، وتوكيد جواب «لو» هنا «لترون» واجب لتحقيق وقوعه مستقبلاً لأنّه حلّ محلّ فعل غلب أن يكون ممتنعاً وقوعه وهو جواب «لو» الماضي الذي يجيء فعلاً ماضياً، فلزم توكيد الجواب هنا ليقطع كلّ احتمال لإمتناع وقوعه.

وقد نفى عنهم اليقين مع الإخبار بحصوله بعد، قال الله تعالى: «وكنّا نكذب بيوم الدين حتّى أتاانا اليقين» المدثر: ٤٦-٤٧

٦- (لترون الجحيم)

جواب «لو» على التحقيق، وهذا وعيد آخر، وتقرير لما ينتهي إليه إلهاهم التكاثر في متاع الدنيا وشهواتها من عذاب الآخرة بعد خزي الدنيا وذلتها، وقد علّقت الرؤية على علم اليقين، وهو يحصل بالموت لمن لم يحصل من قبل بكشف الغطاء، فانهم إذا ماتوا إنتهبوا قال الله عزّ وجلّ: «وجاءت سكرة الموت بالحق - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ١٩-٢٢

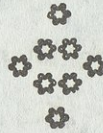
٧- (ثم لترونها عين اليقين)

في التراخي ايماء إلى إستقلال الرؤيتين مع الإخبار عن دوام مقامهم في النار

أي هي رؤية دائمة متصلة.

٨- (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم)

سؤال تقريع وتبكيث، وفي التراخي إيماء إلى إختلاف مواقف الرؤية و
السؤال عن النعيم، وإن كانت متوجهة إلى عامة الناس ظاهراً،
ولكنها واقعة بتوبيخها وتهديدها على المتلايين والمتكثرين خاصة.



* الاءجاز *

ومن البين ان العربية لغة دين قائم على أصل خالد وهو القرآن الكريم :
«إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون» يوسف: ٢) لا يمكن الإنكار من إعجازه
بفصاحته وبلاغته من الصديق والعدو إلا من لاعقل ولا شعور له ملازمة العقل على
إدراك دقائقها، والفهم لفنون بلاغتها، والشعور بسلامة الذوق فيها.

ولقد كانت القبائل العربية مادة لهذه اللغة وسبب إتساعها وإستفاضتها وكان
فحول الشعراء الجاهلية كأن كل واحد منهم قبيلة في التفنن والابداع مجازاً و
إستعارة وبديعاً، حتى جاء القرآن الكريم فكان هو الغاية كلها ثم تتابع الشعراء
والكتاب والادباء فمن لم يزد منهم على الموجود لم ينقص منه.

إذا أمعنا النظر في عريّة القرآن المجيد وفصاحتها و سموها وقيامها في
تربية الملكة، وإرهاف المنطق، وصقل الذوق مقام نشأة خالصة في أفصح قبائل
العرب نجد أنفسنا كأننا فيهم، وكأنهم فينا وحفظها لنا منطوق رسول الله ﷺ و
منطق الفصحاء من قومه حتى لكان ألسنتهم عند التلاوة هي تدور في أفواهنا و
سلائقهم هي تقيمنا على أوزانها، وكون القرآن المجيد من العربية بمنزلة القطب
من الرحي يبلاغته وجزالته...

وان في العربية لسراً خالداً هو هذا الكتاب المبين: «القرآن» الذي يجب
أن يؤدى على وجهه العربي الصريح، ويحكم منطقاً وإعراباً بحيث يكون الاخلال
بمخرج الحرف الواحد منه كالزيغ بالكلمة في وجهها، وبالجملة عن مؤداها، و

ان القرآن الكريم ليس كتاباً يجمع بين دفتيه ما يجمع كتاب أو كتب فحسب إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقده وإن كانت وثيقة ولاستبان فيه مساغ التحريف والتبديل من غال أو مبطل ، ولكانت عريته الصريحة الخالصة عذراً للعوام والمستعجمين في إحالته إلى أوضاعهم إذا كانت لهم القدرة على ذلك.

بل إنما القرآن المجيد جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية ، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذا الجنسية حقيقة أو حكماً ولولا هذا العربية التي حفظها القرآن المجيد على الناس وردتهم إليها عليهم لمآتماستكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية.

أو يمكن الإستنكار بعد مشاهدة الآيات الحسيّة من القرآن المجيد وآيته الكبرى وهي الإعجاز بما فيه من علوم الهداية ودقائق البلاغة وانباء الغيب على أنه من أمّي عاش أربعين سنة لم يؤثر عندئذ فيها شيء من العلم، ولم يزاحم فحول البلاغة في نثر ولا نظم ، وفهم تلك الدلائل إنما يكون من ذوي العقول الحرة والقلوب السليمة الذين لطف شعورهم، ورقّ وجدانهم وصحت أذواقهم...

وان التدبّر في هذه السورة ونظمها واسلوبها ومضامينها يلهمنا باعجازها من ناحيتين: ناحية اللفظ، وناحية المعنى يعجز الانس والجن من معارضتها: أمّا اللفظ فلا يستطيع أحد بأداء ما اريد منها بغير ما جاءت به من الألفاظ والاسلوب ...

وأما المعنى - فبإضافة الاخبار بالغيب فيها من صدور تلك الملهي والتباهي عن المتكاثرين بالتكاثر والاستمرار بالاستمرار حتى ماتوا أو تفاخروا بعدد موتاهم وبالعظام البالية بعد تباهيهم بأحيائهم ومتعلقاتهم - فإخبار بما سيأتيهم من العلم بوخامة تلاهيهم، وان الاخبار بما مضى دليل صدق على ما سيأتي.

وفي هذه السورة الكريمة وعيد عام على الكافر المتهلّهي والمسلم المتفاخر بما يشغله عن الحق والصالح والسعادة والفلاح ، ولم يذكر فيها أسماء ولم يحدّد

أشخاصاً، وفي ذلك وجه مشرق مزهر من وجوه الاعجاز القرآني لا يقبل مرء ولا جدالاً، ولا يدخل فيه تلبس ولا عليه تدليس مادامت السموات والأرض تنزل من رب العالمين فتدبر جيداً واغتنم جيداً.

قال الله عز وجل: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدتبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» ص: (٢٩).

وقال: «إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس: (١١).



﴿ التكرار ﴾

و إعلم أن البحث في المقام يدور حول ستة أمور :

أحدها - ان السور التي افتتحت بالأفعال المحضة ثنتان وعشرون سورة ،
 ائنتى عشر سورة منها أفعال ماضية : ١ - سورة النحل . ٢ - سورة الأنبياء . ٣ -
 سورة الفرقان . ٤ - سورة القمر . ٥ - سورة الحديد . ٦ - سورة الحشر . ٧ -
 سورة الصّف . ٨ - سورة الملك . ٩ - سورة المعارج . ١٠ - سورة عبس . ١١ -
 سورة التكاثر . ١٢ - سورة المسد .

و ثلاث سور منها أفعال مستقبلية : ١ - سورة التغابن . ٢ - سورة الجمعة .
 ٣ - سورة الأنفال .

و سبع سور منها فعل أمر : ١ - سورة الجن . ٢ - سورة الأعلى . ٣ -
 سورة العلق . ٤ - سورة الكافرون . ٥ - سورة الإخلاص . ٦ - سورة الفلق . ٧ -
 سورة الناس .

ثانيها - ان السور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس سور :
 ١ - سورة الإنشراح . ٢ - سورة التين . ٣ - سورة البينة . ٤ - سورة الزلزال
 ٥ - سورة التكاثر .

ثالثها - ان في تكرار كلمة « كلاً » في ثلاثة مواضع من هذه السورة وجوهاً
 ثلاثة :

١ - ان معناه الردع والزجر عن التكاثر في الأموال والأولاد و زخارف

الدنيا و شهواتها ، فحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده .

٢ - انه يجري مجرى القسم و معناه .

٣ - ان الردع متوجه على التكاثر في الحياة الدنيا بالمال والجاه ثم التكاثر في المقابر والفخر بها ، فكانت « كلا » الاولى ردعاً في الدنيا بما ينال المتكاثرين من عقوبات مرتبة على الترف سجلها القرآن الكريم ، والثانية في الآخرة ، ولذلك اقترنت بحرف التراخي : « ثم » حيث لا ينفع مال ولا بنون .

رابعها - ان في قوله عز وجل : « سوف تعلمون » وبعده : « سوف تعلمون » ثلاثة وجوه : ١ - ان الثاني تكرار لما قبله . ٢ - انهما في وقتين : القبر والقيامة ، فلا يكون تكراراً ، و كذلك قول من قال : الأول للكفار والثاني للمؤمنين . ٢ - ان الخطاب فيهما للمتكاثرين بالمال والجاه والأجداد ...

خامسها - ان في قوله عز وجل : « لترون الجحيم ثم لترونها » وجوهاً أربعة : ١ - ان الثاني تأكيد للأول . ٢ - الأول قبل الدخول والثاني بعد الدخول ، و لهذا قال بعده : « عين اليقين » أي عياناً لستم عنها بغائبين . ٣ - ان الأول من رؤية القلب ، والثاني من رؤية العين . ٤ - الأول من رؤية العين والثاني من رؤية القلب بدليل قوله عز وجل قبله : « لتعلمون علم اليقين لترون » فالخطاب هنا في الدنيا ، و علم اليقين هو : رؤية ما ليس مشهوداً من الامور الغيبية ، و كأنه مشاهد محسوس ، وجاء بعدها « ثم » الدالة على التراخي ، وقال : « لترونها عين اليقين » أي مشاهدة محسوسة بالعين يوم القيامة وهذا أيضاً دليل على ما قلنا في السورة .

سادسها - نشير في المقام إلى صيغ ست لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة و في غيرها من السور القرآنية :

- ١ - جاءت كلمة (اللهو) على صيغها في القرآن المجيد نحو : ٦ امرّة :
- ٢ - » » » (الزور) » : ستّ مرات :
- ١ - سورة الحج : ٣٠ (٢ - سورة المجادلة : ٢) ٣ - سورة الفرقان : ٧٢ (٤ - سورة الكهف : ١٧) ٥ - سورة الفرقان : ٤ (٦ - سورة التكاثر) .
- ٣ - » » » (القبر) » : ثمان مرّات :
- ١ - سورة التوبة : ٨٤ (٢ - سورة الحج : ٧) ٣ - سورة فاطر : ٢٢ (٤ - سورة عبس : ٢١) ٥ - سورة الممتحنة : ١٣ (٦ - سورة الإنفطار : ٤) ٧ - سورة العاديات : ٩ (٨ - سورة التكاثر : ٢) .
- ٤ - » » » (اليقين) » : ٢٨ مرّة :
- ٥ - » » » (الجحيم) » : ٢٦ : » :
- ٦ - » » » (النعمة) » : ١٤٤ : » :



﴿التناسيب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث:
أحدها: التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.
ثانيها: التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.
ثالثها: التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الأولى: فأنها نزلت بعد سورة «الكوثر» فلما بين الله تعالى في السورة السابقة ما أعطاه رسوله الخاتم عليه السلام يدور عليه الخير كله، وأشار في ختامها إلى أن مدار الخير والسعادة ليس على كثرة الأموال والأولاد ولا على العدة والعدة وما إليها مما كان عليه مبغضوه، ولا العكس بالعكس أشار في هذه السورة إلى تلاهيهم بالتكاثر في الأموال والأولاد غفلة عن حقيقة الأمر، وأنهم يسئلون يوم القيامة عن النعيم بالكفر والكفران، والأمر مستمر المدى على كل من سلك مسلكهم.

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه: أحدها - أن الله عز وجل لما أخبر في السورة السابقة عن صفة القيامة أشار في هذه السورة إلى من ألهاه عنها التكاثر، فحديثها متصل بما قبلها من الحديث عن القيامة، وعمّا يذهل الناس عنها ويشغلهم عن الأعداد لها وهو التكاثر في الأموال والأولاد. ثانيها - لما ذكر في السابقة أهوال القيامة وقرعها ذكر في هذه السورة ما يلهي الإنسان عنها، وهو المغالبة بالكثرة أو تكلف الإفتخار بهما مالا وجاهاً وعدة وعدة عن التدبّر في أمر المعاد فنسى القبر حتى زاده.

ثالثها - لما اشار تعالى في السابقة إلى بعض أحوال الناس يوم القيامة وتصنيفهم فيها بصنفين: ثقل الموازين وخفيفها وإلى جزائهم خيراً وشرّاً أشار في هذه السورة إلى ما يوجب الغفلة عنها، وما يوجب خفة الموازين فيها من التلهي بالتكاثر، وإلى ما يسئل عنه المرء عنه فيها.

وأما الثالثة: فلما بدئت السورة بتلهمهم مدى حياتهم بالتكاثر في الأموال والأولاد والعدة والعدة أخذت بذكر ما يوجب ذلك كما قد يكون العكس وهو الغفلة عما وراء ما يرويه، ثمّ نبههم إلى خطأ ما هم فيه و زجرهم عن البقاء على تلك الحال التي لها وخيم العاقبة مستشهداً على ذلك بقوله تعالى: «كلا سوف تعلمون» بأنهم لو كانوا يعلمون علماً يقينياً ليرون تبعة غفلتهم بعين القلب مدى حياتهم في الدنيا كما يرونها غداً بعين رأسهم يوم القيامة .

ثمّ زاد على التوبيخ والتهديد لتعدد المواقف بقوله عزّ وجلّ: «ثمّ كلا سوف تعلمون...» ثمّ أشار إلى ما ينتهي إليه إلها هم بقوله تعالى: «لترون الجحيم...» ثمّ زاد في تأنيبهم وشدّ دعليهم، فيسئلون عما أنعمهم الله تعالى في الحياة الدنيا فكفروا ولم يؤدوا حقّه بقوله جلّ وعلا: «ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم».



✽ النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ✽

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدلّ على أنّ في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً
أو متشابهاً فأياً محكمات والله تعالى هو أعلم.



﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١- (ألهاكم التكاثر)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي شغلتكم المباحاة بكثرة المال والبنين والتفاخر بكثرة العدد عن طاعة الله تعالى وعن ذكر الآخرة حتى متم ودفنتم في المقابر. ٢- عن ابن عباس والحسن: أي أنساكم التكاثر في الأموال والأولاد عن الإيمان وصالح الأعمال... ٣- عن قتادة: أي شغلكم التكاثر بالعدد من الأحياء والأموات والتفاخر بالقبائل والعشائر إذ كنتم تقولون نحن أكثر من بني فلان، و نحن أعدو وأقوى من بني فلان، وأنتم كل يوم تتساقطون إلى آخركم، ولا تزالون كذلك حتى صرتم من أهل القبور كلكم.

فالمعنى: شغلكم التباهي والتباري بكثرة الرجال بأن يقول هؤلاء: نحن أكثر رجالاً، ويقول الآخرون: نحن أكثر حتى إذا استوعبتهم عدد الأحياء صرتم إلى القبور فعددتهم الأموات من رجالكم فتكاثرتم بأموالكم، فشغلكم التكاثر بأحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بأموالكم... ٤ عن الضحاك وأنس بن مالك و أبي بن كعب: أي ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة، و شغلكم حرصكم على تكثير الأموال من الحلال والحرام عن طاعة ربكم و صالح الأعمال فمقبتكم الغفلة عما وراء المادة. ٥- قيل: إن الآية الكريمة تعم لجميع ما ذكر وغيره على أن الله: ما يشغل الإنسان عما يهمله سواء أكان مما يسر أم لا ثم خص بما يشغل مما فيه سرور وإذا الهى المرء بشيء فهو غافل

به عما سواه ، وان التكاثر: التباهى بالكثرة بأن يقول كل للآخر: أنا أكثر منك مالا وولداً وجاهاً، أنا أكثر منك رجال ضرب وحرب ، وأنا أكثر منك أعواناً و أنصاراً وقبيلة ...

فقد يكون معنى التكاثر التغالب في الكثرة أي طلب كل واحد منهما أن يكون أكثر من الآخر مالا أو جاهاً، والسعى إلى ذلك لمجرد المغالبة لا يبغي الساعي في سعيه إلا أن يكون ماله أكثر من مال الآخر أو يكون عضده أقوى من عضده لينال بذلك لذة التعلى والظهور بالقوة كما هو شأن الجمهور والغالب من طلب الثروة والقوة ، ولا ينظر الدائب منهم في عمله إلى تلك الغاية الرفيعة ، غاية البذل مما يكسب في سبل الخير أو النهوض بالقوة إلى نصر الحق وحمل المبطلين على معرفته والتوجه إليه ، ثم المحافظة بعد ذلك عليه، وهذا معنى معقول ذهب إليه بعض المفسرين وهو يتفق كل الاتفاق مع ما يفهم من لفظ «ألهاكم» فإن الذي يلهي الناس عن الحق في كل حال وينصرف وجوههم عنه إلى الباطل، هو طمع كل واحد منهم أن يكون أكثر من الآخر مالا أو عدد رجال ليعلو عليه أو يستخدمه لسلطانه بقدر ما يدخل في إمكانه، أمّا التفاخر بالأقوال والبيان فانما يلهيهم في بعض الأحوال...

٦- قيل : أي ألهاكم التباهى بكثرة الأموال والأولاد والعدة والعدة و الجاه وما إليها من القوى المتصلة والمنفصلة على اختلاف أنواعها ، و التسابق فيها ، فشغلتكم بذلك و غفلتم عن الحقائق ، و نسيتم الله جلّ و علا و تركتم الطاعة وصالح الأعمال ، و استغرقتم في شهوات الدنيا و زخارفها، وانهمكتم في معاصي الله تعالى، فصار الحق في مذاقكم مرآ، والباطل حلواً، واستمر الأمر عليكم حتى متم وصرتم مقبوراً.

أقول: والآخر هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر.

و في الخطاب قولان : أحدهما - خطاب للسامعين، فيعم الناس كلهم في

كل وقت ومكان و ان المؤمنين منهم أولى بهذا الخطاب من غيرهم ، إذ كان يرعى منهم أن ينتفعوا به و أن ينظروا إلى أنفسهم نظراً مجداً دأ على ضوئه .
ثانيهما - خطاب للكفار والمجرمين والفساق والمفسدين ، والفجار والمستكبرين بما هم فيه من المباراة في الاستكثار من الأموال والأولاد والتفاخر بذلك وإستغراقهم بسبب ذلك إستغراقاً يمنعهم من التفكير في الموت وما بعده بحيث لا ينتهون مما هم فيه إلا حين يموتون .

أقول : إن التدبر في خطابات ثمان هذه السورة من غير التفات يلهمنا أن التنديد والتهديد والتوبيخ والتنبيه والوعيد كلها موجهة إلى من تلهيه أمواله وأولاده وشهوته ومتعه عن واجباته نحو الله جل وعلا ونحو الناس ، ويستغرق في ذلك إستغراقاً يملك عليه تفكيره ويعمى بصيرته ، ويجعله لا يحسب للعواقب حساباً ، ويوهمه بأنه في أمن دائم لا إلى أصحاب الأموال والأولاد والمتنعمين إطلاقاً ، وخاصة الذين يؤدون حق الله عز وجل بالإيمان به وعبادته وشكره وحق الناس بالبر والاحسان ، ويلتزمون القصد والإعتدال في جميع شئوهم ...

٢- (حتى زرتم المقابر)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن الحسن وقتادة : أي حتى أتاكم الموت ولقيتموه وأنتم على التباهي بالامور الواهية والافتخارات الخالية ، فتمتضلاً ودخلتم قبوركم ، وما تنبئهم طول حياتكم في الدنيا على ما هو سبب نجاتكم ، فصرتم في المقابر زواراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة ونار يقال لمن مات : قد زار قبره .

٢- قيل : أي حتى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى أهل القبور فعددتهم من رجالكم ، فتكاثرتم بأموالكم ، و تفاخرتم بالعظام البالية من آبائكم إذ تقولون : هؤلاء الموتى كانوا هم في حياتهم ذوي القوى والثرى منا ، ويقول الآخرون : إن هؤلاء الموتى كانوا في حياتهم الرؤساء وذوي الجاه

والرئاسة منا...

٣- عن الجبائي: أي إشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى متم على ذلك ولم تتوبوا فنزلتم في قبوركم ودفنتم فيها، فصرتم من الموتى، فتزودوا القبور فتردوا ما ينزل بكم من عذاب الله عز وجل.

قال جرير:

زار القبور أبو مالك فأصبح الأم زوارها

وقال الشاعر :

أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور

أبوا إلا مباهاة وفخراً على الفقراء حتى في القبور

فالمقابر ليست دار مقام لكم ، وإنما هي إلمامة تلمّون بها أشبه بالزائر يطرق مكاناً ثم يرحل عنه، وهكذا أنتم في هذه القبور التي ستضمّكم يوماً إنها زودة ثم تحوّلون عنها إلى الدار الآخرة ، إنها منزل على الطريق إلى البعث والحساب والجزاء.

ان تسئل : ان الزائر هو الذي يجيء ساعة ثم ينصرف، والميت يبقى في قبره مدة مديدة؟

تجيب عنه : ان مدة اللبث في القبر بالنسبة إلى الأبد أقل من لحظة كما قال الله تعالى: « كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم »
ان تسئل : ان قوله عز وجل : « زرتم » صيغة ماض، فكيف تحمل على المستقبل؟

تجيب عنه : ان المشرف على الموت كأنه على شفير القبر أو خبر عمن تقدّمهم، والخبر عنهم كالخبر عن متأخريهم لأنهم كانوا على طريقهم.

٤- عن أبي مسلم : ان الله تعالى يتكلّم بهذه السودة يوم القيامة تعبيراً للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدّم منهم زيارة القبور ولذلك جاءت بصيغة

الماضي: «زرتم».

أقول: وعلى الأول جمهور المفسرين من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الآخر فتأمل جيداً.

٣- (كلا سوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن الفراء: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر والتباهي بمتاع الدنيا وشهواتها، والتمسك على هذا: «كلا سوف تعلمون» أي عاقبة ذلك وتبعاتها، فاز دجروا عن مثل هذا العمل الذي لا تكون عاقبته إلا القطيعة والهجران والضيعة والأحقاد والجئوا إلى التناصر على الحق والتكاتف على أعمال البر والتضافر على ما فيه حياة الأفراد والجماعات، من تقويم الأخلاق وتطهير الأعراق، وإنكم سوف تعلمون عاقبة ما أنتم فيه من التكاثر إذا استمر بكم هذا التفاخر بالباطل بدون عمل صحيح نافع لكم في العقبى.

٢- عن ابن عباس: أي إرتدعوا عن التكاثر سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبر. ٣- قيل: أي كلا سوف تعلمون عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق. ٤- قيل: أي كلا سوف تعلمون إذا نزل بكم الموت وجائتكم رسلي لنزع أرواحكم. ٥- قيل: أي كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون. ٦- قيل: أي كلا سوف تعلمون إذا رأيتم دار الأبرار.

٧- قيل: أي ليس هذا هو الموقف السليم الذي ينبغي أن يقفه الانسان في الحياة، وليس هو الطريق القويم الذي يحق له أن يسلكه، فإن جمع المال للتلهي به، وإشباع شهوات النفس منه، وإرضاء غرورها بالتعالي والتشامخ على الناس لا لكسب محمدة أو قضاء حق لله تعالى أول للناس - هو ضلال و وبال... وستعلمون حقيقة هذا لو أنكم نظرتهم نظراً عاقلاً مستبصراً.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الآخر.

٣ - (ثم كلا سوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد والحسن ومقاتل: هذا وعيد بعد وعيد في مقام الزجر والتوبيخ كما يقول السيد لعبده : أقول لك : لا تفعل ، ثم أقول لك : لا تفعل . والمعنى : سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت . ٢- عن الفراء : ان الجملة تأكيد للردع والتهديد السابقين ، وان حرف التراخي : « ثم » للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول . وقد تكررت للتغليظ وذلك ان العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين ، وقد تؤكد بكلاً وحقاً .

٣- قيل : أي سوف تعلمون في الآخرة إذا حل بكم العذاب ، فالأول في القبر والثاني في الآخرة ، فالتكرار للحالتين والزمانين . ٤- قيل : أي كلا سوف تعلمون عند البعث والحشر ان ما وعدتكم به صدق . ٥- قيل : أي كلا سوف تعلمون إذا دخلتم قبوركم وجائكم منكر و نكير وحاط بكم هو السؤل و انقطع منكم الجواب . ٦- قيل : أي ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون .

٧- قيل : أي ثم كلا سوف تعلمون إذا رأيتم دار الفجار . ٨- قيل : أي كلا إنكم لم تحسنوا النظر و لم تمنعوا الفكر فما زال علمكم بما أنتم عليه من ضلال علماً لا يحرك شعوراً و لا يثير خاطراً و لا ينزع بكم إلى أخذ اتجاه غير إتجاهكم ، فاعيدوا النظر وجدوا البحث في حالكم تلك وسوف تعلمون .

٩- عن الضحاك انه قال : أراد « سوف تعلمون » أيها الكفار « ثم كلا سوف تعلمون » أيها المؤمنون ، فالأول وعيد والثاني وعد . ١٠- قيل : إن كل واحد يعلم قبح الكذب والظلم و حسن الصدق والعدل ، ولكن لا يعرف مقدار آثارها ونتائجها ، فالله تعالى يقول : « سوف تعلمون » علماً تفصيلياً إستدرجياً شيئاً فشيئاً عند الموت ثم عند البعث ثم في النار أو في الجنة فعلم الثاني أرقى من

الأول ، فهناك علمان متتابعان يفوت بعضهما بعضاً بعد الجهل المتماذي العامد يوم الدنيا .

١١- قيل: أي كلا سوف تعلمون عند سكرات الموت وهو بداية العلم ، ثم كلا سوف تعلمون عند القبر . ١٢- قيل: أريد بالأول علمهم بها عند الموت وبالثاني علمهم بها عند البعث والحساب على طريقي الاجمال والتفصيل .
أقول: وعلى الثالث جمهور المفسرين .

٥ - (كلا لو تعلمون علم اليقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: هذا زجر وتنبية لأنه عقب كل واحد بشيء آخر كأنه قال : لا تفعلوا ذلك فانكم تندمون ، لا تفعلوا هكذا فانكم تستوجبون الخزي والعقاب .

فمعنى الآية : إردعوا أيها الكفار والمفسدون عن تقريركم بأنفسكم ، فإنكم لو تعلمون عاقبة أمركم لشغلكم ذلك عن التكاثر وصرفكم إلى صالح الأعمال ، وإن ما تدعونه علماً ليس في الحقيقة بعلم ، وإنما هو ظن وهم لا يلبث أن يتغير فإنه لا يطابق الواقع ، وما ينبغي أن يسمى علماً هو علم اليقين المطابق للواقع بناء على الحس والعيان ، أو الدليل القاطع الذي يؤيده العقل أو النقل الصحيح عن المعصوم عليه السلام .

وقد ذكر الله تعالى هذا زيادة في زجرهم لتقريرهم بأنفسهم ، إذ جرت عادة الغافلين أنهم إذا ذكروا بعواقب أحوالهم أن يقولوا : إنهم يعلمون وخامة عواقب أمرهم ، وأنهم في منتهى يقظة وسداد فكرة .

٢ - عن قتادة : اليقين ههنا : الموت كقوله تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » فإن الشك عندئذ يزول ، والأحوال إلى اليقين تؤول والإنسان إذا علم ما يلقاه حين الموت وبعده لم يلهه التكاثر . فالمعنى : لو تعلمون علماً يقينياً بالموت لما شغلكم التكاثر عما بعد الموت من الحساب والجزاء .

٣ - عن قتادة أيضاً : اليقين ههنا : البعث لأنه إذا جاء البعث زال الشك أي لو تعلمون علم البعث ، على أن جواب «لو» محذوف أي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا جائتكم نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكائر بالدنيا . ٤ - قيل : أي لو تطايرت الصحف فشقي وسعيد . ٥ - عن ابن أبي حاتم أنه قال : إن «كلا» في هذه المواضع الثلاثة بمعنى «ألا» .

٦ - عن الفراء : أنه قال : إن «كلا» بمعنى «حقاً» والمعنى : حقاً لو تعلمون علماً يقيناً عاقبة التفاخر والتكائر لما اشتغلتم به . ٧ - قيل : إن هذا كلام آخر فقال : لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعز والكثرة ، وعلم اليقين هو العلم الذي يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه ، ولهذا لا يوصف الله سبحانه بأنه متيقن . ٨ - قيل : هذا تنبيه و تبصير لهم ، فأنهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنهم مخطئون فيما كانوا عليه من التكائر والتباهي بالأموال والأولاد والعدة والعدة .

٩ - قيل : أي كلاً إن هذا العلم الجديد الذي علمتموه لا يعدّ علماً ، فما زلتم في شك من البعث ، وفي ريب من الحساب والجزاء ولو كان علمكم الجديد علماً عن يقين لتغير حالكم ، ولما كان هذا موقفكم في الحياة الدنيا ، حيث إن علم اليقين هو العلم الذي يطمئن الإنسان ويخرجه عن تزلزل العقيدة وشكوكها ، وهو أولى مراتب اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم حق اليقين ، وإن اليقين في الأصل هو : سكون النفس مع ثبات الحكم وهو خلاف الظن ، فلو أن المتكائرين الملتهمين علموا الحقيقة علم اليقين لكانوا يرون الجحيم في علمهم رؤية علمية دون إرتياب دون رؤية عينية ، فكانوا إن ذاك يرونهم في الجحيم ويرون أعمالهم وأعمالهم وأموالهم وأصحاب القبور الذين تكاثروا وتفاخروا بهم كانوا يرونهم كلهم في الجحيم ، هذا لو كانت الرؤية صادقة بما علموا ولم يعملوا ، ولو علموا علم اليقين وعملوا لكانوا يرون أنفسهم

في الجنة و يرون من تفاخروا بهم في الجحيم . « لو تعلمون » محال أن تعلموا :
إستحالة بالإختيار دون تسيير و إجبار و إذ لم تعلموا في الحياة الدنيا فسوف
تعلمون بعده .

١٠ - عن الأخفش : أي لو تعلمون الأمر علم اليقين بالبعث والحساب والجزاء
لما ألهاكم التكاثر ، ولشغلكم ما تعلمون عن التباهي والتفاخر بالكثرة . ١١ - عن
قتادة أيضاً وأبي مسلم : أي لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لأجله لاشتغلتم به ،
فما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر لو تعلمون علماً يقينياً أن الله جل
وعلا يبعثكم يوم القيامة من بعد موتكم من قبوركم لما ألهاكم التكاثر عن طاعة
ربكم ولسادعتهم إلى عبادته والانتفاء إلى أمره و نهيه و رفض الدنيا إشفاقاً على
أنفسكم من عقوبته .

قال بعض المحققين من المفسرين : إن في الآية الكريمة بعثاً للعلماء على
أن يعملوا بعلمهم ، وإلا لم يكن بعد فوات إبان العمل سوى الحسرة والندامة .
و يروى : أن ذا القرنين لما دخل الظلمات أمر لمن معه بأن يأخذوا من
الخرز الذي كانت عنده فأخذ بعضهم و ترك بعضهم ، فلما خرجوا من الظلمات
وجدوا الخرز جواهر وكان للآخذين فرحاً و سروراً وللتاركين غماً وحسرة .
١٢ - قيل : أي نعم لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين كعلمكم
ما هو يقين عندكم لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة . ١٣ - قيل : أي لو
تعلمون علم اليقين مصير الطغاة والمتفخرين لارتدعتم عن الفخر والتباهي . ١٤ -
قيل : إن الآية الكريمة ليست إلا بصدد نفي العلم عن المتلاهي الغافلين توبيخاً
عليهم بذلك بأنهم لو اجتنبوا عن التباهي والتكاثر والتفاخر التي تتبعها الغفلة ،
وكانوا عالمين حق العلم بعدم الانتفاع بذلك حين الموت والبعث والحساب والجزاء ،
وكانوا عالمين علماً يقينياً بتبعية الغفلة عندها أيضاً لتروا في الحياة الدنيا بعين
قلوبهم الجحيم فلا يكفرون ، ولا يعصون الله عز وجل ولا يغفلون عن الحق . ١٥ -

قيل: أي كلا لو تعلمون علم اليقين بالمعاناة لترون الجحيم بالبيان .
أقول: والأخير هو المؤيد بالروايات الآتية .

٦ - (لترون الجحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي لترون الجحيم حين الموت . ٢- قيل: أي لترونها ليلة القبر . ٣- قيل: أي لترونها عند البعث . ٤- عن مقاتل: أي أقسم بعزتي و جلالتي انكم أيتها الكفار لترون الجحيم التي هي جزاء هذا التلهي في الآخرة ، و ذلك حين تبرز الجحيم يوم القيامة قبل دخولهم فيها . ٥- قيل: أي لترون الجحيم أيتها الناس فالخطاب عام كقوله عز وجل: « وإن منكم إلا واردها » مريم: ٧١ فالجحيم للكفار دار مقر وللمؤمنين دار ممر . ٦- قيل: أي تحشرون إليها فترونها . و هذا بناء على قراءة ابن عامر « لترون » بضم التاء من أريته الشيء . ٧- قيل: أي لترون الجحيم بأبصاركم على البعد قبل دخولكم فيها . ٨- قيل: أي لترون الجحيم عند ورودها . ٩- قيل: أي فلو كنتم تعلمون علم اليقين وأنتم في هذه الدنيا ولعلمتم أن العذاب هو جزاء أهل الضلال، وأن العاقل ليرى جهنم في الدنيا و كأنها ماثلة بين عينيه فيتوقاها بالايمان بالله وصالح الأعمال، ويخاف مقام ربه ويخشى لقاءه بما يجنى من منكرات... فالمعنى: لترون الجحيم في علمكم رؤية علمية دون إرتياب. وهذا بناء على أن المراد رؤيتها قبل يوم القيامة رؤية البصيرة وهي رؤية القلب التي هي من آثار اليقين، وهذه الرؤية القلبية قبل يوم القيامة غير محققة لهؤلاء المتلهين بل ممتنعة في حقهم لإمتناع اليقين عليهم .

أقول: و قد تقدم منا في كلمة « لو » في البحث البياني من هذه السورة

فراجع .

١٠- قيل: أي ان دار العذاب التي أعدت لمن يلهو عن الحق لا ريب فيها ، ولترونها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة في أذهانكم لتنبهكم إلى ما هو

خير لكم مما تلهون به ، فالمراد برؤية الجحيم ذوق عذابها .
أقول: وعلى الرابع أكثر المفسرين وفي معناه بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً.
٧- (ثم لترونها عين اليقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل : أي لتشاهدونها بالعيان قبل الدخول فيها وبعده من عند البعث إلى الخلود . ٢- قيل : أي ثم لترونها رؤية هي اليقين نفسه وخالصته إلى أي دين أدأي شخص كانت نسبتكم فليمتقوا الله تعالى ولتنتهوا عما يقذف بكم فيها ، ولتنظروا إلى ما أنتم فيه من نعمة ولترعوا حق الله عز وجل فيها ، فاستعملوها فيما أمر أن تستعمل فيه ، ولا تجترحوا السيئات و تقترفوا المنكرات ، وانكم لتمنّون أنفسكم بأنكم ممتنّ يعفو الله عنكم ويزجركم من النار بمجرد نسبتكم إلى الدين الاسلامي ، و تلقبكم بألقابه مع مخالفتكم أحكام القرآن الكريم وعملكم عمل أعداء الإسلام .

٣- قيل: أي ثم لترون الجحيم بعد الدخول فيها عين اليقين : كما يقال : حق الحق ومحض اليقين، ومعناه : ثم لترونها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعدّبتهم بها ، ويقال لكم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون . ٤- قيل: هذا إخبار عن دوام مقام الكفار في النار أي هي رؤية متصلة .

٥- قيل : أي لو تعلمون اليوم في الحياة الدنيا علم اليقين فيما أمامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فإن علم اليقين يريكم الجحيم بعين فؤادكم وهو أن تتصوروا لكم تارات القيامة وقطع مسافات ، ثم لترونها عين اليقين أي عند المعاينة بعين الرأس فترونها يقيناً لا تغيب عنكم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض .

فالمعنى: لرأيتم الجحيم في الدنيا رؤية علمية يدلكم عليها العقل فكأنها ماثلة بين أعينكم ثم انكم بعد ذلك لترونها عين اليقين أي رؤية بصرية واقعية حيث يشهدها كل من في المحشر ويراه رأي العين .

٦- قيل : تأكيد لما تقدّم ، فعين اليقين هو علم اليقين المتقدم ، ففي الكلام

تفتن وتأكيد ، فالتمنية للتكرير والمراد تتابع الرؤية وإتصالها ، فكأنه قيل لهم : إن كنتم اليوم شاكين فيها فسترونها رؤية دائمة متصلة . ٧- قيل : إن قوله تعالى : «لترون الجحيم» رؤيتها من بعيد وقوله تعالى : «لترونها عين اليقين» رؤيتها من مكان قريب إذا وصلوا إلى شفيرها . ٨- قيل : الأولى عند الورد و الثانية بعد الدخول .

٩- قيل : إن قوله تعالى : «علم اليقين» متعلق بالرؤيتين جميعاً . ١٠- قيل : إن قوله عز وجل : «علم اليقين» متعلق بالرؤية الثانية فقط لأن علمهم بها و بأحوالها و آلامها يزداد شيئاً فشيئاً حتى يصير الخبر عيناً . ١١- قيل : أي إذ دخلتموها ووجدتم أنفسكم في يقين الجحيم نفسه فقد كان لكم أن تروها علم اليقين لكي تتحرزوا عنها فلا ترونها عين اليقين . ١٢- قيل : معنى «عين اليقين» على مثال قولهم هذا : عين الشيء أي حقيقته ، وشاهد ذلك قوله تعالى : «وانه لحق اليقين» . ١٣- قيل : معنى : «عين اليقين» أي حاضر اليقين ، ومنه قولهم في المثل تطلب أثر أبعد عين أي غائباً بعد حاضر وعلى ذلك قول الأعشى :

و من لا يصدع له همة فيجعلها بعد عين ضماراً
والضمار : الغائب ، والعين : الحاضر ومنه الحديث في زكاة الضمار أي الغائب والنسبة .

أقول : والسابع من الأقوال هو المؤيد بالرواية الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر .

٨- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

في «النعيم» أقوال : ١- عن ابن مسعود ومجاهد والحسن وسفيان : النعيم : الأمن والصحة والعافية . ٢٠- عن ابن مسعود أيضاً وسعيد بن جبير وعكرمة : أي الصحة والفراغ . ٣- عن الحسن أيضاً وابن عباس : النعيم : هو القوى الخمس والإدراك بها من حواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس لقوله تعالى :

«ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» (الاسراء: ٣٦) وفي الحديث عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً ولداء؟» فالنعيم هو : الانتفاع بالحواس السليمة ، و النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ... فيسئل الله تعالى عباده ! فيم استعملوا وهو جلّ وعلا أعلم بذلك منهم .

٤- قيل: النعيم هو: كل ما أنعم الله تعالى على الإنسان مما فيه كماله الروحي ونموه الجسمي من الإيمان والتقوى والقوى الباطنية والظاهرية من المتصلة والمنفصلة... ٥- عن ابن عباس أيضاً وجابر بن عبد الله الأنصاري: النعيم: ملاذ الماكول والمشروب. وعن سعيد بن جبير: ان الله سائل عن النعيم في الماء كل والمشرب وغيرها من الملاذ . ٦- عن الحسن أيضاً: النعيم هو الغذاء والعشاء وقال: لا يسئل عن النعيم إلا أهل النار، وقيل: النعيم : دوام الغذاء والعشاء .

٧- قيل: إن هذا السؤال عن كل نعمة إنما يكون في حق الكفار، وعن مقاتل: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه إن لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره وأشر كوابه ثم يعذبون على ترك الشكر. ٨- عن مكحول الشامي: النعيم خمس: شبع البطون، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، ولذّة النوم ، واعتدال الخلق. وعن مجاهد أيضاً: النعيم كلما يلتذ به الإنسان من لذائذ الدنيا من مطعم ومشرب ومنكح ومسكن وملبس وما إليها ومنها الجاه لا محالة.

وقال الماوردي: هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا و نعيم الآخرة ، وسؤال الكافر تقييع أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية . وقال القشيري : و الجمع بين الأخبار : أن الكلد يسئلون، ولكن سؤال الكفار سؤال توبيخ لأنه قدر ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشریف لأنه شكر. وقيل: يكون الغرض من السؤال التقييع حتى يظهر لهم أن

الذي ظنّوه سبباً للسعادة هو أعظم أسباب الشقاء لهم .

و هذا النعيم في كل نعمة ، على أن لفظ « النعيم » يعمّ ، والمعنى : ثم لتسئلن يا معاشر المكلفين عن النعيم . و قال قتادة : إن الله تعالى سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه ، وعنه أيضاً : إن الله جلّ وعزّ سائل كل عبد عما استودعه من نعمه وحقّه .

٩- عن مالك بن أنس : النعيم هو : صحّة البدن وطيب النفس . ١٠- قيل : النعيم هو : النوم مع الأمن و العافية . ١١- عن سفيان بن عينية : النعيم : ما سدّ الجوع و ستر العورة من خشن الطعام واللباس ، لا يسئل عنه المرء يوم القيامة ، و إنّما يسئل عن النعيم ، وقال : والدليل عليه أن الله تعالى اسكن آدم الجنة فقال به : « إن لك ألا تجوع ولا تعرى و أنك لا تنظمأ فيها ولا تضحي » فكانت هذه الأشياء الأربعة : ما يسدّ به الجوع و ما يدفع به العطش ، ويستكنّ فيه من الحرّ و يستر به عورته لآدم عليه السلام بالإطلاق لاحساب عليه فيها لأنه لا بدّ له منها . وقال القشيري : إن ممّا لا يسئل عنه العبد لباساً يوارى سوآته و طعاماً يقيم صلبه و مكاناً يكنّته من الحرّ و البرد .

١٢- عن محمد بن كعب : النعيم هو : ما أنعم الله علينا بمحمد عليه السلام لقوله تعالى : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » . ١٣- عن الحسن أيضاً و المفضل و الحسين بن الفضل : النعيم هو : تخفيف الشرائع و تيسير القرآن الكريم و ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام لقوله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال : « ولقد يسنّنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر » ، وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً » و كلّ هذه نعم فيسئل العبد عنها هل شكر ذلك أم كفر .

١٤- عن ابن عمر : النعيم : الماء البارد . ١٥- قيل : الظاهر من « النعيم » هو العموم لأجل لام الجنس إلّا أن سئوال الكافر للتوبيخ لأنّه عصى و كفر ،

و سؤال المؤمن للتشريف فأنه أطاع و شكر ، والظاهر : ان هذا السؤال في الموقف وهو متقدم على مشاهدة جهنم ومعنى «ثم» الترتيب في الإخبار لا الترتيب في الحدوث والوقوع والمعنى : ثم أخبركم انكم تسألون يوم القيامة عن النعيم .
وقيل : هذا السؤال هو في النار توبيخاً لهم لقوله تعالى : «كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير» وقوله جلّ وعلا : «ما سلككم في سقر» وقيل : أي ثم إذ ترون الجحيم في المحشر تحاسبون على ما أنعم الله تعالى به عليكم من نعم وأجلها العقل والرسول والدين فمن رعى هذه النعم وأدى واجب الشكر عليها نجى من الجحيم ونزل منازل المؤمنين في الجنة ، ومن كفر بهذه النعم حرم نعيم الجنة و القى به في عذاب الجحيم .

١٦- قيل : أي تسألون عن الأموال التي كنتم بها تفاخرون وتباهون : من أين إكتسبتموها؟ من كدّ اليمين أو السلب والنهب؟ وتسألون في أي شيء أنفقتموها في حلال أو حرام؟ ثم تعرضون على الجنة ويقال لكم : انظر واجيداً هل هذا هو الغنى و النعيم أم أموالكم في الحياة الدنيا ، ثم تقادون إلى عذاب الحريق لتزدادوا ألماً على ألم . فالمعنى : ان هذا النعيم الذي تفاخرون به تعدونه مما يباهي به بعضكم بعضاً ستسألون عنه : ماذا صنعتم به ؟ هل أدبتم حق الله فيه ، وراعيتم حدود أحكامه في التمتع به ؟ فان لم تفعلوا ذلك كان هذا النعيم غاية الشقاء في دار البقاء .

١٧- قيل : النعيم : ما تجاهلتموه حتى و ردتكم موردكم في الجحيم فترك النعيم جحيم أينما كان ولا سيما النعيم الذي يهيم الإنسان في شريعة الله أنه النعيم الذي أدخلكم التحلل و التغافل عنه في التكاثر : من نعيم العقل الذي عقلمتموه وحسبتموه في اسر الشهوات ، و نعيم الحياة التي أدخلتموها في الحيوانات : «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون» ومن نعيم النبيين :

فنعمة الرسالة هي أهم النعم التي يسئل عنها : «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب» فهذه الثلاث هي اصول النعم الروحانية التي يسئل عنها .

١٨- قيل: اريد بهذا السؤال سؤال عن الشكر لأن كل امرئ مكلف باستعمال مواهبه التي وهبها الله تعالى له، فالمراد بالنعيم مطلقة وهو كل ما يصدق عليه أنه نعمة ، فالإنسان مسؤل عن كل نعمة أنعم الله بها عليه ، وذلك أن النعمة - وهي الأمر الذي يلائم المنعم عليه، ويتضمن له نوعاً من الخير والنفع - إنما تكون نعمة بالنسبة إلى المنعم عليه إذا استعملها بحيث يسعد بها ، فينتفع وأما لو استعملها على خلاف ذلك كانت نقمة بالنسبة إليه وإن كانت نعمة بالنظر إلى نفسها، وقد خلق الله عز وجل الإنسان وجعل غاية خلقته التي هي سعادته ومنتهى منتهى كماله التقرب العبودي إليه كما قال : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦) وهي الولاية الالهية لعبده وقد هيأ الله سبحانه له كل ما يسعد وينتفع به في سلوكه نحو الغاية التي خلق لها ، وهي النعم فأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

فاستعمال هذه النعم على نحو يرتضيه الله جل وعلا وينتهي بالإنسان إلى غايته المطلوبة هو الطريق إلى بلوغ الغاية وهو الطاعة ، وإستعمالها بالجمود عليها ونسيان ما وراءها غي و ضلال وإنقطاع عن الغاية وهو المعصية ، وقد قضى سبحانه قضاء لا يرد ولا يبدل أن يرجع الإنسان إليه فيسئله عن عمله، فيحاسبه و يجزيه و عمله هو إستعماله للنعم الالهية ، قال الله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى و أن إلى ربك المنتهى » (النجم : ٤٢) فالسؤال عن عمل العبد سؤال عن النعيم كيف إستعمله أشكر النعمة أم كفر بها ؟

١٩- قيل : النعيم هو : خبز البر والماء العذب . ٢٠- قيل : النعيم هو

الرطب . ٢١- قيل: النعيم هو: النورة في الحمام . وفي كتاب إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ما لفظه: « وقيل: عن النورة في الحمام - أي يسئل عنها - وذلك ان عمر بن الخطاب كان رجلاً أهدب ف قيل: يا أمير المؤمنين لو تنوّرت! فقال: إنه من النعيم» .

أقول: والثاني عشر والثالث عشر هما المؤيدان بظاهر السياق، وبالترتيب النزولي والمصحفي من طرفي هذه السورة ، وبالروايات الواردة في المقام من غير تناف بينهما وبين السئوال عن نعيمية سائر النعم ، وذلك ان تلك النعم الالهية التي أنعمها الله عز وجل على عباده لو سئل عن شيء منها فلا يسئل عنها بما أنها صحة أو أمن ، أو عافية أو فراغ ، أو إدراك بحواس خمس أو أنها مال أو ولد أو جاه أو علم أو إشتهار أو أنها لحم أو خبز أو رطب أو ماء بارد وما إليها من النعم التي فيها كمال الانسان الروحي ونموه الجسمي من الدين والولاية لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين ومن القوى الباطنة والظاهرة متصلها ومنفصلها . . . وإنما يسئل عنها بما أنها نعمة خلقها الله جل وعلا للانسان: « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ، لقمان: ٢٠) و أوقعها في طريق كمال الإنسان والحصول على التقرب العبودي : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » الذاريات: ٥٦) و دعاه إلى أن يستعملها شكراً لا كفرأ : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكر و ابرضه لكم ، الزمر: ٧٠) .

فالسئول عنها هي النعمة بما أنها نعمة إلهية أنعمها الله عز وجل على عباده لكمالهم لا لإحطاطهم ، لصلاحهم لالفسادهم ، لفلاحهم لالخسرانهم ، لسعادتهم لالشقاءهم ، و لنيلهم بها إلى العزة لا الذلة . . . و من المعلوم أن الدال على نعيمية النعيم و كيفية استعماله شكراً ، و المبيّن لذلك كله هو الدين الذي جاء به محمد خاتم الأنبياء وآله و نصب لبيان الأئمة من أهل بيته المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين ، فمرجع السؤال عن النعيم هو السؤال عن العمل بالدين في كل حركة وسكون ، و من المعلوم أيضاً أن السؤال عن النعيم الذي هو الدين سؤال عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من بعده الذين إفترض الله عز وجل طاعتهم، وأوجب إيتباعهم في السلوك إلى الله تعالى الذي طريقه إستعمال النعم كما بيّنه النبي الكريم ﷺ وأهل بيته المعصومين ﷺ ، و إلى كون السؤال عن النعيم سؤالاً عن الدين يشير ما في رواية أبي خالد الكابلي من قول الإمام الخامس باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام: «إنما يسئلكم عما أنتم عليه من الحق».

وإلى كونه سؤالاً عن النعيم الذي هو النبي الكريم ﷺ وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين يشير ما في رواية أبي حمزة من قول الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «و لكن يسئلكم عما أنعم به عليكم بمحمد و بآل محمد ﷺ» وما في رواية الحسكاني الحنفي عن جعفر بن محمد عليه السلام: «نحن النعيم» و ما في رواية أبي حفص الصائغ من قول عبدالله بن الحسن: «يعنى ولايتنا والله باحفص» و في رواية العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام: «النعيم ولايتنا أهل البيت...» و في رواية جميل عن الإمام الصادق عليه السلام: «تسئل هذه الأمة عما أنعم الله عليهم برسول الله ثم بأهل بيته» و في رواية الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ولكن النعيم حبسنا أهل البيت» وفي رواية الكلبي عن الصادق عليه السلام: «النعيم نحن الذي أنقذ الناس بنا عن الضلالة» و في بعض الرواية: «النعيم هو رسول الله ﷺ أنعم الله به على أهل العالم فاستنقذهم من الضلالة» وغيرها من الروايات الواردة سيأتي ذكرها في البحث الروائي فانتظر والمآل واحد و من ولاية أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين إفتراض طاعتهم وإتباعهم فيما يسلكونه من طريق العبودية.

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)

شغلكم أيتها الكفار والمفسدون التكاثر في الأموال و تبذيرها على الفساد والمظاهر الفارغة عما يهتمكم من الايمان وطاعة ربكم ، فقطعتم حياتكم في جمع المال و كنزه ، شغلكم أيتها الفجار والمجرمون التفاخر بكثرة الأعوان والأنصار والتباهي بمتاع الدنيا و زخارفها و زينتها و شهواتها ، والتسابق في تكثير العدة والعدة عن التدبّر في أمر آخرتكم ، وعن الجدّ في صالح الأعمال فكنتم في لهو بالقول عن الفعل ، وفي غرور وإعجاب بالآباء والأعضاء ...

وصرفكم أيتها الفساق والمستكبرون المغالبة في تحصيل الجاه والمقام والرئاسة والسلطان عن الحق والسعادة ، عن الخير والعزّة ، عن الصلاح والفلاح ، وعن توجيه قواكم إلى العمل بما فرض عليكم لأنفسكم وأهلكم ، فلا تلتفتون إلى ما يجمّل العقل ، ويغذّي الروح ويكمل النفس من الدين والطاعة والبرّ وما ينجيكم من سخط ربكم عليكم ، مضيعين أعمالكم و سعيكم و حياتكم في طلب الدنيا وعوارضها الزائلة الفانية ، تاركين ما هو أهمّ وهو السعي للآخرة ، فعمتكم الغفلة عن تبعة ذلك من النار والعذاب ، وأحاطكم الجهل والشك فيما وراء ذلك مدى حياتكم إذ مازال ذلك ديدنكم و دأبكم الذي سرتم عليه .

والأمر مستمرّ على كلّ من سلك هذا ، وليس المراد من التكاثر الأكثرية في ذلك على الكلّ ، بل كلّ من زاد له من ذلك على من لم يند بذلك أصلاً

أو قدراً وإن كان هو أقلّ في ذلك من غيره . فيا أيّها الانسان لا تغرّك كثرة من ترى حولك من الأموال والأولاد والأعوان والأنصار . . . فانك تموت وحدك ، وتكون في القبر وحدك ، وتبعث وحدك وتحاسب وحدك .

قال الله عزّ وجلّ : « إعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً - وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور ، الحديد : ١٩) . وقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم - كالذين من قبلكم كانوا أشدّ منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذين خاضوا أوّلئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون » التوبة : ٦٧-٦٩) .

وقال : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم ربهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون » غافر : ٨٢ - ٨٥) .

وقال : « سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلّتنا أموالنا وأهلونا - وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً » الفتح : ١١-١٢) . وقال : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » الأعراف : ٥١) .

وقال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » الروم : ٧) .

وقال: «إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياديلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين» الأنبياء : ٩٧-١ .

ولا يخفى على القاريء الخبير أن التكاثر مطلقاً ليس بمذموم لأن التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة وإكتساب الحلال و صالح الأعمال ليس بمذموم إذا كان المراد أن يقتدى به غيره وأن يحسن إلى الناس كما أحسن الله تعالى .

قال الله عز وجل : « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض » القصص : ٧٧ .

وقال : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والائمه والبغي بغير الحق » الأعراف : ٣١-٣٢ .

وقال : « وأما بنعمة ربك فحدث » الضحى : ١١ .

وإنما المذموم ما يكون الباعث عليه الإستكبار والإفساد في الأرض والإستبداد والتباهي والإستغلال والإستثمار وحب الجاه والمقام بغير حق ، والغلبة والتفاخر بما لا سعادة حقيقية فيه ، وليست السعادة الحقيقية إلا فيما يرجع إلى العلم والعمل أو إلى ما يعين عليهما من الامور الخارجية .

فالمرء من حقاً لا تلهيه الأموال والأولاد ومتاع الدنيا عن ذكر الله جل وعلا وعن الطاعة والدار الآخرة . . .

قال الله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة

و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار « النور : ٣٧) أى لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى شىء من امور الدنيا
وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله »
المنافقون : ٩) أى لا يكن إهتمامكم بأموالكم و أولادكم سبباً في إنصرافكم عن القرآن الكريم وتعاليمه ...

٢ - (حتى زرتم المقابر)

شغلكم التباهي بتلك الامور عن الحقائق ، فغرّتكم الأمانى وعرض الحياة الدنيا ، فأضعتم أعماركم فيما لا يجدي فائدة ، ولا يعود عليكم بعائدة في حياتكم الباقية الخالدة ، فنسيتم الله عز وجل لقاء الآخرة ، و كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا حتى كنتم تضمّون موتاكم في التكاثر بأحياكم عند إستيعابهم ، و كنتم ذاهبين إلى أهل القبور فتكاثرون بأهلها ، و دتم على ذلك حتى أتاكم الموت و صرتم منضمين بهم فيها و أنتم كافرون .

قال الله تعالى : « ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانى حتى جاء أمر الله » الحديد : ١٤) .

وقال : « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا و هم كافرون » التوبة : ١٢٥) .

وقال : « و غرّتهم الحياة الدنيا و شهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الأنعام : ١٣٠) .

و قال : « حتى إذا جائتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا و شهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الأعراف : ٣٧) .

٣ - (كلا سوف تعلمون)

إرتدعوا أيها الكفار والمجرمون عن التكاثر في الأموال والأولاد ، وعن المغالبة في تحصيل الجاه والمقام ، وازدجروا أيها الفجار والمستكبرون عن التفاخر

بالعدّة والعدّة ، والتباهي بالأحياء والأموات والعظام البالية ... سوف تعلمون خطأ رأيكم وإنحرف سبيلكم إذا انقطعت عن الحياة الدنيا ، إذ يرتفع الحجاب وغشاوة الجهل المعمد بالإنخلاع عن ستار الدنيا وحياتها ، سوف تعلمون تبعاتها إذا زرتم المقابر ، و سوف تعلمون ما يحلّ بكم من العذاب عند دخولكم في القبر و ليلته إجمالاً .

قال الله عزّ وجلّ : « حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلّاً انها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » المؤمنون : ٩٩-١٠٠) .

وقال : « فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتّى إذا جائتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين » الأعراف : ٣٧) .
وقال : « ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون » الأنعام : ٩٣) .

٤ - (ثم كلا سوف تعلمون)

ليس الأمر على ما تعرفون عند الموت و دخول القبر بالاجمال من عدم نفع التلهّي والتكاثر ، وما تشاهدون من تبعاتهما ، وإنّما تفصيل ذلك ما سوف تعرفون وتشاهدون بالعيان يوم البعث والحساب والجزاء من سوء عاقبة تفاخركم وتباهيكم وتكاثركم ...

قال الله عزّ وجلّ : « قد خسر الذين كذّبوا بقاء الله حتّى إذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على رؤسهم يوزون » الأنعام : ٣١) .

وقال : « وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيّها الإنسان

ما غرّك بربّك الكريم « الإفطار : ٤ - ٦) .

و قال : « وإذا الصّحف نشرت - علمت نفس ما أحضرت » التكوير :

(١٠ - ١٤)

وقال : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو

أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً » آل عمران : (٣٠)

وقال : « حتّى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من

هوشر مكاناً وأضعف جنداً » مريم : (٧٥)

وقال : « فقالوا أبشراً منّا واحداً نتّبعه إنّنا إذا لفي ضلال وسعر ألقى الذكر

عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غداً من الكذاب الأشر » القمر :

(٢٤ - ٢٦)

وقال : « حتّى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً »

الجن : (٢٤)

وقال : « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّنى عامل فسوف تعلمون من تكون

له عاقبة الدار أنّه لا يفلح الظالمون » الأنعام : (١٣٥)

وقال : « وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » الرعد : (٤٢)

وقال : « قل كل متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ و

من اهتدى » طه : (١٣٥)

وقال : « فستعلمون من هو في ضلال مبين » الملك : (٢٩)

وقال : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون » الحجر : (٣)

وقال : « يوم يعصّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً

يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جائتني

وكان الشيطان للإنسان خذولاً - وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً »

الفرقان : (٢٧ - ٤٢)

وقال : «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» الشعراء : (٢٢٧)

٥- (كلالو تعلمون علم اليقين)

لا ينتهى علمكم أيها الكفرة الفجرة ، والفسقة والعاصية إلى الموقفين: القبر والبعث ولا يقصر فيهما ، بل إنكم لو تعلمون يوم القيامة علم اليقين بمعاينة تبعات التكاثر في الأموال والأولاد ، بمعاينة وخامة عواقب المغالبة في النيل إلى الجاه والمقام والرئاسة ، بمعاينة عاقبة سوء التفاخر بالعدة والعدة والأعضاء والعظام البالية... إن يكشف الغطاء يومئذ فبصركم اليوم حديد .

قال الله تعالى: «ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل صالحاً إننا موقنون - فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إننا نسيناكم و ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » السجدة : (١٢ - ١٤)

وقال: «ولوترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » الأنعام : (٣٠)

وقال: «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون - وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين وبدالهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وما أواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتم الحياة الدنيا» الجاثية: (٢٨ - ٣٥)

و قال: «و نفخ في الصور ذلك يوم الوعيد و جاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق : (٢٠ - ٢٢)

٦- (لترون الجحيم)

لترون أيها الكفار والمستكبرون، أيها الفجار والمجرمون، وأيتها الفساق

والمفسدون لترون الجحيم الموعودة بأعينكم يوم القيامة من مكان بعيد قبل دخولكم فيها لا تغيبون عنها .

قال الله تعالى : « فإذا جاءت الطامة الكبرى يومئذ يتذكّر الإنسان ما سعى وبرّزت الجحيم لمن يرى » النازعات : ٣٣ - ٣٤

و قال : « و أعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً - وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً ، الفرقان : ١١ - ٤٢)

و قال : « وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون » الشعراء : ٩١ - ٩٣

و قال : « و ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذلّ ينظرون من طرف خفيّ » الشورى : ٤٤ - ٤٥)

٧- (ثم لترونها عين اليقين)

ثم لترون أيّها الطغاة و الفجرة الجحيم بعين اليقين ، من شفيرها إلى الخلود فيها ، وأيّ علم أعلى يقيناً من علم المشاهدة والعيان و ملامسة المرئى و ذوقه .

قال الله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين - قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، الأنعام : ٢٧ - ٣٠)

وقال : « ورأى المجرمون النار فظنّوا أنّهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً » الكهف : ٥٣)

والظنّ ههنا بمعنى اليقين والقطع .

وقال : « فاطلع فرآه في سواء الجحيم » الصافات : ٥٥)

وقال : «فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى» النازعات

(٣٧ - ٣٩)

٨- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

ثم أنتم أيها الكافرون الفجرة ، و المجرمون الفسقة ، و المفسدون الظلمة والمستكبرون لاجابة لتسئلن يوم القيامة عند دخولكم الجحيم و بعده عن الدين و من جاءكم به و من نصبه عليكم من بعده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الذين إفترض الله جلّ و علا طاعتهم ، و أوجب إتباعهم في السلوك إلى الله تعالى العباد.

قال الله تعالى : «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا و أزواجهم و ما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم و قفوهم انهم مسئولون» الصافات : ٢١ - ٢٤

وقال : «فاستمسك بالذي اوحى إليك إنك على صراط مستقيم و انه لذكر لك و لقومك و سوف تسئلون» الزخرف : ٤٣ - ٤٤

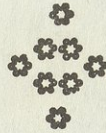
وقال : «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً - ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن ليبطلهم كرم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون و اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذي و ائقكم به إذ قلتم سمعنا و أطعنا» المائدة : ٣ - ٧

و قال : «فلنسئلن الذين ارسل إليهم» الاعراف : ٦

و قال : «كلما القي فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير» المملك (٨ - ٩)

و قال : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين و كنّا نخوض مع الخائضين و كنّا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين» المدثر : ٤٢ - ٤٧

مع أنكم أيّها الكفرة و الفجرة و الفسقة تسئلن عن عقائدكم الباطلة ، و أقوالكم المنكرة ، و أعمالكم الفاسدة ، و عما قضيتموه في حياة النعيم التي ألهمتكم عن الدار الآخرة و التفكير فيها ، و استغرقتم في النعيم ، و جعلتم شهوات الحياة و نعيمها قصارى همّكم و مطلبكم ، فتملك الشهوات عليكم تفكيركم ، و تعمى بصيرتكم و تجعلكم لا تحسبون للعواقب حساباً و توهمكم بأنكم في أمن دائم و عيش رغيد لافناء و لازوال ، و لتسئلن يوم رؤية الجحيم عن النعيم عن كل ما تلتذّون به في الحياة الدنيا من الصّحة و الفراغ و الأمن و المطعم و المشرب و المسكن و ما إليهما من النعيم ماذا عملتم فيه؟ من أين وصلتكم إليه، و فيم أصبتموه؟؟؟ قال الله تعالى: «فوربك لتسئلن أجمعين عما كانوا يعملون» الحجر: ٩٢ - ٩٣



* جملة المعاني *

٦١٦٩- (ألهاكم التكاثر)

شغلكم أيها الكفار والمجرمون التكاثر في الأموال والأولاد والتفاخر بالعدّة والعدّة، والتباهي بعرض الحياة الدنيا الزائلة والتسابق فيها عما يهتمكم من الطاعة وصالح الأعمال وذكر الآخرة، فعمتكم الغفلة، وأحاطكم الجهل والشك فيما وراء ذلك مدى حياتكم.

٦١٧٠- (حتى زرتم المقابر)

حتى كنتم تضيئون موتاكم في التكاثر بأحياكم عند استيعابهم، فتذهبون إلى أهل القبور فتكثرون بأهلها، ودمتم على ذلك حتى أتناكم الموت وصرتم منضمين بهم فيها وأنتم كافرون.

٦١٧١- (كلا سوف تعلمون)

إرتدعوا أيها الكفرة والفجرة عن التكاثر، سوف تعلمون خطأ رأيكم عند الإحتضار وكشف الغطاء ودخول القبر إجمالاً .

٦١٧٢- (ثم كلا سوف تعلمون)

ليس الأمر مقصوراً فيما عرفتم عند الموت والقبر إجمالاً، بل سوف تعلمون تفصيل هذا الإجمال فتشاهدون تبعات التكاثر والتفاخر والتباهي حين البعث وموقف الحساب والجزاء بالحس والعيان .

٦١٧٣- (كلا لو تعلمون علم اليقين)

لا يقصر علمكم أيها الفسقة والظلمة في الاجمال والتفصيل المتقدمين، بل انكم لو تعلمون يوم القيامة علم اليقين بمعاناة تلك التبعات ، و و خامة العواقب ...

٦١٧٤- (لترون الجحيم)

لترون أيها الجبابرة والمستكبرون الجحيم الموعودة بأعينكم يوم القيامة من مكان بعيد قبل دخولكم فيها لاتغيبون عنها .

٦١٧٥- (ثم لترونها عين اليقين)

ثم لترون أيها الطغاة الباغية الجحيم بعين اليقين من شفيرها إلى الخلود فيها ومن ذوق نارها و حرافتها .

٦١٧٦- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

ثم أنتم أيها المفسدون والمستبدون لتسئلن يوم القيامة عند دخولكم الجحيم وبعده عن الدين ومن جاءكم به وهو النبي الكريم ﷺ و من نصبه عليكم من بعده من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



* بحث روائي *

في نهج البلاغة: ومن كلام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد تلاوته: «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر» ياله مرأماً ما أبعد! وزوراً ما أغفل! وخطراً ما أفضعه! لقد استخلوا منهم، أي مدّكر و تفاشواهم من مكان بعيد! أفبصارع آباءهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحر كات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة لقد نظروا إليهم بآبصار العشوة، وضربوا منهم في غمرة جهالة.

ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدنيا يا الخاوية والربوع الخالية لقاتل ذهبوا في الأرض ضلّالاً وذهبتم في أعقابهم جهّالاً تطئون في هامهم و تستنبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليهم، أولئك سلف غايتكم، وفرط ما هلكم الذين كانت لهم مقام العزّ وحلبات الفجر ملكو كآ وسوقاً.

قوله عليه السلام: «ياله مرأماً» اللام للتعجب و«مرأماً» منصوب على التمييز و المرام: المقصد بأن كان مقصدهم التفاخر وإثبات المنقبة لأنفسهم فالمعنى: التعجب من بعد ذلك المرام، فإن الغاية المطلوبة لا يدر كها إنسان لأن كل غاية بلغها فإن فوقها غاية أخرى قد أدركها غيره فيطمح نفسه إليها أو ما أبعد عن نظر العقل و عما هو الغاية الأصلية التي لا بد من السعى في الوصول إليها فلا فخر في ذلك، وطلب

الفخر من هذا الباب بعيد جداً ، وإنما الفخر بتقوى الله وطاعته ، فالفخر بالميت كالفخر بالجماذ .

وقوله **عليه السلام** : « وزوراً ما أغفله » الزور : الزائرون للمقابر ، وفيه إشارة إلى السذين كانوا يفتخرون بهم فجعلهم الإمام **عليه السلام** بتذكير الأموات السالفين كالزائرين لقبورهم لذلك ، فتركوا العبادة والطاعة وصرموا الأوقات بالمفاخرة بالعظام البالية .

وقوله **عليه السلام** : « وخطراً ما أفضعه » الخطر : الإشراف على الهلاك ، وفضع الشيء فهو فظيع أي شديد شنيع مجاوز للحد ، والخطر الفظيع : الموت أو شدائد الآخرة اللازمة لتلك الغفلة « لقد استخلوا منكم أي مدكر » أي اتخذوا هؤلاء الأحياء تخلية الذكر من أولئك الأموات دأبهم وشأنهم أي مدكر وراعظ لهم في ذلك .

وقوله **عليه السلام** : « وتناوشهم » : تناولهم ، والمراد انهم ذكروا موتاهم وتحدثوا عنهم فكأنهم تناولوهم من مكان بعيد عنهم وعن تناولهم فانهم بأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً قال الله عز وجل : « وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » سبأ : ٥٢) أي أنى لهم تناول الإيمان بعد فوات الأمر !

وقوله **عليه السلام** : « يرتجعون منهم أجساداً خوت » أي يطلبون رجوع أجسادهم خوت : خلت من الأرواح ، والمعنى : انهم يذكرون آباءهم الموتى فكأنهم بأن يردونهم إلى الدنيا بذكورهم والافتخار بهم من قبورهم ، وهؤلاء الموتى أحق بأن يكونوا لاولئك الأحياء عبرة وعظة من أن يكونوا لهم فخراً وشرفاً ، وإن هؤلاء المفتخرين بهم أولى بالهبوط إلى جانب الذلّة منهم بالقيام مقام العز ، و « جناب » : فناء و « أجيى » : أجدر .

وقوله **عليه السلام** : « لقد نظروا إليهم بابصار العشوة » أي لم ينظروا النظر المفضى إلى الرؤية لأن أبصارهم ذات عشوة وهو مرض في العين ينقص به الإبصار .

وقوله **إِنَّا** : « و ضربوا بهم في غمرة جهالة » أي ضربوا من ذكر هؤلاء الموتى في بحر جهل و هو تسفيه رأي المفتخرين بالموتى و القاطعين الوقت بالتكاثر بهم إعراضاً عما يجب إنفاقه من العمر في الطاعة و العبادة و صالح العمل .

وقوله **طَبَّ** : « ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية » أي لو سئلوا هؤلاء الأحياء عن ادلك الموتى ديارهم التي خلت منهم أو المراد بالديار والربوع : القبور و«لقات» تلك الديار والربوع و«ذهبوا» هؤلاء الموتى في الأرض هالكين ، فتفصح تلك الديار والربوع عن أحوال الموتى ، ونطقت بلسان الحال أو المقال ، و«ذهبتم» أيها الأحياء «في أعقابهم» بعدهم «جهالاً» لغفلتكم وغروركم ، و«نطئون» : تمشون «في هامهم» : على قبورهم ، والهام : جمع الهامة : الرأس :

وقوله **إِنَّا** : « وتستنبتون » : تزرعون النبات « في أجسادهم » و ذلك لأن أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتى فالزرع لا محالة يكون نابثاً في الأجزاء الترايبية التي هي أبدان الحيوان ، و «ترتعون» : تأكلون فيما لفظوا : ما خلفوه وتركوه أوتأكلون الفواكه التي تنبت في أجزاء ترايبية خالطها الصديد الجاري من أفواههم . واللفظ : الرمي من الفم .

وقوله **إِنَّا** : و « تسكنون فيما خرّبوا » أي تسكنون في المساكن التي لم يعمرها بالذكر والعبادة فكأنهم أخربوها في الحقيقة ثم سكنتم فيها بعدهم ، أو المراد ان كل دار عامرة قد كانت من قبل خربة ، وإنما أخربها قوم بادوا و ماتوا فلا ساكن إلا و هو كان خراباً من قبل أو أنكم تسكنون في دور فارقتها و أدخلوها على إطلاق الخلوعلى الخراب مجازاً .

وقوله **إِنَّا** : « وإنما الأيَّام بينكم وبينهم بسواك ونوائح عليكم » أي ان الأيَّام والليالي تشيع رائحاً إلى المقابر وتسكى وتنوح على الباقيين الذين سيلاحقون بهم عن قريب .

وقوله **عَلَيْهِ** : «اولثكم سلف غايتمكم» السلف: المتقدمون ، و الغاية : الحد الذي ينتهي إليه إما حسياً أو معنوياً والمراد هيهنا الموت ، و «فراط مناهلكم» فرط القوم: من سبقهم إلى الماء و المنهل : المورد و هو عين ماء ترده الإبل في المرعى ، و تسمى المنازل التي في المفاوز على طرف السفار منا هل لأن فيها ماء .

وقوله **عَلَيْهِ** : «مقاوم العز»: دعائمه جمع مقوم، وأصلها الخشبة التي تمسكها الحرّاث، و«حلبات الفخر» جمع حلبه و هي الخيل تجمع للسباق، و«سوقاً» جمع سوقة وهو من دون الملك .

و في مجالس الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الزهري عن أحدهما **عَلَيْهِ** انه قال : ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال: من قال: «لا إله إلا الله» فلن يلج ملكوت السماء حتى يتم قوله بعمل صالح و لا دين لمن دان الله بطاعة الظالم ثم قال: و كل القوم ألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر .

وفي الكافي: باسناده عن إبراهيم بن محمد النوفلي رفعه إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال: مر رسول الله **عَلَيْهِ** براعي إبل فبعث يستسقيه فقال : أما ما في ضروعها فصبوح الحي ، وأما ما في آئتنا فقبوقهم فقال رسول الله **عَلَيْهِ** : اللهم أكثر ماله وولده ثم مر براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب به ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله **عَلَيْهِ** وبعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا وإن أحببت أن تزيدك زدناك ؟ قال: فقال رسول الله **عَلَيْهِ** : اللهم ارزقه الكفاف فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله **عَلَيْهِ** دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نجبه ، و دعوت للذي اسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه ؟ فقال رسول الله **عَلَيْهِ** : إن ما قل و كفى خير مما كثر وألهى : اللهم ارزق محمداً و آل محمد الكفاف .

وقوله **عَلَيْهِ** : « فصبوح » : ما يشرب بالغداة ، والغبوق : ما يشرب بالعشي

و«كفأ»: قلب و ك ب ، و«اسعفك بحاجتك»: قضاها لك و«ألهي»: أي شغل عن الله وعن عبادته .

وفي المجمع: وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه قال: إنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، السورة قال: يقول ابن آدم: مالي مالي و مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت .

و في الجامع لاحكام القرآن : للمقرطبي: وروى البخاري عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن لا بن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان و لن يملأناه إلا التراب و يتوب الله على من تاب» .

وفيه: و قال ابن عباس: قرأ النبي ﷺ: «ألهاكم التكاثر»، قال: تكاثر الأموال: جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدت هافي الأوعية» .

وفي الخصال: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل - قال: «والتكاثر لهو و شغل و إستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ...»

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «ما أخشى عليكم الفقر و لكن أخشى عليكم التكاثر» .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ألهاكم التكاثر» أي أغفلكم كثر تكم، و قوله: «حتى زرتم المقابر»: و لم تذكروا الموت (الموتى خ) و قوله: «لترون» الجحيم، أي لابد أن ترونها .

وفي نهج البلاغة: قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب بشيء من الأشياء إلا عن علة تحتل نمويه الجهلاء أو حجة تليط: يعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لأمر ما يعرف

له سبب ولا علة، أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله وطعن عليه في خلقته ، فقال: أنا ناري وأنت طيني ، وأمّا الأغنياء من مترفة الامم ، فتعصّبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجدهاء والنجدهاء من بيوتات العرب ، ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة ، والأخطار الجليلة والآثار المحموده ، فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للحوار والوفاء بالذمام ، والطاعة للبرّ والمعصية للكبير والأخذ بالفضل، والكفّ عن البغي والاعظام للقتل والإنصاف للخلق ، والكظم للغيط ، وإجتنب الفساد في الأرض .

وقوله **عَلَيْهِ السَّلَام**: «تمويه»: تلبس من موته النحاس: إذا طليته بالذهب ليخفى، و«تليط» من لاط فلان الحوض: طلاء من طين ومسه ، ويعني: إلتصق ، و«مترفة» هم الذين أطفتهم النعم الكثيرة، و «يعاسيب» جمع يعسوب أي رؤساء القبائل وأميرهم ، و«الرغيبة»: الغصلة يرغب فيها ، و «الأحلام»: العقول و«الأخطار»: الأقدار .

وفي البرهان : بالاسناد عن عبدالله بن نجيح اليماني قال: قلت لأبي عبدالله **عَلَيْهِ السَّلَام** قوله عز وجل: «كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» قال: يعني مرّة في الكرة ومرّة في يوم القيامة.

وفي الاختصاص : عن عبدالله بن نجيح اليماني قال : قلت لأبي عبدالله **عَلَيْهِ السَّلَام**: «ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال : النعيم الذي أنعم الله عليكم بمحمد وآل محمد صلّى الله عليه و عليهم ، وفي قوله تعالى : «لوتعلمون علم اليقين» قال: المعاينة ، وفي قوله تعالى: «كلا سوف تعلمون» قال: مرّة بالكرة واخرى يوم القيامة

وفي البرهان : بالاسناد عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله **عَلَيْهِ السَّلَام** في قوله :

«لو تعلمون علم اليقين» قال: المعاينة.

وفي رواية: قال الإمام علي عليه السلام: «ضع فخرك و احطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرٌك».

وفي روضة الواعظين للمفيد عليه الرحمة قال ابن عباس: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألهاكم التكاثر» قال: التكاثر: الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدّها في الأوعية «حتّى زرتم المقابر» حتّى دخلتم قبوركم «كلا سوف تعلمون» لو قد دخلتم قبوركم «ثمّ كلا سوف تعلمون» لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم «كلا لو تعلمون علم اليقين» قال: وذلك حين يؤتى بالصراط، فينصب بين جسرى جهنم «ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: عن خمس: عن شبع البطون، وبارد الشراب، ولذّة النوم، وظلال المساكين، وإعتماد الخلق.

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فدعا بطعام مالنا عهد بمثله لذانة وطيباً وأتينا بتمر ننظر فيه أو جهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسئلن عن هذا النعيم الذي تنعمتم به عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ أكرم وأجلّ أن يطعمكم طعاماً فيسو غكموه ثم يسئلكم عنه، ولكن يسئلكم عما أنعم به عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وبآل محمد عليهم السلام».

وفيه: باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت علي أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغدا فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً قطّ أطيب منه ولا أنظف، فلمّا فرغنا من الطعام، قال: يا باخالد كيف رأيت طعاماً أو قال طعامنا؟ قلت: جعلت فداك ما رأيت أطيب منه قطّ ولا أنظف، ولكنّي ذكرت الآية في كتاب الله عزّ وجلّ: «ولتسئلن يومئذ عن النعيم» قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّما يسئلكم عما أنتم عليه من الحق».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى

يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟».

وفي رواية: عنه عليه السلام: «عن عمره وماله وشبابه وعمله»

وفي المجمع: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن غياث بن إبراهيم الدارمي عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من ذكر اسم الله على الطعام لم يسئل عن ذلك الطعام أبداً.

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله تعالى: «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: نحن النعيم، وقرأ: «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه»

وفيه: باسناده عن أبي حفص الصائغ قال: قال عبدالله بن الحسن في قوله تعالى: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: يعني عن ولايتنا والله يا أبا حفص. وفي المجمع: وروى: أنه بعض الصحابة أضاف النبي صلى الله عليه وآله مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمرأ وماء بارداً فأكلوا فلمّا خرجوا قال: هذا من النعيم الذي تسئلون عنه.

وفيه: وروى العياشي باسناده - في حديث طويل - قال: أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام (سئل أبو عبدالله عليه السلام أبا حنيفة خ) عن هذه الآية فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد فقال عليه السلام: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسئلك عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الذي (قال: النعيم ولايتنا أهل البيت ونحن الذين خ) أنعم الله بنا على العباد وبنا إئتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألفت الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء

وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعترته.

وفي الجامع لأحكام القرآن: وروى أبو الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليعبد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعد عليه: سئلتني فلانة أن أزوجه فكها فيسميها باسمها فزوجه فكها»

وفيه: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسئل عنه يوم القيامة - يعني العبد - أن يقال له: ألم تصح لك جسمك ونزويك من الماء البارد»

وفيه: وروى من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسئله عن جاهه كما يسئله عن ماله، والجاه من نعيم الدنيا لا محالة.

وفي الاحتجاج: عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل - قال: «وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل على إنفراده وتوحيده وبأن لهم أولياء تجرى أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون، وهم النعيم الذي يسئل عنه، إن الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم قال السائل: من هو لاء الحجج؟ قال: هم رسول الله ﷺ ومن حل محله من أصفياء الله الذين قال: «فأينما تولوا فثم وجه الله» الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه.

وفي التهذيب: - في الدعاء بعد صلاة الغدير المسند إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام -: «اللهم وكما كان من شأنك يا صادق الوعد، يا من لا يخلف الميعاد يا من هو كل يوم في شأن، أن أنعمت علينا بموالات أوليائك المسئول عنها عبادك فانك قلت وقولك الحق: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» وقلت: «وقفوهم انهم مسئولون»

وفي تفسير القمى: بإسناده عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قول الله: «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: تسئل هذه الأمة عما أنعم الله عليهم برسول الله ثم بأهل بيته.

وفي عيون الاخبار: بإسناده عن إبراهيم بن عباس الصولى الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين و مائتين قال: كنا يوماً بين يدي علي بن موسى عليه السلام فقال لي: ليس في الدنيا نعيم حقيقي فقال له بعض الفقهاء ممن يحضره: فيقول الله عز وجل: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضرب فقال طائفة: هو الماء البارد وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، وقال آخرون: هو النوم الطيب قال الرضا عليه السلام:

و لقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» فغضب عليه السلام وقال: إن الله عز وجل لا يسئل عباده عما تفضل عليهم به، ولا يمن بذلك عليهم والامتنان بالأنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل وما لا يرضى المخلوق به؟ ولكن النعيم حبنا أهل البيت ومولاتنا يسئل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفي بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول ولقد حدثني بذلك أبي عن أبيه عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن أول ما يسئل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنك ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقر بذلك وكان يعتقد صارا إلى النعيم الذي لا زوال له، فقال لي أبو ذكوان بعد أن حدثني بهذا الحديث مبتدياً من غير سؤال: احديثك بهذا من جهات: منها لفصدك لي من البصرة، ومنها إن عمك

أفادنيه ، و منها إني كنت مشغولاً باللغة و الأشعار ولا أعول على غيرهما ، فرأيت النبي ﷺ في النوم و الناس يسلمون عليه و يجيبهم فسلمت فما رد عليّ ، فقلت : أما أنا من أمتك يا رسول الله ؟ قال لي : بلى و لكن حدث الناس بحديث النعيم الذي سمعته من إبراهيم ، قال الصولي وهذا حديث قد رواه الناس عن النبي ﷺ إلا أنه ليس فيه ذكر النعيم ، والآية و تفسيرها إنما روي ان أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة : الشهادة و النبوة و موالاته علي بن أبيطالب عليه السلام .

وفي المسند الامام الرضا عليه السلام : عن الطائي عن أبيه عن الرضا عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال : قال علي بن أبيطالب عليه السلام في قول الله عز وجل : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال : الرطب و الماء البارد .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث لا يحاسب بهن العبد : ظلّ خص يستظل به و كسريشد بها صلبه و ثوب يوارى به عورته»

وفي تفسير المراغي : روى عن عمر أنّه قال : «أي نعيم نسئل عنه يا رسول الله ﷺ و قد اخرجنا من ديارنا و أموالنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : ظلال المساكين و الأشجار و الأخبية التي تقيكم الحرّ و البرد و الماء البارد في اليوم الحار»

وفيه : و روى أن رسول الله ﷺ قال : «من أصبح آمناً في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيرها»

وفي أمالي الشيخ رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو بن راشد أبي سليمان عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال : نحن النعيم وفي قوله : «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال : نحن الحبل .

وفي البرهان : عن أصبغ بن نباته عن علي عليه السلام قال : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال : نحن النعيم .

وفيه : عن محمد بن أبي عمير عن أبي الحسن موسى عليه السلام في قوله عز وجل :
«ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال : نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر .

وفيه : عن أبي خالد الكابلي قال : دخلت على محمد بن علي عليه السلام فقدم طعاماً
لم آكل أطيب منه ، فقال لي : يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا ؟ قلت : جعلت فداك
ما أطيبه غير أني ذكرت آية في كتاب الله فغضب فقال : وما هي ؟ قلت : « ثم
لتسئلن يومئذ عن النعيم » فقال : والله لا تسئل عن هذا الطعام أبداً ثم ضحك
حتى إفترضا حكماؤه و بدت أضراسه وقال : أتدرى ما النعيم ؟ قلت : لا قال :
نحن النعيم .

وفيه : الشيخ المفيد بإسناده إلى محمد بن العائر عن الكلبي ، قال : لما قدم
الصادق عليه السلام العراق ونزل الحيرة ، فدخل عليه أبو حنيفة وسأله عن مسائل ، و
كان مما سأله أن قال له : جعلت فداك ما الأمر بالمعروف ؟ فقال عليه السلام : المعروف
في أهل السماء المعروف في أهل الأرض ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
قال : جعلت فداك فما المنكر ؟ قال : اللذان ظلماه حقه و ابتزاه أمره و حمل
(حملاخ) الناس على كتفه قال : ألا هو أن ترى الرجل على معاصي الله فتنهاه عنها ؟ فقال
أبو عبد الله عليه السلام : ليس ذلك أمراً بالمعروف ، ولا نهياً عن المنكر إنما ذاك خير قدمه
قال أبو حنيفة :

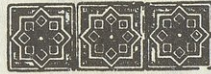
أخبرني جعلت فداك عن قول الله عز وجل : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» ؟
قال : فما عندك يا أبا حنيفة ؟ قال : قال : الأمن في السرب و صحة البدن و
القوت الحاضر فقال : يا أبا حنيفة لئن أوقفك الله يوم القيامة حتى يسئلك عن
أكله أكلتها و شربة شربتها ليطولن و قوفك ، قال : فما النعيم جعلت فداك ؟
قال : النعيم نحن الذي انقذ الناس بنا عن الضلال و بصرهم بنا من العمى ، و
علمهم بنا من الجهل قال : جعلت فداك فكيف كان القرآن جداً أبداً ؟ قال :
لأنه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الأيام ولو كان كذلك لفنى القرآن قبل

فناء العالم .

وفيه : ابن شهر آشوب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» يعني الأمن والصحة ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

و فيه : و عن طريق المخالفين عن أبي نعيم الحافظ يرفعه إلى جعفر بن محمد في قوله تعالى : «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» يعني الأمن والصحة و ولاية علي عليه السلام.

وفيه : الشيخ ورام عن علي عليه السلام في قوله تعالى : «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال : الأمن والصحة والعافية.



﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض الفقهاء بقوله عز وجل : « حتى زرتم المقابر » التكاثر : ٢) على جواز زيارة القبور للرجال والنساء لعموم الخطاب كما في قول النبي الكريم ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورو القبور فانها تزهد في الدنيا و تذكر الآخرة » فلما رخص النبي ﷺ زيارة القبور دخل في رخصته الرجال والنساء لعموم قوله ﷺ : « زوروا القبور » .

وقال بعضهم : تكره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

أقول : ان جواز زيارة القبور للرجال متفق عليه عند الفقهاء ، يختلف فيه للنساء ، ويحرم على الشواب الخروج لزيارة القبور عند بعضهم ، وأما القواعد فمباح لهن ذلك و يجوز ذلك لجميعهن إذا انفرن بالخروج عن الرجال و أما إذا خيفت الفتنة من اجتماع الرجال والنساء في موضع أو وقت فلا يجوز خروج النساء لزيارة القبور .

* بحث مذهبي *

وقد استدل بعض المحققين من المفسرين بقوله عز وجل: «حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» التكاثر: ٢-٤) على صحة القول بعذاب القبر لمن استحق، والسؤال فيه عن القبور مطلقاً، على أن معنى الآيات: إذا صرتم إلى المقابر ودخلتم قبوركم فدفنتم فيها، وجاءكم منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع عنكم الجواب إلا من جاء بقلب سليم. وذلك إن الله تعالى أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر: أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيداً منه تعالى لهم وتهديداً عليهم أعادنا الله جل وعلا من عذاب القبر وأهواله بعصمة حبيبته محمد المصطفى وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد اختلفت الآراء والمذاهب في سؤال نكير ومنكر عن المقبورين سواء كانوا مؤمنين أم كانوا كافرين؟ متقين أم فاجرين؟ مصلحين أم مفسدون؟ مفلحين أم خاسرين؟؟؟ وفي عذاب القبر لمن استحق به إختلافاً كثيراً، فأنكر طائفة، وأثبت آخرون.

وقد ذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقّة إلى وجوب الايمان به، و لزوم التصديق به حسب ما أخبر به الصادق المعصوم عليه السلام.

في أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمار عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شعيتنا: المعراج والمسائلة في القبر والشفاعة».

وذلك ان الله عز وجل يحيى العبد المكلف في قبره برّد الحياة إليه، ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه من قبل ليعقل ما يسئل عنه وما يجيب به، ويفهم من أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من راحة أو هول، ومن كرامة أو هوان... وفي تحف العقول: في موعظة الإمام الرابع سيّد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام: «ويحك يا بن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه، ان أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدر كك فكأن قد أوفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك وصيرت إلى قبرك وحيداً، فرد إليك روحك، واقتحم عليك ملكك: منكروك كبير لمسائلتك وشديد إمتحانك ...» الحديث .



﴿ كلمات العامة وزيارة القبور ﴾

وقد وردت من أعلام العامة كلمات كثيرة في جواز زيارة القبور وترغيب المسلمين فيها نشير إلى نبذة منها:

في تفسير الجامع لأحكام القرآن (جزء ٧٩ ص ٧٢٦٠ ط دارالشعب)
 للقرطبي: قال: «لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة - سورة التكاثر -
 وزيارتها من أعظم الداء للقلب القاسي، لأنها تذكر الموت والآخرة، وذلك
 يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها. قال النبي ﷺ: «كنت
 نهيتكم عن زيارة القبور فزروا القبور فأنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»
 رواه ابن مسعود أخرجه ابن ماجه، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «فأنها
 تذكر الموت» وفي الترمذي عن بريدة: «فأنها تذكر الآخرة» قال: هذا حديث
 حسن صحيح، وفيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور. قال:
 وفي الباب عن ابن عباس و حسان بن ثابت. قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن
 صحيح. وقد رأى بعض أهل العلم: أن هذا كان قبل أن يرخّص النبي ﷺ في
 زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء. وقال بعضهم: إنما كره
 زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن.

ثم قال القرطبي:

قلت: زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء، مختلف فيه للنساء

أما الشَّوَابُ فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح لهن ذلك ، و جائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا تختلف في هذا إن شاء الله و على هذا المعنى يكون قوله : « زوروا القبور » عاماً وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من إجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز ، فبينما الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس ، فيرجع كل واحد من الرجال والنساء ما زوراً غير مأجور والله أعلم .

ثم قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه وإنقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه أن يكثر من هاذم - أي قاطع - اللذات و مفرق الجماعات ، و موتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضرين و زيارة قبور أموات المسلمين ، فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسى قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ، و يستصرخ بها على فتن الشيطان و أعوانه ، فان انتفع بالاكتثار من ذكر الموت و انجلت به قسوة قلبه فذاك ، وإن عظم عليه ران قلبه و استحسنت فيه دواعي الذنب ، فان مشاهدة المحتضرين و زيارة قبور أموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير و قائم له مقام التخويف والتحذير ، وفي مشاهدة من احتضر و زيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة ، فلذلك كان أبلغ من الأول قال عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس .

فأما الاعتبار بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الأوقات ، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات ، وأما زيارة القبور فوجودها أسرع ، و الانتفاع بها أليق و أجدر فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، و يحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حفظه منها التطواف على الأجداد فيها فان هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ، و نعوذ بالله من ذلك ، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى و إصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميت بما يملو عنده من القرآن و الدعاء

و يتجنب المشي على المقابر و الجلوس عليها ، و يسلم إذا دخل المقابر و إذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه أيضاً و أنه من تلقاء وجهه لأنه في زيارته كمخاطبته حياً ، و لو خاطبه حياً لكان الأدب إستقباله بوجهه فكذلك ههنا .

ثمّ يعتبر بمن صار تحت التراب و إنقطع عن الأهل و الأحباب بعد أن فاد الجيوش و العساكر و نافس الأصحاب و العشائر و جمع الأموال و الذخائر فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه و هول لم يرتقبه ، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ، و درج من أقرانه الذين بلغوا الآمال ، و جمعوا الأموال ، كيف إنقطعت آمالهم ، و لم تغن عنهم أموالهم ، و محى التراب محاسن وجوههم و افتقرت في القبور أجزاءهم و ترمل من بعدهم نساؤهم ، و شمل ذلّ اليتيم أولادهم ، و اقتسم غيرهم طريقتهم و تلادهم ، و ليتذكر ترددهم في المآرب (تزوّدهم المآرب خ) و حرصهم على نيل المطالب ، و إنخداعهم لمواتاة الأسباب و كونهم إلى الصحة والشباب .

و ليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، و غفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لابدّ صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه ، و كيف تهدمت رجلاه ، و كان يتلذذ بالنظر إلى ما خوّله و قد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه و قد أكل الدود لسانه ، و يضحك لمواتاة دهره ، و قد أبلى التراب أسنانه ، و ليتحقق أن حاله كحالهم و مآله كمآله ، وعند هذا التذكير والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، و يقبل على الأعمال الاخرية ، فيزهد في دنياه و يقبل على طاعة مولاه و يلين قلبه و نخشع جوارحه .

وفي المنار (ج ٦ ص ١٢٨): عن ابن ماجه قال رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة ».

ثم قال صاحب المنار: «ان الأمر: «زورها» بعد الحظر للإباحة وقد يجب أو يندب أو يحظر لعارض يقتضي ذلك».

وفي تفسير روح البيان (ج ١ ص ٨٧٩) ما لفظه: «قال الشيخ عبدالغني النابلسي في كشف النور عن أصحاب القبور ما خلاصته: ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء و وضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز إذا كان القصد بذلك: التعظيم في أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر وكذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء من باب التعظيم والإجلال أيضاً للأولياء فالمقصود فيها مقصد حسن، ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيماً لهم، ومحبة فيهم جائز أيضاً لا ينبغي النهي عنه، ومنها الدخول والقعود فيها والمكث والعبادة والذكر ودراسة العلوم ونحو ذلك».

وفي تفسير طنطاوى (ج ٢١ ص ٢٠١) ما لفظه: «ان صديقنا الاستاذ الشيخ محمد منصور أحد علماء شين القناطر هو الذي اشرت له آنفاً - إن قال في ج ٢١ ص ٢٠٠ من تفسيره - ما لفظه: وأنا لا يتسنى لى في هذا التفسير أن أكتب من أفواه الرجال فخير الواحد لا ثقة به، ولكن جاء صديق من متخري الأزهر فاسمعنى كلاماً سمعته من كثير غيره و لكنني لم أرد أن أكتب عن أحد شيئاً، فقال لي هو - الصديق -: انه زار قبر نبي الله هود عليه السلام وسمع بقبر نبي الله صالح في تلك البلاد فقلت له: انظر هذه الخريطة وقد كان أهذا هالي بعض الفضلاء من بيت السقاف المشهور فلماً نظرها و رأى مكان قبر هود قال: هذه الخريطة حق، ولقد رأيت في قبر نبي الله هود نقوشاً بعيني رأسي لا أعرف أنا ولا غيري منها شيئاً».

فاذا رجل بعض علماء الآثار إلى تلك البلاد والوصول إليها سهل، فان ذلك يفتح باباً للعلم واسعاً، فعسى أن يقوم أرباب العلم بهذا ليرفعوا النقاب عن

وجه التاريخ فانظر إلى العجب العجيب، وكيف نرى قبور هود عليه السلام في واد قريب من قبر صالح عليه السلام وانظر كيف نرى واد المسيلة التي فيه قبر هود متصلاً بواد سر الذي فيه قبر صالح عليه السلام، وكيف نسمع انهم في تلك البلاد يشدون الرحال لزيارة قبر النبيين كما يزور أهل بلادنا قبر السيد أحمد البدي، وانه (الشيخ محمد منصور) زار قبر هود عليه السلام ولم يكن ورد لي منه خطاب في هذا المعنى، ولما كتبت ما تقدم ورد خطابه وقد جاء فيه بعد الديباجة ما نصّه بالحرف الواحد:

أما مسألة سيد هود وسيدنا صالح عليهما الصلاة والسلام فهناك حديثهما « في اليوم الثامن عشر من شهر جمادي الثانية سنة / ١٣٤٥ هجرية خرجت بصحبة فقيد الشرق، و الاسلام السيد محمد بن عقيل الحضرمي وابن عمه السيد أحمد ابن عمر السري الشهير لإدارة التعليم بحضر موت، وهي بلاد الأحقاف الوارد ذكرها في القرآن الكريم وقد وصلنا إليها في اليوم السادس من شهر شعبان لتلك السنة المذكورة و حينما وصلنا إليها وجدنا البلاد في هياج وحرارة غير عادية، ونظراً لأنني غريب عن البلاد رأيت عدم الاسراع بالسؤال عن سبب هذه الحرارة، ولم ألبث إلا يسيراً حتى حضر عندي في الجناح المدة لسكنائي من سراي أحمد بن عمر الفخمة السيد أحمد بن عمر نفسه .

و عرض عليّ التوجه لزيارة قبر سيدنا هود عليه السلام فعلمت حينئذ السرّ في هذه الحرارة و باستمرار حديثي مع حضرة السيد تبين لي أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها تتوجه إلى شعب هود عليه السلام في اليوم العاشر من شهر شعبان كل سنة لأداء هذه الزيارة و الليلة الختامية لهذه الزيارة هي ليلة النصف من شهر شعبان ولهم هناك مراسيم اعتادها السادة العلويون بحضر موت.

وهناك بقبر هود عليه السلام صخرة عظيمة جداً يسمونها الناقة وفي صباح ليلة النصف من شعبان يبكرون قافلين إلى بلادهم وإعتقاد أن هذا قبر هود عليه السلام متواتر عن سكان البلاد قبل الإسلام وكذا هناك قبر سيدنا صالح عليه السلام وهو مشهور

شهرة قبر هود عليه السلام غير أن إعتناء أهالي البلاد بزيارة سيدنا صالح أقل من إعتنائها بزيارة هود عليه السلام هذا ما يتعلق بوجود هذين القبرين ببلاد حضرموت التي هي بلاد الأحقاف إني رأيت ما تقدم بعيني رأسي و شاهدته مع مئات الألوف من أهالي البلاد و إذا كان هناك شك في أن ببلاد العرب بلدة تسمى مكة توارث الناس علمها جيلاً بعد جيل جاهلية و إسلاماً ، فليصح أن يوجد من يشك في أن ببلاد الأحقاف التي هي حضرموت قبري هود و صالح عليهما الصلاة والسلام .

و في احياء العلوم (ج ٤ ص ٤٩٠) قال الغزالي : «زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكّر والإعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد .
ثم قال : والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً بوجهة الميت - ولا بأس بقراءة القرآن على القبور» .

ثم قال : «فالقصد من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه ، فلا ينبغي الزائر عن الدعاء لنفسه و للميت ولا عن الاعتبار به : وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصوّر في قلبه الميت كيف تفرقت أجزائه ؟ و كيف يبعث من قبره ؟ و انه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال : كانت عجوز في عبد القيس متعبدة ، فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب ، و إذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت : إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى ، و إني لآتي القبور فكأنني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، و كأنني أنظر إلى تلك الوجوه المستعفرة و إلى تلك الأجسام المتغيرة ، و إلى تلك الأجفان الدسمة ، فيالها من نظرة لو أشر بها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للأنفس وأشدّ تلفها للأبدان» .

وفي تفسير المراغي (ج ٣٠ ص ٢٣٠ ط مصر) ما لفظه: «قال العلماء: إن زيادة القبور من أعظم الدواء للقلب القاسي لأنها تذكر بالموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها ومن ثم قال وَاللَّهُ وَاسِعٌ: «كنت نهيتكم عن زيادة القبور فزوروها فانها ترهّد في الدنيا وتذكركم الآخرة».

كما لا خلاف في منع زيارتها إذا حدث في ذلك منكرات وأشياء مما نهى عنه الدين كاختلاط الرجال بالنساء وحدوث فتن لا تحمد عقباها.

وفي تفسير غرائب القرآن للنيشابوري (ج ٣٠ ص ١٥٤ المطبوع بهامش تفسير البيان للطبري ط مصر) ما لفظه: «يرى أن بني سهم تفاخروا أيهم أكثر عدداً، فكثروهم أي غلبهم بالكثرة بنوعبد مناف فقاتل بنو سهم: ان البغى أهلكتنا في الجاهلية، فعادونا بالأحياء والأموات أي عدوا مجموع أحيائنا وأمواتنا مع مجموع أحيائكم وأمواتكم، ففعلوا فزاد بنو سهم، فنزل الآية، وهذه الرواية شديدة الطباق لظاهر الآية لقوله: «زرتم» بصيغة الماضي، وفيه تعجب من حالهم أنهم زاروا القبور في معرض المفاخرة والاستغراق في حب ما لا طائل تحته من التباهي بالكثرة والتباري فيها مع أن زيارة القبور مظنة ترفيق القلب وإزالة القساوة كما قال وَاللَّهُ وَاسِعٌ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بد إلي فزوروها فان في زيارتها تذكرة، ومن هنا قال بعضهم: أراد أن الحرص على المال قد شغلكم عن الدين فلا تلتفتون إليه إلا إذا زرتم المقابر، فحينئذ ترقق قلوبكم يعني أن حظكم من دينكم ليس إلا هذا القدر ونظيره قوله: «قليل ما تشكرون» أي لا أقنع منكم بهذا القدر من الشكر».

وفي دائرة المعارف (ج ١٠ ص ٨٧٠ ط بيروت سنة ١٩٧١ م) ما لفظه: «مما يؤخذ على الوهابيين غلو بعضهم في اصولهم، فقد عدوا رفع القباب على القبور وإيقاد السرج عليها، وإدخالها في المسجد وزخرفة المساجد من البدع و

هي في الحقيقة بدع بنص السنة ، ولكنهم غلوا في محوها فمحوها بشيء من الحماسة فحجروا مسجد رسول الله ﷺ من أمتعته بصورة جبروتية ، عداها المسلمون إهانة فرموهم عن قوس وكر هوهم ، وكان لابد لهم في مبدأ أمرهم من حسن السياسة وإستعمال الدهاء في تفهيم الناس مغزى ما يرمون إليه ، الخلاصة أنهم لم يكونوا أهلاً لما ندبوا أنفسهم إليه ، وقد حفظ الله هذا الحادث الجلل و هو إرجاع الإسلام لأصله إلى الطائفة المتعلمة من المسلمين فيما يظهر لأن العصر عصر العلم وما لم يرتبه العلم إضمحل والله ولي المؤمنين .



﴿الوهابية وزيارة القبور﴾

جدير لنا أن نذكر أولاً مخرج مذهب الوهابية الذي جعل وسيلة لتدسيس بين الإسلام والمسلمين، وتفريقاً بينهم، وقد استشرب من هذا المخرج بعض منتحلي الإسلام لذلك، وبعضهم جهلاً وتقليداً عمياناً، ثم نشير ثانياً إلى أن زيارة القبور هل هي شرك بالله جلّ وعلا كما ذهب إليه الوهابيون المدسوسون وأذنا بهم! أم لا كما ذهب إليه جميع فرق المسلمين وعلمائهم من خاصتهم وعامتهم؟

وقد ورد من الباحثين المحققين: أن أول من نشر في أرض الإسلام المقدسة بذر الوهابية السامة، والجرائم المهلكة هو أحمد بن تيمية في أواخر القرن السابع من الهجرة النبوية، ولما أحس أهل ذلك القرن بفضل كفائتهم أن جميع تعاليمه ومبادئه شرّ وبلاء على الإسلام والمسلمين يجرّ عليهم الويلات، وأي شرّ وبلاء أعظم من تكفير الوهابية قاطبة المسلمين على اختلاف نزعاتهم أخذ وحبس برهة ثم قتل - ولكن بقيت من تلك الشجرة الخبيثة دفيئة تراب، وكمينة بلاء وعذاب حتى إنطوت ثلاثة قرون بل نحو أربعة قرون.

فنبغ بل نزغ محمد بن عبد الوهاب - وهو ولد سنة: ١١١٥ هـ - تقدّم منافيه كلام في هذا التفسير (ج ٤٤ ص ٤٨٠) فمن شاء فليراجع.

فنبش تلك الدفيئة، واستخرج هاتيك الكوامن، وسقى تلك الجرائم المميتة والبذور المهلكة، فسقاها بمياه من تزويق لسانه وزخرف بيانه، فأثمرت ولكن بقطف النفوس، وقطع الرؤوس وهلاك الإسلام والمسلمين وراجت تلك السلعة الكاسدة و

الادهام الفاسدة على امراء نجد واتخذوها ظهيراً لما اعتادوا عليه من شن الغارات، ومدادمة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض، وقد نهى هم الفرقان المبين، و السنة النبوية على تلك العادات الوحشية والأخلاق الرذيلة، بملائمته، وجوامع كلمه، وقد عقد بينهم الاخوة الايمانية، والمودة الإسلامية، وقال: «مال المؤمن على المؤمن حرام كحرمة دمه وعرضه»

قال الله تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» (النساء: ٩٤) أراد الله عز وجل أن يجعلهم فيما بينهم إخواناً، وعلى الأعداء أعواناً، أراد أن يكونوا بداً واحدة على من سواهم للاستظهار على الأغيار من أعداء الإسلام والمسلمين لثلاث تكون على وجه الأرض فتنة، ويكون الدين كله لله تعالى.

فنقض ابن عبد الوهاب تلك القاعدة الأساسية الالهية الأبدية، والدعامة الإسلامية وعكس أمر الله عز وجل. فصاريكفر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض وما انجلت تلك الغبرة إلا وهم آلة بأيدي الأعداء ينقضون دعائم الدين المبين، ويقتلون بهم المسلمين، ويصلون ما أمر الله تعالى بقطعه، ويقطعون ما أمر الله جل وعلا بوصله، فاذا طولبوا بالدليل والبرهان والسنة والقرآن، فالجواب هو عندهم: السيف والسنان، والنصف مع البغي والعدوان والحق مع القوة والسطوة والعدل والسواء في الغلبة والاستيلاء.

نعم: ليس للقوم فيما وقفنا عليه من كتب أوائلهم وأواخرهم، وحاضرهم وغابرهم حجة عليها مسحة من العلم أو روعة من البيان، وطلاء من الحقيقة سوى قولهم: إن المسلمين في زيارتهم للقبور وطوافهم حولها وإستغاثتهم بها، وتوسل الزائر بالمحود في تلك المقابر قد صاروا كالمشر كين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وأصبحوا يعبدون غير الله تعالى ليقرب بهم إلى الله سبحانه.

هذه هي أم شبهات الوهابية المندسمة المندسوسة، وأس احتجاجاتهم، وأقوى براهينهم ودلائلهم، وإليها ترجع جميع مؤاخذاتهم على غيرهم من طوائف

المسلمين من مسألة الشفاعة والتوسل والتبرك والزيارة وتشيد القبور وما إليها مما يزعمون أنه عبادة لغير الله تعالى، حتى وطأت تلك الشبهات الواهية أفئدة بعض متفسري العامة...

منهم المرائي: في (تفسيره ج ٩ ص ١٤٢) ما لفظه: «إن الأصنام و التماثيل والقبور التي تعظم تعظيماً دينياً عمل لم يأذن به الله وكلها سواء في كونها وضعت للتذكير باناس عرفوا بالصلاح، وكانوا هم المقصودين بالدعاء تخيلاً من عابديها بأن لها تأثيراً في إرادة الله، أو التصرف الغيبي في ملك الله وذلك من أفحش الشرك وأقبحه، ولا فرق بين إشراك الصنم واللوثن وإشراك الولي أو النبي أو الملك».

وقال في (تفسيره ج ١١ ص ٨٢): في هذا «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم» حجة أيما حجة على زوار الأضرحة و القبور الذين يقولون: إن هؤلاء الأولياء أحياء عند ربهم كالشهداء فهم يضرّون، وينفعون لا بالأصنام، وقد جهلوا أن الله يقول للنصارى: إن المسيح لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً بعبادتهم له مع ما آتاه من المعجزات وأظن أن الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا السيّد البدوي وسيّدنا الحسين والسيّدة زينب أفضل عند الله ولا أقرب منه».

وفي المنار: (ج ١١ ص ٩) قال صاحب المنار - إستشراباً من مخرج الوهابية - : لا يكاد مسجد من مساجد هم يخلو من قبر مشرف مشيد توقد عليه السرج و المصابيح، و قد لعن الرسول ﷺ فاعليها و يتوجه إليه الرجال و النساء في كل صباح و مساء يدعون من دون الله من يعتقدون انهم أحياء يقيمون فيها، و يتقرّبون إليهم بالهدايا و النذور من المؤمنين، و بعرائض الإستغاثة و الدعاء من المتعلمين ليكشفوا عنهم الضرّ و يهبوا لهم ما يرجون من النفع، و من أمامهم و ورائهم عمائم مكسورة - مكوّرة - و لحى طويلة أو مقصرة يسمون شرّهم الأكبر توسلاً و إستغاثتهم إستشفاعاً و نذورهم لغير الله صدقات مشروعة و طوافهم بالقبور المعبودة زيارات مقبولة ...»

أقول: ولسنا نحن معاشر الشيعة الامامية الاثنى عشرية بمتأسفين من تلك المقالات السخيفة، والكلمات الجرافية، ولا من غمض عين بعض المدسوسين الذين وطأت قلوبهم شبهاً الشياطين، ولا من غمض أبصارهم عن الآيات الكريمة في أمر التوسل، وعن الروايات الواردة عن طريق العامة في ترغيب زيارة القبور خاصة قبر النبي الكريم ﷺ وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فأنهما من آثار إشتراط مخرج الوهابية المدسوسة المدسوسة المصنوعة من انجلترا ونتاجها.

وإنما الأسف على من يتبع تلك المقالات، وتقبلها بقبول حسن من غير تتبع، غفلة عن حقيقة الأمر و على من يقف من العامة والشيعة عند الشبهات ولم يفس فضاحتها.

ليت شعري! هل هذا شرك باعتقادهم السخيفة المدسوسة؟ أم باعتقاد من يزور القبور؟ ولو كان كذلك فما الفرق بين الطواف حول الكعبة؟ فهل تعبد الكعبة وأحجارها السوداء؟ أم يعبد الله جل وعلا في تلك البقاع المقدسة وحول تلك الهياكل الشريفة التي شرفها الله جل وعلا، ودعا عباده فيها وإن العباد على الحقيقة هي كون العبد في مقام الاعتراف والإذعان بالعبودية مقروناً بما يليق بها من استعمال ما يذل على أقصى مراتب الخضوع والذلة بالسجود والركوع والهرولة بين الصفا والمروة أو الطواف حول الكعبة وغير ذلك مما وصفته الشرايع، وأو عزت إليه الأديان من معلوم الحكمة ومجهولها ومبهم الحقيقة ومعقولها...

فهل تحس أن أحداً من زوار القبور والمتوسلين يقصد أن القبر الذي يطوف حوله، أو صاحبه الملحود فيه هو صانعه أو خالقه أو رازقه، وأنه بزيارته يريد أن يتظاهر بالعبودية له، فتكون عبادة له، أو أن أحداً من الزائرين يقول للقبر أو لمن فيه: يا خالقي أو يا رازقي أو يا معبودي أو يا ربّي... كلاً ثم كلاً.

ما أحسب أن أجدأ يخطر على باله شيء من تلك المعاني مهما كان من الجهل والهمجية كيف وهو يعتقد أن صاحب القبر بشر مثله ، عاش و مات ، نعم يعتقد أن روحه باقية عند الله جل وعلا رفيعة القدر والمنزلة عنده فهو بها يسمع و يرى ...

قال الله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » البقرة : (١٥٤) .

و قال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران : (١٦٩) .

ونظراً إلى هؤلاء الأحياء يخاطبونهم ويسلمون عليهم ويتوسلون بهم إلى الله عز وجل ملكائهم عنده تعالى .

قال الله جل وعلا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » المائدة : (٣٥) .

ويطلبون منهم الشفاعة ، فهل من الإيمان أن الزائر يعبد الأصنام لأنهم لا والله تعالى ، إنما هم يريدون أن يدحضوا بتلك الشبهات الحق ، وأن يأخذوا توجه الناس عن أهل الحق وأن يصدّوهم عن طريقة ، و يلقحوا شر الفساد في الأرض ، ويريقوا دماء المسلمين ويتملكوا ذخائرهم ظلماً وعدواناً .

فيجب على المسلمين كافة أن يطردوا حولهم الاختلافات الداخلية التي كلها نشأت ووقعت من دسيسة أعداء الاسلام والمسلمين لإنفصام عروة وحدتهم ، وتفريق إجتماعهم ، فيصيروا جميعهم أذلاء حيارى عبيداً لأعداءهم ...

فمن تدبّر - و هو ذومسكة - في ذلك كله يعلم أن غرضهم هو إلقاء تلك الشبهات في الأذهان و تشبثاتهم بأسبابها في فكرة المسلمين لإبعادهم عن الأرواح العالية ، و عن منزلتهم عند الله تعالى بإيمانهم و صالح أعمالهم و عن كونهم قدوة لهم في جميع شئونهم ... مع أن عمل رسول الله الأعظم ﷺ بيده وعمل المسلمين

و سيرتهم القطعية في جميع الأفطار والأمصار ملأ المسامع والأبصار على إختلاف طبقاتهم من العامة والخاصة وغيرهم .

و أي بلد من البلاد الإسلامية من مصر و سوريا أو العراق والحجاز وهلم جرا ليس لها جبانة شاسعة الأطراف ، واسعة الأكناف ، وفيها القبور المشيدة والضرائح المنجدة حتى للشافعي بمصر ، ولأبي حنيفة ببغداد ، ولمالك بالمدينة ، وتلك قبورهم من عصرهم إلى اليوم ، سامقة المباني ، شاهقة القباب ، وأحمد بن حنبل مباءة الوهاية و مرجعهم في الفروع كان له قبر مشيد في بغداد جرفه شط دجلة حتى قيل : « أطبق البحر على البحر » .

و كل تلك القبور قد شيدت و بنيت في الأزمنة التي كانت حافلة بالعلماء ، و أرباب الفتوى و زعماء المذاهب ، فما أنكر منهم ناكر بل كل منهم محبذ و شاكر . . . فليس هذا من خواص الإسلام و لامن خواص الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الذين يحذون حذو نبيهم محمد المصطفى و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بل هو جار في جميع الملل و الأديان من اليهود و النصارى وغيرهم . . . حتى الماديين المنكرين بما وراء الحس .

بل هو من غرائز البشر و مقتضيات الحضارة و العمران ، و شارات التمدن و الرقي و الدين القويم المتكفل بسعادة الدارين ، فهل بهذا تحكم الوهاية المدسوسة المدسوسة بكفر من يزور قبر النبي الكريم ﷺ و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، و لو أنتم أيها القارؤون تعتقدون بذلك فويل لكم !!!

فليس التوسل و الاستشفاع و الزيارة لقبور النبي الكريم و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و قبور الأولياء و العلماء العاملين و الصالحين المؤمنين قدس الله أرواحهم و مسئلة الله جل و علا بحقهم في قضاء الحوائج ، و تقبيل قبورهم ، و التبرك بترتهم ، و تعظيم آثارهم شر كآ بالله سبحانه ، و لامنهيّا عنه في الدين الاسلامي .

والتوهم بأن هذا النوع من التوجه العبادي فيه إعطاء تأثير ربوبي لغير الله تعالى وهو شرك ، وأصحاب الأوثان إنما أشر كوا لقولهم في أوثانهم : ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله : ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، يونس : ١٨) وقولهم : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » الزمر : ٣) فلا فرق في عبادة غير الله بين أن يكون ذلك الغير نبياً أو ولياً أو ملائكة أو صورة صنم أو جباراً من الجبابرة أو غيرهم ، فالجميع شرك منهى عنه ، كد ذلك بعد العناد واللجاج والدس في الاسلام و تفريق المسلمين ناش عن غفلة أن ثبوت التأثير سواء كان مادياً أو غير مادي في غيره تعالى ضروري لا يمكن الإنكار .

وقد اسند الله عز وجل في كلامه التأثير بجميع أنواعه إلى غيره ، ونفى التأثير عن غيره تعالى مطلقاً يستلزم إبطال قاعدة العلية والمعلولية العام الذي هو الركن في جميع أدلة التوحيد ، وفيه هدم بنيان التوحيد نعم المنفي من التأثير عن غيره جل وعلا هو الاستقلال في التأثير ولا كلام لأحد فيه ، وأما نفي مطلق التأثير ففيه إنكار بديهة العقل والخروج من الفطرة الإنسانية ، وإن التوسل والاستشفاع والزيارة و مسألة الله تعالى بحق الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام في قضاء الحوائج ، وما إليها لا تختص بالإسلام .

وإن قول الله عز وجل في أصل تأثير الغير في الأمور لا يقبل التأويل ولا الإنكار إلا من أنكر إليه الجميع ، وقد أمر الله تعالى المتقين المؤمنين في وصولهم بحوائجهم بطلبهم الوسيلة في قوله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » المائدة : ٣٥) فإذا لم تكن هذه الوسيلة الأنبياء والأوصياء والأولياء فمن هذه الوسيلة من غير جعلها مستقلة في التأثير .

فغفلوا عن الفرق بين أن يعبد غير الله رجاء أن يشفع عند الله عز وجل أو يقرب إلى الله زلفى ، وبين أن يعبد الله تعالى وحده وجعل من عرفه الله عز وجل

وسيلة للاستشفاع والتقرب بهم إلى الله جلّ وعلا من غير أن تكون العبادة لهذه الوسيلة ، فإن الأولى هي إعطاء الإستقلال وإخلاص العبادة لغير الله سبحانه أو جعل غيره تعالى شريكاً لله سبحانه في العبادة وهو شرك في العبودية والعبادة قطعاً ، منهى عنه بالآيات الكريمة والروايات الشريفة ، ويخرج بذلك من حظيرة الاسلام ، وأما الثانية فهي تخصيص العبادة وتمحيضها لله تعالى وحده لا شريك له في العبودية والعبادة ، وإنما ذم الله عز وجل المشركين على الأولى في قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة (الاسراء : ٥٧) وحكاية عن قولهم : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (الزمر : ٣) .

فهم يجعلون عبادتهم لغير الله عز وجل ، و كانوا يرجون بعبادتهم للأصنام أن تشفع لهم الأصنام والأنداد على أنواعها في معتقداتهم ، وهم لو قالوا : إنما نعبد الله وحده ولكننا نرجو مع ذلك أن يشفع لنا ملائكته أو رسله أو أوليائه عليهم السلام باذنه تعالى لمكانتهم عنده تعالى أو نتوسل بهم لقربهم من الله جلّ وعلا لما كفرنا بذلك وما أشر كوا بالله سبحانه .

كما أن الكعبة المعظمة في الدين الإسلامي وجهة وليست بمعبودة ، وإنما يعبد بالتوجه إليها الله جلّ وعلا ، وليت شعري ما يقول هؤلاء الغافلون الجامدون في الحجر الأسود وإستلامه مما شرع في الاسلام وتقبيله وكذا في الكعبة المكرّمة من غير خلاف بين المسلمين في جوازها ، فهل تكون هذه مستثناة من الشرك المنهى عنه أو تكون من عبادة الله تعالى محضاً ، وللحجر حكم الطريق والجهة لا العبادة والعبودية وهذا مما لا يخفى على ذي مسكة .

﴿زيارة المشاهد المشرفة ونهى ابن تيمية عنها﴾

واعلم أن للعلامة الأميني قدس الله روحه وحشره مع مواليه أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحثاً عميقاً جيداً في المقام في كتابه الشريف : (الفدير ج ٥ ص ٨٦) لا ينبغي لأصحاب التحقيق الففلة عنه ، وهذا هو التالي :

« قد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم باحسان على زيارة قبور ضمننت في كنفها نبياً مرسلأ أو إماماً طاهراً ، أو ولياً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين ، وفي مقدّمها قبر النبي الأقدس ﷺ وكانت الصلاة لديها ، والدعاء عندها ، والتبرك والتوسل بها ، والتقرب إلى الله وإبتغاء الزلفة لديه باثيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين فرق المسلمين من دون أي تكير من آحادهم ، وأي غميرة من أحد منهم على إختلاف مذاهبهم ... حتى ولد الدهر إبن تيمية الحرّاني فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي ولا يبالي ، فتره وأنكر تلكم السنة الجارية : سنة الله التي لا تبدل لها ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، وخالف هاتيك السيرة المتببعة ، وشذّ عن تلكم الآداب الإسلامية الحميدة ، وشدّ التكير عليها بلسان بذيّ وبيان تافه ، ووجوه خارجة عن نطاق العقل السليم ، بعيداً عن أدب العلم ، أدب الكتابة ، أدب العفة ، وأفتى بحرمة شدّ الرّحال لزيارة النبي ﷺ وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة ، فنخالفه أعلام عصره ورجالات قومه ، فقابلوه بالطعن والرّدّ الشديد ، فأفرد هذا

بالوقعة عليه تأليفاً حافلاً - كشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقى الدين السبكي، والدرة المضيئة في الرد على ابن نيمية للسبكي أيضاً، والمقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبي عبد الله الاخنائي، ونجم المهتمدي ورجم المقتدى للفخر ابن المعلم القرشي، ودفع الشبه لتقى الدين الحصني، والتحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة لتاج الدين الفاكهاني المتوفى : ٨٣٤ و تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد المجيد القاسي المتوفى : ١٢٢٩ - وجاء ذلك يزيف آراءه ومعتقداته في طي " تأليفه القيّمة - كالصواعق الالهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب النجدي، والفتاوى الحديثية لابن حجر، والمواهب اللدنية للقسطلاني، وشرح المواهب للزرقاني و كتب اخرى كثيرة - وهناك ثالث يترجمه بعجره و بجره و يعرفه للملأ بيدعه و ضلالاته .

وقد أصدر الشاميون فتياً و كتب عليها البرهان ابن الفركاخ الفزازي نحو أربعين سطراً بأشياء إلى أن قال بتكفيره ، و وافقه على ذلك الشهاب بن جهيل و كتب تحت خطّه كذلك المالكي ، ثم عرضت الفتيا القاضي القضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة ، فكتب على ظاهر الفتوى : الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله : ان زيارة الأنبياء والصالحين بدعة و ما ذكره من نحو ذلك ، و من أنه لا يرخّص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه ، و قد نقل جماعة من العلماء ان زيارة النبي ﷺ فضيلة وسنة مجمع عليها، وهذا المفتي المذكور - يعني ابن نيمية - ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ، ويمنع من الفتاوى الغريبة ، ويجبس إذا لم يمنع من ذلك ، ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به .

و كتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي ، وكذلك يقول محمد بن الجريري الأنصاري الحنفي ، لكن يجبس الآن جزماً مطلقاً ، وكذلك يقول

محمد بن أبي بكر المالكي و يبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد ، و كذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي ، راجع (دفع الشبه ص ٤٥ - ٤٧) و هؤلاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة في سنة : ٧٢٦ - راجع تكملة السيف الصيقل للمشيخ محمد زاهد الكوثري : ص ١٥٥ - .

وكان من معاصريه من ينهاء عن غيئه كالذهبي فانه كتب إليه ينصحه ، وإليك نص خطابه إياه :

« الحمد لله على ذلتي ، يارب ارحمني وأقلني عثرتي ، و احفظ علي إيماني ، واحزنه على قلة حزني ، و وأسفاه على السنّة وأهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونوني على البكاء واحزنه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم و أهل التقوى و كنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال و أخ مونس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، و تباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك ، و تنسى الجذع في عينيك ؟ إلى كم تمدح نفسك ، و شقاشقك و عباراتك ، و تذم العلماء و تتبّع عورات الناس ؟ مع علمك بنهي الرسول ﷺ : لا تذكروا موتاكم إلا بخير فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا . »

بل أعرف انك تقول لي لتنصر نفسك : إنما الواقعة في هؤلاء الذين ما شتموا رائحة الإسلام ، ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد بل والله عرفوا خيراً كثيراً ممّا إذا عمل به فقد فاز ، و جهلوا شيئاً كثيراً مما لا يعنيههم ، و من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، يارجل ! بالله عليك كف عنا ، فانك محجاج عليهم اللسان لا تقرر ولا تنام ، إيتاكم والغلو طات في الدين ، كره نبيك ﷺ المسائل وعابها و نهى عن كثرة السؤال ، وقال : « إن أخوف ما أخاف على امتي كل منافق عليم اللسان » و كثرة الكلام بغير زلل تقسى القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف كان في عبارات اليونسية والفلاسفة ، و تلك الكفريات التي تعمى

القلوب ، والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فالى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية ؟ لنرد عليها بقولنا ، يا رجل !

قد بلغت « سموم » الفلاسفة و تصنيفاتهم مرات ، و كثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم ، و تكمن والله في البدن ، واشوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، بل عند ذكر الصالحين يذكر بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجاج و لسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما ، بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كننا نعدّها من أساس الضلال ، قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ومن لم يكفر فهو كفر من فرعون و تعدّ النصارى مثلها ، والله في القلوب شكوك ، إن سلم لك إيمانك بالشهادتين ، فأنت سعيد يا خيبة من اتبعك فأنه معرض للزندقة والانحلال .

لاسيما إذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً ، لكنّه ينفك ويجاهد عندك بيده ولسانه ، و في الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل ؟ أو عامي " كذاب بليد الذهن ؟ أو غريب واجم قوي " المكر ؟ أو ناشف صالح عديم الفهم ؟ فان لم تصدقني ففتشهم و زنههم بالعدل يا مسلم ! أقدم حمار شهوتك لمُدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعاوي الأختيار ؟ ! إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار ؟ ! إلى كم تعظمها وتصغر العباد ؟ ! إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد ؟ ! إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك ! بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والأهدار أو بالتأويل والأنكار ، أما آن لك أن ترعوى ؟ ! أما حان لك أن تتوب وتنيب ؟ ! أما أنت في عشر السبعين ، وقد قرب الرحيل ؟ ! بلى - والله - ما أدكر انك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت .

فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي ، بل لك همّة كبيرة في نقض

هذه الورقة بمجلدات ، وتقطع لي أذنان الكلام ، ولا تزال تمتص حتى أقول: ألبتة سكت ، فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك ؟! و أعدائك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر ، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتى سرّاً [فرحم الله امرءاً اهدى إلي عيوبى] فاني كثير العيوب غزير الذنوب ، الويل لي إن أنا لأتوب ، ووافضيت من عَلام الغيوب و دوائى عفواً لله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خانم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين » راجع تكملة السيف الصقيل للكوثري ص ١٩٠ كتبه من خط قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة و كتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلاء ، وقد كتبه من خط الذهبي و ذكر شرطاً منه العزامي في الفرقان ص ١٢٩ .

فمن هنا وهناك بادوا عليه ما أبدعته يده الأنيمة من المخاريق التافهة والآراء المحدثّة الشاذّة عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ونودي عليه بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله - راجع (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٤٧) - فذهبت تلكم البدع السخيفة إدراج الرياح كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

ثم قيض المولى سبحانه في كل قرن ، وفي كل قطر رجالاً نصرُوا الحقيقة ، وأحيوا كلمة الحق ، وأمانوا بذرة الضلال ، وقابلوا تلكم الأضاليل المحدثّة بحجج قويّة وبراهين ساطعة ، فجاءت الأمة الإسلامية تتبع الطريق المهيع ، وتسلك جدد السبيل تبعاً وراء الكتاب والسنة ، تعظم شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، إلى أن ألقى الشرّ جراحه ، وجاد الدهر بولائد الجهل ، وربّتهم أيدي الهوى ، وأرضعتهم أمّهات الضلال ، وشاغلهم رجال الفساد ،

و تمثلوا في الملأ بشراً سوياً ، و سجيتههم الضلال ، فجاسوا خلال الديار و ضلّوا
 وأضلّوا و اتبعوا سبيل الغي و صدّوا عن سبيل الله و من أولئك الجماهير « القصيمي »
 صاحب « الصراع » هذا حذو ابن تيمية و اتخذ و تيرته و اتبع هواه فجاء في
 القرن العشرين كشيخه بموّه و يدجل و يتسدّج و يتمحّش بالسباب المقذع ،
 و يقذف مخالفيه بالكفر و الردّة ، و يرميهم بكلّ معرّة و مسبّة ، و يرى المجتمع
 انّ هاتيك الأعمال من الزيارة والدعاء عند القبور المشرفة و الصلّاة لديها ،
 و التبرّك و التوسّل و الاستشفاع بها كلّها من آفات الشيعة ، و هم بذلك ملعونون
 خارجون عن ربة الإسلام ، و بسط القول في هذه كلّها باللسنة حداد مقذعاً مستهتراً
 خارجاً عن أدب المناظرة و الجدل ، قال في (الصراع ج ١ ص ٥٤) :

« و بهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم ، و بهذا التآليه
 الذي سمعت منهم لعليّ و ولده عبدوا القبور و أصحاب القبور و أشادوا المشاهد ،
 و أتوها من كلّ مكان سحيق و فيج عميق ، و قدّموا لها النذور و الهدايا
 و القرابين ، و أراقوا فوقها الدماء و الدموع و رفعوا لها خالص الخشوع و الخشوع ،
 و أخلصوا لها ذلك ، و خصّوها به دون الله ربّ الموحدين » . و قال في (ج ١
 ص ١٧٨) :

« الأشياء المشروعة كالصلّاة و السلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين
 القرب و النأى ، فانّها حاصلة في الحاليتين ، و أمّا مشاهدة القبر الشريف نفسه ،
 و مشاهدة الأحجار نفسها ، فلا فضل فيها و لا ثواب بلا خلاف بين علماء الإسلام ، بل
 إنّ مشاهدته عليه الصلّاة و السلام حينما كان حيّاً لا فضل لها بذاتها ، و إنّما
 الفضل في الايمان به و التعلّم منه و الاقتداء به و النهج منهجه و مناصرته ، و بالاجمال
 انّ أحداً من النّاس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما ، و هذا
 واضح من سيرة المسلمين الأوّلين إلى آخر خرافاته و مخاريقه » .

لعلّ القارئ يزعم من شدّة الرجل هذه و حدّته في النكير ، و الجلبة

واللفظ في القول - التي هي شنشنة يعرف بها ابن تيمية شيخ البدع والضلال والمرجع الوحيد في هذه الخزيات والخزعات - إن الكلامه مقيلاً من الحقيقة و رمزاً من الصدق ، ذاهلاً عن أن أعلام المذاهب الإسلامية في القرون الخالية ، منذ القرن الثامن من يوم ابن تيمية و بعده يوم محمد بن عبد الوهاب الذي أعاد لتلك الدواير جدتها وحتى العصر الحاضر أنكروا على هذه السفسطات والسفاسف وحكموا بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلّة والمعتقدات الشاذّة عن سيرة المسلمين ، وشنّوا عليه الفارة وبالفوا في الردّ عليه .

والقاريء جدّ عليم بأن هذه اللهجة الفارصة ليست من شأن من أسلم وجهه لله و هو محسن ، و آمن بالنبيّ الطاهر ، و اعتنق بما جاء به من كتاب و سنّة ، ولا تسوّغها مكارم الأخلاق ومبادئ الإنسانية ، ولا يجذبها أدب الإسلام المقدّس ، أبجوز لمسلم أن يسوّى بين مشاهدة الأحجار ، وبين رؤية النبيّ ﷺ في حال حياته ؟ أيسوّغ له أن لا يرى لزيارته حيّاً و ميتاً قيمة و لا كرامة ؟ ولا يعتبر لها فضلاً ، و ينعق بذلك في الملأ الديني ؟ أليست من السيرة المطردة بين البشر أن كلّ ملكة من الملل تستعظم زيارة كبرائها وزعمائها ، و تراها فضلاً و شرفاً ، و تعدّها للزائر مفخرة و محمداً ، و تكثر إليها رغبات أفرادها ، لما يرون فيها من الكرامة ؟

وقد جرت على هذه سيرة العقلاء من الملل والنحل ، وعليه تصافقت الأجيال في أدوار الدنيا ، وكان يقدر الناس سلفاً و خلفاً أعلام الدين بالزيارة والتبرّك بهم ، قال أبو حاتم : كان أبو مسهر عبد الأعلى الدمشقي القسائي المتوفى : ٢١٨ : « إذا خرج إلى المسجد إصطف الناس يسلمون عليه و يقبلون يده » راجع (تاريخ الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٧٣) .

وقال أبو سعيد : كان أبو القاسم سعد بن علي شيخ الحرم الزنجاني المتوفى : ٤٧١ : « إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف و يقبلون يده أكثر ممّا يقبلون الحجر

الأسود» راجع (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٣٤٦) و (صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٥١) .

وقال ابن كثير في (تاريخه ج ١٢ ص ١٢٠) : كان الناس يتبركون به ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

وكان أبو إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى : ٤٧٦ كلماً مرّ على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونساءهم يتبركون به ، ويتمسحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بقلته ، ولما وصل إلى سادة خرج إليه أهلها ، وما مرّ بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم . راجع (البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ١٢٣) و (شذورات الذهب ج ٣ ص ٣٥٠) .

وكان الشريف أبو جعفر الحنبلي المتوفى : ٤٧٦ يدخل عليه فقهاء وغيرهم وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه . راجع (البداية والنهاية ج ١٢ ص ١١٩) .
م و كان الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفى : ٦٠٠ : إذا خرج في مصر يوم الجمعة إلى الجامع لا يقدر يمشي من كثرة الخلق يتبركون به ، ويجتمعون حوله . هـ ٤ ص ٣٤٦) .

وكان أبو بكر عبد الكريم بن عبد الحنبلي المتوفى : ٦٣٥ منقطعاً عن الناس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرك به هـ ٥ ص ١٧١) .

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين اليويني الحنبلي المتوفى : ٦٥٨ من الحرمة والتقدم ما لم ينله أحد وكانت الملوك تقبل يده وتقدم مداسه هـ ٥ ص ٢٩٤) .

وكان الجزري محمد بن محمد المتوفى : ٨٣٢ توفى بشيراز وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والنخاس والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسها تبركاً بها ، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرك بمن تبرك بها . (مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩٤) .

وكان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبدالله المغربي المتوفى: ٩٨٥ كبير
إعتقاد يتبركون به ، و يقبلون يدبه ، قال النجم الغزي و لقد دعا لي و مسح
على رأسي ، وأنا أجد بركة دعائه الآن . (هـ ٨ ص ٤٠٩) فما ظنك بزيارة سيد
ولد آدم من نيطت به سعادة البشر و رقيه و تقدمه ؟ و هذه ملائكة السموات
تزور ذلك القبر الشريف كل يوم ، فما من يوم يطلع إلّا نزل سبعون ألفاً من
الملائكة حتى يحفوا بقبره ﷺ و يصلون عليه حتى إذا أمسوا عرجوا و هبط
منهم ، فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض . أخرجه الدارمي في
(سننه ج ١ ص ٤٤) و ذكره القسطلاني في « المواهب اللدنية » و ابن حجر في
« الجواهر المنظم » عن الدارمي ، و ابن المبارك ، و إسماعيل القاضي ، و البيهقي ،
و ذكر الزرقاني في « شرح المواهب ج ٥ ص ٣٤٠ » ما اسقط منه القسطلاني
و ذكره الحمزاوي في « كنز المطالب ص ٢٢٣ » .

دشتان بين هذا الرأي « القصيمي » الفاسد و بين قول الشيخ تقي الدين السبكي
في « الشفاء ص ٩٦ » : إن من المعلوم من الدين و سير السلف الصالحين التبرك ببعض
الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين ، و من ادعى ان قبور الأنبياء
وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً تقطع ببطلانه و خطائه فيه ،
و فيه حظ لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواء من المسلمين و ذلك كفر متيقن ،
فان من حظ رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر ؟

والخطب الفظيع و قد الفاحشة المبيّنة ان الرجل يحذو حذو ابن تيمية
و يرى ما يهذبه من البدع والضلالات من سيرة المسلمين الأولين ، كأن القرون
الإسلامية تدهورت و تقلبت على سيرتها الأولى ، و شدت الأمة عنها ، فلم يبق عاملاً
بتلك السيرة إلّا الرجل « القصيمي » و شيخه في ضلاله « ابن تيمية » .

و انظر إلى الرجل كيف يرى زيارة القبور و إتيانها والدعاء عندها من
الردة والكفر عند جميع المسلمين على إختلاف مذاهبهم ناشئة عن الغلو في

التشيع والتأليه لعلّيّ وولده؟! وقد مرّ عنه في صفحة «٤٥»: انّ الشيعة يرون عليّاً وولده أنبياء يوحى إليهم إن كلّها إلّا شنشنة الدعونة ، و صبغة الإحن والشحناء في كلّ اموىّ لفّ عجاجته على الشيعة و على أئمتّها ، فهانحن نقدّم بين يدي القاريء سيرة المسلمين في زيارة النبي الأقدس ﷺ وغيره منذ عصر الصحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان حتّى اليوم ، ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة .



﴿زيارة قبر النبي الأقدس ﷺ و أهل السنة﴾

و قد أورد أئمة المذاهب الأربعة و حفاظ العامة و أعلامهم في صحاحهم و مسانيدهم و أسفارهم روايات كثيرة في زيارة قبر النبي الأقدس ﷺ نشير إلى ما يسعه المقام:

١- روى الدولابي أبو بشر محمد الرازي في (الكنى و الأسماء ج ٢ ص ٦٤) عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»
رواه جماعة من حملة أسفارهم :

منهم: أفضى القضاء أبو الحسن الماوردي في (الأحكام السلطانية ص ١٠٥)
و منهم: أبو عبدالله محمد بن محمد البغدادي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج في (المدخل ج ١ ص ٢٤١)

و منهم: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي بسط القول في ذكر طرقه في (شفاء السقام ص ٣ - ١١) و قال في (ص ٨) : و الرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لا ريب فيهم ، و موسى بن هلال قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، و هو من مشايخ أحمد و أحمد لم يكن يروي إلا عن ثقة ، و قد صرح الخصم بذلك في الرد على البكري ، ثم ذكر شواهد لقوة سنده فقال : و بذلك تبين أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحته - إلى أن قال - : و بهذا بل بأقل منه يتبين إفتراء من ادعى : أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة ، فسبحان الله أما استحي من الله

و من رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم ؟!

و لا ذكر أحد موسى بن هلال و لا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع و لا اتهمه به فيما علمنا ، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كـ" الأحدث التي هو واحد منها أنها موضوعة ؟! و لم ينقل إليه ذلك عن عالم نقله ، و لا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين للحكم بالوضع ، ولا حكم مثته مما يخالف الشريعة ، فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً ؟ فكيف وهو حسن و صحيح .

و منهم : الشيخ شعيب عبدالله بن سعد المصري ثم المكي الشهير بالحريفيش في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

و منهم : السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٤)
و منهم : السيوطي في (الجامع الكبير) كما في ترتيبه (ج ٨ ص ٩٩)
و منهم : الشيباني في (تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٢)
و منهم : الخطيب الشربيني في (المغني ج ١ ص ٤٩٤) عن صحيح ابن خزيمة .

و منهم : المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١)
و منهم : الزرقاني المصري المالكي في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٨)
و منهم : الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥) نقلاً عن غير واحد من أئمة الحديث .

و منهم : عدة من فقهاء المذاهب الأربعة في مصر اليوم في (الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٩٠)

٢- عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : من جاءني زائراً لأبعمله إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شافعاً يوم القيامة . و في لفظ : لا تحمله إلا زيارتي .

وفي ثالث : لم تنزعه حاجة إلا زيارتي . و في رابع : لا ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله عز وجل . و في خامس للغزالي : لا يهتم إلا زيارتي . رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم : أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي في كتابه: (السنن الصحاح) جعل في آخر كتاب الحج: «باب ثواب من زار قبر النبي» ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث. قال السبكي في (شفاء السقام ص ١٦) : وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة.

و منهم : أبو حامد الغزالي الشافعي في (إحياء العلوم ج ١ ص ٢٤٦)

و منهم : ابن عساكر في (تاريخ الشام)

و منهم : السبكي الشافعي في (شفاء السقام ص ١٣ - ١٦)

و منهم : السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٦)

و منهم : الخطيب الشربيني في (معني المحتاج) في شرح (المنهاج ج ١

ص ٤٩٤)

٣- عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» و في غير واحد من طرقه زيادة: «وصحبتني» رواه جماعة من حملة آثارهم:

و منهم : ابن عساكر الدمشقي في (تاريخه).

و منهم : ابن الجوزي في (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن)

و منهم : ابن النجار البغدادي في (الدرة الثمينة في أخبار المدينة)

و منهم : الخطيب التبريزي في (مشكاة المصابيح في باب حرم المدينة في

الفصل الثالث)

و منهم : تقي الدين السبكي بسط القول في طرقه في (شفاء السقام ص

١٦ - ٢١) رواه عن كثير من أعلامهم.

- و منهم : المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)
- و منهم : السهمودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٧)
- و منهم : السيوطي في (الجامع الكبير ج ٨ ص ٩٩) كما في ترتيبه .
- و منهم : قاضي القضاة الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء ج ٣ ص ٥٦٧)
- و منهم : الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥)
- و منهم : الدمياطي الشافعي في (مصباح الظلام ج ٢ ص ١٤٤)
- ٤- عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني .
- أخرجه جماعة منهم :
- تقي الدين السبكي من غير طريق في (شفاء السقام ص ٢٢)
- و منهم : السهمودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٧)
- و منهم : القسطلاني في (المواهب اللدنية) نقلاً عن ابن عدي وابن حبان و الدارقطني .
- و منهم : الجراحي العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٨)
- و منهم : الزبيدي الحنفي في (تاج العروس ج ١ ص ٧٤)
- و منهم : الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥)
- ٥- عن عمر مرفوعاً : من زار قبري أو « من زارني » كنت له شفيحاً أو شهيداً ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمين يوم القيامة .
- أخرجه جماعة من حملة آثارهم :
- منهم : أبو داود الطيالسي في (مسنده ج ١ ص ١٢)
- و منهم : البيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٤٥)
- و منهم : تقي الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٢)
- و منهم : السهمودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)
- و منهم : القسطلاني في (المواهب اللدنية)

ومنهم: ابن الديبع في (تميز الطيب ص ١٦٢)

ومنهم: المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١)

ومنهم: العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٨)

٦- عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمين. رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: الدارقطني في (السنن)

ومنهم: السبكي في (شفاء السقام ص ٢٥)

ومنهم: المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

ومنهم: السهمودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب اللدنية) عن البيهقي.

ومنهم: الجراحى العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٥٥١) عن ابن عساكر والذهبي، وحكى عن الأخير أنه قال: إن هذا الحديث من أجود أحاديث الباب إسناداً.

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥)

ومنهم: البيروتي في (حسن الأثر ص ٢٤٦)

٧- عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من حجّ حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى عليّ في بيت المقدس لم يسئله الله عزّ وجل فيما افترض عليه. رواه أبو الفتح الأزدي في (فوائده) وتقي الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٥) والسهمودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠) والشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)

٨- عن أبي هريرة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حيّ ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة.

آخرجه أبو الفتوح يعقوبي في (فوائده) والسبكي في (شفاء السقام ص ٢٦)

والسمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠)

٩- عن أنس بن مالك مرفوعاً : من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شافعياً .
وفي رواية أخرى عنه أيضاً : من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين
يوم القيامة ، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة

وفي لفظ ثالث له زيادة: و كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة.
رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: البيهقي في (شعب الإيمان)

ومنهم: القاضي عياض المالكي في (الشفاء)

ومنهم: ابن الجوزي في (مثير الغرام الساكن)

ومنهم: العبدري المالكي في (المدخل ج ١ ص ٢٤١)

ومنهم: ابن القيم الجوزية في (زاد المعاد ج ٢ ص ٤٧)

ومنهم: تقي الدين السبكي في (الشفاء السقام ص ٢٧)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب اللدنية)

ومنهم: السيوطي في (الجامع الكبير) كما في تربيته (ج ٨ ص ٩٩)

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)

ومنهم: الزرقاني المالكي في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٩)

ومنهم: الجراحي العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥١)

ومنهم: الدمياطي الشافعي في (مصباح الظلام ج ٢ ص ١٤٤)

١٠- عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن
زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من امتي له سعة ثم لم يزرنني
فليس له عذر.

أخرجه ابن النجار في (الدرّة الثمينة في فضائل المدينة) و السبكي

في (شفاء السقام ص ٢٨) و السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠) و
القسطلاني في (المواهب اللدنية) والعجلواني في (كشف الخفاء ج ٣ ص ٢٧٨)
١١- عن ابن عباس مرفوعاً: من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي،
ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً. أوقال: شفيعاً أخرجه
ابن عساكر كما في (شفاء السقام ص ٢١) و (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١) و (نيل
الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥-٣٢٦)

١٢- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً وغير مرفوع: «من زار قبري بعد مماتي
فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزرقبري فقد جفاني»
رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم : أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسني في (أخبار المدينة)
ومنهم : أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري الخركوشي في (شرف
المصطفى)

ومنهم : ابن النجار في (الدرّة الثمينه)
ومنهم : تقي الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٩)
ومنهم : شعيب المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)
ومنهم : السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١)
ومنهم : المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١)
١٣- عن بكر بن عبد الله مرفوعاً: من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي
يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً.

أخرجه الحسني في (أخبار المدينة) و السبكي في (شفاء السقام ص ٣٠) و
السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٢)

١٤- عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في
حياتي .

رواه جماعة من حملة آثارهم :

منهم: قاضي القضاة الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء ج ٣ ص ٥٦٥)

نقله عن البيهقي والدارقطني والطبراني وابن منصور

ومنهم: المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١) بلفظ: «من زار قبري

بعد موتي»

ومنهم: العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥١)

١٥- عن ابن عباس مرفوعاً: من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت

له حجتان مبرورتان.

أخرجه الفردوس في مسنده كما في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١) وفي (نيل

الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)

١٦- عن رجل من آل الخطاب مرفوعاً: من زارني متعمداً كان في جوارى

يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمين (من الآمين) وزاد

الشحامي عقب قوله (يوم القيامة) : و من سكن المدينة و صبر على بلائها كنت له

شهيداً و شفيعاً يوم القيامة.

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: البيهقي في (شعب الإيمان)

ومنهم: ابن عساكر الدمشقي في تاريخه.

ومنهم: الخطيب العمري التبريزي في (مشكاة المصابيح في باب حرم المدينة

في الفصل الثالث)

ومنهم: السبكي في (شفاء السقام ص ٢٤)

ومنهم: السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)

١٧ - عن عبدالله بن مرفوعاً: من زارني إلى المدينة كنت له شهيداً و

شفيعاً ، أخرجه الدارقطني بإسناده في (السنن) كما في (وفاء الوفاء ج ٢

ص ٣٩٨)

روى عن رسول الله ﷺ قال : من وجد سعة و لم يفد (يغد) إليّ فقد جفاني .

ذكره ابن فرحون في مناسكه ، و الغزالي في (الإحياء ج ٢ ص ٢٤٦) و القسطلاني في (المواهب اللدنية) والعجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٨)
 ١٩ - قال رسول الله ﷺ : من زارني بعد وفاتي وسلم عليّ رددت عليه السلام عشرأ و زاره عشرة من الملائكة ، كلهم يسلمون عليه ، ومن سلم عليّ في بيته رد الله تعالى عليّ روحى حتى اسلم عليه .

رواه المصرى في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

٢٠ - عن أبى عبدالله محمد بن العلاء قال : دخلت المدينة و قد غلب عليّ الجوع ، فزرت قبر النبى ﷺ و سلمت عليه و على الشيخين ، و قلت : يا رسول الله جئت و بى من الفاقة و الجوع ما لا يعلمه إلا الله عزّ و جلّ ، و أنا ضيفك في هذه الليلة ثم غلبنى النوم ، فرأيت النبى ﷺ في المنام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه ، ثم إنتبهت من المنام و فى يدي نصفه الآخر ، فتحقق عندي قول النبى ﷺ من رآنى في المنام فقد رآنى حقاً فانّ الشيطان لا يتمثل بى ثم نوذيت : يا أبا عبدالله ! لا يزور قبري أحد إلا غفرله و نال شفاعتى غداً .

ذكره الشيخ المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٨) فقال في المعنى :

من زار قبر محمد	نال الشفاعة فى غد
بالله كرّر ذكره	و حديثه يا منشدي
و اجعل صلاتك دائماً	جهراً عليه تهتدي
فهو الرسول المصطفى	ذو الجود والكفّ الندى
و هو المشفق فى الوردى	من هول يوم الموعد
و الحوض مخصوص به	فى الحشر عذب المورد
صلى عليه ربنا	مالاح نجم الفرقه

- ٢١- مرفوعاً عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لا عذر لمن كان له سعة من امتي ولم يزرنى .
 رواه الشيخ عبدالرحمن شيخ زادة في (مجمع الأنهر) في شرح (ملتقى الأبحر
 ج ١ ص ١٥٧) وعدة من أدلة الباب من دون غمز فيه .
- ٢٢- عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَام : من زار قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فسي
 جواره .

أخرجه ابن عساكر كما في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)
 قال الله عز وجل : «فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
 الحديث أسفاً» (الكهف: ٦) وقال: «فبأي حديث بعده يؤمنون» الاعراف: (١٨٥).



﴿ أهل السنة و زيارة القبور ﴾

قال الله عز وجل : «أهلها كم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون، التكاثر: ١-٤).

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق أهل السنة في ترغيب زيارة القبور، و
خاصة قبر النبي الكريم ﷺ وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ،
نشير إلى مايسعه المقام، ثم نشير إلى نبذة ماورد من كلامهم في ذلك:

١- روى ابن حسويه الموصلي في (در بحر المناقب ص ١٠٧) بالاسناد عن
الأئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله ﷺ : «ان الله يخلق كثيراً من الملائكة،
وانه ينزل من كل سماء في كل يوم سبعين ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم حتى
إذا طلع الفجر ينصرفون إلى قبر النبي ﷺ فيسلمون عليه ثم يأتون قبر علي
فيسلمون عليه ، ثم يرجون إلى السماء قبل طلوع الفجر ثم ينزل عوضهم في
النهار ثم يرجون قبل مغيب الشمس، والذي نفسي بيده ان حول قبر ولدي
الحسين أربعة آلاف ملك شعناً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك،
يقال له : منصور وان الملائكة عون لمن زاراه فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا
يودعه مودع إلا شيعوه ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه واستغفروا
له بعد موته.

٢- روى عبد الملك بن محمد الخضر كوشي في (شرف النبي ص ٢٩٠) عن

أمير المؤمنين عليه السلام قال: زادنا رسول الله عليه السلام فعملنا له حريرة واهدت إلينا امرأة قعباً من لبن وزبد وصحنة من تمر فاكل رسول الله عليه السلام ثم وضعت رسول الله عليه السلام فمسح رأسه ووجهه بيده ثم استقبل القبلة، فدعا الله ما شاء ثم اكب على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر فهبنا رسول الله عليه السلام أن نسئله فوثب الحسين واكب على رسول الله عليه السلام وقال: يا أبت رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله، فقال: يا بني! إنني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وإن جبرئيل عليه السلام حبيبي أتاني فأخبرني بما يصنع بكم، وأنكم تقتلون، فدعوت الله لكم بالخيرة قال الحسين عليه السلام: فمن يزورنا ويتعهد قبورنا قال عليه السلام: طائفة من أممي يريدون برّي وصلتي إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف وأخذت أعضدهم فأنجيتهم من أهواله وشدائده.

أقول: رواه السهودي في (خلاصة الوفاء ص ٢١٨) بأدنى تفاوت.

٣- روى الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٢٤ ط مصر) ما لفظه: «ومن ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي انه كان يتردد إلى الزيادة غالباً، فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا، فلما وصل في الدعاء إلى قوله: «واجعل ثواباً مثل ذلك» فأراد أن يقول في صحائف سيّدنا الحسين ساكن هذا الرمس، فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده انه الحسين رضي الله عنه، فقال: في صحائف هذا وأشار بيده إليه، فلما أتم الدعاء فذهب إلى الشيخ الجليل عبدالوهاب الشعراني فأخبره بذلك، فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي فأخبره بذلك فقال الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا ما زرت هذا المكان إلا بأذن من النبي عليه السلام.

٤- روى السيوطي في الدر المنثور عن محمد بن إبراهيم قال: كان النبي عليه السلام يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول، فيقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. كذلك أبو بكر وعمر وعثمان.

أقول : رواه جماعة منهم:

- ١- ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ٢ ص ٥١١)
- ٢- الآلوسي البغدادي في تفسير (روح المعاني ج ١٣ ص ١٣٠).
- ٣- الحجازي في تفسير (الواضح ج ١٣ ص ٣٩).
- ٤- المراغي في (تفسيره ج ١٣ ص ٩٥) وغيرهم من مفسريهم. وفي الدر المنثور مثل الحديث المتقدم عن أنس بن مالك. وفي تفسير إرشاد عقل سليم: «و كذا عن الخلفاء الأربعة» بدل: «كذلك أبو بكر وعمر وعثمان».
- ٥- روى الغزالي في الاحياء عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ انه قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً.

أقول : رواه أحمد في مسنده، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

- ٦- وفي الاحياء وقال ابن أبي مليكة: أقبلت عائشة يوماً من المقابر فقلت: يا ام المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، فقلت: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها؟ قالت: نعم ثم أمر بها.
- أخرج ابن أبي الدنيا الحديث في القبور باسناد جيد.
- ٧- وفي الاحياء قال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: زر القبور تذكركم بها الآخرة، واغسل الموتى فان معالجة جسد خادمو عظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله.
- رواه الحاكم في المسند وابن أبي الدنيا في كتاب القبور باسناد جيد.
- ٨- وفي الاحياء قال ابن أبي مليكة: قال رسول الله ﷺ: زوروا موتاكم و سلموا عليهم فان لكم فيها عبرة.
- ٩- وفيه عن جعفر بن محمد عن أبيه ان فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فتصلي وتبكي عنده.

١٠- وفيه قال النبي ﷺ : من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًّا.

١١- وفيه قال النبي ﷺ : من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي.

١٢- وفيه قال ﷺ : من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً و شهيداً يوم القيامة .

١٣- وفيه قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ : مامن رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم.

أقول: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وابن عبد البر في كتاب التمهيد وصححه عبد الحق الاشبيلي .

١٤- وفيه قال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقهم سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم .

١٥- في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : قال النبي ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورو القبور فانها تزهد في الدنيا و تذكر الآخرة » رواه ابن مسعود أخرجه ابن ماجه ، و في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «فانها تذكر الموت» وفي الترمذي عن بريدة : «فانها تذكر الآخرة» قال: هذا حديث حسن صحيح وفي تفسير المراغي: قال رسول الله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا و تذكر كم الآخرة».

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار.

وما ورد في بعضها من تسوية القبور فاماً مطرود بتعارضه الروايات الكثيرة

وان رسول الله الأعظم ﷺ «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى».

فكيف يأمر النبي ﷺ بهدم القبور ثم يأمر بزيارتها و هو يزورها فلا بد من الجمع بينهما على ما تقتضيه صناعة الاجتهاد وطريقة الاستنباط و

قواعد الفن "المقررة في الأصول - من حمل الظاهر على الأظهر ، و تأويل الضعيف من المتعارضين و صرفه إلى المعنى الموافق للقوى ، فيكون القوى قرينة على التصرف في الضعيف و إرادة خلاف الظاهر منه ، و لكننا إذا تدبرنا نجدها غير متعارضين، فلا نحتاج إلى التأويل والجمع، وذلك أن لا يخفى على من له حظ في فهم التراكيب العربية و التصاريف اللغوية : الفرق بين «التسوية» و بين «المساواة» .

فتأويل قول النبي الكريم ﷺ للإمام علي عليه السلام : « و لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته » إلى معنى ساويته بالأرض أي هدمته تأويل لا يرضى صاحبه ، فان تسوية الشيء عبادة عن تعديل سطحه و تسطيعه في قبال تقييره أو تحديبه و تسويمه ، فمعنى قول رسول الله ﷺ : « و لا تدع قبراً مشرفاً » أي مسنماً إلا سطحته وعدلت سطحه . وليس معناه : إلا هدمته وسأويته بالأرض كي يعارض ما ورد من الحث على زيارة القبور وإستحباب إتيانها ، و الترغيب في تشييدها و التنويه بها كما فهم هذا المعنى مسلم ، و ذكر في كتابه : (صحيح مسلم) تحت عنوان : «باب تسوية القبور» .

وفهم هذا المعنى شارحوا صحيح مسلم ، والنوى الشهير ، فليس هذا من شعار الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحققة على ما نسب إليهم من أهل الدس والمدسوسين عناداً ولجاجاً ، فلا تعارض بين الروايات ، مع بناء القبور في زمن الوحي والرسالة ، بل النبي الكريم ﷺ بذاته بنى قبر ولده إبراهيم .

نعم : لو اتخذ أحد قبراً تمثالاً لصاحبه ويعبده من دون الله تعالى كما كانت اليهود والنصارى وغيرهم يتخذون قبور صلحائهم تمثالاً لصاحب القبر فيعبده من دون الله لكان شركاً بريء منه الإسلام والمسلمون ، أو اتخذ الموتى مفاخر لنفسه ، فيضمتهم بالأحياء عند إستيعاب الأحياء فيتكاثرون بجمعهم لو بئس القرآن الكريم كما في هذه السورة : «خشي زرع المقابر» على وجه .

وَأَمَّا المسلمون من عهد النبي الكريم ﷺ إِلَى الْيَوْمِ ، فليس منهم من يعبد صاحب القبر ، وإنما يعبدون الله عز وجل وحده لا شريك له في الوجود والايجاد ، ولا في التدبير والعبادة ، وإنما يعبدون الله تعالى وحده في تلك البقاع الشريفة المتبركة المتضمنة لتلك الأجساد الطيبة المركبة بالأرواح العالية .



﴿ علماء العامة وزيارة قبر النبي الكريم ﷺ ﴾

وقد اتفقت كلمات أعلام المذاهب الأربعة على جواز زيارة قبر النبي الأقدس ﷺ، وقد ائتمى جمهورهم باستحبابها ويراها بعضهم واجبة، ويراها الآخرون تعظيماً للنبي الكريم ﷺ لا بد له منهم:

١- قال القاضي عياض المالكي المتوفى: (٥٤٤) في (الشفاء): «زيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها، وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر عدة من أحاديث الباب فقال: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حجّ المزور - بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة - بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرّك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملا مس يديه ومواطن قدميه، والعمود الذي استند إليه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والإعتبار بذلك كله».

٢- قال ابن هبيرة المتوفى: (٥٦٠) في كتاب (إتفاقات الأئمة): «إتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل على أن زيارة النبي ﷺ مستحبة راجع (المدخل ج ١ ص ٢٥٦) لابن الحاج».

٣- ألف الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى: (٧٥٦) كتاباً حافلاً في زيارة النبي الأعظم ﷺ في (١٨٧) صحيفة وسمّاه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ردّاً على ابن تيمية. وذكر كثيراً من أحاديث الباب، ثم جعل باباً في

نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على إستحبابها، و ان ذلك مجمع عليه بين المسلمين وقال في (ص ٤٨) : لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم باجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه، و الحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المنذوبات و المستحبات ، بل يقرب من درجة الواجبات ، و ممن صرح بذلك أبو منصور محمد بن مكرم الكرماني في مناسكه ، و عبدالله بن محمود ابن بلدحى في شرح المختار ، وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي في باب أداء الحج .

و قال في (ص ٥٩) : كيف يتخيّل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى ﷺ و هم مجمعون على زيارة سائر الموتى ، و سندكر ذلك ، و ما ورد من الأحاديث و الآثار في زيارتهم ، و حكى في (ص ٦١) عن القاضي عياض و أبي زكريا النووي إجماع العلماء و المسلمين على إستحباب الزيارة ، و قال في (ص ٦٣) : وإذا استحب زيارة قبر غيره ﷺ فقبره ﷺ أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم.

فان قلت: الفرق - يعني بين زيارة قبر النبي ﷺ وغيره - ان غيره يزار للاستغفار له لإحتياجه إلى ذلك كما فعل النبي ﷺ في زيارته أهل البقيع، و النبي ﷺ مستغن عن ذلك . قلت : زيارته ﷺ إنما هي لتعظيمه و التبرك به ، و لتنا لنا الرحمة بصلاتنا و سلامنا عليه ، كما أننا مأمورون بالصلاة عليه و التسليم و سؤال الوسيلة و غير ذلك مما يعلم أنه حاصل له ﷺ بغير سؤالنا ولكن النبي ﷺ أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا له متعزّين للرحمة التي رتبها الله على ذلك.

فان قلت : الفرق أيضاً أن غيره لا يخشى فيه محذور و قبره ﷺ يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد. قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود و لولا خشية إغترار الجهال به لما ذكرته ، فان فيه تركاً لما دلّت عليه الأدلة الشرعية بالآراء

الفاصلة الخيالية، وكيف تقدم على تخصيص قوله ﷺ : «زوروا القبور» ؟ وعلى ترك قوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» ؟ وعلى مخالفة إجماع السلف و الخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة ؟ بخلاف النهي عن إتخاذه مسجداً، وكون الصحابة إحترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأن ذلك قد ورد النهي فيه، وليس لنا أن نشرع أحكاماً من قبلنا، أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟

فمن منع زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلة الشرعية، وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى، ومن أراد الله ضلاله من أفراد من الجهال، فلن يستطيع أحد هدايته، فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى، وضيع ما أمر به في حق رسله كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيع ما أمر به في حق ربهم سبحانه وتعالى، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين، وليس في الزيارة المشروع من التعظيم ما يفضي إلى محذور.

وعقد في (ص ٧٥-٨٧) باباً في كون السفر إلى الزيارة قربة، وبسط القول فيه، وأثبت بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، واستدل عليه من الكتاب بقوله تعالى: «ولوأنتهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» بتقريب صدق المجيء وعدم فرق بين حياته ﷺ ومماته. ومن السنة بعموم قوله ﷺ : «من زار قبري، وصريح صحيحة ابن السكن: «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي، وبما دل من السنة على خروج النبي من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد، فقد ثبت في الصحيح خروج ﷺ إلى البقيع - أخرجه مسلم في صحيحه - بأمر من الله تعالى وتعليم عايشة كيفية السلام على أهل البقيع - وخروجه إلى قبور الشهداء -

أخرجه أبو داود في (سننه ج ١ ص ٣١٩) - ثم قال :

الرابع الإجماع لإطباق السلف والخلف، فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضاوا الحج يتوجهون إلى زيارته ﷺ ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج هكذا شاهدناه من قبلنا ، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث. وذلك أمر لا يرتاب فيه ، وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه ، وإن لم يكن طريقهم ويقطعون فيه مسافة بعيدة ، وينفقون فيه الأموال و يبذلون فيه المجهود ، معتقدين أن ذلك قربة و طاعة ، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممر السنين ، وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ ، وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله عز وجل ومن تأخر عنه من المسلمين ، فأنما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه و وده لو تيسر له ، ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجتمعون على خطأ فهو المخطي .

٤- قال السهودي المتوفى: (٩١١) في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤١٢) بعد ذكر أحاديث الباب: وأما الإجماع : فأجمع العلماء على إستحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها ، و قد اختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق ، قال السبكي: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء. وقال الجمال الريمي في «التقنية»: يستثنى أي من محل الخلاف قبر النبي ﷺ وصاحبيه فان زيارتهم مستحبة للنساء بلانزاع كما اقتضاه قولهم في الحج: يستحب لمن حج أن يزور قبر النبي ﷺ وحينئذ فيقال: معاينة قبور يستحب زيارتها للنساء بالإتفاق، و قد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير، وأضاف إليه قبور الألياء و الصالحين والشهداء، ثم بسط القول في أن السفر للزيارة قربة كالزيارة نفسها.

٥- قال ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى: (٩٧٣) في كتابه (الجواهر

المنظم في زيارة القبر المكرّم ص ١٢ ط سنة ١٢٧٩ بمصر) بعد ما استدلّ على المشروعية زيارة قبر النبي ﷺ بعدّة أدلّة منها : الإجماع: فإن قلت: كيف تحكى الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها ، وإبن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كلّه كما رآه السبكي في خطه! وقد أطلّ إبن تيمية الاستدلال لذلك بما تمجّه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً ، وانه لا تقصر فيه الصلوة وان جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه، قلت: من هو إبن تيمية؟ حتى ينظر إليه أديعول في شيء من أمور الدين عليه، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوارس قطائره وقبائح أوهامه وغلطاته كالغز بن جماعة:

عبد أصله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوّه من قوة الإفتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان، ولقد تصدّى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته وإجتهاده وصلاحه وإمامته التقى السبكي قدس الله روحه ونوّض ريحه للردّ عليه في تصنيف مستقلّ أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بياهر حججه طريق الصواب ثم قال: هذا وما وقع من إبن تيمية ممّا ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً ، ومصيبة يستمرّ شؤمها سرمداً ، وليس بعجيب فأنه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، وما درى المحروم انه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أثمتهم سيّما الخلفاء الراشدين باعترافات سخيصة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس.

فنسب إليه الكبائر والعظائم ، وخرق سياج عظّمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدّمين و المتأخّرين حتى قام عليه علماء عصره ، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وفهره

فجسسه إلى أن مات ، وخدمت تلك البدع ، و زالت تلك الضلالات ، ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً ، ولم يظهر لهم جاهاً و لا بأساً ، بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

٦- وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى : (١٠٦٩) في شرح (الشفا ج ٣ ص ٥٦٦) : و اعلم أن هذا الحديث - حديث شدّ الرحال إلى المساجد - هو الذي دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التي كفّروا بها ، و صنّف فيها السبكي مصنفاً مستقلاً و هي منعه من زيارة قبر النبي ﷺ وشدّ الرحال إليه وهو كما قيل :

لمهبط السوحي حقاً نرحل النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب
فتوهم أنّه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانّها لاتصدّر
عن عاقل فضلاً عن فاضل سامحه الله تعالى .

و أمّا قوله عليه السلام : « لا تتخذوا قبوري عيداً » فقيل : كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة . وقيل : المراد لا تزوره في العام مرة فقط بل أكثرها الزيارة له ، وأمّا إحتماله للنهي عنها فهو بفرض أنّه المراد محمول على حالة مخصوصة أي لاتتخذوه كالعيد في العكوف عليه و إظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الأعياد بل لا يؤتى إلّا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف .

وقال في صحيفة (٥٧٧) في شرح حديث : « لاتجعلوا قبوري عيداً » أي كالعيد باجتماع الناس ، و قد تقدّم تأويل الحديث و انه لاجبة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان إجماع الأمة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فانه نزعة شيطانية .

٧ - قال الشيخ محمد أمين ابن عابدين المتوفى : (١٢٥٣) في (رد المختار على الدر المختار ج ٢ ص ٢٦٣) عند العبارة المذكورة : مندوبة باجماع المسلمين كما في (الباب) - إلى أن قال - : و هل تستحب زيارة قبره عليه السلام للنساء ؟ الصحيح : نعم ، بلا كراهة بشرطها على ما صرح به بعض العلماء ، أمّا على الأصح من مذهبنا

وهو قول الكرخي وغيره من أن الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال ، وأما على غيره فذلك نقول بالاستحباب لاطلاق الأصحاب - بل قيل: واجبة - ذكره في شرح اللباب ، وقال: كما بيئته في « الدرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية » .

وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشية « المنح » عن ابن حجر وقال: واتفق له . نعم عبارة اللباب والفتح و شرح المختار أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة - إلى أن قال - : قال ابن الهمام : والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف : تجريد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستمنح فضل الله تعالى في مرة أخرى بنوياً لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله و يوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله عليه السلام : من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة . انتهى .

ونقل الرحمتي عن العارف الملا جامي : أنه أفرز الزيارة عن الحج حتى لا يكون له مقصد غيرها في سفره ثم ذكر حديث: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد فقال: والمعنى كما أفاده في « الأحياء » انه لا تشد الرحال لمسجد من المساجد إلا لهذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقيّة المساجد فانها متساوية في ذلك فلا يردّ انه قد تشدّ الرحال لغير ذلك كصلة رحم وتعلم علم ، وزيارة المشاهد كقبر النبي ﷺ وقبر الخليل عليه السلام وسائر الأئمة .

٨ - جعل الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفى: (١٣٠٣) خاتمة في كتابه (كنز المطالب ص ١٧٩ - ٢٣٩) لزيارة النبي ﷺ و فصل فيها القول و ذكر مطلوبيتها كتاباً وسنة وإجماعاً وقياساً ، وبسط الكلام في شدّ الرحال إلى ذلك القبر الشريف ، و ذكر جملة من آداب الزائر ووظائف الزيارة وقال في (ص ١٩٥) بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في أن النبي ﷺ يسمع سلام زائريه ، و يردّ عليهم : إذا علمت ذلك علمت أن ردّه ﷺ سلام الزائر عليه

بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لاشك فيه ، وإنما الخلاف في رده على المسلم عليه من غير الزائرين .

فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة ، وبين رده عليهم سلامهم بنفسه ، فأنتى لمن سمع لهذين بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ ؟ ! تالله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلا من حق عليه البعد من الخيرات ، والطرده عن مواسم أعظم القربات ، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنته وكرمه آمين ، وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنه ﷺ حي على الدوام ، إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار فنحن نؤمن و نصدق بأنه ﷺ حي يرزق ، وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على هذا .

٩ - قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في (تكملة السيف الصقيل ص ١٥٦) :
والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة ، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزء كما سبق ، وعلى العمل بموجبها إستمرت الأمة إلى أن شدت ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك ، قال علي القاري في شرح «الشفاء» وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيادة قرينة معلوم من الدين بالضرورة ، وجاحده محكوم عليه بالكفر ، ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأنّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالإستحباب يكون كفوفاً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه .

فسميه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه ، نحو الرسول ﷺ وكيف يتصور الإشارك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه ﷺ أنه عبده ورسوله ، وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكره ذلك ؟ ولم يزل أهل العلم ينهون

العوام عن البدع في كل شئ ونههم ، و يرشدونهم إلى السنة في الزيارة و غيرها إذا صدرت منهم بدعة في شئ و لم يعدّهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسّل ، كيف؟ وقد أنقذهم الله من الشرك ، وأدخل في قلوبهم الايمان ، و أوّل من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيميّة ، و جرى خلفه من أراد إستباحة أموال المسلمين و دماءهم لحاجة في النفس .

و لم يخف ابن تيميّة من الله في رواية عدّ السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام ابن الوفاء ابن عقيل الحنبلي - و حاشاه عن ذلك - راجع كتاب (التذكرة) له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ و التوسّل به كما هو مذهب الحنابلة ، ثم ذكر كلامه وفيه القول باستحباب قدوم المدينة و زيارة النبي ﷺ و كيفية زيارته ﷺ - وإتيان مسجد قبا والصلاة فيه وإتيان قبور الشهداء و زيارتهم وإكتثار الدعاء في تلك المشاهد ثم قال: وأنت رأيت نصّ عبارته في المسئلة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيميّة .

١٠ - قال أبو الحسن أحمد بن محمد المحاملي الشافعي المتوفى (٤٢٥) في «التجريد» : ويستحبّ للحاجّ إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبي ﷺ .

١١ - قال القاضي أبو الطيّب طاهر بن عبد الله الطبري المتوفى (٤٥٠) : ويستحبّ أن يزور النبي ﷺ بعد أن يحجّ و يعتمر .

١٢ - قال أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفى (٤٥٠) في (الأحكام السلطانية ص ١٠٥) : فإذا عاد - وليّ الحاجّ - سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ليجمع لهم بين حجّ بيت الله عزّ وجلّ ، و زيارة قبر رسول الله رعاية لحرمة و قياماً بحقوق طاعته ، و ذلك وإن لم يكن من فروض الحجّ فهو من مندوبات الشرع المستحبة و عبادات الحجاج المستحسنة .

وقال في (الحادي) : أما زيارة قبر النبي ﷺ فمأمور بها و مندوب إليها .

١٣ - قال أبو اسحق إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى (٤٧٦)

في (المهذب) : ويستحب زيارة قبر رسول الله ﷺ .

١٤- قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوداني الفقيه البغدادي الحنبلي المتوفى : (٥١٠) في كتاب (الهداية) : وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ .

١٥ - قال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله المالكي المتوفى : (٦١٢) في مناسكه : « فصل : إذا كمل لك حجك و عمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذلك إلا إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبي ﷺ والدعاء عنده - والوصول إلى البقيع و زيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين والصلاة في مسجد الرسول ﷺ فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه .

١٦ - قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي المعروف بابن أبي سنينة المتوفى : (٦١٦) في كتاب (المستوعب) : باب زيارة قبر الرسول ﷺ وإذا قدم مدينة الرسول ﷺ استحب له أن يغتسل لدخولها ، ثم ذكر أدب الزيارة و كيفية السلام والدعاء والوداع .

١٧ - قال الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى : (٦٢٠) في كتابه (المغني) - وهذا الكتاب شرح مختصر الخرقى في فروع الحنابلة تأليف الشيخ أبي القاسم عمر الحنبلي المتوفى : (٣٣٤) والشرح المذكور من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها - : « فصل : يستحب زيارة قبر النبي ﷺ ثم ذكر حديثي ابن عمرو أبي هريرة من طريق الدار قطنى وأحمد .

١٨ - قال محيي الدين النووي الشافعى المتوفى حدود : (٦٧٧) في (المنهاج) المطبوع بهامش شرحه (المغنى ج ١ ص ٤٩٤) : « ويسن شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحج » .

١٩ - قال نجم الدين ابن حمدان الحنبلي المتوفى : (٦٩٥) في (الرعاية الكبرى) في الفروع الحنبليّة : « ويسن لمن فرغ عن نسكه زيارة قبر النبي ﷺ

- وله ذلك بعد فراغ حجته وإن شاء قبل فراغه .

٢٠ - قال القاضي الحسين : إذا فرغ من الحج فإلستة أن يقف بالملتزم ويدعو ثم يشرب من ماء زمزم ، ثم يأتي المدينة ويزور قبر النبي ﷺ (الشفاء) .

٢١ - قال القاضي أبو العباس أحمد السروجي الحنفي المتوفى : (٧١٠) في (الغاية) : إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ وزيارة قبره فأنها من أنجح المساعي .

٢٢ - ذكر شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي المتوفى (٩٢٥) في (أسنى المطالب) شرح (روض الطالب ج ١ ص ٥٠١) لشرف الدين إسماعيل بن المقرئ اليمني : ما يستحب لمن حج ، وقال : ثم يزور قبر النبي ﷺ ويسلم عليه - ثم ذكر شرطاً من أدلتها وجملته من آداب الزيارة .

٢٣ - قال أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي المصري المتوفى : (١١٢٢) في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٩) : قد كانت زيارته مشهورة في زمن كبار الصحابة معروفة بينهم ، لما صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاءه كعب الأحبار فأسلم ففرح به ، وقال : هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبره ﷺ وتتمتع بزيارته ؟ قال : نعم .

٢٤ - قال الشيخ محمد بن السيد دوريش الحوت البيروني المتوفى : (١٢٧٦) في تعليق (حسن الأثر ص ٢٤٦) : زيارة النبي ﷺ مطلوبة لأنه واسطة الخلق وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه في حياته ، ومن أنكرها فإن كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطأؤه عظيم ، وإن كان لما يعرض من الجهلة مما لا ينبغي فليبين ذلك .

٢٥ - قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي المتوفى : (١٢٧٧) في حاشيته على شرح ابن الغزي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي ج ١ ص ٣٤٧ : ويسن زيارة قبره ﷺ ولو لغير حاج ومعتمر كالذي قبله ، ويسن لمن قصد المدينة الشريفة لزيارته ﷺ أن يكثّر من الصلاة والسلام عليه في طريقه ، ويزيد

في ذلك إذا رأى حرم المدينة وأشجارها ويسئل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبلها منه . ثم ذكر جملة كثيرة من آداب الزيارة وألفاظها .

٢٦ - قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ على الفاخوري مفتى بيروت في (الكفاية لذوي العناية ص ١٢٥) : الفصل الثاني عشر في زيارة النبي ﷺ وهي متأكدة مطلوبة ، ومستحبة محبوبة ، وتسبب زيارته في المدينة كزيارته حياً هو في حجرته حي " يرد " على من سلم ﷺ ، وهي من أنجح المساعي ، وأهم القربات ، وأفضل الأعمال وأزكى العبادات ، وقد قال ﷺ : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ومعنى « وجبت » ثبتت بالوعد الصادق الذي لا بد من وقوعه وحصوله ، وتحصل الزيارة في أي وقت ، وكونها بعد تمام الحج " أحب " ، ويجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شيء يخالف طريقته وسننه ﷺ ثم ذكر شرطاً وافرأ من آداب الزيارة ، والزيارة الأولى الآتية في الآداب ، فقال : ومن عجز عن حفظ هذا فليقتصر على بعضه وأقله : السلام عليك يا رسول الله - إلى أن قال - : ويستحب " التبرك بالاسطوانات التي لها فضل وشرف وهي ثمانية :

أسطوانة محل " صلاته ﷺ و أسطوانة عائشة و تسمى أسطوانة القرعة ، و أسطوانة التوبة محل " إعتكافه ﷺ و أسطوانة السرير ، و أسطوانة علي رضي الله عنه ، و أسطوانة الوفود ، و أسطوانة جبريل ﷺ و أسطوانة التهجد .

٢٧ - قال فقهاء المذاهب الأربعة المصريين في (الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٩٠) : زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات ، وقد ورد فيها أحاديث ثم ذكروا ستة من الأحاديث وجملة من أدب الزائر وزيارة للنبي ﷺ .

٢٨ - حكى عبد الحق بن محمد الصقيلي المتوفى : (٤٦٦) في كتابه (تهذيب الطالب) عن الشيخ أبي عمران المالكي أنه قال : إنما كره مالك أن يقال : زرتنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها ، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة . قال عبد الحق : معنى من السنن الواجبة في (المدخل ج ١ ص ٢٥٦)

يريد وجوب السنن المؤكدة .

٢٩ - قال الشيخ زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفى : (١٠٣١) في (شرح الجامع الصغير ج ٦ ص ١٤٠) : و زيارة قبره عليه السلام الشريف من كمالات الحج ، بل زيارته عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة إلى قبره كهي إليه حياً ، قال الحكيم : زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هجرة المضطرين هاجروا إليه فوجدوه مقبوضاً فأنصرفوا فحقيق أن لا يخيبهم بل يوجب لهم شفاعته تقيم حرمة زيارتهم . وقال في شرح الحديث الأول المذكور (ص ٩٣) : إن أثر الزيارة إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر ، وإما شفاعته تخص الزائر أخص من العامة ، وقوله عليه السلام : « شفاعتي » في الإضافة إليه تشريف لها إذ الملائكة و خواص البشر يشفعون ، فللزائر نسبة خاصة ، فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الزائر .

٣٠ - جعل الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي في (مراقي الفلاح بامداد الفتاح) فصلاً في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أفضل القربات وأحسن المستحبات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات ، فأنه صلى الله عليه وآله وسلم حرّض عليها وبالحق في الندب إليها فقال : « من وجد سعة فلم يزدني فقد جفاني » ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » ، إلى غير ذلك من الأحاديث ، ومما هو مقرر عند المحققين إنه صلى الله عليه وآله وسلم حي يرزق ، ممتّع بجميع الملائكة والعبادات ، غير أنه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات ، و رأينا أكثر الناس غافلين عن أداء حق زيارته ، وما يسنّ للزائر من الجزئيات والكليّات أحببنا أن نذكر بعد المناسك وآدابها ما فيه نبذة من الآداب تكميلاً لفائدة الكتاب .

٣١ - قال الشيخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى : (١٢٥٠) في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٤) : قد اختلفت فيها - في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أقوال أهل العلم ، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة ، و ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها

واجبة وقالت الحنفية : إنها قريبة من الواجبات ، و ذهب ابن تيمية الحنبلي حفيد المصنف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنها غير مشروعة . ثم فصل الكلام في الأقوال - إلى أن قال في آخر كلامه - : واحتج أيضاً من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الأزمان على تباين الديار و اختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته ، و يعدون ذلك من أفضل الأعمال ، ولم ينقل أن أحداً أنكر ذلك عليهم فكان إجماعاً .

٣٢ - قال السيد محمد بن عبدالله الجرداني الديماطي الشافعي المتوفى : (١٣٠٧) في (مصباح الظلام ج ٢ ص ١٤٥) : قال بعضهم : ولزائر قبر النبي ﷺ عشر كرامات : إحداهن يعطى أرفع المراتب ، الثانية : يبلغ أسنى المطالب . الثالثة : قضاء المآرب . الرابعة : بذل المواهب . الخامسة : الأمن من المعاطب . السادسة : التطهير من المعائب . السابعة : تسهيل المصائب . الثامنة : كفاية النوائب . التاسعة : حسن العواقب . العاشرة : رحمة رب المشارق والمغارب وما أحسن ما قيل :

هنيئاً لمن زار خير الورى و حطّ عن النفس أو زارها

فان السعادة مضمونة لمن حلّ طيبة أو زارها

وبالجملة فزيارة قبره ﷺ من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتى أن بعضهم جرى على أنها واجبة ، فينبغي أن يحرص عليها ، وليحذر كل الحذر من التخلف عنها مع القدرة ، وخصوصاً بعد حجة الإسلام لأن حقه ﷺ على أمته عظيم ، و لو أن أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من بعد موضع من الأرض لزيارته ﷺ لم يقم بالحق الذي عليه لنبيه جزاء الله عن المسلمين أنهم الجزاء .

زمن تحبّ و إن شطت بك الدار و حال من دونه نرب و أحجار

لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحبّ لمن يهواه زوار

و يسنّ لمن قصد المدينة الشريفة - إلى أن فصل القول في آداب الزيارة

وذکر زیارة السیدة فاطمة وأهل البقیع والمزارات المشهورة وهي نحو ثلاثین موضعاً كما قال .

٣٣- قال أبو عبد الله الحسین بن الحسن الحلیمی الجرجانی الشافعی المتوفی: (٤٠٣) فی کتابه (المنهاج فی شعب الایمان) بعد ذکر جملة من تعظیم النبی ﷺ: فأما الیوم فمن تعظیمه زیارته.

٣٤- قال الإمام القدوة ابن الحاج محمد بن محمد العبدري القیرواني المالکی المتوفی: (٧٣٧) فی (المدخل فی فصل زیارة القبور ج ١ ص ٢٥٧): وأما عظیم جناب الأنبیاء والرسل صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین، فیاثی إلیهم الزائر یتعین علیه قصدهم من الأماکن البعیدة، فإذا جاء إلیهم فلیتصف بالذلّ والإنکسار والمسکنة والفقر والفاقة والحاجة والإضطراب والخضوع، ویحضر قلبه وخاطرہ إلیهم و إلی مشاهدتهم بعین قلبه لایعین بصره لأنهم لا یبلون ولا یتغیرون ثم ینثی علی الله تعالی بما هو أهله، ثم یتصلی علیهم یتراضی علی أصحابهم، ثم یترحم علی التابعین لهم باحسان إلی یوم الدین، ثم یتوسل إلی الله تعالی بهم فی قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، و یتغیث بهم ویطلب حوائجه منهم، ویجزم بالإجابة بیر کتمهم و یقوی حسن ظنه فی ذلك، فانهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالی بقضاء الحوائج علی أیدیهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول فلیرسل بالسلام علیهم، و یذکر ما یحتاج إلیه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عیوبه إلی غیر ذلك، فانهم السادة الکرام، و الکرام لا یردون من سئلهم ولا من توسل بهم ومن قصدهم ولا من لجأ إلیهم. هذا الکلام فی زیارة الأنبیاء والمرسلین علیهم الصلاة والسلام عموماً ثم قال:

فصل : و أما فی زیارة سید الأولین والآخرین صلوات الله علیه وسلامه فکل ما ذکر یزید علیه أضعافه أعنی فی الإنکسار والذلّ والمسکنة لأنه الشافع المشفع الذی لا تردّ شفاعته، ولا یخیب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنه علیه الصلاة والسلام قطب دائرة الکمال

- إلى أن قال :- فمن توسل به أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، فلا يردّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، و يحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصلّاة و السلام، وقد قال علمائنا :- إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلّاة و السلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته - أعني في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، ذلك عنده جلّي لا خفاء فيه - إلى أن قال :-

فالتوسل به عليه الصلّاة و السلام هو محلّ "خطأ" أحمال الأوزار وأفعال الذنوب و الخطايا لأنّ بركة شفاعته عليه الصلّاة و السلام وعظمها عند ربه لا يتعاضدها ذنب إذ أنّها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره، وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيّه عليه الصلّاة و السلام من لم يزره، اللهم لا تحرمننا من شفاعته بحرمة عندك آمين رب العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ: "و لو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول..." الآية؟ فمن جاءه و وقف ببابه و توسل به وجد الله توباً أباً رحيماً لأنّ الله منزّه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه و وقف ببابه و سئله و استغفر ربه، فهذا لا يشكّ فيه ولا يرتاب إلّا جاحد للدين، معانده و لرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان.

٣٥- قال زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر القريشي العثماني المصري المراغي المتوفى: (٨١٦) في (تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة): وينبغي لكلّ مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قرينة عظيمة للأحاديث الواردة في ذلك، ولقوله تعالى: "و لو أنّهم إذ ظلموا جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول..." الآية لأنّ تعظيمه لا ينقطع بموته ولا يقال: إن استغفار الرسول لهم إنّما هو في حياته وليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض الأئمة المحققين أنّ الآية دلّت على تعليق وجدان الله تعالى توباً أباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، و استغفارهم و استغفار

الرسول لهم، وقد حصل إستغفار الرسول لجميع المؤمنين لأنه قد استغفر للجميع قال الله تعالى : «استغفر لذنبك وللمؤمنين و المؤمنات » فاذا وجد مجيئهم و إستغفارهم كملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته. راجع (المواهب اللدنية) للقسطلاني.

٣٦- قال الحافظ أبو العباس القسطلاني المصري المتوفى : (٩٢٣) في (المواهب اللدنية) : الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف و مسجد المنيف إعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات و أرجى الطاعات و السبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربة الإسلام ، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام، وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسي كما ذكره في «المدخل» عن (تهذيب الطالب) لعبد الحق: أنها واجبة قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة.

وقال القاضي عياض: إنها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر جملة من الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ فقال : وقد أجمع المسلمون على إستحباب زيارة القبور كما حكاه النووي و أدجها الظاهرية ، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص كما سبق، ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب و لهذا قال بعض العلماء : لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء وإن كان محل الإجماع على إستحباب زيارة القبور الرجال و في النساء خلاف ، الأشهر في مذهب الشافعي الكراهة . قال إبن حبيب من المالكية : ولا تدع في زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده فإن فيه من الرغبة مالا غنى بك، وبأحد عنه، وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه.

٣٧- قال الشيخ محمد الخطيب الشربيني المتوفى : (٩٧٧) في (مغنى المحتاج ج ١ ص ٣٥٧) : ومحل هذه الأقوال - يعنى الأقوال في زيارة القبور للنساء من

الندب والكراهة والحرمة والإباحة - في غير زيارة قبر سيّد المرسلين ، أما زيارته عليه السلام فمن أعظم القربات للرجال والنساء ، والحق الدمهوري به قبور بقيّة الأنبياء والصّالحين والشهداء وهو ظاهر وإن قال الأذري: لم أره للمتقدّمين.

قال ابن شهبة: فإن صحّ ذلك فينبغي أن يكون زيارة قبر أبويها وأخوتها وسائر أقاربها كذلك فإنّهم أولى بالصلة من الصّالحين.

وقال في (ص ٤٩٤) بعد بيان مندوبيّة زيارة قبر الشريف عليه السلام وذكر جملة من أدلتها: ليس المراد إختصاص طلب الزيارة بالحجّ ، فإنّها مندوبة مطلقاً كما مرّ بعد حجّ أو عمرة أو قبلهما أو لامع نسك ، بل المراد - يعني من قول المصنف بعد فراغ الحجّ - تأكّد الزيارة فيها لأمرين: أحدهما: أن الغالب على الحجاج الورود من آفاق بعيدة ، فإذا قربوا من المدينة يقبح تركهم الزيارة والثاني لحديث من حجّ ولم يزرني فقد جفاني رواه ابن عدي في الكامل وغيره وهذا يدلّ على أنه يتأكّد للحاجّ أكثر من غيره وحكم المعتمر حكم الحاجّ في تأكّد ذلك.

٣٨- قال الشيخ عبدالرحمن شيخ زاده المتوفى: (١٠٨٧) في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ج ١ ص ١٥٧): من أحسن المندوبات بل يقرب من درجه الواجبات زيارة قبر نبيّنا وسيّدنا محمد وآله وقد حرّض عليه السلام على زيارته وبالغ في الندب إليها بمثل قوله عليه السلام: «من زار قبري» فذكر ستّة من أحاديث الباب ثمّ قال: فإن كان الحجّ فرضاً ، فالأحسن أن يبدأ به إذا لم يقع في طريق الحاجّ المدينة المنوّرة ثم يثنى بالزيارة ، فإذا نواها فلينومعها زيارة مسجد الرسول عليه السلام ثم ذكر جملة كبيرة من آداب الزائر.

٣٩- قال الشيخ محمد بن علي بن محمد الحصري المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق المتوفى (١٠٨٨) في (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار) في آخر كتاب الحجّ: وزيارة قبره عليه السلام مندوبة بل قيل: واجبة لمن له سعة، ويبدأ

بالحج لو فرضاً ويخير لو قفلاً ما لم يمر به، فيبدأ بزيارته لامحالة، ولينومعه زيارة مسجده ﷺ .

٤٠- قال أبو الحسن السندي محمد بن عبد الهادي الحنفي المتوفى: (١١٣٨) في شرح (سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٢٦٨) : قال لدميري : فائدة زيارة النبي ﷺ من أفضل الطاعات وأعظم القربات لقوله ﷺ : «من زار قبري و جبت له شفاعتي» ، رواه الدار قطني وغيره وصححه عبد الحق ، و لقوله ﷺ : «من جائي زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ، رواه الجماعة منهم الحافظ أبو علي ابن السكن في كتابه المسمى بالسنن المسحاح ، فهذان إمامان صححا هذين الحديثين و قولهما أولى من قول من طعن ذلك.

٤١- قال الشيخ عبد المعطي السقاقي (الإرشادات السنية ص ٢٦٠) : زيارة النبي ﷺ إذا أراد الحاج أو المعتمر الإنصراف من مكة أدام الله تشریفها و تعظيمها طلب منه أن يتوجه إلى المدينة المنورة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام فاتها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعي المشكورة ولا يختص طلب الزيارة بالحاج غير أنها في حقه أكد، والأدلى تقديم الزيارة على الحج إذا اتسع الوقت فانه ربما يعوقه عنها عائق ، و قد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث منها قوله ﷺ : «من زار قبري و جبت له شفاعتي» و ينبغي الحرص عليها ، و عدم التخلف عنها عند القدرة على أدائها خصوصاً بعد حجة الإسلام لأن حقه ﷺ على أمته عظيم ، و ينبغي لمريد الزيارة أن يكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ في طريق ذهابه إليها، و إذا وصلها استحب له أن يغتسل ثم يتوضأ أو يتيمم عند فقد الماء ثم ذكر جملة من آداب الزيارة ولفظاً مختصراً من زيارة النبي ﷺ .

٤٢- قال الملا علي الهردي الحنفي في (المرقاة شرح المشكاة ج ٢ ص ٤٠٤)

في زيارة القبور: الأمر فيها للرخصة أو الاستحباب، وعليه الجمهور بل إدعى بعضهم الإجماع، بل حكى ابن عبد البر عن بعضهم وجوبها.

٤٣- قال منصور على ناصف في (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ١ ص ٤١٨): الأمر - في زيارة القبور - للندب عند الجمهور وللوجوب عند ابن حزم ولومرّة واحدة في العمر. وقال في (ص ٤١٩): زيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج، وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة لعموم الحديث - الأول - ولقول عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ إلخ ولزيارة عائشة لقبر أخيها عبد الرحمن، فلما إعترضها عبد الله قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها. رواه أحمد وابن ماجه.



﴿جواز التبرك بقبر النبي الكريم ﷺ عند العامة﴾

وقد أجاز أعلام المذاهب الأربعة العامة التبرك بقبر النبي الأقدس ﷺ بالتزام وتمرغ و تقبيل : على ما ورد عن طريقهم روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ - أخرج الحافظ ابن عساكر في (التحفة) من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال : حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله تعالى عنه قال : لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر و وضعت على عينيها وبكت و أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد
صبت علي مصائب لو أنها
رواه جماعة من أعلام العامة:

١- ابن الجوزي في (الوفاء)

٢- ابن سيّد الناس في (السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٤٠)

٣- القسطلاني في (المواهب) مختصراً.

٤- القاريء في شرح (الشمايل ج ٢ ص ٢١٠)

٥- الشبراوي في (الإتحاف ص ٩)

٦- السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٤٤)

- ٧- الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٧)
 ٨- الحمزاوي في (مشارك الأنوار ص ٤٣)
 ٩- السيد أحمد زيني دحلان في (السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩١)
 ١٠- عمر رضا كحالة في (أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٥)
 ١١- ذكر ابن حجر في (الفتاوي الفقهية ج ٢ ص ١٨) البيتين لها سلام الله عليها .

- ١٢- الخطيب الشربيني في (تفسيره ص ٣٤٩)
 ١٣- القسطلاني في (إرشاد الساري ج ٢ ص ٣٩٠)
 ٢- عن أبي الدرداء قال: «إن بلالاً - مؤذن النبي ﷺ - رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: ماهذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال؟ فانتبه حزينا وجلا خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما. الحديث.

رواه جماعة من حملة آثارهم:

- ١- أخرجه الحافظ ابن عساكر في (تاريخ الشام) مسنداً بطريق في موضعين - كما في (شفاء السقام ص ٣٩ - ٤٠) وفي ترجمة إبراهيم بن محمد الأنصاري (ج ٢ ص ٢٥٦) وفي ترجمة بلال. غير أن مذهب الكتاب حذف الإسناد في الموضع الأول وأبقى المتن وأسقطه رأساً سنداً ومنتناً في الثاني، وقد أخطأ وأساء على الحديث والكتاب معاً .

- ٢- الحافظ أبو محمد عبد الغنى المقدسي في (الكمال) في ترجمة بلال.
 ٣- أبو الحجاج المزي في (التهذيب)
 ٤- السبكي في (شفاء السقام ص ٣٩) وقال: «روينا ذلك باسناد جيد ولا حاجة إلى النظر في الإسنادين اللذين رواه ابن عساكر بهما، وإن كان رجالهما

معروفين مشهورين.

٥- ابن الأثير في (أسد الغابة ج ١ ص ٢٠٨)

٦- السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٨) وقال: سند جيد و(ص ٤٤٣)
وقال: إسناده جيد.

٧- القسطلاني في (المواهب اللدنية).

٨- الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٧)

٩- الحمزاوي في (مشارك الأنوار ص ٥٧)

٣- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحنان ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله قلت: فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك...» الآية وقد ظلمت وجنتك تستغفر لي، فتودى من القبر: قد غفر لك.

أخرجه جماعة منهم:

١- الحافظ أبو عبد الله ابن نعيم المالكي في (مصباح الظلام)

٢- المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

٣- السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤١٢)

٤- القسطلاني في (المواهب اللدنية)

٥- الشيخ داود الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٤٠)

٦- الحمزاوي المالكي في (مشارك الأرض ص ٥٧)

٤- عن داود بن أبي صالح: أقبل مردان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه (جبهته) على القبر فأخذ مردان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبوايتوب الأنصاري، فقال: نعم إني لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا دليته أهله، ولكن

أبكوا على الدين إذا ولّاه غير أهله.

رواه جماعة من أعلامهم:

١ - الحاكم في (المستدرک ج ٤ ص ٥١٥) وصحّحه هو و الذهبي في

تلخيصه .

٢ - أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في (أخبار المدينة) بإسناد آخر عن المطلب بن عبدالله بن حنطب كما في (شفاء السقام ص ١١٣) قال السبكي بعد حكايته: فإن صحّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر، وإنّما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك.

٣ - السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤١٠ و ٤٤٣) نقلاً عن إمام الحنابلة

أحمد قال: رأيت به خطّ الحافظ أبي الفتح المراغي المدني.

٤ - الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢) نقلاً عن أحمد.

ولا يخفى أن هذا الحديث يعطى القاري والخبير: أن المنع عن التوسل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الأمويين وضلالانهم منذ عهد الصحابة، ولم تسمع اذن الدنيا قطّ صحابياً ينكر ذلك غير وليد بيت اميّة مروان الغاشم، نعم: الثوري يحمي نفسه بروقه، وبعملة الورشان يأكل رطب الوشان، نعم: لبنى اميّة عامّة ولمروان خاصّة ضغينة على رسول الله ﷺ من ذي يوم لم يبق له عليه السلام في الاسرة الاموية حرمة إلا هتكها، ولا ناموساً إلا مزقته، ولا ركناً إلا أباده، وذلك بوقيعته عليه السلام فيهم وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى، وقد صحّ عنه عليه السلام قوله: إذا بلغت بموامية أربعين إتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلا وكتاب الله دغلاً.

وصحّ عنه عليه السلام قوله: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً إتخذوا دين الله

دغلاً وعباد الله خولاً، ومال الله دولا.

وصحّ عنه عليه السلام قوله: إنّي أريت في منامي كان بني الحكم بن أبي العاص

ينزول على منبري كما تنزرو القردة قال: فما رأى النبي ﷺ مستجمعاً صاحكاً حتى توفى .

و صح عنه ﷺ قوله : لما استأذن الحكم بن أبي العاص عليه : عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم ، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة ، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق . و صح عنه ﷺ قوله لما ادخل عليه مروان بن الحكم : هو الوزغ ابن الوزغ ، الملعون ابن الملعون .

و صح عن عائشة قولها : إن رسول الله ﷺ قال : لعن الله أبا مروان ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل .

و صح عن عبدالله بن الزبير : ان رسول الله ﷺ لعن الحكم و ولده . هذه الأحاديث أخرجهما جمع من الحفاظ بطرقهم ، وقد جمعها الحاكم و صححها في (المستدرک ج ٤ ص ٤٧٩ - ٤٨٢) .

فحقيق على مروان أن يرى الأمة الإسلامية انه يحامي عن التوحيد وقد رام أن يخذلها عن نبيها ويصغره عندها ، وكيف يروقه نبي كان هذا هتافه فيه ، و في أبيه و جده وأصله وشجرته : تلك الشجرة الملعونة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، فلا يحق لمسلم أن يستظل هذه الشجرة الملعونة ، ويقول بقولهم ، و يتخذ برأيهم و يتبع إثر اولئك أشباه الرجال الذين اتخذوا دين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً وكتاب الله حولاً .

٥ - عن أبي خيثمة - زهير بن حرب الثقة المأمون المتوفى : ٢٣٤ - قال : حدثنا مصعب بن عبدالله ، حدثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي قال : كان ابن المنكدر - وهو محمد بن المنكدر القرشي التيمي أحد الأئمة الأعلام من التابعين توفى : ١٣٠ - يجلس مع أصحابه قال : وكان يصيبه الصمات ، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع فعوتب في ذلك ، فقال : إنه ليصيبني خثرة فاذا

وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه و يضطجع ف قيل له في ذلك فقال : إني رأيت النبي ﷺ في هذه الموضع - يعني في النوم - راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤) للسهمودي .

٦ - قال العز بن جماعة الحموي الشافعي في كتاب (العلل والسؤالات) لعبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي علي بن الصوف عنه ، قال عبدالله : سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسّه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ؟ قال : لا بأس به . راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٣) .

٧ - قال العلامة أحمد بن محمد المقرئ المالكي في (فتح المتعال بصفة النعال) نقلاً عن ولي الدين العراقي : قال : أخبر الحافظ أبو سعيد بن الملا قال : رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ : ان الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره ؟ فقال : لا بأس بذلك ، قال : فأريناه التقي ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ، ويقول : عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه أو معنى كلامه . وقال : وأي عجب في ذلك و قد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي و شرب الماء الذي غسله به ؟ - ذكره ابن الجوزي في (مناقب أحمد ص ٤٥٥) وابن كثير في (تاريخه ج ١٠ ص ٣٣١) - و إذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصحابة ؟ و كيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

و ما أحسن ما قاله مجنون ليلى :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

٨ - ذكر الخطيب ابن حنبل ان عبدالله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف ، و ان بلالاً رضي الله تعالى عنه وضع خديه عليه أيضاً و رأيت في كتاب

(السُّؤالات) لعبدالله بن الإمام أحمد - وذكر ما تقدم عن ابن جماعة ثم قال - :
ولاشك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الاذن في ذلك والمقصود من ذلك كله
الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ،
فاناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه واناس فيهم أناة يتأخرون
والكل محل خير .

٩ - في (الشفاء) للفاضل : رأى ابن عمر واضعاً يده على مقعد رسول الله
من المنبر ثم وضعها على وجهه . راجع (وفاة الوفاء ج ٢ ص ٣٣٣) .

١٠ - قال شيخ مشايخ الشافعية الشافعي الصغير محمد بن أحمد الرملي في شرح
(المنهاج) : ويكره أن يجعل على القبر مظلة ، وأن يقبل التابوت الذي يجعل
فوق القبر وإستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء .

نعم : إن قصد التبرك لا يكره كما أفتى به الولد فقد صرحوا بأنه إذا عجز
عن إستلام الحجر سن له أن يشير بعضاً وأن يقبلها .

حكاه الشبر أملسى الشيخ أبي الضياء في (حاشية المواهب اللدنية) والحمزاوي
في (كنز المطالب ص ١٩) .

١١ - أخرج الحميدي في الجمع بين الصحيحين وأبوداود في مسنده : أن
رسول الله ﷺ كان يشير إلى الحجر الأسود بمحجنته ويقبل المحجن .

١٢ - قال أبو العباس أحمد الرملي الكبير الأنصاري شيخ الشيوخ في حاشية
(روضي الطالب) المطبوعة في هامش (أسنى المطالب ج ١ ص ٣٣١) عند قول
المصنف في أدب مطلق زيارة القبور - أن يدنو منه دنوه منه حياً - : قال في
المجموع : ولا يستلم القبر ولا يقبله ، ويستقبل وجهه للسلام والقبلة للدعاء وذكره
أبو موسى الاصبهاني قال شيخنا : نعم : إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستلمه
أو قبله بقصد التبرك فلا بأس به .

١٣ - نقل الطيب الناشري عن محب الدين الطبري الشافعي : انه يجوز

تقبيل القبر و مسّه ، قال : و عليه عمل العلماء الصّالحين و أنشد :
لو رأينا لسليمي أثراً
لسجدنا ألف ألف للأثر
راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤) .

١٤ - قال القاضي عياض المالكي في (الشفاء) بعد كلام طويل في تعظيم قبر النبي ﷺ : و جدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل ، و تردد بها جبرئيل وميكائيل ، و عرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتهما بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربيتها على سيّد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر ، ومدارس آيات ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، و مواقف سيّد المرسلين و متبوء خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة ، و أين فاض عباؤها ، ومواطن تهبط الرسالة ، وأول أرض مسّ جلد المصطفى ترابها ، أن تعظم عرصاتهما ، و تنسّم نفحاتها ، و تقبل ربوعها وجدرانها .

يا دار خير المرسلين و من به	هدى الأنام و خصّ بالآيات
عندي لأجلك لوعة و صباية	و تشوّق متوقّد الجمرات
و عليّ عهد إن ملأت محاجري	من تلکم الجدران والعربات
لاعقرن مصون شيبتي بينها	من كثرة التقبيل والرّشقات
لولا العوادي والأعادي زرتها	أبدأ و لو سحبا على الوجنات
لكن سأهدى من حفيّل تحييتي	لفطين تلك الدار والحجرات

١٥ - قال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفى في شرح (الشفاء ج ٣ ص ٥٧٧) عند قول القاضي : - ونقل من كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر أن لا يلصق به ولا يمسه - : بشيء من جسده فلا يقبله فيكره فيه ، و هذا أمر غير مجمع عليه ، ولذا قال أحمد والطبري : لا بأس بتقبيله وإلتزامه . و روى أن أبا أيّوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف ، قيل : و هذا لغير من لم يغلبه

الشوق والمحبة وهو كلام حسن .

وقال في (ج ٣ ص ٥٧١) عند قول ابن أبي مليكة - من أحب أن يكون و جاء النبي - فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه - : هو إرشاد لكيفية الزيارة و أن يكون بينه وبين القبر فاصل ، فقيل : إنه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع ، وقيل : ثلاثة ، وهذا مبني على أن البعد أولى و أليق بالأدب كما كان في حياته ﷺ وعليه الأكثر ، و ذهب بعض المالكية إلى أن القرب أولى ، وقيل : يعامله معاملته في حياته ، فيختلف ذلك باختلاف الناس ، و هذا باعتبار ما كان في العصر الأول ، و أما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك .

١٦- نقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية : جواز تقبيل المصحف و أجزاء الحديث و قبور الصالحين .

١٧ - قال الحافظ ابن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره فأما تقبيل يدا لآدمي فسبق في الأدب ، وأما غيره فنقل عن أحمد انه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره فلم يربطه بأساً و استبعد بعض أتباعه صحته عنه .

أقول: و قد سبق مراراً : أن المستبعد هو ابن تيمية و أذنبه الوهابيون من أهل الأهواء الضالة المضلة الذين لا يعتنا بهم ولا بأرائهم في دين الله تعالى و سنة نبيه ﷺ .

١٨ - قال الزرقاني المصري المالكي في شرح (المواهب اللدنية ج ٨ ص ٣١٥) : تقبيل القبر الشريف مكروه إلا لقصد التبرك فلا كراهة كما اعتقده الرملي .

١٩- قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي في حاشيته على شرح ابن قاسم الفزري على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي (ج ١ ص ٢٧٦) : يكره تقبيل

القبر وإستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذلك تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء إلا أن قصد به التبرك بهم فلا يكره وإذا عجز عن ذلك لازدحام ونحوه كاختلاط الرجال بالنساء كما يقع في زيارة سيدي أحمد البدوي وقف في مكان يتمكن فيه من الوقوف بلامشقة وقرأ ما تيسر وأشار بيده أو نحوها ثم قبل ذلك فقد صرّحوا بأنه إذا عجز عن إستلام الحجر الأسود يسنّ له أن يشير بيده أو عصا ثم يقبلها .

٢٠- قال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي في (كنز الطالب ص ٢٠) و (مشارق الأنوار ص ٦٦) بعد نقل عبارة الرملي المذكور : ولا مريّة حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للتبرك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك ، فيحمل ما قاله العارف على هذا المقصد لاسيما وان قبره الشريف روضة من رياض الجنة .

٢١- قال الشيخ سلامة العزّامي الشافعي في (فرقان القرآن ص ١٣٣) : وقال - يعني ابن تيمية - : من طاف بقبور الصالحين أو تمسّح بها كان متركباً أعظم العظائم ، و أتى بكلام ملتبس فمرّة يجعله من الكبائر و أخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك ، قد فرغ العلماء المحققون والفقهاء المدققون من بحثها و تدوينها قبل أن يولد هو بقرون ، فيأتي إلا أن يخالفهم ، و ربّما ادّعى الإجماع على ما يقول ، و كثيراً ما يكون الإجماع قد انعقد قبله خلاف قوله كما يعلم ذلك من أمعن في كلامه ، و كلام من قبله و كلام من بعده ممّن تعقبه من أهل الفهم المستقيم ، والنقد السليم ، و إليك مثلاً : التمسّح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم فيه على ثلاثة أقوال :

الجواز مطلقاً ، والمنع مطلقاً على وجه كراهة التنزيه الشديدة ، ولكنها لا تبلغ حدّ التحريم ، والتفصيل بين من غلبه شدة شوق إلى المزور فتنتفى عنه هذه الكراهة ومن لا ، فالأدب تركه ، و أنت إذا تأملت في الامور التي كفر بها

المسلمين وجعلها عبادة لغير الله وجدت حجته ترجع إلى مقدمتين صدقت كبراهما وهي: كل عبادة لغير الله شرك، وهي معلومة من الدين بالضرورة، ثم يسوق عليه الأدلة بالآيات الواردة في المشركين وكذبت صفراهما وهي قوله: كل نداء لميئت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه - إلخ - فهو عبادة لغير الله .

ثم يسوق الآيات والأحاديث الصحاح التي لم يفهمها أو تعتمد في تأويلها على غير وجهها، ثم يخرج من هذا القياس الذي فسدت إحدى مقدمتيه بنتيجة لا محالة كاذبة وهي: أن جمهور المسلمين إلا إياه ومن شايعه مشركون كافرين، وقد أجاد تلخيص هذا المذهب وأدلته وتزييفها منطقياً وأصولياً كل الإجابة سيّد أهل التحقيق، وتاج أهل التدقيق الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد الفاسي المتوفى: (١٢٢٩) وألف في مؤلف ردّه به على ذلك المذهب ينطق بعلو كعب هذا الامام - إلى أن قال - :

ولقد تعدّى هذا الرجل حتى على الجناب المحمّدي فقال: إن شدّ الرّحال إلى زيارته معصية، وإن من ناداه مستغيثاً به عليه الصّلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك فتارة يجعله شركاً أصغر، وأخرى يجعله شركاً أكبر وإن كان المستغيث ممتليء القلب بأنّه لا خالق ولا مؤثر إلّا الله، وإن النّبي ﷺ إنّما ترفع إليه الحوائج ويستغاث به، على أن الله جعله منبع كل خير، مقبول الشفاعة، مستجاب الدعاء ﷺ كما هي عقيدة جميع المسلمة مهما كانوا من العامّة. إنتهى .

وأخبر جمال الدين عبد الله بن محمد الأنصاري المحدث قال: رحلنا مع شيخنا تاج الدين الفاكهاني إلى دمشق، فقصّد زيارة نعل سيّدنا رسول الله ﷺ التي بدار الحديث الأشرفيّة بدمشق، و كنت معه فلمّا رأى النعل المكرّمة حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرّغ وجهه عليه ودموعه تسيل وأنشد :

فلو قيل للمجنون: ليلي وصلها
تريد أم الدنيا وما في طواياها ؟

لقال : غبار من تراب نعالها أحبّ إلى نفسي وأشفى لبلواها
راجع (الديباج المذهب ص ١٨٧) .

٢٢- أخرج محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٤) حديثاً
طويلاً فيما اتفق بالأبواء بين عمر بن الخطاب لما خرج حاجاً في نفر من أصحابه
و بين شيخ استغاث به وفيه : لما انصرف عمر و نزل ذلك المنزل و استخبر عن
الشيخ و عرف موته ، فكأنني أنظر إلى عمر وقد وثب مباعداً ما بين خطاه حتى
وقف على القبر - قبر الشيخ - فصلّى عليه ثم اعتنقه وبكى .
فلو جاز لمثل عمر الوقوف على قبر رجل عاديّ و إعتناقه ، والبكاء عليه ،
فما وازع الأمة عن الوقوف على قبر رسولها الكريم ﷺ و إعتناقه والبكاء عليه
أو قبور عترته الطاهرة !؟



﴿ في استحباب زيارةائمة البقيع وبقية المزارات ﴾

فيها عند العامة

وقد جاءت كلمات عديدة عن أعلام العامة في استحباب زيارة قبور أئمة البقيع عليهم السلام وسائر المزارات فيها نشير إلى نبذة منها :

« يستحب بعد زيارته عليه السلام أن يخرج - الزائر - إلى البقيع كل يوم و يوم الجمعة آكد، كما قال الفاكهي. وفي إحياء العلوم: « يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع، وكذا قال النووي والفاخوري وزاد الأخير: ويخص يوم الجمعة، يأتي المشاهد والمزارات فيزور العباس ومعه الحسن بن علي، وزين العابدين، وإبنه محمد الباقر وإبنه جعفر الصادق - وقبر إبراهيم بن النبي عليه السلام وجماعة من أزواج النبي عليه السلام وعمته صفية وكثيراً من الصحابة والتابعين - إلى أن قال -: ويقول:

«سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، سلام عليكم دار قوم مؤمنين و إننا إن شاء الله بكم لاحقون. ويقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص، وقال النووي: يقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون وإننا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل البقيع الفرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم، وزاد القاضي حسين :

«اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا و

هي بك مؤمنة ادخل عليها روحاً منك وسلاماً مني، اللهم برّد مضاجعهم عليهم واغفر لهم، راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨) للسهودي.

روى البيهقي في (السنن ج ٤ ص ٧٩) وفي (ج ٥ ص ٢٤٩) عن عائشة: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما تعدون غداً مؤجلون، وإنا بكم إن شاء الله لآحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

آخرجه مسلم في (صحيحه) والشريني في (المغني ج ١ ص ٣٥٧).

وقال ابن الحاج في (المدخل ج ١ ص ٢٦٥): هو بالخيار إن شاء أن يخرج إلى البقيع ليزور من فيه إقصداء بالنسبة ﷺ - إلى أن قال -: ثم يأتي قبر العباس عم النبي ﷺ ثم يأتي من بعده من الأكابر وينوي إمتثال السنة في كونه عليه الصلاة والسلام كان يزور أهل البقيع الغرقد، وهذا نص في الزيارة فدلّ على أنها قرينة بنفسها، مستحبة، معمول بها في الدين، ظاهرة بركتها عند السلف والخلف.

أقول: الغرقد - بفتح الغين وسكون الراء وفتح القاف -: بياض البيض فوق الملح، وشجر عظام، وقيل: هي العوسج إذا عظم، واحدته: غرقدة، وبقيع الغرقد: مقبرة المدينة لأنه كان فيه غرقد وقطع، وإن المشاهد المقصودة بالبقيع الغرقد كانت مشهودة قبل إستيلاء يد العبث والفساد الأثيمة عليها، وهي كثيرة جمعها وبسط القول فيها السهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٥) وهناك فوائد هامة.

عن عائشة مرفوعاً: قال ﷺ: أتاني جبرئيل فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قل: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لآحقون.

آخرجه مسلم في صحيحه وجمع آخر من الفقهاء والحفاظ، وفي رواية:

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
أسئل الله لنا ولكم العافية. أخرجه البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٩).

وروى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ
أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.
وروى البغوي في (المصابيح ج ١ ص ١١٦) عن ابن عباس قال: مر رسول
الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور
يفغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر.

وروى البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٩) عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ
يعلمهم إذا خرجوا المقابر: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، و
إنا إن شاء الله بكم لاحقون، وأنتم لنا فرط ونحن لكم تبع نسئل الله العافية.
وروى الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٠) عن مجمع بن حارثة قال:
خرج النبي ﷺ في جنازة حتى انتهى إلى المقبرة فقال: السلام على أهل القبور
- ثلاث مرّات - من كان منكم من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع،
عافانا الله وإياكم.

وأخرج الطبراني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في زيارة
قبور بالكوفة: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا
سلف فادع، ونحن لكم تبع عما قليل لا حق، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا
وعنهم، طوبى لمن أراد المعاد وعمل الحسنات، وقنع بالكفاف، ورضي عن
الله عز وجل.

رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٩) وذكره الجاحظ في
(البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٩) بلفظ يقرب من هذا.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٦): كان علي بن أبي طالب «أمير المؤمنين» كرم
الله وجهه إذا دخل المقبرة قال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال

المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ،
ثم يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً، والحمد لله الذي منها
خلقنا وإليها معادنا، وعليها محشرنا، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل الحسنات وقنع
بالكفاف ورضي عن الله عز وجل.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٨): وقف محمد بن الحنفية على قبر الحسن بن
علي «الامام» رضي الله عنهما فخنقته العبرة ثم نطق فقال: رحمك الله أبا محمد فلئن
عزت حياتك فلقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمته بدنك، ولنعم البدن بدن
ضمته كفناك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيته ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس
(رابع ظ) أصحاب الكساء، غذك أكف الحق ورييت في حجر الاسلام، فطبت حياً
وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكّة في الخبرالك.

وقال الفيروز آبادي صاحب القاموس في (سفر السعادة ص ٥٧): ومن العادات
النبوية زيادة القبور والدعاء والاستغفار ومثل هذه الزيارة مستحب وقال: إذا
دأبتم المقابر فقولوا: السلام عليكم أهل الديار - إلى آخر ما ذكر - ثم قال: وكان
يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء الذي كان يقرؤه في صلاة الميت.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٧): وقف علي بن أبي طالب «أمير المؤمنين» على
قبر خباب فقال: رحم الله خباباً لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، و
ابتلى في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

وفيه (ج ٢ ص ٦): كان الحسن البصري إذا دخل المقبرة قال: اللهم رب هذه
الأجساد البالية، والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، ادخل
روحاً منك وسلاماً منها.

وفي (المستطرف ج ٣ ص ٨٢): قال ابن السماك على قبر أبي سليمان
داود بن نصير الطائي فقال: يا داود! كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون وكنت تسلم
إذ الناس يغوضون وكنت تربح إذ الناس يخسرون، حتى عد فضائله كلها.

زيارة شهداء احد :

يستحبّ للحاج أن يزور شهداء احد قال النووي وشر نبلاي وغيرهما :
أفضلها وأحسنها يوم الخميس خصوصاً قبر سيّدنا حمزة. و قال الفاخوري في
«الكفاية» : ويخصّ بها يوم الإثنين. وقال ابن حجر : ويسنّ له أن يأتي متطهراً
قبور الشهداء باحد ويبدأ بسيّد الشهداء حمزة رضي الله عنه. وقال الفاكهي في
«حسن الأدب» (ص ٨٣) : وقد ورد: زورهم وسلّموا عليهم، والذي نفسي بيده لا يسلم
عليهم أحد إلّا ردّوا عليه إلى يوم القيامة.

ولا يخفى: أن ردّهم السلام دعاء لهم بالسلامة، ودعائهم مستجاب لقربهم و
منزلتهم عند الله جلّ وعلا.

زيارة حمزة عم النبي الكريم ﷺ : فيقول وهو في غاية الأدب و
الإجلال :

«السلام عليك يا عمّ المصطفى، السلام عليك يا سيّد الشهداء، السلام عليك يا
اسد الله، السلام عليك يا أسد رسول الله، رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنة
منقلبك ومثواك، السلام عليكم أيّها الشهداء ورحمة الله وبركاته».

قال ابن جبير في (رحلته ص ١٥٣) : وحول الشهداء - بجبل احد - تربة
حمراء هي التربة التي تنسب إلى حمزة ويتبرك الناس بها.

روى البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٨) : كانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر
عمّها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده.

أخرجه الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٧) وقال: هذا الحديث رواه
عن آخرهم ثقات ثم قال : وقد استقصيت في البحث عن زيارة القبور تحرياً
للمشاركة في التريغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنّها سنة مسنونة وصلى الله على محمد
وآله أجمعين.

زيارة بقية الشهداء :

ثم يتوجه إلى قبور الشهداء الباقين - والمشهور من الشهداء المكرمين الذين استشهدوا يوم احدوهم سبعون رجلاً - فيقول: «السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عقبي الدار ، السلام عليكم يا شهداء ، السلام عليكم يا سعداء ، رضى الله عنكم وأرضاكم».

قال الحمزاوي في (كنز المطالب ص ٢٣٠) : ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ آماله لأن هذا المكان محل مهبط الرحمت الربانية ، وقد قال خير البرية عليه الصلاة وأزكى التحية: إن لربكم في دهر كم نفحات ألا فتعزوا لنفحات ربكم، ولا شك ولا ريب أن هذا المكان محل هبوط الرحمت الالهية ، فينبغي للزائر أن يتعزى لهاتيك النفحات الإحسانية، كيف لا؟ وهم الأحب والوسيلة العظمى إلى الله ورسوله ، فجدبر لمن توسل بهم أن يبلغ المنى وينال بهم الدرجات العلى، فانهم الكرام لا يخيب قاصدهم وهم الأحياء، ولا يرد من غير إكرام زائرهم .

وقال السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ١١٣): وقد سرد ابن النجار أسماءهم

فتمتعه ليسلم عليهم من شاء بأسمائهم :

- | | | |
|----------------------|--------------------|------------------------|
| ١- حمزة بن عبدالمطلب | ٩- عمر بن ثابت | ١٧- أبياس بن أوس |
| ٢- عبدالله بن جحش | ١٠- ثابت بن وقش | ١٨- عبيد بن التهان |
| ٣- مصعب بن عمير | ١١- رفاعه بن وقش | ١٩- حبيب بن زيد |
| ٤- عماره بن زياد | ١٢- حسيل بن جابر | ٢٠- يزيد بن حاطب |
| ٥- شماس بن عثمان | ١٣- سيفى بن قبطى | ٢١- أبوسفیان بن الحارث |
| ٦- عمرو بن معاذ | ١٤- الحباب بن قبطى | ٢٢- أنيس بن قتادة |
| ٧- الحارث بن أنس | ١٥- عباد بن سهل | ٢٣- حنظلة بن أبي عامر |
| ٨- سلمة بن ثابت | ١٦- الحارث بن أوس | ٢٤- أبوحيّة بن مسلمة |

٢٥- عبيد الله بن جبير	٤١- خارجة بن زيد	٥٧- عبدالله بن عمرو
٢٦- أبوسعبد بن خيثمة	٤٢- سعد بن ربيع	٥٨- عمرو بن الجموح
٢٧- عبدالله بن مسلمة	٤٣- أوس بن الأرقم	٥٩- خلاد بن عمرو
٢٨- سبيع بن حاطب	٤٤- مالك بن سنان	٦٠- أبوايمن مولى عمرو
٢٩- عمرو بن قيس	٤٥- سعد بن سويد	٦١- عبدة بن عمرو
٣٠- قيس بن عمرو	٤٦- علبة بن ربيع	٦٢- عنقرة مولى عبيدة
٣١- ثابت عمرو	٤٧- ثعلبة بن سعد	٦٣- سهل بن قيس
٣٢- عامر بن مخلد	٤٨- نقيب بن فروة	٦٤- ذكوان بن عبد قيس
٣٣- أبوهيرة بن حارث	٤٩- عبدالله بن عمرو	٦٥- عبيد بن المعلّى
٣٤- عمرو بن مطرف	٥٠- ضمرة الجهني	٦٦- مالك بن نميلة
٣٥- أوس بن ثبّت	٥١- نوفل بن عبدالله	٦٧- الحارث بن عدي
٣٦- أنس بن النضر	٥٢- عباس بن عبادة	٦٨- مالك بن أياس
٣٧- قيس بن مخلد	٥٣- نعمان بن مالك	٦٩- أياس بن عدي
٣٨- عمرو بن أياس	٥٤- المحذر بن زياد	٧٠- كيسان مولى بنى النجار
٣٩- هليم بن الحارث	٥٥- عبادة بن الحسحاس	
٤٠- نعمان بن عبد	٥٦- رفاعة بن عمرو	

ومن أراد الوقوف على تفصيل أسماء هؤلاء الشهداء السعداء وعرفان أسرهم

فعليه : (سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٥-٨١) وللسمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص

١١٤-١١٩) حول قبور شهداء احد كلمة ضافية فيها فوائد جمّة.

قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية: ويزور جبل احد نفسه ففي الصحيح:

«احد جبل يحبنا ونحبه».

وقد جعل البخاري في صحيحه في آخر غزوة احد باباً في حديث: «احد

يحبنا ونحبه».

ويستحب إستحباً مؤكداً كما قال النووي أن يأتي مسجد قباء وفي يوم

السبت أولى ، و قال الفا كهـي : في السبت فالإثنين فالخميس أولى سيّما صبيحة
 سابع عشر رمضان لحديث في ذلك ، فيصلي فيه ويقول بعد دعائه بما أحب : يا صريخ
 المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا مفرّج كرب المكروبين ، يا مجيب دعوة
 المضطرين ، صلّ على سيّدنا محمّد وآله واكشف كربى وحزنى كما كشفت عن رسولك
 حزنه و كربـه في هذا المقام ، يا حنّان يا منّان يا كثير المعروف والإحسان يا دائم
 النعم يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .



﴿ العامة والحث على زيارة القبور ﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة في الأمر بزيارة القبور، فأفتى أعلامهم على إستحبابها ، و قد أفتى بعضهم بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر فنشير إلى ما يسهه المقام:

١- عن بريدة مرفوعاً: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها » و زاد الترمذي: فقد أذن الله لنبيه ﷺ في زيارة قبر أمه.
رواه جماعة من حملة آثارهم :

١- مسلم في صحيحه . ٢- الترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح.
٣- النسائي في (السنن ج ٤ ص ٨٩) . ٤- الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٤)
عن الصحيحين للبخاري و مسلم . ٥- البغوي في (مصاييح السنة ج ١ ص ١١٦)
وعدّه من الصحاح . ٦- المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) . ٧-
إبن الدبيع في (تيسير الوصول ج ٤ ص ٢١٠) وقال: أخرجه الخمسة إلا البخاري.
٢- عن عبيد الله بن مسعود مرفوعاً في حديث: «ألا فزوروا القبور فإنها تزهد
في الدنيا وتذكر الآخرة».

أخرجه جماعة منهم :

١- ابن ماجه في (سننه ج ٤ ص ٤٧٦) . ٢- أبو الوليد محمد بن عبد الله
الأزرقى في (أخبار مكة ج ٢ ص ١٧٠) . ٣- الحاكم في (المستدرک ج ١ ص

(٣٧٥) و صححه. ٤ - المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) و قال :
إسناد صحيح ٥ - البيهقي في (السنن الكبرى ج ٤ ص ٧٧).
٣ - عن أنس بن مالك مرفوعاً : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها
تذكركم الموت » أخرجه الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٥) و صححه.
٤ - عن ابن عباس مرفوعاً : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا
هجرأ » أخرجه الطبراني في الكبير و الأوسط كما في (مجمع الزوائد ج ٣
ص ٥٨) للهيثمى.

٥ - عن زيد بن الخطاب في حديث مرفوعاً : « إننى كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فمن شاء منكم أن يزور فليزر » رواه الطبراني في الكبير و نقله عنه الهيثمى
في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).
٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً : « فزوروا القبور فانها تذكركم - تذكركم -
الموت » رواه جماعة من أعلامهم :

١ - مسلم في صحيحه. ٢ - أحمد في (مسنده ج ١ ص ٤٤١). ٣ - ابن
ماجة في (السنن ج ١ ص ٤٧٦). ٤ - أبو داود في (سننه ج ٢ ص ٧٢). ٥ -
النسائي في (السنن ج ٤ ص ٩٠). ٦ - الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٦).
٧ - البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٦). ٨ - المنذري في (الترغيب والترهيب
ج ٤ ص ١١٨).

٧ - عن بريدة مرفوعاً : « إننى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وليزدكم
زيارتها خيراً ».

أخرجه الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٦) و صححه هو و الذهبي و
البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٦).

٨ - عن أنس بن مالك مرفوعاً : « إننى نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء
أن يزور قبراً فليزره فانها يرق القلب ، ويد مع العين ، و يذكر الآخرة ولا

تقولوا هجراً».

رواه أحمد في (مسنده ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٥٠) و الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٦) و صححه هو وأقره الذهبي ، والبيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧) .

٩- عن زيد بن ثابت مرفوعاً : « زوروا القبور ولا تقولوا هجراً » أخرجه الطبراني في الصغير كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) .
١٠- عن أبي ذر مرفوعاً : « زرا القبور تذكريها الآخرة » أخرجه الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٧) .

وقال : حديث رواه عن آخرهم ثقات ، والمنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) .

١١- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في حديث : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا ما يستخط الرب » أخرجه البزار والهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) وقال : رجاله رجال الصحيح .

١٢- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً » أخرجه البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧) .

١٣- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إنني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة » .

رواه جماعة من أعلامهم :

١- أحمد في (مسنده ج ٣ ص ٣٧) ٢- الحاكم في (المستدرک ج ١ ص ٣٧٥) و صححه هو و الذهبي . ٣- البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧) . ٤- المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) . وقال : رواه محتج بهم في الصحيح . ٥- الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) وقال : رجاله رجال الصحيح .

١٤- عن طلحة بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء - إلى أن قال: - فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا.
رواه أبو داود في (سننه ج ١ ص ٣١٩) والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٤٩).

١٥- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً في حديث: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة»
أخرجه أحمد في (مسنده ج ١ ص ١٤٥) والهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) وأخرجه أحمد في (المسند ج ١ ص ٤٥٢) بلفظ أخصر من طريق عبد الله بن مسعود.

١٦- أخرج أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق في (أخبار مكة ج ٢ ص ١٧٠) قال: أخبرني ابن أبي مليكة في حديث رفعه إلى النبي ﷺ قال: ايتوا موتاكم فسلموا عليهم أد: صلوا - شك الخزاعي - فان بكم عبرة.
١٧- عن بريدة مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة» أخرجه أبو داود في (سننه ج ٢ ص ٧٢).

١٨- عن ثوبان مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم وإستغفاراً لهم» رواه الطبراني في الكبير كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).

١٩- عنه ﷺ: «من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا يقول إلا خيراً فان الميت يتأذى مما يتأذى منه الميت».

ذكره الشيخ شعيب المصري في (الروض الفائق ج ١ ص ١٩).

٢٠- عن جابر مرفوعاً: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» أخرجه الخطيب في (تاريخه ج ١٣ ص ٢٦٤).

٢١- عن أم سلمة مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان لكم

فيها عبرة، أخرجه الطبراني في الكبير كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).
 ٢٢- عن عائشة: إن النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم رخص فيها، أحسبه
 قال: فانها تذكر الآخرة.

أخرجه البزار والهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) وقال: رجاله ثقات.
 ٢٣- عن عائشة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم قال: زوروها
 فان فيها موعظة» أخرجه الخطيب في (تاريخه ج ١٤ ص ٢٢٨).
 ٢٤- عن عائشة في حديث مرفوعاً: «ألا فزروا إخوانكم وسلموا عليهم فان
 فيهم عبرة، رواه الطبراني في الأوسط كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).



﴿ أعلام العامة وحكم زيارة القبور ﴾

وقد ورد عن أعلام العامة كلمات عديدة في حكمة زيارة القبور وإستجابها
ينبغي لكل قارئ أن ينظر فيها:

منها : ما قال العبدري المالكي في (المدخل ج ١ ص ٢٥٤): وصفة السلام على
الأموات أن يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين و
المسلمات رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ،
أسأل الله لنا ولكم العافية، ثم يقول: «اللهم اغفر لنا ولهم» وما زدت أو نقصت فواسع
والمقصود الإجتهد لهم في الدعاء فانهم أحوج الناس لذلك لإنقطاع أعمالهم، ثم
يجلس في قبلة الميت ويستقبله بوجهه، وهو مخير في أن يجلس في ناحيه رجله
إلى رأسه أو قبال وجهه، ثم يثنى على الله تعالى بما حضره من الثناء ثم يصلي
على النبي ﷺ الصلاة المشروعة، ثم يدعو للميت بما أمكنه ، وكذلك يدعو
عند هذه القبور عند فازلة نزلت به أو بالمسلمين، ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها
و كشفها عنه وعنهم.

وهذه صفة زيارة القبور عموماً، فان كان الميت المزار ممن ترجى بر كته،
فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى
بر كته إلى النبي ﷺ بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ إذ هو
العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله والمشرع له فيتوسل به ﷺ وبمن تبعه
باحسان إلى يوم الدين، وقد روى النجاري عن أنس: «ان عمر بن الخطاب كان إذا

فحطوا استقى بالعباس فقال: اللهم كنّا نتوسّل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيك فاسقنا فيسقون».

ثم يتوسّل بأهل تلك المقابر أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريّتهم إلى يوم الدين، ولئن غاب عنه من إخوانه ، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسّل بهم إلى الله تعالى لأنّه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرّفهم وكرّمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسّل بهم، فانّهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرّر في الشرع، وعلم ماله تعالى بهم من الإعتناء وذلك كثير مشهور وما زال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبرّكون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حسّاً ومعنى، وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله بن نعمان في كتابه (سفينة النجاء لأهل الالتجاء) في كرامات الشيخ أبي النجاء في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه:

تحقّق لذوي البصائر والاعتبار أنّ زيارة قبور الصالحين محبوبه لأجل التبرّك مع الاعتبار فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين، والتشفّع بهم معمول به عند علمائنا المحقّقين من أئمة الدين، ولا يعترض على ما ذكر من أنّ من كانت له حاجة فليذهب إليهم، وليتوسّل بهم، بقوله عليه الصّلاة والسلام: «لا تشدّ الرّحال إلّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى» وقال أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السفر من كتاب الإحياء له ما هذا لفظه:

«القسم الثاني وهو أن يسافر لأجل العبادة إمّا للجهاد أو حجّ - إلى أن قال - : ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصّحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرّك بمشاهدته في حياته يتبرّك بزيارته بعد وفاته ، ويجوز

شدّ الرّحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام: «لا تشدّ الرّحال إلّا لثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى» لأنّ ذلك في المساجد لثلاثها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلّا فلا فرق بين زيارة الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عزّ وجلّ والله تعالى أعلم».

ومنها : ما قال عزّ الدين الشيخ يوسف الأردبيلي الشافعي في (الأخوار لأعمال الأبرار) في (الفقه الشافعي ج ١ ص ١٢٤): ويستحبّ للرّجال زيارة القبور وتكره للنساء والسنة أن يقول: سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون، اللهمّ لا تحرمنا أجرهم ولا تفتننا بعدهم واغفر لنا ولهم، وأن يدنوا من القبر كما كان يدنو من صاحبه حيّاً، وأن يقف متوجّهاً إلى القبر وأن يقرأ ويدعو فإنّ الميّت كال حاضر يرّجى له الرحمة والبركة، والدعاء عقيب القراءة أقرب إلى الإجابة .

ومنها : ما قال الشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم المصري الحنفي في (البحر الرائق) شرح (كنز الدقائق ج ٢ ص ١٩٥) للنسفي: قال في البدايع: ولا بأس بزيارة القبور والدعاء للاموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطء القبور لقوله صلى الله عليه وآله: «إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألافزوروها» ولعمل الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا. وصرّح في (المجتنى) بأنّها مندوبة، وقيل: تحرم على النساء والأصحّ: إنّ الرخصة ثابتة لهما، وكان صلى الله عليه وآله يعلم السلام على الموتى: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. ذكره إلى آخره ثمّ ذكر قراءة القرآن عند القبور شيئاً من أدب الزيارة .

ومنها : ما قال الخطيب الشربيني في (المغني ج ١ ص ٣٥٧): يسنّ الوضوء لزيارة القبور كما قاله القاضي حسين في شرح الفروع، ويسلمّ الزائر للقبور من المسلمين مستقبلاً وجهه، ويقرأ عنده من القرآن ما تيسّر ، ويدعوه عقب القراءة

رجاء الإجابة لأن الدعاء ينفع الميت وهو عقب القراءة أقرب إلى الإجابة وعند الدعاء يستقبل القبلة، وإن قال الخراسانيون باستحباب إستقبال وجه الميت . قال المصنّف: ويستحب الإكثار من الزيارة وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل. إنتهى ملخصاً.

ومنها : ما قال الشيخ عبدالمعطي السقا في (الإرشادات السنية ص ١١١):
زيارة قبور المسلمين مندوبة للرجال لخبر مسلم: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » أما زيارة النساء فمكروهة إن كانت لقبر غير نبي وعالم وصالح وقريب، أما زيارة القبر النبي ومن ذكر معه فمندوبة لهن بدون محرم إن كانت القبور داخل البلد ، و مع محرم إن كانت خارجة و محل ندب زيارتهن أو كراهتها إذا أذن لهن الحليل أو الولي و أمنت الفتنة ، ولم يترتب على إجتماعهن مفسدة كما هو الغالب ، بل المحقق في هذا الزمان ، و إلا فلا ريب في تحريمها . و يستحب الإكثار من الزيارة لتحصيل الاعتبار والعظة وتذكّر الآخرة، وتؤكد الزيارة عشية يوم الخميس ويوم الجمعة بتمامه وبكرة يوم السبت.

وينبغي للزائر أن يقصد بزيارته وجه الله و إصلاح فساد قلبه، وأن يكون على طهارة رجاء قبول دعائه لنفسه وللميت، وأن يسلم على من بالمقبرة بقوله السلام عليكم دار قوم مؤمنين - و ذكر إلى آخره - ثم إذا وصل إلى قبر ميتة قرب منه ووقف مستقبلاً وجهه خاشعاً قائلاً: السلام عليك . ثم يقرأ عنده ما يستر من القرآن كسورة الفاتحة وسورة يس وسورة تبارك وسورة الإخلاص والمعوذتين، والأفضل أن يكون وقت القراءة جالساً مستقبلاً القبلة قاصداً نفع الميت بما يتلو، وأن يكثر من التصديق وأن يرش القبر بالماء الطاهر، وأن يضع عليه جريداً أخضر ونحوه كالريحان والبرسيم وتؤكد زيارة الأقارب والدعاء لهم سيما الوالدين. فقد ورد في الحديث على زيارتهما والدعاء لهما أخبار كثيرة صحيحة.

ومنها : ما قال فقهاء المذاهب الأربعة مؤلفوا كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤١٤) : زيارة القبور مندوبة للآتعاظ وتذكر الآخرة و تتأكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها ، وينبغي للزائر الإشتغال بالدعاء والتضرع والإعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت ، فإن ذلك ينفع الميت على الأصح .



﴿ القبور المقصودة بالزيارة عند العامة ﴾

هناك قبور تقصد بالزيارة وقد قصدت في القرون الإسلامية منذ يومها الأول ولأعلام المذاهب الأربعة حولها كلمات يأخذ الباحث الخبير منها دروساً من شتى النواحي و يقف بها على فوائد جمّة منها : عرفان سيرة المسلمين و شعارهم في القرون الخالية حول زيارة القبور والتوسّل والتبرّك بها، والدعاء والصلاة لديها و ختم القرآن الكريم لمدفونيه ، وإليك نبذة منها :

١ - بلال بن حماسة الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ المتوفى سنة : (٢٠) قبره بدمشق و في رأس القبر المبارك تاريخ باسمه رضي الله عنه ، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب ، قد جرتب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم . راجع (رحلة ابن جبير ص ٢٢٩) .

٢ - سلمان الفارسي الصحابي العظيم المتوفى (٣٦) قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٣٦) : قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى ، عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع و عمادته ، والنظر في أمر مصالحه ، و قد رأيت الموضع وزرته غير مرّة . و قال ابن الجوزي في (المنتظم ج ٥ ص ٧٥) : قال القلاسي و سمنون : زرنا قبر سلمان و انصرفنا .

٣ - أبو أيوب الأنصاري الصحابي المتوفى (٥٢) بالروم قال الحاكم في (المستدرک ج ٣ ص ٤٥٨) : يتعاهدون قبره و يزورونه ويستسقون به إذا قحطوا ، و ذكره ابن الجوزي في (صفة الصفوة ج ١ ص ١٨٧) .

و قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٥٤) : قال الوليد : حدثني شيخ من أهل فلسطين : أنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطينية فقالوا : هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النسي عليه السلام فأتيت تلك البنية فرأيت قبره في تلك البنية و عليه قنديل معلق بسلسلة .

وفي (تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٥٩) : وعلى قبره مزار ومسجد وهم - أي الروم - يعظمونه . و قال الذهبي في (الدول الإسلامية ج ١ ص ٢٢) : فالروم تعظم قبره و يستشفعون إلى اليوم به .

٤ - مصعب بن الزبير المتوفى (١٥٧) قال ابن الجوزي في (المنتظم ج ٧ ص ٢٠٦) : زارت العامة قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين عليه السلام .

٥ - عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٢٣) : باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يعرف بقبر النذور ويقال : إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرك الناس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته ، حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : حدثني أبي قال : كنت جالساً بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلّى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همدان في أول يوم نزل المعسكر فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي : ما هذا البناء ؟ فقلت :

هذا مشهد النذور ولم أقل : قبره لعلمي بطيرته من دون هذا واستحسن اللفظة ، و قال : قد علمت أنه قبر النذور و إنما أردت شرح أمره فقلت : هذا يقال : إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويقال : إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، و إن بعض الخلفاء

أراد قتله خفيّاً فجعلت له ، هناك زبية وسير عليها وهو لا يعلم فوقه فيها وهيل عليه التراب حياً ، وإنما شهر بقبر النذور لأتته ما يكاد ينذر له نذر إلا صحّ و بلغ الناذر ما يريد ، و لزمه الوفاء بالنذور و أنا أحد من نذر له مراراً لا احصياها كثرة نذوراً على امور متعدّدة فبلغتها و لزمني النذر فوفيت به ، فلم يتقبل هذا القول و تكلم بما دلّ على أنّ هذا إنّما يقع منه اليسير إنفاقاً ، فيتسوّق العوام بأضعافه و يسيرون الأحاديث فيه .

فأمسكت فلمّا كان أيام سيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور فركبت و ركب في نفر من حاشيته إلى أن جثت به إلى الموضع ، فدخله و زار القبر و صلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجات بما لم يسمعه أحد ثمّ ركبنا معه إلى خيمته و أقمنا أياماً ثمّ رحل و رحلنا معه يريد همدان فبلغناها ، و أقمنا فيها معه شهوراً فلمّا كان بعد ذلك استدعاني ، و قال لي : أأست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد ؟ فقلت : بلى ، فقال : إنّي خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي إعتقاداً لإحسان عشرتك ، والذي كان في نفسي في الحقيقة أنّ جميع ما يقال فيه كذب ، فلمّا كان بعد ذلك بمديدة طرقتني أمر خشيت أن يقع و يتمّ و أعملت فكري في الإحتيال لزواله ، و لو بجميع ما في بيوت أموالي و سائر عساكري ، فلم أجد لذلك فيه مذهباً ، فذكرت ما أخبرتني به في النذر بمقبرة النذور فقلت :

لم لا اجرب ذلك ؟ فنذرت : إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً ، فلمّا كان اليوم جئتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر ، فتقدّمت إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف - يعني كاتبه - أن يكتب إلى أبي الرّيان - و كان خليفته في بغداد - يحملها إلى المشهد ثمّ التفت إلى عبد العزيز - و كان حاضراً - فقال له عبد العزيز : قد كتبت بذلك

و نفذ الكتاب .

٦- السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب ، توفيت سنة : (٢٠٨) و دفنت بدرب السباع و قبرها معروف باجابة الدعاء عنده و هو مجرب رضي الله عنها . راجع (حل ج ٢ ص ٣٠٢) .



﴿زيارة قبور ائمتنا المعصومين عليهم السلام عند العامة﴾

وقد وردت كلمات أعلام العامة في الحث على زيارة قبور أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، والتوسل بهم والتبرك بقبورهم و الدعاء و الصلاة و قراءة القرآن المجيد لديها نشير إلى ما يسهه مقام الاختصار:

١- رأس الحسين - الإمام السبط الشهيد عليه السلام - بمصر قال ابن جبير المتوفى: (٦١٤) في (رحلته ص ١٢): هو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيظ يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به ، مجلجل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمدة الكبار شمعاً أبيض، ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثرها في أنوار فضة خالصة، ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزّع القريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيّله المتخيّلون ، ولا يحق أدنى وصفه الوصفون ، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والفرابة، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة شمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع.

ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه

المرآة الهندية الحديثة الصقل، وشاهدنا من إستلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وإنكبابهم عليه وتمسّحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسّلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين بما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعا الله ببركة ذلك المشهد الكريم، وإنّما وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاً على ما دراء ذلك، إذ لا ينبغي لعاقلاً أن يتصدّى لوصفه لأنّه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظنّ في الوجود كلّ مصنعاً أحفل منه، ولامرأى من البناء أعجب ولا أبداع، قدّس الله العضو الكريم الذي فيه بمنّته وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصّحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزّهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة، وإنّما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته، فمنها: قبر ابن النّبيّ صالح، وقبر رويّل بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية امرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيّل، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان، قد وُكِّلَ بها قوم يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كلّ شهر ثمّ ذكر تفصيل المشاهد:

عقد الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي المتوفى: (١١٧٢) في كتابه (الإتحاف بحبّ الأشراف ص ٢٥-٤٠) باباً في ذلك المشهد وذكر فيه زيارته و شطراً من الكرامات له، وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته، وقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفيّة، وهي بصحة الدعوى مليّة، والأعمال بالنبيّة ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلّف، واستقتى القاضي

زكى الدين عبد العظيم في ذلك فقال: هذا مكان شريف وبر كنه ظاهرة، والإعتقاد فيه خير والسلام، وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل :

نفسى الغداء لمشهد أسرارهِ	من دونها ستر النبوة مسبل
ورواق عز فيه أشرف بقعة	ظَلَّتْ تحارلها العقول وتذهل
تغضني لبهجته النواظر هيبة	ويرد عنه طرفه المتأمل
حسدت مكانته النجوم فودّ لو	أمسى يجاوره السماك الأعزل
وسماعلو أنّ تقبل تربة	شفة فأضحى بالجباه يقبل

وقال في ذكر الكرامات:

منها : أن رجلاً يقال له: شمس الدين الفعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلّم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول : يا سيدي أنا جارك قد كفّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدة فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسئل عنهم ف قيل له: هذا النبي ﷺ والصحابة معه جاؤا للزيارة السيد الحسين رضي الله عنه فدخل معهم، ثم قال: ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جده وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النبي ﷺ للإمام علي رضي الله عنه: يا عليّ كحلّه، فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدّم حتّى اكحلّك فتقدّم فلوّث المرود ووضع في عينه اليمنى، فأحس بحرقة عظيم فصرخ صرخة عظيمة، فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصارت نظربها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاستطاع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وكتب عليها وفقاً ولم تزل تفرش حتّى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرت

مولانا السلطان محمد خان نصره الله فجدد بسطاً اخرى، وهي التي تفرش إلى الآن، ثم ذكر كرامة اخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوئية، وقال بعد بيان إختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ولندكر في هذا الباب نبذة من القصائد التي مدحت بها آل البيت الشريف وتوسلت فيها بساكن هذا المشهد المنيف فمما قلت فيه:

آل طه ! ومن يقل آل طه	مستجيراً بجاهكم لايرد
حبكم مذهبي وعقد يقيني	ليس لي مذهب سواء وعقد
منكم أستمّد بل كل من في الك	ون من فيض فضلكم يستمد
بينكم مهبط الرسالة وال	وحي ومنكم نور النبوة يبدو
ولكم في العلا مقام رفيع	ما لكم فيه آل يس ند
يا بن بنت الرسول من ذابضاهي	ك إفتخاراً وأنت للفخر عقد
يا حسيناً هل مثل أمك ام	لشريف؟ أو مثل جدك جد
رام قوم أن يلحقوك ولكن	بينهم في العلا وبينك بعد
خصك الله بالسعادة في دني	اك ثم بالشهادة بعد
لك في القبر يا حسيناً مقام	ولاً عداك فيه خزي وطر
يا كريم الدارين يا من له الده	ر على رغم من يعاند عبد
أنت سيف على عداك ولكن	فيك حلیم و ما لفضلك حد
كل من رام حصر فضلك غر	فضل آل النبي ليس يعد
طيبة فاقت البقاع جميعاً	حين أضحي فيها لجدك لحد
ولمصر فخر على كل مصر	ولها طالع بقبرك سعد
مشهد أنت فيه مشهد مجد	كم سعى نحوه جواد مجد
وضريح حوى علاك ضريح	كله مندل. يفوح و ند
مدد ماله إنتهاء و سر	لايضاهي و رونق لا يحد

رحمات للزائرين توالى
 رضى الله عنكم آل طه
 وسلام عليكم كل وقت
 أنا في عرض تربة أنت فيها
 أنا في عرض جدك الطاهر الط
 أنا في عرض من يعود كل ال
 أنا في عرض من أتته غزال
 أنا في عرض جدك المصطفى من

وقلت فيهم أيضاً رضى الله تعالى عنهم :

آل بيت النبي ! مالي سواكم
 لست أخشى ريب الزمان و أنتم
 من يضا هي فخاركم آل طه ؟
 كل فضل لغيركم فالبيكم
 لاعدمننا لكم موائد جود
 يا ملوكاً لهم لواء المعالي
 أي بيت كبيتكم آل طه ؟
 روضة المجد و المفاخر أنتم
 ولكم في الكتاب ذكر جميل
 وعليكم أنسى الكتاب وهل به
 ولكم في الفخار يا آل طه !
 قد قصدناك يا بن بنت رسو
 يا حسيناً ما مثل مجدك مجد
 يا حسيناً بحق جدك عطفاً
 و جزيل من العطاء و رقد
 ودعاء المقل منلي جهد
 ما تفنت بكم تهام و نجد
 يا حسيناً و بعد حاشا أرد
 هر إذا ما الزمان بالخطب بعدو
 رسل عليه و مالهم عنه بد
 فحماها والخصيم خصم الد
 كل عام له الرحال تشد
 ملجأ أرتجيه للكر ب في غد
 عمدتي في الخطوب يا آل أحمد !
 وعليكم سرا دق العز ممتد
 يا بني الطهر بالاصالة يسند
 كل يوم لزائر يكمل تجد
 و عليهم تاج السعادة يعقد
 طهر الله ساكنيه و مجد
 و عليكم طير المكارم غرد
 يهتدى منه كل قار ويسعد
 د ثناء الكتاب مجد وسود ؟ !
 منزل شامخ رفيع مشيد
 ل الله والخير من جنابك يقصد
 لشريف ولا كجدك من جد
 لمحج بالخير منك تصود

كل وقت يود يلثم قبراً
سادني أنجدوا محباً أناكم
و أغيشوا مقصراً ما له غي
فعليكم قصرت حبي و حاشا
يا إلهي سوى حب آل البية
أنا عبد مقصّر لست أرجو
وقال في المشهد الحسيني أيضاً :

يا نديمي قم بي إلى الصهباء
حيث مجرى الخليج والماء فيه
هاتها يا نديم صرفاً و دغنى
و أدرها ممزوجة بالتهاني
هاتها يا نديم من غير خلط
و القنى يا نديم تحت الأيلا
في كئيب من الجزيرة يختا
روضة راضها النسيم سحيراً
و لطيف النسيم يعبث بالفص
يا خربير الخليج تفديك نفسي
يا نديمي جدّد بذكرا و جدي
هات حدث عن نيل مصر و دغنى
و أعدلى حديث لذات مصر
إن مصرأ الأحسن الأرض عندي
و غرامي فيها و غايبة قصدي
و إلى المشهد الحسيني أسمى

أنت فيه بمقلتيه و يشهد
مطلق الدمع في هواكم مقيّد
رحماكم إن أعزل الأمر واشتد
بعد حبي لكم أقابل بالرد
ت آل النبي طه الممجّد
عملاً غير حب آل محمد الخ

و اسقنيها في الروضة الغناء
يتشنى كالحيّة الرقشاء
من صريع الهوى قتيل الماء
غير ممزوجة بماء السماء
إن خلط الدواء عين الداء
ت سحيراً إذا أردت لقائي
ل دلالاً في حلة خضراء
باعتلال صحت به و اعتلاء
من فيهمتز هزّة إستهزاء
فلنكم نلت في حماك منائي ؟
و أحسّي ذاك الغرام بالأغراء
من فرات و دجلة فيحاء
فحديث اللذات عنّي نائي
و على نيلها قصرت رجائي
أن أرى سادتي بني الزهراء
داعياً راجياً قبول دعائي

فتعطف و اجعل قبولي جزائي
حبكم مذهبي و عقد ولائي
أرتجيه في شدتي و رخائي. إلخ

يا بن بنت الرسول إني محب
يا كرام الأنام يا آل طه ؟
ليس لي ملجأ سواكم و ذخير
وقال فيه أيضاً :

مؤملاً إحسانكم لا يضام
يضام من لاذ بقوم كرام ؟
و المنهل العذب كثير الزحام
فاز من الجود بأقصى مرام
يا من لهم في الفضل أعلى مقام !
قلب بكم يا سادتي مستهام
محبة لا يعتر بها إنصرام
و ما على من هام فيكم ملام
ضربك المأنوس مني السلام
لنا طواف حوله و استلام
فصار كالبيت العتيق الحرام
حسيناً السبط الإمام الهمام
عز و مجد شامخ و إحشام
فكم لمن يسعى إليه إغتنام ؟
و تنجلي عنه الهموم العظام
كأنه روضة خير الأنام. إلخ

يا آل طه ! من أنى حبكم
لذا بكم يا آل طه ! و هل
تزدحم الناس بأعتابكم
من جاءكم مستمطراً فضلكم
يا سادتي يا بضعة المصطفى
أنتم ملاذي و عيادي ولي
و حقكم إني محب لكم
وقف في أعتابكم هائماً
يا سبط طه يا حسيناً على
مشهدك السامي غدا كعبة
بيت جديد حل فيه الهدى
تفديك نفسي يا ضريحاً حوى
إني توسلت بما فيك من
يا زائر هذا المقام إغتنم
بنشرح الصدر إذا زرت
كم فيه من نور و من رونق

٢- قال الحمزاوي المدري المتوفى: (١٣٠٣) في (مشارك الأنوار ص ٩٢)

بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين الشريف: و اعلم أنه ينبغي كثرة الزيارة
لهذا المشهد العظيم متوسلاً به إلى الله، و يطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه

في حياته، فأنه باب تفرج الكروب، فزيارته يزول عن الخطب الخطوب، ويصل إلى الله بأنواره والتوسل به كل قلب محجوب، ومن ذلك ما وقع لسيدي العارف بالله تعالى سيدي محمد سلبي شارح «العزيمة» الشهير بابن الست وهو أنه قد سرق كتبه جميعها من بيته قال: فتحير عقله، واشتد كربه فأنى إلى مقام ولي نعمتنا الحسين منشداً لأبيات إستغاث بها فتوجه إلى بيته بعد الزيارة ومكنه في المقام مدة، فوجد كتبه في محلها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وهاهي الأبيات :

أيعوم حول من التجأ لكم أذى؟	أو يشتكى ضيماً وأنتم سادته؟
حاشا يرد من انتمى لجنا بكم	يا آل أحمد! أو تسر شوامته
لكم السيادة من ألت بربكم	ولكم نطق العز دارت هالته
هل ثم باب للنبي سواكم	من غير كم من ذي الوري ربحانته؟!
تباً لطرف لا يشاهد مشهداً	يحوى الحسين وتسلمه سلامته
فالزم رجاباً ضم سبط محمد	مما أمه راج وعيقت حاجته
ها خادماً للحب يرفع حاجة	مما يلاقي من بلا يا هالته

أمدنا الله من فيض أمداده ومنتعنا من فيض قربه، وتقبيل أعتابه، وذكر لبعضهم في ذلك المشهد قوله :

منزل كمثل الإله سناه	تتوارى البدور عند لقاء
خصه ربنا بما شاء في الأرز	ض تعالى من في السماء إله
صانه زانه حماء وقاه	وكساه بمنته ورضاه
إن غدا مسكناً لغزة آل ال	بيت من ثم قدره وعلاه
الإمام الحسين أشرف مولى	أبد الدين سره وقار
مدحته أي الكتاب وجاءت	سنة الهاشمي طرز حلاه

وهناك كلمات ضافية ليم ما ذكر حول المشهد الرأس الشريف لوجمعتهما

يد التأليف لأنت كتاباً حافلاً، وممّن أفردته بالتأليف الشيخ عبد الفتاح بن أبي بكر الشهير بالرسّام الشافعي له رسالة: (نور العين في مدفن رأس الحسين)

٣- الامام الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام المدفون بالكاظميّة الشهيد سنة : (١٨٣) أخرج الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٢٠) بإسناده عن أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلاّل - شيخ حنابلة عصره - يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهل الله تعالى لي ما أحبّ.

٤- وفي (شذرات الذهب ج ٢ ص ٤٨) : توفّي ببغداد الشريف أبو جعفر محمّد الجواد ابن علي بن موسى الرضا الحسيني أحد الإثنى عشر إماماً الذين تدعى فيهم الرافضة العصمة ، و دفن عند جدّه موسى و مشهدهما ينتابه العامة بالزيارة .

٥- الإمام الطاهر أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال أبو بكر محمد بن المؤمّل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى علي بن موسى الرضا بطوس قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها و تضرّعه عندها ما تحيّرنا. راجع (يب ج ٧ ص ٣٨٨) .

وقد أجاز أعلام العامة بل حشوا الناس على زيارة قبور أبي بكر و عمر و عثمان، وقبور أئمّة المذاهب الأربعة وأعلامهم في كتبهم كما في (المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٥١) و **القطلا** في (المذاهب الدنية) وشر بلالي الحنفي في (مراقى الفلاح) و ابن الحاج في (المدخل ج ١ ص ٢٦٥) و ابن الجوزي في (مناقب أحمد ص ٤٥٤ و ٤٨١ و ٤٨٢) و ابن عساكر في (تاريخه ج ٢ ص ٤٤) و الخطيب البغدادي في (تاريخه) وغيرهم. وهذا قليل من كثير مما تداول بين أجيال المسلمين منذ عهدهم المتقادم من لدن عهد الصحابة الأولين والتابعين لهم باحسان، ثمّ في أدوارهم

المتابعة من زيارة قبر نبيهم الأعظم ﷺ ومراقد الأئمة والأولياء والصالحين و
العلماء وشد الرحال إليها، والتوسل والاستشفاع بها، وفي الزائر علماء أعلام
وأئمة يقتدى بهم في كل من المذاهب، على أن نقلة هذه الأفاويل علماء وقادة
إرتضوا تلکم الأعمال بنقلهم لها في مقام فضيلة المقبورين، وأرباب هاتيك المشاهد
فعلى ذلك وقع التسالم بين فرق المسلمين في قرونهم المتطاوله، وذلك ينبىء عن
الإجماع المتحقق بين فرق الامة الإسلامية على إستحسان ذلك كله وكونه سنة
متبعة .

وأنت أيها القاريء الكريم المنصف إذا تدبرت فيما ذكرناه فهل تجد لما
يصفه ابن تيمية وأذنبه الوهابيون مقيلاً من الصدق؟ فهل كان المسلمون الأولون
يرون ما يأتون به من الأعمال في مشاهد الموتى كفرية ثم يتقربون به إلى الله
جل وعلا؟ حاشا لانتهم فرق المسلمين عامة بمثل هذه الفرية الشائنة، وهل تجد شيئاً
من هاتيك الأعمال مختصاً بالشيعة فحسب! لاها الله . و هل الأعمال التي تأتي بها
الشيعة عند القبور من التوسل والتبرك بها والدعاء والصلاة لدها الله جل وعلا
ختم القرآن الكريم لمدفونيهـ وقد زعم هؤلاء البغاء أنها كاشفة عن الغلو والتأليه
لعلي ولدهـ غير ما يأتي به أهل السنة، وفي مقدمتهم أئمتهم عند تلکم المزارات
من لدن عصر الصحابة حتى اليوم من سرد ألقاظ زيارة جامعة لفضائل المزار، ومن
الدعاء عند قبره والصلاة لديه، وختم القرآن المجيد عنده وإهداء نوابه إليه، و
التوسل والاستشفاع به، وطلب قضاء الحاجة من الله تعالى بوسيلته والتبرك به بالتزام
أوامر ربه أو تفصيل، وتعظيمه بكل ما اقتضته حرمة واستوجبه خطره. فلو صحت أحلام
ابن تيمية وأتباعه وتكون هذه الأعمال بدعة وضلالاً وغلوّاً وتألهاً وفعالها خارجة عن
ربقة الإسلام لم يبق عندئذ معتق بالإسلام منذ يومه الأول إلا ابن تيمية ومن
لف لفته .

فحقيق على القاريء الكريم الآن أن يقف على كلمة « القصيمي من

أذئاب ابن تيمية ، الاخرى و يكون على بصيرة من أن الشيعة ليس بينها و بين المذاهب الأربعة قطّ اختلاف في هذه المواضع الهامة وإنّما هي مما تسالمت عليه الأمة الاسلاميّة جمعاء غير أن كتاب الهواهي حاج هائجهم على الشيعة، فأججوا عليهم نيران الإحن و الشحناء و جاؤا يقطعون كلمة التوحيد بأقلام مسمومة ، و يشقون عصا المسلمين ، و يلقون الخلاف بينهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و اتبعوا أهوائهم...

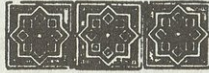
ذكر القصيمي في كتابه (الصراع ج ٢ ص ٤٤٨) قول العلامة الأميني من قصيدة له :

لا بدع أن كان الدعاء إليه في بها صاعداً و بغيرها لم يصعد
ثم قال: هذا القول عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم و نحولهم من أقوال
الردة و الكفر الواضح و نعوذ بالله من الخذلان .
وقبل هذا البيت:

و كذا الصلاة لدي القبور تبرّكاً	بذوي القبور فليس بالصنع الرّدى
إن الأئمة من سلالة ها شم	ثقل النّبيّ و قدوة للمقتدى
قالوا: الصلاة لدي محل قبورنا	في الفضل تعدل مثلها في المسجد
عنهم روته لنا الثقات فبالهدى	عنهم إذا شئت الهداية فافتد
شرف المكان بذى المكان محقق	و أخوال الحجا في ذاك لم يتردد
خير عبادة ربنا في مثله	من غيره فاليه فاعمد واقصد
و كذلك طلب الحوائج عندها	من ربنا أرجى لنيل المقصد
بركاتها ترجى لداع انّها	بركات شخص في الضريح موسّد
لا بدع إن كان الدعاء إليه في	بها صاعداً و بغيرها لم يصعد

فقال: والقصيدة أغلبها من هذا النوع الفاحش المناقض لدين الإسلام ولغيره من أديان الله. إنتهى.

وعدّ القصيمي القول بالشفاء وإجابة الدعاء عند قبر الحسين السبط عليه السلام من آفات الشيعة في (الصراع ج ٢ ص ٢١).
 «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً» (الكهف: ٥)
 إنتهى كلام العلامة الأميني قدس سرّه في هذا الباب على طريق
 الاختصار منّا.



﴿ الشيعة وزيارة القبور ﴾

وقد وردت روايات كثيرة في ترغيب الأحياء وحثهم على زيارة الأموات ، وخاصة زيارة قبر النبي الأقدس وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين عن طريق الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقّة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ - روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في الأمالي باسناده عن العلاء بن المسيّب عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال الحسن بن علي عليه السلام لرسول الله ﷺ : يا أبا ما جزاء من زارك ؟ فقال : من زارني أو زار أباك أو زارك أو زار أخاك كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتّى أخلصه من ذنوبه .

٢ - روى الصدوق عليه الرحمة في ثواب الأعمال باسناده عن عليّ بن الحسين قال : قال الحسين عليه السلام : يا أبتاه ما لمن زارنا ؟ قال : يا بني من زارني حيّاً وميتاً ومن زار أباك حيّاً وميتاً ، ومن زارك حيّاً وميتاً ، ومن زار أخاك حيّاً وميتاً كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه وأدخله الجنة .

٣ - وفيه باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله تعالى في أعلى عليّين .

٤ - وفيه باسناده عن الحسن بن محمد القمي قال : قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : أدنى ما يناب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ القرات إذا عرف حقه و حرمة و ولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر .

٥ - وفيه بإسناده عن موسى بن القاسم الحضرمي قال : ورد أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر فنزل المنجف ، فقال : يا موسى إذهب إلى الطريق الأعظم ، فقف على الطريق فانظر فأنه سيحيئك رجل من ناحية القادسية فإذا دنا منك ، فقل له : هيهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك ، فيجيء معك قال : فذهبت حتى قمت على الطريق ، والحر شديد فلم أزل قائماً حتى كدت اعصى وانصرف وادعه إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير قال : فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني ، فقلت له : يا هذا هيهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك وقد وصفك لي قال : إذهب بنا إليه قال : فجئته حتى اناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة قال : فدعا به فدخل الأعرابي إليه ، و دنوت أنا فصرت باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما فقال أبو عبد الله عليه السلام : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن ، قال : فأنت من موضع كذا و كذا ؟ قال : نعم أنا من موضع كذا و كذا قال : فما جئت هيهنا ؟ قال : جئت زائر الحسين عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام : فجئت من غير حاجة ليس إلا الزيارة ؟ قال : جئت من غير حاجة ليس إلا أن أصلي عنده وأزوره واسلم عليه و أرجع إلى أهلي .

قال أبو عبد الله عليه السلام : وما ترون من زيارته ؟ قال : نرى في زيارته البركة في أنفسنا و أهالينا و أولادنا و أموالنا ، و معاشنا و قضاء حوائجنا قال : فقال له أبو عبد الله عليه السلام : فلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن ؟ قال : زدني يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتمعجب من ذلك فقال : اي والله حجتي مبرورة متقبلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتمعجب من ذلك ، فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال : ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

٦ - وفيه بإسناده عن الحسن بن علي الوشاء قال : قلت للرضا عليه السلام : ما لمن أتى قبر أحد من الأئمة عليهم السلام ؟ قال له : مثل ما لمن أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام قال :

فقلت: ما لمن زار قبر أبي الحسن عليه السلام؟ قال: له مثل ما لمن زار قبر أبي عبد الله عليه السلام.
 ٧ - وفيه باسناده عن بزعلي قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام: ابلغ
 شيعتي ان زيارتي تعدل عند الله ألف حجة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألف حجة؟
 قال: إي والله و ألف ألف حجة لمن زاده عارفاً بحقه.

٨ - وفيه باسناده عن سعد بن سعد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سئلته عن
 فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام فقال: من زارها فله الجنة.

٩ - وفيه باسناده عن محمد بن يحيى العطّار عمّن دخل على أبي الحسن
 عليّ بن محمد الهادي من أهل الرّي قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام
 فقال: أين كنت؟ قلت: زرت الحسين عليه السلام قال: أما انك لو زرت قبر عبد العظيم
 عندكم لكنت كمن زار الحسين بن عليّ عليه السلام.

١٠ - وفي رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسين عن أبيه عليّ عليه السلام
 ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال له: لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها، فقلت: يا رسول الله
 ما لمن زار قبورنا و عمرّها و تعاهد؟ فقال: يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك
 وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه صفوة
 من عباده تحن إليكم و تعمر قبوركم، ويكثرّون زيارتها تقرّ بآ إلى الله تعالى
 و مودة منهم لرسوله صلّى الله عليه وآله.

١١ - روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن حفص بن
 البخترى و جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة القبور قال: إنهم يأسون
 بكم، فاذا غبتم عنهم استوحشوا.

١٢ - وفيه باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:
 عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً لم تر كاشرة و لا ضاحكة تأتي
 قبور الشهداء في كلّ جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: هيهنا كان رسول
 الله صلّى الله عليه وآله هيهنا كان المشرّكون.

١٣ - وفيه باسناده عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت له : المؤمن يعلم بمن يزور قبره ؟ قال : نعم ولا يزال مستأنساً به مادام عند قبره فإذا قام و انصرف من قبره دخله من إنصرافه عن قبره وحشة .

١٤ - وفيه باسناده عن عمرو بن أبي المقدام قال : مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة قال : فوقف عليه عليه السلام فقال : اللهم ارحم غربته وصل وحدته و آنس وحشته واسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك و ألحقه بمن كان يتولاه .

١٥ - وفيه عن محمد بن أحمد قال : كنت بفيد فمشيت مع علي بن بلال إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع ، فقال علي بن بلال قال لى صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السلام قال : من أتى قبر أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ « إنا أنزلناه في ليلة القدر » سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر أو يوم الفزع .

١٦ - وفيه باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام زوروا موتاكم ، فاتهم يفرحون بزيارتكم وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه ، وعند قبر أمه بما يدعو لهما .

١٧ - وفيه باسناده عن الجراح المدائني قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام كيف التسليم على القبور ؟ قال : تقول : السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين و إنا إن شاء الله بكم لاحقون .

١٨ - في كامل الزيارات باسناده عن عمرو بن عثمان الرازي قال : سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول : من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالحى موالينا ، يكتب له ثواب زيارتنا ، و من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحى موالينا ، يكتب له ثواب صلتنا .

١٩ - وفيه باسناده عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام كيف أضع يدي على قبور المسلمين (المؤمنين خ) ؟ فأشار بيده إلى الأرض فوضعها

عليها وهو مقابل القبلة .

٢٠ - في دعوات الراوندي عن داود الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه ، وغير قريبه هل ينفعه ذلك؟ قال: نعم إن ذلك يدخل عليه كما يدخل على أحدكم الهدية ، يفرح بها .

٢١ - في كامل الزيارات باسناده عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملأ من الناس من أصحابه كل عشية خميس إلى بقيع المدنين فيقول: السلام عليكم أهل الديار - ثلاثاً - رحمكم الله - ثلاثاً - ثم يلتفت إلى أصحابه فيقول: هؤلاء خير منكم ، فيقولون: يا رسول الله ولم؟ آمنوا وآمننا وجاهدوا وجاهدنا؟ فيقول: ان هؤلاء آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ومضوا على ذلك وأنا لهم على ذلك شهيد وأنتم تبكون بعدي ولا أدري ما تحدثون بعدي .

٢٢ - وفيه باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أسلم على أهل القبور؟ قال: نعم تقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ، ونحن إن شاء الله بكم لاحقون .

٢٣ - وفيه عن المفضل قال: من قرأ «إنا أنزلناه» عند قبر مؤمن سبع مرات بعث الله ملكاً يعبد الله عند قبره ويكتب للميت ثواب ما يعمل ذلك الملك ، فإذا بعث الله من قبره لم يمر على هول إلا صرفه الله عنه بذلك الملك ، حتى يدخله الله به الجنة ، ويقرأ مع «إنا أنزلناه» سورة الحمد والمعوذتين و «قل هو الله أحد» وآية الكرسي ثلاث مرات كل سودة وإنا أنزلناه سبع مرات .

٢٤ - وفيه باسناده عن ابن نباته قال: مر أمير المؤمنين عليه السلام على القبور فأخذ في العبادة ثم قال عن يمينه : السلام عليكم يا أهل القبور من أهل القصور أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ثم إلتفت عن يساره وقال: مثل ذلك .

٢٥ - وفيه بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يخرج أحدكم إلى القبور فيسلم فيقول : السلام على أهل القبور السلام على من كان فيها من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، وإنا بكم لاحقون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون يا أهل القبور بعد سكنى القصور ، يا أهل القبور بعد النعمة والسرور صرتم إلى القبور يا أهل القبور كيف وجدتم طعم الموت ؟ ثم تقول : ويل لمن صار إلى النار فيهرق دمعته ثم ينصرف .

٢٦ - في الفقيه : كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء كل غداة سبت فتأتي قبر حمزة فتترحم عليه وتستغفر له .

٢٨ - في البحار : وهذا دعاء علي عليه السلام لأهل القبور : بسم الله الرحمن الرحيم و السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله يا أهل لا إله إلا الله بحق لا إله إلا الله كيف وجدتم قول لا إله إلا الله من لا إله إلا الله يا لا إله إلا الله بحق لا إله إلا الله اغفر لمن قال لا إله إلا الله واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله . فقال علي عليه السلام : إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قرأ هذا الدعاء أعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب خمسين سنة ، وكفر عنه سيئات خمسين سنة ولأبويه أيضاً .

٢٩ - قال رسول الله ﷺ : من تكلم بكلام الدنيا في خمسة مواضع أحبط الله عمله سبعون سنة : أولها في المسجد ، والثاني عند قراءة القرآن ، والثالث عند تشييع الجنازة ، والرابع في المقبرة ، والخامس عند الأذان .

٣٠ - قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل كره لي ست خصال ، وكرههن للأوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي : العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم والمن بعد الصدقة ، وإتيان الجنب مسجداً ، والتطلع في الدور ، والضحك بين القبور .

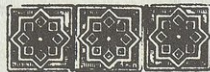
٣١ - قال رسول الله ﷺ : « يكره الكلام في سبع مواضع ، فمن تكلم

فيهنّ" بغير ذكر الله لا يستجيب الله دعائه إلى أربعين يوماً : أحدها عند الجنّازة ، وعند المقبرة ، وعند المريض ، وفي مجلس العلم ، وفي المساجد ، وعند الجماع ، وعند المصيبة .

٣٢- قال رسول الله ﷺ : « عشرة أشياء تورث النسيان : الحجامّة على النقرة ، وأكل سور الفار ، وأكل التفاح الحامض ، وإلقاء القملة بالحياة ، والبول في الماء الراكد ، وأكل الكزبرة ، والأكل على الجنابة ، والعبث بالذكر ، وقراءة ألواح القبور ، وأكل ما لم يذكر اسم الله عزّ وجلّ عليه » .

٣٣- روى عليّ بن النّبيّ عليه السلام أنّه قال في وصيته له يا عليّ " تسعة أشياء تورث النسيان : أكل التفاح الحامض ، وأكل الكزبرة والجبن ، وسور الفار وقراءة كتابة القبور ، والمشي بين إمراةين ، وطرح القملة ، والحجامّة على النقرة ، والبول في الماء الراكد .

٣٤- ومما ورد من كلام الزهّاد : « عشرة أشياء تورث الغمّ : لبس السراويل قائماً ، والمشي بين الأغنام ، وقصّ شعر اللحية بالأسنان ، والقعود على أسكنة الباب ، والأكل بالشمال ، ومسح الوجه بالذيل ، والمشي على قشور البيض ، واللعب بالخصية ، والاستنجاء باليمين ، والضحك في المقابر ، وكثرة الاستمتاع » .



﴿زيارة القبور وحكمتها﴾

واعلم أن زيارة القبور آثاراً كثيرة في نفس الزائر والمزور وأما الزائر فأهمتها الاعتبار لمن اعتبر واستيقظ، فيأتمر بما أمر به في دينه وينتهي عما نهى عنه فيثاب بما يثاب في زيارته... وأما المزور فله المغفرة والرحمة بدعاء الزائر والاستغفار له، وقراءة القرآن الكريم عند قبره والصدقة لتخفيف عذابه أو ترفيع درجاته... وإن الروايات الواردة في ذلك كثيرة لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

في أمالي المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبي عبد الله الرضي قال: قال الأصمعي: دخلت البصرة فبينما أمشي بشارعها إذ بصرت بجارية أحسن وجهاً، وإذا كالشن البالي، فلم أزل اتبعها وأحبس نفسي عنها حتى انتهت إلى المقابر إلى قبر فجلست عنده ثم أنشأت تقول بصوت ما يكاد يبين هذا والله هو المسكن لما به نعر أنفساً هذا والله هو المفترق بين الأحباب، والمقرب من الحساب، وبه عرفان الرحمة من العذاب، يا أبا فسخ لك في قبرك وتغمدك بما تغمد به نبيك أما اني لا أقول خلاف ما اعلم كان علمي بك جواداً وإذا أتيت أتيت وساداً وإذا اعتمدت وجدت عماداً ثم قالت:

أم كيف صار جمال وجهك في الثرى
تحت الجنادل لا تحس ولا ترى
بأس وجود حين يطرق للقرى
دنت الهموم فغاب عن عيني الكبرى

يا ليت شعري كيف غيرك البلى
لله درك أي كهل غيبوا
لباً وحلماً بعد حزم زانه
لما نقلت إلى المقابر والبلى

وفيه: باسناده عن مالك بن دينار يقول: أتيت الجبانة فوقفت عليها قلت:

أتيت القبور فناديتها	فأين المعظم والمحتقر
وأين الملبى إذا ما دعا	وأين العزيز إذا ما اقتخر
وأين المدل بسلطانه	وأين القوى إذا ما قدر

قال: فأجابني صوت من ناحية المقابر ولا أرى صورة:

تفانوا جميعاً فما مختبر	فماتوا جميعاً ومات الخبير
تروح وتعدو بنات الثرى	فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن اناس مضوا	أما لك فيما ترى معتبر

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة -: يا أهل الدار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل القرية، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أما الدار فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسّمت هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

ثم ألتفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو أذن لهم في الكلام، لاخبروكم أن خير الزاد التقوى.

قوله عليه السلام: «فرط» الفرط: المتقدمون.

وفي وصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله أباذر رضي الله عنه: «زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها ليلاً، وغسل الموتى بتحريك قلبك، فإن الجسد الخاوي عظة بليغة، وصل على الموتى، فإن ذلك يعزئك، فإن الحزين في ظل الله».

قوله صلى الله عليه وآله: «الخواوي» الخالي من الروح.

وجد على قبر مكتوباً:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه
لقاؤك لا يرجسى وأنت رقيب

تزيد بلى في كل يوم و ليلة
وقال الإمام الحسن بن علي عليه السلام : « مات صديق لنا صالح ، فدفنناه ومددنا
على القبر ثوباً ، فجاء صلة بن أشيم ، فرفع طرف الثوب و نادى ! يا فلان :
إن تنج منها تنج من ذي عزيمة
وفي الحديث المرفوع : أنه عليه السلام كان إذا تبع الجنازة أكثر الصمات ، ورئى
عليه كآبة ظاهرة ، وأكثر حديث النفس .
سمع أبو الدرداء رجلاً يقول في جنازة : من هذا ؟ فقال : أنت ، فان كرهت
فأنا .

سمع الحسن عليه السلام امرأة تبكى خلف جنازة ، وتقول : يا أبتاه ، مثل يومك لم
أره ! فقال : بل أبوك مثل يومه لم يره .

وكان مكحول إذا رأى جنازة قال : اغد فانا رائحون .

قال ابن شاذب : اطلعت امرأة سالحة في لحد فقالت لامرأة معها : هذا كندوج
العمل - يعني خزانته - وكانت تعطيهما الشيء بعد الشيء تأمرها أن تتصدق به ، فتقول :
اذ هبي فضعي هذا في كندوج العمل .

أجازعة ردينة أن أتاها
إذا ما أهل قبري ودعوني
و غودر أعظمي في لحد قبر
تهب الريح فوق محط قبري
مقيم لا يكلمني صديق
فذاك النأي لا الهجران حولاً
وقال آخر :

كأنني باخواني على حافتي قبري
فيأتيهما المذرى على دموعه
يهيلونه فوقى وأدمعهم تجري
ستعرضني يومين عني وعن ذكرى

عفا الله عني يوم اترك ناوياً ازار فلا أدري و أجفى فلا أدري
وفي الحديث المرفوع: «ما رأيت منظراً إلا والقبر أفضح منه».

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليه السلام: «زر القبور تذكري بها الآخرة، وغسل الموتى يتحرك قلبك، فان الجسد الخاوي عظة بليغة وصل على الجنائز لعله يحزنك، فان الحزين قريب من الله».

وفي رواية: قال الإمام علي عليه السلام - إذ مر بمقبرة -: «السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، تزوركم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياء وأمواتاً، والحمد لله الذي خلقنا وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف، وأعد للحساب».

وفي احقاق الحق: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «لم أر أوعظ من المقبرة ولا آنس من كتاب الله...» الحديث.

وفي دعوات الراوندي: وقيل لأمر المؤمنين عليهم السلام: ما شأنك جاورت المقبرة؟ فقال: إني أجد هم جيران صدوق يكفون السيئة ويذكرون الآخرة.

وفيه: وقال ابن عباس: إن رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنه قبر من؟ فقرأ «تبارك الذي بيده الملك» فسمع صائحاً يقول: هي المنجية، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هي المنجية من عذاب القبر.

وفي كامل الزيارات: باسناده عن مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: دخل علي أمير المؤمنين عليه السلام مقبرة ومعه أصحابه، فنادى: يا أهل التربة ويا أهل الغربة، ويا أهل الخمود، ويا أهل الهمود أمّا أخبار ما عندنا فأموالكم قد قسمت، ونساءكم قد نكحت، ودوركم قد سكنت فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو يؤذن لهم في الكلام لقالوا:

لم يتزود مثل التقوى زاد.

قوله **عليه السلام**: «الخمود» خمود النار: سكون لهما، يقال: أخمد: إذا سكن وسكت، و«الهمود»: الموت، وطفؤا النار أو ذهاب حرارتها، والهامد: البالي المسود المتغير.

وفي النوادر: عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: إذا زرتكم موتا كم قبل طلوع الشمس سمعوا وأجابوكم، وإذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا ولم يجيبوكم. وفي كامل الزيارة: باسناده عن ابن أبي المقدم عن أبيه قال: مررت مع أبي جعفر **عليه السلام** بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة، فقلت لأبي جعفر **عليه السلام**: جعلت فداك هذا قبر رجل من الشيعة، قال: فوقف عليه، وقال: اللهم ارحم غربته وصل وحدته، وآنس وحشته، وآمن روعته، وأسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك وألحقه بمن كان يتولاه.

وفي مصباح الزيارة: إذا أردت زيارة المؤمنين فينبغي أن يكون يوم الخميس، وإلا ففي أي وقت شئت وصفتها أن تستقبل القبلة وتضع يدك على القبر وتقول: اللهم ارحم غربته وصل وحدته وآنس وحشته، وآمن روعته وأسكن إليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك وألحقه بمن كان يتولاه ثم قرأ: «إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرّات».

وفي رواية: عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله **عليه السلام**: نزور الموتى؟ فقال: نعم قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال: إي والله ليعلمون بكم ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم، قال: قلت: فأى شيء نقول إذا أتيناهم؟ قال: قل: اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، ولقهم منك رضوانا وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم، وتونس به وحشتهم انك عن كل شيء قدير.

وإذا كنت بين القبور فاقرا قل هو الله أحد إحدى عشرة مرّة، وأهد ذلك لهم فقد روى أن الله يشبه على عدد الأموات.

وفي الفقيه : وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إذا دخلت المقابر فطأ القبور فمن كان مؤمناً استروح إلى ذلك، ومن كان منافقاً وجد ألمه.

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : من قرأ آية من كتاب الله في مقبرة من مقابر المسلمين أعطاه الله ثواب سبعين نبياً، ومن ترحم على أهل المقابر نجى من النار ودخل الجنة وهو بضعك.

وفي رواية أخرى : قال رسول الله ﷺ : إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثواب قرائته لأهل القبور أدخله الله تعالى قبر كل ميت ويرفع الله للقاري درجة ستين نبياً، وخلق الله من كل حرف ملكاً يسبح له إلى يوم القيامة.

وفي البحار : وروى عن الحسين بن علي عليه السلام : قال : من دخل المقابر فقال : اللهم رب هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً مني كتب الله له بعدد الخلق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

وفيه : وروى أن أحسن ما يقال في المقابر إذا مررت عليه أن تقف وتقول : اللهم ولهم ماتوا واحشرهم مع من أحبوا.

وفي عدة الداعي : روى عن النبي ﷺ : من دخل المقابر فقرأ سورة «يس» خفف الله عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات.

وفي البحار : عن معلى بن خنيس قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا انصرف الرجل من إخوانكم من زيارتنا أو زيارة قبورنا، فاستقبلوه وسلموا عليه وحنّوه بما وهب الله له فإن لكم مثل ثوابه، ويفشاكم ثواب مثل ثوابه من رحمة الله وأنه مامن رجل يزورنا أو يزور قبورنا إلا غشيتة الرحمة وغفرت له ذنوبه.

وفي رواية : قال الله تعالى لعيسى عليه السلام : يا عيسى هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع ، فلعلك تأخذ مو عظمتك منهم وقل : إني لاحق في الآحقين.

وفي رواية : عن الإمام علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «استحيوا من الله حق الحياء قالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ قال : فان كنتم فاعلين فلا يبيتن أحدكم إلا وأجله بين عينيه وليحفظ الرأس وما وعاء، والبطن وما حوى، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الدنيا».

وفي رواية : أنه أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطالون وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلك تأخذ موعظتك منهم وقل: إنني لاحق بهم في اللاحقين.

وفي دعاء الجوشن الكبير - رقم ٤٢ :- «يا من في القبور عبرته...».



﴿ غرر الحكم ودرر كلم حول القبر وأصحابه ووزائريه ﴾

كلمات قصار في المقام عن نبينا محمد رسول الله الأعظم ﷺ وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فيها مواعظ ونصائح، وحكم ومعارف ولطائف ينبغي لكل قارئ خبير أن ينظر فيها نظراً اعتباراً وبقطة، ونظر إتمعاض وبصيرة ثم يعظ بها غيره بل ينبغي أن تكتب على أبواب المقابر فنشير إلى نبذة منها لانا على جناح الاختصار:

- ١- قال النبي الكريم ﷺ: «إطلع في القبور واعتبر بالنشور».
- ٢- وقال ﷺ: «أزهد الناس من لم ينس القبر والبلاء وترك أفضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه في الموتى».

٣- وقال ﷺ: «إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المومن يوم القيامة في ظل صدقته».

- ٤- وقال ﷺ: «إن العين لتدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر».
- ٥- وقال ﷺ: «من رأى عودة فسترها كان كمن أحيى سوءاً من قبرها».
- ٦- وقال ﷺ: «وصل ركعتين في سواد الليل لو حشة القبور».

٧- وقال ﷺ: «أربعة يخرجون من القبور ويدخلون في النار بغير حساب: النائمون في الغداة، والغافلون في العشيات، والمانعون الزكاة، والمصرفون في السيئات».

- ٨- وقال عليه السلام : «وهديّة القبر أربعة أشياء: ترك النميمة وإستبرأؤه من البول، وقراءة القرآن، وصلاة الليل».
- ٩- وقال عليه السلام : «ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره باباً إلى الجنان ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة».
- ١٠- وقال عليه السلام - في تسعة عشر شيئاً وضع عن النساء - : «ولا تقيم عند قبر».
- ١١- وقال عليه السلام : «إن الله كره لكم العبث في الصلاة، والرّفث في الصيام، والضحك عند المقابر».
- ١٢- وقال عليه السلام : «إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره».
- ١٣- وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «جاوز القبور تعتبر».
- ١٤- فيما سئل قوم من اليهود عمر بن الخطاب عن الإثني عشر أمراً منها :- وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه - فما أجاب عن شيء منها عمر فسئلوا علياً عليه السلام عنها فأجاب عنها جميعاً - إلى أن قال - وأما القبر الذي سار بصاحبه فالحوت ساريونس في بطنه البحار السعة ...»
- ١٥- وقال عليه السلام : «من لم يقهر حسده كان جسده قبراً لنفسه».
- ١٦- وقال عليه السلام : «أكثرُوا ذِكْرَ الموتِ ويومِ خُرُوجِكُمْ من قبورِكُمْ ويومِ وقوفِكُمْ بين يدي اللهِ عزّ وجلّ يهن عليكم المصاب».
- ١٧- وقال عليه السلام : «من عظمت عليه مصيبة فليذ كر الموت فانّها تهون عليه، ومن ضاق به أمر فليذ كر القبر فانّه يتسع».
- ١٨- وقال الإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام : «أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: التي يعاين فيها مالِك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي

يقوم فيها بين يدي الله عز وجل فإمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار.

١٩- وقال الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام: «ثلاثة يتخوف منهم الجنون: التفوّط بين القبور والمشى في خفّ واحد والرجل ينام وحده».

٢٠- وفي المناجات المنظومة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

إلهي فأنسني بتلقين حجتي إذا كان لي في القبر مثوى ومفجع
وقيل لأبراهيم بن أدهم: بما وجدت الزهد؟ قال: بثلاثة أشياء: رأيت القبر
موحشاً وليس لي مؤنس، ورأيت الطريق طويلاً وليس معي زاد، ورأيت الجبار قاضياً
وليس معي حجة».



﴿ القبر أول منزل من منازل الآخرة ﴾

في الخصال: باسناده عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فأمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار ثم قال: إن نجوت يا بن آدم عند الموت فأنت أنت، وإلا هلكت، وإن نجوت يا بن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت يا بن آدم في مقام القيامة فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت يا بن آدم حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت يا بن آدم حين يقوم الناس لرب العالمين فأنت أنت وإلا هلكت ثم تلا: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» قال: هو القبر، وإن لهم فيه لمعيشة صنكاً.

والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ثم أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء، ساكن الجنة من ساكن النار فأَيُّ الرجلين أنت وأيُّ الدارين دارك.

وفي البحار: عن علي بن الحسين عليه السلام قال: القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجي منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده شر منه.

وفي قرب الاسناد: باسناده عن الحسين بن علي عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مستريح ومستراح منه، فأمّا المستريح فالعبد الصالح إستراح من غم الدنيا، وما كان فيه من العبادة إلى الراحة ونعيم الآخرة، وأمّا المستراح منه فالفاجر

يستريح منه ملكاه..

وفى الدر المنثور: عن قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ مرّت جنازة فقال: مستريح ومستراح منه، فقلنا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المأمور يستريح من نصب النار وأذاها إلى رحمة الله سبحانه وتعالى والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

وفى البحار: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: موت الأبرار راحة لأنفسهم، وموت الفجار راحة للعالم. وفيه: قيل: إن من عجائب الدنيا أنك تبكي على من تدفنه، وتطرح التراب على وجه من تكرمه.

وفيه: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فإذا وجد الإنسان قد نفذ أجله وانقطع أكله، القى عليه الموت ففشيته كرباته، وغمرته غمراته، فمّن أهل بيته الناشئة شعرها والضاربة وجهها، الصارخة بويلها، الباكية بشجوها، فيقول ملك الموت: ويلكم ممّ الفزع؟ فيم الجزع؟ والله ما أذهبت لأحد منكم ما لا ولا قرّبت له أجلاً ولا أتيته حتى أمرت ولا قبضت روحه حتى استأمرت وإن لي إليكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحداً. ثم قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو يرون مكانه وسمعون كلامه لذهلوا عن ميّتهم وبكوا على نفوسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه دفر فروحته فوق النعش وهو ينادي: يا أهلي ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعتهم من حلّه ومن غير حلّه، وخلفته لغيري والمهنتاله والتبعات عليّ فاحذروا من مثل ما نزل بي.

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فانكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتهم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب! ولقد بصرتهم إن أبصرتهم وأسمعتهم إن سمعتهم، وهديتهم إن اهتديتم، وبحق أقول لكم: لقد جاهرتمكم العبر

وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر»

وفي بعض التفاسير: ان المؤمن يقرأ سورة مريم وعنده العلماء فلما انتهى إلى هذه الآية: «فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً» مريم: (٨٤) التفت إلى محمد بن السماك مشيراً إليه بأن يعظه فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما ينقذ، وفيه: إن ابن عباس إذا قرأ هذه الآية بكى ويقول: «آخر العدد خرج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك»

وقال بعض الظرفاء: ان الإنسان مسافر ومنازله ستة، وقد قطع منها ثلاثة وبقي ثلاثة: فآلتي قطعها: أوّلها من كتم العدم إلى صلب الأب وترائب الأم كما قال تعالى: «يخرج من بين الصلب والترائب» وثانيها: رحم الأم قال سبحانه: «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء» وثالثها - من الرحم إلى فضاء الدنيا قال عزّ من قائل: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»

وأما المنازل الثلاثة التي لم يقطعها: فأوّلها القبر قال عليه السلام: «القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل منازل الدنيا» وثانيها: فضاء المحشر قال سبحانه: «وعرضوا على ربك صفّاً» وثالثها: الجنة أو النار قال سبحانه: «فريق في الجنة وفريق في السعير»

ونحن الآن في قطع مرحلة المنزل الرابع ومدة قطع عمرنا، فأيتامنا فرائسنا، وساعاتنا أميال، وأنفاسنا خطوات، فكم من شخص بقي له فراسخ وآخر بقي له خطوات.



﴿ القبر و سؤال فكبر و منكر ﴾

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمار عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المراج و المسألة في القبر والشفاعة».

وفي الحديث: «إذا وضع الميت في القبر أتاه ملكان منكر ونكير، قيل: سمياً بذلك حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره ويرتاع منه فسمياً منكراً ونكيراً».

وفي الكافي: باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسئل في القبر إلا من محض الايمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم. وفيه: باسناده عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطآن (يخدان) - أي يشقان - الأرض بأنيا بهما ويطآن في شعورهما فيسئلان الميت من ربك وما دينك؟ قال: فإذا كان مؤمناً قال: الله ربّي وديني الإسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرائكم؟ فيقول: أعنّ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تسألني، فيقولان له: تشهد أنّه رسول الله فيقول: أشهد أنّه رسول الله فيقولان له: نم نومة لاحلم فيها، ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب إلى الجنة ويرى مقعده فيها.

وإذا كان الرجل كافراً دخل عليه، واقم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس

فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لأدري فيخيلان بينه وبين الشيطان، فيسلط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً، لو أن تنيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها.

و فيه : باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله من المسئولون في قبورهم؟ قال: من محض الإيمان، ومن محض الكفر قال: قلت: فبقية هذا الخلق؟ قال: يلهم الله عنهم ما يعبأ بهم قال: قلت: وعمّ يستلون؟ قال: عن الحجة القائمة بين أظهركم فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقال: نعم أنام الله عينك، ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويقال للكافر: ما تقول في فلان ابن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به، وما أدري ما هو فيقال له: لا دريت قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث - : «وهديّة منكرو نكير أربعة أشياء: صدق اللسان، وترك الغيبة، وقول الحق، والتواضع لكل أحد».

وقد حكى: قيل لما مات وزير كسرى بوذرجمهر وجد مكتوباً على منطقته تسع كلمات: وهي ان كان الله تكفل بارزاق العباد فالهمّ لماذا؟ وإن كانت الأرزاق قسمت فالحرص لماذا؟ وإن كانت الدنيا غرادة فالركون إليها لماذا؟ وإن كانت الجنة حقاً فترك العمل لماذا؟ وإن كان القبر حقاً فتشيد البنين لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فكثرة الضحك لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فجمع المال لماذا؟ وإن كان يوم القيامة حقاً فقلّة الجزع لماذا؟ وإن كان إبليس عدوك فاتباعك عدوك لماذا؟

وفى الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن إذا أخرج من بيته شيعة الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه حتى إذا انتهى به إلى قبره، قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً أما والله لقد كنت أحب أن يمشى عليّ

مثلك لترين ما أصنع بك، فتوسّع له مدّ بصره ويدخل عليه في قبره ملكا القبر و
 هما قعيدا القبر: منكرو نكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه، فيقعدانه ويسئلانه
 فيقولان له: من ربك؟ فيقول: الله فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: و
 من نبيك؟ فيقول: محمد ﷺ فيقولان: ومن إمامك؟ فيقول: فلان قال: فينادي مناد
 من السماء: صدق عبدي

افرشواله في قبره من الجنة، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنة وألبسوه من
 ثياب الجنة حتى يأتينا، وما عندنا خير له ثم يقال له: نم نومة عروس، نم نومة
 لاحلم فيها، قال: وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيّعه إلى قبره تلغونه حتى
 إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت
 أبغض أن يمشي عليّ مثلك لاجرم لترين ما أصنع بك اليوم فتضيق عليه حتى
 تلتقى جوانحه، قال: ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكرو نكير.
 قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟
 فقال: لا قال: فيقعدان ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: من ربك؟ فيتلجلج
 ويقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لادريت ويقولان له: ما دينك؟
 فيتلجلج، فيقولان له: لادريت، ويقولان له: من نبيك؟ فيقول: قد سمعت الناس
 يقولون، فيقولان له: لادريت، ويسئل عن إمام زمانه قال: فينادي مناد من السماء:
 كذب عبدي.

افرشواله في قبره من النار وألبسوه من ثياب النار وافتحوا له باباً إلى النار
 حتى يأتينا، وعندنا شرّ له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا
 يتطاير قبره نارا لو ضرب بثلث المرزبة جبال تهامة لكانت دميماً.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً والشیطان
 يغمّه غمّاً قال: ويسمع عذابه من خلق الله إلا الجن والإنس قال: وانه ليسمع خفق
 نعالهم ونفض أيديهم وهو قول الله عز وجل: «يثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ

في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»
قوله عليه السلام: «لادريت: دعاء عليه و» كذب عبدي« أي كذب ولم يعتقد ذلك ولم يسمعه بقلبه.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: العافية على عشرة أوجه : خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة، فأما التي في الدنيا: العلم والعبادة والرزق الحلال والصبر على الشدة والشكر على النعمة، وأما التي في الآخرة فإنه يأتيه ملك الموت بلطف ورحمة، ولا يرعه منكر ونكير في القبر ويكون آمناً من الفزع الأكبر ويمحي سيئاته وحسناته مقبولة. ويمر على الصراط كالبرق اللامع، ويدخل الجنة في السلامة.

وفي تحف العقول: عن الإمام الرابع سيّد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام - يعظ شيعة ولسائر أصحابه وتذكيره إياهم كل يوم جمعة -: «أيّها الناس إتقوا الله واعلموا أنكم إليه راجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه. ويحك يا بن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه ان أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدر كك فكأن قد أوفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك، وصيرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك روحك واقتحم عليك ملكاك: منكر ونكير لمساء لثك و شديد إمتحانك، ألا وان أوّل ما يسئلك عن ربك الذي كنت تعبدّه وعن نبيك الذي ارسل إليك وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه، وعن عمرك فيما أفنيت، وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟

فخذ حذرك، وانظر لنفسك، واعدّ الجواب قبل الإمتحان والمسئلة والاختبار فان تك مؤمناً عارفاً بدينك متبّعاً للمصادقين، موالياً لأولياء الله لفاك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب، فأحسن الجواب وبشرت بالجنة والرضوان من الله، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجج لسانك ودحضت

حجبتك وعييت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك الملائكة - ملائكة العذاب -
بنزل من حميم وتصلية جحيم... الحديث.

وغيرها من الروايات الواردة في المقام تر كناها روماً للاختصار .

وينبغي لنا أن نشير إلى ما ذهب إليه الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحق في المقام:
في أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: «ان القول
في نزول الملكين على أصحاب القبور ومسائلتهما عن الاعتقاد صحيح، وعليه إجماع
الشيعة وأصحاب الحديث وتفسير مجمله: ان الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه
بعد الموت ملكين إسمهما: مبشر وبشير فيسئلانه عن ربه جلّت عظمتة وعن نبّيه و
وليّه، فيجيبهما بالحق الذي فارق الدنيا على إعتقاده والصواب، ويكون الغرض
في مسائلتهما إستخراج العلامة بما يستحقه من النعيم فيجدانها منه في الجواب.

وينزل جلّ جلاله على من يريد تعذيبه في البرزخ ملكين إسماهما ناكر و
نكير فيؤكلهما بعدا به. ويكون الغرض من مسائلتهما له إستخراج علامة إستحقاقه
من العذاب بما يظهر من جوابه من التلجلج عن الحق أو الخبر عن سوء الاعتقاد أو
إيلامه وعجزه عن الجواب، وليس ينزل الملكان من أصحاب القبور إلّا على من ذكرناه
ولا يتوجّه سؤالهما منهم إلّا على الأحياء بعد الموت لما وصفناه، وهذا هو مذهب
حملة الأخبار من الإمامية، ولهم فيما سطرت منه آثار وليس لمتكلمهم من قبل فيه
مقال عرفته فاحكيه على النظام.

وفي شرح عقائد الصدوق رحمة الله تعالى عليه قال: جاءت الآثار الصحيحة
عن النبي ﷺ: ان الملائكة تنزل على المقبورين، فتسألهم عن أديانهم وألفاظ
الأخبار بذلك متقاربة فمنها: ان ملكين لله تعالى يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان
على الميت فيسئلانه عن ربه ونبّيه ودينه وإمامه، فان أجاب بالحق سلّموه إلى
ملائكة النعيم، وان ارتج سلّموه إلى ملائكة العذاب.

وفي بعض الاخبار: ان إسمي الملكين الذين ينزلان على الكافر ناكر و

نكير وإسمي الملكين الذين ينزلان على المؤمن مبشراً وبشير. قيل: إنما سمى ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمى ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنهما يبشراؤه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وإن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وانهما عبارة عن فعلهما، وهذه امور يتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها.

وقد وردت روايات صحيحة، أن المؤمن المحض يثاب في القبر، وإن له روضة من رياض الجنة، وإن الكافر المحض يعاقب في القبر وإن عليه حفرة من حفر النار وغيرهما يلهى عنه. ثم اختلفت كلمات المحدثين والمفسرين فيمن يلهى عنه: فمنهم من قال: هم المستضعفون من المسلمين والصبيان والبلهاء، ومنهم من قال: انهم المنافقون والفاسقون، وعلى الأول أجلة العلماء وجمهور المحققين.

وفي أعمال العرفة: -«سبحان الذي في القبور قضاؤه...»



﴿الاعمال والاصدقاء في القبر﴾

في الكافي: باسناده عن أحمد الخراساني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا وضع الميت في قبره مثل له شخص، فقال له: يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك وكان أهلك فخلّفوك وانصر فواعنك وكنّت عملك، فبقيت معك أما انّي كنت أهون الثلاثة عليك.

وفيه: باسناده عن أبي سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبرّ يطلّ عليه ويتنحّى الصبر ناحية. وإذا دخل عليه المملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكم فان عجزتم عنه، فنادونه.

وفي شرح ابن أبي الحديد: في الحكم المنسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - قال: «لا بدّ لك من رفيق فاجعله حسن الوجه طيب الريح وهو العمل الصالح»

وفي رواية: قال عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ بشرّ شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أوّلها: طيب المولد، وثانيها: إيمانهم بالله، وثالثها: حبّ الله عزّ وجلّ، ورابعها: الفسحة في قبورهم، وخامسها: النور: على الصراط بين أعينهم، وسادسها: نزع الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم، وسابعها: المقت من الله عزّ وجلّ لأعدائهم، وثامنها: الأمان من الجذام، يا عليّ وتاسعها: انحطاط الذنوب والسيئات عنهم، وعاشرها: هم معي في الجنّة وأنا معهم.

وفي رواية أخرى: عن ضمرة بن حبيب قال: سئل النبي ﷺ عن الصلاة فقال: الصلاة من شرائع الدين، وفيها مرضات الرب عز وجل، وهي منهاج الأنبياء والمصلين حب الملائكة، وهدي وإيمان ونور والمعرفة وبركة في الرزق، وراحة للبدن وكرهة للشيطان، وسلاح على الكافر وإجابة للدعاء وقبول للأعمال وزاد للمؤمن من الدنيا إلى الآخرة! وشفيع بينه وبين ملك الموت وأنس في قبره وفراش تحت جنبه وجواب لمنكر ونكير.

أقول: وقد حكى لي بعض الزهاد والتقيا من أصدقائي صبيحة الرابع من تاسع رجب المرجب سنة ١٣٩٢ هـ ق بقم المشرفة، وعلى دينها المعصومة آلاف الثناء والتحية: أنه رأى بأنه مات، ودفن في المومنون، فجاءه نكير ومنكر ليلة دفنه من جانب رجله فأضيء قبره، فلما دخلا فيه إستشمارؤس أصابع رجله، ثم رأس ركبته، ثم كفيه، ثم جبينه، فقال: كنت أراني حياً في القبر شاهداً إياهما على ذلك، فلما أرادا أن يستلاني عن أعمالي قلت لهما: إني أردت أن أسئلكما قبل أن تستلاني إذ لا صبر لي على شتمكما أعضائي هكذا، فقالا: سل! فقلت: لماذا شتمتما أعضائي السبعة من مواضع السجدة؟ فقالا: نحن منكر ونكير فإذا دخلنا في قبر نشم تلك المواضع السبعة، فإذا وجدنا فيها آثار العبودية نسأل صاحبها عن عقائده وسائر أعماله، وإلا فنذهبن به إلى ما يستحقه من العذاب.

وفي رواية: قال رجل لأبي ذر الغفاري: أي شيء هو زاد ليوم القيامة؟ فقال: حج حجة لعظام الأمور وصم يوماً لزجرة النشور وصل ركعتين في سواد الليل لو حشة القبور.

وفي نزهة الناظرين: عن أبي الليث السمرقندي: أنه حكى أن رجلاً ماتت اخته ففسلها وكفنها ودفننها، فلما فرغ من دفنها تذكر بأنه دفن معها شيء غفل عنه فنبش قبرها فلما نبشه رآها غير مادفنت من قريب فذهب إلى أمه عاجلاً فسلها عن اخته وبين حالها، فقال: أيتها سيئة إرتكبت اختي عذبه الله

تعالى هكذا فقالت أمه: ما كانت بنتي امرأة سوء، ولكنها كانت لم تصل وإذا صلت صلت متهاونة.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «من يعمل أمّتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك فهو مؤجل إلى أن يوضع في لحدّه فاذا وضع لم يمكث أكثر من ثلاثة تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين فيحشر معهم».

وفي رواية: انّ القبر ينادي الإنسان في كل يوم: يا بني آدم! أنا بيت الوحدة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الغربة، أنا بيت العقارب والحيات.

وفي تفسير مقتنيات الدرر: انّ للإنسان أربعة أعداء: المال والأهل والأولاد والأصدقاء وهي لا تدخل في القبر فيبقى فريداً منهم.

وأيضاً له أربعة أصدقاء وهي كلمة الشهادة والصلاة والصوم وذكر الله تعالى وهي تدخل في القبر وتشفع عند الله تعالى فتصحب الميت فلا يبقى وحيداً.

وفي تفسير روح البيان: كان في زمن حاتم الأصم نباش، فحضر مجلس حاتم يوماً، فتاب على يده وأحياه الله تعالى بالتوبة فقال له حاتم: كم نبشت من القبور؟ فقال: سبعة آلاف، قال: كم في سنة؟ قال: في عشرين سنة، فغشى على حاتم، فلما أفاق قال: قبور المسلمين أم قبور الكافرين قال: بل قبور الكافرين فقال: كم قبر أوجدت صاحبه على غير القبلة؟ قال: وجدت ثلاثمائة قبر صاحبه على القبلة والباقيون على غير القبلة فغشى على حاتم.

قوله: «بل قبور الكافرين» يحتمل الأمرين: أحدهما - قبور الكافرين فقط. ثانيهما - ضم الكافرين بالمسلمين، والآخر هو الأوفق، فإنّ الكافرين ما كانوا يدفنون على القبلة، ولا مرأ أن من حوّل وجهه في الدنيا عن القبلة من منافقي الإسلام، وتاركي الصلاة فيتحوّل وجهه عنها في القبر.

وفي حياة الحيوان: للدميمري عن البيهقي في الشعب عن عبد الحميد بن محمود قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل فقال: أقبلنا حجاجاً حتى إذا كنّا

في الصفاح توفقي صاحب لنا ، فحفر ناله فاذاً اسود سالخ - نوع من الحيوان يدخل في القبور فيأكل المقبور و له صورة متوحشة - قد أخذ اللحد كله قال : فحفرنا له قبراً فاذاً اسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال : فحفر ناله ثالثاً فاذاً اسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال : فمتر كناه و آتيناك نستلك ماذا تأمر نابه قال ابن عباس ذاك عمله الذي كان يعمل به إذ هبوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك قال : فألقيناه في قبر منها فلمّا قضينا سفرنا آتيناك إمرأته فسئلناها عنه ، فقالت : كان يبيع الطعام فيؤخذ قوت أهله كل يوم ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير ثم يبيعه ، فعذب بذلك .

وقد ورد : « لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه تحسّر عند موته فقيل له : على م تأسفك يا أبا عبد الله ؟ فقال : ليس تأسفي على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا و قال : ليكن بلغة أحدكم كزاد الرّاكب ، وأخاف أن نكون قد جاوزنا أمره ، وحولي هذه الأشياء و أشار إلى ما في بيته وإذا هو سيف و دست وجفنة . »

وقد حكى : « لما مات جالينوس وجد في جيبه رقعة فيها مكتوب : أحقق الحمقاء من يملأ بطنه كل ما يجد فما أكلته فليجسمك و ما تصدقت به فلروحك و ما خلفته ، فلغيرك و المحسن حيّ و إن نقل إلى دار البلى و المسييء ميت و إن بقي في الدنيا والقناعة تستر الخلّة ، وبالصبر تدرك الامور و بالتدبير يكثر القليل ، ولم أر لابن آدم شيئاً أنفع من التوكل على الله تبارك و تعالي . »

و في اسد الغابة : باسناده عن عائشة عن النبي ﷺ : انه كان قاعداً و حوله نفر من المهاجرين و الأنصار فقال رسول الله ﷺ : « أيّها الناس إنّما مثل أحدكم و مثل أهله و ماله و عمله كمثّل رجل له اخوة ثلاثة : فقال لأخيه الذي هو ماله و قد نزل به الموت : ما عندك فقد نزل بي

ما ترى؟ فقال: مالك عندي غنى ولا نفع إلا ما دمت حياً فخذ مني الآن ما أردت فاني إذا فارقتك سيذهب بي إلى غير ما ذهبك، وياخذني غيرك فالتفت النبي ﷺ وقال: هذا أخوه الذي هو ماله فأخ ترونه؟ فقالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله ﷺ.

ثم قال لأخيه الذي هو أهله: قد نزل بي الموت و حضرتي ما ترى فماذا عندك من الغناء؟ قال: عندي ان أمرضك و أقوم عليك و اعينك فاذا مت غسلتك و كفنتك و حنطتك و حملتك في الحاملين، وشيئعتك ثم ارجع وأنتي بخير. عندما يسألني عندك، فقال رسول الله ﷺ: أي أخ ترونه؟ قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله ﷺ ثم قال لأخيه الذي هو عمله ماذا عندك ماذا لديك؟ قال: اشيعك إلى قبرك فأونس وحشتك و اذهب غمك و اجادل عنك و اقعد في كفنك فأشول بخطاياك، فقال رسول الله ﷺ: فأخ ترون هذا الذي هو عمله؟ قالوا: خير أخ يا رسول الله ﷺ قال: فالأمر هكذا.

وفي المثل: «إذا وجدت القبر مجاناً فادخل فيه»

وفي بعض التفاسير: رأى بعض الظرفاء بنتاً تنوح على قبر أبيها، وتقول: يا أبت كنت أفرش فراشك، فمن فرش الليلة، يا أبت كنت اطعمك فمن أطعمك الليلة - إلى غير ذلك، فقال البعض: لا تقولسي: كذلك بل قولي: يا أبت وضعناك متوجّهاً إلى القبلة، فهل بقيت أحوّلت عنها، يا أبت هل كان القبر روضة لك من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران يا أبت هل أجبت الملكين أولاً؟ فقالت: ما أحسن قولك أيها الناصح قبلت نصيحتك.

فعلى كل عاقل ذي مسكة أن يتذكّر الموت و يتفكّر في بعد السفر و يتأهّب بالإيمان و طاعة الله تعالى و صالح العمل و إصلاح النفس و كفّ الأذى عن الناس بترك هضم حقوقهم، و ترك الكذب و الغيبة، و ترك الإفساد على وجه الأرض و الجنابة، و ترك الإفتراء و النمامة، و يرحم على نفسه

و يتأمل في وحدته في القبر إن لا صديق له فيه إلا الإيمان و الطاعة و صالح الأعمال ...

وفي الدعاء بعد قراءة القرآن المجيد : « و اجعله لي انساً في قبري و انساً في حشري و اجعلني ممن ترفيه بكل آية قرأتها درجة في أعلى عليين آمين رب العالمين » .



﴿ المعاصي و عذاب القبر ﴾

ومن البين ان لكل ذنب وطغيان أثراً وضعياً في النفس الإنسانية، وتتعقب عليه تبعاته من الشقاء والهوان، من الذلّة والفساد، ومن الهلاك والدمار... ثم يعذب في القبر بأنواع العذاب حسب أعماله الفاسدة وعقائده الباطلة، وأقواله المنكرة قبل بعثه يوم القيامة أعادنا الله تعالى منها بحق محمد وآله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فانكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ودهلتم وسمعتم وأطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب». قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام يدل على صحة القول بعذاب القبر وأصحابنا كلهم يذهبون إليه.

وفي الدر المنثور: عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أزد إلى أزدل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر».

وفي رواية: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه مر على البقيع فوقف على قبر ثم قال: الآن أبعده و سلوه والذي بعثني بالحق نبياً لقد ضربوه بمرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً، ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول، ثم قال صلى الله عليه وآله: لولا أنني أخشى على قلوبكم لسئلت الله أن يسمعكم من عذاب القبر

مثل الذي أسمع ، فقالوا : يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين ، فقال ﷺ :
كان أحدهما يمشى بالنميمة بين الناس ، و كان الآخر لا يستبرى من البول .
وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيقلت من
ضغطة القبر أحد ؟ قال : فقال : نعوذ بالله منها ما أقول من يقلت من ضغطة القبر ،
ان رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السماء
فدمعت عيناه و قال للناس : إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها
من ضمة القبر قال : فقال : اللهم هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله له ،
قال : و ان رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد وقد شيعة سبعون ألف ملك ،
فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء ثم قال : مثل سعد يضم ، قال : قلت :
جعلت فداك إنا نحدث انه كان يستخف بالبول ؟ فقال : معاذ الله إنما كان من
زعارة في خلقه على أهله قال : فقالت ام سعد : هنيئاً لك يا سعد قال : فقال لها
رسول الله ﷺ يا ام سعد لا تحتمي على الله .

قوله ﷺ : « زعارة » بتشديد الراء وتخفيفها : شراسة الخلق أي سييء
الخلق ، و « لا تحتمي » أي لا توجبي من عليه الشيء : أوجبه .

وفيه : في رواية سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب : يصيبه عذاب القبر فقال :
ان رب الأرض هورب الهواء فيوحى الله عز وجل إلى الهواء فيضغظه ضغطة أشد
من ضغطة القبر .

وفي محاسن البرقي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن
جل عذاب القبر في البول .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن عذاب
القبر من البول .

وفي دعوات الراوندى : روى عن ابن عباس : ان عذاب القبر ثلاثة أثلاث :
ثلث للغيبة ، و ثلث للنميمة ، و ثلث للبول .

وفي رواية: عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تهاون في الصلاة من الرجال والنساء عاقبه الله تعالى بثمانية عشر عقوبة : ستة في الدنيا ، وثلاثة عند موته ، وثلاثة في قبره ، وثلاثة في محشره ، وثلاثة عند الصراط ، فأما التي في الدنيا ذهاب البركة من رزقه ، و ذهاب البركة من حياته ، و ذهاب النور من وجهه ولاحظ له في الاسلام ، ولا يشر كراه الله في دعاء الصالحين ولا يستجاب دعائه ، وأما التي عند الموت فالأول يموت ذليلاً ، وعليه ثقلاً كأنه الجبل ، وبه ضعفاً كأنه يضرب بالسياط ، والثانية يموت عطشاً ولو شرب ماء الدنيا لم يرو والثالثة يموت جائعاً ولو أكل طعام الدنيا لم يشبع ، وأما التي في قبره فالأول الغم الشديد ويظلم عليه قبره ، والثانية يضيق عليه القبر ويكون معذباً إلى يوم القيامة ، والثالثة لا تبشره الملائكة بالرحمة .

و أما التي في المحشر فانه يقوم على صورة الحمامار و يعطى كتابه بشماله ويحاسبه الله حساباً طويلاً ، وأما التي على الصراط فلا ينظر الله إليه ولا يزكّيه ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ويحاسبه الله على الصراط ألف عام ثم يأمر به إلى النار مع الداخلين و هو قوله تعالى : « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » .

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ - في حديث - : « ومن قال بعد صلاة المغرب مائة مرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله فعل الله معه ثلاثة : لا يزول إيمانه بالذنوب ، ويرضى الله عنه ، ويأمنه من عذاب القبر . . . الحديث .

قوله ﷺ : « لا يزول إيمانه بالذنوب » أي من صفائر الذنوب من غير إصرار عليها ، ولا بخلو منها غير المعصومين .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي و كَلَّ بكم » عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : لما أسرى بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً لامقبلاً عليه كهيئة الحزين ، فقلت: من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا ملك

الموت مشغول في قبض الأرواح فقلت : ادنني منه يا جبرئيل لأكلمه فادناني منه فقلت له: يا ملك الموت أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال : نعم قلت : وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنتني فيها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء .

و ما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات ، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم : لا تبكوا عليه فإن لي إليكم عودة و عودة حتى لا يبقى منكم أحد فقال رسول الله ﷺ : نفى بالموت طامة يا جبرئيل؟ فقال جبرئيل: إنما بعد الموت اطم و أعظم من الموت .

وفي رواية: و قال النبي ﷺ : إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتمعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، و من عذاب القبر ، و من فتنة المحيا والممات ، و من شر المسيح الدجال .

و عن ابن عباس : أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: قولوا : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وعذاب القبر ، و أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، و أعوذ بك من فتنة المحيا والممات . وفي « المسيح الدجال » أقوال أربعة: أحدها - أن المسيح لقب الدجال مأخوذ من مساحة الأرض . ثانيها - الدجال : الكذاب . ثالثها - المسيح : ممسوح العين أي إحدي عينيه ذاهبة . رابعها - أي أبعد عن كل خير .

وفي رواية: وقال رسول الله ﷺ : من قصر (قص خ) شاربه أعطاه الله ثلاثة أنوار : نور في وجهه ، و نور في قبره ، و نور في القيامة ، و رفع عنه ثلاثة أنواع من العذاب : عذاب القبر و عذاب منكر و نكير ، و شدة القيامة .

وفي رواية: قال النبي ﷺ : من طول شاربه عوقب بأربعة مواطن : الأول لا يجسد شفاعتي ، والثاني لا يشرب من حوضي ، والثالث يعذب في قبره ، والرابع يبعث إليه منكر و نكير بالغضب .

وفي رواية: جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أسئلك عن أربع مسائل؟ فقال: سل وإن كانت أربعين، فقال: ما الواجب؟ وما الأوجب؟ وما القريب؟ وما الأقرب؟ وما العجيب؟ وما الأعجب؟ وما الصعب؟ وما الأصعب؟ قال عليه السلام: أمّا الواجب فطاعة الله تعالى، وأمّا الأوجب فترك الذنوب، وأمّا القريب فالقيامة، والأقرب منها الموت، وأمّا العجيب فالدنيا والأعجب منها حب الدنيا، وأمّا الصعب فالقبر، والأصعب منه الذهاب بلا زاد.

وفي رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله: سيأتي زمان على امتي يحبّون خمساً وينسون خمساً: يحبّون الدنيا وينسون الآخرة، ويحبّون المال وينسون الحساب، ويحبّون النساء وينسون الحور، ويحبّون القصور وينسون القبور، ويحبّون النفس وينسون الرب، أولئك بريئون مني وأنا بريء منهم.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا وإن القبر ينادي بخمس كلمات: فيقول: يا بن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني، تفرح على ظهري ثم تحزن في بطني، تذنب على ظهري وتعذب في بطني، تضحك على ظهري وتبكي في بطني، تأكل الحرام على ظهري ثم تأكلك الديدان في بطني.

وفي رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله: القبر ينادي بخمس كلمات: أنا بيت الوحدة فاحملوا إليّ أنيساً، وأنا بيت الحيات فاحملوا إليّ ترياقاً، وأنا بيت الظلم فاحملوا إليّ سراجاً، وأنا بيت التراب فاحملوا إليّ فراشاً، وأنا بيت الفقر فاحملوا إليّ كنزاً.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول وقعة ويرى مقعده في الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار والياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام: يا علي إن الله الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق عنه القبر، وأنت أول من يقف على الصراط معي، وأنت أول من يكسى إذا كسيت، وتحى إذا حييت وأنت أول من يسكن معي عليين، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك.

وفي رواية: قال النبي ﷺ: حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: يا علي إن الله اعطى شيعةك سبع خصال: الرفق عند الموت، والانس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل الامم بأربعين عاماً.

وفي رواية: قال النبي ﷺ: من تهاون في الصلوات الخمس في الجماعة عاقبه الله باثنتي عشرة خصلة: ثلاثة في الدنيا وثلاثة في القبر وثلاثة عند الموت، وثلاثة يوم القيامة، أما التي في الدنيا يرفع الله بركته من كسبه، وينزع سيماء الخير من وجهه، ويكون بغضاً في قلوب المؤمنين، وأما التي عند الموت فانه يقبض روحه جائعاً عطشاناً، شديد الفزع، وأما التي في القبر مسائله منكر ونكير، وظلمة القبر وضيق اللحد وأما التي في القيامة شدة الحساب وغضب الرب والعقاب بالنار وقد حكى الله قال: من سوف أربعاً إلى أربع دخل الجنة، النوم إلى القبر، والفخر إلى الميزان، والراحة إلى الصراط، والشهوة إلى الجنة.

وفي احياء العلوم: عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر

هل تدرون فيما ذا انزلت: «فان له معيشة ضنكاً»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً، هل تدرون ما التنين: تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون.

قال الغزالي: ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغفل والحقد وسائر الصفات، فان لها اصولاً معدودة ثم تشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام، وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوى منها يلدغ لدغ التنين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينهما يؤذى ايذاء الحية.

وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، فامثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها، فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان: التصديق والتسليم، وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين إستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وفرحوا بها واطمأنوا إليها وغفلوا بها عن ما درائها.

وفيه: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجى منها لنجى سعد بن معاذ.

رواه أحمد في مسنده بسند جيد.

وفي نهج المسترشدين: قال العلامة الحلي أعلى الله مقامه: «عذاب القبر والصراط والميزان والحساب وإنطاق الجوارح وتطايير الكتب، وأحوال الجنة والنار أمور ممكنة، والله تعالى قادر على جميع الممكنات وقد أخبر الصادق

إلّا بثبوتها فتكون واقعة».

وفي تفسير الجامع لأحكام القرآن قال: قلت: فتضمنت السورة - سورة التكاثر - القول في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب «التذكرة» أن الإيمان به واجب والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وإن الله تعالى يحيى العبد المكلف في قبره برّد الحياة إليه و يجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسئل عنه، وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له في قبره من كرامة وهوان وهذا مذهب أهل السنة والذين عليه الجماعة من أهل الملة.

وفي نظرية التكليف: ومن الآيات التي يستدل القاضي - عبد الجبار المتكلم - بها على ثبوته - عذاب القبر - قوله تعالى: «ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» فالإماتة والإحياء لا يكونان مرتين إلّا بتصور مرحلة القبر وعذابه، ومن الأحاديث استدل بها روى من أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير كان أحدهما يمشى بالنسيمة والآخر لا يستنزه من البول، أمّا عن كيفية حصول عذاب القبر فإن رأى القاضي مستمد من نظريته في التكليف أيضاً فهو يخالف من يقول: إن أهل القبور يعذبون وهم موتى، ويرى أن الله إذا أراد تعذيبهم فلا بد أن يحييهم أو لا لأن تعذيب الجماد لا يتصور.

وثانياً لأنه لا يصح أن يعذبوا وهم يظنون الظلم بهم، ولذلك فقد وجب ليس فقط أن يحييهم، وإنما يخلق فيهم العقل مرة أخرى حتى لا يعتقدوا أنهم مظلومين لأن العقل هو الذي يتعلق بحقيقة التكليف، أمّا كيف يكون هذا العذاب؟ وكيف يكون سؤال منكر ونكير؟ فإن الطريق إليه السمع فقط، وأمّا وقته فلا سبيل إلى تحديده تماماً، وإن كان أقرب إلى وقت الوفاة، وأمّا فائدته فإنه نوع من اللطف بالمكلفين لأن المكلف إذا علم أنه إذا أقدم على القبائح عذب في القبر ثم في نار جهنم

كان أولى إلى أن يعتبر ويفعل الواجب المكلف به.

وفي شرح ابن أبي الحديد : قال : «واعلم أن لقاضي القضاة في كتاب (طبقات المعتزلة) في باب «القبر وسؤال منكرو نكير» كلاماً أنا أوردتها هنا بعضه ، قال : إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو ولما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة ، وليس الأمر كذلك ، بل المعتزلة رجلان : أحدهما يجوز عذاب القبر ولا يقطع به و هم الأقلون و الآخر يقطع على ذلك وهم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه ، وإنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهمية إنهم يعدون وهم موتى لأن العقل يمنع من ذلك ، وإذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته ، ولما يدفن يعلمون أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك ولا يألم ولا يلتذ ، فكيف يجوز عليه ذلك و هو ميت في قبره ! وما روى من أن الموتى يسمعون لا يصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم ، وقوى حاسة سمعهم ، فسمعوا و هم أحياء.

قال : وأنكر أيضاً مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائماً في كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك في الجملة ، فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه ، ولذلك لسنا نوقت في التعذيب وقتاً ، وإن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن وإن كان لا نعينها بأعيانها.

هكذا قال قاضي القضاة والذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخوا قبل قاضي القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبرين النفختين ، ثم إن قاضي القضاة سئل نفسه فقال : إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة فكيف يعذب في القبر في أيام الدنيا ؟ وأجاب بأن القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح كما فعل في تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها ، فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار.

ثم سئل نفسه فقال : إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف ، فكيف يقولون : يكون ذلك من مصالحه ؟ و أجاب بأننا لم نقل : إن ذلك من مصالحه وهو ميت ، وإنما نقول : إنه مصلحة أن نعلم في الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذا تصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصي وقد يجوز أن يكون ذلك لطفاً للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب.

- إلى أن قال :- وروى في المسئلة في القبر أخبار كثيرة وكل ذلك مما لا يفتح فيه ، بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين ، فلا يصح المنع عنه وجملة الأمر : أن كل ما ثبت من ذلك بالتواتر والإجماع وليس بمستحيل في القدرة ، ولا فيح في الحكمة يجب القول به.

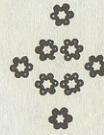
وفي دعاء الليلة الأولى من شهر رجب المرجب - : «اللهم إني أعوذ بك من العذيلة عند الموت ، ومن شر المرجع في القبور ومن الندامة يوم الآزفة ...»

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي - : «إلهي إن عفوت فمن أولى منك بالعفو ، وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم ، إرحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي ، وفي القبر وحدتي ، وفي اللحد وحشتي ...» الدعاء.

وفي أدعية الصباح والمساء - : «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن ضغطة القبر ومن ضيق القبر ...» الدعاء.

وفي مناجات الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قال : «إلهي ارحم غربتنا إذا تضرعنا بطون لحدودنا وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا ، و اضجعنا على الإيمان في قبورنا ، و خلفنا فرادى في أضياع المضاجع ، و صرعتنا المنايا في أنكر المصارع ، و صرنا في ديار قوم كأنها مأهولة وهي منهم بلاقع - إلهي كيف نفرح بصحبة الدنيا صدودنا ؟ وكيف تلتئم في عمرانها امودنا ؟ وكيف يخلص

فيها سرورنا؟ وكيف يملكننا باللهو واللعب غرورنا؟ وقد دعنا باقتراب
 آجالنا قبورنا - إلهي كأنني بنفسي قد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها
 المشيعون من عشيرتها وناداه من شفير القبر ذو مودتها ورحمها المعادي لها
 في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين إليها ذلك فافتها، ولا على من قد
 رآها توسدت الثرى عجز حيلتها - يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي، ويا
 ثاني كل وحيد إرحم في القبر وحدتي...



﴿ كلمات قصار حول القبر ﴾

غرد حكم ودرر كلم في المقام نشير إلى نبذة منها:

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
« فأوفق أيتها السامع من غفلتك، واختصر من عجلتك، واشدد أزرك، وخذ حذرک، و
اذکر قبرک فإنّ عليه ممرک »

٢- وقال عليه السلام أيضاً: « نعم الصّهر القبر »

٣- وقال عليه السلام أيضاً - خطاباً لعباد الله - : « فكيف بكم لو تنهايت الأمور و
بعثت القبور وحصل ما في الصدور »

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « كن في الدنيا كأنك غريب و كأنك عابر سبيل
وعد نفسك في أصحاب القبور »

٥- وقال صلى الله عليه وآله: « لا يعذب أحد في قبره إلاّ باحدي ثلاث: الغيبة و النسيمة

و البول »

٦- وقال صلى الله عليه وآله - وعلي الباب السادس من أبواب الجنة - مكتوب: « لا إله
إلاّ الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله من أحبّ أن يكون قبره واسعاً فليأت المساجد،
من أحبّ أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، من أحبّ أن
لا يظلم لحدّه فلينور المساجد، من أحبّ أن يبقى طرياً تحت الأرض فليشتر بسط
المساجد »

٧- وقال صلى الله عليه وآله: « ومن مشى في نسيمة بين إنثين سلط الله عليه في قبره ناراً

تحرقه إلى يوم القيامة، وإذا خرج من قبره سلط الله عليه تنيناً اسود ينهش لحمه حتى يدخل النار»

٨- وقال ﷺ: «يا أباذر كن في الدنيا كأنك غريب و كعابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور (من أصحاب القبورخ)»

٩- وقال ﷺ: «أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره، والذي يتبعه إلى محشره فعله»

١٠- قال رجل: يا رسول الله صلى الله عليك! من أزهّد الناس؟ قال: من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من أهل القبور»

١١- وقال ﷺ: «الأرب مسرور مقبور ولا يشعر بأكل ويشرب ويضحك وحق له من الله أن سيصلى السعير»

١٢- وقال ﷺ: «رثوا الماء على القبر رشاً، ولا تطيّنوه من غير طينه»

١٣- وقال ﷺ: «ضغطة القبر للمؤمن تكفير لما كان من تضييع النعم»

١٤- وقال ﷺ: «المبطلون لا يعذب في قبره»

١٥- وقال الإمام علي عليه السلام: «إذا وضع الميت في قبره إعطوره نيران أربع: فتجبيء الصلاة فتطفيء واحدة، وتجبيء الصّوم فيطفيء واحدة، وتجبيء الصدقة فتطفيء واحدة، وتجبيء العلم فيطفيء الرابعة، ويقول: لو أدركت كتهن لأطفأتهن كلهن فقر عينا فأنا معك ولن ترى بؤساً»

١٦- وقال عليه السلام أيضاً: «القبر خير من الفقر»

١٧- وقال عليه السلام: «السجن أحد القبرين»

١٨- وقال عليه السلام: «الإحتمال قبر العيوب»

١٩- وقال عليه السلام: «ولو أن مقبوراً من الأموات قيل له: هذه الدنيا أو لها إلى آخرها تخلفها لولدك الذي لم يكن لك هم غيرهم أو يوم نردّه إليك، فتعمل فيه

لنفسك لاختار يوماً يستعقب فيه من سييء ما أسلف على جميع الدنيا يورثها ولده خلفه فما يمنعك أيها المغتر المضطر المؤتلف أن تعمل على مهل قبل حلول الأجل، وما يجعل المقبور أشد تعظيماً لما في يديك منك، ألا تسعى في تحرير رقبته، وفك كرقته، ورفاء نفسك من النار التي عليها ملائكة غلاظ شداد»

٢٠- وقال عليه السلام: في الطغاة الجبابرة -: «واستبدلوا بالقصور المشيئة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المستندة في القبور اللاطية الملحدة التي قديت الخراب فناءها، وشيد التراب بناءها، فمحلها مقرب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون كتواصل الحيران والإخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم بكلكلة البلى، فأكلهم الجنادل والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحاب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات: «كلا» إنها كلمة هوقائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» وكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى، والوحدة في دار الموتى وارتفعت ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع»

قوله عليه السلام: «النمارق»: جمع النمرقة وهي الوسادة، و«اللاطية»: الملتصقة بالأرض، و«بكلكلة»: بصدرة و«غضارة»: نعمة وسعة.

٢١- وقال رسول الله ﷺ: «إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا إخوانه أني أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي، إن عدو الله خدعني فأوردني ثم لم يصدرني وأقسم لي إنه ناصح لي فغشني، وأشكو إليكم ذنباً غرتني حتى إذا اطمانت إليها صرعتي...»

٢٢- وقال ﷺ: «ما رأيت منظراً إلا رأيت القبر أفضح منه»

﴿ النعيم والسؤال عن الولاية ﴾

قال الله تعالى: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم، التكاثر: ٨).
وقد وردت روايات عديدة عن الطريقين : أن المراد بالنعيم في الآية
الكريمة هو الولاية لأمر المؤمنين مولى الموحددين إمام المتقين علي بن أبي طالب
عليه السلام تسأل عنها الأمة الإسلامية يوم القيامة، فنشير إلى ما يسهل مقام الاختصار :
في تفسير روح المعاني للآلوسي : ومن رواية العياشي أن أبا عبد الله
عليه السلام قال لأبي حنيفة في الآية: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» : ما النعيم عندك
يا نعمان؟ فقال: القوت من الطعام والماء البارد فقال أبو عبد الله عليه السلام: لئن أوفقت
الله تعالى بين يديه حتى يسئلك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطو لن
وقوفك بين يديه، فقال أبو حنيفة : فما النعيم؟ قال: نحن أهل البيت النعيم أنعم
الله تعالى بنا على العباد وبنا إيتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألفت الله تعالى بين
قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة
التي لا تنقطع، والله تعالى سألهم عن حق النعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو
محمد وعترته عليه وآله وسلم .

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي عن أبي نعيم الحافظ بسنده عن
جعفر الصادق رضي الله عنه في هذه الآية قال: النعيم ولاية أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه.

وفيه : عن الحاكم البيهقي عن إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب قال :
 كنا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما قال له بعض الفقهاء : إن
 النعيم في هذه الآية هو الماء البارد فقال له بارتفاع صوته : كذا فسرتموه أنتم و
 جعلتموه على ضرب ، فقالت طائفة : هو الماء البارد وقال آخرون : هو النوم وقال
 غيرهم : هو الطعام الطيب ، ولقد حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام إذ أقوا
 لكم هذه ذكرت عنده فغضب وقال : إن الله عز وجل لا يسئل عباده عما تفضل
 عليهم به ، ولا يمن بذلك عليهم ، وهو مستقبح من المخلوقين كيف يضاف إلى الخالق
 جلت عظمته ما لا يرضى للمخلوقين ، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا يسئل
 الله عنه بعد التوحيد ونبوته رسوله ﷺ لأن العبد إذا وافى بذلك أداه إلى نعيم
 الجنة الذي لا يزول .

وفيه : قال ابن موسى : لقد حدثني أبي جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه
 علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال
 رسول الله ﷺ يا علي ! إن أول ما يسئل عنه العبد بعد موته : شهادة أن لا إله
 إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك ، فمن
 أقر بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار ، وقد
 سبقت نبذة منها في البحث الروائي فراجع .

وأما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الإمامية الاثني عشرية الحققة فكثيرة
 لا يسعها المقام فمنها :

في الكافي : باسناده عن أبي حمزة قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة
 فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذادة و طيباً ، وادينا بتمر تنظر فيه أو جهنا
 من صفائه و حسنه ، فقال رجل : لتسئلن عن هذا النعيم الذي تنعمتم به عند
 ابن رسول الله ﷺ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عز وجل أكرم وأجل أن

يطعم طعاماً فيسوّغكموه ثم يسئلكم عنه، إنّما يسئلكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد ﷺ.

وفيه : باسناده عن أبي خالد الكلبى قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالفداء فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً أطيب منه قط ولا ألطف، فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد! كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك ما أكلت طعاماً أطيب منه قط ولا أنظف (الطف خ) ولكن ذكرت الآية التي في كتاب الله عز وجل: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم»، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما يسئلكم عما أنعم عليه من الحق.

وفى البحار: عن كنز جامع الفوائد عن الشيخ المفيد أعلى الله مقامه باسناده إلى محمد بن السائب الكلبى قال: لما قدم الصادق عليه السلام العراق نزل الحيرة فدخل عليه أبو حنيفة وسئله عن مسائل وكان مما سئله أن قال له: جعلت فداك ما الأمر بالمعروف؟ فقال عليه السلام: المعروف يا أبا حنيفة! المعروف في أهل السماء المعروف في أهل الأرض، وذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جعلت فداك فما المنكر؟ قال: اللذان ظلما حقّه وابتزّاه أمره - أي استلباه قهراً - وحملوا الناس على كتفه، قال: ألا هو أن ترى الرجل على معاصي الله فتنهاها عنها؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذاك أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إنّما ذاك خير قدّمه.

قال أبو حنيفة: أخبرني جعلت فداك عن قول الله عز وجل: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: فما هو عندك يا أبا حنيفة؟ قال: الأمن في السرب و صحة البدن والقوت الحاضر فقال: يا أبا حنيفة لئن وفقك الله أو أوفقك يوم القيامة حتّى يسئلك عن كل أكلة أكلتها، وشربة شربتها ليطوّلن وقوفك، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: النعيم نحن الذين أنقذ الله الناس بنامن الضلالة: وبصرهم بنامن العمى، وعلمهم بنامن الجهل. قال: جعلت فداك فكيف كان القرآن

جديداً أبداً؟ قال: لأنه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الأيتام، ولو كان كذلك لفنى القرآن قبل فناء العالم.

وفيه: قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «وجدت بخط بعض الأفاضل نقلاً من خط الشهيد رفع الله درجته قال: قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: جئت إلى حجام بمنى ليحلق رأسي فقال: أدن ميامنك واستقبل القبلة، وسم الله فتعلمت منه ثلاث خصال لم تكن عندي، فقلت له: مملوك أنت أم حر؟ فقال: مملوك قلت: لمن؟ قال: لجعفر بن محمد العلوي عليه السلام قلت: أشاهد هو أم غائب؟ قال: شاهد فصرت إلى بابه، واستأذنت عليه، فحجبني وجاء قوم من أهل الكوفة، فاستأذنوا فأذن لهم، فدخلت معهم فلما صرت عنده قلت له: يا بن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة، فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فأنني تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم فقال: لا يقبلون مني.

فقلت: ومن لا يقبل منك وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أنت ممن لم تقبل مني، دخلت داري بغير إذني، وجلست بغير أمري، وتكلمت بغير رأيي، وقد بلغني أنك تقول بالقياس، قلت: نعم به أقول قال: ويحك يا نعمان أول من قاس الله تعالى إبليس حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام و قال: خلقتني من نار و خلقته من طين، أيتما أكبر يا نعمان القتل أو الزنا؟ قلت: القتل قال: فلم جعل الله في القتل شاهدين، وفي الزنا أربعة؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا.

قال: فأيتما أكبر البول أو المنى؟ قلت: البول قال: فلم أمر الله في البول بالوضوء وفي المنى بالغسل؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا قال: فأيتما أكبر الصلاة أو الصيام؟ قلت: الصلاة قال: فلم وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا قال: فأيتما أضعف المرأة أم الرجل؟ قلت: المرأة قال: فلم جعل الله تعالى في الميراث للرجل سهمين وللمرأة سهماً؟ أينقاس

لك هذا؟ قلت: لا قال: فلم يحكم الله تعالى فيمن سرق عشرة دراهم بالقطع وإذا قطع رجل، يد رجل فعلية ديتهما خمسة آلاف درهم؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا. قال: وقد بلغني أنك تفسر آية في كتاب الله وهي: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» انه الطعام الطيب، والماء البارد في اليوم الصائف؟ قلت: نعم قال له: دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيباً، وأسفاك ماءً بارداً ثم إمتن عليك به ما كنت تنسبه إليه؟ قلت: إلى البخل قال: أفيبخل الله تعالى؟ قلت: فما هو؟ قال: حبنا أهل البيت.

وفى تفسير البرهان: بالإسناد عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبا بكر مني لبمنزلة السمع، وإن عمر مني لبمنزلة البصر، وإن عثمان مني لبمنزلة الفؤاد فقال: فلما كان من الغد دخلت عليه وعنده أمير المؤمنين عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان، فقلت له: يا أبت سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولاً فما هو؟ فقال ﷺ: نعم ثم أشار إليهم، فقال: هم السمع والبصر والفؤاد وسيستلون عن ولاية وصيتي هذا، وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ثم قال: إن الله عز وجل يقول (قال خ): «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً» ثم قال: وعزة ربي أن جميع امتي لموقوفون يوم القيامة، ومسئولون عن ولايته عليه السلام وذلك قول الله عز وجل: «وقفوهم انهم مسئولون». ومن المعلوم والبداهة: عقلاً وشرعاً: أن الناس كلهم يستلون يوم القيامة عن الدين، ومن البيت: أن السؤال عن الدين هو سؤال عن الرسول ﷺ.

قال الله تعالى: «فلنسئلن الذين أرسل إليهم» (الأعراف: ٦).

وقال: «فاستمسك بالذي ادحي إليك أنك على صراط مستقيم وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» (الزخرف: ٤٣ - ٤٤).

وإن السؤال عن الرسول ﷺ هو سؤال عن وصيته من بعده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الذين إفترض الله طاعتهم وأناط كمال الدين

والرسالة وإتمام النعمة على الولاية العلوية إن قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته ، المائدة : ٣ - ٦٧) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، النساء : ٥٩) و مما لامرأ فيه والمتيقن والمتعيق : أن أولي الأمر هم أهل بيت الوحي المعصومون الاثنى عشر إماماً أو لهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر حجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين فأوجب الله عز وجل إتباعهم في السلوك إلى الله تعالى الذي طريقه استعمال نعمه جل وعلا على ما بيّنه الرسول وأهل بيته المعصومون عليهم السلام .

و ان السؤال عن النعيم ليس سؤالاً عنها بما أنها خبز أو تمر أو ماء بارد وما إليها ، أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل أو لسان و ما إليها من القوى الظاهرة والباطنة متصلها أو منفصلها من النعم ، وإنما يسئل عنها بما أنها نعمة خلقها الله تعالى للإنسان ، وأوقعها في طريق كماله وسعادته ، في طريق خيره وصلاحه ، في طريق عزته وفلاحه ، وفي طريق نجاته وسيادته . . . بيّنه الدين الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و نصب لبيانه إثنى عشر إماماً من أهل بيته كلهم معصومون صلوات الله عليهم أجمعين ، فمرجع السؤال عن النعيم هو السؤال عن العمل بالدين في كل حركة وسكون ، وفي تقدمته هو الولاية لأهل بيت النبوة عليهم السلام .

قال الله تعالى : « فوبرك لنسئلتهم أجمعين عما كانوا يعملون » الحجر :

(٩٢ - ٩٣) .

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية و لم يناد بشيء كما نوذي بالولاية .

وفيه: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن... الحديث.

وفيه: باسناده عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم القدير. وفي الفقيه: عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ قلنا: الله ورسوله وإبن رسوله عليه السلام أعلم فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله عز وجل بغير ولا يتنالم ينفعه ذلك شيئاً.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمار بن موسى الساباطي - في حديث - : قال الصادق عليه السلام: إن أول ما يسئل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجته، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل منه شيئاً من أعماله.

وفي الجامع لاحاديث الشيعة: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: أنه قال: لا يقبل الله عملاً لعبد إلا بولايتنا فمن لم يوالنا كان من أهل هذه الآية: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً».

وفي جامع الأخبار: روى عن الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام قال: مر أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقبر معه فرأى رجلاً قائماً يصلي فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً أحسن صلاة من هذا فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه يا قبر

فوالله لرجل على يقين من ولايتنا أهل البيت خير ممن له عبادة ألف سنة ، و لو عبداً عبداً لله ألف سنة لا يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت ، ولو أن عبداً عبداً لله ألف سنة وجاء بعمل اثنين وسبعين نبياً ما يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت وإلا أكبه الله على منخرجه في نار جهنم .

وفي تفسير البرهان : بالإسناد عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله : « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » قال : نحن النعيم ، وفي قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » قال : نحن الحبل .

وفيه : بالإسناد عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : « لتسئلن يومئذ عن النعيم » قال : تسئل هذه الأمة عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته عليهم السلام .
وفي الاحتجاج : - في حديث طويل - عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيه : « وألزمهم الحجّة بأن خاطبهم خطاباً يدل على إنفراده و توحيده وبأن لهم أولياء تجري أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله فهم العباد المكرمون وهم النعيم الذي يسئل عنه ، إن الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم ، قال السائل : من هؤلاء الحجج ؟ قال : هم رسول الله عليه السلام ومن حل محلّه من أصفياء الله الذين قال : « فأينما تولوا فثم وجه الله » الذين قرنهم الله بنفسه ، و برسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه .

وفي التهذيب : - في الدعاء بعد صلاة الغدير - بالإسناد عن الصادق عليه السلام : « اللهم و كما كان من شأنك يا صادق الوعد ، يامن لا يخلف الميعاد ، يامن هو كل يوم في شأن ، إن أنعمت علينا بموالاته أوليائك المسئول عنها عبادك فانك قلت وقولك الحق : « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » وقلت : « وقفوهم انهم مسئولون » .

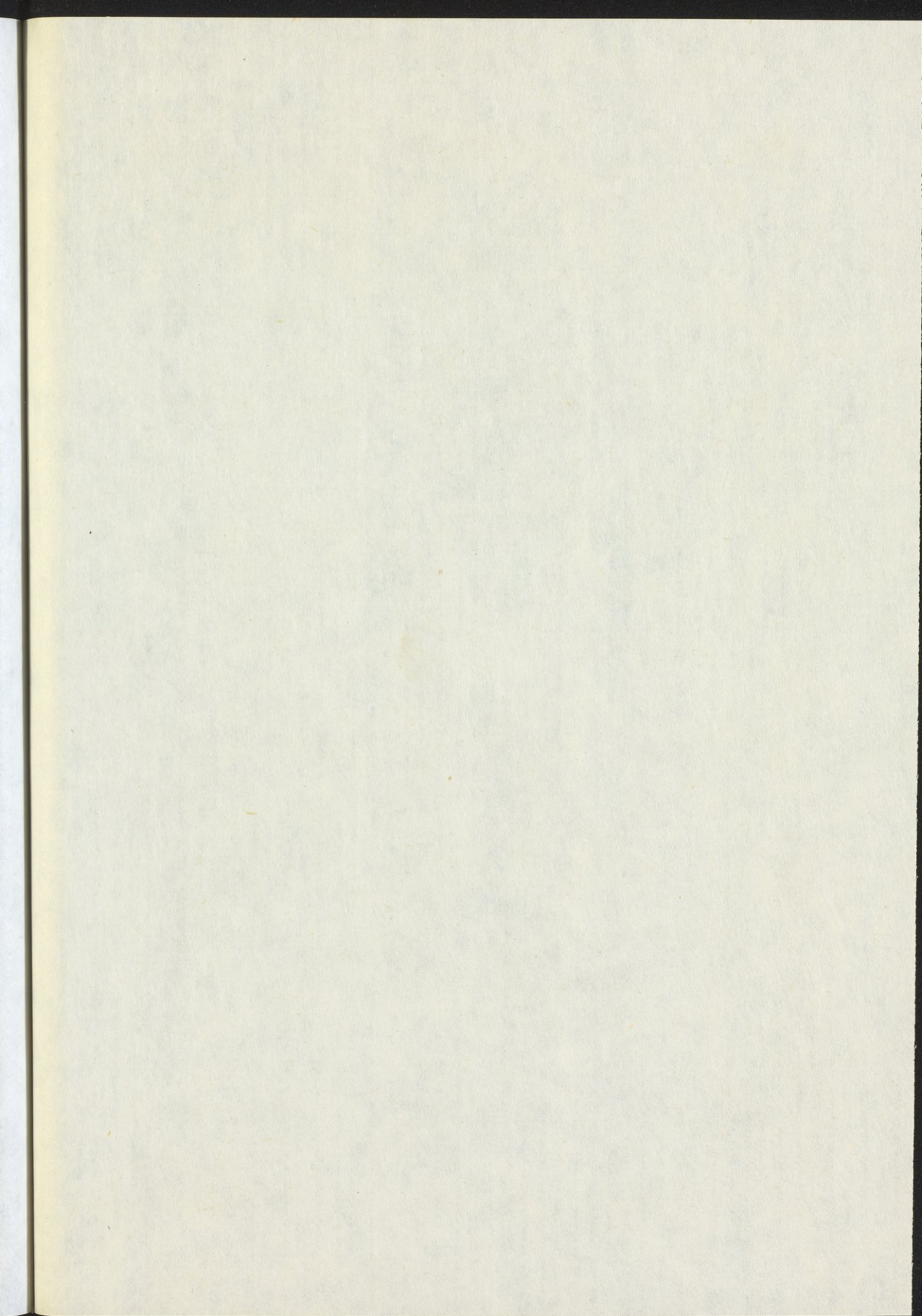
وفي نور الثقلين : بالإسناد عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « لتسئلن يومئذ عن النعيم » قال : إن الله أكرم أن يسئل مؤمناً عن أكمله

و شربه .

وفيه: عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهن: طعام يأكله وثوب يلبسه وزدجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه .
وفى الكافي: مرفوعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يسئل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته و زكاته و حجته و صيامه و ولايته إيتانا أهل البيت ، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع ، ما دخل فيكن من نقص فملي تمامه .

أقول: ونختم بحث السورة بذكر ما قال الشاعر ونعم ما قال وأنا أقول معه :
مواهب الله عندي جاوزت أمني و ليس يبلغها قولي و لا عملي
لكن أفضلها عندي و أجملها ولايتي لأمر المؤمنين علي

تمت سورة التكاثر
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين



نزلت بعد سورة الانشراح

سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثٌ لَيْكٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ «والعصر» في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّه، قريراً عينه حتى يدخل الجنة.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع إلا أن فيه «قريرة» بدل «قريراً» والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين.

وذلك أن من قرأها في نوافله متدبراً فيها، وعلم أن الكمال الانساني يبتني على أركان أربعة: الايمان وصالح العمل، والسلوك في طريق الحق والثبات عليه، وعلم أن التجارة الرابعة والعاقبة السعيدة لاشقوة فيها إلا في حفظ تلك الأركان كلها، وأن فيما سوى ذلك ليس إلا خسراناً مبيناً، فاجتنب عنه، فلا يجد في نفسه ريبة فيما تحويه الرواية.

قال الله تعالى: «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» المائدة: ٦٩

وقال: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» آل عمران: ٢٠٠

وقال: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن

طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم» الصف: ١٠-١٢)

وقال: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨ و ٣٩)

وقال: «قل هل ننبتكم بالآخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٤-١٠٥)
وفى المجمع: في حديث أبي: ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة.

وفى تفسير البرهان: روى عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ هذه السورة كتب الله له عشر حسنات، وختم له بخير وكان من أصحاب الحق، وإن قرأت على ما يدفن تحت الأرض أو يخزن حفظه الله إلى أن يخرج صاحبه.
وفيه: وقال رسول الله ﷺ: من أدام قرائتها ختم الله له بالخير وكان من أصحاب الحق، وإن قرئت على ما يخزن حفظه الله إلى أن يرجع إلى صاحبه.
وفيه: وقال الصادق عليه السلام: إذا قرأت على ما يدفن حفظه باذن الله ووكل به من يحرسه إلى أن يخرج صاحبه.

أقول: وفي الروايات الأربع الأخيرة ما لا يخفى على من له الدراية، من غير تناف بين ما تحتويه الروايات وبين مضمين السورة، ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما ورد في تلك الروايات والله جل وعلا هو أعلم.

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة تحديد طريق الكمال والسعادة الإنسانية والمجتمع البشري بالايمان والعمل الصالح، وقيام الجماعة المسلمة متضامّة على حراسة الحق، مزودة بزيادة التقوى، والثبات على ذلك كله، وإطلاق عنان الخسران فيما سوى ذلك، وإن هذه السورة تنطوي خلاصة جميع معارف القرآن الكريم ومقاصده، ومبادئ عامّة محكمة من مبادئ الدعوة السماوية بأوجزيان، فانّها مع قصرها جاءت بأسلوب حاسم قوى لتهدف بالناس كافة: أن لا فلاح ولا نجاح ولا صلاح لهم إلا في الايمان وصالح الأعمال، والتواصي بالحق والصبر والثبات على ذلك.

ومن ثم كان الرجال من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا يتعهدان على هذا الدستور الإلهي يتعهدان على الايمان والعمل الصالح، يتعهدان على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، يتعهدان على أنهما حارسان بهذا الدستور، ويتعهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة اخرجت على هذا الدستور، وأنهم خيرامة ماداموا على هذا التعاهد وانحطّوا وذلّوا إذا تركوه، ولعمري لو أن الناس تدبّروا في هذه السورة لو سعتهم، فهي على وجازتها خلاصة هدف الدعوة الإسلامية الموجهة إلى الإنسانية جمعاء، وفيها تبشير في الدعوة بكل ما فيه جماع الخير وسعادة الدارين من رحمة ومكرمة، وفيها إنذار الخسر وتبعة الخسران على كل من ينحرف عن هذا السبيل.

وقد قيل: لو لم ينزل من القرآن سوى هذه السورة لكفت الناس.

﴿النزول﴾

سورة «العصر» مكّية، نزلت بعد سورة «الإنشراح» وقبل سورة «العاديات» وهي السورة الثالثة عشر نزولاً، والثالثة والمائة مصحفاً، وتشتمل على ثلاث آيات، سبقت عليها ٢٧٧ آية نزولاً، و ٦١٧٦ آية مصحفاً على التحقيق، وتشتمل على ١٤ كلمة، و ٦٨ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في الدر المنثور: أخرجه الطبراني في الأوسط و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي مليكة الداري وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحابه عليه السلام إذا التقيا لم يتفردا فاحتسبوا أحدهما على الآخر سورة «العصر» ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وفي تفسير الميرزا: وقد كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفردا فاحتسبوا أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر ليذكر كل واحد صاحبه بما يجب أن يكون عليه.

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي: أن الرجلين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفردا إلا بعد أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وفي الاحتجاج: بإسناده إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام عن النبي ﷺ - في حديث الغدير - قال ﷺ: معاشر الناس ذرّية كل نبي من صلبه و ذرّيتي من صلب علي عليه السلام معاشر الناس! إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا

تحسدوه فتحبط أعمالكم ، و تزل أقدم امكم فان آدم أهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة ، و هو صفوة الله عز وجل ، و كيف بكم وأنتم أنتم و منكم أعداء الله ، انه لا ينفذ علياً إلا شقي ، ولا يتوالى علياً إلا تقي ، ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص ، وفي علي عليه السلام نزلت سورة والعصر : « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . وفي الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : « والعصر إن الإنسان لفي خسر » يعني أبا جهل بن هشام « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ذكر علياً وسلمان .

رواه الآلوسي في (روح المعاني) وإبن عيسى الاربلي في (كشف الغمة) وغيرهم .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبي امامة قال : حدثني أبي بن كعب قال : قرأت على النبي ﷺ : « والعصر إن الإنسان لفي خسر » أبو جهل بن هشام « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » علي بن أبي طالب .

وفيه : باسناده عن أبي امامة : عن أبي بن كعب قال : قرأت على رسول الله ﷺ : « والعصر إن الإنسان لفي خسر » فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما تفسيرها ؟ فقال : « والعصر » قسم من الله ، أقسم ربكم في آخر النهار إن الإنسان لفي خسر و هو أبو جهل .

و في البحار : عن أبي بن كعب نزلت « والعصر » في أمير المؤمنين عليه السلام و أعدائه بيانه : « إلا الذين آمنوا » لقوله : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » الآية و قوله : « وعملوا الصالحات » لقوله تعالى : « و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة » و قوله : « وتواصوا بالحق » لقوله ﷺ : « الحق مع علي » و علي مع الحق ، « وتواصوا بالصبر » لقوله : « والصابرين في البأساء والضراء »

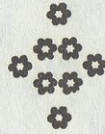
و حين البأس .

وفي كشف الغمة: عن ابن مردويه في قوله تعالى : « والمصر إن الإنسان
 لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » عن ابن عباس: « إن الإنسان لفى
 خسر » يعني أباجهل « إلا الذين آمنوا » علي عليه السلام و سلمان « وتواصوا بالصبر » عن
 ابن عباس انها نزلت في علي عليه السلام .



﴿الوقف والوصل﴾

«والعصر لا» لجواب القسم، و «لفي خسر لا» مكان الإستثناء التالي.



﴿ اللغة ﴾

٥٠- العصر - ١٠١٥

عصر يعصر عصراً - من باب ضرب - : ضغط الشيء بقوة حتى يتحلب مائه أو دهنه، وعصر العنب ونحوه: إستخرج مائه، وعصر الثوب: إستخرج ماء بليته، وعصر الدم: إستخرج مدته وعصر الر كض الفرس: عرفه، وعصر البارح العيدان: أبيضها، وعصر الشيء عنه: منعه، وعصر فلاناً: أعطاه العطية، وعصر فلاناً: حبسه، يقال: فلان عاصر: ممسك أو قليل الخير، جائني فلان عصراً: بطيئاً.

العصر: إستخراج الشيء بالضغط قال الله عز وجل "حكاية عن المسجون: «إني أراني أعصر خمراً» يوسف: ٣٦).

وقال: «عام فيه يفاث الناس وفيه يعصرون» يوسف: ٤٩) أي يستغلون في غير ضائقة.

وقيل: أي يستنبطون منه الخير. وقيل: أي يعصرون العنب والزيتون. وقيل: أي يحلبون الضروع.

الحسنى من المادة هو القوة في صورة ضغطها، ومن هذه القوة يكون العصر - مثلثة العين وسكون الصاد وضمتهما معاً - : الدهر، والعصران: الليل والنهار والعصران: الغداة والعشي، ويطلق على كل منها العصر، وعلى صلاة الفجر وصلاة العصر، وفي الحديث: «حافظ على العصرين» يريد صلاة الفجر وصلاة

العصر، سمّاها العصرين لأنّهما يقعان في طرفي العصرين وهما الليل والنهار. قيل: والأشبه أنّه من باب التغليب، فعُلب أحد الإسمين على الآخر. وقد جاء تفسيرهما في الحديث: «قيل: وما العصران؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها».

وفي الحديث قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ذكّرهم بأيّام الله واجلس لهم العصرين» أي بكرة وعشياً. كالقمرين للشمس والقمر. وجمع العصر: أعصر وعصور.

وقد ورد من المادة الزمن في قوله تعالى: «والعصر» (العصر: ١) ومنه عصر الدهر فأنّه الوقت الذي يمكن فيه قتل الأمور كما يقتل الثوب، وقد أقسم الله تعالى بالدهر لأنّ فيه عبرة لاولي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار. وقد قالوا بقوة الدهر حين، قالوا: «وما يهلكنا إلا الدهر» (الجاثية: ٢٤) وحدثوا عن جذب الليالي وإفنائها للناس، ومن هذا قالوا: ضغط شيء بقوة حتّى يتحلّب مائه أو دهنه: عصر له، والعواصر: ثلاثة أحجار يعصر بها العنب.

ومن القوة الضاغطة دفعا الإعصار: الريح الشديدة التي تسمّى الزوبعة. قال الله تعالى: «فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت» (البقرة: ٢٦٦) أي الريح الشديدة التي ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنّها عمود يقال بالفارسيّة: «گردباد» يقال: «إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصار» مثل بضرب للممدل بنفسه إذا صلى بنا من هو أدهى منه وأشدّ، ويقال: وعده إعصار ليس بعد إعصار أي لا وفاء له، والإعصار الأول: الزوبعة، والثاني مصدر أعصر القوم إذا أمطروا. وقيل: الإعصار: ريح تثير سحباً ذات رعد وبرق.

المعصر: الذي يجعل فيه الشيء فيعصر حتّى يتحلّب مائه، والمعصر: المعصر: ريح تثير سحباً ذات رعد وبرق. جواد عند المسئلة، والمعصر والمعصرة - بكسر

المليم وسكون العين وفتح الصاد -: ما يعصر فيه العنب ، وموضع العصر جمعهما : معاصر .

والمعصرات: السحاب تنزل المطر وتعصر الماء، وأعصر - مبنياً للمفعول -: الناس امطروا. قال الله عز وجل: «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً» (النبا: ١٤) أي السحاب التي تنزل المطر. وقيل: التي تأتي بالإعصار.

ومن صورة القوة الضاغطة: الاستمساك القوي بالشيء، والتعلق به، يقال: له إعصار أي إلتجاء ويقال: اعتصرت بفلان: إلتجأت إليه واستمسكت به.

والعصر - متحرّكة -: الملبجأ والمنجاة ، وتفتقر ع عن ذلك معان واضحة الإتصال.

والعصرة - بالضم -: المنجاة ، والعصرة - فعلة -: المرّة وشجرة كبيرة، والعصرة - محرّكة -: فوحة الطيب والغبار، ويقال: مرت ولذيلها عصرة: غبرة من كثرة الطيب ، والعصرة: المنجاة كقوله: «ولقد كان عصرة المنجود» أي ملجأه ، والعصرة: الدنية - بكسر الدال وسكون النون - يقال: هؤلاء موالينا عصرة أي دنية دون سواهم : والعصرة: منع البنت من التزويج ، ويقال: بل مطرثيا به حتّى صارت عصرة أي كادت أن تعصر ، ويقال: أخذ عصرة العطاء أي ثوابه .

والعصر: الرهط والعشيرة يقال: تولّى عصرك: رهطك وعشيرتك، وقيل: عصر الرجل: عصبته. والعصر - محرّكة -: جبل بين المدينة وادي الفرع وعنده مسجد صلى به النبي ﷺ وفي حديث خير: «سلك رسول الله ﷺ في مسيره إليها على عصر» .

العاصر - إسم فاعل - جمعه: عاصرون وعصرة ، وعاصرة جمعها: عاصرات وعواصر والعاصر والعصور: الوالد الذي يعتصر ويعصر من مال ولده شيئاً بغير إذنه.

والعصار - كشدّاد - للمبالغة: الملك والملجأ، والعصار - بالكسر و التخفيف - : الغبار الشديد والحين ، يقال : جاء فلان على عصار من الدهر أي حين. والعصار - بالضم - : ماتحلب مما عصر، والعصار - بالضم - : ماتحلب من الشيء المعصور وما بقي من الثفل بعد العصر وهو نفاية ما يعصر، يقال: رجل كريم العصار: أي جواد عند المسئلة، ويقال: اشتفّ عصاراً أرضي: أخذ غلتها، وعصاره الشيء خلاصته، وعصاره أهل النار: ما يسيل عنهم من الدّم والقيح.

وعصر - من باب التفعيل - : عصره مرّة بعد أخرى، وعصرت المرأة: بلغت شبابها وقيل: ادركت، وقيل: زاهقت العشرين، وقيل: ولدت، والمعصر - كمعظم - : المرأة التي حاضت ودخلت في عصر شبابها، ومنه الحديث: «إن رجلاً من مواليك تزوّج جارية معصراً» قيل: سميت المرأة معصراً لانعصار دم حيضها وتزول ماء تربيته للجماع. وعصر الزرع: نبتت إكمام سنبله، والمعصر - كمكروم - : الملجأ والمنجاة. والأعصار في الجارية كالمراقة في الغلام.

أعصر - من باب الأفعال - الرجل : دخل في العصر فهو معصر ، جمعه : معاصر و معاصير و أعصر الريح : جئت بالأعصار ، و أعصر - مجهولاً - القوم : امطروا، ويقال: «ما بينهما عصر ولا يصر ولا أعصر ولا أصر» أي ما بينهما مودة ولا قرابة.

و عاصره معاصرة : كان في عصره و لا ذبه ، و يقال : فلان معاصر فلان : كان يعيش في زمانه و كان من أقرانه في العلوم و الفنون. و تعاصرا: جمعهما عصر واحد.

إعصر العطية : إرجعها، واعتصر بالماء: ما غصّ به من الطعام: شربه قليلاً قليلاً ليسيفه كقولهم: «كنت كالغصن بالماء إعصاري» واعتصر على فلان: بخل عليه ، واعتصر بفلان : إلتجأ إليه و لا ذبه. والمعصر: من يريد أن يضرب الغائط أي قاضي الحاجة ، وعليه الحديث : «أمر بلالاً أن يؤذن قبل الفجر ليعتصر

معتصرهم» هو الذي يحتاج إلى الفائط ليتأهب للصلاة قبل دخول وقتها وهو من العصر - بفتح العين وسكون الصاد - أو من العصر - محرّكة - : وهو الملجأ والمستخفى. والمعتصر - إسم مفعول - الهرم، ويقال: «رجل منيع المعتصر وكريم المعتصر»: منيع الملجأ جواد عند المسئلة.

العنصر: الأصل والنسب، والجمع: العناصر ومنه حديث وصف أهل بيت الوحي من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «أنتم عناصر الأبرار» ومنه: «لا يخالطه - يعني النبي ﷺ - في عنصره سفاح» يعني زنا. وفي الحديث: «خشن عنصره غلظ كبده».

تعصّر - مطاوع -: عصّر يقال: عصّره فتعصّر وبه إلتجأ، وتعصّر الرجل: بكى وبمعنى تعصّر بالسين المهملة. يقال: هذا أمر تعصّرت به الشبيبة أي تقضي عليه زمن الشباب.

٦٦ - الانسان - ٦٦

أنس الشيء وبه وإليه يأنس أنساً وأنسة - من باب علم وكرم وضرب -: ألفه وألف به وإليه، وسكن قلبه به، ولم ينفر منه، ضدّ توحّش. الإنسان: إسم جنس يطلق على الذكر والانثى، وعلى الواحد والجمع من بني آدم.

وفي اشتقاقه ثلاثة أقوال: أحدها - إن أصل الإنسان إنسيان لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره: انيسيان، فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره إلا أنهم حذفوها لما كثر في كلامهم، وقد سمى إنساناً لنسيانه ما يقع عليه من الامور بعد أيام غالباً. ثانيها - أنّه مشتقّ من اليناس وهو الإبصار والعلم والاحساس لو قوفه على الأشياء بطريق العلم، ووصوله إليها بطريق الرؤية وإدراكه بوسيلة

الحواس. ثالثها - إشتقاقه من النوس وهو التحرك، وقد سمى إنساناً لتحركه في الامور العظام وتصرفه في الاحوال المختلفة وانواع المصالح...

وقد جاء لفظ الإنسان في القرآن الكريم لاحد وعشرين معنى أكثرها على طريق النزول وبيان المصاديق:

أحدها - اريد به الجنس فيشمل لآدم وحواء عليهما السلام وبنيهما كلهم كقوله عز وجل: «والعصر إن الإنسان لفسى خس...» (العصر: ١-٣) وقوله: «وكل إنسان أئزمناء طائرته في عنقه» (الاسراء: ١٣).

ثانيها - اريد به آدم أبو البشر كقوله تعالى: «بدأ خلق الإنسان من طين» (السجدة: ٧).

ثالثها - اريد به بنو آدم عليهم السلام كقوله سبحانه: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً» (الإنسان: ٢).

رابعها - اريد به أبو طالب عليه السلام على قول كقوله عز وجل: «فلينظر الإنسان مم خلق» (الطارق: ٥) بناء على نزول السورة في أبي طالب عليه السلام.

خامسها - اريد به هشام بن المغيرة أو وليد بن المغيرة على إختلاف كقوله تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» (التين: ٤) وقوله: «وإذا مس الإنسان ضرّاً دعا لجنبه» (يونس: ١٢) أي هشام بن المغيرة.

سادسها - اريد به امية بن خلف كقوله سبحانه: «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه...» (الفجر: ١٥ و ١٦) وقوله جلّ وعلا: «يومئذ يتذكر الإنسان أنسى له الذكرى» (الفجر: ٢٣).

سابعها - اريد به قرظ بن عبد الله بن عمرو أبو حباب كقوله سبحانه: «إن الإنسان لربه لكنود» (العاديات: ٦).

ثامنها: اريد به عتبة بن أبي لهب كقوله عز وجل: «قتل الإنسان ما أكفره» (عبس: ١٧).

تاسعها - اريد به أبو جهل كقوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفُورٌ» استغنى «العلق: ٦ و ٧».

عاشرها - اريد به ابي بن خلف الجمحي كقوله سبحانه: «أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا» مريم: ٦٧ وقوله: «أَوْ لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَاذًا هُوَ خَصِيمٌ مَّبِينٌ» يس: ٧٧.

الحادي عشر: اريد به عدي بن الربيعه كقوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ» القيامة: ٣.

الثاني عشر: اريد به عتبة بن الربيعه كقوله عز وجل: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ» الاسراء: ٨٣ وقوله: «وَلْتُنْزِلْ عَلَيْنَا لَآئِكًا مِّنْ أَمْرٍ» هود: ٩.

الثالث عشر: اريد به نصر بن الحارث كقوله سبحانه: «وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» الاسراء: ١١.

الرابع عشر: اريد به عبدالرحمن بن أبي بكر كقوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا» الأحقاف: ١٥.

الخامس عشر: اريد به برصيصاء العابد كقوله سبحانه: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ» الحشر: ١٦.

السادس عشر: اريد به سعد بن أبي وقاص كقوله عز وجل: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» لقمان: ١٤.

السابع عشر: اريد به بديل بن ورقاء كقوله سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفُورٌ» الحج: ٦٦.

الثامن عشر: اريد به أخنس بن شريق كقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا» المعارج: ١٩.

التاسع عشر: اريد به اسيد بن خلف كقوله جل وعلا: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا

غرك بربك الكريم، الانفطار: ٦)

العشرون : اريد به كلداء بن اسيد كقوله سبحانه : «لقد خلقنا الإنسان في كبد» (البلد: ٤)

الحادي والعشرون: اريد به عقبة بن أبي معيط كقوله تعالى: «وكان الشيطان للإنسان خذولاً» الفرقان: ٢٩)

ولا يخفى على القاريء الخيران أكثر ذلك على ما ورد في النزول والإنطباع وذكرا المصديق من غير تناف بينه وبين إرادة العموم لمن سلك مسالك المصديق ، حيث ان النزول لا يكون مخصصاً إذا لم يكن المورد خاصاً .

وقد اطلق الإنسان في الروايات ولغة العرب على معان اخر :

الانسان: ظلّ الإنسان، وظلّ الجبل، ورأس الجبل، والأرض التي لم تزرع، والانسان: المثلال يرى في سواد العين، وإنسان العين: ناظرها، والإنسان: الأتملة، و إنسان السيف والهمم : حدّهما. جمعه: أناسي وأناسية وآناس بالمد. والإنسانية: ما اختصّ به الإنسان من المحامد من نحو الجودة وكرم الأخلاق...

وإنسيّ القدم : ما أقبل عليها ، و وحشيّتها ما أدبر منها ، وإنسيّ الإنسان والدابة: جانبهما الأيسر، وقيل: الأيمن، وإنسيّ القوس: ما أقبل عليك منها ، و قيل: إنسيّ القوس ما ولي الرامي ووحشيّتها ما ولي الصيد، والإنسي من الدواب هو الجانب الأيسر الذي منه يركب ويحتلب، وهو من الآدمي: الجانب الذي يلي الرجل الاخرى، والوحشي من الانسان : الجانب الذي يلي الأرض، والإنسيّ: الأيسر من كلّ شيء ، وقيل: الأيمن، وكلّ إثنيين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسيّ وما أدبر عنه فهو وحشيّ .

الإنس: الناس، الواحد: إنسيّ وأنسى قال الله تعالى: «فيومئذ لا يسئلكم عن ذنبه إنس ولا جان» الرحمن: ٣٩) وقال: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» الذاريات : ٥٦) والإنس: خلاف الجن سميّ إنساً لظهورهم وكذلك الانسان سميّ إنساناً

لظهوره. وجمع الإنس: اناس وجمع الانسي: أناسي مثل كرسي وكراسي .
 قال الله تعالى: «يوم ندعوا كل اناس بامامهم» الاسراء: (٧١)
 وقال: «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً» الفرقان: (٤٩)
 الأناس: الجماعة من الناس و يسمون الانسيين لأنهم يؤنسون أي يرون
 كما أن الجن سمّي جنّاً لأنه مستور عن الرؤية.
 الأنس جمع الجنس يكون بطرح ياء النسبة مثل رومي وروم، ويجوز أن
 يكون أناسي جمع إنسان، فيكون الياء بدلاً من النون لأن الأصل اناسين بالنون
 مثل سراحين جمع سرحان، فلما القيت النون من آخره عوضت النون بالياء.
 الأنس - محرّكة - : من تأنّس به جمعه: آناس لفة في الإنس ، والأنس :
 أهل المحل ، والأنس - محرّكة - : الجماعة الكثيرة من الناس تقول: رأيت بمكان
 كذا وكذا أنساً كثيراً أي ناساً كثيراً، والأنس: الحي المقيمون.
 إنسك وإبن إنسك أي كيف نفسك، ويقال: فلان إبن إنس فلان: صفيته وأنيسته
 وخاصته، ويقال: فلان إبن إنسك: صفيك وأليفك وحليفك. وتقول العرب للرجل:
 كيف ترى إبن إنسك: إذا خاطبت الرجل عن نفسك. والإنس: الطمأنينة.
 الأنس - بالضم - : الألفة وضدّ الوحشة ، والانسي: خلاف الوحشي .
 وفي الحديث: «إن أوحشتم الغربة انسهم ذكرك» أي سرّهم ذكرك. والأنس:
 حديث النساء ومؤانستهن. الإنسي: المنسوب إلى الانس.
 قال الله تعالى: «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً»
 مريم: (٢٦)

الأنوس: الكثير الأنس ، ومن الكلاب : ضدّ العقور ، كلب أنوس : ضدّ
 العقور .

الأنسة: الطيبة النفس جمعها أدانس، والأنيس: الحليف والصفي والأليف
 وخاصة الإنسان، والأنيس: كل مأنوس به، ويقال: «ما بالدار من أنيس» أي أحد،

والأنيس: الديك.

المؤمنات: السلاح كله قال الشاعر:

ولكنني أجمع المؤمنات
إذا ما استخف الرجال الحديد
يعنى أنه يقاتل بجميع السلاح، وقد سماها بالمؤمنات لأنهن يؤنسهن
فيؤمنته أو يحسن ظنه، وقد كانت العرب القدماء تسمى يوم الخميس مؤنساً
لأنهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذ. وقال ابن عباس: قال لي علي عليه السلام: «إن الله
تبارك وتعالى خلق الفردوس يوم الخميس وسمّاها مؤنساً».

آنسه يؤنسه ويؤنسه إيناساً: لطفه وألفه، وأنس الصوت: سمعه وأحس
وترفق به، وأنس الشيء يؤنس: أدركه وأحسّه ببصره أو علمه، والإيناس: خلاف
الايحاش، والإيناس: الرؤية والعلم واليقين والمعرفة، والإدراك والإحساس بالشيء.
قال الله تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا»
القصص: ٢٩) أي أحس وأبصر.

وقال: «فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم» النساء: ٦) أي
أدر كتم وعلمتم ووجدتم فيهم رشداً. ومنه حديث ابن عباس: «حتى يؤنس منه
الرشد» أي يعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف. وفي حديث هاجر
وإسماعيل عليهما السلام: «فلما جاء إسماعيل عليه السلام كأنه آنس شيئاً» أي أبصر ورأى شيئاً
لم يعهده، ومنه حديث ابن مسعود: «كان إذا دخل داره إستانس وتكلم» أي
إستعلم وتبصر قبل الدخول، ومنه الحديث: «ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من
بعدايناسها» أي انتهائست مما كانت تعرفه وتدركه من إستراق السمع ببعنة النبي
الكريم صلى الله عليه وسلم.

إستانس: ذهب توحشه، واستأنس به وإليه: أنس به وإليه، والإستانس:
التأنس.

قال الله عز وجل: «لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على

أهلها» (النور: ٢٧) أي حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل اجيز لكم الدخول أم لا؟ قد تكون من الإستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن إستأنس فهو من باب الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الإستئناس يردف الازن، فوضع موضع الازن، وقد تكون من الإستئناس الذي هو الإستعلام والإستكشاف إستفعال من آنس الشيء أبصره ظاهره أمكشوفاً، والمعنى: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا.

قال الله تعالى: «فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث» (الأحزاب: ٥٣) أي ولا متحدّين بعد فراغكم من أكل الطعام، ايناساً ممن بعضهم لبعض لأجل حديث يحدثه به.

وفي الخبر: «يا رسول الله ما استئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبير» ويتنحج ويؤذن أهل البيت.

إستأنس الوحشي: أحسّ إنسياً. وتأنّس: صار إنساناً وضدّ توحش، وتأنّس السبع: أحسّ بالفريسة من بعد، المتأنّس: الأسد وقيل: الذي يحسّ الفريسة من بعد.

في المفردات: الإنسان قيل: سمّي بذلك لأنه خلق خلقه لاقوام له إلا بأنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع من حيث لاقوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمّي لأنه يأنس بكل ما يألفه، وقيل: هو إفعالان وأصله: إنسيان سمّي بذلك لأنه عهد إليه فنسي.

وفي المجمع: الإيناس: الرؤية والعلم والإحساس بالشيء قال ابن الأعرابي: وبهذا سمّي الإنس لأنهم يؤنسون أي يرون بأنسان العين. واختلف في اشتقاق الإنسان مع إتفاقهم على زيادة النون الأخيرة، فقال البصريون: من الإنس والهمزة أصلية وزنه فعلان، وقال الكوفيون: مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة، وزنه

افعال على النقص، و الأصل أنسيان على أفعلان، ولهذا يرد إلى أصله مع التصغير فيقال: أنسيان.

وأنس بن مالك صحابي قال له علي عليه السلام ذات يوم وقد كان بعثه إلى طلحة و الزبير ملتحاً إلى البصرة: يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما ، فلوى عن ذلك فقال: إني آنست ذلك الأمر فقال علي عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضر بك الله بيضاء لامعة لا توارىها العمامة» يعني البرص فأصاب أنس هذا الداء في وجهه فكان لا يرى فيما بعد إلا متبرقعاً.

وفي النهاية: «أنه صلى الله عليه وآله نهى عن الخمر الانسية يوم خيبر» يعني التي تألف البيوت والمشهور فيها كسر الهمزة، منسوبة إلى الانس وهم بنو آدم، الواحد إنسي.

وفيه: «لو أطاع الله الناس لم يكن ناس» قيل: معناه: إن الناس إنما يحبون أن يولد لهم الذكران دون الاناث، ولو لم تكن الاناث ذهبت الناس، ومعنى أطاع: إستجاب دعائهم. وفي حديث ابن صياد: «قال النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم: إنطلقوا بنا إلى انسيان قدرابنا شأنه» هو تصغير إنسان جاء شاذاً على غير قياس، وقياس تصغيره انسيان.

وفي اللسان: جارية آنسة: إذا كانت طيبة النفس، تحب قربك وحديثك و جمعها: آنسات وأوانس، وما به أنيس أي أحد والانس - بضم الألف والنون - : الجمع.

وفي القاموس: وشرحه: للانسان خمسة معان: الأنملة، وظل الإنسان، و رأس الجبل، والأرض التي لم تزرع، والمثال الذي يرى في سواد العين، ويقال له: إنسان العين.

٢٥- الخسر والخسران - ٤١٣

خسر فلان يخسر خسرأ - بضم الخاء وفتحها مع سكون السين و - خسر - متحر - كة - وخساراً وخسارة وخسراناً - من باب علم - : أصابه نقص أو ضياع في نفسه أو فيما ينسب إليه من أهله وماله وما يتعلق به فهو خاسر وهي خاسرة، وخسر التاجر في بيعه: وضع في تجارته أو غبن، وخسر الميزان: نقصه، وخسر المال: ضيعه. الخسر - بالضم - : ضد الربح، والخسران في البيع: إنتقاص رأس المال، وهذا في كل شيء ما يناسبه.

قال الله عز وجل: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» (العصر: ١-٢) ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين.

قال الله جل وعلا: «ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» (البقرة: ١٢١) وقال: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه - اولئك هم الخاسرون» (البقرة: ٢٧)

وقال: «وخسر هنالك المبطلون - وخسر هنالك الكافرون» غافر: ٢٨-٨٥) أي تبين لهم خسرانهم لما رأوا العذاب وإلا فهم كانوا خاسرين في كل وقت. وخسر فلان نفسه وأهله وماله يخسرها خسرأ - بالضم - فسكون - : أضاعها وأهلكها، فلم ينتفع بها.

قال الله تعالى: «وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» (الحج: ١١) أي أضاعها وأهلكها فلم ينتفع بها. وقال: «الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون» (الأنعام: ١٢) أي أضاعوها

و أهلكوها فلم ينتفعوا بها .

وقال : « و من يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً »
النساء : ١١٩) أي أصابه النقص أو الضياع .

و خسر فلان : ضلّ و هلك . والخاسرة : الضاعف من الناس و صفارهم ،
والخاسرة : أهل الخيانة والفدر واللؤم ، و تجارة خاسرة و تجارة رابحة ، و من لم
يؤمن بالله ولم يطمع فهو خاسر . والخسر - بالضم - : العقوبة بالذنب .

أخسر الميزان أو المكيال : أدخل عليهما النقص ، فهو مخسر و هم مخسرون .
قال الله تعالى : « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » الرحمن : ٩ .
وقال : « أو فوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين » الشعراء : ١٨١) .
يجوز أن يكون الإخسار فيهما إشارة إلى تحريثي العدالة في الوزن والكيل ،
وترك الحيف فيما يتعاطاه فيهما ، وأن يكون إشارة إلى تعاطي ما لا يكون به ميزانه
في القيامة خاسراً ، فيكون ممن قال تعالى فيه : « فمن خفت موازينه » الأعراف : ٩)
و كلا المعنيين يتلازمان . و خسر فلان : ضلّ و هلك .

و إن أكثر الخسران الذي ذكر في القرآن الكريم فهو على هذا المعنى
الآخر دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية . و أخسر
فلاناً : أضرمه ، نقيض أربحه ، وأخسر الرجل نفسه : وقع في الخسران .

أفعل التفضيل : أخسر أي أكثر خسراناً و هم الأخسرون .

قال الله عز وجل : « لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون » هود : ٢٢) .
وقال : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً » الكهف : ١٠٣) .

روى عن الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام : « انها في الدين يتمادون
بحجج الإسلام يسوفونه » ومعنى الأخسرين أعمالاً : الناقصين الأعمال من أخسرتهم :
نقصته .

والخسر : ذهاب رأس المال تماماً أو إنتقاصه ، وقد ينسب إلى عمر الإنسان

فيقال : خسر فلان في عمره بأن لم يحصل لنفسه في حياته سعادة بالايمن و صالح العمل ، وقد ينسب إلى فعله ، فيقال : خسر فلان في تجارته أي لم يربح فيها أو ذهب رأس ماله أو انتقص .

خسره تخسيراً : جعله يخسر ، وخسره سوء عمله : أهلكه .

قال الله تعالى : « فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدوني غير تخسير » (هود : ٦٣) أي ما تزيدوني إن اتبعتمكم إلا تخسيراً أو كلما دعوتكم إلى هدى إزددتم تكذيباً فزادت خسارتكم .

في المفردات : الخسر والخسران : إنتقاص رأس المال و ينسب ذلك إلى الإنسان ، فيقال : خسر فلان و إلى الفعل ، خسرت تجارته . قال تعالى : « تلك إذا كرت خاسرة » أي غير نافعة .

و في اللسان : الخسار والخسارة والخيسرى : الضلال والهلاك والياء فيه زيادة .

و في القاموس و شرحه : الخاسرة : الضعاف من الناس و صفارهم ، والخاسرة : أهل الخيانة والغدر واللؤم . و ان سلم بن عمرو ابن عطاء بن زبان الحميري قدم بغداد و مدح المهدي والهادي والبرامكة و لقبه الخاسر ، و إنما قيل له : ذلك لأنه باع مصحفاً و اشترى بثمانه ديوان شعر أبي نواس ، و قيل : اشترى بثمانه عود لهو .

وقيل : لأنه حصلت له أموال كثيرة فبذرها وأتلفها في معاشره إدبار الفتيان .

٧٨ - العمل - ١٠٤٣

عمل الرجل يعمل عملاً - من باب علم - : مهن و صنع و فعل .

العمل : ما يفعله الإنسان بقصد ، فيفترق عن الفعل ، فإن الفعل قديكون

بقصد وبغيره ، وإن الفعل قد ينسب إلى الجماد و قلما ينسب إليه العمل ، وإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح ، وعمل لما كان مع إمتداد زمان نحو يعملون له ما يشاء ، وفعل بخلافه نحو : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » والعمل لا يقال إلا فيما كان عن فكر و رويّة ، ولهذا قرن بالعلم ، والفعل أعم من العمل . قال الله تعالى : « إلا الذين آمنوا و عملوا الصّالحات » (العصر : ٣) .

والعمل يقال في الصّالح والسيّئ ، و عمل على كذا أي تولّاه واستعمله على كذا : ولّاه ، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم : البقر العوامل ، وفي الحديث : « ليس في العوامل شيء » يعني زكاة « إنّما الزكاة على السائمة » والعوامل : جمع عاملة وهي التي يستقى عليها ويحرق وتستعمل في الاشغال وهذا الحكم مطرد في الإبل ، عوامل الدابة : قوائمها ، والعوامل : بقر الحرق والدياسة . والعوامل : الأرجل .

العامل : الذي يتولى أمر نفسه في العبادة والعمل الصالح ، والعامل : الذي يعمل بمقتضى علمه ، فيقال : فلان عالم عامل .

قال الله تعالى : « أني لا اضيع عمل عامل منكم » (آل عمران : ١٩٥) .
العامل هو الذي يتولّى امور الرجل في ماله وملكه ، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة : عامل .

قال الله تعالى : « والعاملين عليها » (التوبة : ٦٠) أي وهم السعاة والجباة الذين يأخذون الصدقات من أربابها ويحفظونها ، ويتولّون عليها حتى يؤدّوها إلى من يقسمها .

والعامل : عامل السلطان ، والعامل : كل من يعمل بيده في طين وبناء ونحوه جمعه : عمّال و عاملون وعملة ، وفي إصطلاح أرباب السياسة العامل هو الرئيس والوالي ، ومن تولّى إيالاته وحرفته ، وعامل الرمح : مايلي السنان . والعاملة : مؤنث العامل ، جمعها : عاملات وعوامل .

وجمع العمل : الأعمال ، وأعمال البلد : ما يكون تحت حكمها ، و يضاف إليها ويقال : « بعلبك من أعمال دمشق » .

يقال : فلان ابن عمل : رجل قوي عليه ، ويقال لمشاة اليمن : بنو عمل ، وبنو عمل : المشاة على أرجلهم من المسافرين ، و رجل عمل : ذو عمل أو مطبوع عليه ، وجمع عمل : سريع ، و برق عمل : دائم ، وعملت الناقة باذنيها : أسرعت ، و منه حديث الاسراء والبراق : « فعملت بأذنيها » أي أسرعت لأنها إذا أسرعت حرّكت أذنيها لشدة السير ، و منه حديث لقمان : « يعمل الناقة والساق » أخبر أنه قوي على السير راكباً و ماشياً ، فهو يجمع بين الأمرين و أنه حاذق بالركوب والمشي .

و بنو عاملة بن سبا : حيّ باليمن نسبوا إلى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة ، و عاملة أيضاً : جبل بالشام . وعملت الناقة : كانت عملة ، وعملت الكلمة في الكلمة : أحدثت فيها نوعاً من الإعراب ، و عمل لفلان على البلد : كان عاملاً له ، و عمل على الصدقة : سعى في جمعها .

أعمله : جعله عاملاً ، و أعمل الكلمة في الكلمة : جعلها تعمل فيها ، و أعمل آله و رأيه : عمل به ، و أعمل الرمح : طعن بعامله ، و أعمل فلان ذهنه في كذا و كذا : إذا دبّره بفهمه ، و أعمل رأيه و آله و لسانه و استعمله : عمل به .

العمالة - بالفتح - : عمل الناقة و نجابتها ، و - بالضم - والكسر - : أجر العامل و رزقه ، و منه الحديث : « أجرنا عليه العمالة » ومثله : « عليّ ^{عليه السلام} اعتق فيروزاً و عياضاً و رباحاً و عليهم عمالة كذا و كذا » .

والعملة - بالفتح - : المرأة و السرقة أو الخيانة ، و لا تستعمل إلا في الشرّ ، و - بالكسر - : هيئة العمل ، و ما عمل به ، و باطنة الرجل في الشرّ و أجر العمل ، و - بالضم - : أجر العمل و عمل به ، و العملين - بكسر العين و الميم و تشديد اللام - : بالغ في أذاه و عمله به و استقصى في شتمه .

العمال - فعال - للمبالغة في العامل ، والعمول : ذو العمل الكثير ، وقيل : المطبوع عليه ، و رجل عمول : إذا كان كسوباً ، والعملة - بكسر العين وسكون الميم - : حالة العمل ، و رجل خبيث العملة : إذا كان خبيث الكسب ، و عملة الرجل : باطنه في الشر خاصة ، والعملة - محرّكة - : القوم يعملون بأيديهم ضرراً من العمل في طين أو حفر أو غيره . والمعمل : موضع العمل ، جمعه : معامل ، والمعمل : إسم ملك لبني هاشم بوادي بيشة ، وطريق معمل أي لحب مسلوكة .

المعمول من الشراب : ما فيه اللبن والعسل ، واليعملة : الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ، والجمل يعمل ، و لا يوصف بهما إنما هما إسمان والياء فيهما زائدة جمعهما : يعملات ويعامل . يقال : ناقة يعملة ونوق يعملات ويعامل . ويوم يعملة : من أيام حروب العرب .

عمّل فلاناً يعمّله تعميلاً : أعطاه العمالة ، و عمّله على البلد : ولّاه عمله ، و عمّل - مجهولاً - فلان عليهم : أمر عليهم ، والتعميل : تولية العمل .

عامله يعامله معاملة : ساهمه بعمل . والمعاملة عند أهل الأمصار يراد بها التصرف من البيع ونحوه ، والمعاملات : الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا باعتبار بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها .

إعتمل الرجل : عمل عملاً متعلقاً بنفسه ، يقال : فلان يعتمل لنفسه ، ويستعمل غيره و اعتمل فلان : إضطرب في العمل .

إستعمله : جعله عاملاً ، وسئله أن يعمل ، واستعمل آله و رأيه : عمل به واستعمل الثوب ونحوه : أعمله فيما يعدّ له . والماء المستعمل : المعمول به ، ومنه الحديث : « لا تتوضأ بالماء المستعمل » .

تعمّل فلان لكذا : تكلف العمل كقوله : « فلم تعمّل للسيادة فيهم » وتعمّل في حاجات الناس ، ومن أجل فلان : تعنّى واجتهد .

في النهاية : في حديث خبير : « دفع إليهم أرضهم على أن يعتملوها من

أموالهم « الإعتماد : إفتعال من العمل أي إنهم يقومون بما تحتاج إليه من عمارة و زراعة و تلقيح و حراسة ونحو ذلك .

وفي المجمع : في الدعاء : « أعوذ بك من شر ما عملت و من شر ما لم أعمل » ومعنى إستعاذته وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مما لم يعمل على وجهين : أحدهما - أن لا يتلى به في مستقبل عمره . والثاني : أن لا يتداخله العجب في ترك ذلك و لا يراه من قوة به ، وصبر وعزيمة منه بل من فضل ربّه ، فإن المعصوم من عصمه الله .
وفي الحديث : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » .

وفي اللسان : العمل : المهنة والفعل ، والمعاملة : المساقاة .

وفي تاج العروس : العمل : حركة البدن بكّله أو بعضه ، و ربّما اطلق على حركة النفس فهو إحداث أمر قولاً كان أو فعلاً بالجراحة أو القلب ، لكن الاسبق للفهم إختصاصه بالجراحة ، و خصّه البعض بما لا يكون قولاً ، و نوقش بأن تخصيص الفعل به أولى من حيث إستعمالهما متقابلين ، فيقال : الأقوال والأفعال ، وقيل : القول لا يسمّى عملاً عرفاً ، ولهذا يعطف عليه فمن حلف لا يعمل فقال : لم يحنث ، وقيل : التحقيق أنّه لا يدخل في العمل والفعل إلّا مجازاً .

وفي الفروق اللغوية : « الفرق بين الفعل والعمل : أن العمل ايجاد الأثر في الشيء ، يقال : فلان يعمل الطين خزفاً ، ويعمل الخوص زنبيلاً ، والأديم سقاءً ، ولا يقال : يفعل ذلك لأنّ فعل ذلك الشيء هو ايجاده على ما ذكرناه و قال الله تعالى : « والله خلقكم و ما تعملون » أي خلقكم و خلق ما تؤثرون فيه بنحتكم إيّاه أو صوغكم له و قال البلخي رحمه الله تعالى : من الأفعال ما يقع في علاج و تعب وإحتيال ولا يقال للفعل الواحد : عمل ، وعنده أن الصفة لله بالعمل مجاز ، وعند أبي رحمه الله أنّها حقيقة ، وأصل العمل في اللغة الدؤوب و منه سميت الراحلة بعملية و قال الشاعر :

وقالوا قف و لا تعجل وإن كنا على عجل

قليل في هواك اليو م ما تلقى من العمل
أي من الدؤوب في السير وقال غيره: «والبرق يحدث شوقاً كلما عملاً».
ويقال: عمل الرجل يعمل واعتمل إذا عمل بنفسه وأنشد الخليل:
إن الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوماً على من يتكل
قوله: «الدؤوب»: الجدة والتعب والاستمرار على السير.

٣٩- الصلح والصلاح و الصالح - ٨٦٩

صلح الشيء يصلح صلاحاً و صلاحاً و صلوحاً و صلاحية - من باب منع و
نصر -: ضد فسد أو زال عنه الفساد و صلحت حال فلان و صلح الرجل في عمله :
لزم الصلاح.

وفي الدعاء: «إجعل دعائي آخره صلاحاً» هو من الصلاح الذي هو ضد الفساد
وفي الدعاء أيضاً: «إجعل أول نهاري صلاحاً وأوسطه نجاحاً و آخره فلاحاً» أي
صلاحاً في ديننا بأن يصدر منّا ما ننخرط به في الصالحين، ثم إذا اشتغلنا بقضاء
إربنا في دنيانا لما هو صلاح في ديننا فأنجحها، واجعل خاتمة أمرنا بالفوز بطلابنا
مما هو سبب دخول الجنة.

وقد ورد صلح يصلح صلوحاً - من باب كرم -: خلاف فسد شاذاً. والوصف
منه: صليح والصليح: الصالح أيضاً جمعه صلحاء و صلوح - بضم الصاد فيهما، و
فتح لام الاولى وضم لام الثانية - والصلاحية: حالة يكون بها الشيء صالحاً، و
الصلوح: الصالح، يقال: قوم صلوح: متصالحون كأنهم صفوا بالمصدر. وهو صالح
للولاية: له أهلية للقيام بها.

الصالح: ضد الفاسد، والقائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى،
يقال: هو صالح لكذا أي أهلية القيام له، واستعملوا الصالح بمعنى الكثير فقالوا:

مطرة صالحة أي كثيرة، ويقال : كان حظّ صالح من الأدب: وافر ويقال: إئتني صالحة من فلان أي نعمة وافرة أو حسنة أو نحوها ، والصّالح بمعنى المناسب ، فقالوا: هذا يصلح لك أي من بابتك، وبمعنى تقديم الشيء الحسن، فقالوا : أصلح إلى الدابة : إذا أحسن إليها وتعهدّها.

واختصّ الصّالح بمعنى إزالة النفاق بين الناس، وقد اصطلحوا وصالحوا واصلحوا وتصلحوا واصلاحوا وهم صلوح أي متصلحون، وأصلح بينهم وصالحهم مصالحةً وصلاحاً والصّالح: السلم وهو اسم من المصالحة، يذكّر ويؤنث، يقال: وقع الصّالح ووقعت الصّالح، ومنه «صلح الحديبية».

وفي الحديث: «الصّالح جائز بين المسلمين إلّا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً» أراد بالصّالح : التراضي بين المتنازعين لأنّه عقد شرع لقطع المنازعة ، و له في الفقه شروط تطلب منه.

وقال بعض الأفاضل: أنفع العقود الصّالح لعموم فائدته فانه عند فائدة سائر عقود المعاديات من البيع والإجارة والعارية ونحو ذلك ويصحّ على ما في الذمّة من غير عوض لأنّه ليس من شرطه حصول العوض، وإنّما شرع لقطع المنازعة ، و يجوز مع الإقرار والإنكار خلافاً لأبي حنيفة فانه لا يجيزه مع الإنكار وللشافعي فانه لا يجوزه مع الإقرار.

ويصحّ الصّالح أيضاً مع علم المصطلحين بما وقعت عليه المنازعة ، قيل: ومع جهاتهما في الدين والعين، واشترط بعضهم العلم بالعوض والمعوض إذا كانا عييناً أو عيناً عما في الذمّة مع إمكان العلم بهما و لو كانا جاهلين صحّ ، و لو كان أحدهما عالماً والآخر جاهلاً اشترط إعلام الجاهل بقدر ما يصلح عليه، فلو صالحه بغير إعلامه لم يصحّ لما فيه من الغرر و لأنّه ربما إذا علم بقدره لم يرض بالعوض.

وفي الكافي : بإسناده عن عليّ بن أبي حمزة قال : « قلت لأبي الحسن

عليه السلام : رجل يهودي أو نصراني كان له عندي أربعة آلاف درهم فهلك أيجوز لي أن أصالح ورثته ولا أعلمهم كم كان ؟ قال : لا يجوز حتى تخبرهم ، وفيه دلالة على هذا الشرط .

قال الله تعالى : « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير » (النساء : ١٢٨) أي من الفرقة والنشوز والإعراض وسوء العشرة أو الصلح خير من الخصومة . وأصلح بين القوم : وفق . وصالح القوم : اصطلحوا بمعنى .

وقال : « وإصلاح بين الناس » (النساء : ١١٤) وهو التآليف بينهم بالمودة .

وقال : « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » (الأعراف : ٥٦) .

وقال : « والله يعلم المفسد من المصلح » (البقرة : ٢٢٠) المفسد يصاد الله تعالى في فعله فانه يفسد والله تعالى يتحرى في جميع أفعاله الصلاح فهو إذا لا يصلح عمله .

المصلحة : ما يترتب على الفعل ، ويبعث على الصلاح يقال : رأى الإمام المصلحة في ذلك أي هو ما يحمل على الصلاح ، ومنه سمي ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه مصلحة ، جمعها : مصالح ، يقال : فلان من أهل المفساد لا المصالح ، وقد يقال : فلان أهل المصالح لا المفساد . وقد يقال : في الأمر مصلحة : أي خير .

إن الصالح قد يوصف به العامل وهو الذي يؤدي فرائض الله جل وعلا و حقوق نفسه وحقوق الناس . قال الله تعالى : « إن الأرض يرثها عبادي الصالحون » (الأنبياء : ١٠٥) .

وقال : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » (النور : ٣٢) .

كما يوصف به العمل وهو الذي يحسن في الدين وإيجاباً كان أم مستحجباً، عبادة أم غيرها.

قال الله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (العصر: ٣).

وقال: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (فاطر: ٤٠).

وقال: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» (الكهف: ١١٠).

وأصلح الشيء: أزال ما فيه من فساد، وأصلحه: ضدّ أفسده وبعد فساد: أقامه، وقد جاء من الثلاثي فعلاً ووصفاً بهذا المعنى كقوله تعالى: «جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ» (الرعد: ٢٣) وقوله: «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ» (التوبة: ١٢٠).

وورد من المزيد في معنى الصلاح: ضدّ الفساد كقوله عزّ وجل: «فَمَنْ تَابَ بَعْدَ ظَلْمِهِ وَأَصْلَحَ» (المائدة: ٣٩).

وأصلح إليه: أحسن إليه، وفي الدعاء: «وأصلح دنياي وآخرتي» أي إجعل الدنيا كفاية وحلالاً وكن لي معيناً على الطاعة، وإصلاح المعاد باللفظ والتوفيق لذلك.

وفي الحديث: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس» وذلك لأنّ التقوى صلاح لقوتي الشهوة والغضب اللذين فسادهما مبدأ الفساد بين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه لأنّ الدنيا المطلوبة لمن أصلح أمر آخرته سهلة تكفلت بها العناية الإلهية باصلاحها، ولأنّ مصلح أمر آخرته معامل للخلق بمكارم الأخلاق وذلك مستلزم لصلاح دنياه. وأصلح الله المؤمن: أي فعل تعالى بعبده ما فيه الصلاح والنفع، وأصلحك الله: وفقك لصلاح دينك والعمل بفرائضه وأداء حقوقه. وفي الحديث: «يوم الجمعة يوم صالح» أي صالح للعمل لتضاعف الحسنات فيه.

العبد الصالح يراد به اسكندر ذو القرنين، وإذا ذكر في الحديث يراد به

أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وفي الحديث : « إذا ضللت الطريق فناد: يا صالح أرشدنا إلى الطريق يرحمك الله » وذلك لما روى من أن البرم موكل به صالح و البحر موكل به حمزة. وأبو صالح كني به الحجة بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف.

و صالح : إسم للنبي عليه السلام من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وهو ولد نمرود بن عاد بن أرم بن سام ! وكانت منازل قومه عليه السلام في الحجر و هو بين تبوك و الحجاز قال الله تعالى : « قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا » هود : ٦٢ .

وقال : « لئن أتيتنا صالحاً الأعرف : ١٨٩) أي إن وهبت لنا ولداً سوياً قد صلح بدنه أو ولداً ذكراً ، وكانت عادتهم يأذون البنات .
وقال : « وأصلحنا له زوجه » الأنبياء : ٩٠) أي جعلناها صالحة لأن تلد بعد أن كانت عاقراً ، وقيل : جعلنا حسنة الخلق بعد أن كانت سيئة الخلق ، وقيل : رددنا عليها شبابها .

والرؤيا الصالحة : الحسنة أو الصادقة أي الصحيحة لموافقتها للواقع .
صالحه : وافقه ، ضد خاصمه .

و الصالحة : فرقة من المعتزلة أصحاب الصالحين ، و الصالحة : قوم يدر كون العقول و النفوس و يجهلون ما بعدهما ، و الصالحة : محلة ببغداد و إسم لبلدان .

الإصلاح : هو العرف الخاص وهو عبارة عن إتفاق طائفة مخصوصة على وضع الشيء جمعه : إصلاحات ، و الإصلاح : ما يتعلق بالإصلاح .

في المفردات : الإصلاح : ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال ، وقول في القرآن تارة بالفساد و أخرى بالسيئة . قال الله تعالى : « خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً » .

و إصلاح الله تعالى الإنسان تكون تارة بخلقه إياه صالحاً ، وتارة بازالة ما فيه من فساد بعد وجوده ، و تارة يكون بالحكم له بالصلاح ، قال الله تعالى : « وأصلح بالهم - يصلح لكم أعمالكم - وأصلح لي في ذرتي - ان الله لا يصلح عمل المفسدين ».

وفي اللسان : صلاح من أسماء مكّة شرّتها الله تعالى ويجوز أن يكون من الصلح لقوله عز وجل : « حرماً آمناً » ويجوز أن يكون من الصلاح . و الصلح : نهر بميسان .

وفي القاموس وشرحه : الصلح : إسم جماعة متصالحين ، يقال : هم لنا صلح أي متصالحون .

٤١ - الحق و الحقوق - ٣٤٩

حق الأمر يحق حقاً وحقّة - من باب ضرب - : ثبت وصار حقاً لا يشك فيه و وجب ، ويأتي المصدر : « حقاً » ويكون معناه : ثابتاً أو واجباً ، و حق عليه : وجب عليه .

قال الله تعالى : « فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » الأعراف : (٣٠) .

وقال : « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » يس : (٧٠) .

و حق الأمر يحقّه حقاً - من باب نصر - : أثبتّه و صدّقّه و أوجبه ، وحقّه : غلبه على الحق ، و حق الأمر : كان على يقين منه ، وحق الخبر : وقف على حقيقته ، و يقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه : « أنا أحق لكم بهذا الخبر » أي أعلمه لكم و أعرف حقيقته . وحق الطريق : ركب حاقه أي وسطه ، وحق فلاناً : ضرب به في حاق رأسه أو في حق كتفه ، و حققت حذره :

فعلت ما كان يحذره وحقت الأمر: تحققته وتيقنته، وحقّ الفرس: وضع حافر رجله موضع يده .

الحق: نقيض الباطل، وجمعه: حقوق وحقاق، وليس له بناء أدنى عدد، و الحقّ لفظ كثير الورد في القرآن الكريم، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات الكريمة، ومعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت والموافقة والمطابقة للمواقع وبهذا المعنى العام: قال الله عزّ وجل: وتواصوا بالحق، العصر: (٣).

و يأتي فيما ذكر على وجوه متعددة يستعمل استعمال الواجب واللازم والجدير وهو الجائز.

أمّا حقّ الله تعالى فهو بمعنى الواجب واللازم ، وأمّا حق العباد فهو بمعنى الجدير من حيث أنّ الإحسان إلى من لم يتخذ ربّاً سواء مطابقة للحكمة ، و يجوز أن يكون سمّاه حقاً لأنّه في مقابلة حق الله تعالى من جهة الثواب. ومنه الحديث : «أندري ما حق العباد على الله؟» أي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده الحق.

وقد جاءت كلمة الحق لمعان كثيرة:

الحق : هو الله عزّ وجلّ لأنّه هو الموجود الثابت لذاته.

قال الله تعالى: «ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربّي إنّّه لحق» يونس: (٥٣) أي ثابت وجوده، ومتحقّق الوهيته.

وقال: «ثم ردّوا إلى الله مولا هم الحق» الأنعام: (٦٢) أي الثابت الذي لا يتغيّر.

وفي وصفه جلّ وعلا: «لا تدركه العقول بمشاهدة العيان ولكن تدركه العقول بحقائق الايمان» حقائق الايمان هي: أركانه من التصديق بوجوده الثابت الدائم الأزلي ووحدانيته والوهيته، وإعتبار أسمائه الحسنى، ومحصله الحقائق التي

ثبت بها الايمان، وفي حديث التلبية: «لبيك لبيك حقاً حقاً» أي غير باطل وتكريره لزيادة التأكيد.

الحق: هو النبي الكريم ﷺ لأنه الثابت الصحيح الموافق للواقع، ضد الباطل.

قال الله تعالى: «وشهدوا أن الرسول حق» آل عمران: (٨٦) أي أن الرسول ﷺ رسالته ثابتة فهو باعتبار رسالته المطابقة للواقع حق.

الحق: هو القرآن الكريم لأنه يشتمل على الصحيح الثابت من الأحكام... قال الله عز وجل: «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم» النساء: (١٧٠) أي بالقرآن الكريم لما فيه من الشرائع والعقائد الثابتة. وقال: «إننا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» البقرة: (١١٩) أي بالقرآن المجيد لأنه مشتمل بالصدق والحكمة والأخبار والعقائد المطابقة للواقع. وقال: «إن هذا لهو حق اليقين» الواقعة: (٩٥) أي اليقين الثابت الموافق للواقع.

الحق: هو الإسلام لأنه الثابت المطابق لواقع الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها.

قال الله جل وعلا: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق» الصف: (٩) أي دين الإسلام، فإنه دين لا يتغير.

قال الله تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام» ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: (٨٥-١٩).

الحق: الشرائع والعقائد والحقائق والكتب السماوية وما فيها من الأحكام والأخبار والهداية.

قال الله تعالى: «قد جاءت رسلنا بالحق» الأعراف: (٥٣) أي الثابت الصحيح من الكتب وما فيها من العقائد والشرائع والدعوة الحق.

الحق: العلم الصحيح يطابق الواقع :

قال الله تعالى : « إِنَّ الظنَّ لا يغني من الحقَّ شيئاً » يونس : ٣٦) أي العلم الصحيح .

الحق: التام الكامل .

قال الله عز وجل : « له دعوة الحق » الرعد : ١٤) أي الدعوة الكاملة والموافقة للواقع .

و قال : « الملك يومئذ الحق للرحمن » الفرقان : ٢٦) أي الملك التام الكامل .

وإذا اضيف الحق إلى المصدر كان معناه : أنه على أكمل وجه .

قال الله عز وجل : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ » البقرة : ١٢١) أي على أكمل وجه ، فلا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ وقيل : حق تلاوته : هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسئل في الاولى ويستعيد في الاخرى .

الحق: الواقع لامحالة الذي لا يتخلف .

قال الله تعالى : « أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » يونس : ٥٥) أي لا بد أن يقع ويثبت . وقال : « فحقَّ عليهم القول » الاسراء : ١٦) أي ثبت ووجب عليهم الوعيد فيقع لامحالة .

وفي الحديث : « أتدري ما حق العباد على الله ؟ » أي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الايجاز ثابت بوعده الحق .

الحق: الأمر المقضي الثابت .

قال الله جل وعلا : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إنَّ هذا لسحرمبين » يونس : ٧٦) أي الأمر الثابت وهو معجزة موسى عليه السلام .

وقال : « و كان حقاً علينا نصر المؤمنين » الروم : ٤٧) أي ايجاباً حققت

عليه القضاء .

وقال : « وما ننزل الملائكة إلا بالحق » الحجر : ١٥ .

الحق : أحد حقوق العباد وهو ما وجب للغير و يتقاضاه .

قال الله سبحانه : « قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق » هود : ٧٩

أي من واجب نتقاضاه وقيل : أي ليس لنا في بناتك من حاجة و رغبة .

وقال : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » المعارج : ٢٤-٢٥

أي واجب مقرر يتقاضونه . و قال : « وليملل الذي عليه الحق » البقرة : ٢٨٢

أي الدين .

الحق : الشيء المعلوم غير الزكاة و هو شيء يفرضه الرجل على نفسه على

قدر طاقته و وسعه كما جاءت به الرواية .

قال الله عز وجل : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات : ١٩ .

وقال : « و آتوا حقه يوم حصاده » الأنعام : ١٤١ و هو أن يأخذ الضئ

فيعطيه المسكين ثم المسكين حتى يفرغ وعند الحصاد الحفنة بعد الحفنة حتى

يفرغ .

الحق : الواجب الذي ينبغي أن يطلب وهو النصيب الذي فرض للمحق غير

الزكاة والصدقات ، و هو الذي لا يملك به المحق بأسباب التملك المحاورة بين

الناس ، وإنما هو تملك من الله تعالى في زمن رسول الله ﷺ كما أن للوارث

نصيباً مفروضاً من مال مورثه بعد موته .

قال الله تعالى : « و آت ذا القربى حقه » الاسراء : ٢٤) فكان فذك نصيباً

فرضه الله تعالى لفاطمة سلام الله عليها .

وقال : « فآت ذا القربى حقه » الروم : ٣٨) ومنه الحديث : « إن الله أعطى

كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » أي حظّه و نصيبه الذي فرض له .

الحق : العدل :

قال الله عز وجل: « والوزن يومئذ الحق » الأعراف : ٨) أي العدل .
 وقال : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » الأعراف : ٨٩) أي احكم
 بيننا بما جرت به سنتك في الفصل بالعدل بين المهتدين والضالين .
 وقال : « رب احكم بالحق » الأنبياء : ١١٢) أي بالعدل .

الحق: الصدق المطابق للواقع :

قال الله تعالى: « واتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق » النساء : ٢٧) أي بالصدق
 والواقع .

وقال : « إن الحكم إلا لله يقص الحق » الأنعام : ٥٧) أي يحدث بالصدق .
 وقال : « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق » الأعراف : ١٠٥) أي
 الصدق والثابت عنه .

وفي الحديث : « أميناً حق أمين » أي صدقاً . وقيل: واجباً ثابتاً له الأمانة .
 وفي الحديث : « من رآني فقد رأى الحق » أي رؤياً صادقة ليست من أضغاث
 الأحلام : وقيل : فقد رآني حقيقة غير مشبهة .

الحق: اليقين الواضح :

قال الله سبحانه: « قالوا الآن جئت بالحق » البقرة : ٧١) أي باليقين الواضح
 الذي يمكن إيمثاله أو بما ينبغي أن يطلب .
 الحق: الحكمة التي فعل الفعل لها .

قال الله جلّ و علا : « ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق »
 الأحقاف : ٣) أي متلبسة بالحكمة :

وقال : « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان » الشورى : ١٧) أي
 متلبساً بالحكمة و مشتملاً عليها .

الحق: التوحيد :

قال تعالى: « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق »

الزخرف : ٨٦) أي أقرّ بالتوحيد .

وقال : « فعلموا أن الحق لله » القصص : ٧٥) أي التوحيد والوحدانية ثابتة لله تعالى وحده لا يشاركه فيها سواه .

الحق : المسوّغ بحسب الواقع .

قال الله عز وجل : « ويقتلون النبيين بغير حق » آل عمران : ٢١) أي بغير حصول سبب يسوغه .

وقال : « ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق » الأنعام : ١٥١) أي إلا بسبب يسوغه .

وقال : « والبغي بغير الحق » الأعراف : ٣٣) أي بدون مسوّغ صحيح .

الحق : النصر والظفر .

قال الله تعالى : « وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق » التوبة : ٤٨) أي النصر والظفر .

الحق : الأمر الثابت الصحيح المطابق للواقع .

قال الله جلّ وعلا : « فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون » الأعراف : ١١٨)

أي فظهر الأمر الثابت وهو معجزة موسى عليه السلام وصدقه في الرسالة .

وقال : « وإن الذين ادّعوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم » البقرة :

١٤٤) أي إن تحويل القبلة هو الثابت الصحيح من ربهم .

وقال : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » البقرة : ١٤٧) أي الأمر

الثابت الصحيح المطابق للواقع الذي يتبع هو من عند ربك .

وقال : « يظنون بالله غير الحق » آل عمران : ١٥٤) أي غير الثابت له وهو

مالا يتصف به .

الحق : أمر النبي الكريم ﷺ من الرسالة وما أتى به من القرآن المجيد .

قال الله تعالى : « ويحقّ الحق بكلماته » الشورى : ٢٤) أي يؤيد ما جاء به

الرسول ﷺ .

وقال : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » المائدة : (٨٣) .

وقال : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق و أنتم تعلمون » آل عمران : (٧١) .

الحق : الجزاء العدل الذي يستحقه الناس بأعمالهم و عقائدهم و أقوالهم خيراً و شراً .

قال الله سبحانه : « فأخذتهم الصيحة بالحق » المؤمنون : (٤١) أي بالجزاء العدل الذي يستحقونه .

وقال : « يومئذ يوفيه الله دينهم الحق » النور : (٢٥) أي جزاءهم العادل .
الحق : الموت الذي واقع لامحالة .

قال الله جلّ و علا : « وجاءت سكرة الموت بالحق » ق : (١٩) أي جاءت السكرة التي تدلّ الإنسان على أنّه ميت بالحق أي بالموت الذي خلق له ونطقت به كتب الله و رسله ﷺ .

الحق : البعث الذي يقع لامحالة .

قال الله عزّ وجلّ : « يوم يسمعون الصيحة بالحق » ق : (٤٢) أي بالأمر الثابت الواقع وهو البعث .

وقال : « ذلك اليوم الحق » النبأ : (٣٩) .

الحقيقة : ما يصير إليه حقّ الأمر و وجوبه ، وبلغ حقيقة الأمر أى يقين شأنه ، و حقيقة الشيء : منتهاه وأصله المشتمل عليه ومنه الحديث : « لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى لا يعيب مسلماً بعيب هو فيه » يعني خالص الايمان ومحضه و كنهه ، و حقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه و منعه و يحقّ عليه الدفاع عنه من أهليته ، و الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه ، يقال : هو حامي الحقيقة ،

وهو من حماة الحقائق أى يحمى ما لزمه الدفاع عنه . والعرب تقول: فلان يسوق
الوسيقة ، وينسل الوديعه ، ويحمي الحقيقة . أمّا الوسيقة فهي الطريدة من الإبل
سميت وسيقة لأن طاردها يسقها إذا ساقها أى يقبضها ، وأمّا الوديعه فهي شدة
الحر ، وأمّا الحقيقة فهي ما يحقّ عليه أن يحميه .

الحقيقة: الراهية ، ومنه: أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر أي رايته ، والحقيقة :
الحرمة ، والحقيقة : الفناء . والحقيقة في اللغة : ما أقرّ في الاستعمال على أصل
وضعه والمجاز ما كان يضدّ ذلك ، فالمجاز : ضد الحقيقة ، وإنّما يقع المجاز ويعدل
إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة : وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه ، فإنّ عدم هذه
الأوصاف كان الحقيقة ألبتة . وجمعها : الحقائق ، وحقائق الشيء : ما حقّ وثبت
والحقيقة في إصطلاح العلماء : ما قابل المجاز وهي فعيلة من الحق الثابت المقابل
للباطل أو المثبت لأنّ فعلاً تارة يكون بمعنى فاعل كعليم وقدير و تارة أخرى
بمعنى مفعول كجريح وقتيل ، والتاء في الحقيقة للنقل من الوصفية إلى الإسمية
المحضّة كما في العلّامة لا للتأنيث ، ولذا لا يقال: شاء أكيلة ولا نطيحة ، والحقيقة
لغوية وعرفية ، وفي ثبوت الشرعية خلاف ، وفي حديث الأخذ بالكتاب والسنة :
« انّ على كل حقّ حقيقة وعلى كل صواب نوراً » أى انّ كل واقعة ورد فيها
حكم من الله تعالى نصب عليها دليلاً يدلّ عليها و حق - مجهولاً - له : ثبت له .
قال الله تعالى: « وأذنت لربّها وحقّت » الانشقاق : ٢) أى وكان حقّاً ثابتاً
أن تنقاد وحقّ لها أن تسمع فانّها مخلوقة لله عزّ وجلّ .

وحقّت الناقة : سمّنت وحقّت القيامة : أحاطت بالخلائق فهي حاقة وحقّت
الحاجة : نزلت و اشتدّت فهي حاقة أيضاً ، وحقّت الإبل : طعنت في الرابعة ،
أحقّت البكرة : طعنت في السنة الرابعة .

الحاق اسم فاعل - : الوسط ، يقال : سقط فلان على حاقّ رأسه : وسط
رأسه ، و جثته في حاقّ الشتاء : وسطه ، وأخذني حاقّ الجوع : صادقه ، و رجل

حاقّ الرجل وحقّ الشجاع : كامل في الرجولية والشجاعة ، والحاقة : القيامة .
قال الله تعالى : « الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة » الحاقة : ١-٣)
وقد سميت القيامة بالحاقة لأنها تحقق كلّ إنسان من خير أو شرّ ، وفيها حواق
الامور الثابتة الوقوع كالحساب والثواب والعقاب . وقيل : لأنها تحاق الكفّار
الذين حاقوا الأنبياء ﷺ يعني خاصموهم ، وقيل : الحاقة : النازلة .

حقيق على كذا : حريص عليه ، وحقيق عليّ أي واجب عليّ .

قال الله عزّ وجلّ : « حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق » الأعراف :
١٠٥) أي حريص على ذلك ، وفي قراءة : « حقيق عليّ » أي واجب عليّ ، والحقيق :
الجدير والخليق ، يقال : هو حقيق به ، وحقيق أن يفعل أي جدير جمعه : أحقّاء ،
ونبات الحقيق - مصغراً - : نوع من التمر ، والمحقوق - إسم مفعول - : الخليق ،
ومنه : أنت محقوق أن تفعله يقال : هو محقوق به أي خليق له . وحقّ به :
جدير . والحقق - بضمّتين - : القريبو العهد بالامور : خيرها وشرها والحقق
والمحقون لما ادّعوا أيضاً .

الحق - بالكسر - : مصدر ومن الإبل : إبل ثلاث سنين و دخل في الرابعة ،
وسمي بذلك لإستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به ، ويركب ، والانثى : حقة ،
سميت لأنها استحققت أن يطرقها الفحل ، وهي دون الجذعة بسنة ، والحق -
بالكسر - أيضاً : الناقة سقطت أسنانها هرماء ، والحقّة - بالكسر - : الناقة التي
تؤخذ في الصدقة إذا جازت عدتها خمسا وأربعين ، وفي حديث الزكاة ذكر الحق
والحقّة - بالكسر فيهما - والجمع : حقق وحقائق ، والحق والحقّة في حديث
صدقات الإبل والديات : البعير إذا استكمل السنة الثالثة و دخل في الرابعة فهو
حينئذ حق والانثى حقة .

والحقّة - بالكسر - : الحقّ الواجب ، تقول : هذه حقّتي - بالكسر -
وهذا حقّي - بالفتح - بمعنى واحد .

والحق - بالضم - : النقرة في رأس الكتف وبيت العنكبوت ، و رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ ، و رأس العضد الذي فيه الوابلة ، والحق - بالضم - : الحجر في الأرض ، والأرض المستديرة والمطمئنة ، يقال : زرع كل حق ولق أي كل مطمئنة ومرتفعة من الأرض ، جمعه : حقا ، وحق - بالضم - الطيب : وعاءه ، والحقه - بالضم - : وعاء من خشب وقد تسوى من العاج ، والحقه : الداهية لثبوتها ، والمرأة ، وام حقة : إسم امرأة ، جمعها : حق - بالضم - وحقق - بضمين - وحقاق - بالكسر - وأحقاق ، والحقى - بالضم - : نوع من التمر ، والحقه - بالكسر - : لقب أم جريبر الشاعر بن الخطفي .

الحقة - بالفتح - : الحق وهي أخص منه لدالاتها على حصّة معينة منه ، تقول : « هذه حقّي » أي حقّي المخصوص ، والحقة : حقيقة الأمر تقول : وقفت على حقة ذلك الأمر أي على حقيقته ، والحقة : النازلة الثابتة والداهية .
أحق الله تعالى الحق : أظهره وأثبتته للناس ، وأحقّ الأمر : صيّرهُ حقاً و يقال : أحققت الأمر إحقاقاً : إذا أحكمته وصحّحته وأحقّه : كان منه على يقين .
 قال الله عزّ وجلّ : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » (الأنفال : ٧) أي يظهره ويثبتّه ، وأحقّ القوم من الربيع إحقاقاً : إذا أسمنوا وقيل : سمّنت مواشيهم . والمحق : ضدّ المبطل .

أحقّ : أفعل تفضيل بمعنى : أولى . قال الله جلّ وعلا : « ونحن أحق بالملك منه » (البقرة : ٢٤٧) أي أولى . وأحق بمعنى : أصحاب الحق قال تعالى : « وبعولتهنّ أحقّ برّدن في ذلك » (البقرة : ٢٢٨) أي أصحاب الحق .

الأحق : الفرس الذي يضع حافر رجله موضع يده وهو عيب ، والأحق من الخيل : الذي لا يعرق .

و حقق الشيء تحقيقاً - من باب التفعيل - : أوجبه وأكّده وأثبتّه ، وحقق قوله وظنّه : صدّقه ، ثوب محقق عليه وشيء على صورة الحقيق ، كما يقال :

برد مرجل ، ومحكم النسج ، و كلام محقق : محكم منظم رصين .
 حاقه في الامر محاقه و حقاقا - من باب المفاعلة - : إدعى أنه أدلى
 بالحق منه ، و خاصمه و رافعه ، و حاقه : خاصمه ، و ادعى كل واحد منهما
 الحق ، فاذا غلبه قيل : حقه . و الحقا : مصدر حاق ، ومنه حديث الإمام علي بن
 أبي طالب عليه السلام : « إذا بلغن نصر الحقا فالعصبة أولى » أي إذا بلغن الغاية التي
 قدرن فيها على الخصام ، حقا العرفط : صفاره ومنه الحديث : « من وراء حقا
 العرفط » أي صفارها وشوابها تشبيهاً بحقا الإبل ، و انه لنزق الحقا : مخاصم
 في صفار الامور ، و المحاق - بالفتح - من المال : التي لم تنتج في العام الماضي
 و لم تحلب .

احتق الفرس احتقاقا - من باب الإفتعال - : ضمير ، و احتق القوم : قال
 كل منهم : الحق بيدي ، و منه الحديث : « فجاء رجلان يهتقان في ولد » أي
 يختصمان ويطلب كل منهما حقه ، ولا يقال للواحد كما لا يقال : إختصم للواحد
 دون الآخر . وفي حديث ابن عباس في قراءة القرآن الكريم : « متى ما تغلوا في
 القرآن تحتقوا » يعني المرء في القرآن . و معنى تحتقوا : تختصموا فيقول
 كل واحد منهم : الحق بيدي ومعى . وفي حديث تأخير الصلاة : « ونحتقونها إلى
 شرق الموتى » أي تضيقون وقتها إلى ذلك الوقت ، يقال : هو في حاق من كذا
 أي في ضيق .

المحتق من الطمن : النافذ إلى الجوف .

انفتت العقدة انحقا - من باب الإنفعال - : إنشدت .

تحقق الخبر تحققا - من باب التفعّل - : صحّ وثبت ، و تحقق زيد الأمر :
 تيقنه وجعله ثابتاً لازماً ، وطعنة متحققة : لازيغ فيها وقد نفذت .

تحاقا تحاقا - من باب التفاعل - : نخاصما و ترافعا ، و منه حديث

الحضانة : « فجاء رجلان يتحاقان في ولد » أي يختصمان ويطلب كل واحد منهما

حقه ، و ماله فيه حق : أي خصومة ، والتحاق : التخاصم . و في حديث و هب :
« كان فيما كلم الله أيوب عليه السلام : أتأقنني بخطئك ؟ » .

استحق الشيء يستحقه استحقاقاً - من باب الإستفعال - : إستوجبه .

قال الله عز وجل : « فان عثر على أنهما إستحقا إثمأ » المائدة : (١٠٧) أي
إستوجبا إثمأ . واستحق الدين : حان أجله ، واستحق الرجل : أذنب ذنبأ إستوجب
به عقوبة .

إستحق فلان الأمر : إستوجبه ، ومنه : « إذا استحققت ولاية الله والسعادة
إن كنت مستحقهما و مستوجبهما بعمل صالح جاء الأجل بين العينين ، و ذهب
الأمل ، وإذا استحققت ولاية الشيطان والشقاوة إن كنت مستحقاً لهما بعمل فاسد
غير صالح جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر » .

إستحق عليه : وقع عليه .

قال الله تعالى : « فأخران يقومان مقامهما من الذين إستحق عليهم الأوليان »
المائدة : (١٠٧) أي فشهدان آخران يقومان مقامهما من الذين وقع عليهم ضرر
الشهادة وجنى عليهم بها وهما الأوليان الأحقان بالشهادة لقرايتهما ومعرفتهما .
و استحق المبيع على المشتري أي ملكه .

وفي الحديث : « لاتعترضوا للحقوق » أي لاتشغلوا ذممكم بحقوق الناس
ولا بحقوق الله ولكن إذا شغلتم ذممكم فاصبروا لها وتحملوا مشاقها . والمراد
بحقوق الناس : الضمان والكفارات وغير ذلك وحقوق الله كذره ونحوه .

في المفردات : أصل الحق : المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب في حقه
لدورانه على إستقامة ، والحق يقال على أوجه :

الاول : يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، و لهذا قيل في الله
تعالى : هو الحق قال الله تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » وقيل بعيد ذلك :
« فذلکم الله ربکم الحق - فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون » .

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ، ولهذا يقال : فعل الله تعالى كله حق ، وقال تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً - إلى قوله تعالى - ما خلق الله ذلك إلا بالحق » .

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا : إعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق قال الله تعالى : « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق » .

والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب ، وفي الوقت الذي يجب كقولنا : فعلك حق وقولك : حق ، قال الله تعالى : « كذلك حققت كلمة ربك - حق - القول مني لأملأن جهنم » وقوله عز وجل : « و لو اتبع الحق أهواءهم ، يصح أن يكون المراد به الله تعالى ، و يصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة ، ويقال : أحققت كذا أي أثبتته حقاً أو حكمت بكونه حقاً . وقوله تعالى : « ليحق الحق » فاحقاق الحق على ضربين : أحدهما - باظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى : « واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً » أي حجة قوية . والثاني باكمال الشريعة وبنائها في الكافة كقوله تعالى : « والله متم نوره و لو كره الكافرون - هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله » .

والحقيقة : تستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات و وجود كقوله ﷺ : « لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » أي ما الذي ينبيء عن كون ما تدعيه حقاً ، وفلان يحمي حقيقته أي ما يحق عليه أن يحمي ، وتارة تستعمل في الاعتقاد كما تقدم وتارة في العمل وفي القول ، فيقال : فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرئياً فيه ، و لقوله حقيقة إذا لم يكن فيه مترخصاً ومستزيداً و يستعمل في ضده المتجاوز والمتوسع والمتفسح ، و قيل : الدنيا باطل ، والآخرة حقيقة تنبهاً على زوال هذه وبقاء تلك ، وأما في تعارف الفقهاء والمتكلمين فهي اللفظ

المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة.

وفي النهاية : في أسماء الله تعالى : « الحق » هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته ، والحق : ضد الباطل .

ومنه الحديث : « ليلة الضيف حق » ، فمن أصبح بفنائيه ضيف فهو عليه دين ، جعلها حقاً من طريق المعروف والمروءة و لم يزل قرى الضيف من شيم الكرام ومنع القرى مذموم . وفيه : « ليس للنساء أن يحققن الطريق » هو أن ير كبن حقها - بضم الحاء - وهو وسطها ، يقال : سقط على حاق القفا وحقه . وفي حديث حذيفة : « ما حق القول على بني إسرائيل حتى استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » أى وجب ولزم . وفي حديث عمرو بن العاص : « قال لمعاوية : لقد تلافيت أمرك وهو أشد إنفضاحاً من حق الكهول » حق - بالضم - الكهول : بيت العنكبوت وهو جمع حقة - بالضم - : أى أمرك ضعيف .

وفي المصباح : هو أحق من فلان يستعمل بمعنىين : أحدهما - إختصاصه بذلك من غير مشاركة نحو زيد أحق بماله أى للاحق لغيره فيه . والثاني : أن يكون أفعل التفضيل فيقتضى إشتراكه مع غيره وترجيحه على غيره كقولهم : زيد أحسن وجهاً من فلان ومعناه : ثبوت الحسن لهما وترجيحه للأول .

وفي القاموس وشرحه : الحق : من أسماء الله تعالى أو من صفاته ، والحق : القرآن والحق : أمر النبي ﷺ وما جاء به القرآن ، والحق : خلاف الباطل ، والحق : الأمر المقضي ، والحق : العدل ، والحق : الإسلام ، والحق : المال ، والحق : الملك ، والحق : الموجود الثابت الذى لا يسوغ إنكاره ، والحق : الصدق في الحديث ، والحق : الموت ، والحق : الحزم ، والحق : أصل رأس الورد الذى فيه عظم ، رأس الفخذ وقيل هو : رأس العضد الذى فيه الوابلة ، والأرض المستديرة أو هي المطمئنة .

وفي شرح العقائد : الحق عرفاً : الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال

والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار إشتغالها على ذلك و يقابل الباطل ، و أمّا الصّدق فشاع في الأقوال فقط ، ويقابله الكذب و فرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، وفي الصّدق من جانب الحكم ، فمتى صدق الحكم صدق مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته حقيقة مطابقة الواقع إياه ، وانّ ما به الشيء هو هو باعتبار حقيقته حقيقة ، و باعتبار تشخصه هويّة ، ومع قطع النظر عن ذلك ماهية .

٥ - الصبر - ٨٣٥

صبر يصبر صبراً - من باب ضرب - : حبس . والصبر في اللغة : الحبس والكفّ في ضيق ، وصبر الرجل على الأمر صبراً : نقيض جزع أى جروء و شجع وتجلّد ، فهو صابر وصبر عن الشيء : أمسك ، وصبر الدابة : حبسها بلا علف ، و صبر فلاناً : أكرهه وألزمه حلفه صبراً أو قتله صبراً ، وصبر فلاناً يمين الصبر : لزمته ، وصبر فلان يمين فلان : حلفه بالله جهد القسم ، و صبر فلاناً عن الأمر : حبسه عنه ، وصبر الإنسان وغيره على القتل : حبسه و رماه حتّى يموت ، وتقول : صبرت نفسي على كذا : حبستها ، و تقول : « صبرت على ما أكره و صبرت عما أحب » .

وفي الحديث : « انه نهى عن قتل شيء من الدواب صبراً » هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حياً ثم يرمى بشيء حتّى يموت ، يقال للرجل إذا شدّت يده ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتّى يضرب عنقه أو حبس حتّى يقتل : قتل صبراً ، و كذا إذا حبس على اليمين حتّى يحلف يقال : « حلف صبراً » و كل ذى روح يصبر حياً ثم يرمى حتّى يقتل فقد قتل صبراً .

و في الحديث : « انّ رجلاً إستحلف رجلاً من أهل الكتاب بيمين صبر »

يمين الصبر هي التي يمسك الحكم عليها حتى يحلف، ولو حلف بغير إخلاف لم يكن صبراً، وإن شئت قلت: يمين الصبر التي يصبر فيها أي يحبس فيصير ملزوماً باليمين، ولا يوجد ذلك إلا بعد التداعي.

الصبر - في الأصل -: الحبس المادي ومنه استعمل في المعنوي من حبس النفس على كذا أو حبسها عن كذا، والصبر: ضد الدعة والطلاقة في الأصل، و ضد الجزع في العرف، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، و الصبر: حبس النفس عما يقتضي العقل والشرع منعها منه، وحبس النفس: ضبطها وهذا معنى عام ينتظم الكثير من الفضائل، وتختلف أسمائها باختلاف موقعه، و اكتفى بالصبر في حبس النفس على ألم مصيبة، ويسمى حبسها على مكاره الحرب شجاعة وحبسها على المضجر رحابة صدر، وحبسها عن الكلام كتماناً، ويشمل الصبر ذلك كله إطلاقاً، ولعل القرآن الكريم قد سمى كل أنواع الحبس صبراً وتنبه على ذلك بقوله عز وجل: «وتواصوا بالصبر» (العصر: ٣) وقوله: «والصابرين في البأساء و الضراء وحين البأس» (البقرة: ١٧٧).

الصبر: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى لا إلى الله عز وجل فإذا دعا الله العبد في كشف الضر عنه لا يقدر في صبره.

الصبر: حبس النفس على المكروه إمتثالاً لأمر الله تعالى وهو من أفضل الأعمال حتى قال رسول الله ﷺ: «الايمن شطران: شطر صبر و شطر شكر».

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: «نحن صبر وشيعتنا أصبر منا وذلك أنا صبرنا على ما نعلم وصبروا على ما لا يعلمون».

الصبر صبران: صبر عما تهوى وصبر على ما تكره.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحب» فالصبر الأول مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم إنفعالها، وقد يسمى

سعة الصدر وهو داخل تحت الشجاعة، والصبر الثاني مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو فضيلة داخلية تحت العفة.

و ان الصبر تارة يستعمل بمن كما في المعاصي وتارة بعلى كما في الطاعات يقال: صبر على الصلاة ، والصبر الذي يصبر في الضراء كما يصبر في السراء و في الفاقة كما يصبر في الغناء وفي البلاء كما يصبر في العافية، ولا يشكو خالقه عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.

قال الله تعالى: «والصابرين على ما أصابهم» (الحج: ٣٥).

وفي الخبر: «يأتي زمان الصابر على دينه كالصابر على الجمر».

شهر الصبر: شهر الصوم ، وسمي الصوم صبراً لكونه كالنوع له وقال رسول الله ﷺ: «صيام شهر الصبر وثلاثة أيام في كل شهر يذهب وحر الصدر» وفي حديث الصوم: «صم شهر الصبر» وهو شهر رمضان ، و سمي صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح وما إليها من مفطرات الصوم... وسميت الصلاة صبراً فقال عز وجل: «فاعبدوه واصطبر لعبادته» مريم: ٦٥ أي تحمّل الصبر بجهدك.

وقال: «وامرأه لك بالصلاة و اصطبر عليها» طه: ١٣٢ أي احمل نفسك على الصلاة و مشاقها و إن نازعتك الطبيعة التي تركها طلباً للراحة فاقهرها و اقصد الصلاة مبالغاً في الصبر ليصير ذلك ملكة لك ، و لذلك عدل عن الصبر إلى الاصطبار لأنّ الافتعال فيه زيادة معنى ليس في الثلاثي وهو القصد والتصرف، و سمي الجهاد صبراً لما فيه من مخالفة الهواء وتحمل المشقات ، وغيرها من الأوامر ... كما سمي حبس النفس عما يقتضي العقل و الشرع منعها منه من النواهي صبراً.

ويكثر حذف مفعوله للدلالة على أنه صار كالطبع في الفاعل، ولم يجرى في القرآن الكريم مع مفعول إلا في قوله عز وجل: « و اصبر نفسك مع الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشي » (الكهف: ٢٨) أي احبس نفسك معهم ولا ترغب عنهم إلى غيرهم.

ومنه الحديث في رجل أمسك رجلاً فقتله آخر قال: «اقتلوا القاتل واصبروا الصابر» أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به، وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً. وفي الحديث: «نهى عن المصبورة و نهى عن صبر ذي الروح».

صبر به يصبر صبراً وصبارة - من باب نصر - : كفّل به فهو صبير وصبر فلاناً: أعطاه كفيلاً ، وتقول : «إصبرني» بصيغة الأمر أي أعطني كفيلاً، والصبير: الصابر فعيل - بمعنى فاعل، والصبير: مقدم القوم في أمورهم، والصبير: الجبل، جمعه: صبراء - كعلماء - وفي الحديث: «من أسلف سلفاً فلا يأخذن رهنأ ولا صبراً» أي كفيلاً، والصبير: السحابة البيضاء أو الكثيفة التي فوق السحابة ، وقيل : السحاب الأبيض الذي يصبر بعضه فوق بعض درجاً ، وقيل : القطعة الواقعة منه، جمعها : صبر - بضمّتين - والصبير : الرقاقة العريضة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام ، وقيل : رقاقة يغرف عليها طعام العرس ، والصبيرة : الصبير للرقاقة المذكورة .

أبوصيرة - مصغراً - : طائر أحمر البطن ، أسود الظهر والرأس والذنب. و الصبرة: الطعام المجتمع كالكومة، وجمعها: صبر.

وفي الحديث : « انه مرّ في السوق على صبرة طعام فادخل يده فيها ، والأصبرة - كالأمثلة - : من الغنم و الابل : التي تروح و تغدو ولا تعزب و لا واحد لها.

الصبر - بالكسر والضم - : ناحية الشيء و حرفه و غلظه، وقيل: هو قلب البصر و السحابة البيضاء جمعه: أصبار، يقال: ملا الكأس إلى أصبارها أي إلى رأسها و يقال: أخذ به أصباره أي تاماً بأكمله، وإذا لقي الرجل الشدة بكمالها قيل: لقاها

بأصبارها. والصبر - بالضم - فسكون -: الأعلى، وصبر كل شيء: أعلاه وفي حديث ابن مسعود: «سدره المنتهى صبر الجنة» أي أعلى نواحيها.

الصبر - بالضم - فسكون - و - بضمين -: الأرض ذات الحصباء، وليست بغليظة ومنه قيل للحرّة: أم صبار، والصبر - محركة -: الحمد جمعه أيضاً: أصبار و الصبر - بفتح الصاد وكسر الباء -: عصاة شجرة من جمعه: صبور الواحدة: صبرة ولا تسكن بأه إلا في ضرورة الشعر كقوله: صبرت على شيء أمر من الصبر، والصبرة - بالفتح والسكون -: المرة وشدة البرد وما تلبّد في الحوض من البول والسرّفين والبعر، وصبرة الشتاء: وسطه.

الصبرة - بالضم - فسكون -: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن يقال: أخذه صبرة أي جملة بلا وزن ولا كيل، وهي منصوبة على الحال على تأويل مجموعة أو على أنها فعلة بمعنى مفعولة، فلم يحتج إلى التأويل، والصبرة: الطعام المنخول، والحجارة الغليظة المجتمعة جمعها: صبار - بكسر الصاد - والصبار - بالكسر - أيضاً: السداد وحمل شجرة حامضة و - بالضم - وتشديد الباء -: التمر الهندي الحامض الذي يتداوى به، والصبارة: الكفالة والحجارة، ويثلك، وقطعة من حديد أو حجارة وشدة البرد - وبالضم -: الحجارة، وقيل: الحجارة الملس.

الصبارة - بتشديد الراء -: شدة البرد، والصبر - بضمين -: نبات معروف و ثمرة الواحدة. وفي حديث الامام علي عليه السلام: «قلتم هذه صبارة القر»: شدة البرد و قوته كحجارة الفيض.

أبو صابر: كنية الملح، والصابورة: ما بوضع في بطن المركب من الثقل ولا يميل على جانبه.

الصبور: الصابر فعول بمعنى فاعل، والمعتمد الصبر القوي عليه، جمعه: صبر - بضمين - والصبور: الحليم الذي لا يعاجل العصاة بالنقمة مع القدرة عليهم بل يعفو أو يؤخر الانتقام وهو من الأسماء الحسنى لاستغنائها تعالى عن

التسرع وهو قريب من معنى الحليم إلا أن الحليم مشعر بسلامة المذهب عن العقوبة ولا كذلك الصبور. والصبور يستعمل للذكر والأنثى بغيرها، ومنه: لو حبس رجل نفسه على شيء يريد أن يبرده قال: صبرت نفسي. والصبورة من الرجال: المصبور أي المحبوس للقتل.

الصبار - للمبالغة -: عند تكلف الحبس والمجاهدة، الشديد الصبر يقال فيمن كان فيه ضرب من التكلف والمجاهدة.

قال الله تعالى: «ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور» لقمان: (٣١).

أم صبار: الحرّة تقول: سلخوا أم صبار والداهية، يقال: وقعوا في أم صبار وأم صبور أي في الداهية والحرب الشديد، والصبارة: الأرض الغليظة المشرفة لا نبت فيها، ولا تنبت شيئاً، أم صبار: أم صبور.

أصبر فلاناً يصبره إصباراً - من باب الإفعال -: أمره بالصبر وجعل له صبراً و أصبر الرجل: أكل الصبيرة ووقع في أم صبور أي الداهية.

قال الله تعالى: «فما أصبرهم على النار» البقرة: (١٧٥) على معنى ما أجزأهم، والجرأة صبر، وقيل: أي ما أبقاهم على النار أي يطول بقاؤهم عليها بذنوبهم طولاً يحتاج إلى الصبر وقد يفهم من التعبير ما أحوجهم إلى الصبر على النار لطول معاناتهم حرّها، ولعله أقرب من تفسير ما أصبرهم بما أبقاهم، والانتظار من الحبس، ولذا يعبر عنه بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصبر كقوله عز وجل: «فأصبر لحكم ربك» الطور: (٤٨) أي إنتظر حكمه تعالى لك على الكافرين.

وقيل: ذلك لغة بمعنى الجرأة كقولك لخصمك: ما أصبرك على الله وهذا تصوّر مجاز بصورة حقيقة لأن ذلك معناه: ما أصبرك على عذاب الله في تقديره إذا اجتبرأت على ارتكاب ذلك، وإلى هذا يعود قول من قال: ما أبقاهم على النار وقول من قال: ما أعلمهم بعمل أهل النار وذلك أنه قد يوصف بالصبر من لا

صبر له في الحقيقة إعتباراً بحال الناظر إليه، وإستعمال التعجب في مثله إعتبار بالخلق لا بالخالق.

وأصبر الرجل: جلس على الصبر أي الجبل، وشدّ رأس الحوجلة أي القادورة بالصبار، وأصبر اللبن: إشتدت حموضته إلى المرارة، وأصبر الشيء: صار مرّاً كالصبر وأصبر القاضي فلاناً: إقتصه من خصمه.

صبره تصيراً - من باب التفعيل -: أمره بالصبر وصبر فلاناً: طلب منه أن يصبر وصبر الطعام: جعله صبرة، وصبر الميت: جعل الصبر على بطنه لثلاث تسرع النتانة إليه لم أرها لأحد ولكن القياس لا يأبأها، وصبرته: حملته على الصبر بوعد الاجر، وقلت له: إصبر، والممقر والمصبر: الشديدة الحموضة إلى المرارة.

صابره يصابره مصابرة - من باب المفاعلة -: مطاولة المرء غيره في الصبر أي غالبه في الصبر.

قال الله عز وجل: «اصبروا وصابروا وابطوا» آل عمران: (٢٠٠) أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب. وقيل: أي إحبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم. وفي الحديث: «إصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب وابطوا على الأئمة عليهم السلام».

إصطبر يصطبر إصطباراً - من باب الافتعال -: يفيد زيادة التحمل، واصطبر عليه واصتبر تصبر منه: إقتص من معنى القصاص، وتصبر الرجل: تكلف الصبر و عليه: صبر استبصر الشيء: إستكشف وتراكم واشتدّ وإصبار عليه إصبراراً: صبر.

وبالجملة: يراد من الصبر حبس النفس على سبيل الاطلاق ما لم يتعد بحرف جر أو لم يذ كر مفعوله، وإذا تعدى بحرف: «على» أو «اللام» أو «الباء» أو «عن»، أو «في» أو «ن» مفعوله، فيتقيّد بمدخل الحرف أو بالمفعول.

قال الله تعالى: «تواصوا بالصبر» (العصر: ٣).
 وقال: «اصبروا إن الله مع الصابرين» (الأنفال: ٤٦).
 وقال: «واصبر على ما أصابك» (لقمان: ١٧).
 وقال: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» (الطور: ٤٨).
 وقال: «واصبر وما صبرك إلا بالله» (النحل: ١٢٧).
 وقال: «والصابرين في البأساء والضراء» (البقرة: ١٧٧).
 وقال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» (الكهف: ٢٨).
في المفردات: الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً: خلقت له خلفاً لا خروج له منها، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسماءه بحسب اختلاف مواقفه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعاً ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رعب الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المذل وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبراً أو نبه عليه بقوله: «والصابرين في البأساء والضراء» - والصابرين على ما أصابهم الصابرين والصابرات.

وفي النهاية: في أسماء الله تعالى: «الصبور» هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما: إن المذنب لا يأت من العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم ومنه الحديث: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، أي أشد حِلماً عن فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه.

وفي الكلبيات: الصبر في المصيبة، وأما في المحاربة فشجاعة، وفي إمساك النفس عن الفضول أي عن طلب ما يفضل عن قوام المعيشة فقناعة وعفة وفي إمساك

كلام الضمير كتمان، باختلاف الأسامي باختلاف المواقع.

وفي المجمع : الصبر : حبس النفس عن إظهار الجزع ، وعن بعض الأعلام : الصبر : حبس النفس عن المكروه إمتثالاً لأمر الله تعالى وهو من أفضل الأعمال .

ويمين الصبر هي التي يمسك الحكم عليها حتى يحلف ، ولو حلف بغير إخلاف لم يكن صبراً ، بل يحبس فيصير ملزوماً باليمين ولا يوجد ذلك إلا بعد التداعي . وفي الحديث : «يحرم من الذبيحة المصبورة» وهي المجروحة تحبس حتى تموت ، و الصبر : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .

وفي اللسان : الصبر : نصب الانسان للقتل فهو مصبور وصبر الرجل يصبره : لزمه . قال أبو عمرو : سئلت الحليحي عن الصبر فقال : ثلاثة أنواع : الصبر على طاعة الجبار والصبر على معاصي الجبار والصبر على الصبر على طاعته وترك معصيته .

وقوله تعالى : «واستعينوا بالصبر» أي بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان . وصبره : أثقته ، وفي حديث عمار حين ضربه عثمان فلماً عوتب في ضربه إياه قال : هذه يدي لعمار فليصطبر أي فليقتص . يقال : صبر فلان فلاناً لولي فلان أي حبسه ، وأصبره : أقصه منه فاصطبر أي إقتص . والصبر - بالضم - : قبيلة من غسان ، وصبير : اسم جبل باليمن .

وفي القاموس وشرحه : فالصبر : حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش ، وقال ذو النون : الصبر : التباعد عن المخالفات والسكون عند نجر غصص البليات وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة ، وقيل : الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، وقيل : هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقيل : إلزام النفس الهجوم على المكروه . وقال عمرو بن عثمان : هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والسعة ، وقال الخواص : هو الثبات

على أحكام الكتاب و السنة ، وقيل : الصبر أن ترضى بتلف نفسك في رضا من تحبه ، وقال الجريدي : الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة وحال المحنة مع سكون الخاطر فيهما .

وقيل : مراتب الصبر خمسة : صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصابر فالصابر أعمها ، والمصطبر : المكتسب للصبر المبتلى به ، والمتصبر : متكلف الصبر حامل نفسه عليه ، والصبور : العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره والصابر : الشديد الصبر فهذا في القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف .



﴿ النحو ﴾

١- (والعصر)

الواو للقسم و «العصر» مجرور بواو القسم على تقدير: اقسام بالعصر.

٢- (ان الانسان لفي خسر)

«إن» حرف تأكيدي، و «الإنسان» منصوب بحرف التأكيد واللام في «لفي خسر» للتأكيد والجار والمجرور متعلق بمحذوف، وهو الخبر لحرف التأكيد والجملة جواب للقسم، والمراد بالإنسان الجنس لمكان الاستثناء التالي.

٣- (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر)

«إلا» حرف إستثناء و «الذين» في موضع نصب على الإستثناء من «الإنسان» لأنه بمعنى الجمع حيث اريد به الجنس، وان الإنسان لفظ يقع للذكر والانثى من بنى آدم، و «آمنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الإفعال، صلة الموصول، والواو للعطف، و «عملوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب عطف على «آمنوا» و «الصالحات» جمع الصالحة نصبت على المفعولية.

« و تواصلوا » الواو للعطف ، و « تواصلوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب التفاعل أصله : تواصلوا فتحركت الياء و انفتح ما قبلها ،

فانقلبت ألفاً فاجتمع ساكنان : الألف و الواو بعدها فحذفت الألف لالتقاء
الساكنين ، فتواصوا على وزن تفاعوا على حذف اللام ، و « بالحق » متعلق
بـ « تواصوا » .

« وتواصوا » الواو للمعطف ، و « تواصوا » عطف على « تواصوا » و « بالصبر »
متعلق بـ « تواصوا » ،



﴿البيان﴾

١- (والعصر)

في القسم من تفخيم المقسم به مالا يخفى على الأديب الأريب لفضله الباهر سواء كان المراد به صلاة العصر لشرفها وفضلها على غيرها على أنها هي الصلاة الوسطى التي هي أفضل الفرائض اليومية أم كان المراد به وقت العصر وهو الطرف الأخير من النهار أقسم الله جل وعلا به تنوياً بشأن هذا الوقت من الزمن الذي تبدأ فيه الأحياء تجمع نفسها، وتعود إلى ما دأها بما حصلت وجمعت في سعيها في الحياة... وأنه لجدير بالعقل أن يحاسب نفسه على ما عمل في يومه هذا، وما حصل فيه من خير واقترب فيه من إثم، أنه وقت محاسبة ومراجعة ومراجعة لأعمال اليوم وتصحيح للأخطاء التي وقع فيها، فلا يستأنفها في غده.

أقسم الله تعالى به لفضله على سائر الأوقات، ولما فيه من الدلالة على وحدانية الله جلّ وعلا باد بار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالفجر والضحى وهما طرفا الأول من النهار لما فيهما من حدوث اليوم وسلطان الشمس وإقبال النهار ولأن آخر النهار يشبه تخريب العالم وإماتة الأحياء كما أن أول النهار يشبه بعث الأموات وعمارة العالم، فعند ذلك إقامة الأسواق و نصب الموازين و وضع المعاملات فيه ، و أهل الملتين كانوا يعظمون هذين الوقتين .

وفيه إشارة إلى أن العمر الدنيا ما بقي إلا بقدر ما بين العصر إلى المغرب ،

فعلى الانسان أن يشتغل بتجارة لا خسران فيها، فإن الوقت قد ضاق وقد لا يمكن تدارك مافات، أم كان المراد به الدهر لا نطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة الدالة على القدرة الربوبية، على تدبير خالفها وحكمة صانعها من تغاير الملل و تبدل الدول ، ووقوع الأفعال والحوادث، ومن التنبيه بتصرف الأحوال الكليّة والجزئية، بل نفس الدهر من أعجب الأشياء لأنه موجود يشبه المعدوم ومتحرك بضاهي الساكن.

وأرى الزمان سفينة تجري بنا نحو المنون ولا ترى حر كاته
وفي الإقسام به إشارة إلى أن الانسان يضيف المكافاة والنوائب إليه ويحيل شقاه وخسرانه عليه، فاقسام الله تعالى به دليل على شرفه وإن الشقاء والخسران إنما من سوء اختيار الانسان لا من جانب الدهر، وأقسم به لما فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار.

ولا يخفى على الأديب الأريب من الفرق ما بين السهر والعصر: ان الدهر : جمع أوقات متواليّة مختلفة كانت أو غير مختلفة ، ولهذا يقال : الشتاء مدة ولا يقال : دهر لتساوي أوقاته في برد الهواء وغير ذلك من صفاته، ويقال للسنين: دهر لأن أوقاتها مختلفة في الحر والبرد وغير ذلك، وأيضاً من المدة ما يكون أطول من الدهر ألا تراهم يقولون : هذه الدنيا دهور ولا يقال: الدنيا مدة ، والمدة و الأجل متقاربان فكما أن من الأجل ما يكون دهوراً فكذلك المدة ، و أمّا العصر فلكل مختلفين معناهما واحد مثل الشتاء والصيف واللييلة واليوم والغداة و السحر يقال لذلك كله : العصر ، و قال المبرد في تأويل قوله عز وجل : « و العصر إن الانسان لفي خسر » قال : العصر هي هنا الوقت قال : و يقولون : أهل هذا العصر كما يقولون : أهل هذا الزمان ، و العصر : إسم للسنين الكثيرة قال الشاعر :

أصبح منّي الشباب قد نكرا إن بان منّي فقد نوى عصرا

وتقول: عاصرت فلاناً أي كنت في عصره أي في زمانه.

أو كان المراد بالعصر عصر بزوغ الرسالة المحمدية لظهور فضله على سائر الأعصار أو زمانه الذي هو عصر نهضة الدنيا تشريعاً له ﷺ وتوييهاً لمن لم يوقره حق توفير، أو كان المراد به عصر ظهور المهدي الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام لظهور الحق وزهاق الباطل.

٣- (ان الانسان لفي خسر)

جواب للقسم وفيه تأكيدات ومبالغات خمس مستفادة من «إن»، واللام في «لفي» وحرف «في» تدل على أنه غريق الخسر وتنكير «خسر» وإثارة الجواب بالجملة الاسمية، فكأنه أثبت له جهات الخسر كلها، والأعظم حرمانه عن جناب ربه عز وجل، وفيه إشعار بأن الإنسان الخاسر هو الذي لا يقتنم فرصة الوقت، ولا يبادر إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان، وأنه لم يعرف قدره ولم يرتفع بإنسانيته إلى المقام الذي أهله الله عز وجل، وقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، ولكن الإنسان لم يلتفت إلى هذا الخلق ولم يقدره قدره، ولم يأخذ الطريق الذي يدعو إليه العقل، بل إنقاد لشهوته، وإستخف بإنسانيته وتحول إلى عالم البهيمية يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام ... ذلك هو شأن الإنسان في معظم أفراده وأحواله .. وقليل هم أولئك الذين عرفوا قدر إنسانيتهم وما أودع الله جل وعلا فيهم من قوى قادرة على أن ترتفع بهم إلى الملأ الأعلى، لو أنهم أحسنوا إستمعاليها هؤلاء هم الذين إستثناهم الله تعالى بقوله: «إلا الذين آمنوا...»

أريد بالإنسان جنسه لمكان الاستثناء فإن صحة الاستثناء من جملة أدلة العموم والاستغراق، وفي تنكير «خسر» وجوه: أحدها - للتعظيم. ثانيها - للتنويع أي هو في نوع من الخسر غير الخسارات المالية والجاهية. ثالثها - للشمول فإن النكرة في سياق النفي سواء كان لفظاً أم معنى تفيد العموم.

فالمعنى: ان "كل من لم يكن له الايمان ولم يلتزم بلوازمه فهو محاط بالخسران والضلال لعدم مقاومته عند الشهوة والهوى فينجذب بسرعة وينهمك في الطغيان، فيفرق في العصيان

أما في الحياة الدنيا فقال الله تعالى: «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً» طه: (١٢٤) وأما في الآخرة فقال عز وجل: «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزمر: (١٥).

وقيل: في تأكيد جواب القسم بالتأكيدين: ان واللام - إشعار على تثبيت الخسران المطلق على من بقى من المستثنى منه غير الموصوف بالايمان و ملازماته ...

٣ - (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر)

إستثناء من جنس الانسان الواقع في الخسر والمستثنون هم الأفراد الملتبسون بالايمان والأعمال الصالحة فهم آمنون من الخسر.

ان تسئل : ان " هذا الاستثناء لا يدل على أن المؤمنين الموصوفين في ربح مع أن " الاستثناء إنما سيق لمدحهم بمضادة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء ؟.

تجيب : ان " الاستثناء وإن لم يدل بصريحه على أنهم في أعظم ربح، ولكن اتصافهم بتلك الصفات الاربع الشريفة يدل على أنهم في أعظم ربح مع أننا لو قدرنا أنهم ليسوا في ربح فالمضادة حاصلة أيضاً لأنهم ليسوا في خسر بمقتضى الاستثناء.

وذلك ان " القرآن الكريم يبين أن " للانسان حياة دائمة لا تنقطع بالموت، وإنما الموت إنتقال من دار إلى دار، ويبين أن " شطراً من هذه الحياة وهي الحياة الدنيا حياة إمتحانية تتعين بها صفة الشطر الأخير الذي هو الحياة الآخرة المؤبدة من سعادة وشقاء.

قال الله عز وجل: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،
الملك: ٢).

وقال: «وان الدار الآخرة لهُي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤).
وبيّن أن مقديمة هذه الحياة لتلك الحياة إنمائي بمظاهرها من الاعتقاد والعمل، فان كانا حقاً وصالحاً فهما ملاك السعادة الآخروية، وإن كانا باطلاً وفاسداً فهما ملاك الشقاء فيها.

قال الله تعالى: «فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها» الأنعام: ١٠٤).
وقال: «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأ نفسه يمهّدون»
الرؤم: ٢٢).

وقد سمى الله جلّ وعلا ما سيلقاه الإنسان في الآخرة جزاء وأجراً إن
خيراً فخيئاً وإن شراً فشرّاً.
قال الله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه
الجزاء الأوفى» النجم: ٣٩-٤١).

وقال: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» آل
عمران: ١٨٥).

فيتبين بذلك كله أن الحياة رأس مال للإنسان يكسب به ما يعيش به في
حياة الهنيئة الدنيوية والآخروية، فمن اتبع الحق في الاعتقاد والعمل فقد ربحت
تجارته وبورك في مكسبه، وأمن الشر في حاله ومستقبله، ومن اتبع الباطل فهما
فقد خسرت تجارته، وحرّم الخير والعيش الهنيء في دنياه وعقباه وهو قوله تعالى:
«إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعمل الصالحات».

وفي تقديم الإيمان على العمل الصالح إشارة إلى إنباط العمل الصالح من
الإيمان، فالإيمان هو الذي يدفع صاحبه إلى الخير والصالح ويزعه عن الشر و
الفساد، وفي ربط الإيمان بالعمل الصالح إشارة إلى وجوب تلازمهما وإعتبار

العمل الصالح عنواناً أو مظهراً للإيمان ، وهذا التلازم بين ذكر الإيمان والعمل الصالح يلحظ في كثير من الآيات الشريفة مما يمكن أن يدل على قصد الإشارة إلى شدة الارتباط واللحمة والتوافق بينهما وتوكيدها .

وإذا لوحظ أن الإيمان شيء داخلي أو ذاتي في أعماق النفس لا يمكن أن يدل على نفسه بنفسه ، ولا يمكن أن يدل عليه إلا العمل الصالح بأن لها وجه الحق في ذلك .

قال الله عز وجل : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصالحون » (الحجرات : ١٥) و إن الحكمة في هذا ظاهرة قوية .

فالإيمان يمنح صاحبه طمأنينة وإستقرار نفس يجعلانه يصدر في أعماله وأهدافه عن يقين وقصد وثبت وإندفاع وصبر ويتحمل في سبيل ذلك ما قد يلاقه من مصاعب وما تمس الحاجة إليه من تضحيات ، والإيمان بالله عز وجل يجعل صاحبه يقبل على الخير والعمل الصالح ، وينقبض عن الشر والاثم والسيئات إبتغاء لوجه الله تعالى وإتقاء لغضبه وإكتساباً لرضاه ورضوانه دون أن يكون هناك حافز من منفعة عاجلة أو دون أن يكون ذلك مما لا بد منه على الأقل .
أمّا العمل الذي لا يصدر عن إيمان فانه يكون معرضاً في الأغلب للإفطار والتردد والتأثر بالمؤثرات والإعتبارات الشخصية والنفعية والظرفية ، وكثيراً ما ينصرف المرء عنه حينما يلقى المصاعب والمشاكل ، أو حينما يتطلب منه التضحيات أو حينما لا يكون من ورائه جلب خير أو دفع شر عاجل ، والعمل الصالح من الجهة الأخرى لا يكون فيه حيوية ويقين وثبت وإستمرار إذا لم يكن منبتقاً من إيمان يجعله لازماً حياً قوياً بذاته ، وبصرف النظر عن أي إعتبار ويجعل صاحبه لا ينصرف عنه مهما لاقى في سبيله من مصاعب ، واقتضى منه من تضحية وعناء واستنفد من قوة وجهد .

وتؤيد ذلك كله كلمة الموصول ، وإيثار صيغ الماضي الأربع ، فلم يقل :
 « إلا الذين يؤمنون ويعملون الصالحات ويتواصون ... » ولا « إلا المؤمنون
 والعاملون والمتواصون ... » أو « إلا المؤمنين ... » نصاً فتدبر جيداً واغتنم جيداً .
 وقد بينت في هذه السورة ما يبتني عليه الكمال الانساني وهو أربعة أركان :
 الايمان بما يجب على الإنسان الايمان به ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ،
 ولا يزحزحه عن الدعوة إليه ما يلاقوه من مشقة و بلاء ، فمن فقد شيئاً منها أو
 جميعها فليس بكامل في إنسانيته ، فخرانه وإنحطاطه على قدر فقدانه شيئاً منها .
 ولا يخفى ان تعبير « الصالحات » عام مطلق يتضمن كل نوع من أنواع
 الخير والبر والمعروف تعبدياً كان ام غير تعبدى ، فعبادة الله وحده وإسلام النفس
 إليه ونبذ ما سواه عمل صالح والاحسان والبر بالمحتاجين والرحمة والرأفة بالضعفاء
 عمل صالح ، والجهد في سبيل الله جلّ وعلا ومكافحة الظلم والظالمين ، وتضحية
 النفس والمال في هذا السبيل عمل صالح ، وإلتزام الحق والعدل والإنصاف والصدق
 والأمانة عمل صالح ، والتعاون على البر والتقوى والأعمال العامة عمل صالح ،
 والكسب الحلال وقيام المرء بواجباته نحو أسرته و أولاده وأقاربه عمل صالح ،
 ومعاملة المرء الناس بالحسنى عمل صالح ...

وهكذا يكون تلقين السورة وما انطوى فيها من هدف الدعوة هو التبشير
 بكل عمل فيه خير وبرّ ورحمة ومكرمة وفضيلة وإخلاص لله عز وجل ، وبكلمة
 ثانية بكل ما فيه جماع الخير وسعادة الدارين وأعظم بهما من تلقين وهدف
 جليلين خالدين ، ومن هنا قيل : لو تدبر الناس في هذه السورة لو سعتهم .

ان تسئل : لما ذا لم يقل : « وعملوا الخيرات » بدل « الصالحات » ؟

تجيب : لما بين الخير والصّلاح من الفرق ، على أن الصّلاح هو : الإستقامة
 على ما تدعو إليه الحكمة ، ويكون في الضر والنفع كالمرض يكون صلاحاً
 للإنسان في وقت دون الصحة كما أن الحبس والسجن ونفي البلد وما إليها في

إحقاق الحق وإعانة المظلوم وكسر شوكة الجبابرة والمستبدين تكون صلاحاً للإنسان وذلك أنه يؤدّي إلى النفع في باب الدين ، وأمّا الألم الذي لا يؤدّي إلى النفع فلا يسمّى صلاحاً مثل : « عذاب جهنم » فأنّه لا يؤدّي إلى نفع ، ولا هو نفع في نفسه ويقال : أفعال الله تعالى كلّها خير ولا يقال : عذاب الآخرة خير للمعذّبين به .

وقيل : الصّلاح: التغيّر إلى إستقامة الحال والصّالح المتغيّر إلى إستقامة الحال ، ولهذا لا يقال لله عزّ وجلّ: صالح ، والصّالح في الدين يجري على الفرائض والنوافل دون المباحات لأنّه مرغّب فيه ، ومأمور به فلا يجوز أن يرغب في المباح ولا أن يؤمر به لأنّ ذلك عبث ، والخير هو السرور والحسن ، وإذا لم يكن حسناً لم يكن خيراً لما يؤدّي إليه من الضرر الزائد على المنفعة به ، ولذلك لم تكن المعاصي خيراً ، وإن كانت لذّة و سروراً ولا يقال للمرض خير كما يقال له : صلاح ، فإذا جعلت خيراً أفعل فقلت: المرض خير لفلان من الصّحة كان ذلك جائزاً ويقال: الله تعالى خير لنا من غيره ولا يقال : هو أصلح لنا من غيره لأنّ أفعل إنّما يزيد على لفظ فاعل مبالغة ، فإذا لم يصحّ أن يوصف بأنّه أصلح من غيره ، والخير إسم من أسماء الله تعالى .

وقيل : ولم يقل : « الخيرات » فإنّ الخير يختلف حسب الأنظار والأفكار ولكن صلاح العمل مع الايمان أمر واقعي لا يختلف ، و صالح العمل هو الذي يعمل بدافع الايمان ، فقد يكون العمل خيراً وليس صالحاً كمن ينفق لمن يرجو خيره وجزاء فأنّه خير ليس بدافع الايمان فليس صالحاً ولكن الصّالح كلّ خير . قوله تعالى : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » في إثارة الفعل من باب التفاعل دلالة على زيادة التحمّل في متعلّقه ما ليس في غيره فإنّ الايمان و صالح العمل ليس فيهما مشقّة ما في الثبات عليهما والالتزام بلوازمهما ، ويؤيّد ذلك تكرار الفعل بلفظه في جانب الصبر .

ولا يخفى على القارىء الخبير ان "تعبير" التواصي ، دون "الوصية" قوى^١ لأنه للمشاركة ، فلا يكفي أن يلتزم الإنسان الحق والصبر بنفسه ، بل يجب أن يتضامن الناس فيهما ويوصى بعضهم بعضاً بهما ، و ان "التواصي بالحق يستهدف تضامن أفراد المجتمع في الحق وإحقاقه ، بحيث يكون الحق هو القائم الحاكم المؤيد من مجموعهم ، و ان "التواصي بالصبر يستهدف تضامن أفراد المجتمع في شدّ بعضهم أزر بعض في الأحداث الملمة والمصاعب المدلّهمة ، و في مواقف الحق والخير والبر والإحسان دونما وهن ولاضعف ولاجزع ولاتراخ . و إذا لوحظ أن "تعبير الحق عام يشمل كل شيء من حقوق الله على عباده و حقوق المجتمع على أفرادهِ و حقوق المجتمعات على بعضها ، و حقوق الأفراد على بعضهم و مجتمعاتهم و حقوق الضعفاء والبؤساء والمحرومين على الأقوياء والقادرين والميسورين بيان مدى التلقين القرآني الجليل في التنويه بالتواصي بالحق ، و جعله لازماً للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، و إختصاصه بالذكر من الصالحات مع أنه داخل في معناها الشامل ، وما استهدفه هذا التلقين من الارتفاع بالإنسان ، والمجتمع الإنساني إلى مرتبة الكمال من حيث الطمأنينة العامة والسلامة الاجتماعية ، و إنتفاء أسباب الضغينة والحقد والقطيعة والخصام والبغى والبؤس والقلق التي تجتاح المجتمع حينما تنتشر فيه الفردية و تقوى الأنانية ، و يشتدّ عدم مبالاة الفرد بغير نفسه ومصلحته و كيانه الخاص لضمان النفع لنفسه من أي سبيل ، أو حينما يتسع المجال فيه لبغى الناس وعدوانهم بعضهم على بعض بدون رادع أو حينما تداس فيه حقوق الضعفاء و تفقد فيه رغبة مساعدة المحتاجين ، و تضعف أو تزول فيه عاطفة البر والتعاطف الاجتماعية .

وهذا المبدأ بهذه السعة من المبادئ الجليلة التي قرّرها القرآن الكريم مرة بعد مرة و بأساليب متنوّعة ، حتّى كان من أهمّ أهداف الدعوة الإسلامية ، و دروده في هذه السورة المبكرة ، و بهذا الأسلوب القويّ يدلّ على أنه من

اسر الدعوة الرئيسية وانه كذلك ، و انه لمن أقوى مرشحات الإسلام للشمول والخلود .

و مثل هذا يقال في صدد الصبر والتواصي به لأن ذلك الخلق الشخصي الاجتماعي من لوازم الحياة الإنسانية الصالحة وعمدها ، ويهدف القرآن المجيد إلى تقويته في الأفراد والمجتمع ، و بث روح القوة والطمأنينة فيهم ، و دروده في هذه السورة المبكرة ، وبهذا الأسلوب القوي يدل على إعتباره من أهم الأخلاق التي يجب أن تقوم عليها الشخصية الإنسانية الإسلامية ، و على ماله من خطورة و ضرورة في حياة الأفراد والمجتمع .

قوله عز وجل : « و تواصوا بالصبر » وفيه إشارة إلى أن طريق الإيمان والاستقامة على شريعته ليس أمراً هيئناً ، فإن ذلك إنما يحتاج إلى معاناة وصبر على مغالبة الشهوات و قهر دواعي الأهواء و وسوس الشيطان ، فطريق الحق طريق محفوف بالمكاره ، وإنما الصبر هو زاد الذين يسلكون طريقه ، و يبلغون به غايات الفوز والفلاح ، والخير والصلاح والسعادة والنجاح .

وفي لفظ التواصي وتكريره في الحق والصبر دون الدعاء أو النصيحة تأكيد بليغ كأنه أمر مهم به كالوصية ، وفي لفظ المضي إشارة إلى تحقق وقوعه منهم . ولعل إجمال الخسر : « إن الانسان لفي خسر » وتسريحه إلى بقعة الإيهام ثم تفصيل الربح بأنه منوط بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يدل على غاية الستر والكرم و ان رحمته سبقت غضبه .

﴿ الإعجاز ﴾

واعلم أن سورة العصر هي من قصارى السور القرآنية التي جاءت على ثلاث آيات وهي معجزة من جانبي اللفظ والمعنى، ومن ناحيتي التراكيب والمفاهيم ...
أما اللفظ : فمن وجهة الأسلوب والنظم، والفاصلة التي جاء بها القرآن الكريم. وبها إنفردت هذه السورة القصيرة خاصة، والقرآن تماماً عن أن يكون نثراً أو شعراً على نحو ما كان عليه الأدب العربي، وانها قد جعلت السورة والسور نحواً جديداً من أنحاء الكلام العربي، وجعلتها وإياها إعجازاً قائماً بذاته لأنها نقضت العادة وخرجت على المألوف.

وهذا شأن المعجزة:

فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة...
 منها: الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث.

وقد جاء القرآن الكريم بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة، ولولا أن الوزن بحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً، ولذلك من جاء - بغير الوزن المعروف في الطباع الذي من شأنه أن يحسن الكلام - بما يفوق الموزون فهو معجزة.

إن القرآن المجيد - مع خلوه من الوزن الملتزم الذي يحسن الكلام، والذي يجعل للشعر هذه المنزلة ذات الأثر القوي في النفوس - علا بحسنه على كل

حسن، علامه على كل علم، علامه على كل بلاغته على كل بلاغة، علامه على كل فصاحتها على كل فصاحة، وفاق مع تجربته من الزخرف والحلي كل كلام مزخرف محلي، وبهذا كان معجزاً أعجز الجن والإنس في كل وقت ومكان عن إتيان أقصر سورة كهذه السورة. وإن القرآن الكريم تصرف في فاصلة تصرفاً معجزاً لا يتسع له جهد البشر ولو اجتمعوا له: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» (الاسراء: ٨٨).

وإن الفاصلة في القرآن الكريم ألوان وطعوم تكاد تتعدد ألوانها وطعومها بعدد آياته، وكل فاصلة مقطوع من البيان ونغم من الألحان وآية من آيات الإعجاز... في اتصالها بالآية، وفي إنفرادها عنها وفي توازنها مع غيرها أو استقلالها بذاتها، فينبغي أن نشير إلى بعض الفواصل القرآنية:

١- الفواصل المتوازية وهي التي تتفق فيها الفاصلتان في الوزن والسجع كقوله عز وجل: «فيها سرور مرفوعة وأكواب موضوعة» (الغاشية: ١٣-١٤) فإن الفاصلتين: مرفوعة وموضوعة متوازيتان وزناً وقافية.

٢- الفواصل المطرفة وهي التي تتفق فيها الفاصلتان في السجع دون الوزن كقوله تعالى: «مالك لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً» (نوح: ١٣-١٤) فإن الفاصلتين: وقاراً وأطواراً مختلفتان وزناً متفقتان سجعاً.

٣- الفواصل المتوازنة وهي التي تتفق فيها الفاصلتان في الوزن دون السجع كقوله جل وعلا: «و نمارق مصفوفة و زرابي مبثوثة» (الغاشية: ١٥-١٦) فإن الكلمتين: مصفوفة ومبثوثة متفقتان وزناً مختلفتان سجعاً، وهكذا تختلف صور الفواصل القرآنية، وتشكل ألواناً وأنعاماً فلا تجد منها الاذن إلا حسناً مجيداً، ولا يطعم اللسان منها إلا طيبات متنوعة، ومن هنا لا يتقل على الاذن إستماع آياته، ولا يعيا اللسان من تلاوته، ومن جانب آخر لا يكل الفكر عن التدبر في مضامينه ومفاهيمه وفي أسرارده وحقائقه ومعارفه...

ومن الفواصل تناسب الفاصلة للآيات، وهي ما يجيء على أنه بعض الآية، و جزء منها لا تقوم الآيات إلا بها ولا تستقل هي بمفهوم في غير آياتها، وذلك كثير في القرآن الكريم.

منها: قوله تعالى: «والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» النجم: ١-٤).

وإن أكثر السور القصار جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتصال.

ومنها: هذه السورة القصيرة: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

ومنها: سورة الكوثر من قصارى السور القرآنية: «إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبر».

والذي ينظر إليه في مثل هذه الفواصل أن تقع الفاصلة موقعها الذي يقتضيه المعنى أتم إقتضاء...

وهذا في القرآن الكريم على أتم صورة وأكملها، فلم يكن في إقامة الفاصلة على الوجه الذي تتوازن أو تتوازي فيه مع غيرها جور على المعنى من بعيد أو قريب! وكيف وقدرة الله عز وجل هي القائمة على هذا وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض.

وأما المعنى: فتدبر في مضامينها ومفاهيمها فتجدها محتوية لجميع المعارف القرآنية بأوجز بيان، ومحددة طريق السعادة والكمال الإنساني في الإيمان والعمل الصالح وقيام الجماعة المؤمنة متضامة على حراسة الحق، مزودة بزيادة التقوى والثبات على ذلك كله، ومطلقة سبيل الشقاء والانحطاط فيما سوى ذلك.

وذلك إن هذه السورة على إيجازها خلاصة هدف الدعوة الإسلامية الموجهة إلى الإنسانية جمعاء وانها على قصرها جاءت بأسلوب حاسم قوي لتهتف بالناس أن لا كمال ولا فلاح ولا نجاح ولا صلاح لهم إلا في الإيمان بما يجب عليهم الإيمان به، وفي

العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأن كل من ينحرف عن هذا السبيل فهو خاسر منقطع.

في المجمع : وفي هذه السورة أعظم دلالة إعجاز القرآن ألا ترى أنها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين علماً وعملاً، وفي وجوب التواصي بالحق والصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى التوحيد والعدل وأداء الواجبات والإجتناب عن المقتبحات.



﴿ التكرار ﴾

واعلم أن البحث في المقام يدور على امور خمسة:

أحدها - ان ثلاث سور من السور القرآنية يشتمل كل واحد منها لثلاث آيات: ١- سورة العصر. ٢- سورة الكوثر. ٣- سورة النصر. سورتان اوليان منها تمت آياتها كلها بحرف الراء كنفس السور الثلاث.

ثانيها - أربع سور تمت آياتها كلها بحرف الراء:

١- سورة القمر. ٢- سورة القدر. ٣- سورة العصر. ٤- سورة الكوثر.

ثالثها - قال الله تعالى في سورة التين: «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» (٥-٤) فابتدأ من الكمال إلى النقصان وقال في سورة العصر: «ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا...» فعكس القضية لعل ذلك مذكور في أحوال البدن، وهذا مذكور في أحوال النفس.

وقيل: إن «كلتا الآيتين في شأن النفس إلا أنه أراد في التين ذكر استعداد الفطري وهو كراؤس المال، وهي هنا أراد حكاية معاملته بعد ما اعطى رأس المال، و لا ريب أن أكثر الناس منهمكون في طلب اللذات العاجلة من زخارف الدنيا نهوا عنها المضیعة للاستعداد الانساني إلا الموفقين الموصوفين بالكمال والإكمال.

رابعها - ان قوله عز وجل: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» كرر لاختلاف المفعولين وهما: بالحق وبالصبر. وقيل: لاختلاف الفاعلين، فقد جاء مرفوعاً «ان الانسان».

خامسها - أن نشير في المقام إلى صيغ سبع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١- جاءت كلمة (العصر) على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرات:
 ١- سورة العصر (٣٦٢- سورة يوسف: ٣٦ و ٤٩) ٢- سورة البقرة: ٢٦٦) ٣- سورة
 النبأ: ١٤).

٢- »	»	»	»	(الانسان)	»	»	٩٧ مرة:
٣- »	»	»	»	(الخنس)	»	»	٦٥ :
٤- »	»	»	»	(العمل)	»	»	٣٥٩ :
٥- »	»	»	»	(الصلح)	»	»	١٨٠ :
٦- »	»	»	»	(الحق)	»	»	٢٨٧ :
٧- »	»	»	»	(الصبر)	»	»	١٠٣ :



﴿التناسيب﴾

واعلم أن البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:
أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.
ثانيها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.
ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أما الأولى : فإن سورة «العصر» نزلت بعد سورة «الإنشراح» فالتناسب بينهما أن الله جل وعلا لما عدّ في سورة «الإنشراح» ما أفاض على نبيه الكريم ﷺ من فنون النعماء العظام الروحية، وما فيه من تطين نفس رسول الله ﷺ والخاتم عليه السلام وما فيه من تذكيره بعنايته تعالى به ﷺ ووعد به باعطاء السكون الروحي، وما فيه من تقوية النفس وتلقينها بالتساعده ﷺ على مواجهة الصعاب والاستخفاف بالعقبات والاستغراق في الدعوة والإندفاع فيها، والثبات والصبر في ذلك كله حتى تم له النصر الموعود وتبدل العسر يسراً وصارت كلمة الله تعالى هي العليا.

بيّن في هذه السورة: «العصر» ما لا بدّ للامة المسلمة في إتباعهم الرسول ﷺ في ذلك من الايمان والعمل الصالح وقيامهم متضامّة على حراسة الحق وإعلاء كلمة الله عز وجل والثبات والصبر على ذلك كله.

وأما الثانية: فالتناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً فبامور:
أحدها - لما بيّن في السورة المتقدمة أن الاشتغال بامور الدنيا والتهالك عليها مذموم أراد أن يبيّن في سورة «العصر» ما يجب الاشتغال به من الايمان و

العمل الصالح وهو الحظّ الآدمي من جهة كمال نفسه، ومن التواصي بالخيرات و
كفّ النفس عن المناهي وهو حظّه من حيث إكمال نوعه، وأكّدهما أراد بقوله جلّ
وعلا: «والعصر»

ثانيها - إن الله عزّ وجلّ لما ذكر في السورة السابقة أنّهم اشتغلوا بالتفاخر
بالجاء والمقام والسلطان، والتكاثر في الأموال والأولاد وبكل ما من شأنه أن يلهي
عن طاعة الله تعالى دون أن يتزوّد للآخرة بزيادة الإيمان والتقوى، وذكر أن هوى
الإنسان داعية له إلى البوار وموقعة له في الدمار إلا من عصمه الله عزّ وجلّ وأزال
عنه شرور نفسه، فكان هذا تعليل لما سلف، وذكر فيها صفة من اتبع نفسه وهواه و
جرى مع شيطانه حتّى وقع في التهلكة، وهذا هو الإنسان الخاسر وأيّ خسران
أكثر من أنه يشتري الدنيا بالآخرة والضلالة بالهدى، والباطل بالحق، والكفر
بالإيمان، والإنحطاط بالكمال... وبالجملّة اشترى النار بالجنة.

ثالثها - إن الله عزّ وجلّ لما بيّن في السورة السابقة من تلهي بالتكاثر في
الأموال والأولاد والقوى الظاهرة والزائلة، وإن المرء لا يسعد بها وقلبه خال عن
الإيمان، وعمله مجرّد عن الصّلاح، أشار في هذه السورة إلى ما فيه كمال الإنسان و
خيرته وسعادته وفلاحه من الإيمان والعمل الصالح والإلتزام ببلوازمهما، وإلى أن
الإنحطاط والشر والشقاء والخسران فيما سوى ذلك، فالإنسان مختار فأمّا شاكر أو
إمّا كفوراً.

وأما الثالثة: فمن ترابط الآيات بعضها ببعض فمن تقديم القسم على المقسم
عليه المطلق الذي ثبت له الحكم العام، ثم خرج منه الموصوفون بالإيمان والمتلبسون
بالعمل الصالح والمتزمون ببلوازمهما المهمّة على سبيل الترتيب مما لا يخفى على
المتدبّر الخبير فتدبّر جيداً واغتنم جيداً.

وذلك إن الله عزّ وجلّ لما بيّن خسارة الإنسان مطلق العنان على طريق
الاقسام بالعصر بقوله تعالى: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» أخذ بذكر ما فيه كماله

وخيره وسعادته وفلاحه، مقدماً ما فيه تحكيم العلاقات الفردية العقيدية والعملية من الايمان بكل مايجب عليه الايمان به، ومن الأعمال الصادرة بدافع الايمان بالله وبأمر الله تعالى على طريق الاستثناء من هذا المطلق بقوله: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ثم أشار إلى ما تحتاج إليه الفئة المؤمنة من تطبيق واجبات جماعية - بعد إصلاح أفرادها - يحافظ بها كرامة مجتمعهم، ويدافع بها عن ظلامة الجوف والتيار الفاسد الطيار بكل عار وבוار انتهاء بحاجة ضرورية حيوية إلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر بقوله عز وجل: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

فصلاح الفرد والمجتمع الاسلامي يبتني على أربعة أركان: إثنان منها راجعان إلى الفرد وهما الايمان والعمل الصالح، وآخران راجعان إلى المجتمع - والفرد منهم - وهما التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعلى قدر رعايتها وحفظها سوف يكون تحلل الإنسان عن الخسران، وعلى قدر التحلل سوف يكون الخسران: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل: إن قوله عز وجل: «إن الإنسان لفي خسر» منسوخ بقوله تعالى: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

أقول: وهذا إستثناء وهذا تبدل في موضوع الحكم ، ونخصيص في عموم العام، وليس من النسخ في شيء، فالإستثناء يغير النسخ، وبه يتبدل الموضوع وينتفي به شرط تحقق النسخ.

كقوله جل وعلا: «اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا و أصلحوا...» البقرة: ١٥٩-١٦٠).

وقوله: «ومن يفعل ذلك يلق أثاماً- إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» الفرقان: ٦٨-٧٠).

وقوله: «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً» الشعراء: ٢٢٥-٢٢٧).

ومعنى الإستثناء هنا: ان الإنسان بصورة عامة خال عن الإنسانية محكوم بالخسران، ويستمر عليه هذا الحكم ما استمرت عليه الصورة العامة إلى أن يتصف بصفة الإنسانية بالايमान والعمل الصالح والثبات والصبر على ما يصيبه في طريقهما، فهذا الحكم العام ينقطع حينئذ ويرتفع بطبعه نظراً لتبدل الموضوع.

وأما التشابه فلم أجده فيها فظاهر آيها محكمات، والله جل وعلا هو أعلم.

* تحقيق في الأقوال *

١- (والعصر)

في «العصر» أقوال: ١- عن ابن عباس والكلبي والجبائي: العصر هو الدهر من عصر الثوب ونحوه وهو فتلته لإخراج مائه، والدهر هو جملة الزمان الذي تقع فيه الأفعال والحوادث، وعصر الدهر هو الوقت الذي يمكن فيه فتل الأمور كما يفتل الثوب ومنه قول الشاعر:

سبيل الهوى وعروبحر الهوى عمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

أقسم الله عز وجل بالدهر لإشتماله على الأعاجيب: من السراء والضراء، من النعماء والبأساء، من الصحة والسقم، من الفرح والحزن، من الفنى والفقر، من العز والذل، من الهناء والشقاء، من الحرب والسلام، من الصداقة والعداوة وما إليها من الحوادث الواقعة الدالة على القدرة الربوبية.

وأقسم تعالى بالدهر لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها كالدلل البائدة، والقصور الخاوية، والبلاد العادية، وما جرى بين الأمم من حروب، و ما انتابها من كرب ونوب، وما بين ذلك من فتن وإضطراب، و رفعة وخفض، و لما فيه من عبرة لذوى الأبصار ودلالة على أن للعالم خالقاً عليمًا، ومدبراً حكيماً. ولما كان الانسان يضيف المصائب والنوائب إلى الدهر ويشكوه منه ويألم به

حتى قيل:

كل من في الكون يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن
ويقول: هذه نائبة من نوائب الدهر وهذا زمان بلاء، وإن الدهر لا يوافقني
أقسم الله عز وجل بالدهر وأرشد الانسان إلى أن الدهر خلق من خلقه، وإن الدهر
ظرف للخير والشر والطاعة والمعصية، وفيه يمتحن الانسان وإن الخسران من عمل
الانسان في الدهر لا من الدهر نفسه.

٢- عن ابن كيسان: العصر: الليل والنهار يقال لهما: العصران ومنه قول

حميد بن ثور:

ولن يلبث العصر ان يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

٣- قيل: العصر: الغداة والعشي.

ومنه قول الشاعر:

وأمطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

يقول: إذا جائني أول النهار وعدته آخره.

٤- عن قتادة والحسن: العصر: وقت العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها.

وعن ابن عباس أيضاً: العصر: ما يلي المغرب من النهار.

أقسم الله تعالى بالطرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية
الله جل وعلا بادبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحي و
هو الطرف الأول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس وإقبال النهار وأهل
الملكتين كانوا يعظمون هذين الوقتين.

ومنه قول الشاعر:

تروح بنايا عمر وقد قصر العصر وفي الروحة الأولى الغنيمة والأجر

٥- عن قتادة أيضاً ومقاتل وابي مسلم: العصر هو آخر ساعة من
ساعات النهار إلى إحمرار الشمس ويقال له: الأصيل. ومن القوة الضاغطة يكون

العصر.

قد أقسم به كما أقسم بالفجر لأن آخر النهار يشبه تخريب العالم وإماتة الأحياء كما أن أول النهار يشبه بعث الأموات وعمارة العالم، فعند ذلك إقامة الأسواق ونصب الموازين ووضع المعاملات، وفيه إشارة إلى أن عمر الدنيا ما بقي إلا بقدر ما بين العصر إلى المغرب، فعلى الإنسان أن يشتغل بتجارة لا خسران فيها، فإن الوقت قد ضاق، وقد لا يمكن تدارك ما فات.

٦- قيل: العصر: وقت صلاة العصر. ٧- عن مقاتل وأبي مسلم أيضاً: العصر هو صلاة العصر وهي الصلاة الوسطى، أقسم بها لشرفها وفضلها لأنها أفضل الصلوات يقال: أذن للعصر أي لصلاة العصر و صليت العصر أي صلاة العصر.

قال الله تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» البقرة: (٢٣٨) قيل: وجه فضلها أن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم وإستغلالهم بمعاشهم. وقيل: سميت صلاة العصر بالعصر لأنها تعصر أي تجبس عن الأولى.

وفي الحديث: إن النبي الكريم ﷺ كان يجلس في المسجد في المدينة لأصحابه بعد هذه الصلاة فيلتفون حوله، ويستمعون إلى تعاليمه وعظاته ويراجعه الناس في مشاكلهم، لأنهم يكونون في هذا الوقت قد فرغوا من مشاغلهم اليومية أو كادوا وتكون شدة الحرارة في الصيف قد خفت ومن هنا كان الحث على المحافظة عليها كما هو المتبادر.

٨- قيل: العصر هو عمر الإنسان وهو بعض الدهر وقد أقسم به تنبيهاً إلى أن الإنسان يضيف المكافاة والنوائب إلى الدهر وهو الزمن الذي يعيش فيه، و يحيل شقاءه وخسرانه عليه، فاقسام الله تعالى به دليل على شرفه، وإن الشقاء والخسران إنما لزم الإنسان لعيب فيه لا في الزمن الذي يعيش فيه ولذلك قال ﷺ «لا تسبوا الدهر».

٩- قيل : معناه و رب العصر . ١٠- قيل : العصر هو عصر النبي الكريم ﷺ أقسم تعالى به لفضله بتجديد النبوة فيه ، وهو عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشري المظلم و ظهور الحق على الباطل ، و هو عصر ختمت فيه الرسالات و النبوات كالعصر الذي يختم به النهار لقول النبي ﷺ الخاتم ﷺ : « إنَّما مثلكم و مثل من كان قبلكم من الأمم مثل رجل إستأجر أجيراً فقال : من يعمل إلى الظهر بغير اوط ، فعملت اليهود ثم قال : من يعمل من الظهر إلى العصر بغير اوط فعملت النصارى ثم قال : من يعمل من العصر إلى المغرب بغير اطين فعملتم أنتم ».

وقيل : العصر هو زمن النبي ﷺ وهو عصر نهار الدنيا كما جاء في حديث طويل ، وقد أقسم بزمن رسالته كما أقسم بمولده في قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » (البلد : ١-٢) و بحياته في قوله جل و علا : « لعمر ك » الحجر : ٧٢ كل ذلك تعظيماً لزمانه و مكانه و تشریفاً لنفسه ﷺ و إظهاراً لمكانته و جليل قدره ، و توبيخاً لمن لم يوقره حق توقيره .

١١- قيل : اريد بالعصر عصر ظهور المهدي الحجة بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو آخر وصي من أوصياء الله تعالى في أرضه لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل ، و من إكمال الدين الإسلامي بالعمل كما أكمله يوم الغدير بالعلم و البيان . وهو العصر بمعنى المنجاة و الملبجأ ، و لعل التعبير عن الحجة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف بولي العصر لأنه المنجاة و ملبجأ المؤمنين حيث هلاك الناس و انحطاط المجتمع البشري .

١٢- قيل : اريد بالعصر نوائبه حيث إن شياطين الجن و الانس يعصرون الإنسان ليخسروه ماء الحياة و يدفعوه إلى الخسران و يدعوهم إلى الانحطاط و يسوقوه إلى الهلاك و العذاب ، و ان النفس الأمارة بالسوء تعصر العقل و تحصره

حتى تخسره ، فكل دوافع الخسران فانها عصر وقسر على الإنسان لتفرقه في الخسران ، فدوافع الخسر هذه : المحسوسة منها و المعقولة تبرهن على واقع الخسر فانها تخسر الإنسان في حياته و معطياتها ، فلا بد لكل إنسان يبتلى لا محالة في حياته أن يعرف إبتلائه بأصله ونوعه ليفكر ويحاول في علاجه ، فان كثيراً من الخاسرين في الحياة يحسبون انهم يحسنون صنعا و هم الا خسرون أعمالاً .

١٣- قيل: اريد بالعصر شذائذ حياة الإنسان ومصائبها- من ضغطة الشئ بقوة - فانها من أسباب التكامل الانساني وإرتقائه في حياته لو استقام عليها، فيظهر كماله بالضغط الذي يواجهه في حياته و يصبر عليه.

أقول : والرابع من الأقوال هو الأنسب بما يتعارف بين الناس مع ملاحظة معناه اللغوي في المقام وضغط النفس في الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وان الضغط إطلاقاً هو أحد أسباب الإرتقاء وخاصة الإنسان ، و تكامل النفس البشرية من غير تناف بينه وبين الأقوال الاخر فلكل وجه ، وإن كان طر فاهذه السورة من السور تروى لمصحفات يؤيد العاشر من الأقوال، وأما الحادي عشر منها فهو من ختام التاسع.

وعلى أي ما كان المراد من العصر أن الله تعالى أقسم به في هذه السورة بأن كل فرد من أفراد الانسان ممن يصح أن يمدح أو يذم ، أن يثاب أو يعاقب، و يصح أن يخاطب و يتوجه إليه التكليف من الذكر والانثى ، ومن الأسود و الأبيض يحيط به الخسران بما ركب فيه من غرائز الشهوة و حب الإنتقام والحرص على متاع الدنيا وزخارفها ، و من حب الجاه و الإشتهار والنفوذ و الاستعلاء... وتلك الغرائز والصفات الرذيلة تدعوه دائماً إلى ركوب الجور و الإستبداد والبغي وسلوك سبل الفساد ولا ينجيه من تلك المهالك إلا الايمان وصالح الأعمال، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

٢- (ان الانسان لفي خسر)

في « الانسان » أقوال : عن ابن عباس : اريد بالإنسان الكافر ، فاللام للجنس و لكن جنس الكافر لا على الإطلاق. ٢- عن ابن عباس أيضاً والضحاك : الإنسان: جماعة من المشركين وهم الوليد بن - المغيرة ، و العاص بن وائل، والأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالعزى، والأسود بن عبد يغوث. فاللام في الانسان للمعهودين المعينين وهم الذين كانوا يقولون : إن محمداً لفي خسر فاقسم الله عز وجل أن الأمر بالضد مما توهموه و على هذا يكون الإستثناء منقطعاً .

٣- قيل: اريد بالإنسان شخص معين وهو أبو جهل. وعن مقاتل: هو أبو لهب.
٥- قيل: اريد بالإنسان جنس الناس وهو هذا النوع من المخلوقات. فاللام للجنس على الإطلاق فيشمل لهذا النوع كله ممن يصح عليه التكليف والثواب والعقاب. أي ان بنى آدم لفي خسر.

أقول : والأخير من الأقوال هو الأنسب بالغرض ، و أمّا غيره من الأقوال فمن بيان المصاديق، فأنهم كانوا أئمة الخاسرين فلا منافاة بينها.

وفي «خسر» أقوال: ١- عن ابن زيد: أي لفي شر. ٢- عن ابن الأعرابي : الخاسر الذي ذهب ماله وعقله أي خسرهما. ٣- عن القراء: أي لفي عقوبة لقوله تعالى: «وكان عاقبة أمرها خسرًا» (الطلاق: ٩). ٤- عن الأخفش: أي لفي هلكة. و ذلك ان الخسران هو النقصان وذهاب رأس المال، والمراد به ههنا : ما ينغمس فيه الإنسان من الآفات المهلكة. ٥- قيل: أي لفي غبن. ٦- قيل: أي لفي خسر برأس ماله الذي هو نور الفطرة والهداية والاستعداد لنيل الكمال والسعادة فذهبت عنه بسبب إختياره الحياة الدنيا ولذاتها وشهواتها، وتركه الايمان وصالح العمل، والانحراف عن فطرته والاضطراب في طريقها فهو في نوع من الخسر غير

الخسارات المالية والجاهية.

٧- قيل: أي لفي نقص ، وذلك ان الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم فهو لفي نقص و ضعف و تراجع إلا المؤمنين ، فانهم تكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم كقوله عز وجل : «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» (التين: ٤-٥) فينقص عمره كل يوم و هو رأس ماله فاذا ذهب رأس ماله و لم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان في طول حياته وخسران إذ لاخسران أعظم من إستحقاق العقاب الدائم . فالمراد بالإنسان الكافر بجنسه .

٨- قيل: أي لفي خسر في متاجره ومسايعه وصرف عمره في مباغيه وذهاب إستعداده الفطري بسبب الكفر والطغيان، والبغي والعدوان ، و الإستبداد و العصيان، فانه غريق تضطرب به أمواج الحياة ، و تضطرب به إلى أعماق بعيدة من خسران الحياة و معطية الحياة : يخسر نفسه وحياته ، يخسر عقله وماله و وكده ، ويخسر كل وسائل التقدم في حياة الإنسان متذرعاً بها إلى حياة الحيوان و إلى أسفل سافلين. ٩- قيل : أي كل من أعرض عن الايمان والعمل الصالح ، ومن ينحرف عن سبيل الحق والهدى ولم يثبت عليه فهو خاسر. ١٠- قيل : أي لفي طريق الخسر وهذا كقوله تعالى في آكل أموال اليتامى: «إنما ياكلون في بطونهم ناراً» لما كانت عاقبته النار.

١١- قيل : أي لفي ضلال لأنه لم يعرف قدره ولم يرتفع بانسانيته إلى المقام الذي أهله الله جلّ وعلا فلقد خلق الله عز وجلّ الانسان في أحسن تقويم ولكن الانسان لم يلتفت إلى هذا الخلق و لم يقدره قدره ولم يأخذ الطريق الذي بدعوه اليه العقل، بل إنقاد لشهواته واستخفّ بانسانيته، وتحول إلى عالم البهيمة يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، وذلك هو شأن الانسان في معظم أفراده وأحواله... وقيل هم اولئك الذين عرفوا قدر إنسانيتهم وما أودع الله تعالى فيهم

من قوى قادرة على أن ترتفع بهم إلى الملأ الأعلى ، لو أنهم أحسنوا إستعمالها
و هؤلاء هم الذين إستثناهم الله تعالى بقوله : «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ...»
أنه ضلّ في مناهجه و صرف عمره في غير مطالبه ، و ذلك لأنه جاء إلى
هذه الأرض لغرض يقضيه و عمل يقصده و نهاية يرضاها ، و حكمة يلقاها جاء
ليصفي نفسه من الغوائل ، ويخلصها من الرذائل حتّى إذا رجع إلى عالم الأرواح
كان أقوى جناحاً و أمضى سلاحاً و أرفع مقاماً ، و طار هناك في باحات الهناء
وساحات الجمال فلما رجع إلى مقرّه في عالم السموات بالموت لم يجد إلّا نقصاً
محيطاً به ، و جهلاً أوداه فندم أمام مولاه إلّا طائفة من هذا الإنسان عاشوا في الدنيا
مفكرين ، فأمنوا بأنبيائهم ، وصدقوا برسلمهم و درسوا علوم حكمائهم ، وأحبوا
بني جنسهم .

وأحسنوا إلى إخوانهم ، و عرفوا الحقائق و عملوا الخير و ساعدوا الناس
بأموالهم و بأنفسهم ، و شاركوا المجموع فأسعدوه و انتشلوا إخوانهم من الجهالة
و المخاطر الدينية والدنيوية ، و صاروا متعاضدين متعاونين بعضهم لبعض ، و صبروا
على ما نزل بهم من الحدثن ، و رموا به من البهتان و أصيبوا به من الخذلان
أيّام يؤسهم ، و وصى بعضهم بعضاً باتباع الحقائق ، و السير على أحسن المناهج
و الصبر في كل بأساء و ضرّاء و حين البأس ، فهؤلاء في الدنيا يفوزون بما يريدون ،
و في الآخرة بالنعيم يفرحون .

١٢ - قيل : إن الإنسان الخاسر هو الذي لا يغتنم فرصة الوقت ، ولا يبادر
إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان ، و من الحكم الخالدة : الليل والنهار يعملان
فيك فاعمل فيهما ما فيه صلاحك و سعادتك مع أن الإنسان إطلاقاً لا ينفك
عن خسر لأن الخسر هو تضييع رأس المال ، و رأس ماله هو عمره و هو قلما ينفك
عن تضييع عمره ، و ذلك لأن كل ساعة تمرّ بالإنسان ، فان كانت مصروفة إلى
المعصية ، فلاشك في الخسران ، وإن كانت مشغولة في المباحات ، فالخسران أيضاً

لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر مع أنه كان متمكناً من أن يعمل فيه عملاً يبقى أثره دائماً .

وإن كانت مشغولة في الطاعات فإلا ويمكن الاتيان بها أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك لأن مراتب الخشوع والخشوع غير متناهية ، فإن مراتب جلال الله تعالى وقهره غير متناهية ، وكلما كان علم الإنسان بها أكثر كان خوفه منه عز وجل أكثر فكان تعظيمه عند الاتيان بالطاعات أتم وأكمل ، وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران .

أقول: إن الخسران قديقال في أحوال الإنسان النفسية والمعنوية كالإيمان والثواب والصحة وما إليها ، وقديقال في المكتسبات الخارجية عن الشخص كالمال وما إليه ، وإن كل خسران ذكر في القرآن الكريم غير الخسر في المكيل والموزون إلا بالمآل - فقد اشير به إلى تعاطى ما يخف به الميزان يوم القيامة .

٣ - (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

في « عملوا الصالحات » أقوال : ١- قيل: أي أدوا الفرائض المفترضة عليهم من صلاة و زكاة و حج و جهاد و صوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٢- قيل: أي أدوا ما لمهمهم من الفرائض واجتنبوا عما نهوا عنه من المعاصي .
وقيل : إن قوله تعالى : « وعملوا الصالحات » إشارة إلى قوة عملية كما أن قوله عز وجل : « إلا الذين آمنوا » إشارة إلى قوة علمية وهاتان القوتان خلقتا في الإنسان : قوة العلم وقوة العمل ، أمّا قوة العلم فمبدأها الإيمان بالله جل و علا ، و أمّا قوة العمل فقد أبان الشارع الواجب فيها من صلاة و صيام و حج و جهاد و ما يليها من الأوامر والنواهي ...

٣ - قيل : أي تلبسوا بالأعمال الصالحة جميعها لأن تعبير « الصالحات » عام مطلق يتضمن كل نوع من أنواع الخير والبس والمعرف تعبدية كان أم غير تعبدية - لمكان الجنس أو الاستغراق المستفاد من « اللام » لابعضها دون بعض -

فلا يشمل الاستثناء الفساق بترك بعض الصالحات من المسلمين ، فإن لازمه أن يكون الخسر هذا أعم من الخسر في جميع جهات حياته كما في الكافر المعاند للحق المتخلد في العذاب ، والخسر في بعض جهات حياته كالمسلم الفاسق ، ما لم يكن فسقه على حد يخلده في النار بل كان على ما ينقطع عنه العذاب بشفاعته ونحوها .
أقول : والأخير هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « بالحق » أقوال : ١ - عن ابن عباس ومقاتل : أي بالتوحيد والإيمان . ٢ - عن قتادة والحسن : أي بالقرآن . ٣ - عن السدي : الحق هنا هو الله عز وجل . ٤ - قيل : بالحق هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قيل : الحق خلاف الباطل ، وإن الحق يشتمل الخيرات كلها وما يحق فعله ، والمعنى : تحابوا أوصى بعضهم بعضاً وحث بعضهم بعضاً باتباع الحق وإجتنب الباطل ، والدوام عليه ، فليس دين الحق إلا إتباع الحق إعتقاداً وعملاً ، والتواصي بالحق أوسع من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لشموله الاعتقاديات ومطلق الترغيب والحث على العمل الصالح ، فالتواصي بالحق من العمل الصالح ، فذكره بعد العمل الصالح من قبيل ذكر الخاص بعد العام إهتماماً بأمره كما أن التواصي بالصبر من التواصي بالحق و ذكره بعده من ذكر الخاص بعد العام إهتماماً بأمره ، ويؤكد كده تكرار ذكر التواصي حيث قال : « و تواصوا بالصبر » ولم يقل : « وتواصوا بالحق والصبر » فذكر تواصيهم بالحق وبالصبر بعد ذكر تلبسهم بالإيمان والعمل الصالح للإشارة إلى حياة قلوبهم و إنشراح صدورهم للإسلام فلهم إهتمام خاص وإعتناء تام بظهور سلطان الحق و إنبساطه على الناس حتى يتبع ويدوم إتباعه .

٥ - قيل : إن الحق ما له ثبات و واقع لا يتخلف ، فيجب على المؤمنين أن يوصي بعضهم بعضاً بالحق على معناه العام والدوام عليه إعتقاداً كان أم عملاً وقولاً ، لله تعالى كان أم للعباد أو للنفس وما يتعلق بها ، والمعنى : وأوصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره

وهوالخير كله من ايمان بالله عز وجل" وإتباع لكتبه و رسله في كل عقد وعمل وقول . وقيل: أي أوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله تعالى في كتابه من أمره وإجتنا ب ما نهى عنه فيه .

٦- قيل: هو أن يقولوا عندالموت لمخلفيهم لانموتن" إلّا وأنتم مسلمون .
٧- قيل: أي كل مؤمن يوصي غيره بكل حق كما يوصيه غيره و كل يقبل الوصية من غيره كما يرجو القبول من غيره لكي يوجدوا جواً طاهراً تزيهاً عن التخلفات والردائل كلها ، و ذلك ان الوصية بالحق ليست وظيفة جماعة خاصة دون جماعة من المؤمنين ، بل تجب على المؤمنين كلهم ، كل يوصي أخاه بالحق لكي يصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل حق صالح ، كل حسب إمكانيته ، على حد قول النبي الكريم ﷺ : « ألا كللكم راع و كللكم مسئول عن رعيته » .
و أياً ما كان التواصي بصورة جماعية مرهبة ناصحة ناصعة ، تفرض الحق كلما كان تاركوا الحق أقوى وأطغى فليكن الموصون بها أكثر كفاحاً وأقوى ، والتواصي يشمل تعليم الشريعة وتعلمها ، والأمر بتطبيقها : تعليم الجاهل وحمل العارف ، و « بالحق » أشمل تعبير يعم كل خير صالح دون إستثناء وان التواصي بالحق يعم التواصي بدراسة الحق وإعتناقه وتطبيقه وتأسيس حكم الحق والدولة الحقبة الالهية لتضمن كلما يحق للحق ، و ان التواصي بالحق ضرورة حيث النهوض بالحق عسير ومعارضوه كثير والمعوقات عنه كثيرة ، هوى النفس ، منطق المصلحة ، تصورات البيئة طغيان الطغاة ، وجو التواصي يطمئن الموصين أن غيرهم مهما كثر الطغاة ، فهم يتضاعفون قوة ويأملون النجاح في المعركة .
أقول: ولكل وجه ولكن الأنسب الأوجه هو الأخير لظاهر الاطلاق وفي معناه بعض الأقوال الاخر .

و في قوله تعالى : « وتواصوا بالصبر » أقوال : ١ - عن قتادة والحسن : أي وتوصي بعضهم بعضاً على تحمّل المشاق في طاعة الله عز وجل ، والصبر عن معاصيه ،

أي فان هؤلاء ليسوا في خسر بل هم في أعظم ربح و زيادة يربحون الثواب باكتساب الطاعات ، و إنفاق العمر فيها فكأن رأس مالهم باق كما أن التاجر إذا خرج رأس المال من يده و ربح عليه لم يعد ذلك ذهاباً .

٢- قيل: أي بالثبات على طاعة الله تعالى و تحمّل المشاق و المكره في سبيلها و سبيله . ٣- قيل: التواصي بالصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدعاء إلى التوحيد و العدل و أداء الواجبات و الاجتناب عن المقتضات ، فالصبر يشمل لجميع المناهي فهم بالحقيقة آمرون بالمعروف و ناهون عن المنكر .

والمعنى: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية ، و على الطاعات التي يشقّ عليها أداؤها ، و على ما يتلى الله تعالى به عباده من المصائب و يتلقاها بالرضا ظاهراً و باطناً ، فلا بد للنجاة من الخسران أن يعرف الناس الحق و يلزموه أنفسهم و يمكنوه من قلوبهم ، ثم يحمل بعضهم بعضاً على سلوك طريقه ، و أن يبعدوا بأنفسهم و بغيرهم عن الأوهام و الخيالات التي لا قرار للنفوس عليها و لا دليل يهدي إليها .

٤- قيل: أريد بالصبر أعم من الصبر على طاعة الله عزّ وجلّ ، و الصبر عن معصيته و الصبر عند النوائب التي تصيبه بقضاء الله تعالى و قدره .

والمعنى: كل مؤمن يوصي غيره بالصبر كما يوصيه غيره به ، و كل يقبل الوصية من غيره كما يبرجوا القبول من غيره ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل صبر صالح ، كل حسب إمكانيته ، و أن الصبر هو زاد الطريق في دعوة الحق ، فأنه طريق شاق طويل ، حافل بالعقبات و الأشواك ، مفروش بالدماء و الأشلأ بالايذاء و الابتلاء ، و أن سلوك هذه السبيل يتطلب الصبر و التصابر ، الصبر على أمور كثيرة :

الصبر على شهوات النفس و رغائبها ، و أطماعها و مطامحها ، و ضعفها و نقصها ، و عجلتها و ملالها من قريب ، الصبر على شهوات الناس و نقصهم و ضعفهم و جهلهم ،

و سوء تصوّرهم و تصوّر فهم ، و إنحراف طبائعهم و أثرهم و غرورهم و إلتوائهم
و إستعجالهم للشمار ، الصبر على تنفّج الباطل ، و وقاحة الطغيان ، و إلتفاف
الشّر ، و غلبة الشهوة ، و تصعير الغرور و الخيلاء ، الصبر على قلّة الناصر و ضعف
المعين ، و طول الطريق ، و غور المعين ، و دسوس الشياطين في ساعات الكرب و الضيق .
و الصبر على مرادة الجهاد لهذا كلّه و ماثيره في النفس من إنفاعات متنوّعة
من الألم و الغيظ ، و الحنق و الضيق ، و ضعف الثقة - أحياناً - في الخير و قلّة الرجاء
- أحياناً - في الفطرة البشرية و الملل و السأم و اليأس و القنوط ، و الصبر بعد ذلك
كلّه على ضبط النفس في ساعة القدرة و الانتصار و الغلبة و إستقبال الرّخاء في نواضع
و شكر ... و البقاء في السّراء و الضّرّاء على صلة أصيلة بالله جلّ و علا و استسلام
لقدر الله تعالى و ردّ الأمر كلّه إلى الله عزّ و جلّ ، في طمأنينة وثقة و خشوع .
أقول: و التعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق من غير تناف بين الأقوال فتأمّل
جيداً .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١- (والعصر)

إن الله جل وعلا يقول: أقسم بالعصر.

و من العصر : عصر نزول الوحي السماوي على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى ﷺ لظهور الحق علي الباطل ، و طلوع الاسلام من افق الجزيرة العربية إلى الآفاق جمعاء وعلى المجتمع البشري كله إذ كانوا غريقين في الكفر و الفساد ، في الشرك والعناد، وفي البغي واللجاج ، و منهمكين في الشهوات و الطغيان ، في الجهل والعدوان ، وفي الضلالة والعصيان ، و منحطتين غاية الانحطاط ...

قال الله عز وجل: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» الصّف: ٩).

أرسله ﷺ الله تعالى لينجي الناس كافة من ورطة الكفر والانحطاط ، و ليلجأواهم إليه بالايمان و العمل الصالح و الثبات في طريقهما فينالوا إلى الرحمة والكمال و إلى السعادة والفلاح ، وينجوا من الهلاك والدمار ، و من العذاب والنار .

قال الله جل وعلا : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة

للعالمين قل إنما يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون، الأنبياء:
(١٠٥-١٠٨).

وقال: «يا أيّها النبيّ إنّنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً
إلى الله بآذنه وسراجاً منيراً وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً، الأحزاب:
(٤٥-٤٧).

وقال: «وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر الناس لا
يعلمون، سبأ: (٢٨).

وقال: «إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً، الفتح: (٨-٩).

وقال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ
كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون،
آل عمران: (١٠٣-١٠٤).

وإنّ تمام هذا الظهور والبرزخ علماً وعملاً على العالم كلّ ظهوراً تامّاً
و تحقيقاً عامّاً للرسالة المقدّسة المحمّدية، عصر الكفاح التربوي بكامله ضدّ
عناصر الخسران وأوصاره: عصر خاتم الأوصياء والمعصومين: الإمام الثاني
عشر: المهديّ المنتظر: الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه
الشريف وجعلنا من أعوانه وأنصاره بحق محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله
عليهم أجمعين.

قال الله عزّ وجل: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم
أئمةً ونجعلهم الوارثين، القصص: (٥).

٢- (ان الانسان لفي خسر)

إنّ الانسان - وهو هذا الهيكل المخصوص المحسوس - لفي إنتقاص في رأس ماله، وضياع في نفسه وفيما ينسب إليه من أهله وما يتعلق به فهو خاسر.

الإنسان: إسم جنس يطلق على الذكر والانثى، وعلى الواحد والجمع من آدم ^{عليه السلام} وبنيه إطلاقاً.

كقوله عزّ وجل: «خلق الانسان علمه البيان» (الرحمن: ٣-٤).

وقوله: «وأنّ ليس للانسان إلّا ماسعى» (النجم: ٣٩).

وقوله: «إنّ الشيطان كان للانسان عدوّاً مبيناً» (الاسراء: ٥٣).

وقد اريد بالانسان هنا أفراد على سبيل الإستغراق ثم استثنى منه ما استثنى .

كقوله عزّ وجل حكاية عن يوسف النبي ^{عليه السلام}: «وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربّي» (يوسف: ٥٣).

انّ كل خسران يذكر في القرآن الكريم حتّى الإخسار في المكييل و الموزون مآلاً فقد اشير به إلى تعاطى ما يخفف به الميزان يوم القيامة من الشرك والكفر بالله سبحانه ورسوله ^{صلى الله عليه وآله وسلم} وبآياته وتكذيب البعث والحساب والجزاء، و عدم إبتغاء الإسلام ديناً، من إتخاذ الشيطان ولياً والتحزّب بحزبه، من إتباع الطواغيت الجبابرة، والحكّام المستبدّة والامراء المستكبرة، من نقض عهد الله جلّ وعلا وقطع ما أمر بوصله، وصدّ الناس عن سبيل الحق، وكتمانه، من الافتراء على الله تعالى وأهل الحق والإفساد في الأرض، من حب الدنيا وزخارفها، والإنهماك في شهواتها، والتلهّي بالأموال والأولاد والتفاخر بالقوى الزائلة والجاه والمقام والإشتهار، ومن الظلم والبغي والظغيان...

قال الله عزّ وجل: «ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما

كانوا بآياتنا يظلمون» (الأعراف: ٩).

وقال: «فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» (الزمر: ١٥).

وقال: «قل هل ننبتكم بالآخسين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا و اتخذوا آياتي ورسلي هزوا» (الكهف: ١٠٣-١٠٦).

وقال: «والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون» (العنكبوت: ٥٢).

وقال: «الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون - أولئك الذين خسروا أنفسهم و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الآخسون» (هود: ١٩-٢٢).

وقال: «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم أولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون» (النحل: ١٠٧-١٠٩).

وقال: «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينّا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الآخسون» (النمل: ٤-٥).

وقال: «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً» (النساء: ١١٩-١٢١).

وقال: «استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» (المجادلة: ١٩-٢٠).

وقال: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون» (البقرة: ٢٧).

و قال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون - قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم و حرموا ما رزقهم الله اقتراء على الله قد ضلوا و ما كانوا مهتدين » الأنعام : ٢٠-١٤٠ .

وقال : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » الحج : ١١ .

وقال : « ومن يمتنع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » آل عمران : ٨٥ .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون » المنافقون : ٩ .

٣ - (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر)

إن الله عز وجل يبين هناك طريقاً واحداً لخروج الإنسان، مطلق العنان من ورطة الخسران وهو الايمان :

الايمان بالله جل و علا و برسوله الخاتم محمد المصطفى ﷺ و بما جاء به، الايمان بكتبه و رسله و ملائكته بلا تفريق بين ذلك ، و الايمان باليوم الآخر .

قال الله تعالى : « قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون ، الأعراف : ١٥٨ .

وقال : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً و نذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه و توقروه و تسبحوه بكرة وأصيلاً » الفتح : ٨-٩ .

وقال : « فآمنوا بالله و رسوله والنور الذي أنزلنا » (التغابن : ٨) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » (النساء : ١٣٦) .

و قال : « ان الذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً و أعدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم اولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً » (النساء : ١٥٠ - ١٥٢) .

وقال : « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشدّ العذاب » (البقرة : ٨٥) .
وقال : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و رسله لانفرّق بين أحد من رسله » (البقرة : ٢٨٥) .

و هذا هو صراط مستقيم فيه نجاه من الخسران لمن اهتدى إليه ، و فيما سوى ذلك خسران هلاك و دمار .

قال الله تعالى : « و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » (الأأنعام : ١٥٣) .

و قوله تعالى : « وعملوا الصالحات » ومن لوازم الايمان و مظاهره الأعمال الصالحة تعبديّة كانت أم غيرها من أنواع الخير والبرّ والمعروف ، من ذكر كان أم من أنثى ، و كل عمل صادر عن غير ايمان لاشأن له عند الله جلّ و علا إذ لا يقبل الله تعالى عملاً إلاّ بالايمان .

قال الله تعالى : « إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربّهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة

و ممّا رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم و مغفرة و رزق كريم ، الأنفال : ٢ - ٤) .

وقال : « إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥) .

و قال : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة و لنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل : ٩٧) .

وقال : « فمن يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه و انّا له كاتبون » الأنبياء : ٩٤) .

وقال : « ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصّالحات فاولئك لهم الدرجات العلى » طه : ٧٥) .

وقال : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الذين كفروا بآيات ربّهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الكهف : ١٠٣ - ١٠٥) .

وقال : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتواً كبيراً - و قدمنّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً » الفرقان : ٢١ - ٢٣) .

وقال : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً » الأحزاب : ١٩) .

وقال : « والذين كفروا فتعسّأ لهم و أضلّ أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم - ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم - انّ الذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله و شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً و سيحبط أعمالهم » محمد وآله الصّلى عليه و آله و آله : ٨ - ٣٢) .

وقال : « ومن يكفر بالايّمان فقد حبط عمله و هو في الآخرة من الخاسرين -

إنما يتقبل الله من المتقين « المائدة : ٥ - ٢٧) .

وقال : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، الاحقاف : ١٣ - ١٦) .

وقوله عز وجل : « وتواصوا بالحق » ومن مظاهر الايمان و وظائف المجتمع الإسلامي أن يحبوا بني جنسهم و يحسنوا إلى إخوانهم الايماني ، فيساعدوهم بأنفسهم وأموالهم ، ويصيروا معهم متعاضدين متعاونين ، فيستمسكوا بالحق بكل وجوهه ، ويدعوا غيرهم إليه ، ثم تواصوا به فيما بينهم ، فيوصي كل مؤمن أخاه بالحق ، وينصح بعضهم بعضاً بالاستقامة عليه ، ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل حق صالح ، كل يوصي غيره كما يوصيه غيره بالحق ، وكل يقبل الوصية من غيره كما يرجو القبول من غيره ليوجدوا جواً طاهراً ، جواً صالحاً ، جواً مستعداً لنيل الإنسان إلى الكمال والخير والسعادة ، وجواً نزيهاً عن المفاسد والفواحش والرزائل ، وفي هذا ما يقوئ من جبهة الحق ويكثر من أتباعه ... و عليه يقوم الدين الحق ، وفيه كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، أمر الله تعالى به نبيه الخاتم محمداً المصطفى ﷺ .

قال الله عز وجل مخاطباً لهذه الأمة المسلمة و نبيهم ﷺ : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى و عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه - فلذلك فادع و استقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لأعدل بينكم الله ربنا و ربكم » الشورى : ١٣ - ١٥) .

وقوله جل وعلا : « وتواصوا بالصبر » ومن علائم الايمان حقاً ، وخصال المؤمنين أن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله جل وعلا و فرائضه ، بالصبر على التكليف الشرعية والوظائف الدينية ، بالصبر على ما نزل بهم من الحدثنان وما رموا به من الافتراء والبهتان ، بالصبر على ما أصابهم من البلايا والمصائب والمكارد

في سبيل الدفاع عن حوزة الحق و أهله ، ومن الخطوب والمحن التي قلما يخلو المؤمن عنها ، وبالصبر عن معاصي الله عز وجل .

ومن البين : أن التواصي بالصبر يستهدف تضامن أفراد المجتمع في شد بعضهم أزر بعض في الأحداث الملمة والمصاعب المدلهمة ، وفي مواقف الحق والخير دونما وهن ولاضعف ولاجزع ولاتراخ ولاتوان ، و ان تعبير الصبر هنا عام يشمل لكل صبر جعله الله تعالى لازماً للذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق . وهذا المبدأ بهذه السعة من المبادئ الجليلة التي قررها القرآن الكريم مرة بعد مرة بأساليب متنوعة ، حتى كان من أهم أهداف الدعوة الإسلامية ، و وروده في هذه السورة المبكرة وبهذا الأسلوب القوي يدل على أنه من أسس الدعوة الرئيسية ، و انه من أهم الأخلاق التي يجب أن تقوم عليها الشخصية الإنسانية الإيمانية ، و انه كذلك ، و انه لمن أقوى مرشحات الإسلام والخلود ، فان ذلك الخلق الشخصي الإجتماعي من لوازم الحياة الإنسانية الصالحة وعمدها ، و يهدف القرآن الكريم إلى تقويته في الأفراد والمجتمع ، و بث روح القوة والطمأنينة فيهم لما له من خطورة و ضرورة في حياة الأفراد والمجتمع .

قال الله عز وجل : « فاعبدوه و اصطبروا لعبادته » مريم : ٦٥ .

وقال : « و أمر أهلك بالصلوة و اصطبر عليها » طه : ١٣٢ .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠ .

وقال : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة و مما رزقناهم ينفقون » الحج : ٣٥ .

وقال : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أنصبرون » الفرقان : ٢٠ .

وقال : « إن تمسكم حسنة تسؤهم و إن تصبكم سيئة يفرحوا بها و إن تصبروا و تقفوا لا يضركم كيدهم شيئاً - ولقد نصركم الله بيدر و أنتم أذلة -

بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - لتبلون في أموالكم وأنفسكم و لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشر كوا أذى كثيراً و إن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الامور ، آل عمران : ١٢٠ - ١٨٦) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧ - ١٨٣) .

وقال : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » الأنفال : ٤٦) .

وقال : « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون - إنني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون » المؤمنون : ١٠٢ - ١١١) .

و ما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب ، وما ورد : أن المراد بقوله عز وجل : « إلا الذين آمنوا » هو علي بن أبي طالب عليه السلام مع أن الصيغة صيغة جمع فقد ثبت عن الطريقتين : ان ما ورد في القرآن الكريم كلمة الايمان و أهله إلا و علي بن أبي طالب عليه السلام هو أميرهم ، فان شئت فراجع إلى بحث ايمانه عليه السلام في هذا التفسير .

و أمّا ما ورد عن ابن عباس : أن قوله تعالى : « و نواصوا بالصبر » هو

علي بن أبي طالب عليه السلام .

فان تسئل : ان الصبر صفة من الصفات وليس بأعلام حتّى يراد به شخص ؟
تجيب عنه : ان المراد ان من تواصوا بالصبر علي بن أبي طالب عليه السلام لانفس
الصبر هو علي عليه السلام مع جواز قولك : زيد عدل للمبالغة و بيان كماله في العدل
كأنه هو نفس العدل ، و أمّا صيغة الجمع فقد عبّر الله تعالى عن علي عليه السلام بها
إعظماً له و بياناً لكمال صبره ، وان صبره بمنزلة صبر جميع المؤمنين المتواضعين
به لشدة ما يلزم نفسه به ، فلا يقع منه خلاف الصبر الذي هو صبران : صبر على
الطاعة وصبر عن المعصية ، فيكون هو عليه السلام أفضل الأمة ومعصومها وإمامها وأميرها
ولنا فيه اسوة حسنة جعلنا الله جلّ وعلا من شيعته حقاً بحق محمد وأهل بيته المعصومين
صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿ جملة المعاني ﴾

٦١٧٧- (والعصر)

إن الله تعالى يقول: أقسم بالعصر:

ومن العصر: عصر نزول الوحي السماوي على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ لا كمال الدين وظهوره على الدين كله.

ومن العصر: عصر خاتم الأوصياء من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لتنام الظهور والعمل بهذا الدين القيم تمام العمل في أنحاء الأرض كلها.

٦١٧٨- (ان الانسان لفي خسر)

إن الإنسان إطلاقاً الذين خفت موازينهم يوم القيامة بالكفر وفساد العمل في الحياة الدنيا، لفي خسر مطلق: خسران الدنيا والآخرة بسبب إطفاء نور مابه كماله وإنسانيته بالكفر، وذهاب ما فيه عزه وسعاده في الحياة الدنيا من صالح العمل، وترك ما كان فيه تنعمه من نعم الله تعالى في الدار الآخرة من إتباع الحق والذنب عنه والإلتزام بلوازمه، وجزعه تجاه ما كان هو وسيلة خلوده في الجنة من الصبر والثبات .

٦١٧٩- (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

إلا الذين آمنوا بما يجب عليهم الايمان به، وعملوا الصالحات من الخير والبر والمعروف على أنواعها مما فيه سعادة ابدارين تعبدياً كان أم غير تعبدي و

تواصوا بالحق بأن يوصي بعضهم بعضاً بالحق على معناه العام والدوام عليه إعتقاداً
كان أم عملاً أو قولاً: حق الله جلّ وعلا كان أم حق الناس أو حق النفس، ويوصي بعضهم
بعضاً على الصبر المطلق، والثبات على الثلاثة المتقدمة: الصبر على الإيمان والطاعة،
الصبر على العمل الصالح، الصبر على التواصي بالحق وتحمل المشاق في سبيل الله تعالى
والدفاع عن حوزة الحق وأهله، والصبر على المصائب في مواقف الخير والحق، من دون
وهن ولا جزع ولا تراخ ولا توان، والصبر عن معصية الله جلّ وعلا وعلى النوائب
والشدائد ...



* بحث روائي *

في تفسير القمي : قال : « والعصر إن الانسان لفي خسر » قسم و جواب ،
 وقرأ أبو عبدالله عليه السلام : « والعصر إن الانسان لفي خسر » وأنه فيه إلى آخر الدهر
 « إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات ... » وأتمروا بالتقوى وأتمروا بالصبر .
 وفيه : باسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى :
 « إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » فقال :
 استثنى أهل صفوته من خلقه حيث قال : « إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا »
 يقول : آمنوا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام و « تواصوا بالحق » ذرّياتهم ومن خلفوا
 بالولاية « وتواصوا » بها وصبروا عليها .

وفي الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : « والعصر
 إن الانسان لفي خسر » يعني أبا جهل بن هشام « إلا الذين آمنوا و عملوا
 الصالحات » ذكر علياً عليه السلام و سلمان .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن ابن عباس
 قال : جمع الله هذه الخصال كلها في علي : « إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات »
 وكان أول من صلى وعبد الله من أهل الأرض مع رسول الله « وتواصوا » وأوصاه
 رسول الله ﷺ بقضاء دينه و بغسله بعد موته ، و أن يبني حول قبره حائطاً لئلا
 يؤذيه النساء بجلوسهن على قبره و أوصاه بحفظ الحسن والحسين فذلك قوله :
 « و تواصوا بالصبر » .

وفيه: قال علي بن الحسين النسائي الإمامي قال لي أبو بكر بن مؤمن المفسر الشيرازي: أخرجت هذه الآيات من إثني عشر تفسيراً:

الاول: تفسير يعقوب بن سفيان .

والثاني: تفسير ابن جريح .

والثالث: تفسير مقاتل .

والرابع: تفسير وكيع بن الجراح .

والخامس: تفسير يوسف القطان .

والسادس: تفسير قتادة .

والسابع: تفسير أبي عبيدة :

والثامن: تفسير علي بن حرب الطائي .

والتاسع: تفسير السدي .

والعاشر: تفسير مجاهد .

والحادي عشر: تفسير مقاتل بن حيان .

والثاني عشر: تفسير أبي صالح .

وفي الدر المنثور: عن علي عليه السلام قوله: « والعصر وإن نواب الدهر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفيه إلى آخر الدهر » .

وفي كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده عن المفضل بن عمر قال: سئلت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل: « والعصر إن الإنسان لفي خسر » فقال: العصر: عصر خروج القائم عليه السلام « إن الإنسان لفي خسر » يعني أعدائنا « إلا الذين آمنوا » يعني بآياتنا « وعملوا الصالحات » يعني بمواسات الأخوان « وتواصوا بالحق » يعني بالإمامة « وتواصوا بالصبر » يعني بالفترة .

أقول: أي بالصبر على ما يلحقهم من الشبه والفتن والحيرة والشدة في زمن الغيبة .

رواه البحراني في تفسير البرهان، وفي المحجّة فيما نزل في القائم الحجة عليه السلام،
والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

وفي البرهان: بالاسناد عن محمد بن علي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل:
«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» قال: استثنى
الله سبحانه أهل صفوته من خلقه حيث قال: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا» بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أي أدّوا الفرائض
«وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» أي بالولاية «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» أي وصّوا ذراريهم ومن خلقوا
من بعدهم بها والصبر عليها.

وفي البحار: «والعصر إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ» قيل: أقسم بصلاة العصر أو
بعض النبوة «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ» في مساعيهم و صرف أعمارهم في مطالبهم
«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فأنهم إشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة
الأبدية والسعادة سرمديّة «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» أي بالثابت الذي لا يصح إنكاره
من إعتقاد أو عمل «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» عن المعاصي والطاعات وعلى المصائب وهذا
من عطف الخاص على العام.

وفي حديث: «ليس من مؤمن ولا كافر إلاّ له منزل في الجنة وأهل وأزواج،
فمن أسلم سعد و صار إلى منزله، ومن كفر صار منزله وأزواجه إلى من أسلم
و سعد ذلك قوله: «الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدُوسَ» يقول: يرتون منازل الكفّار
وهو قوله: «إِنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يقول: أهلكوهما»

* بحث فقهي *

و قد استدل بعض المتفقهين بقوله تعالى : « والعصر » العصر : (١) على جواز الحلف بغير الله تعالى من الموجودات المكرومة و الأماكن المشرفة و الأزمان المديحة .

أقول : إن اليمين شرعاً هو الحلف بالله تعالى أو بأسمائه الخاصة لتحقيق ما يحتمل الموافقة أو المخالفة في الماضي أو الحال أو المستقبل ، فيترتب عليه الحنث و الكفارة ونحوهما من الأحكام التي رتبها الشارع على اليمين .

فلا تنعقد اليمين إلا بالله عز وجل أو بأسمائه التي لا يشاركه فيها غيره أو مع إمكان المشاركة ولكن ينصرف إطلاقها إليه تعالى ، فالأول كقولك : والذي نفسي بيده والثاني مثل : والرحمن . والثالث نحو : والرب .

في الكافي : بإسناده عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عز وجل : « والليل إذا يغشى » والنجم إذا هوى » وما أشبه ذلك ، فقال : إن الله عز وجل أن يقسم من خلقه بما شاء وليس لخلقه أن يقسموا إلا به .

و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : الثانية - قال مالك : من حلف ألا يكلم رجلاً عراً لم يكلمه سنة . قال ابن العربي : « إنما حمل مالك يمين الحالف ألا يكلم امرءاً عراً على السنة لأنه أكثر ما قيل فيه ، وذلك على أصله في تغليظ المعنى في الأيمان .

وقال الشافعي : يبرء بساعة إلا أن تكون له نيّة وبه أقول ، إلا أن يكون الحالف

عربياً فيقال له: ما أردت؟ فإذا فسر به بما يحتمله قبل منه إلا أن يكون الأقل، و
يجيء على مذهب مالك أن يحمل على ما يفسر والله أعلم.

أقول: و لو قال : والله لا أنكلم فلاناً عصراً أو في العصر - لو كان ترك
الكلام راجحاً لسبب من الأسباب - يحمل على ما بعد الزوال إلى غروب الشمس
لأنه عرف شرعي إن لم يفهم المراد به فيه بقصد اللفظ أو قرينة تدل على غيره من
أحد المعاني المشتركة.

* بحث مذهبي *

يستدل بقول الله جل وعلا: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا...» على أن الإنسان هو الفاعل المختار في معتقداته وأعماله وأقواله وحرركاته... وأن سوء اختياره هو مصدر شقائه وخسرانه لا الله عز وجل ولا الزمان ولا المكان ولا الأفراد وأن سوء اختياره هو يوقعه في الذلة والهوان، في الهلاك والدمار وفي العذاب والنار، فذنب المرء في حق بارئه تعالى، ومن يمن عليه بنعمه الجليلة وآلائه الجسيمة ورحمته الواسعة، وخيره الكثير جريمة لاتعدلها جريمة أخرى، ردّا على الأشاعة المجبرة الذين هم أولياء الشياطين.

قال الله تعالى: «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين» (الأعراف: ٢٧-٢٩).

وقال: «إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» (الزمر: ٧).

وقال: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦).

وقال: «وما أمروا إلا ليعبدوا مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة» (البينة: ٥).

﴿ الأقسام القرآنية ﴾

قال الله عز وجل: «والعصر» العصر: (١).

واعلم أن القسم في القرآن الكريم على ضروب:

قسم بذات الله جل وعلا وصفاته العليا...

قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «والله لأكيدن أصدانكم بعد أن

تولوا مدبرين» الأنبياء: (٥٧).

وقد أقسم بلفظة الجلالة: «الله» دعوة لهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وهو وحده

يليق لها دون ما سواه مضافاً إلى تحقيق ما أقسم عليه.

وقال: «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» الذاريات:

(٢٣) وقد أقسم بربوبيته لظهورها لكل إنسان، فكأنها أيضاً محسوس ، مضافاً إلى

تأكيد المقسم عليه.

و قسم بذات رسوله ﷺ وحقيقته تنبيهاً إلى عظمته وكماله ﷺ:

فقال: «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» الحجر: (٧٢).

أقسم بنبيه ﷺ ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته ومنزلته لديه وعلو

مقامه ورفعة شأنه ﷺ مضافاً إلى تذكير ما كانوا عليه من عموهيتهم في سكرانهم.

و قسم بالقرآن الكريم دعوة للناس إليه لما فيه خيرهم وكمالهم، وعزهم

وسعادتهم، وصلاحهم وفلاحهم :

إذ قال: «يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم»
يس: ١-٤).

وقال: «ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق» ص: ١-٢).
وقال: «ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منبذ منهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب» ق: ١-٢).

أقسم جلّ وعلا بالقرآن الكريم من حيث إنه معجز مبين لطريق الحق و
الهدى، مبين لسبيل الخير والرشاد، مبين لطريق الكمال والفلاح، ومبين لما يحتاج
إليه البشر في دينه ودنياه من الأحكام والسياسات والعبادات وما إليها، وأبين للعرب
ما يدلّ على أنه جلّ وعلا صيّرهم كذلك، مضافاً إلى تحقيق ما أقسم عليه.

وقسم بمخلوقاته من العلويات والسفليات، من الأعيان والأعراض والصفات
والأماكن والأزمان، ومن الجماد والنبات والحيوان والإنسان، وبما يراه الإنسان
وما لا يراه تنبيهاً إلى ما فيها من الأسرار والحكم والمعارف والعلوم والحقائق، و
من البراهين القاطعة والحجج الواضحة على وحدانية خالقها وقدرته وكمال علمه
وتدبيره وغاية حكمته وعظمته، ومستشهداً بما فيها من الدلالة على المقسم عليه.

إن الله تعالى أقسم في كتابه المجيد بالعصر والفجر، بالصبح والفلق، بالشمس
والقمر، بالليل والنهار، بالضحى والليالي العشر، بالنجم ومواقعها، برب المشارق
والمغارب، بالشفق وما وسق، بالسما ذات البروج والنازعات غرقاً، بالناشطات
نشطاً والسابحات سبحاً، بالسابقات سبقاً والمدبرات أمراً وبالتون والقلم وما
يسطرون...

أقسم بالذاريات ذرواً والحاملات وقرأ، بالجاريات يسراً والمقسمات أمراً،
بالطور وكتاب مسطور، بالبيت المعمور والسقف المرفوع، بالبحر المسجود، بالصفات
صفياً والزاجرات زجراً، بالتاليات ذكراً والمرسلات عرفاً، بالعاصفات عصفاً، و
الناشرات نشرأ، بالفارقات فرقاً والملقيات ذكراً، بالنجم إذا هوى والشفع والوتر،

باليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، بالأرض وما طحاها ، بالتين والزيتون ، بالبلد الأمين والدوما ولد ، بالطور والسينين ، بالعاديات ضبحاً ، والموريات قدحاً ، بالمغيرات صبحاً ، ونفس وما سواها ، وبكل ما خلق وبما تبصرون وما لا تبصرون ...
 إن الله تعالى أقسم بما ذكر إلفاناً لنظر الانسان في العلويات والسفليات لمافيه من مفاتيح العلوم والمعارف والحكم كلها...

من المعرفة بالله جل وعلا وجلاله ، وشمول علمه وغاية حكمته ، وكمال قدرته وتديره وعظمته ، المعرفة بالوحي السماوي وما وراء الطبيعة ، المعرفة برسله وأنبيائه عليه السلام ، المعرفة باليوم الآخر والحساب والجزاء ، والمعرفة بالنفس وإستعدادها ، ومن علم الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة ، والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم والحكم في عالمي التكوين والتدوين ونواميس الوجود ونظامه التي جعل الله عز وجل تلك الأقسام مفاتيحها لمافيه من ذكر جواهر الأشياء وبسائط الوجود ليلفت إليها العقول والأفكار ، ويوقظ بها القلوب والأبصار ، ويحرّض البحث عليها العلماء والامم ، فعليهم التحقيق والتفكر فيها.

ولعل ذلك كله من الحكمة لنهي غير الله تعالى عن القسم بغير الله جل وعلا ، إذ ليس غرض الحلف المحاورين الانسان ما ذكر في الأقسام الربانية ، فان غرضه هو التأكيد والتحقيق للاخبار بوقوع شيء أو عدمه في الماضي أو الحال أو المستقبل. وقد وردت روايات كثيرة في النهي عن الإقسام بغير الله تعالى منها:

في الفقيه: باسناده عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قول الله عز وجل: «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى» وقوله عز وجل: «والنجم إذا هوى» وما أشبه هذا فقال: إن الله عز وجل يقسم من خلقه بما شاء وليس لخلقه أن يقسموا إلا به عز وجل.

وفيه: باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله - في حديث المناهي - انه نهى أن يحلف الرجل بغير الله فليس

من الله في شيء، ونهى أن يحلف الرجل بسورة من كتاب الله عز وجل، وقال: من حلف بسورة من كتاب الله فعليه بكل آية منها كفارة يمين، فمن شاء برّ ومن شاء هجر ونهى أن يقول الرجل للرجل: لا وحياتك وحياة فلان.

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ برحلة القصابين بالكوفة فسمع رجلاً يقول: لا والذي احتجب بسبع طباق، قال: فعلاه بالدرّة وقال له: ويحك ان الله لا يحجبه شيء ولا نحتجب عن شيء، قال الرجل: أنا أكفر عن يميني يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: لا لأنك حلفت بغير الله.

ان تسئل: ان الله عز وجل نهى الإنسان عن اليمين بغير الله تعالى تارة وبذاته تارة اخرى فكيف أقسم هو بذاته وبغيره ؟

تجيب عنه بأجوبة :

منها : ان الله تعالى أقسم في ما ورد من الأقسام في القرآن المجيد كلها بذاته، بناء على حذف المقسم به أي ورب الذاريات ورب الطور، ورب النجم ورب المرسلات ورب النازعات، ورب التين ورب الزيتون وهكذا البواقي...
ومنها : لما كانت العرب تعظم هذه الأشياء، وتقسم بها نزل القرآن الكريم على ما يعرفونه ليوازن بلاغة القرآن المجيد ببلاغتهم.

هاؤم اقرؤا ما كانت العرب تقسم بها:

أقسم زهير بن أبي سلمى للحارث بن عوف وهرم بن سنان من بنسي غيظ بن مرة

فقال :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

يقول: أقسمت بالبيت الذي يقصده الناس للطواف حوله لنعم السيدان كنتما

على كل حال من سهولة الأمر وصعوبته.

ويقول الله عز وجل: «فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم
إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون».

ويقول النابغة في القسم إعتذاراً للنعمان واصفاً الكعبة: «أقسم بالبيت الذي
زرتة سنين، وبما أريق من الدماء على الأصنام، وبالله الذي أمن الطيور واللاجئات
للحرم يمسها تبر كاهها ركبان مكة السائرون بين الماء الخارج من جبل أبي قبيس
المسمى الغيل والسند وهو سفح الجبل، أقسم بما ذكر أني ما أتيت بشيء أنت
تكرهه، إذن فلا جعل الله يدي ترفع إلى سوطي وهذا معنى قوله:

وما هريق على الأنصاب من جسد	فلا لعمر الذي قد زرتة حججاً
ركبان مكة بين الغيل والسند	والجؤ من العائذات الطير يمسحها
إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي	ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه

ويقول الله جل وعلا: «والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها
والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها
فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» فتعجب كيف أخذ
يقسم بالشمس إذا ظهر نورها والقمر إذا أتبعها والنهار إذا أظهرها، والليل وظلمته،
والسماء وبنائها، والأرض ودحوها والنفوس وحسنها، وما ألهمت من الخيرات، و
ما أوعت من الشرور أقسم بهذا كله أن من طهرها فقد أفلح، ومن دنسها فقد خاب،
تعجب في هيئة القسمين، وتأمل في القسم بهما تعرف الفرق بينهما.

جرت عادة العرب أن يقسموا بلفظ: «أقسم» كقوله:

فاقسم أن لو إلتقيننا وأتم	لكان لكم يوم من الشر مظلم
وبلفظ: «يمين» كقوله:	

فقلت يمين الله أبرح قاعداً	ولو قطعوا رأسي لديدك وأوصالي
وبلفظ: «العمر» كقوله:	

لعمر ك ما أدري وأني لأوجل	على أيتنا تعدو المنية أوئل
---------------------------	----------------------------

وبلفظ «يميننا» قال زهير:

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

ثم جاء بعد ذلك الأقسام القرآنية نحو: مائة قسم ذكرنا جللاً منها آنفاً.
ومنها: أن تكون تلك المخلوقات التي أقسم الله تعالى بها قد عظمت في
أعين كثير من الناس، وقوى سلطانها في أنفسهم، حتى اتخذوها آلهة لهم من دون
الله فعبدوها كالنجوم والكواكب والشمس والقمر وما إليها...

فقال: «والنجم إذا هوى - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها...» فذكر
عز وجل بجانب ذلك بعض صفاتها الدالة على أنها مخلوقة له تعالى كتغييرها من حال
إلى حال وما يطرأ عليها من الاقوال والزوال مما لا يكون من شأن الآلهة المستحقة
للعباداة.

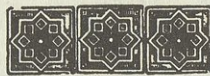
في فروع الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:
قول الله عز وجل: «فلا أقسم بمواقع النجوم» قال: كان أهل الجاهلية يحلفون بها
فقال الله عز وجل: «فلا أقسم بمواقع النجوم» قال: عظم أمر من يحلف بها، قال وكان
الجاهلية يعظمون المحرم ولا يقسمون به ولا شهر رجب ولا يعرضون فيهما لمن كان
فيهما ذاهباً أو جائياً، وإن كان قتل أباه، ولا شيء يخرج من الحرم دابة أو شاة أو
بعير أو غير ذلك، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: «لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا
البلد» قال: فبلغ من جهلهم أنهم استحلوا قتل النبي وعظموا أيام الشهر حيث
يقسمون به فيفنون.

وفي تفسير العياشي: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:
لا تتبعوا خطوات الشيطان، قال: كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشيطان.
وفيه: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قوله تعالى: «وإذا كروا
الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكراً» قال: إن أهل الجاهلية كان من قولهم: كلا
وأبيك وبلي وأبيك فامروا أن يقولوا: لا والله وبلى والله.

وفيه : عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون»، قال: من ذلك قول الرجل: لا وحياتك.

ومنها : أن تكون مما احتقره الناس لففلتهم عن فائدته وذهولهم عن موضع العبرة فيه، فأقسم ببعضها التعريف جلاله وهيبته، وبعضها لتنبيه الإنسان على قدرته وعظمته، وبعضها تذكيراً لنعمه عليه، وبعضها للتشريف في حق رسوله الأعظم عليه السلام ولوأنتهم تدبروا فيما هو عليه من جليل الصنعة، وبديع الحكمة لا هتددا إلى معرفة خالقه، ونعتوه بما هو أهل له من صفات الجلال والكمال.

ومنها : أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو بجلّه وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بذاته وأخرى بمخلوقاته لأنها على بارئها وصانعها وإن القسم بالمصنوع يستلزم اليمين بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل لاستحالة المفعول بلا فاعل.



﴿ كلمات حول الأقسام القرآنية ﴾

وقد جاءت كلمات المفسرين قديماً وحديثاً حول الأقسام القرآنية وعللها و
أهدافها نشير إليها على طريق الاختصار ليتفكر فيها القارئ الخبير :
منها : ان "الغرض من القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده .

ان قلت : إن كان القسم لأجل المؤمن فهو لغو لأن المؤمن مصدق بمجرّد
الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد لأنه مكذب ، أقسم أولاً ؟
قلت : يمكن الجواب بأمور :

الاول : ان "الكلام الذي يخاطب به المنكر يجب أن يؤكّد سواء يقبله
أم لا ليتمّ البيان والحجّة عليه ، وهذا مما لا يمكن إنكاره و من أسباب التأكيد
هو القسم .

والثاني : ان "القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، و من عادتهم القسم إذا
أرادوا التأكيد لكلامهم حتّى أن " بعض الأعراب إن سمع قوله تعالى : « وفي السماء
رزقكم وما توعدون فوربّ السماء والأرض انه لحق » صرخ فقال : من ذا الذي
أغضب الجليل حتّى ألجأه إلى اليمين .

والثالث : ان "الله تعالى في القرآن المجيد سواى ذاته المتعال بالمحسوسات
لائبات أمر غير محسوس إلّا قليلاً لائبات أمر محسوس ، وليس قبول غير المحسوس
كقبول أمر المحسوس فلا جرم إحتاج إلى القسم .

ومنها : ان " من تتبّع آي القرآن الحكيم فيما أقسم الله تعالى به من الأزمنة

والأمكنة والجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان وما لآراءه وبذاته
جلّ وعلا وتأمّل في ذلك كلّه يجد أنّه عزّ وجلّ بذلك لا يثبت شيء قد أنكر وجوده
الإنسان أو احتقره أو لم يتنبّه إلى ما فيه من الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته
فأقسم لتقريب ما أنكر وجوده أو لتعظيم ما احتقر وجوده أو لتنبيه ما فيه من
الدلائل على قدرته جلّ وعلا وعظمته لا يعلمه الإنسان .

ومنها : ان القسم إنّما يكون بشيء يخشى المقسم إذا حنث في حلفه به أن
يقع تحت المؤاخذه - نعوذ بالله أن يتوهّم شيء من هذا في جانب الله جلّ وعلا -
و ما كان الله تعالى ليجتاج في تأكيد أخباره إلى القسم بما هو من صنع قدرته ،
فليس لشيء في الوجود قدر إذا نسب إلى قدره تعالى ، الذي لا يقدره القادرون ،
بل لا وجود لكائن إذا قيس إلى وجوده سبحانه إلّا لأنّه إنسبط عليه شعاع من أشعة
ظهوره جلّ وعلا ، ولذلك قد يسئل السائل عن هذا النوع من الخبر الذي اختص
به القرآن المجيد ، وكيف يوجد في كلام الله تعالى ؟

فيجاب عنه بأنك إذا رجعت إلى جميع ما أقسم الله تعالى به وجدته إمّا
شيئاً أنكره بعض الناس أو احتقره لغفلته عن فائدته أو ذهل عن موضع العبرة فيه
وعمى عن حكمة الله عزّ وجلّ في خلقه ، أو إنعكس عليه الرأي في أمره ، فاعتقد
فيه غير الحق الذي قرّره الله تعالى شأنه عليه - فيقسم الله عزّ وجلّ به ، إمّا لتقريب
وجوده في عقل من ينكره أو تعظيم شأنه في نفس من يحقره أو تنبيه الشعور إلى
ما فيه عند من لا يذكره أو لقلب الاعتقاد في قلب من أضله الوهم أو خانة الفهم ...
ومن ذلك النجوم ... قوم يحقرونها لأنّها من جملة عالم المادة أو يغفلون
عن حكمة الله تعالى فيها ، و ما ناط بها من المصالح ، و آخرون يعتقدونها آلهة
تتصرّف في الأكوان السفلية تصرّف الربّ في المربوب ، فيقسم الله تعالى بأوصاف
تدلّ على أنّها من المخلوقات التي تصرّفها القدرة الإلهية ، و ليس فيها شيء من
صفات الألوهية ...

وهناك أمر يجب التنبيه عليه وهو أن من الأديان السابقة على دين الاسلام ما ظنّ أهله أن هذا الكون الجسماني وما فيه من نور وظلمة ، وأجرام وأعراض - إنما هو كون مادّي ، لم يشأ الله تعالى كونه إلا ليكون حبساً للأنفس ، وفتنة للأرواح ، فمن طلب رضا الله عزّ وجلّ فليعرض عنه ، وليبعد عن طبيّاته ، وليأخذ بدنه بضرب من الإعنات والتعذيب وأصناف الحرمان ، وليغمض عينيه عن النظر إلى شيء مما يشتمل عليه هذا الكون الفاسد في زعمه - اللهم إلا على نيّة مقته ، والهروب منه ...

فأقسم الله عزّ وجلّ بكثير من هذه الكائنات السماوية والأرضية ، ليبين مقدار عنايته بها ، وانه لا يغضبه من عباده أن يتمتّعوا بما متّعهم به منها ، متى أدركوا حكمة الله عزّ وجلّ في هذا المتاع ، ووقفوا عند حدوده في الانتفاع .

ومنها : ان الله عزّ وجلّ أقسم في القرآن المجيد بذاته وبصفاته وبكتابه ورسوله ﷺ وبخلقه ، فهل قسمه تعالى كقسمنا عند فقدان الدليل؟ كيف والله عزّ وجلّ هو خالق المدلول والدليل؟ كلّاً إن الله تعالى أقسم بما أقسم في كتابه المجيد ليوجّهنا إلى مهمّة فيما يقسم به ، وهي برهان قاطع و دليل ساطع للاثبات: عقلياً أو علمياً أو إعتبارياً أو أيّاً من صنوف البراهين المناسبة لاثبات المطلوب ، بصورة مجرّدة عن صيغ البراهين المصطلحة لكي لا يهابها غير المثقفين فيأنسوا بها ، وكأنّها من محاوراتهم السوقية .

فقد يقسم بالدليل: « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين » قسمّاً بحكمة القرآن المجيد و علمياً و تقنينياً و ... لتدلّ هذه الحكمة على نبوّة من أنزل عليه لكي يصلح للخطاب: « يس » أيها السامع للوحي ، ثمّ على رسالته على صراط مستقيم فيالها من برهان ما أتقنه؟

و قد يحلف بموجبات المدلول أو دوافعه أو روافعه أو ... طالماً الدليل واضح بمجرّد التنبيه أو أنّه بحاجة إلى تأمّل و تعمّل ، وانّ الأقسام القرآنية

كلها بين ما هو قسم بالأجرام العلوية أو السفلية ، وما هو قسم بالأدلة العقلية أو الحسية ، فلي نظر الإنسان في واقع البراهين ، وليدرس العلل والمعاليل .

ومنها : ان " فائدة القسم على الإطلاق إنما ايجاد اليقين في قلب الانسان إذا لم يتيقن بما اقسم به ، و إنما لازدياده نفيًا و إثباتًا ، و وجوداً و عدماً .

فأقسم تعالى على التوحيد في قوله : « والصافات صفًا - إن إلهكم لواحد » وأقسم على أن " رسوله ﷺ حق في قوله : « والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » و على أن " ما جاء به النبي " الكريم ﷺ فهو وحي يوحى إليه بقوله : « والنجم إذا هوى - إن هو إلا وحي يوحى » .

وأقسم ان " القرآن الكريم حق في قوله : « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ - ٧٧) .

وأقسم ان " الجزاء حق و ان " الناس سيبعثون إلى ربهم يوم القيامة و ان " كلاً منهم سيلاقى جزاء عمله في قوله تعالى : « والذاريات ذروا - إن ما توعدون لصادق و ان " الدين لواقع » .

و أقسم ان " رسوله ﷺ ليس بمجنون و له أجر غير ممنون و انه لعلی خلق عظيم بقوله تعالى : « ن والقلم - و انك لعلی خلق عظيم » .

ولا يخفى ان " العلاقة التي بين «ن» بكونه أحد الحروف الأبجدية وبين «القلم» والكتابة : « ما يسطرون » و ان " «ن» تبتدأ به الكتابة بواسطة «القلم» فالقسم بها تعظيم لقيمها وتوجيه إليها في وسط الأمة التي لم تكن تتعلم بهذا الطريق متجهًا ، وكانت الكتابة فيهم نادرة ، فنمت و انتشرت لتقوم بنقل هذه العقيدة و ما يقوم عليهما من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض ، ثم " لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة ، فلا ريب ان " الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى حتى بدأ الوحي بالقراءة والتعليم بالقلم بقوله عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

العلق : ١ - ٥) .

و أقسم بأنه تعالى ما ودّع رسوله ﷺ و ما قلاه بقوله : « والضحي والليل إذا سجي - ما ودّعك ربك و ما قلى » الضحي : ١ - ٣) .

و أقسم انّ على كل نفس حافظاً يحفظه بقوله : « وإسماء والطارق - ان كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ١ - ٤) .

و أقسم انّ الله عزّ وجلّ لبالمرصاد فلا يغفل عن أحد بقوله : « والفجر - إنّ ربك لبالمرصاد » الفجر : ١ - ١٣) .

و أقسم انه تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم بقوله تعالى : « والتين والزيتون - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ١ - ٤) .

و أقسم انّ الانسان لربه لكنود بقوله : « والعاديات ضبحاً - انّ الانسان لربه لكنود » العاديات : ١ - ٦) .

و أقسم انّ الانسان مطلق العنان لفي خسر بقوله : « والعصر إنّ الانسان لفي خسر » العصر : ١ - ٢) .

و أقسم بأنه جلّ وعلا ألهم نفس الانسان خيرا وشرها ، تقواها و فجورها ، صلاحها و فسادها بقوله : « والشمس وضحاها - فألهمها فجورها و تقواها » الشمس : ١ - ٨) .

و أقسم انّ سعى الانسان مختلف في حياته الدنيا بقوله : « والليل إذا يغشى - انّ سعيكم لشتى » الليل : ١ - ٤) .

و أقسم انّ هذا القرآن المجيد لقول رسول كريم ، وليس هو بقول شاعر ولا هو بكاهن بل هو تنزيل من رب العالمين بقوله : « فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون - تنزيل من ربّ العالمين » الحاقة : ٣٨ - ٤٣) .

فتدبّر أيها القاريء الخبير كيف أقسم الله عزّ وجلّ بما نراه و ما لا نراه مما خلق من عوالم شتى : عالم الجماد و عالم النبات و عالم الحيوان و عالم

الانسان و عالم الأرواح و عالم الجن و ما في السماء من عوالم لا ترى حتى بأدق الآلات ...

والقسم بما خلق قسم بعظمته عز وجل وبالذقة المتناهية التي أودعها في مخلوقاته ، و إرتباط هذه المخلوقات بعضها ببعض إرتباطاً وثيقاً يحير الألباب :
« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ، الملك : ٣ - ٤) .

و ذلك ان الانسان كلّمًا تقدّم في تحقيقاته و تجاربه ، كلّمًا ظفر بدساتير جديدة كانت تخفى عليه ، و خواص عجيبة وسعة لا تتناهى و دقة لا تستقصى ، أو دعها الله تعالى في أرجاء هذا الكون الرحيب ، فيحقّ لله عز وجل أن يقسم بعظمته التي - لا تتناهى - هذه العظمة التي تتجلّى فيما نبصره و ما لا نبصره .

ان قابليّة الإنسان في الإبصار قابليّة محدودة ولذلك يستعين بآلات شتى :
(المجهر : Microscope) كي يبصر الدقيق من الأشياء كالميكروبات والجراثيم التي يجب أن تكبر آلاف المرات بدعشرات الآلاف كي يمكن رؤيتها ، أو يستعين بالمرقب : (Telescope) ليرى في مسافات شاسعة ما خلق الله من كواكب وأنجم و شمس و مجرّات ، وما أودع الله في الفضاء من مادة غازية قليلة الكثافة جداً .
قد بلغ ببعض الأفراد في الشرق والغرب التسافل في النفس حتى صاروا يمجّدون الروح والنفس والملائكة ، يمجّدون الخالق جلّ جلاله و كل ما لا يرى بالعين ويؤمنون بكل ما يرى بالعين ، حين أن العين ذات قابليّة محدودة ، فهناك كثير من الأشياء كان ينكرها الماديّ سابقاً لعدم وجود آلات يبصرها بها ، ثم اعترف بها بعد إكتشاف آلات تساعد على الرؤية ، و كذلك اليوم هناك كثير من الأشياء لا ترى حتى بأدق الآلات ، ولكنّها سوف ترى في مستقبل قريب عندما تكتشف آلات جديدة و دقيقة جداً .

و لذلك تنقسم الموجودات إلى منظور وغير منظور فكل ما يراه الانسان بعينه المجردة أو بالمجاهر أو بالمراقب أو الأجهزة المقربة ، و كل ما في السماء وما تحت الأرض ، و ما في قاع المحيطات و ما في السحب ، كل ذلك من العالم المنظور ، و أما العالم غير المنظور فهو ما لا يمكن رؤيته بالآلات أو بالعين المجردة ولكنه موجود ، يحكم العقل بوجوده أكثر مما يحكم بوجود المنظور كالخشب ، فهناك أشعة لا ترى بالعين ولا بالآلة : أشعة غير منظورة ، أي أن هناك أشعة مرئية وأشعة غير مرئية ، وإن الأشعة المرئية هي جزء صغير من الصورة الكلية للضوء ، والأشعة غير المرئية أكثر تفرعاً و تأثيراً من الأشعة المرئية ، و لذلك أخذ علماء الضوء :

إن كلمة (ضوء) أو (حزمة ضوئية) أو (إشعاع) قد لا تدل على حقيقة الضوء ، والاولى أن يقال : (الطاقة المشعة) لتدل على جميع أنواع الإشعاع : المرئي منها وغير المرئي ، على أن العلم الحديث لم يصل إلى حقيقة الضوء كما لم يصل إلى حقيقة القوى أو كل شيء قواني (منسوب إلى القوة) لم يصل إلى حقيقة القوة الجاذبة وحقيقة الكهرباء ، إنما تفرض فروض ، فيفسر بها بعض الظواهر ثم تخدم تلك الفروض بعد برهة من الزمن ، ويعوض عنها بفروض أو فرضيات : (Hypotheses) أخرى يمكن تفسير الظواهر القديمة والجديدة بهامعاً ، وهكذا دواليك . . . فالعلم الحديث لا يتيسر له اللؤلؤ إلى أعماق الأشياء والوصول إلى حقائقها التي لاحقيقة بعدها ، وهو يعمل دوماً للوقوف على أسرار الأشياء وإذا به يقف أمام اودية جديدة من المجاهيل تدهش الأبواب . . .

فمن تلك الأشعة غير المرئية : الأشعة السينية (X rays) أو أشعة (رونتن) هذه الأشعة تخترق الأجسام التي لا يمكن أن يخترقها الضوء العادي ! و قد اكتشفت بالصدفة ، إنها قوية جداً ذات موجة قصيرة ، فان طول موجتها (١٠٠٠٠) مرة أقصر من طول موجة (الضوء المنظور) ومن الأشعة التي

لا ترى بالعين ولو بالآلة الأشعة الجيمية : « أشعة كاما » وهي ذات موجة قصيرة أيضاً ، أقصر من طول موجة الأشعة السينية .

ومن الأشعة التي لا ترى: الأشعة (فوق البنفسجية Ultra - Violet) فإن طول موجتها أطول من طول موجة الأشعة السينية و أقصر من طول موجة الضوء المرئي ، ومن الأشعة غير المرئية : الأشعة (دون الحمراء) في شعاع الشمس ، وهي موجات حرارية نحس بها ، ولانراها وهي تصل إلى الأعصاب والعضلات ، ولا يحس فيها الفيلم العادي للتصوير ، وقد استخدم الإنسان الأنواع المذكورة من الأشعة في الكشف عن أمراضه ومعالجة كثير منها ، وقد استخدمها أيضاً في الغذاء والدواء . وقد علم أن الأشعة فوق البنفسجية التي هي في شعاع الشمس تقتل كثيراً من الجراثيم المضرّة ، وقد جاء في الدين الإسلامي: أن أحد المظهرات هو الشمس ، فتطهر الأرض النجسة أو الأبواب أو الجدران أو الأشجار أو الثمار التي عليها من غير المنقول والحصران والبواري من المنقول بعد زوال العين بأشراق الشمس عليها ، حتى تجف ، وإن كان ما ذكر جافاً فيصب عليه الماء حتى تجففه الشمس بالإشراق عليه ، وهكذا موجات الراديو و موجات الرادار الذي يكتشف وجود الأشياء في الفضاء ويحدد مكانها بالضبط من النوع غير المنظور ، وقد تكون بعض الأجسام المادية في وقت من نوع غير المنظور لعدم وجود آلات تكشف عنها ، و بعد إكتشاف آلات جديدة و دقيقة ، وتقدم الفيزياء والرياضيات العالية ، تصبح من النوع المنظور .

مثال ذلك: ما كان يعلم قبل (١٠٠) سنة أن في كل مجرة عدداً كبيراً جداً من النجوم تكاد تعد بالملايين تسودها أنظمة كالنظام الشمسي ، أي أن كلاً منها شمس في حد ذاتها ، وقد فتقت منها سيارات ، وفتقت من السيارات هذه توابع وأقمار تدور حول الام ، وتدور في الوقت نفسه حول نفسها ، فإذا تقدمت الآلات الفلكية ، سيأتي اليوم الذي يتلافى فيه ضالة الضوء المنعكس من الأنجم التي

تقع في مسافات لانهاية وسوف نشاهد أنجماً وعوالم كانت سابقاً من نوع غير المنظور .
ولذلك أقسم الله عز وجل تعظيماً لشأن ما خلق من عوالم لا تتناهى، عوالم
لا ترى بالعين المجردة ولا بالآلات بقوله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون » كما أنه كان يعد سابقاً الغاز الموجود في الفضاء بين النجوم ، والذي
إكتشفه أخيراً العلم الحديث من غير المنظور ، وقد أمسى منظوراً أو ملموساً
محسوساً ، وذلك لأن كثافة هذا الغاز تساوى ميلليغراماً واحداً في كل مليون
ميل مكعب من الفضاء .

ومن تلك الكلمات : ان الله عز وجل أقسم بمخلوقاته العلوية والسفلية ،
تعظيماً لها بذاتها تارة ، وتكريماً لها بانتسابها إلى الله تعالى تارة أخرى ، وانها
من مخلوقاته جل وعلا فالنملة وإن صغرت في جسمها ذاتها ، ولكنها كبيرة
لكونها مخلوقة من مخلوقاته تعالى .



﴿ القرآن الكريم وبيان اسباب الخسران ﴾

قال الله تعالى: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» (العصر: ١-٢).

إن الله عز وجل أقسم بالعصر في هذه السورة على خسران الإنسان ، مطلق العنان، وقد أشار في كثير من السور القرآنية إلى أسباب الخسران، كلها بسوء اختيار الإنسان، إعتقاديّاً وقوليّاً وعمليّاً يرجع جميعها إلى ما يوجب خفة الموازين يوم القيامة :

قال الله جلّ وعلا: «ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» (الأعراف: ٩).

وأما أسباب الخسران فبأمور :

١- التدين بغير الدين الإسلامي بعد ظهوره:

قال الله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ٨٥).

٢- الشرك والكفر بالله سبحانه، والإيمان بالباطل، والضلالة :

قال الله عز وجل: «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» الزمر: ٦٥-٦٦).

وقال : « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون» العنكبوت: ٥٢).

وقال: «ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين»
المائدة: (٥).

وقال: «الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون» الأنعام: (٢٠).

وقال: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله - أولئك هم الخاسرون» الأنفال: (٣٦-٣٧).

وقال: «وخسر هنالك المبطلون - وخسر هنالك الكافرون» غافر: (٧٨-٨٥).

وقال: «ومن يضل فاولئك هم الخاسرون» الأعراف: (١٧٨).

وقال: «قل الله أعمد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه إن الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أولئك هم الخسيران المبين» الزمر: (١٤-١٥).

٣- تكذيب النبي الكريم محمد المصطفى ﷺ وما جاء به:

قال الله جل وعلا: «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً - ومن يكفر به فاولئك

هم الخاسرون» البقرة: (١١٩-١٢١).

وقال: «والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون» الزمر: (٦٣).

٤- تكذيب الآخرة وحسابها وجزائها:

قال الله سبحانه: «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينوا أعمالهم فهم يعمهون

اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون» النمل: (٤-٥).

وقال: «قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا

يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما

يزرون» الأنعام: (٣١).

وقال: «قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين» يونس: (٤٥).

٥- التحزب بحزب الشيطان وإتخاذهم ولياً:

قال الله تعالى: «إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين

لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً - ويحسبون أنهم على شيء - إستحوذ

عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، المجادلة ١٦-١٩).

وقال: «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» النساء: (١١٩).

٦- إطاعة الكافرين وإتباعهم والتقليد منهم وإتخاذهم أولياء لهم: قال الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين» آل عمران: ١٤٩-١٥٠).

وقال: «قال نوح رب أنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً» نوح: (٢١).

٧- القتل بغير حق، وقتل الأولاد وتقليل النسل الإسلامي بأي طريق كان: قال الله جل وعلا: «فطوت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين» المائدة: (٣٠).

وقال: «قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله إفتراء على الله» الأنعام: (١٤٠).

٨- العتو والطغيان، والظلم والعصيان: قال الله سبحانه: «وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً» الطلاق: (٨-٩).

وقال: «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم» الشورى: (٤٥).

٩- عاق الوالدين:

قال الله تعالى: «والذي قال لوالديه أف لكما- إنهم كانوا خاسرين» الأحقاف.

١٠- نقض العهد وقطع الرحم، والإفساد في الأرض، والخوض في الشرّ و الضلالة والكيد والفسق :

قال الله عزّ وجل: «وما يضلّ به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون» (البقرة: ٢٧).

وقال: «وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة و أولئك هم الخاسرون» (التوبة: ٦٩).

وقال: «وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين» (الأنبياء: ٧٠).

١١- الإفتراء على الله تعالى وصدّ الناس عن سبيل الله جلّ وعلا:

قال الله جلّ وعلا: «الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً - أولئك الذين خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسررون» (هود: ١٩-٢٢).

١٢- سوء الظنّ بالله عزّ وجل وإتباع الظنّ والهوى :

قال الله سبحانه: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم و لكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنّكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين - وقبضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ و الإنس إنهم كانوا خاسرين» (فصلت: ٢٢-٢٥).

وقال: «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» (الكهف: ١٠٣-١٠٥).

١٣- إقلاّب الوجه والضمير عند ظهور الفتنة :

قال الله تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير إطمأنّ به

وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»
الحج: (١١).

١٤- النفاق والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وإشاعة الفحشاء في المجتمع
الإنساني :

قال الله عز وجل: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و
ينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون -
وإلئك هم الخاسرون» التوبة: (٦٧-٦٩).

وقال: «فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا
دائرة - حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين» المائدة: (٥٢-٥٣).

١٥- حب الدنيا ومتاعها، والإلتهام في شهواتها وزخارفها، وتقديمتها على
الآخرة وإشترائها بها، والتلهي بالأموال والأولاد، والتفاخر بالعدد والعدد والجاه
والرئاسة ...

قال الله جل وعلا: «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة - لاجرم
أنهم في الآخرة هم الخاسرون» النحل: (١٠٧-١٠٩).

وقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و
من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» المنافقون: (٩).

وبالمآل من خفت موازينه يوم القيامة فهو في الآخرة خاسر وفي جهنم خالد:
قال الله سبحانه: «ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم
خالدون» المؤمنون: (١٠٣).

﴿ الخسران ومراتبه ﴾

واعلم أن الخسارة لها مراتب، وما هو المعروف بين الناس أن تكون في الأموال والتجارات والمعاملات، وهي ذهاب رأس المال تماماً أو نقصانه، وأما ما سواه من الأموال والأمتعة وما إليها من المتعلقات، فتبقى لصاحبه، وكذا يبقى دينه ونصيبه في الدار الآخرة إذا كان مؤمناً.

وأما من خسر في دينه فليس له عيش هنيئ حتى في الحياة الدنيا: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً» طه: ١٢٣ ولا له في الدار الآخرة من خلاق: «و نحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» طه: ١٢٤-١٢٦).

وان الخسارة في الدين هي ذهاب ما يستطيع به الإنسان أن يسعد في الدارين من متصلاته ومنفصلاته... ومن يفعل ذلك خسرت تجارته المعنوية، فيعود عليه الوبال والنكال، وله جهنم وبئس القرار:

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعيًا رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسراته وقدم على الآخرة بتبعته (بتبعاته خ)».

وفي شرح الحديد: قال: هذه صورة أكثر الناس، وذلك لأن أكثرهم يكذب بدنه ونفسه في بلوغ الآمال الدنيوية، والقليل منهم من تساعده المقادير على

إرادته وإن ساعدته على شيء منها بقي في نفسه ما لا يبلغه كما قيل:
 نروح و نقدو لحاجتنا و حاجة من عاش لا تنقضي
 تموت مع المرء حاجاته و تبقى له حاجة ما بقي
 فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بخسره، ويقدم على الآخرة بتبعته لأن تلك
 الآمال التي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقة بأمور الدين والآخرة لاجرم
 انها تبعات وعقوبات...

وفي احقاق الحق : من كلام الإمام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام :
 «لما قيل له: من أخسر الناس صفقة؟ من باع الباقي بالفاني».
 وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من أهان خمساً خسر خمساً : من
 استخف بالعلماء خسر الدين، ومن استخف بالأمراء خسر الدنيا، ومن استخف
 بالمليزان خسر المنافع ومن استخف بالأقرباء خسر المروءة، ومن استخف بأهله خسر
 طيب عيشه».

وفي نهج البلاغة : قال الإمام علي عليه السلام : «إحذر أن يراك الله عند معصيته و
 يفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله وإذا
 ضعفت فاضعف عن معصية الله».

وذلك ان من علم يقيناً أن الله تعالى يراه عند المعصية يجتنب عنها من غير
 مرء و كل معصية ناش عن ضعف يقين العاصي، والآمال الطويلة...

وفيه : قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «معاشر الناس ! إتقوا الله فكم من
 مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه، وجامع ماسوف يتركه، ولعله من باطل
 جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره وقدم على ربه
 أسفاً لاهفاً قد «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين».

وذلك ان الآمال التي لا تبلغ أكثر من أن تحصى، وما أحسن قول القائل:
 واحسرتا مات حظي من و صالكم و للحظوظ كما للناس آجال

إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أُملي
كم تحت هذه القبور الخرس آمال!
وأما بناء ما لا يسكن فنحو ذلك.

وقال الشاعر:

ألم ترحو شياً بالأمس يبني
بناء نفعه لبني نفيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح
وأمر الله يطرق كل ليلة
وأما جامع ما سوف يتركه فأكثر الناس.

وقال الشاعر:

وذي إبل يسمى ويحسبها له
اخوتعب في رعيها ودؤب
غدت وغلا رب سواه يسوقها
و بذل أحجار و جال قليب
وفي معاني الاخبار : باسناده عن موسى بن إسماعيل عن أبيه عن جده
عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «كان للحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما صديق
وكان ماجناً فتباطأ عليه أياماً، فجاءه يوماً، فقال له الحسن عليه السلام: كيف أصبحت؟
فقال: يا بن رسول الله أصبحت بخلاف ما أحبّ ويحبّ الله ويحبّ الشيطان فضحك
الحسن عليه السلام ثم قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن اطيعه ولا أعصيه
ولست كذلك، والشيطان يحبّ أن اعصى الله ولا اطيعه ولست كذلك، وأنا أحبّ
أن لا أموت ولست كذلك.

فقام إليه عليه السلام رجل فقال: يا بن رسول الله! ما بالناس فتركوا الموت ولا نحبّه؟
قال: فقال الحسن عليه السلام: إنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون
النقلة من العمران إلى الخراب.

وقد حكى: ان الجماز قال لأبي العالية الشامي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت
على غير ما يحبّ الله، وغير ما أحبّ أنا، وغير ما يحبّ إبليس لأنّ الله عزّ وجلّ يحبّ
أن اطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، وأنا أحبّ أن أكون على غاية الجدة والثروة
ولست كذلك، وإبليس يحبّ أن أكون منهمكاً في المعاصي واللذات ولست كذلك.

وفي أمالي الشيخ الطوسي : قدس سره باسناده عن عبدالله بن محمد بن عبيد بن ياسين عن أبي الحسن الثالث عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إن من الغرة بالله أن يصر العبد على المعصية ويتمنى على الله المغفرة».

وفيه : باسناده عن يعقوب بن السكيت النحوي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إياكم والايكال بالمنى فانها من بضائع العجزة» قال : وأنشدني ابن السكيت :

إذا مارمى بهم الهم في ضيق مذهب رمت بي المنى عنه إلى مذهب رحب
وقد ورد : «إشترى شريح داراً، وأشهد شهوداً، وكتب كتاباً، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : يا شريح إشتريت داراً ؟ قال : نعم وأشهدت شهوداً ؟ قال : نعم قال : إحدراً أن تكون قد اشتريت من غير مالك، ووزنت مالاً من غير حل، وسوف يأتيك من لا ينظر في بينتك، ولا يسئلك عن كتابك ويزعجك عنها، فتكون قد خسرت الدارين الدنيا والآخرة، ولو أنك حين أردت شراء الدار أو إذا أراد أحد شراء دار جائني لكنت أكتب له كتاباً ازهد فيه البائع المغرور، والمشتري قلت : وما كنت تكتب ؟ قال : كنت أكتب :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

: «هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت، قد ازعج بالرحيل إشتري منه داراً من دور الآفات من الجانب الفاني من عسكر الهالكين، ومجمع الغافلين، يجمع هذه الدار حدود أربعة :

فالحد الاول : ينتهي إلى الآفات.

والحد الثاني : ينتهي إلى عظم المصيبات .

والحد الثالث : ينتهي إلى الغفلات .

والحد الرابع : ينتهي إلى الشيطان المغوي، والهوى المردي، وإليه يشرع

باب هذه الدار التي إشتراها هذا المزعوج بالأجل من هذا المغرور بالأمل، فما

أدرك مشتري هذه الدار، فعلى مببل الأقسام، وقاصم الجبابرة مثل كسرى وقيصر
وسابور الأكبر وتبع وحمير، ما أوضح الحق لذي عينين، ان الرحيل حق أحد
اليومين.

قوله **الْبَلَاءُ** : «من ميت» أي ممن يموت ويفنى، و«أزعج - مجهولاً» من
أزعجه: أقلعه وقلعه من مكانه فقلق وانقلع، و«بالرحيل» من رحل عن البلد :
تركه وانتقل إلى موضع كذا، و«الآفات» : العاهات والمراد من هذا الكلام بما
انطوى عليه من حدود الدار وغيرها ان الإنسان لا ينبغي أن يجعل همه في عمارة
الدنيا وتشييد أركانها، بل يكفيه منها ما يقوم بمعاشه، وإنما العقل والكياسة أن
يجتهد في عمار دار القرار وهي الآخرة بتقديم الايمان والعمل الصالح في الدنيا.

وقوله **الْبَلَاءُ** : «مببل الأجسام» : محركها ومهيئتها، «أحد اليومين» أي
يوم الرحيل يوم عظيم لأن فيه فراقاً.

وفي دعاء سبط المصطفى : سيد الشهداء، المقتول بكر بلاء، الحسين بن
علي المرتضى عليهما آلاف التحية والثناء - يوم العرفة - : «ولقد خسرت من بنى عنك
متحولاً...» الدعاء.



﴿ كلمات قصار في الخسران ﴾

غرر حكم و درر كلم حول الخسران نشير إلى ما يسعه المقام:

١- قال رسول الله ﷺ: «يا أباذر! من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر قلت: وما الثلاث فداك أبي وأمي؟ قال: ورع يحجزه عما حرم الله عز وجل عليه وحلم يرد به جهل السفه، وخلق يدارى به في الناس».

٢- وقال ﷺ: «أخسر الناس صفقة، رجل أخلق يديه في آماله، ولم تساعده الأيتام على أمنيته، فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله تعالى بغير حجة».

٣- وقال ﷺ: «من أهان خمساً خسر خمساً: من استخف بالعلماء خسر الدين، ومن استخف بالأمراء خسر الدنيا، ومن استخف بالجيران خسر المنافع، ومن استخف بالأقرباء خسر المروءة، ومن استخف بأهله خسر طيب عيشه».

٤- وقال ﷺ: «إذا ترك أحدكم صلاة الفجر ناداه مناد من السماء! يا خاسر، وإذا ترك صلاة الظهر ناداه مناد! يا غادر، وإذا ترك صلاة العصر ناداه مناد من السماء! يا فاجر، وإذا ترك صلاة المغرب ناداه مناد من السماء! يا كافر، وإذا ترك صلاة العشاء الآخرة ناداه مناد من السماء! ليس لك رباء».

٥- وقال ﷺ: «إن المرأى يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافرياً فاجر يا غادرياً خاسر حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممّتن كنت تعمل له».

٦- وقال الامام علي عليه السلام: «الدنيا سوق الخسران» وذلك لمن لم يأخذها

- مزدة لآخرته، ورضي بها عوضاً عنها كما قال عليه السلام :
- ٧- «أخسر الناس من رضي الدنيا عوضاً عن الآخرة».
- ٨- وقال عليه السلام : «رب رابع خاسر».
- ٩- وقال عليه السلام : «للجاهل في كل حالة خسران».
- ١٠- وقال عليه السلام : «من نصر الباطل خسر».
- ١١- وقال عليه السلام : «من أهمل نفسه فقد خسر».
- ١٢- وقال عليه السلام : «من عمل للدنيا خسر».
- ١٣- وقال عليه السلام : «من باع آخرته بدنياه خسرهما».
- ١٤- وقال عليه السلام : «من قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمره و
أضره أجله».
- ١٥- وقال عليه السلام : «لا ترغب في الدنيا فتخسر آخرتك».
- ١٦- وقال عليه السلام : «ما أخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله، باعوا الآخرة بنومة».
- ١٧- وقال عليه السلام : «الراضي عن نفسه مستور عنه عيبه ، ولو عرف فضل غيره
لسأته ما به من النقص والخسران».



﴿الايمان و حقيقته﴾

قال الله جلّ و علا : « والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا »
العصر : ١ - ٣) .

و اعلم أنّ الله تعالى لما جعل لكمال الإنسان و نجاته من الخسران أربعة أركان ، وقد أشار إليها كلّها في هذه السورة على طريق الإجمال ، وجعل أوّلها الايمان ، رأيت البحث حوله ههنا أنسب ، فنخوض فيه بحول الله وقوّته عزّ وجلّ على طريق الاختصار : فاعلم أنّ المستفاد من الآيات القرآنية ، وصراحة الروايات الواردة عن مهبط الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين : أنّ الايمان هو معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وأنّ العمل - فعلاً - من الفرائض والطاعات و - تركاً - من الكبائر والمحرمات داخل في حقيقة الايمان .

فمن أخلّ بالشهادة والإقرار عن إختيار فهو كافر سواء أكان له معرفة قلبية أم لا ، ومن أخلّ بالمعرفة والاعتقاد القلبى فهو منافق سواء أكان هو أخلّ بالعمل أم لا ، ومن أخلّ بالعمل ، فهو فاسق ، وإنّ الطائفتين الأخيرتين داخلون في الإسلام وهم من زمرة المسلمين ظاهراً ، فيعامل معهم معاملة المؤمنين ، ولكنهم داخلون في الكفر ، وهم من زمرة الكافرين واقعاً فيعاقبون يوم القيامة معاقبة الكافرين ، وقد يجتمع الفسق والنفاق في مسلم ، وقد يفتقران .

إنّما الايمان هو الاعتقاد القلبى بمجموع العقائد الحقّة من الاصول الخمسة والتصديق بها لساناً ، والإتيان بالفرائض التي ظهر وجوبها من القرآن الكريم

والروايات الواردة عن مهبط الوحي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ، وترك الكبائر والمحرمات التي نهى الله تعالى ورسوله ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين عنها .

فالمؤمن من اعتقد بوحداية الله عز وجل وبجميع صفاته الجلالية والجمالية، وبنبوة جميع أنبيائه ورسله وكتبه السماوية النازلة عليهم عليهم السلام وبأوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وبالיום الآخر على طريق الأدلة الفاطمية والبراهين الواضحة وصدق ذلك كله بلسانه من غير ريب في قلبه فيها ، والتزم بلوازمه كلها من الأفعال - فعلاً - من الفرائض والطاعات ، و - تركاً - من المحرمات والسيئات ...

وهذا هو المستفاد من الآيات الكريمة والروايات الصحيحة الواردة ...
أما الآيات فكثيرة منها :

قوله تعالى : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله » البقرة : (٢٨٥) .

وقوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » الأنفال : (٢ - ٤) .

وقوله : « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون - قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » الحجرات : (٧ - ١٥) .

وقوله : « سلام على نوح في العالمين - إنه من عبادنا المؤمنين - وإن من

شيعته لبراهيم إن جاء ربّه بقلب سليم « الصّافات : ٧٩ - ٨٤) .

وقوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون » المؤمنون : ١ - ٩) .

وقوله : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » آل عمران : ٨) .

وقوله : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » المجادلة : ٢٢) .

وقوله : « إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » النحل : ٢٢ - ١٠٦) .

وقوله : « الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون - لا يزال بنياهم الذي بنوارية في قلوبهم » التوبة : ٤٥ - ١١٠) .

وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون - وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن » البقرة : ٨ - ١٤) .

وقوله : « وليعلم الذين نافقوا - هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » آل عمران : ١٦٧) .

و غيرها من الآيات الكريمة . . . و أمّا الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فلا يسع مقام الاختصار بذكر جميعها فمنها :
 في مجالس الشيخ المفيد : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الصلت الهروي
 عن الرضا علي بن موسى عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين عن علي بن أبي طالب قال :
 قال رسول الله ﷺ : الإيمان قول مقول ، وعمل معمول ، وعرفان العقول ، قال
 أبو الصلت : فحدثت بهذا الحديث في مجلس أحمد بن حنبل ، فقال لي أحمد : يا
 أبا الصلت لو قرئ بهذا الإسناد على المجانين لأفاقوا .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : قال أبي علي بن
 أبي طالب عليه السلام : سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان ، فقال : يقين بالقلب ، وإقرار
 باللسان ، وعمل بالأركان .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن
 أبي طالب عليه السلام : « وقد سئل عن الإيمان : الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ،
 وعمل بالأركان » .

أقول : فيه صراحة على أن العمل بالأركان داخل في تعريف الإيمان ،
 فمن ترك ما يجب عليه فعله ، فلم يسم مؤمناً وإن عرف بقلبه وأقر بلسانه .
 وفي رواية : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى
 يستقيم لسانه » .

وفي أحقاق الحق : عن عدة كتب العامة :

« دخل علي بن موسى عليه السلام نيسابور فتعلق العلماء بلبجام بقلته وقالوا : بحق
 آبائك الطاهرين حدثنا حديثاً سمعته من آبائك ، فقال : حدثني أبي موسى
 قال : حدثني أبي جعفر قال : حدثني أبي الباقر قال : حدثني أبي زين العابدين ،
 قال : حدثني أبي الحسين قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم
 أجمعين قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان

و عمل بالأركان .

ثم ذكر ان الامام أحمد قال : لو قرئت هذا الإسناد على مجنون لبرأ جنونه ، قيل : إنه قرأه على مصروع فأفاق .

وفي البحار : فقيلاً للإمام علي عليه السلام : الإيمان قول و عمل أم قول بلا عمل ؟ فقال عليه السلام : الإيمان : تصديق بالجنان ، و إقرار باللسان ، و عمل بالأركان و هو عمله كله .

و في تحف العقول : قال رسول الله ﷺ : الإيمان عقد بالقلب ، و قول باللسان ، و عمل بالأركان .

و في الكافي : بإسناده عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أو قفني على حدود الإيمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله ، و صلوات الخمس و أداء الزكاة ، و صوم شهر رمضان ، و حج البيت و ولاية ولينا ، و عداوة عدونا ، و الدخول مع الصادقين .

وفيه : بإسناده عن أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأمر المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ قال : وسمعته يقول : كان علي عليه السلام يقول : لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم و صلاة و إحلال و إحرام ! قال : وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إن عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فهو مؤمن قال : فلم يضربون الحدود ؟ ! ولم تقطع أيديهم ! و ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمنين لأن الملائكة خدام المؤمنين ، و إن جوار الله للمؤمنين ، و إن الجنة للمؤمنين ، و إن الحور العين للمؤمنين .

وفيه : بإسناده عن سلام الجعفي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان ؟ فقال : الإيمان أن يطاع الله فلا يعصى .

وفي تحف العقول : قال الصادق عليه السلام : معنى الإيمان : الإقرار

والخضوع لله بذل الإقرار والتقرب إليه به ، والأداء له بعلم كل مفروض من صغير أو كبير من حد التوحيد فما دونه إلى آخر باب من أبواب الطاعة أو لا فأو لا مقرون ، ذلك كله بعضه موصول ببعضه ببعض ، فإذا أدى العبد ما فرض عليه مما وصل إليه على صفة ما وصفناه فهو مؤمن مستحق لصفة الإيمان ، مستوجب للثواب .
وفي الاحتجاج : - في حديث طويل - قال ابن أبي العوجاء : فما الإيمان وما الكفر ؟ قال عليه السلام : الإيمان أن يصدق الله فيما غاب عنه من عظمة الله كتصديقه بما شاهد من ذلك و عاين .

وقيل لبعض الظرفاء : إن فلاناً يمشى على الماء قال : إن السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إن فلاناً يطير في الهواء فقال : إن الطيور كذلك ، وقيل : إن فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد قال : إن إبليس كذلك ، فقيل : فما الكمال عندك ؟ قال : أن تكون في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق .

وفي قرب الاسناد : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه أنه قال له : إن الإيمان قد يجوز بالقلب دون اللسان ، فقال له : إن كان ذلك كما تقول فقد حرم علينا قتال المشركين ، وذلك أن لا ندري بزعمك لعل ضميره الإيمان ، فهذا القول نقص لامتحان النبي ﷺ من كان يجيئه يريد الإسلام ، وأخذه إياه بالبيعة عليه وشروطه وشدة التأكيد ، قال مسعدة بن صدقة : ومن قال بهذا فقد كفر ألبتة من حيث لا يعلم .

وفي تحف العقول : عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث - قال : و فرق ما بين المسلم والمؤمن أن المسلم إنما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً في الباطن مع ما هو عليه في الظاهر ، فإذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً ، وإذا فعل ذلك بالظاهر والباطن بخضوع ، وتقرب بعلم كان مؤمناً فقد يكون العبد مسلماً ، ولا يكون مؤمناً إلا وهو مسلم .

وفي صحيح البخاري : - في كتاب التمني والزكاة والتوحيد - : حين

سئلوا عنه عليه السلام أن يحدث لهم بجمل من الأمر إن عملوا به دخلوا الجنة ، و يخبرونه بما ولائهم من قومهم قال عليه السلام : « أمركم بأربع وأنها لكم عن أربع : الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، و أن تعطوا من المغنم الخمس ، وأنها لكم عن أربع ما انتبذ في الدنيا بقاء والنكير والحنتم والمزفت .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن الإيمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء من عنده الله وما استقرت في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى قلت : العمل من الإيمان ؟ قال : نعم الإيمان لا يكون إلا بعمل ، والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل .

وفيه : باسناده عن جميل بن دراج قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال : قلت : أليس هذا عملاً ؟ قال : بلى قلت : فالعمل من الإيمان ؟ قال : لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه . **وفي قرب الاسناد :** عن عبد الله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال النبي عليه السلام : « الإيمان قول وعمل اخوان شريكان » .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة - : « وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه ، فإن كان خيراً أبداه وإن كان شراً واره ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له ، وماذا عليه ، ولقد قال رسول الله عليه السلام : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه ، حتى يستقيم لسانه » فمن استطاع منكم أن يلقي الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم ، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل ، واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحلت عاماً أوّل ، ويحرم

العام ما حرّم عاماً أوّل ، وأنّ ما أحدث النّاس لايحلّ لكم شيئاً مما حرّم عليكم ولكنّ الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرّم الله ... » الخطبة .

أقول: وفي ذلك دلالة واضحة على التلازم بين ما يعتقده المؤمن وما يقول وما يعمل ، فلسانه تابع لاعتقاده ولا يقول ولا يعمل إلّا ما يعتقده به .

و في دعاء الايام الرجبية - ندعو الله جل وعلا - : « وأعطنا منك الأمان واستعملنا بحسن الايمان ، وبلغنا شهر الصيام و ما بعده من الأيّام والأعوام يا ذا الجلال والإكرام » .

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي : - في سحر ليالي رمضان المبارك - : « اللهم إنّي أسئلك ايماناً تباشر به قلبي و يقيناً حتّى أعلم أنّه لن يصيبني إلّا ما كتبت لي و رضني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين » .



﴿ كلام في حقيقة الايمان ﴾

وقد اختلفت كلمات أصحاب المذاهب والآراء قديماً وحديثاً في حقيقة الايمان وتعريفه إختلافاً فاحشاً، وأفحش منها إختلاف العباثر النافلة لتلك الآراء والكلمات، ولذلك إكتفينا في النقل بأهمها لعدم وسع مقام الإختصار لذكر جميع العباثر المختلفة المتستتة، وتلخيص مواقفهم من الايمان على النحو التالي:

١- في نظرية التكليف للدكتور عبدالكريم عثمان: «جمهور مشايخ الحنفية والماتريدية على أن الايمان هو الإقرار والتصديق».

وفي تفسير الفخر الرازي: «وأمّا عند أبي حنيفة فإن الايمان إسم للإعتقاد والقول والعمل خارج عن مسمى الايمان».

وفي دائرة المعارف: للفريد وجدي: «قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: إن الايمان معرفة الله بالقلب والإقرار بها باللسان، فاذا عرف المرأ الدين بقلبه و أقرّ به بلسانه فهو مسلم كامل الايمان، وإن الأعمال لا تسمى ايماناً، وإنما تسمى شرائع الايمان».

وفي روح المعاني للآلوسي: «إن الايمان إسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان، فالصدق إذا أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي، فتصديقه بحاله لم يتغير أصلاً»

هذا عند أبي حنيفة وأتباعه ...

٢- في نظرية التكليف: «جمهور مشايخ الأشاعرة على أن النطق من

الفادر عليه شرط في الايمان خارج عن ماهيته التي هي التصديق ، وإليه ذهب المانريدي .

وفي دائرة المعارف : «ذهب ابن محرز الجهم بن صفوان، وأبو الحسن الأشعري وأصحابهما، فقالوا : الايمان هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وإن ظهر أنواع الكفر بلسانه وعبادته» .

فالرفيقان مشتركان في عدم الإشتراط لأعمال الجوارح في حقيقة الايمان يعني انهم لا يهتمون بها .

٣- في نظرية التكليف: «قول الكرامية بالايمان: انه مجرد الإقرار باللسان فالمنافق عندهم مؤمن، وإن كان قلبه غير مطمئن بالايمان به» .

و في دائرة المعارف : «ذهب محمد بن كرام السجستاني وأصحابه إلى أن الايمان هو إقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه، فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة» .

٤- في نظرية التكليف: «رأي جهم والنجارية في أن الايمان هو مجرد المعرفة بالقلب فمن عرف الله أقر بلسانه أم لا فهو مؤمن» .

٥- ان الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحققة تقضي بما تذهب إليه الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق مهبط الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهوان الايمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان معاً بأن الايمان هو مجموع المعرفة والقول والعمل، وأن الفعل من الفرائض والطاعات، والترك من الكبائر والسيئات داخل في حقيقة الايمان كما أن المعرفة والقول داخلان فيه، فلا يكفي أحدها أو إثناها في حصول الايمان .

أما الاعتقاد القلبي فانه غير كاف لقوله عز وجل: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» (النمل: ١٣) وقوله جل وعلا: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» البقرة: ٨٩) فأثبت لهم الجحد مع يقينهم في الاولى، وأثبت لهم المعرفة والكفر في الثانية .

وَأَمَّا الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ فَإِنَّهُ غَيْرُ كَافٍ أَيْضاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات: ١٤). وقوله سبحانه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» (البقرة: ٨) وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أُولَئِكَ الْأَعْرَابُ وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ صَدَقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَمَّا الْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ فَغَيْرُ كَافٍ أَيْضاً لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءً حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» (النور: ٣٩-٤٠).

وقوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (المائدة: ٥).

وقوله سبحانه: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنّاً» (الكهف: ١٠٣-١٠٥). وقوله جلَّ وعلا: «لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الزمر: ٦٥).

فَمَنْ أَخْلَ بِالْإِعْتِقَادِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَمَنْ أَخْلَ بِالْإِعْتِرَافِ وَالشَّهَادَةِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ أَخْلَ بِالْعَمَلِ فَهُوَ فَاسِقٌ.

فَالنَّاسُ عِنْدَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْحَقَّةِ أَغْنَى الشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْإِثْنَى عَشْرِيَّةُ كُلِّهِمْ فِي الْإِيمَانِ نَفِيّاً وَإِثْبَاتاً طَوَائِفُ أَرْبَعٍ: مُؤْمِنٌ، وَكَافِرٌ، وَمُنَافِقٌ، وَفَاسِقٌ، وَهَذَا هُوَ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ عَنْ طَرِيقِ الْمُعْصومِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْفَاسِقَ دَاخِلَانِ فِي زَمْرَةِ الْكَافِرِينَ، إِذَا أَخْلَ الْمُنَافِقُ بِالْإِعْتِقَادِ وَالْفَاسِقُ بِالْعَمَلِ، وَإِنْ كَانَا هُمَا مُسْلِمِينَ فِي ظَاهِرِ حَالِهِمَا، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْفَسَقُ

والنفاق معاً في بعض.

قال الله عز وجل: «إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً»
النساء: (١٤٠).

و قال : « قال انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما
أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدوا كثرة من شاكرين قال اخرج منها مذموماً
مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » الاعراف: (١٤-١٨).

وقال: «قال رب بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين
إلاّ عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم إنّ عبادي ليس لك عليهم
سلطان إلاّ من اتبعك من الفاوين وإنّ جهنّم لم وعدهم أجمعين » الحجر: (٣٩-٤٣).

وقال: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمررون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم انّ المنافقين هم الفاسقون وعد
الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم
عذاب مقيم- انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » التوبة: (٦٧-٦٨-٨٤).

فالایمان عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقّة عبارة عن مجموع الاعتقاد
و الإقرار والعمل ، وانّ الشك في أحد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول
تلك الماهية لأنّ الانسان وإن كان جازماً بحصول الاعتقاد والإقرار ولكنّه
كان شاكاً في حصول العمل كان هذا القدر موجباً لكونه شاكاً في حصول
الایمان ، فالمؤمن حقاً عندهم: أن يعتقد الحق ، ويعرب عنه بلسانه ، ويصدق بعمله
فمن أخلّ بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر ، ومن
أخلّ بالعمل فهو فاسق.

قال الله عز وجل: «إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون » الحجرات: (١٥).

وإنّ الايمان عندهم قابل للزيادة والنقصان لكثير من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى منها قوله عز وجل: «إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا نُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمِنُونَ بِما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أولئك هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (الأَنْفال: ٢-٤).

خلافاً لأبي حنيفة إذا أنكر ذلك مع صراحة الآيات القرآنية والروايات الواردة في ذلك.

في تفسير روح المعاني: «ذهب أبو حنيفة - إلى أن الايمان لا يزيد ولا ينقص».

٦- قد اختلفت كلمات المعتزلة والقاضي عبد الجبار الكلامي وأذناهم في دخول الفرائض والنوافل، وترك المعاصي صغيرها وكبيرها كلّها في حقيقة الايمان كما ذهب إليه أبو الهذيل، أو الفرائض وترك الكبائر فقط كما ذهب إليه أبو هاشم وأبو علي.

وأما الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقّة فتذهب إلى أن إثبات الفرائض والواجبات، وترك الكبائر والسيئات، وعدم الإصرار على الصغائر مع العلم بها داخل في حقيقة الايمان.

قال الله جلّ وعلا: «إِنَّما التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وليست التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تبتُ الآنَ وَ لا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّاراً أولئك أَعْتَدنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» (النساء: ١٧-١٨).

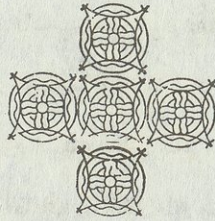
وقال: «وَإِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُمْ مِنْ عَمَلٍ مُنْكَم سَواءٌ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ

رحيم» الأنعام: (٥٤).

وقال: «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» آل عمران: (١٣٥-١٣٦).

٧- ذهب الجبائيان إلى أن الإيمان عبادة عن الطاعات المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل...

٨- قيل: إن الإيمان عبادة عن الطاعات كلها فرائضها ونوافلها ...



﴿الايمان والاسلام﴾

قال الله عز وجل : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » (الحجرات : ١٤) .
في الآية الكريمة دلالة واضحة على ما بين الإسلام والايمان من الفرق ، فلا بد لنا من البيان :

و ذلك ان الايمان هو تسليم المرء بظاهره و باطنه بأن تتوجه بالقلب والقول والعمل إلى الله تعالى طاهرين من كل خاطر عقيدة فاسدة أو أثر وراثية أو همس تعصب ، و ان الإسلام هو التسليم بظاهره فقط ، فاذا حقق التسليم في الباطن أيضاً اضيف إليه الايمان ، فصار مسلماً مؤمناً ، وماله شأن في الواقع هو الإسلام الذي معه الايمان ، و أما الإسلام الذي كان مجرداً دأ من الايمان ، فليس له شأن واقعاً ، و إن كان له شأن ما في الظاهر باختلاطه مع المؤمنين باختلاط التراب في الحنطة ، والجراثيم من الذهب ، و ان المؤمن لن يدخل النار : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (الأنعام : ٨٢) و ربما يدخل فيها المسلم ، و مانفى الله تعالى في موارد عديدة من كتابه العزيز هو دخول المؤمن فيها ، ولم ينف دخول المسلم فيها ، و ان ولاية الله عز وجل في الدنيا والآخرة لأهل الايمان لا لأهل الإسلام مجرد دين من الايمان : « الله ولي الذين آمنوا » (البقرة : ٢٥٧) .

في الرواية : قال رسول الله ﷺ : « الإسلام علانية والايمان سريرة » بأن

الإسلام ما كان بين المسلم والخلق ، والإيمان ما كان بين الإنسان وخالقه ، كأنّ الإسلام قشر والإيمان لبّ وقشر معاً ، وإن الإسلام كالجسم ، والإيمان جسم وروح معاً ، وإن الإيمان شجرة والإسلام ظلّها ، وإن الإسلام إنقياد باللسان سواء عمل أم لا ، والإيمان انقياد بالجنان واللسان والأركان معاً .

وفى الرواية : « إن رسول الله ﷺ قسم قسماً فأعطى رجالاً ومنع رجالاً ، فقال له ﷺ سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله ﷺ أعطيت فلاناً ، ولم تعط فلاناً وهو مؤمن ؟ فقال رسول الله ﷺ : أو مسلم مرتين أو ثلاثاً . »

فعلم أنّ الإسلام إسم لظاهر الدين الذي يلزم به الأحكام ، والإيمان إسم للحقيقة التي يرجع إليها العبد وينطوى عليها العقد ، فالإسلام هو الذي منع الدماء والأموال أو أقام الذمم والأحكام . . . والإيمان حقيقته التي نجت من مقت الله تعالى ، وخلّصت من عذاب الله جلّ وعلا ، والمسلمون متساوون في الإسلام ، والمؤمنون متفاوتون في الإيمان ، فأحسنهم عملاً وأكثرهم ذكراً أكملهم إيماناً .
وفى تفسير البرهان : عن جميل بن درّاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » فقال لي : ألا ترى أنّ الإيمان غير الإسلام ؟

وفيه : عن شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يحقن به الدّم وتؤدّى به الأمانة ، ويستحلّ به الفروج والثواب على الإيمان .
وفيه : عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : الإيمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل .

وفيه : سئل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما فلم يجبه ثم إلتقيا في الطريق وقد أزعج من الرّجل الرّحيل ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام كأنّه قد أزعج منك رحيل ؟ فقال : نعم فقال : فالتقني في البيت فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ، ما الفرق بينهما ؟ فقال : الإسلام هو الظاهر الذي عليه النّاس :

شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان ، فهذا الإسلام ، وقال: الايمان معرفة هذا الامر مع هذا فان أقرّ بها ولم يعرف هذا الامر كان مسلماً وكان ضالاً .

وفى الكافى: باسناده عن سماعة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : إنّ الايمان يشارك الإسلام ، والإسلام لا يشارك الايمان ، فقلت: فصّهما لى ، فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله عليه السلام به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواarith ، وعلى ظاهره جماعة الناس ، والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به ، والايمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إنّ الايمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الايمان في الباطن ، وإن اجتمعا في القول والصفة .

وفيه: باسناده عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ الايمان يشارك الإسلام ولا يشاركه الإسلام ، إنّ الايمان ما قر في القلوب ، والإسلام ما عليه المناكح والمواarith و حقن الدماء والايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الايمان .

قوله عليه السلام : « ما قر في القلوب »: سكن فيها و ثبت من الوقار .

وفيه: باسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيهما أفضل ؟ الايمان أو الإسلام ؟ فان من قبلنا يقولون : إنّ الإسلام أفضل من الايمان ، فقال : الايمان أرفع من الإسلام قلت : فأوجدني ذلك ، قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً ؟ قال : قلت : يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت قال : فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً ؟ قلت: يقتل ، قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المسجد ، وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة ، وكذلك الايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الايمان .

قوله عليه السلام : « فأوجدني ذلك » أي أنظرني ذلك .

وفيه: بإسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول :
 « الإيمان ما استقر في القلب ، وأفضى به إلى الله عز وجل » صدقه العمل بالطاعة
 لله ، والتسليم لأمره والإسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذي عليه جماعة
 الناس من الفرق كلها ، وبه حققت الدماء وعليه جرت المواريث و جاز النكاح ،
 واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك من الكفر ،
 واضيفوا إلى الإيمان ، والإسلام لا يشرك الإيمان ، والإيمان يشرك الإسلام ، وهما
 في القول والفعل يجتمعان كما صارت الكعبة في المسجد ، والمسجد ليس في الكعبة ،
 وكذلك الإيمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الإيمان .

وقد قال الله عز وجل : « قالت الأعراب آمناً قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
 أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » فقول الله عز وجل « أصدق القول ، قلت :
 فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟
 فقال : لا هما يجريان في ذلك مجرى واحد ، ولكن للمؤمن فضل على المسلم
 في أعمالهما ، وما يتقرر بان به إلى الله عز وجل » ، قلت : أليس الله عز وجل يقول :
 « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وزعمت أنهم يجتمعون على الصلاة والزكاة
 والصوم والحج مع المؤمن ؟ قال : أليس قد قال الله عز وجل : « يضاعفه له أضعافاً
 كثيرة » ؟

فالْمُؤْمِنُونَ هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون
 ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ، ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة
 ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ، قلت : أرايت من دخل في الإسلام أليس هو
 داخلاً في الإيمان ؟ فقال : لا ولكنّه قد اضيف إلى الإيمان ، و خرج من الكفر
 و سَأُضْرَبُ لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الإسلام ، أرايت لو أبصرت رجلاً في
 المسجد أكنت تشهد أنك رأيت في الكعبة ؟ قلت : لا يجوز لي ذلك ، قال : فلو
 أبصرت رجلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام ؟ قلت : نعم ،

قال : وكيف ذلك ؟ قلت : إنّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتّى يدخل المسجد ، فقال : قد أصبت وأحسن ، ثمّ قال : كذلك الايمان والاسلام .

وفيه : باسناده عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت مع عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن الايمان ماهو ؟ فكتب إليّ مع عبدالملك بن أعين سألت رحك الله عن الايمان ، والايمان ، هو الإقرار باللسان ، وعقد في القلب ، وعمل بالأركان ، والايمان بعضه من بعض وهودار وكذلك الإسلام دار والكفر دار فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الايمان وهو يشارك الايمان ، فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الايمان ، ساقطاً عنه إسم الايمان ، وثابتاً عليه إسم الإسلام ، فان تاب واستغفر عاد إلى دار الايمان ، ولا يخرج منه إلى الكفر إلّا الجحود والاستحلال أن يقول للمحلال : هذا حرام ، وللحرام : هذا حلال و دان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والايمان ، داخلاً في الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة ، وأحدث في الكعبة حدثاً ، فأخرج عن الكعبة ، وعن الحرم ، فضربت عنقه ، وصار إلى النار . وفيه : باسناد من سماعة بن مهران قال : سألته عن الايمان والاسلام ، قلت له : أفرق بين الإسلام والايمان قال : فأضرب لك مثله ؟ قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الايمان والاسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ، ولا يكون في الكعبة حتّى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً ، قال : قلت : فيخرج من الايمان شيء ؟ قال : نعم قلت : فيصيره إلى ماذا ؟ قال : إلى الإسلام أو الكفر ، وقال : لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفقت منه بوله اخرج من الكعبة و لم يخرج من الحرم ، فغسل ثوبه و تطهر ثم لم يمنع أن يدخل الكعبة ، ولو أن رجلاً دخل الكعبة ، فبال فيها معانداً اخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه .

وفي تحف العقول : عن الفضل بن يسار عن الرضا عليه السلام أنه قال : إن الإيمان أفضل من الإسلام بدرجة ، والتقوى أفضل من الإيمان بدرجة ، ولم يعط بنو آدم أفضل من اليقين .

أقول : وفي تلك الروايات نكات لطيفة جدير لذكر أهمتها :

منها : إن فضل الإيمان على الإسلام كفضل الكعبة على سائر المساجد ... ومنها : إن الكعبة واحدة ، والمساجد متعددة ، والكعبة مركز تدور عليه المساجد كلها ، ويولّى عابدها وجوههم شرطه حفظاً لنظام الوحدة كما أن القلب واحد بالنسبة إلى سائر أعضاء الجسد ، فلا بد لها من التبعية للقلب ليبقى نظام الجسم والعمل .

ومنها : إن محل الإيمان هو القلب ، ومظاهر الإسلام هي الأعضاء .

ومنها : إن بناء الكعبة بيد الأنبياء والأوصياء المعصومين عليهم السلام ، والغرض منه هو التوحيد كما بناها إبراهيم عليه السلام لذلك وأما بناء المساجد فقد يكون لأغراض كثيرة ، إذ قد يكون بناء بعضها ليقول الناس : إن بانيه مسلم ، فيعيش بين المسلمين ، وقد يكون للتجارة ، وقد يكون للشقاق والاختلاف بين الأمة الإسلامية وإضرار الدين كمسجد الضار ... فكذلك الإيمان والإسلام فلا يترتب على الإيمان إلا التوحيد والتقرب إلى الله جل وعلا ، وأما الإسلام فربما يكون لأغراض عديدة كبناء المساجد ...

في الكافي : باسناده عن عبد الله بن مسكان عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الإسلام ؟ فقال : دين الله إسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا ، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن .

قوله عليه السلام : « قبل أن تكونوا حيث كنتم » أي قبل أن تكونوا في عالم الدنيا حيث كنتم في عالم الأرواح والذر ، و بعد أن تكونوا في عالم القبر والفناء .

﴿الاختيار و الايمان﴾

قال الله عز وجل: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»
(الكهف: ٢٩).

وقال: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» يونس: ٩٩-١٠٠.

في عيون الاخبار: عن الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه سئله المأمون عن هذه الآية: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله...» فقال: حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً، وما أنا من المتكلفين، فأنزل الله عليه يا محمد: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدنيا كما يؤمن من عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً، ولا مدحاً، ولكنني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين، غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة، ودوام الخلود في الجنة الخلد «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» وأما قوله: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله».

فليس ذلك على سبيل تحريم الايمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت

لتؤمن إلا باذن الله، وإذنه أمره لها بالايمان ما كانت متكلّفة متعبّدة وإلجاءه إليها
إلى الايمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون فرجت عني فرج
الله عنك، فأخبرني عن قول الله تعالى: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري و
كانوا لا يستطيعون سمعاً» فقال عليه السلام: «إن غطاء العين لا يمنع من الذكر والذكر
لا يرى بالعين ولكن الله عز وجل شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام
بالميمان لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فلا يستطيعون له سمعاً فقال
المأمون: فرجت عني فرج الله عنك».

ان تسئل : ان ظاهر قوله تعالى: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله و
يجعل الرجس على الذين لا يعقلون» يدل على أن الايمان إنما يكون لهم فعله
بإذنه وأمره وهذا ما يخالف الاختيار، فان حمل الإذن ههنا على الإرادة إقتضى
أن من لم يؤمن فلم يرد الله تعالى منه الايمان، وهذا خلف أيضاً.
ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون، ومن كان فاقداً للعقل
لا يكون مكلفاً، فكيف يستحق العذاب؟ مع أنه مخالف لما ورد عن النبي الكريم
صلى الله عليه وآله: «أكثر أهل الجنة البله»؟

تجيب عنه بوجوه :

منها - أن يكون الإذن ههنا بمعنى الأمر كما اشير إليه في الرواية ،
فيكون المعنى: ان الايمان لا يقع من أحد إلا من بعد أن يأمره الله تعالى به، فلا
يكون معناه ما ظنّه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه، ويجري هذا
مجري قوله عز وجل: «وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله» آل عمران: ١٤٥.

ومنها - أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا ريب في أن
الله عز وجل يوفق لفعل الايمان، ويلطف فيه، ويسهل السبيل إليه.

وذلك ان الايمان عبارة عن صيرورة النفس بحيث يعرف الله تعالى وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعترف بذلك ويعمل بمقتضاه، وينهى النفس عما

تهواه ويعبد الله عز وجل كأنه يراه وهذا مما لا يتيسر إلا لنفس زكية وقلب سليم، قابل لتصوير الحقائق كالمرآة المصقلة ينعكس فيها قرص الشمس بتمامه، و تضيء بانعكاسها فيها زاوية البيت، ولا يمكن ذلك عن زجاجة، ولا مرآة غير مصقلة أو مسودة، فمن تبع هواء ظهرت الكثافة والأجرام على صفحة مرآة قلبه، فلا ينعكس عليها نور الايمان، ولا يوفقه الله تعالى للإيمان ولا يسهل عليه، فلا يؤمن مادام قلبه غير مصفى .

ومنها - أن يكون الإذن بمعنى العلم من قولهم: أنت أذنت لكذا وكذا: إذا سمعته و علمته ، و أذنت فلاناً بكذا وكذا: إذا أعلمته ، فتكون فائدة الآية الكريمة الإخبار عن علمه عز وجل بسائر الكائنات، وأنه مما لا تخفى عليه الخفيات.

ومنها - أن يكون الإذن بمعنى العلم - بالتحريك - و معناه: إعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان ، وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية الكريمة: وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله عز وجل لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها إلى فعله.

ومنها - أن يكون معنى الآية الكريمة : أنه لا يمكن لأحد أن يؤمن إلا باطلاق الله تعالى له في الايمان، وتمكينه منه ودعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك .

وأما قوله تعالى : «ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» فلم يعن به الناقصي العقول، وإنما أراد جل وعلا الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والاعتراف بنبوة رسله ﷺ والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيهاً كما قال الله عز وجل: «صم بكم عمى» وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو أمور بعلمه بالجنون وفقد العقل وأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه : إنه ﷺ لم

يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون، وإنما أراد البله عن الشر والقيح، وسمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لامن حيث فقد العلم به، ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر.

وفي الكافي: باسناده عن حمran عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن هذه الدنيا يعطيها الله البرّ والفاجر ولا يعطي الايمان إلا صفوته من خلقه.

وفيه: باسناده عن ميسر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدنيا يعطيها الله عز وجل من أحب، ومن أبغض، وإن الايمان لا يعطيه إلا من أحبه.

وفي عيون الاخبار: باسناده عن الحسين بن علي عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحب في الله وأبغض في الله، ووال في الله وعاد في الله فأنه لاتنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً، فقال له: وكيف لي ان أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عز وجل، ومن ولي الله حتّى او اليه ومن عدوّه حتّى اعاديه، فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال: أترى هذا؟ فقال: بلى قال: ولي هذا ولي الله فواله وعدو هذا عدو الله فعاده و وال ولي هذا ولوأنه قاتل أبيك ولدك، وعاد عدو هذا ولوأنه أبوك ولدك.

وفي تفسير القمي: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً» أي لو شاء أن يجبر الناس كلّهم على الايمان لفعل.

وفي تفسير العياشي: عن علي بن عتبة عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوا للناس، فأنه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس بدينكم، فإن الخصومة ممرضة للقلب ان الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله: يا محمد صلى الله عليه وآله: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله

بهدي من يشاء» قال: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ذروا الناس فإن الناس أخذوا من الناس، وإنكم أخذتم من رسول الله ﷺ وعلي ﷺ ولا سواء إنني سمعت أبي ﷺ وهو يقول: إن الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

وفي الكافي: قال أمير المؤمنين ﷺ: لأنسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك: إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه، إن المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى إنكاره في عمله، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

وفيه: باسناده عن الأصبغ بن نباته قال: خطبنا أمير المؤمنين ﷺ في داره أوقال: في القصر ونحن مجتمعون ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب وقرأ على الناس، وروى غيره أن ابن الكوا سئل أمير المؤمنين عن صفة الإسلام والايمان والكفر والنفاق، فقال: أما بعد فإن الله تبارك وتعالى شرع الإسلام وسهّل شرائعه لمن ورده وأعزّ أركانه لمن حاربه، وجعله عزّاً لمن تولاّه وسلاماً لمن دخله وهدى لمن ائتمّ به، وزينة لمن تجلّله وعذراً لمن انتحلّه، وعروة لمن اعتصم به وحبالاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلم به ونوراً لمن استضاء به، وعوناً لمن إستغاث به وشاهداً لمن خاصم به، وفليحاً لمن حاجّ به وعلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى، وحلماً لمن جرب ولباساً لمن تدبّر، وفهماً لمن تفتّن ويقيناً لمن عقل، وبصيرة لمن عزم وآية لمن توسّم.

وعبرة لمن انتعظ ونجاة لمن صدّق وتؤدة لمن أصلح وزلفى لمن اقترب وثقة لمن توكل ورخاء لمن فوّض، وسبقة لمن أحسن وخيراً لمن سارع وجنة لمن صبر ولباساً لمن اتقى، وظهيراً لمن رشد وكهفاً لمن آمن، وأمنة لمن أسلم ورجاءاً لمن

صدق ، وغنى لمن قنع فذلك الحق، سبيله الهدى ومآثرته المجد وصفته الحسنى فهو أبلج المنهاج، مشرق المنار ذا كي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النعمة، كامل العدة كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه والصالحات مناره والفقه مصايحه، والدنيا مضماره والموت غايته، والقيامة جلبته والجنة سبقته والنار نعمته، والتقوى عدته، والمحسنون فرسانه، فبا لإيمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يهرب الموت، وبالموت تختتم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنة والجنة حسرة أهل النار والنار موعظة المتقين، والتقوى سنخ الإيمان.

وفيه : باسناده عن جابر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا جعفر إن الإيمان أفضل من الإسلام، وإن اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعز من اليقين. وفيه : باسناده عن الوشاء عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين.

وفيه : عن حمران بن أعين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله فضل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام.

وفيه : باسناده عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد الإسلام درجة؟ قال: قلت: نعم قال: والإيمان على الإسلام درجة؟ قال: قلت: نعم قال: والتقوى على الإيمان درجة؟ قال: قلت: نعم قال: فما اثنى الناس أقل من اليقين، وإنما تمسكتم بأدنى الإسلام، فأياكم أن ينفلت من أيديكم.

قوله عليه السلام: «درجة» أي من الدرجات، و«ينفلت»: يخرج من قلوبكم فجأة. وفيه : باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون

يا رسول الله قال: فما حقيقة ايمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله و التسليم لأمر الله فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فان كنتم صادقين، فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون.

وفي دعاء وقت الزوال: اللهم إني ضعيف فقوني رضاك ضعفي وخذني إلى الخير بناصيتي واجعل الايمان منتهى رضاءي وبارك لي فيما قسمت لي وبلغني برحمتك كل الذي أرجو منك واجعل لي ودّاً و سروراً للمؤمنين وعهداً عندك.

وفي دعاء حوائج الدنيا والآخرة :- : «أَسْأَلُكَ اِيْمَاناً لَأَجْلَ لَه دُونَ لِقَائِكَ تَحْيِيْنِي وَ تَمِيْتُنِي عَلَيْهِ وَ تَبْعَثْنِي عَلَيْهِ إِذَا بَعَثْتَنِي وَأُبْرِءَ قَلْبِي مِنَ الرِّياءِ وَ السَّمْعَةِ وَ الشُّكِّ فِي دِيْنِكَ» الدعاء.

وفيه : أيضاً: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَشْتَرِيَ الْجَهْلَ بِالْعِلْمِ، وَالْجَفَا بِالْحِلْمِ، وَ الْجَوْدَ بِالْعَدْلِ، وَالْقَطِيعَةَ بِالْبِرِّ وَالْجَزَعَ بِالصَّبْرِ، أَوْ الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى أَوْ الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ».



﴿ أركان الايمان و دعائمه ﴾

واعلم أن الايمان له أركان و دعائم يبنى عليها ، فاذا فقد شيئاً منها فهو ناقص ، و على حسب إستحكامها تكون قوته و ضعفه .

في الكافي : بإسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الايمان له أركان أربعة : التوكل على الله ، و تفويض الأمر إلى الله ، و الرضا بقضاء الله ، و التسليم لأمر الله عز وجل .

وفي قرب الاسناد : يقول الرضا عليه السلام : الايمان أربعة أركان : التوكل على الله عز وجل ، و الرضا بقضائه ، و التسليم لأمر الله ، و التفويض إلى الله .

وفيه : بإسناده عن الحسين بن علي عن أبيه عليه السلام قال : الايمان له أركان أربعة : التوكل على الله تعالى ، و التفويض إليه ، و التسليم لأمر الله ، و الرضا بقضاء الله تعالى ، و أركان الكفر أربعة : الرغبة ، و الرهبة ، و الغضب و الشهوة .

وفي رواية : عن عباد بن قيس عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل - قال : « فالإيمان يا بن قيس على أربعة أركان : الصبر واليقين والعدل والجهد ... » الحديث .

وفي تحف العقول : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة يذكر فيها الايمان وأركانه ودعائمه والكفر ودعائمه - : « إن الله ابتدأ الامور فاصطفى لنفسه منها ما شاء ، واستخلص منها ما أحب فكان ممّا أحب أنه إرضى الايمان ، فاشتقّه من إسمه ، فنحله من أحب من خلقه

ثم بيّنه ، فسهل شرائعه لمن ورده وأعزّ أركانه على من جانبه ، وجعله عزّاً لمن والاه وأمنّاً لمن دخله ، وهدى لمن اتّمسك به ، وزينة لمن تحلّى به ودينّاً لمن اتّبعه وعصمة لمن اعتصم به ، وحبالاً لمن استمسك به ، وبرهاناً لمن تكلم به وشرفاً لمن عرفه وحكمة لمن نطق به ، ونوراً لمن استضاء به ، وحجّة لمن خاصم به ، وفلجاً لمن حاج به وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى وحلماً لمن حدث ، ولبّاً لمن تدبّر وفهماً لمن تفكّر ، ويقيناً لمن عقل وبصيرة لمن عزم ، وآية لمن توسّم وعبرة لمن اتّعظ ، ونجاة لمن آمن به ومودة من الله لمن صلح ، وزلفى لمن ارتقب ، وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض ، وصبغة لمن أحسن وخيراً لمن سارع ، وجنة لمن صبر ولباساً لمن اتقى ، وتطهيراً لمن رشد وأمنة لمن أسلم ، وروحاً للمصادقين .

فالإيمان أصل الحق ، وأصل الحق سميّله الهدى وصفته الحسنى ومآثرته المجد ، فهو بلغ المنهاج مشرق المنار ، مضىء المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار جامع الحلبة ، متنافس السبقة ، قديم العدة كريم الفرسان ، الصّالحات مناره ، والعفة مصابيحها ، والموت غايته ، والدنيا مضماره ، والقيامة حلبته ، والجنة سبقته ، والنار نقمته ، والتقوى عدته والمحسنون فرسانه ، فبالإيمان يستدل على الصّالحات ، وبالصّالحات يعمر الفقه ، وبالفقه يهرب الموت ، وبالموت تختم الدنيا ، وبالدنيا تحوز الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة ، والجنة حسرة أهل النار ، والنار موعظة التقوى ، والتقوى سنخ الإيمان ، والتقوى غاية لا يهلك من تبعها ، ولا يندم من يعمل بها ، لأنّ بالتقوى فاز الفائزون وبالمعصية خسر الخاسرون ، فليزدجر اولى النهى وليتذكر أهل التقوى .

فالإيمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهد .

فالصبر على أربع شعب : على الشوق والشفق والزهد والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلاعن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

واليقين على أربع شعب : على تبصرة الفطنة ، و تأوّل الحكمة ، و موعظة العبرة و سنّة الأولين ، فمن تبصر في الفطنة تأوّل الحكمة ، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ، ومن عرف السنة فكأنّما عاش في الأولين .

والعدل على أربع شعب : على غائص الفهم و غمرة العلم و زهرة الحكم و روضة الحلم فمن فهم فسر جميع العلم ، و من عرف الحكم لم يضلّ ، ومن حلم يفرط أمره وعاش به في الناس حميداً .

والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق عند المواطن ، و شتّان الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافرين ، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شتّان الفاسقين غضب الله ، ومن غضب الله غضب الله له ، فذلك الايمان و دعائمه و شعبه ... الحديث رواه الكليني قدس سرّه في الكافي ، وقد ورد أيضاً في نهج البلاغة .

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ : « دعائم الايمان أربع : الاولى : أن تعرف ربك ، الثانية : أن تعرف ما صنع بك ، الثالثة : أن تعرف ما أراد منك ، الرابعة : أن تعرف ما يخرجك من دينك » .

وفي البحار: قال رسول الله ﷺ : « الايمان في عشرة : المعرفة ، والطاعة ، والعلم ، والعمل ، والورع ، والاجتهاد ، والصبر ، واليقين ، والرضا ، والتسليم ، فأيتها فقد صاحبه بطل نظامه » .



﴿الايمان و أقسامه﴾

و اعلم أن "الايمان باعتبارات مختلفة على أقسام : ايمان بالله تعالى و رسله و كتبه و باليوم الآخر، و ايمان بالجبت والطاغوت و الباطل ، ايمان ببعض ما يجب الايمان به دون بعض ، ايمان في زمن دون زمن ، ايمان مستقر ثابت ، و ايمان مستودع و متزلزل ، ايمان تكويني " فطري " ، و ايمان تشريعي " و إختياري " ، ايمان حقيقي " باطني " ، و ايمان ظاهري " لفظي ، و ايمان تقليدي " سمعي " ، و ايمان إستدلالي " قلبي " . . .

قال الله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » (النور : ٦٢) .
و قال : « وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ - أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَكْفِرُونَ » (العنكبوت : ٥٢ - ٦٧) .

وقال : « وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ - يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ » (المائدة : ٥ - ٤١) .

و قال : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا » (غافر : ١٢) .

وقال : « أَفْتَوِّمِنُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ - فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا » (البقرة : ٨٥ و ٩١ و ٢٥٦) .

وقال : « ألم تر إلى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً - إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً - إن الذين يكفرون بالله ورسله و يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً » النساء : ٥١ و ١٣٧ و ١٥٠) .

وقال : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم - وليعلم الذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » آل عمران : ٧٢ و ٧٣ و ١٦٧) .

وقال : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » الحديد : ١٥) .

وقال : « الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » الرعد : ٢٨ - ٢٩) .

وقال : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » آل عمران : ١٩٠ - ١٩٣) .

وقال : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نوز من ربه » الزمر : ٢٢) .

وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النار كمن

مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون «
الأنعام : ١٢٢) .

ولا يخفى على القاريء الخبير المتدبر أن الغرض من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقاً للعقل ، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرّداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور وإذا زهد في الكفر بمجرّد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، كما إذا أخبر بضعف أمر من الأمور و ضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الاخبار بضعفه مجرّداً .

فالتمثيل ألطف ذريعة إلى تفهيم الجاهل ، ويجعل المعقول محسوساً والخفي جلياً ولذلك أكثر الله عز وجل في كتبه النازلة على أنبيائه ﷺ الأمثال حتى وفي الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال ، وقد جاء في القرآن الكريم نحو ألف آية في الأمثال والعبر : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » الزمر : ٢٧) .

و كان من عادة الأنبياء والرسل بيان الحكم والمعارف في بعض المقامات بالتمثيل ، و تصوير الحقائق الغامضة العقلية بكسوة الأمثلة الحسية ...

إن الله تعالى خلق الإنسان على فطرة الإيمان ، وبها يعرف خالقه وأنبيائه واليوم الآخر إجمالاً ، فالإنسان في حقيقة وجوده مؤمن يعبر عنه بالإيمان التكويني والفطري : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الروم : ٣٠) . ثم أمر بالإيمان التشريعي بيّنه أنبيائه وهو الإيمان الاختياري ، و لعل إلى هذين النوعين من الإيمان أشار بقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا

آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» (النساء : ١٣٦) على أن فعل الماضي يشير إلى الإيمان الفطري، وفعل الأمر يشير إلى الإيمان التشريعي والاختياري.

في الكافي : باسناده عن حسين بن نعيم الصحّاف قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لم يكون الرجل عند الله مؤمناً قد ثبت له الإيمان عنده ثم ينقله الله بعد من الإيمان إلى الكفر؟ قال : فقال : إن الله عز وجل هو العدل إنما دعا العباد إلى الإيمان به لا إلى الكفر ولا يدعوا أحداً إلى الكفر به، فمن آمن بالله ثم ثبت له الإيمان عند الله لم ينقله الله عز وجل من الإيمان إلى الكفر قلت له : فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله ثم ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟ قال : فقال : إن الله عز وجل خلق الناس كلّهم على الفطرة التي فطرهم عليها ، لا يعرفون إيماناً بشريعة ، ولا كفراً بجحود ثم بعث الله الرسل يدعوا العباد إلى الإيمان به ، فمنهم من هدى ومنهم من لم يهده الله .

قوله عليه السلام : « إن الله عز وجل هو العدل ... » جواب عما سئله السائل وحاصله : إن الله تعالى خلق الناس على فطرة الإيمان ، وأنهم على جميعهم الحجة بارسال الرسل وإنزال الكتب وإقامة الحجج ، فليس لأحد منهم حجة على الله جل وعلا يوم القيامة : « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (النساء : ١٦٥) ولم يكن أحد منهم مجبوراً على الكفر لا بحسب الخلقة ، ولا من تقصير في الهداية وإقامة الحجة ، ولكن استحق بعضهم الهدايا الخاصة من الله تعالى فصارت مؤيدة لإيمانهم وتوفيقهم له لحسن إختيارهم ، ولم يستحق بعضهم ذلك لسوء إختيارهم ، فمنهم هذا التوفيق وتلك الألفاظ فكفروا ومع ذلك لم يكونوا مجبورين في الكفر والطغيان ، ولا مجبورين إلى الفساد والعصيان ... قال الله تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » (الزمر : ٧) .

و قوله **عَلَيْهِ** : « فمنهم من هدى الله » أي الذين لم يخالفوا عما اقتضته فطرتهم الايمانية وتفكروا في الآيات التكوينية والتدوينية ، تفكروا في أنهم من أين جاءوا ومن خلقهم ؟ وإلى أين تزلوا ؟ وأي شيء يطلب منهم ؟ وإلى متى يعيشون في هذه الحياة الدنيا ؟ وإلى أين يذهبون ؟ ؟ ؟ واستمعوا النداء الحق وجاهدوا فيه ، فيدرّكهم اللطف والتوفيق والرحمة كما قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » العنكبوت : ٦٩ .

و قوله **عَلَيْهِ** : « ومنهم من لم يهد الله » أي الذين خالفوا عما اقتضته فطرتهم الأصلية باتباع الهوى والإنهماك في الشهوات واللذات الفانية ، وحب الدنيا والجاه والمقام والرئاسة ، ولم يتفكروا فيما ذكر وأعرضوا عن سماع نداء الحق ، فيسلب عنهم الرحمة واللطف والتوفيق وهو المراد من عدم هدايته تعالى إياهم .

و من أقسام الايمان : ايمان تقليدي سمعي كايمن العوام المؤمنين إذ يصدّقون بما يسمعون ، ويستمرّون عليه ، وبه يمتازون عن غيرهم من الناس غير المؤمنين حقاً ، وفائدة هذا الايمان حقن الدماء وحفظ الأموال وصيانة الأعراض ... وايمان عقلي إستدلالي يحصل بانسراح الصدر وتنوّع القلب بنور الله جلّ وعلا : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » الزمر : ٢٢ .

فينكشف بذلك النور فيه الوجود كلّ على ماهو عليه ، فيتّضح حينئذ أن الكل من الله عزّ وجلّ ابتداءً ، وأن الكلّ إلى الله تعالى مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلّا الله جلّ وعلا وصفاته وأفعاله ، وهذا الصنف هم المقرّون النازلون في الفردوس الأعلى ، وهم على غاية القرب من الحضرة الربوبية وهم أيضاً على أصناف : فمنهم : « السابقون السابقون أولئك المقربون » ومنهم من دونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله جلّ وعلا وصفاته وأفعاله ، و درجات العارفين غير محصورة كما قال عزّ وجلّ : « ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » المجادلة : ١١ .

فإن الإحاطة بكنهه جلال الله عز وجل وعظمته وعلمه وحكمته ، وقدرته وتدبيره ورحمته ومغفرته . . . غير ممكنة ، وبحر المعرفة ليس له عمق ولا ساحل ، فكل له درجة بقدر قوة غوصه وخوضه في ذلك ، وأما المؤمن إيماناً تقليدياً فهو من أصحاب اليمين إن كان عمله صالحاً : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » ودرجته دون درجة المقربين فهو يثاب في الدار الآخرة بحسب ميزان عمله وسلامة صدره من الغل والغش ، وهم أيضاً على درجات ، فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين ، فمن أدنى الفرائض والطاعات ، واجتنب عن الكبائر والمحرمات ، فيدخل في الجنة ، وكذا من أهل الفرائض وارتكب الكبائر عن جهاته ثم تاب توبة نصوحاً ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له كالثوب المغسول .

وأما من لم يتب من الكبائر حتى مات فأمره خطير إذ ربما كان موته على الإصرار سبباً لزوال إيمانه ، فحتم له بسوء الخاتمة ، ولا سيما إذا كان إيمانه إيماناً تقليدياً ، فإن التقليد وإن كان جزماً ، فإنه قابل للإنحلال بأدنى شبهة ، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة ، وكلاهما إن ما تا على الإيمان بدخلان في الجنة ولو بعد حين بالعفو والشفاعة ، ويعذبان عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب بحسب قوة الإصرار وكثرة مدته ، وبحسب قبح الكبيرة إلا أن يعفو الله تعالى ويتجاوز عنه قبل ذلك فإنه غفور رحيم .

وكما أن الإيمان باعتبار على ضربين : حقيقي وتقليدي كذلك الكفر أيضاً كفران : كفر عن جحد وعناد وإنحراف عن منهج السداد وهو مضاد الحق لأنه صفة وجودية وجهل مشفوع بالإصرار والاستنكار مر كسب مع البغض واللجاج ، وكفر عن قصور ونقص ، وكلاهما منشأ الدخول في النار إلا أن المناقق أشد عذاباً وأسوأ حالاً من الكافر لتذبذبه وإضراره على الدين أكثر من ضرر الكافر عليه . وإن المؤمن الحقيقي من يكون قلبه منزل كلمات الله تعالى ومورد ملائكته ،

ويدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» فصلّت: ٣٠ - ٣١).

كما أنّ قوله عزّ وجلّ: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» البقرة: ٢٥٧).

وقوله: «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة: ١٥ - ١٦).

وقوله: «فاتقوا الله يا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» الطلاق: ١٠ - ١١).

وقوله: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم - وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ» الحديد: ١٢ - ١٩).

يدل على أنّ الإيمان نور عقلي يخرج به النفس من القوة — إلى الفعل والكمال. ولا يخفى على القارئ الخبير أنّ الإيمان باعتبار على أربعة أقسام: أحدها - إيمان صوري لا يفيد بحال صاحبه إلّا في الحياة الدنيا كإيمان المنافقين وفائدته حقن دمائهم وحفظ أموالهم وتعيّشهم بين المسلمين المؤمنين... كقوله تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» البقرة: ٨).

ثانيها - إيمان يفيد صاحبهم في الدار الآخرة فقط كإيمان سحرة فرعون

كقوله عز وجل: « والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين - وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جائتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » الأعراف : ١٢١ - ١٢٦) .

ثالثها - إيمان لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة كإيمان فرعون حين رأى هلاكه وعذاب الله تعالى ومن ذهب مذهبه من الطغاة والجبابرة والبغاة والفسقة والكفار والمجرمين إلا قوم يونس عليه السلام وإيمان بعض الناس حين الموت أو بعد ظهور علائم قيام الساعة كقوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » الأنعام : ١٥٨) .

وقوله عز وجل : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون » السجدة : ٢٩) .

وقوله جل وعلا : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » غافر : ٨٤ - ٨٥) .
وقوله سبحانه : « فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين » يونس : ٩٨) .

رابعها - إيمان يفيد صاحبه في الدنيا والآخرة معاً كإيمان المؤمنين المخلصين كما قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فصلت : ٣٠ - ٣١) .

﴿ مراتب الايمان وكماله ﴾

قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» (الأنفال: ٢).

وقال: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» (الأحزاب: ٢٢).

وقال: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» (الفتح: ٤).

في تفسير العياشي: عن أبي عمرو الزيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قد فهمت نقصان الايمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ وما الحجة فيها؟ قال: قول الله: «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيسكم زادته هذه ايمانا؟» إلى قوله: «رجساً إلى رجسهم» وقال: «نحن نقص عليك نبأهم بالحق» انهم فتيمة آمنوا بربهم وزدناهم هدى» ولو كان كله واحداً لازيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على أحد، ولا يستوي النعمة فيه، ولا يستوي الناس و بطل التفضيل، ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدَّرَجَاتِ عند الله، وبالنقصان منه دخل المفرطون النار.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن

أبيطالب عليه السلام: «إنَّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة».

قوله عليه السلام: «اللمظة» مثل النكتة أو نحوها من البياض، ومنه قيل: فرس أُلْمِظ إذا كان بجحفلته شيء من البياض.

وفيه حجة على من أنكر أن يكون الإيمان يزيد أو ينقص، ألا تراه عليه السلام يقول: «كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة»؟

في تفسير روح المعاني للآلوسي ما لفظه: «ذهب أبو حنيفة وكثير من المتكلمين إلى أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واختاره إمام الحرمين محتجين بأنَّ الإيمان إسم للتصديق البالغ حدَّ العزم والإذعان، وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان، فالمصدق إذا أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغير أصلاً، وإنَّما يتفاوت إذا كان إسمًا للطاعات المتفاوتة قلَّة وكثرة».

أقول: وهذا رأي أبي حنيفة ومن تبعه ما يخالف الأدلة الأربعة:

أما الكتاب المجيد: فأياته كثيرة تصرح بخلاف هذا المذهب، كما جاء بعضها في أوَّل هذا البحث.

ومنها: قوله عز وجل: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» آل عمران: (١٧٣).

ومنها: قوله جل وعلا: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» الكهف: (١٣).

ومنها: قوله تعالى: «ويزيد الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» مريم: (٧٦).

ومنها: قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» سجدة والله تعالى: (١٧).

ومنها: قوله عز وجل: «ويزداد الَّذِينَ آمَنُوا إيمَانًا» المدثر: (٣١).

ومنها: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»

البقرة: (٢٦٠).

وغيرها من الآيات القرآنية تصرح بخلاف ما ذهب إليه أبو حنيفة وأتباعه... ولا ريب: أن الإيمان له مراتب بالزيادة والنقصان يمكن أن يزيد أو ينقص، بالسير إلى الله تعالى يزيد، وباتباع الهوى والسير إلى المعصية ينقص، ولا شبهة: أن الصفات القلبية والأحوال الروحانية من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر... ومن الخوف والإخلاص والتوكل... والأعمال الظاهرة لها تأثيرات في تصفية القلب، وفي تنويره بالمعارف الإلهية، وإن المؤثر يؤثر بحسب قدرته شدة وضعفاً، فكلما كان أقوى كان تأثيره أقوى وأزيد، وكلما كان أضعف كان تأثيره أضعف، فالإيمان يحصل بذلك، فكما أن لها آثاراً مختلفة شدة وضعفاً فكان الإيمان كذلك.

ومن غير مرأى أن نفس التصديق يقبل القوة وهي التي يعبر عنها بالزيادة للمفرق البين بين يقين الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ويقين آحاد الأمة، وعليه مبنى ما قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً» وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه دلائل كثيرة كنفس القوة في دليل، والضعف في دليل آخر.

فقد تكون زيادة الإيمان بقوة الدليل، وقد تكون بزيادة الدلائل فيما يعتقده فلا يعتوره شك ولا يعتريه ريب، ويحصل له التوكل على الله جل وعلا: «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» (المائدة: ٢٣) بحيث يفوض أمره إلى الله تعالى تماماً، فلا يخاف ولا يرجو غيره: «فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٧٥ «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ١١٢ «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» الأنعام: ٨٢) فلا يرجو ولا يخاف غير الله جل وعلا لعلمه بأنه عز وجل عالم،

و بيده تدبير العالم ، وبقدرته نظام الوجود ، وبحكمته نواميس الكون ، فقد تكفل بالجليل والحقير من خلقه ، ثم بعد هذه الأحوال القلبية يأخذ باتباع ما أمره الله عز وجل ، ونهاه عنه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهد في سبيل الله تعالى...

فمن كانت الدلائل عنده لايمانه أقوى وأكثرفايمانه أقوى وأزيد من إيمان غيره لزوال الشك والريب عند قوة الدلائل وكثرتها، فتزيد على يقينه، فتكون معرفة الله جلّ وعلا أقوى ، فلا يعبد الله تعالى ما لم يره بعين قلبه كما قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « ما كنت أعبد شيئاً لم أره ».

وانّ الدلائل على الايمان قد تكون سمعية ، وقد تكون عقلية ، وانّ المؤمن القوى في ايمانه يخاف الله تعالى في جميع حالاته لعصيانته ، فتطمئن نفسه انّه عز وجل يراه في كل حال ، ويتوجه قلبه إلى الله تعالى في تمام الأوقات وجميع الآفات ، فاذا تكلم أو سكت فيرى ربه أمامه ، إذا رأى شيئاً أو سمع فيرى ربه أمام عين قلبه ، إذا عمل أو سكن فيرى ربه أمام عين قلبه إذا مشى أو جلس ، فيرى ربه أمام عين قلبه... وفيهم قال الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم - وتوفنا مع الأبرار » آل عمران : ١٩١-١٩٣ وفيه دلالة على أنّ زيادة الايمان بزيادة البرهان الواضح عليه.

وقيل : إنّ زيادة الايمان بزيادة العمل ونقصانه بنقصان العمل بعد العقد القلبي بالدليل العلمي.

و أما الروايات الواردة في المقام : فكثيرة قد أوردنا نبذة منها آنفاً ،

ومنها :

في المنهج : « قال أمير المؤمنين عليه السلام : الايمان يبدء نقطة بيضاء في القلب ، فكلمها ازداد الايمان عظماً إزداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله ، وإنّ

النفاق يبدء نقطة سوداء فكلماً ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب .

وفى تفسير الخازن : قال علي عليه السلام : «إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب ، وكلمة ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب ، وكلمة ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله ، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود» .

وغيرها من الروايات الواردة لا يسعها المقام .

وأما العقل : فدليله كثير لا يسع مقام الاختصار بذكر الجميع فنكتفي بواحد منها على طريق الاختصار :

وذلك أن الإيمان والكفر من مقولة العلم ، وإن العلم على قول يكون كيفاً نفسانياً ، والكيف يكون من الأعراض ، فالإيمان يكون عرضياً ، وقيل : إن الكفر أمر عديم من شأنه أن يكون إيماناً فبينهما عدم ملكة ، وعلى العدم لا يطلق الجوهر والعرض ، وأما الإيمان فبذاته لا يطلق أيضاً على العرض والجوهر لأن الإيمان بكل شيء إدراك ذاك الشيء وتصديق بوجوده ، وإدراك كل شيء كان من سنخ مدرك - إسم مفعول - ويكون معه متحد فالإيمان بالله تعالى هو تجليته وإشراقه عز وجل في ذات المؤمن ، ولما كان الله جل وعلا منزهاً عن الجوهر والعرض ، فالإيمان بالله تعالى لا يكون جوهرأ ولا عرضاً ، فالإيمان بعالم الغيب ، وحقائق جوهريته من مقولة الجوهر ، والإيمان بعالم المادة والأعراض كان من سنخ المادة والأعراض .

وأما الزيادة والنقصان في الإيمان فبأن الإيمان علم ، والعلم كالنور يكون ذا مراتب وضعف ونقصان كما شبه الإيمان بالنور في الآيات القرآنية منها قوله تعالى : «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً» (الشورى : ٥٢)

وفي الروايات منها: قال رسول الله ﷺ: «خمس لا يجتمعن إلا في مؤمن حقاً يوجب الله له بهن الجنة: النور في القلب، والفقه في الاسلام، والورع، والمودة في الناس، وحسن السميت في الوجه».

وذلك لأننا نجد آثار الايمان القوى قوياً، وآثار الايمان الضعيف ضعيفاً، فالمؤمن الكامل يعمل عملاً قوياً، والمؤمن الناقص لا يعمل بذلك الحد، والأول يأتي مائة درهم صدقة والثاني يأتي عشرة دراهم صدقة، والأول لا يخاف ولا يرجو غير الله جلّ وعلا والثاني يخاف ويرجو غيره تعالى بحسب ضعف ايمانه ونقصانه.

قيل: يمكن إطلاق الزيادة والنقصان على الايمان باعتبار آثاره، ولكن ناقصه أو كامله يسمى ايماناً حقيقة كما يطلق على النور القوي والضعيف نوراً حقيقة مع اختلاف مراتبه...

وأما الإجماع: فالكلمات فيه كثيرة لا يسعها المقام، فنكتفي بكلامين واردين عن طريق العامة عسى أن يكونا أوقع في نفوس أتباع أبي حنيفة:

في تفسير روح المعاني للآلوسي (ج ٩ ص ١٤٨ ط مصر) ما لفظه: «وعلى هذا - بزيادة الايمان ونقصانه - قول البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الايمان قول وعمل ويزيد وينقص» وهو المعنى بما روى عن ابن عمر قال: «قلنا: يا رسول الله ﷺ إن الايمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار».

ثم قال الآلوسي: وإن التصديق يقبل التفاوت بحسب مراتبه، فما المانع من تفاوته قوة وضعفاً كما في التصديق بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم، وقلة وكثرة كما في التصديق الإجمالي والتصديق التفصيلي المتعلق بالكثير».

وفى تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الاندلسي (ج ٤ ص ٤٥٢ ط الرياض) ما لفظه: «إنّ الناس في معارف التوحيد والنبوة والمعاد ثلاثة أقسام: أحدها- الذين بالغوا في هذه المعارف إلى حيث كالمشاهدين لها وهم أصحاب عين اليقين، فالقرآن في حقهم بصائر.

والثاني: الذين وصلوا إلى درجات المستدلين، وهم أصحاب علم اليقين فهو في حقهم هدى.

والثالث: من اعتقد ذلك الاعتقاد الجزم، وإن لم يبلغ مرتبة المستدلين وهم عامّة الناس من المؤمنين، فهو في حقهم رحمة وطمأنينة هذه الفرق والثلاث من القوم المؤمنين قال: «هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (الأعراف: ٢٠٣).

وفى البحار: قال العلامة المجلسي رحمة الله تعالى عليه ما لفظه: «والحق أن الإيمان يقبل الزيادة والنقصان سواء كانت الأعمال أجزائه أو شرائطه أو آثاره الدالة عليه، فإن التصديق القلبي بأى معنى فسر لا ريب أنه يزيد وكلما زاد زادت آثاره على الأعضاء والجوارح، فهي كثرة وقلة تدل على مراتب الإيمان زيادة و نقصاناً، وكل منها يتفرّع على الآخر فإن كل مرتبة من مراتب الإيمان تصير سبباً لقدر من الأعمال يناسبها، فإذا أتى بها قوى الإيمان القلبي، وحصلت مرتبة أعلى تقتضى عملاً أكثر وهكذا.

وجملة القول في ذلك أن للإيمان، ولكل من الأعمال الإيمانية أفراداً كثيرة وحقيقة ونوراً وروحاً كالصلاة، فإن روحاً هي الإخلاص مثلاً فإذا فارقها كانت جسداً بلا روح لا يترتب عليه أثر، ولا ينهى عن الفحشاء والمنكر فلا إيمان أيضاً مراتب يترتب على كل مرتبة منها آثار فإذا ارتكب المؤمن الكبائر نقص إيمانه وفارقه روح الإيمان وحقيقته، وكيف يؤمن بالله ورسوله وبالجنة والنار و يرتكب ما أخبر الله بأنه موجب لدخول النار فلا يكون ذلك إلا لضعف في اليقين

كما ورد في أخبار كثيرة أنهم عليهم السلام سئلوا عند إدعاء الإيمان أو اليقين ما حقيقة إيمانك ؟ وما حقيقة يقينك ؟ فظهر لهما حقائق مختلفة تظهر بآثارهما .
و روح الإيمان الواردة في الأخبار يمكن حملها على ذلك ، فإن الإيمان إذا ضعف حتى غلب عليه الشهوات البدنية فكأنه لا روح له ، ولا يترتب عليه أثر ، بل لابقاء له فإن غلب عليه الشهوة ، وعاد إلى التوبة ، قوى الإيمان وعاد إليه الروح ، وترتب عليه الآثار و عاد إليه الملك المؤيد له ، ولذا اطلق الروح في بعض الأخبار على ذلك الملك أيضاً ، وقد يعود إليه بعد إنقضاء الشهوة وقوة العقل والإيمان ، وتصرف العقل في ممالكه بعد ما صار مغلوباً بمقهوراً بالشهوات البدنية ، فيتذكر قبح فعله ، فيعود إليه الملك المؤيد أو شيء من نور الإيمان ، وإن لم تكمل له التوبة ، ولم يقدر على العزم التام على تركها ، فيما سيأتي ، ولذا ورد في بعض الأخبار أنه يعود إليه روح الإيمان بدون التوبة أيضاً .

وفي الميزان: قال - في قوله تعالى: « وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أئبكم زادته هذه إيماناً » التوبة : ١٢٤) - « إن السورة بانارتها أرض القلب بنور هدايتها توجب إشتداد نور الإيمان فيه ، وهذه زيادة في الكيف ، و باشتمالها على معارف وحقائق جديدة من المعارف القرآنية والحقائق الإلهية و بسطها على القلب نور الإيمان بما توجب زيادة إيمان جديد على سابق الإيمان و هذه زيادة في الكمية ، ونسبة زيادة الإيمان إلى السورة من قبيل النسبة إلى الأسباب الظاهرة » .
ولا يخفى على القاريء الخبير : أن الإيمان لو كان كله على حد سواء لم يكن فيه زيادة ولا نقصان ولم يكن لأحد من أهله فضل على الآخر ، ولا ستوت النعم عليهم من غير تفضيل فرد من أهل الإيمان على غيره من أهله ، ولا ستوت الناس ، وبطل التفضيل ، وبتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة ، وبالنسبة زيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله عز وجل ، وبالنقصان والفقدان دخل المفترطون النار .
و قال بعض الاعلام : « إن الإيمان هو العلم بشيء مع الالتزام لا العلم

فقط ، ولا التصديق المجرّد من الإلتزام ، وإن الزيادة ، والنقص والقوّة والضعف بالنسبة إلى كلّ من العلم والالتزام المؤلّف منهما الإيمان .

وقال بعضهم: إن الزيادة في أصل الاعتقاد - حيث إن الإيمان هو عقد القلب والاعتقاد بشيء و مقتضاه ظهور آثاره العملية من المؤمن وإن قد لا تظهر الآثار لمانع كمؤمن آل فرعون - لا في الآثار لأننا كثيراً ما نرى ضعفاء الإيمان يعملون أعمالاً أكثر من الكاملين في الإيمان ، ولكن هذا الاعتقاد قد يحصل بالعلم واليقين أي بطريق العلم ، وقد لا يحصل بطريق العلم كاتباع الطاغوت ، والشياطين مع إيمانهم بها ولكن بالتقليد .

وفي دعاء الايام الرجبية - : « أن تصلي على محمد وآله وأن تزيدني إيماناً وتبنيئاً » الدعاء .

وأما كمال الإيمان : فموجباته عديدة اشير إليها في الروايات الكثيرة :

في تحف العقول: في مواضع عيسى عليه السلام وحكمه - : « ويلكم يا عبيد الدنيا نقوا القمح وطيبوه ، وأدقوا طحنه تجدوا طعمه ، ويهنئكم أكله كذلك ، فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه »
قوله : عليه السلام « غبّه » أي عاقبته .

وفي رواية: في وصيّة النبي الكريم ﷺ لعلي عليه السلام - : « يا علي ! سبع من كن فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان ، وأبواب الجنة مفتحة له : من أسبغ وضوءه ، وأحسن صلاته ، وأدى زكاة ماله ، وكف غضبه ، وسجن لسانه ، واستغفر لذنبه ، وأدى النصيحة لأهل بيت نبّه »

وفي تحف العقول : قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الإيمان : حلم يردّه به جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن طلب المحارم ، وخلق يداري به الناس »

وفيه: قال عليه السلام أيضاً : « ثلاث من كن فيه إستكمل الإيمان : من إذا غضب

لم يخرج غضبه من الحق ، وإذا رضى لم يخرج رضاه إلى الباطل ، ومن إذا
قدر عفا »

وفيه: قال عليه السلام أيضاً : « لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه
خصال ثلاث: الفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا »

و في أمالي الطوسي : قدس سره باسناده عن المفضل قال : سمعت أبا
عبدالله عليه السلام يقول: لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال : يحسن
خلقه، ويستخف نفسه، ويمسك الفضل من قوله، ويخرج الفضل من ماله،

وفيه: باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أربع من كن فيه كمل
إسلامه واعين على ايمانه ومحضت ذنوبه، ولقى ربه وهو عنه راض، ولو كان فيما
بين قرنه إلى قدميه ذنوب حطها الله عنه وهي: الوفاء بما يجعل الله على نفسه، و
صدق اللسان مع الناس، والحياء مما يقبح عند الله وعند الناس وحسن الخلق مع
الأهل والناس، وأربع من كن فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين في
غرف، فوق غرف في محل الشرف : من آوى اليتيم ، و نظر له فكان له أباً ،
و من رحم الضعيف وأعانه وكفاه ، و من أنفق على والديه و رفق بهما وبرهما
و لم يحزنهما ، و من لم يخرق بمملوكه وأعانه على ما يكلفه، ولم يستسه فيهما
لم يطق .

و في باب التأويل : للخازن البغدادي: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي
بن عدي : « إن لا ايمان فرائض و شرائط و حدوداً و سنناً ، فمن استكملها فقد
استكمل الايمان و من لم يستكملها لم يستكمل الايمان » أورده الزمخشري في
الكشاف وأبو حيان في البحر المحيط.

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب عليه السلام : « لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله سبحانه أوثق منه
بما في يده »

و في رواية : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواه ، و من أحب عبداً لا يحبه إلا الله ، و من يكره أن يعود في الفکر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ،

و في معاني الاخبار : باسناده عن أبي بصير عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه : أيكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان : أنا يا رسول الله قال : فأيتكم يحيي الليل؟ قال سلمان : أنا يا رسول الله قال : فأيتكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال سلمان : أنا يا رسول الله؟ فغضب بعض أصحابه - وقد صرح في بعض الروايات أن بعض أصحابه هو عمر بن الخطاب - فقال : يا رسول الله إن سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش قلت : أيكم يصوم الدهر؟ فقال أنا وهو أكثر أيامه يأكل ، وقلت : أيكم يحيي الليل؟ فقال : أنا وهو أكثر ليله نائم ، وقلت : أيكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال : أنا وهو أكثر نهاره صامت ، فقال النبي ﷺ : مه يا فلان أنتي لك بمثل لقمان الحكيم فانه ينبئك .

فقال الرجل - (عمر بن الخطاب خ) - لسلمان : يا أبا عبد الله أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟ فقال : نعم ، فقال : رأيتك في أكثر نهارك تأكل ، فقال : ليس حيث تذهب ، إنني أصوم الثلاثة في الشهر وقال الله عز وجل : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» ، وأصل شعبان بشهر رمضان ، فذلك صوم الدهر فقال ، أليس زعمت أنك تحيي الليل؟ فقال : نعم ، فقال : أنت أكثر ليالك نائم ، فقال : ليس حيث تذهب ، و لكنني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول : «من بات على طهر فكأنما احببني الليل كله» ، فأنا ابست على طهر ، فقال : أليس زعمت أنك تختم القرآن في كل يوم؟ قال : نعم قال : فأنت أكثر أيامك صامت ، فقال : ليس حيث تذهب ، و لكنني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام :

يا أبا الحسن ! مثلك في أمّتي مثل قل هو الله أحد فمن قرأها مرّة قرأ ثلث القرآن و من قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ، و من قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن ، فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الايمان ، و من أحبّك بلسانه و قلبه فقد كمل ثلث الايمان ، و من أحبّك بلسانه و قلبه و نصره فقد استكمل الايمان و الذي بعنني بالحق يا عليّ لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السماء لك لما عذب أحد بالنار ، و أنا أقرأ قل هو الله أحد في كلّ يوم ثلاث مرّات ، فقام و كأنّه قد القم حجراً

وفي العلل : قال رسول الله ﷺ : « جئني جبرئيل فقال لي : يا أحمد ! الإسلام عشرة أسهم ، و قد خاب من لاسهم له فيها اولها : شهادة أن لا إله إلا الله و هي الكلمة ، و الثانية : الصلوة و هي الطهر ، و الثالثة : الزكاة و هي الفطرة ، و الرابعة : الصّوم و هي الجنّة ، و الخامسة : الحج و هي الشريعة ، و السادسة : الجهاد و هو العزّ ، و السابعة : الأمر بالمعروف و هو الوفاء ، و الثامنة : النهي عن المنكر و هو الحجّة ، و التاسعة : الجماعة و هي الالفه ، و العاشرة : الطاعة و هي العصمة :

ثم قال حبيبي جبرئيل : إنّ مثل هذا الدين كمثّل شجرة ثابتة الايمان أصلها و الصلوة عرقها ، و الزكاة مأواها ، و الصّوم سعتها ، و حسن الخلق ورقها ، و الكفّ عن المحارم ثمرها ، فلا تكمل شجرة إلا بالثمر كذلك الايمان لا يكمل إلا بالكفّ عن المحارم »

قوله : ﷺ « هي الكلمة » أي كلمة التوحيد ، و « هي الطهر » أي من الذنوب ، و « هي الفطرة » أي هي من عمدة شرائع الفطرة أي الملة الحنيفية التي فطر الله الناس عليها ، و بتركها كأنّه يخرج الإنسان عنها ، و « هي الشريعة » أي شريعة عظيمة من شرائع الإسلام ، و « هو العزّ » أي سبب لعزّة الاسلام و غلبته على الأديان ، أو عزّة المسلمين أو الأعمّ ، و « هو الوفاء » أي بعهد الله الذي أخذّه على العباد

فيه خصوصاً أو في جميع الأحكام ، و «هو الحجة» أي يصير سبباً لتمام الحجّة على أهل المعاصي ، و «الجماعة» : هي صلاة الجماعة أو ملازمة جماعة أهل الحق ، و كلّ منهما سبب للالفة بين المؤمنين ، و طاعة الأئمة سبب للعصمة عن الذنوب أو شرّ الأعادي والمراد بالسعف هنا جريد النخل لا ورقها، ويطلق عليهما معاً أيضاً.

وفي دعاء مكارم الاخلاق : «اللهم صلّ على محمد و آله وبلغ بإيماني أكمل الايمان واجعل يقيني أفضل اليقين واته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملني إلى أحسن الأعمال ... » الدعاء



﴿الايمان ودرجاته﴾

قال الله جلّ وعلا: «اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم» (الأنفال: ٤) في الآية الكريمة دلالة على أن لكل مؤمن درجة بحسب درجة ايمانه، وليس معنى الآية: ان الدرجات كلها لكل واحد منهم مثلاً مائة درجة، بل المراد ان لكل منهم درجة على قدر مرتبة ايمانه، فكلما تزيد مرتبة ايمانه تزيد درجة عند الله جلّ وعلا، فيكون لو احد درجة، ولآخر درجتين، ولثالث درجات إلى ما لا يعلم إلا الله تعالى، وتظهر آثار الدرجات كمّاً وكيفاً حسب درجات الايمان في الحياة الدنيا لنفس المؤمن، من التوكل والإخلاص والصدق والرضا واليقين والحلم... وغيرها من الأقوال والأفعال خيرها وشرّها...

في الكافي : باسناده عن عبدالعزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبدالعزيز إن الايمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة، فلا يقولن صاحب الإثنين لصاحب الواحد : لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هودونك فيسقطك من هودونك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة، فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره فان من كسر مؤمناً فعليه جبره..

قوله: عليه السلام «لست على شيء» أي من الايمان أو الكمال، والمعنى: أنه إذا سمع ممن هو فوقه في المعرفة شيئاً لا يصل إليه عقله لا يقدح فيه ولا يكفره «فلا تسقط» أي من الايمان أو من درجة الاعتبار «من هودونك» أي أسفل منك بدرجة أو أكثر

في الايمان اذ لو كلفته أن يفهم دفعة ما فهمته في أزمنة متطاولة يعسر الأمر عليه، بل يصير سبباً لضلالاته وحيرته، كما أن الكاتب الجيد الخط إذا كلف أمياً لم يكتب قط أن يكتب مثله في يوم أو اسبوع أو شهر أو سنة لكان تكليفاً لما لا يطاق، بل ينبغي أن يرقيه تدريجاً حتى يصل إلى مرتبته، وكذا في المراتب العقلية من لم يحصل شيئاً منها لا يمكن إفهامه دفعة جميع المسائل الغامضة، ولو ألقيت إليه لتحير بل لم يطق فهمها وضل عن السبيل، والمعلم الخبير يرقى تلميذه أولاً من البديهيّات إلى أوائل النظريات، ومنها إلى أوساطها، ومنها إلى غوامضها، فلا ينكسر ولا يتحير.

وفيه: باسناده عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إن المؤمنين على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ست، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقو، وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقو، وعلى صاحب الست سبعمائة لم يقو، وعلى هذه الدرجات.

قوله عليه السلام: «وعلى هذه الدرجات» أي على هذا القياس الدرجات التي تنقسم هذه المنازل إليها، فإن كلاً منها ينقسم إلى سبعين درجة كما في بعض الروايات.

وفيه: باسناده عن الصباح ابن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أنتم والبراءة ببرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات.

قوله عليه السلام: «هي الدرجات» أي درجات الايمان أو هي الدرجات التي ذكرها الله تعالى في قوله: «لهم درجات عند ربهم»

وفي أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اسبغ وضوءه وأحسن صلاته،

وأدّى زكاة ماله، وخزن لسانه وكف غضبه، واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة لأهل بيت رسوله، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة مفتحة له.

وفي الخصال : عن عبدالعزيز قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام: فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة، ومن أقاويلهم فقال: يا عبدالعزيز! الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، له عشر مراقي، وترتقى منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية: لست على شيء - حتى إنتهى إلى العاشرة - ثم قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبدالعزيز لا تسقط من هودودك فيسقطك من هودودك، وإذا رأيت الذي هودودك، فقد رت أن ترفعه إلى درجتك رفماً رفيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره فاتته من كسر مؤمناً فعليه جبره لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته.

قوله : عليه السلام «الفصيل» : ولد الناقة إذا فصل عن أمه، والبالز اسم البعير إذا طلع نابه، وذلك في تاسع سنه، والفسخ: النقص.

وفي الكافي : عن أبي عمر والزييري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إن الإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم، قلت: صفه لي رحمك الله حتى أفهمه، قال: إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان، ثم فضلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقّه، ولا يتقدم مسبوق سابقاً، ولا مفضل فاضلاً، يتفاضل بذلك أوائل هذه الأمة - أو آخرها، ولولم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذن للحق آخر هذه الأمة أو لها، نعم ولتقدمهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه.

ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخر الله المقصرين لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاة وصوماً وحجاً وزكاة جهاداً وإنفاقاً، ولولم يكن سوابق بفضل بها المؤمنون

بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين، و لكن أبي الله عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الايمان أوّلها ويقدم فيها من أخّر الله أو يؤخّر فيها من قدّم الله، قلت: أخبرني عمّا ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الايمان؟ فقال:

قول الله عزّ وجلّ: «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله» وقال: «السابقون السابقون أولئك المقربون»، وقال: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ تنسّى بالأنصار ثمّ تلك بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده.

ثمّ ذكر ما فضل الله عزّ وجلّ به أوليائه بعضهم على بعض فقال عزّ وجلّ: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّ الله ورفع بعضهم فوق بعضهم درجات إلى آخر الآية». وقال: «ولقد فضلنا بعض النبيّين على بعض» وقال: «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولما خرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً» وقال: «هم درجات عند الله» وقال: «ويؤت كلّ ذي فضل فضله» وقال: «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله» وقال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة» وقال: «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا» وقال: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وقال: «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يوطؤون موطئاً يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح» وقال: «وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» وقال: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» فهذا ذكر درجات الايمان ومنازله عند الله عزّ وجلّ.

قوله عليه السلام: «الرهان»: المسابقة على الخيل، والمراد من هذا الحديث بيان أن تفاضل درجات الايمان بقدر السبق، والمبادرة إلى إجابة الدعوة إلى الايمان، وهذا يحتمل عدة معان:

أحدها :- أن يكون المراد بالسبق السبق في عالم الذر وعند الميثاق، فالمراد أوائلها وأواخرها في الإقرار والإجابة هناك فالفضل للمتقدم.

والثاني: أن يكون المراد بالسبق السبق في الشرف والرتبة والعلم والحكمة وزيادة العقل، والبصيرة في الدين، ووفور الايمان ولاسيما اليقين، وعلى هذا فالمراد بأوائلها وأواخرها: أوائلها وأواخرها في مراتب الشرف والعقل والعلم.

والثالث: أن يكون المراد بالسبق السبق الزماني في الدنيا عند دعوة النبي الكريم عليه السلام إياهم إلى الايمان، والمراد بأوائل هذه الأمة وأواخرها: أوائلها وأواخرها في الإجابة للنبي عليه السلام وقبول الإسلام، والتسليم بالقلب والإقياد للتكاليف الشرعية طوعاً، ويعرف الحكم في سائر الأزمنة بالمقايسة.

والرابع: أن يراد بالسبق السبق الزماني عند بلوغ الدعوة، فيعم الأزمنة المتأخرة عن زمن النبي عليه السلام وهذا المعنى يحتمل وجهين:

أحدهما - أن يكون المراد بالأوائل والأواخر ما ذكرناه وكذا السبب في الفضل. ثانيها - أن يكون المراد بالأوائل من كان في زمن النبي الكريم عليه السلام والأواخر من كان بعد ذلك، ويكون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الإسلام، وترك ما نشأوا عليه في ذلك الزمن وسهولته فيما بعد إستقرار الأمر وظهور الإسلام و إنتشاره في البلاد مع أن الأوائل سبب لاهتداء الأواخر إذ بهم وبنصرتهم إستقر ما استقر وقوى ما قوى وبان ما استبان والله جلّ وعلا هو المستعان.

وفي الخصال: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمنون على سبع درجات: صاحب درجة منهم في مزيد من الله عزّ وجلّ لا يخرجهم ذلك المزيد من درجته إلى درجة

غيره، ومنهم شهداء الله على خلقه، ومنهم النجباء، ومنهم الممتحنة ومنهم النجباء، ومنهم أهل الصبر، ومنهم أهل التقوى، ومنهم أهل المغفرة .

وفيه: باسناده عن عمار بن أبي الأحرص قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا أقواماً يقولون بأمر المؤمنين عليه السلام ويفضّلونه على الناس كلّهم، وليس يصفون ما نصف من فضلكم أنتولّاهم؟ فقال لي: نعم، في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله، ولرسول الله عليه السلام: من عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم؟ إن الله تبارك وتعالى وضع الإسلام على سبعة أسهم: على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم، فهو كامل الإيمان محتمل، ثم قسّم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين، ولبعض الثلاثة الأسهم، ولبعض الأربعة الأسهم، ولبعض الخمسة الأسهم، ولبعض الستة الأسهم، ولبعض السبعة الأسهم، فلانحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم، فتثقلوهم وتنفرّوهم ولكن ترفّقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل.

وسأضرب لك مثلاً تعتبر به: إنّه كان رجل مسلم وكان له جار كافر وكان الكافر يرفق المؤمن فأحب المؤمن للكافر الإسلام، ولم يزل يزيّن له الإسلام ويحبّبه إلى الكافر حتّى أسلم، فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله، فذهب به إلى المسجد ليصلّى معه الفجر في جماعة، فلمّا صلى قال له: لو عهدنا نذكرك الله عزّ وجلّ حتّى تطلع الشمس فقعد معه، فقال: لو تعلّمت القرآن إلى أن تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل، فقعد معه وصام حتّى صلى الظهر والعصر، فقال: لو صبرت حتّى تصلى المغرب والعشاء الآخرة كان أفضل، فقعد عليه ما لا يطيق، فلمّا كان من الغد غدا عليه وهو يريد به مثل ما صنع بالأمس فدقّ عليه بابه .

ثم قال له: اخرج حتى نذهب إلى المسجد، فأجاب أن انصرف عني فإن هذا دين شديد لا يطيقه، فلا تخرقوا بهم أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوفار والتقية، و حسن الخلطة و الورع والاجتهاد فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه .

قوله: **«إني لا»** «فلا تخرقوا بهم» الخرق - بالضم - والتحريك - : ضد الرفق، و أن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور...

وفي الكافي: باسناده عن يعقوب بن الضحاك عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبدالله **«عليه السلام»** قال: بعثني أبو عبدالله **«عليه السلام»** في حاجة وهو الحيرة وأنا وجماعة من مواليه قال: فانطلقنا فيها، ثم رجعنا مفتمين قال: وكان فراشي في الحابر الذي كنا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال، فرميت بنفسي فبينما أنا كذلك إذ أنا بأبي عبدالله **«عليه السلام»** قد أقبل قال: فقال: قد أتيناك أوقال : جئناك فأستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسئلني عما بعثني له، فأخبرته، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت: جعلت فداك إنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول، قال: فقال: يتولأنا، ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم.

قال: فهو ذاعندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جعلت فداك - قال: وهو ذاعند الله ما ليس عندنا أفترأه أطرحناء؟ قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما نفعل؟ قال: فتولأهم ولا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة .

وسأضرب لك مثلاً: إن رجلاً كان له جارو كان نصرانياً، فدعاه إلى الإسلام وزينته له فأجابته فأتاه سحيراً ففرع عليه الباب فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان قال: وما حاجتك؟ فقال: توضاً وألبس ثوبيك ومرّ بنا إلى الصلاة قال: فتوضاً ولبس ثوبيه وخرج معه، قال: فصلّيا ما شاء الله ثم صلّيا الفجر ثم مكنا حتى أصبحنا، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب، النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ثم قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلّى العصر قال: ثم قام وأراد أن ينصرف إلى منزله فقال له:

إن هذا آخر النهار وأقلّ من أوله فاحتبسه حتى صلّى المغرب، ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنمابقيت صلاة واحدة، قال: فمكث حتى صلّى العشاء الآخرة ثم تفرّقا، فلمّا كان سحيراً أغدا عليه ف ضرب عليه الباب فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان قال: وما حاجتك؟ قال: توضاً وألبس ثوبيك واخرج بنا فصلّ قال: اطلب لهذا الدين من هو أفرغ منّي وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا - وقوله: عليه السلام «مغتمّين»: عند غروب الشمس و«أنا بحال» أي بحال سوء من الغم، و«بالحيرة»: بلد كان قرب الكوفة.

وفيه: باسناده عن شهاب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً فقلت: أصلحك الله فكيف ذاك؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق أجزاءً أبلغ بها تسعة وأربعين جزءاً، ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار، ثم قسمه بين الخلق، فجعل في رجل عشر جزء وفي آخر عشرى جزء حتى بلغ به جزئاً تاماً وفي آخر جزءاً أو عشر جزءاً وفي آخر جزءاً أو ثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة وأربعين جزءاً، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون

صاحب العشرين، وكذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار وكذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزأين، ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد أحداً.

قوله: **«الْبَلَا»** «بلغ بها» كأنه جعل كل جزء من السهام السبعة المتقدمة سبعة، «فجعل الجزء عشرة أعشار» كأن هذا للتأكيد والتوضيح ودفع توهم أن المراد جعل كل جزء عشراً من مرتبة فوقه، فيصير المجموع أربعمائة وتسعين عشراً، «إلا عشر جزء» أي من القابلية أو قابلية عشر جزء من الايمان، و«لم يلم أحد أحداً» أي في عدم فهم دقائق الامور وغوامض الأسرار، وعدم وصوله إلى فوق مرتبة ايمانه من غير تقصير في ذلك.

والتحقيق أن اليقين في الايمان وغيره له درجات متفاوتة في القوة والضعف، واليقين الذي يصح به الايمان هو اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم في غير الحسيات والضروريات وهو درجات منها التقليد الجازم، ومنها المعلوم بالنظر والاستدلال، وقد يطرأ عليهما الشك والزال، ولولا ذلك ما تصور إرتداد مؤمن عن دينه، ومنها ما يصير وجداناً ضرورياً بشرح الصّدر والنور الالهي بكثرة الكثرة والفكر والعبادة، وأما اليقين المنطقي العلم القطعي بالبرهان بأنّ هنا الشيء كذا مع العلم القطعي باستحالة أن يكون غير كذا فهو هو الذي قالوا: إنه لا يقبل الزيادة والنقصان ولكنه نادراً لوقوع في غير الضروريات، ولا تتوقف عليه صحة الايمان، ومع هذا يمكن أن يقال: إنه قابل للزيادة في وصفه وطمأنينة القلب به، وفي ترتيب آثاره عليه.

ومثال الأول: أن ترى شبحاً في سدة الفجر فتعلم أنه إنسان في إنتصاب قامته، ثم تزداد علماً به، كلما انتشر الضياء حتى يكون العلم به تفصيلياً، والبرهان المنطقي المفيد لهذا اليقين عندهم لا تكون مقدّماته النظرية في درجة الضروريات قوة وثباتاً، وقد قسم بعضهم اليقين إلى ثلاث درجات: علم اليقين، وهو ما يعلم

بالدليل ، و عين اليقين و هو ما يكون بالمشاهدة ، و حق اليقين و هو ما يكون
بالذوق و الوجدان .

و مثل بعضهم بالموت بأن كل أحد عنده علم اليقين بأنه يموت ، فاذا
عابن ملائكة الموت عند الحشيرة ، و قبل قبض الروح كان عين اليقين ، فاذا مات
بالفعل وصل إلى درجة حق اليقين ، ولكن هذه الدرجة و ما قبلها لا يتعلق بهما
التكليف.



﴿ الايمان المستقر الثابت والايمان المستودع المستعار ﴾

قال الله تعالى : « وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرٌ ومستودعٌ » (الأنعام : ٩٨) والمعنى - بفتح القاف والداال - في « فمستقرٌ ومستودعٌ » : فلكم إستقرار في الايمان واستيداع فيه ، أو فممنكم من هو محل إستقرار الايمان ، وممنكم من هو محل إستيداعه ، ففيه حذف واىصال أي مستقرٌ فيه ، وأما - بكسرهما - فالمعنى : فممنكم مستقرٌ في الايمان وممنكم مستودع فيه ، أو فايما ن بعضكم مستقر وايمان بعضكم مستودع على القرائتين .

فى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً فى القلوب ، ومنه ما يكون عوارى بين القلوب والصّدور إلى أجل معلوم ، فاذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتّى يحضره الموجد ، فعند ذلك يقع حدّ البرائة » .

بيان : انّ الامام عليه السلام قسم الايمان إلى أقسام ثلاثة :

أحدها - الايمان الحقيقى ، وهو الثابت المستقر فى القلوب بالبرهان اليقيني .
ثانيها - ما ليس ثابتاً بالبرهان اليقيني ، بل بالدليل الجدليّ كايما ن كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ، ويعتقد ما يعتقده عن أقيسة جدليّة لا تبلغ إلى درجة البرهان ، وقد سمى الإمام عليه السلام هذا القسم باسم مفرد فقال : إنّه عوارى فى القلوب ، والعوارى : جمع عارية أي هو وإن كان فى القلب ، وفى محلّ الايمان الحقيقى إلا أنّ حكمه حكم العارية فى البيت ، فانّها بعرضة الخروج منه ،

لأنّها ليست أصلية كائنة في بيت صاحبها .

ثالثها - ما ليس مستنداً إلى برهان ولا إلى قياس جدليّ ، بل على سبيل التقليد وحسن الظنّ بالأسلاف ، وبمن يحسن ظنّ الإنسان فيه من عابد أو زاهد أو ذي ورع ، وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصّدور لأنّه دون الثّاني ، فلم يجعله حالاً في القلب ، وجعله مع كونه عاريّة حالاً بين القلب والصّدور فيكون أضعف مما قبله .

ان تسئل: ما معنى قوله عليه السلام : « إلى أجل معلوم » ؟

تجيب عنه: أنّه يرجع إلى القسمين الأخيرين من أقسام الايمان الثلاثة ، لأنّ من لا يكون ايمانه ثابتاً بالبرهان القطعيّ قد ينتقل ايمانه إلى أن يصير قطعياً ، بأن ينعم النظر و يرتّب البرهان ترتيباً مخصوصاً ، فينتج له النتيجة اليقينية ، وقد يصير ايمان المقلّد ايماناً جدليّاً ، فيرتقى إلى ما فوقه مرتبة ، وقد يصير ايمان الجدليّ ايماناً تقليديّاً بأن يضعف في نظره ذلك القياس الجدليّ ، ولا يكون عالماً بالبرهان ، فيؤول حال ايمانه إلى أن يصير تقليديّاً ، فهذا هو فائدة قوله عليه السلام : « إلى أجل معلوم » في هذين القسمين .

أمّا صاحب القسم الأوّل فلا يمكن أن يكون ايمانه إلى أجل معلوم ، لأنّ من ظفر بالبرهان إستحال أن ينتقل عن إعتقاده ، لا صاعداً ولاهابطاً ، أمّا لا صاعداً ، فلأنّه ليس فوق البرهان مقام آخر ، وأمّا لاهابطاً ، فلأنّ مادّة البرهان هي المقدّمات البديهيّة ، والمقدّمات البديهيّة يستحيل أن تضعف عند الإنسان حتّى يصير ايمانه جدليّاً أو تقليديّاً .

وقوله عليه السلام : « فاذا كانت لكم برائة » نهى عن البرائة من أحد مادام حيّاً ، لأنّه وإن كان مخطئاً في إعتقاده ، لكن يجوز أن يعتقد الحق فيما بعد وإن كان مخطئاً في أفعاله ، إذ يجوز أن يتوب ، فلا تحلّ البرائة من أحد حتّى يموت على أمر فاذا مات على إعتقاد قبيح أو فعل قبيح جازت البرائة منه ، لأنّه لم يبق له

بعدالموت حالة تنتظر ، وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها عليه السلام على البراءة المطلقة ، لا على كل براءة ، لأننا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق وهو حي ، ومن الكافر وهو حي ، ولكن بشرط كونه فاسقاً ، وبشرط كونه كافراً ، فأما من مات ونعلم ما مات عليه ، فإننا نبرأ منه براءة مطلقة غير مشروطة .

وفي قرب الاسناد: عن البرزطي عن الرضا عليه السلام قال : إن جعفرأ عليه السلام كان يقول: « فمستقر ومستودع » فالمستقر ما ثبت من الايمان ، والمستودع المعار ، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس ، فاحمدوا الله على ما من عليكم به .

وفيه: عن البرزطي عن الرضا عليه السلام قال: إن الله عز وجل قد هداكم ونور لكم، وقد كان أبو عبد الله عليه السلام يقول: إنما هو مستقر ومستودع ، فالمستقر : الايمان الثابت ، والمستودع : المعار أنستطيع أن تهدي من أضل الله .

و في تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: « هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » قال : ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه ؟ قال : قلت : يقولون : مستقر في الرحم ، ومستودع في الصلب ، فقال : كذبوا المستقر : ما استقر الايمان في قلبه ، فلا ينزع منه أبداً . والمستودع الذي يستودع الايمان زماناً ثم يسلبه وقد كان الزبير منهم .

وفيه: عن جعفر بن مروان قال : إن الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لا أغمده حتى ابايع لعلي ، ثم اخترط سيفه فضارب علياً فكان ممن اعير الايمان ، فمشى في ضوء نوره ثم سلبه الله إياه .

وفيه: عن سعيد بن أبي الأصبع قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يسئل عن مستقر ومستودع ، قال : مستقر في الرحم ومستودع في الصلب ، وقد يكون مستودع الايمان ثم ينزع منه ، ولقد مشى الزبير في ضوء الايمان ونوره حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مشى بالسيف وهو يقول لا نبايع إلا علياً .

وفيه: عن صفوان قال: سئلني أبو الحسن عليه السلام ومحمد بن خلف جالس فقال لي :

مات يحيى بن القاسم الحدّاء؟ فقلت له : نعم ومات زرعة ، فقال : كان جعفر عليه السلام يقول : «فمستقرّ ومستودع» فمستقرّ : قوم يعطون الايمان ، ومستقرّ في قلوبهم ، والمستودع : قوم يعطون الايمان ثمّ يسلبونه .

وفيه : عن أحمد بن محمد قال : وقف عليّ أبو الحسن الثاني عليه السلام في بني زريق ، فقال لي وهو رافع صوته : يا أحمد ! قلت : لبّيك قال : إنّهُ لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس على إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتمّ نوره بأمر المؤمنين عليهم السلام فلمّا توفى أبو الحسن عليه السلام جهد عليّ بن أبي حمزة وأصحابه على إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتمّ نوره ، وإنّ أهل الحقّ إذا دخل فيهم داخل سرّوا به ، وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه ، وذلك أنّهم على يقين من أمرهم ، وإنّ أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سرّوا به ، وإذا خرج عنهم خارج جزعوا عليه ، وذلك أنّهم على شكّ من أمرهم ، إنّ الله يقول : «فمستقرّ ومستودع» قال : ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : المستقرّ : الثابت ، والمستودع : المعار .

و في احقاق الحق : قال محمد بن عليّ الباقر عليه السلام : «الايمان ثابت في القلوب ، واليقين خطرات ، فيمرّ اليقين بالقلب ، فيصير كأنّه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كأنّه خرقة بالية » .

وفي تحف العقول : - في وصيّة الإمام عليّ عليه السلام لكميل بن زياد - « يا كميل المؤمن مرآة المؤمن لأنّه يتأمله فيسدّ فاقته و يجمل حالته ، يا كميل المؤمنون إخوة ولا شيء آثر عند كلّ أخ من أخيه ، يا كميل إن لم تحبّ أخاك ، فلست أخاه إنّ المؤمن من قال بقولنا ، فمن تخلف عنه قصر عنا ، ومن قصر عنا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار - إلى أن قال - يا كميل انج بولايتنا من أن يشرّكك الشيطان في مالك و ولدك ، يا كميل انّه مستقرّ و مستودع ، فاحذر أن تكون من المستودعين ، وإنّما يستحقّ أن تكون مستقرّا إذا لزمّت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ، ولا تربلك عن

منهج ... » الحديث .

وفي محاسن البرقي : عن المفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصر ومن لم يدر الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع هو له أم ضرر قال : قلت : فيما يعرف الناجي ؟ قال : من كان فعله لقوله موافقاً فأنبت له الشهادة بالنجاة ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً ، فأنما ذلك مستودع . قوله عليه السلام : « الحسرة » : التأسف على فوات أمر مرغوب ، و « الندامة » : الحزن على فعل شيء مكروه ، و « الويل » : العذاب ، و واد في جهنم يعني هذا كله لمن لم ينتفع بما أبصره و علمه من العقائد والأحكام والأعمال والأخلاق والآداب ، و عدم الانتفاع بها بأن لا يعمل بمقتضى علمه بها ، و لم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم من العقائد والأعمال والأخلاق ... وفيه تحريض وحث على مراقبة النفس في جميع الأحوال ، ومحاسبتها في جميع الحركات والسكنات ليعلم ما ينفعها فيجلبها ويزيد منها وما يضرها فيجتنبها .

وقوله عليه السلام : « فيما يعرف الناجي » من هؤلاء أي من يكون أمره آنلاً إلى النجاة من المهالك وعقوبات الآخرة « فقال من كان فعله لقوله موافقاً » أي لقوله الحق وهو ما يأمر الناس به من الخيرات والطاعات وترك المنكرات ، أو لما يدعيه من الإيمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإن مقتضى ذلك العمل بما يأمره الله تعالى ، و يوجب الوصول إلى مثوباته والنجاة من عقوباته ، ومتابعة أئمة الدين في أقوالهم وأفعالهم ، أو لما يدعي لنفسه من الكمالات وما نصب نفسه له من الحالات والدرجات أو الجميع .

وقوله عليه السلام : « فأنبت له الشهادة » - على صيغة المجهول - أي يشهد الله تعالى وملائكته وحججه عليهم السلام و كمال المؤمنين بأنه من الناجين لاتصافه بكمال الحكمة النظرية لقوله الحق ، و كمال الحكمة العملية لعمله بأقواله الحقّة . وقوله عليه السلام : « ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً » أي بأن يكون قوله حقاً

وفعله باطلاً كما هو شأن أكثر الخلق ، و « فأنما ذلك مستودع » ايمانه غير ثابت فيه ، فيحتمل أن يبقى على الحق ويثبت له الايمان ، وتحصل له النجاة ، وأن يزول عن الحق ويعود إلى الشقاوة ، ويستحق الويل والحسرة والندامة .

وفي الكافي: باسناده عن عيسى شلقان قال : كنت قاعداً فمرّ أبو الحسن موسى عليه السلام ومعه بهمة قال: فقلت: يا غلام! ما ترى ما يصنع أبوك؟ يأمرنا بالشيء ثم ينهانا عنه، أمرنا أن نتولّى أبا الخطاب، ثم أمرنا أن نلعنه وننبرأ منه؟ فقال أبو الحسن عليه السلام وهو غلام: إن الله خلق خلقاً للايمان لازوال له، وخلق خلقاً للكفر لازوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعارهم الايمان، يسمّون المعارين، إذا شاء سلبهم، وكان أبو الخطاب ممّن اعير الايمان، قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بما قلت لأبي الحسن عليه السلام وما قال لي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّه نبعة نبوة. قوله عليه السلام: « بهمة » : ولد الضأن، و « أبا الخطاب » : هو محمد بن مقلص الأسدي الكوفي وكان في أول الحال ظاهراً من أجلاء أصحاب الصادق عليه السلام ثم ارتدّ وابتدع مذاهب باطلة، ولعنه الصادق عليه السلام وتبرأ منه، و « إنّه نبعة نبوة » أي علمه من ينبوع النبوة.

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله جبلّ النبيين على نبوتهم، فلا يرتدّون أبداً، وجبلّ الأوصياء على وصاياهم، فلا يرتدّون أبداً، وجبلّ بعض المؤمنين على الايمان، فلا يرتدّون أبداً، ومنهم من يعير الايمان عارية، فاذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الايمان.

قوله عليه السلام: « جبلّ النبيين على نبوتهم... » أي طبعهم عليها، و « فاذا هو دعا » فيه حثّ على الدعاء لحسن العاقبة، وعدم الزيغ كما كان دأب الصالحين قبلنا، وفيه دلالة أيضاً على أن الإتمام والسلب مسببان عن فعل الإنسان لأنّه يصير بذلك مستحقاً للتوفيق أو الخذلان.

وجملة القول في ذلك أن كلّ واحد من الايمان والكفر قد يكون ثابتاً،

وقد يكون متزلزلاً يزول بحدوث ضده ، لأن القلب إذا اشتد ضياؤه و كمل صفاءه إستقر الإيمان و كل ما هو حق فيه ، وإذا اشتدت ظلمته و كملت كدورته إستقر الكفر و كل ما هو باطل فيه ، وإذا كان بين ذلك باختلاط الضياء والظلمة فيه كان متردداً بين الإقبال والإدبار ، و مذبذباً بين الإيمان والكفر ، فان غلب الأول دخل الإيمان فيه من غير إستقرار ، و إن غلب الثاني دخل الكفر فيه كذلك ، و ربما يصير الغالب مغلوباً فيعود من الإيمان إلى الكفر ، ومن الكفر إلى الإيمان ، فلا بد للعبد من مراعاة قلبه ، فان رآه مقبلاً إلى الله عز وجل شكره ، وبذل جهده و طلب منه الزيادة لئلا يستدبر وينقلب و يزيع عن الحق كما ذكر سبحانه عن قوم صالحين : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

و إن رآه مدبراً زائفاً عن الحق تاب و استدرك ما فرط فيه ، و توكل على الله ، و توسل إليه بالدعاء والتضرع لتدركه العناية الربانية ، فتخرجه من الظلمات إلى النور ، و إن لم يفعل فر بما سلط عليه عدوه الشيطان ، و استحق من ربه الخذلان ، فيموت مسلوب الإيمان كما قال سبحانه : « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » أعاذنا الله من ذلك وسائر أهل الإيمان .

وفي رجال الكشي : بالاسناد عن عيسى شلقان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام وهو يومئذ غلام قبل أن يبلوغ : جعلت فداك ما هذا الذي يسمع من أبيك ؟ إنّه أمرنا بولاية أبي الخطاب ، ثم أمرنا بالبراءة منه ؟ قال : قال أبو الحسن عليه السلام تلقاء نفسه ! إن الله خلق الأنبياء على النبوة ، فلا يكونون إلّا أنبياء ، و خلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين ، و استودع قوماً إيماناً ، فان شاء أتمه و إن شاء سلبهم إياه و إن أبا الخطاب كان ممّن أعاده الله الإيمان ، فلمّا كذب على أبي سلبه الله الإيمان .

قال : فعرضت هذا الكلام على أبي عبد الله عليه السلام قال : فقال : لو سئلتنا عن ذلك

ما كان ليكون عندنا غير ما قال :

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : « سمعته يقول: إن الله عز وجل خلق خلقاً للإيمان لازوال له ، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له وخلق خلقاً بين ذلك واستودع بعضهم الإيمان ، فان يشأ أن يتمم لهم أتممه ، وإن يشأ أن يسلبهم إيتاء سلبهم وكان فلان منهم معاراً » .

أقول: والمعنى: إن الله جل وعلا لما خلق عباده على الاستعدادات المختلفة لما يقتضيه نظام الحياة وعلم ما يؤول إليه أمرهم ومراتب إيمانهم وكفرهم باختيار من غير إجبارهم في الإيمان والكفر : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا ويرضه لكم » الزمر : ٧) فمنهم من يكونون راسخين في الإيمان كاملين فيه بحسن إختيارهم ، وخلقهم فكأنه تعالى خلقهم للإيمان الكامل الراسخ ، وكذا الكفر ، ومنهم من يكونون متزلزلين مترددين بين الإيمان والكفر فكأنه تعالى خلقهم ، فمنهم من يختم لهم بالإيمان لحسن إختيارهم وتزكية أنفسهم ، ومنهم من يختم لهم بالكفر لسوء إختيارهم وإتباع أهوائهم فهم المعارون .

والظاهر أن المراد بفلان أبو الخطاب (محمد بن مقلص الأسدي الكوفي) وكنى عنه بفلان لمصلحة ، فان أصحابه كانوا جماعة كثيرة كان يحتمل ترتب مفسدة على التصريح باسمه ، ويدل على أن المراد بأحدهما الصادق عليه السلام لأن أبا الخطاب لم يدرك أبا جعفر عليه السلام .

وفيه: باسناده عن كليب بن معاوية الأسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد يصبح مؤمناً ويسمى كافراً ويصبح كافراً ويمس مؤمناً وقوم يعارون الإيمان ثم يسلبونه ويسمّون المعارين ثم قال : فلان منهم .

أقول: ولا يخفى على المحقق الأريب : أن لكل عمل حسن أو قبيح يصدر عن الإنسان ينتقش في لوح القلب ، وارتسمت صورته فيه على سبيل الخطاير أو لا ، ثم إن أخذ في الفكر فيه ، واستحكم النقش وانبعث منه العزيمة حتى إمتثل

الخاطر الأول بالإرادة الجازمة ينطبع العمل فيه بالاقدام على الفعل ، إلا أن الفعل إن كان حسنة ينطبع في الحال في جهة القلب التي تلي الروح ، ولوح الفؤاد المنوّر بنوره ، وإن كان سيئة لا ينطبع في الحال لبعد الهيئة الظلمانية من القلب وعدم مناسبتها إيّاها بالذات ، فإن أدر كه التوفيق وتلألاً عليه نور من أنوار الهداية فندم واستغفر فمحي عنه وعفى له ، وإن لم يتداركه بقي منلجلاً حتى أمدته النفس بظلمة صفاتها ، فاستقرت في لوح الصدر الذي هو وجه القلب الذي يلي النفس المظلم بظلمة النفس عليه في صدور هذا الفعل القبيح منه فيكدر القلب ويتصور بصورة الفعل .

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي - : « اللهم بدمّة الاسلام أتوسّل إليك وبحرمة القرآن أعتد إليك ، وبحبّي النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي ... التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك فلا توحش إستيناس ايماني ، ولا تجعل ثوابي ثواب من عبد سواك ، فان قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دمائهم فأدر كوا ما أملوا و إنّنا آمنّا بك بألسنتنا و قلوبنا لتعفو عنّا فأدر كنا ما أملنا وثبت رجائك في صدورنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب ... » الدعاء .

و في أدعية الصباح والمساء - : « اللهم احفظني بحفظ الايمان من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي لا إله إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ... » الدعاء .



﴿ في تسمية المومن و روح الايمان ﴾

قال الله عز وجل: «فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (الأنعام: ٨١-٨٢) وقال: «أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه» (المجادلة: ٢٢)

في روضة الكافي: بإسناده عن رفاعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: أتدري يا رفاعه لم سمى المؤمن مؤمناً؟ قال: قلت: لأدري قال: لأنه يؤمن على الله عز وجل فيجيز الله له أمانه .

وفي العلل : بإسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما سمى المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه.

قوله عليه السلام : «يؤمن على الله» أي يدعو ويشفع لغيره في الدنيا والآخرة فيستجاب له وتقبل شفاعته فيه.

وفيه : بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلفظه بها أوقضى له حاجة أو فرج عنه كربة لم تزل الرحمة ظلاً عليه ممدوداً ما كان في ذلك من النظر في حاجته، ثم قال: ألا انبئكم لم سمى المؤمن مؤمناً لايمانه الناس على أنفسهم وأموالهم؟ ألا انبئكم من المسلم من سلم الناس يده ولسانه؟ ألا انبئكم بالمهاجر من هجر السيئات وما حرم الله عليه ومن دفع مؤمناً دفعة ليدله بها، أو لطمه لطمه أو أتى إليه أمراً يكرهه لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه ويتوب، ويستغفر فإياكم والمجلة

إلى أحد فلعله مؤمن وأنتم لا تعلمون وعليكم بالإفاة واللين والتسرع من سلاح الشياطين، وما من شيء أحب إلى الله من الإفاة واللين.

وفي الرواية: إيمان إلى أنه يشترط في الإيمان أو كماله أن لا يخافه الناس على أنفسهم وأموالهم وكذا الإسلام.

وفي الاختصاص: روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: «المؤمن هاشمي لأنه هشم الضلال والكفر والنفاق، والمؤمن قرشي لأنه أقر للشيء، وأنكر لاشيء: الدلام وأتباعه - والمؤمن نبطي لأنه إستنبط الأشياء، تعرّف الخبيث عن الطيب، والمؤمن عربي لأنه عرب عنا أهل البيت، والمؤمن أعجمي لأنه أعجم عن الدلام، فلم يذكره بخير، والمؤمن فارسي لأنه تفرّس في الأسماء لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتنا وله أبناء فارس، يعني به المتفرّس، فاختار منها أفضلها، واعتصم بأشرفها، وقد قال رسول الله ﷺ: إن تقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله.

بيان: كأن الغرض بيان فضل المؤمن، وأنه يمكن أن يطلق عليه كل اسم حسن بوجه من الوجوه، يبين عليه أنه يمكن أن يعدّ في الهاشميين، لأنه هشم الضلال وأشباهه أي كسرها وأبطالها، و«القرشي» كأنه مبني على الإشتقاق الكبير أو كان أصله ذلك كتاباً شراً، فصار بكثرة الإستعمال كذلك، والمراد بالشيء الحق الثابت وباللاشيء الباطل المضمحل، ويمكن أن يكون بمعنى المشيء أي ما يصلح أن تتعلق به المشيئة والحق كذلك، و«الدلام» بيان للاشيء و يكتفى به غالباً في الأخبار عن عمرتقية، وقد يطلق على سابقه أيضاً إمّا لسواد ظاهرهما أو باطنها...

وفي النهاية: فيه أمير كم رجل طوال أدلم: الأدلم: الأسود الطويل، ومنه الحديث: «فجاء رجل أدلم فاستأذن على النبي ﷺ فيل: هو عمر بن الخطاب» انتهى.

وفي القاموس: الدلام - كسحاب - السواد أو الأسود.

وقوله عليه السلام: «لأنه عرب عنا أهل البيت» و«عرب» إمّا مبني على المفعول من التفعيل فان التعريب هو: تهذيب المنطق من اللحن فعن تعليلية، وإمّا مبني

للفاعل من التعريب بمعنى التكلم عن القوم، والإعراب: الإبانة والإفصاح وعدم اللحن في الكلام والردّ عن القبيح والمعنى: المؤمن يتكلم عنّا وعن فضائلنا ويحتجّ لنا.

وقوله: «لأنّه تفرّس في الأسماء» التفرّس: التثبت والنظر وإعمال الحدس الصائب في الأمور، والمعنى: أن الذين مدحهم رسول الله ﷺ ليسوا مطلق العجم، بل أهل الدين واليقين منهم كسلمان رضوان الله تعالى عليه، والتفرّس في الأسماء كالتفكّر في الإيمان والنفاق، وإختيار الإيمان، وفي التقوى والفسق، وإختيار التقوى أو التفكّر في أن الإيمان مامعناه؟ وأي الفرق المختلفة يصح إطلاق المؤمن، فيختار من الإيمان ما هو حقّه، وما يصحّ أن يطلق عليه، والحاصل أنّه يتدبر ويتفكّر في الدلائل والبراهين من الكتاب والسنة والأدلة العقلية، ويختار من العقائد والأعمال ما هو أحسنها وأوفقها للأدلة.

وفي البحار: قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لم سمّي المؤمن مؤمناً؟ قال: لأنّه اشتقّ للمؤمن إسماً من أسمائه تعالى. فسمّاه مؤمناً، وإنمّا سمّي المؤمن لأنّه يؤمن من عذاب الله تعالى، ويؤمن على الله يوم القيامة، فيجيز له ذلك ولو أكل أو شرب أو قام أو قعد أو نام أو نكح أو مرّ بموضع قد رحوّ له الله من سبع أرضين طهراً لا يصل إليه من قدر هاشيء، وإنّ المؤمن ليكون يوم القيامة بالموقف مع رسول الله ﷺ فيمرّ بالمسخوط عليه المغضوب غير الناصب ولا المؤمن، وقد ارتكب الكبائر فيرى منزلة عظيمة له عند الله عزّ وجل، وقد عرف المؤمن في الدنيا وقضى له الحوائج.

فيقوم المؤمن إنكلاً على الله عزّ وجلّ فيعزّفه بفضل الله فيقول: اللهم هب لي عبدك فلان ابن فلان، قال: فيجيبه الله تعالى إلى ذلك، قال: وقد حكى الله عزّ وجلّ عنهم يوم القيامة قولهم: «فما لنا من شافعين» من النبيّين «ولا صديق حميم» من الجيران والمعارف، فاذا أيسوا من الشفاعة قالوا: يعني من ليس بمؤمن «فلو أن لنا كرامة فنكون من المؤمنين»

قوله **عليه السلام**: «بموضع قذر» كأنه متعلق بجميع الأفعال المتقدمة، والمراد بالقذارة والطهر المعنويات أو بالطهر فقط المعنوي، والمراد بغير الناصب والمؤمن: المستضعف أو المؤمن الفاسق أو الأعم منهما.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي **عليه السلام**: «فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك» وذلك لأنّ الشرك نجاسة حكميّة لاعينيّة، وأي شيء يكون أنجس من الجهل أو أقبح، فالايمن هو تطهير القلب من نجاسة ذلك الجهل.

و في أمالي الشيخ الطوسي قدس سرّه باسناده عن الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله **عليه السلام** أنّه قال: يا فضل لا تزهّدوا في فقراء شيعةنا، فإنّ الفقير منهم ليسفّح يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر ثم قال: يا فضل إنّما سمّي المؤمن مؤمناً لأنّه يؤمن على الله فيجزّ الله أمانه، ثم قال: أما سمعت الله تعالى، يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» الخبر.

وأما روح الايمان: فقد وردت روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

منها: في الكافي باسناده عن الأصبع بن نباتة قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين **عليه السلام** إنّ ناساً زعموا أنّ العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يأكل الربوا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل عليّ هذا وخرج منه صدري حين أزعّم أنّ هذا العبد يصلّي صلاتي ويدعو دعائي وينا كحني وأنا كحه ويوارثني ووارثه، وقد خرج من الايمان من أجل ذنب يسير أصابه!

فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: صدقت سمعت رسول الله **صلوات الله عليه** يقول: والدليل عليه كتاب الله: خلق الله النّاس على ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل، وذلك قول الله عزّ وجلّ في الكتاب: «أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون» فأما ما ذكره من أمر السابقين، فإنهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين، وغير مرسلين، وبها علموا الأشياء، وبروح

الايمان عبدو الله و لم يشركوا به شيئاً ، و بروح القوة جاهدوا عدوهم و عالجوا معاشهم ، و بروح الشهوة أصابوا لذيق الطعام و نكحوا الحلال من شباب النساء ، و بروح البدن دبوا و درجوا .

فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ، ثم قال : قال الله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى ابن مريم البينات و آيدناه بروح القدس » ثم قال في جماعتهم : « و أيتهم بروح منه » يقول أكرمهم بها ، فضلهم على من سواهم ، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ، ثم ذكر أصحاب الميمنة هم المؤمنون حقاً بأعيانهم ، جعل الله فيهم أربعة أرواح : روح الايمان ، و روح القوة ، و روح الشهوة ، و روح البدن ، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتى يأتي عليه حالات .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ما هذه الحالات ؟ فقال : أمّا أولهنّ فهو كما قال الله عزّ وجلّ : « و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً » فهذا ينتقص منه جميع الأرواح ، وليس بالذي يخرج من دين الله لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل العمر فهو لا يعرف للصلاة وقتاً ، ولا يستطيع التهجد بالليل ولا بالنهار ولا القيام في الصفّ مع الناس ، فهذا نقصان من روح الايمان ، وليس يضرّه شيئاً ، و منهم من ينتقص منه روح القوة و لا يستطيع جهاد عدوّه و لا يستطيع طلب المعيشة و منهم من ينتقص منه روح الشهوة ، فلم يرت به أصبح بنات آدم لم يحنّ إليها ، ولم يقم و تبقى روح البدن فيه ، فهو يدبّ و يدرج ، حتى يأتيه ملك الموت فهذا ابحال خير لأنّ الله عزّ وجلّ هو الفاعل به ، وقد يأتي عليه حالات في قوّته و شبابه فيهمّ بالخطيئة فيشجّعه روح القوة ، و يزيّن له روح الشهوة و تقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة ، فاذا لامسها نقص من الايمان و تنقصت منه ، فليس يعود فيه حتى يتوب ، فاذا تاب تاب الله ، وإن عاد أدخله الله نار جهنّم .

فأمّا أصحاب المشئمة فهم اليهود و النصارى يقول الله عزّ وجلّ : « الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» يعرفون محمدًا والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم «وإن» فريقاً منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك» أنك الرسول إليهم «فلا تكونن» من الممتريين» فلمّا جحد وأما عرفوا ابتلاهم بذلك فسلبهم روح الايمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوة، وروح الشهوة وروح البدن، ثم أضافهم إلى الأنعام فقال: «إن هم إلا كالأنعام» لأنّ الدابة إنّما تحمل بروح القوة وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن، فقال: السائل: أحييت قلبي باذن الله يا أمير المؤمنين.

قوله «النبأ»: «وخرج منه»: ضاق، و«حين أزعم»: أعتقد وأدّعي موافقاً لدعواهم، و«يصلى صلاتي» كأنّ صلاتي مفعول مطلق للنوع، وكذا دعائي والمراد: الدعوة إلى الدين أو دعاء الرب، وطلب الحاجة منه في الصلاة وغيرها، و«بنا كحني»: يعطيني زوجة كبنته واخته، و«يوارثني» كأنّ في الاسناد مجازاً أي جعل الله له في ميراثي ولي في ميراثه نصيباً، وعدّ الذنب يسيراً بالنسبة إلى الخلل في العقائد أو اليسير في مقابل الكثير، و«صدقت» أي القول الذي ذكرت عنهم صدق وحق أو صدقت في أنّهم لا يخرجون من الايمان رأساً بحيث تنتفي المناكحة والموارثة، وأمثالها أو في أنّهم لا يخرجون بمحض ارتكاب الذنب، بل بالاصرار عليه.

وقوله «النبأ»: «جعل الله فيهم خمسة أرواح» انّ الروح تطلق على النفس الناطقة، وعلى الروح الحيوانية السارية في البدن، وعلى خلق عظيم إمّا من جنس الملائكة أو أعظم منهم كما قال تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً» والأرواح المذكورة هنا يحتمل أن تكون أرواحاً مختلفة متباينة: بعضها في البدن، وبعضها خارجة عنه، أو يكون المراد بالجميع النفس الناطقة الإنسانية باعتبار أعمالها ودرجاتها ومراتبها أو اطلقت على تلك الأحوال والدرجات كما أنّه يطلق عليها النفس الأمّارة واللّوامة والمطمئنة والملهمة بحسب درجاتها ومراتبها في الطاعة، والعقل الهيولاني وبالمملكة وبالفعل، ويحتمل أن تكون روح القوة والشهوة و

المدرج كلها الروح الحيوانية، وروح الايمان وروح القدس النفس الناطقة بحسب كمالاتها، أو تكون الأربعة سوى روح القدس مراتب النفس وروح القدس الخلق الأعظم، فإنّ ظاهر أكثر الأخبار مباينة روح القدس للنفس.

ويحتمل أن يكون ارتباط روح القدس متفرّغاً عالياً حصول تلك الحالة القدسيّة للنفس، فتطلق روح القدس على النفس في تلك الحالة، وعلى تلك الحالة وعلى الجوهر القدسيّ الذي يحصل له الارتباط بالنفس في تلك الحالة كما أنّ الحكماء يقولون: إنّ النفس بعد تخلّيها عن الملكات الرديّة وتحليها بالصفات العليّة، وكشف الغواشي الهيولانيّة، ونقض العلائق الجسمانية، يحصل بها ارتباط خاص بالعقل الفعّال كارتباط البدن بالروح، فتطالع الأشياء فيها، وتفيض المعارف منه عليها نافعاً وساعة فساعة، وبه يؤدّون علم ما يحدث بالليل والنهار، وهذا وإن كان مبتنياً على أصول فاسدة لا نقول بها، لكن إنّما ذكرناه للتشبيه والتنظير وعلم جميع ذلك عند العليم الخبير.

وقوله **عَلَيْهَا**: «خلق الله الناس على ثلاث طبقات» قيل: الخلق بمعنى الابداد أو التقدير، ووجه الحصر أن الناس إمّا كافراً أو مؤمناً، والمؤمن إمّا أن تكون له قوّة قدسيّة مقتضية للعصمة أو لم تكن، والأوّل هم أصحاب المشيئة، والأخير هم أصحاب الميمنة، والثاني هم السابقون «وذلك قول الله» إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الواقعة: «وكنتم أزواجاً ثلاثة فاصحاب الميمنة وأصحاب الميمنة وأصحاب المشيئة ما أصحاب المشيئة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنّات النعيم تلك من الأوّلين وقليل من الآخرين».

وقوله **عَلَيْهَا**: «دبّوا» أي مشوا على هينتهم، «فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم» كأنّ الذنب مأوّل بترك الأولى، أو كناية عن عدم صدوره عنهم «وهم المؤمنون حقاً» أي يكون إيمانهم واقعياً، ولا يكون باطنهم مخالفاً لظاهرهم، فيكونون منافقين على بعض الاحتمالات السابقة، أو المراد بهم المؤمنون الذين لا يتركون الفرائض ولا يرتكبون الكبائر إلّا اللهم، فالذين يفعلون ذلك ولا يتوبون داخلون في أصحاب الشمال

و «بأعيانهم» أي بخصوصهم أو بانفسهم من غير أن يلحق بهم أتباعهم، و «يستكمل هذه الأرواح» أي يطلب كمالاتها وتماثلها أو يتصف بها كاملة، و «إلى أَرذل العمر» أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف، فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله وقد روى عن الامام محمد عليه السلام : أن أَرذل العمر: خمس وسبعون سنة .

و قوله عليه السلام : «لأنَّ الفاعل به رَدَّ» أي أن الله عزَّ وجلَّ هو الفاعل به ، المدبِّر لأمره رَدَّه و «لا القيام في الصفِّ» أي لصلاة الجماعة، و «ليس يضرُّه شيئاً» لأنَّ ترك الأفعال مع القدرة عليها يوجب نقص الايمان لامع العذر ولا يوجب نقص ثوابه أيضاً لما ورد في الأخبار أنَّه يكتب له مثل ما كان يعمل في حال شبابه وقوته وصحته، و «لم يحزن» أي لا يشتاق إليها، و «لم يقم» أي إليها لطلبها و مرادتها، و «فهذا بحال خير» أي لا يضرُّه هذا النقص في الأرواح، و «تفصَّى منه» أي خرج الايمان منه، و «إن عاد» أن من غير توبة على وجه الإصرار .

وقوله عليه السلام : «الذين آتيناهم الكتاب» هم علماء هم الذين كانوا يعرفون محمدًا رسول الله صلَّى الله عليه وآله بأوصافه التي وردت في كتبهم كمعرفة فهم أبناءهم، فلا يلتبسون عليهم بغيرهم وكذلك الولاية لأهل البيت المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و «إنَّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» تخصيص لمن عاند و استثناء لمن آمن، و «الولاية» أي يعرفون أوصياء محمد رسول الله صلَّى الله عليه وآله بالإمامة والولاية وهم إثني عشر إماماً أو لهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين ، وإثماً اكتفى بذكر محمد صلَّى الله عليه وآله لأنَّ معرفته على وجه الكمال يستلزم معرفته أوصيائه المعصومين عليهم السلام .

وقوله عليه السلام : «إبتلاهم بذلك» أي بسبب ذلك الجحود «فسلبهم روح الايمان» بيان لنتيجة الجحود و الظاهر أن هذا تعريض لهم بأنَّهم من الشاكِّين على أحد وجهين:

أحدهما - أنه لما جحدوا ما عرفوا سلب الله تعالى منهم التوفيق واللفظ،
فصاروا شاكّين، ومع الشك لا يبقى الايمان، فسلب منهم روحه لأنه لا يكون مع
عدم الايمان، أو سلب منهم أوّل الروح المقوّي للايمان، فصاروا شاكّين.
و ثانيهما - أنّهم لما أنكروا ظاهراً ما عرفوا يقيناً نسبهم إلى الإمتراء
وألحقهم بالشاكّين لأنّ اليقين، إنّما يكون ايماناً إذا لم يقارن الانكار الظاهري،
فلذا سلبهم الروح الذي هو لازم الايمان.

وفي كتاب سليم بن قيس الكوفي الهاللي: قال: سمعت سلمان الفارسي يقول:
إنّ علياً عليه السلام باب فتحه الله من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كافراً.



﴿ لا يذكر الايمان في القرآن الا وعلى علي عليه السلام أمير أهله ﴾

قال الله عز وجل: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (العصر: ٣).
وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين: أنه لا تذكر في القرآن الكريم آية في الايمان إلا وعلي بن أبي طالب عليه السلام أمير أهله، كيف لا وقد جعل الله جلّ و علا ايمانه معياراً لايمان غيره. وجعل نفسه محوراً لأهل الايمان؟ كيف لا وهو مع الحق والحق معه يدور حيثما دار؟ كيف لا ولا يتكلم في الايمان إلا وعلي بن أبي طالب عليه السلام داخل فيه دخولاً أو ليئاً؟ ومن هنا يعلم سرّ ايمانه قبل بلوغه فأمن لكي لا يقع زمن فاصل بين بلوغه وايمانه ولو آناً.
أما الروايات الواردة عن طريق العامة فكثيرة جداً لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

- ١- روى الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ ط السعادة بمصر) باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما نزل الله آية فيها: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي رأسها وأميرها.
- ٢- روى أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة ص ١٨٩) باسناده عن ابن عباس قال: سمعته يقول: ليس من آية في القرآن «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي رأسها وأميرها وشرفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في القرآن وما ذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

رواه جماعة من أعلامهم :

- ١- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٨٩ ط مصر سنة ١٣٥٦ هـ).
- ٢- الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٥٤ ط الغرى).
- ٣- الطبري في (الرياض النضرة ص ٢٠٧ ط محمد أمين الخانجي بمصر).
- ٤- سبط ابن الجوزي في (التذكرة ص ١٩ ط النجف).
- ٥- الشيخ الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٠٥ ط مصر).
- ٦- غياث الدين بن همام في (حبيب السير ج ٢ ص ١٣ ط الحيدري بتهران).
- ٧- المير محمد صالح الكشفي الحنفي في (مناقب مرتضوي ص ٣١ ط بمبئي بمطبعة المحمدي).

٨- الهيثمي في (الصواعق المحرقة ص ٣٨ ط المحمدية بمصر).

٣- روى الهيثمي في (الصواعق المحرقة ص ١٢٥ ط المحمدية بمصر) عن ابن عباس قال: ما أنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا، إلا وعليّ أميرها وشريفها، و لقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان ، وما ذكر عليّاً إلا بخير.

أي لم يكن عليّ عليه السلام داخلاً في العتاب الذي أنزله الله تعالى على أصحاب الرسول ﷺ وهذا أوضح دليل على عصمة عليّ عليه السلام.

رواه جماعة من أعلامهم:

- ١- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ١١٦ ط لاهور).
 - ٢- القندوزي الحنفي في (بنايع المودة ص ١٢٥ ط إسلامبول).
 - ٣- أحمد بن حنبل في (المسند).
 - ٤- روى الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في (المستخرج من التفسير الاثني عشر) في قوله تعالى: «فاسئلوا أهل الذكر» أي فاسئلوا عن أهل البيت، والله ماسمّي المؤمن مؤمناً إلا بسبب حب عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
- وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة في المقام تر كناها للاختصار.
- وأما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثني عشرية الحقّة

فكثيرة أيضاً:

منها: روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في (الإعتقاد) عن الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه قال: «مامن آية في القرآن أدولها: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعليّ بن أبيطالب عليه السلام أميرها وقائدها وشريفها وأدولها، ومامن آية تسوق إلى الجنة إلا وهي في النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وأشياهم وأتباعهم، ومامن آية تسوق إلى النار إلا وهي في أعدائهم والمخالفين لهم، وإن كانت الآيات في ذكر الأولين، فما كان منها من خير فهو جار في أهل الخير، وما كان منها من شر فهو جار في أهل الشر».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، قال: ذاك أمير المؤمنين.

وفي البحار: عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن حذيفة: أن ناساً تذاكروا فقالوا: ما نزلت آية في القرآن: «يا أيها الذين آمنوا» إلا في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فقال حذيفة: ما نزلت آية في القرآن: «يا أيها الذين آمنوا» إلا كان لعليّ بن أبيطالب عليه السلام لبها ولبابها.

وفيه: بالاسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنزل الله آية فيها: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعليّ رأسها وأميرها.

وفيه: بالاسناد عن ابن عباس قال: ما أنزل الله من آية: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعليّ سيدها وأميرها وشريفها.

وفيه: بالاسناد عن ابن عباس قال: ما في القرآن: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعليّ رأسها وقائدها.

وفيه: بالاسناد عن مجاهد قال: ما كان في القرآن: «يا أيها الذين آمنوا» فإن لعليّ سابقة ذلك لأنه سبقهم إلى الإسلام.

وفيه: من مناقب الخوارج عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا

عليّ اخصمك بالنموة ولا نبوة بعدي، ونخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيهنّ أحد من فريش : أنت أو لهم ايماناً بالله و أوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله و أقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم في القضية، وأعظمهم عند الله يوم القيامة مزية.

قال صاحب كفاية الطالب: هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدس سرّه بإسناده عن عبدالله بن حوية العبدي قال: أتى عمر بن الخطاب رجلاً يسألان عن طلاق الأمة، فالتفت إلى خلفه، فنظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أصلع ماترى في طلاق الأمة ؟ فقال له باصبعه : هكذا - وأشار بالسبابة والتي تليها - فالتفت إليهما عمر وقال: ثنتان فقالا: سبحان الله جنّناك وأنت أمير المؤمنين فمئلناك فجئت إلى رجل سئلته والله ما كلمك فقال عمر: تدريان من هذا؟ قال: لا قال: هذا عليّ بن أبي طالب سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعتا في كفة، ووضع ايمان عليّ في كفة لرجح ايمان عليّ عليه السلام.

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة - : «و نؤمن بالله ايمان من عاين الغيوب، ووقف على الموعود ايماناً نفى إخلاصه الشرك و يقينه الشك، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً صلى الله عليه عبده ورسوله شهادتين تصعد ان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان تواضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه» الخطبة.

وفي شرح ابن أبي الحديد: قال في قوله عليه السلام: «و نؤمن به ايمان من عاين و شاهد» لأنّ ايمان العيان أخلص و أدق من ايمان الخبر، فأنه ليس الخبر كالعيان، وهذا إشارة إلى ايمان العارفين الذين هو عليه السلام سيدهم ورئيسهم، ولذلك قال: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وقوله عليه السلام: «تصعد ان القول» إشارة إلى

قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» فاطر: ١٠.

وقال ابن أبي الحديد: انه عليه السلام لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين، وإنما حكم بهذا على شهادتين مقيّدتين، قد وصفهما بأنهما يصعدان القول ويرفعا العمل، وتأنك الشهادتان المقيّدتان بذلك القيد، إنما هما الشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب وتجنب القبيح، لأنه لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل، وإذا كان حكمه بعد خفة ميزانهما فيه، إنما هو على شهادتين مقيّدتين لا مطلقتين.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام - في خطبة -: «نشهد أن لا اله غيره وأن محمداً صلى الله عليه وآله نبيه وبعيته، شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان، والقلب اللسان».



﴿الامام علي عليه السلام اول من آمن واسلم﴾

وقد تواترت الروايات الواردة عن طريق الفريقين في سبق ايمان مولى
الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلامه على جميع
الناس، وقد أجمع الفريقان على ذلك إلا الشذ من العامة عناداً و لجاجاً ونفاقاً
كالجاحظ أبي عثمان المصري وأذنا به المبتورة:

أما العامة فروا سبق الامام علي عليه السلام في الايمان والاسلام على غيره بطرق
عديدة عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري، والمقداد وعمار ياسر، وزيد بن صوحان
وحذيفة، وأبي أيوب الأنصاري وأبي سعيد الخدري، وأبي الهيثم وخزيمة، وأبي
رافع، وأم سلمة وعائشة، وسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري، وأنس بن
مالك وأبي الطفيل، وجبير بن مطعم وعمرو بن الحمق، وحبة العرني وجابر
الحضرمي، والحارث الأعور وعباية الأسدي، ومالك بن الحويرث وقثم بن العباس،
وسعيد بن قيس ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة ومحمد بن كعب، وابن مجاز والشعبي
والحسن البصري وأبي البخري، والواقدي وعبد الرزاق، ومعمر والسدي
وغيرهم ... وهم نسبوا القول بذلك إلى ابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس و
زيد بن أرقم ومجاهد وقتاده وابن اسحق ومعاذ بن جبل وعمر بن الخطاب وليلى
الغفارية وعباد بن عبد الله الأسدي وبريدة وأبي هريرة وعبد الله بن خباب الأرت
وغيرهم ...

فلا يمكن الدس في تلك الروايات وأسانيدها إلا من أنكر الشمس في رابعة النهار وما وقفت إلى الآن - في كلمتي إيمان علي عليه السلام وإسلامه وسبقه بهما على الناس - من كتب العامة وما أخذهم المعتبرة عندهم نحو: (٤٠٠) كتاباً نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار إذ نحن على جناحيه:

١- روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر) بإسناده عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي اخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع، ولا يحاجك فيها أحد من قريش أنت أو لهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، واقومهم بامر الله، واقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية وأعظمهم.

رواه جماعة من أعلامهم:

- ١- أخطب الخوارزمي في (المناقب ص ٦٦ ط تبريز).
- ٢- محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ ط محمد أمين الخانجي بمصر) وفي (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر).
- ٣- ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ٢ ص ١٩ ط حيدرآباد الدكن).
- ٢- روى المتقي الهندي الحنفي في (منتخب كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٣ ط حيدرآباد الدكن).

باسناده عن عبدالله بن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه خصال لأن تكن واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأنتهيت إلى باب أم سلمة، وعلي قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فصرنا إليه فاتكأ صلى الله عليه وآله على علي بن أبي طالب ثم ضرب يده على منكبه، ثم قال: إنك مخاصم، تخاصم أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله وأوفاهم

بمهد الله وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدم إلي كل شديدة وكرهية، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدم مني بلواء الحمد وتزدود عن حوضي.

رواه المتقي الحنفي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند القديم بمصر).

٣- روى الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة ج ٤ ص ٣٨٩ ط دار الكتب المصرية بمصر) عن ليلى الغفارية قالت: كنت أغزو مع النبي ﷺ فادوي الجرحى وأقوم على المرضى، فلما خرج عليّ إلى البصرة خرجت معه، فلما رأيت عابشة أثبتها فقلت: هل سمعت من رسول الله ﷺ فضيلة في عليّ؟ قالت: نعم دخل عليّ رسول الله وهو معي وعليه جرد قطيفة فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا؟ فقال النبي ﷺ: يا عابشة! دعي لي أخي، فإنه أول الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأول الناس لي لقيماً يوم القيامة.

رواه في (لسان الميزان ج ١ ص ١٢٧ ط حيدرآباد الدكن).

والسيوطي الشافعي في (ذيل اللثالي ص ٥٩ ط لكهنو).

٤- روى الحافظ شيرويه الديلمي في (الفردوس) عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ أنت أول المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى.

٥- روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦ ط السعادة بمصر) باسناده عن أنس بن مالك قال: بعثني النبي ﷺ إلى أبي برزة الأسلمي فقال له - وأنا أسمع - يا أبا برزة! إن رب العالمين عهد إلى عهداً في عليّ بن أبي طالب فقال: إنّه راية الهدى ومنار الإيمان وإمام أوليائي ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة عليّ بن أبي طالب صاحب دايتي في القيامة وأميني غداً في القيامة على مفاتيح

خزائن رحمة ربّي .

رواه جماعة من اعلام العامة:

١- ابن المغازلي في (المناقب).

٢- اخطب خوارزم في (المناقب ص ٢٤٠ ط تبريز) وفي (المناقب ص ٢٤٥

ط تبريز) .

٣- الشيخ جلال الدين محمد بن احمد الحنفى الموصلى في (درّ بحر

المناقب ص ٢٤) .

٤- الحموينى في (فرائد السمطين).

٥- الزرندي الحنفى في (نظم درر السمطين ص ١١٤ ط مطبعة القضاء).

٦- ابن حجر العسقلانى في (لسان الميزان ج ٦ ص ٢٣٧ ط حيدرآباد

الدكن) .

٦- روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفى في (ينابيع المودة ص ١٣٣

ط إسلامبول) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ أنت صاحب حوضى

وصاحب لوائى وحبيب قلبى ووصيتى ووارث علمى، وأنت مستودع مواريث الأنبياء

من قبلى، وأنت أمين الله على أرضه وحجة الله على بريته، وأنت ركن الايمان و

عمود الاسلام، وأنت مصباح الدجى ومنار الهدى والعلم المرفوع لاهل الدنيا،

يا عليّ! من اتبعك نجى ومن تخلف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح والصراط

المستقيم، وانت قائد الغر المحجلين ويعسوب المؤمنين، وانت مولى من أنا

مولاه، وانا مولى كل مؤمن ومؤمنة، لا يحببك الا طاهر الولادة، ولا يبغضك

الا خبيث الولادة، وما عرجنى ربّي عزّ وجل الى السماء وكلّمنى ربّي، الا قال:

يا محمد اقرأ عليك منى السلام وعرفه انه امام اوليائى ونور اهل طاعتى وهيباً لك

هذه الكرامة .

٧- روى محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ٨٤ ط هند).

ما لفظه: قال النبي ﷺ: يا علي! أنت أول المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى.

٨- روى ابن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٥ ص ٥٤٢ ط مصر): أن النبي ﷺ قال لعائشة: هذا علي بن أبي طالب أول الناس إيماناً.

رواه ابن حجر العسقلاني في (الإصابة ج ٤ ص ٣٨٩ ط دار الكتب بمصر).

٩- روى الكازروني في (السيرة النبوية) عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: يا علي! أنت أول المسلمين إسلاماً وأول المؤمنين إيماناً.

١٠- روى الثعلبي في (تفسيره): أن أول ذكر آمن بالنبي ﷺ وصدقته علي بن أبي طالب عليه السلام ثم قال الثعلبي: وهو قول ابن عباس وجابر وزيد بن أرقم ومحمد بن المنذر وربيعة الرأي وأبي حيان والمزني.

١١- روى الثعلبي في (تفسيره): أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام: أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله ورسوله، وصدقته فيما جاء به، وصليت معه لله تعالى، أما إن محمداً ﷺ لا يدعوا إلا إلى خير فالزمه.

١٢- روى السيوطي الشافعي في (الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ ط إيران): أخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر عن أنس قال: قعد العباس وشيبة صاحب البيت يقتخران، فقال له العباس: أنا أشرف منك، أنا عم رسول الله ﷺ ووصيتي أبيه، وسأقي الحجيج، فقال شيبة: أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا أئتمنك كما أئتمنني فاطلع عليهما علي عليه السلام فأخبراه بما قال فقال علي عليه السلام: أنا أشرف منكما، أنا أول من آمن وهاجر، فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي ﷺ فأخبروه بما أجابهم بشيء، فانصرفوا فنزل عليه

الوحي بعد أيتام، فأرسل إليهم فقرأ عليهم : «أجعلتم سقاية الحاج - إلى آخر العشر» التوبة: (١٩).

١٣- روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٤ ط إسلامبول) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أقدم امتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأصحهم ديناً، وأفضلهم يقيناً، وأكملهم حِلماً، وأسمحهم كفاً، وأشجعهم قلباً عليّ وهو الإمام على امتي.

١٤- روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدرآباد الدكن) بإسناده عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أو لكم وارداً عليّ الحوض أو لكم إسلاماً عليّ بن أبي طالب.
رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعظم العامة:

١- ابن البرقي (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن).

٢- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٥٨ ط مكتبة القدسي بمصر).

٣- الذهبي في (تلخيص المستدرک المطبوع بذيّل المستدرک ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدرآباد الدكن).

٤- المناوي الشافعي في (كنوز الحقائق ص ٥١ ط بولاق بمصر).

٥- الحلبي الشافعي في (إنسان العيون ج ١ ص ٢٦٨ ط مصر).

٦- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦١ ط إسلامبول).

١٥- روى أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) بإسناده عن عباد بن عبد الله قال: سمعت عليّاً يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله قال ابن نمير في حديثه: وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ولقد صليت قبل الناس سبع سنين، قال أبو أحمد: ولقد أسلمت قبل الناس سبع سنين.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- الإسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية).

- ٢- ابن ماجه القزويني في (سنن المصطفى ج ١ ص ٥٧ ط الغازية بمصر).
 ٣- النسائي في (الخصائص ص ٣ و ١٨ ط التقدم بمصر).
 ٤- الحافظ أبو محمد عبد الرحمن في (الجرح والتعديل ج ٢ ص ٢٠ ط حيدر-
 آباد الدكن).

١٦- روى الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٤١ ط الأزهرية
 بمصر).

مالفظه: روى ابن عبد البر: ان محمد بن كعب القرظي سئل عن أولهما أي
 علي وأبي بكر إسلاماً؟ فقال: سبحان الله عليّ أولهما إسلاماً.

١٧- روى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢١ ط دارالصادر بمصر)
 باسناده عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ عليّ.
 رواه جماعة من اعظم العامة:

- ١- الحافظ الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٧٧ ط الصاوي بمصر).
 ٢- النسائي في (الخصائص ص ٢ ط التقدم بمصر).
 ٣- الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدر آباد الدكن).
 ٤- ابن الأثير في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر سنة: ١٢٨٥ هـ).
 ٥- الذهبي في (تلخيص المستدرک المطبوع بذيّل المستدرک ج ٣ ص ١٣٦
 ط حيدر آباد الدكن).

- ٦- ابن عبد البر في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩ ط حيدر آباد الدكن).
 ٧- عبد الغني النابلسي في (ذخائر المواريث ج ١ ص ٢١٣).
 ٨- الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور).
 ٩- احمد بن حنبل في (المسند ج ٤ ص ٣٦٨ ط الميمنية بمصر).
 ١٠- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦ ط السعادة بمصر).

١١- الشيباني القطفي في (انباء الرواة على ابناء النحاة ج ١ ص ١١ ط القاهرة) وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

١٨- روى المحدث محمد بن أحمد السرخسي في (السير الكبير ج ١ ص ١٣٥ ط حيدرآباد الدكن) ما لفظه: ولا خلاف في أن علياً أسلم في أول مبعث رسول الله ﷺ .

١٩- روى أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي في (المسند ص ٣٧ ط القاهرة) عن حبة العرنى وهو الهمداني من أصحاب علي كرم الله وجهه قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أنا أول من أسلم.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة كثيرة منهم:

١- الحافظ الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٣٣ ط القاهرة).

٢- الخوارزمي في (المناقب ص ٣٣ ط تبريز).

٣- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٥٨ ط مصر).

٤- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٣ ط حيدرآباد الدكن).

٢٠- روى ابن الأثير في (اسد الغابة ج ٤ ص مصر سنة: ١٢٨٥ هـ) باسناده عن بريدة قال: خديجة أول من أسلم مع النبي ﷺ ثم علي .

رواه الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٠ ط مكتبة القدسي بالقاهرة).

٢١- روى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢١ ط دارالصادر بمصر) باسناده عن ابن عباس قال: أول من أسلم من الناس بعد خديجة علي .

٢٢- روى الحافظ ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد) باسناده عن ابن عباس قال: كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنهما .

رواه بعينه ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٣٦ ط حيدر-
آباد الدكن) ثم قال مالفظه: قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته
وثقة نقلته .

٢٣- روى أحمد بن حنبل في (المناقب) بإسناده عن ابن عباس: أن علياً
أول من أسلم.

رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ ط مكتبة القدسي بمصر).

وإبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر سنة: ١٢٨٥هـ)

والذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٩٣ ط مصر) وغيرهم.

٢٤- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ٤٦٥ ط حيدرآباد

الدكن) بإسناده عن أبي موسى الأشعري أن علياً أول من أسلم مع رسول
الله ﷺ.

ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

٢٥- روى الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٠ ط مكتبة القدسي

بالقاهرة) عن مالك بن الحويرث قال: أول من أسلم الرجال علي ومن النساء خديجة.
رواه الطبراني .

٢٦- روى الزرندي في (نظم درر السمطين ص ٨٣ ط مطبعة القضاء) مالفظه:

واتفق المؤرخون على أن أول من أسلم وآمن على الإطلاق خديجة قال أبوهريرة:
أول من أسلم علي بن أبي طالب.

٢٧- روى الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٠ ط مكتبة القدسي في

القاهرة) عن أبي رافع قال: أول من أسلم من الرجال علي، وأول من أسلم من
النساء خديجة.

رواه البزار ورجالہ رجال الصحيح.

وإبن عبد البر في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن).

- ٢٨ - روى ابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٦ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر) عن عبدالله بن خباب الأرت صاحب رسول الله ﷺ أن علياً أمير المؤمنين و أول المسلمين ايماناً بالله و رسوله .
- ٢٩ - روى ابن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن) عن سلمان أنه قال: أول هذه الأمة وروداً على نبئها عليه الصلاة والسلام الحوض أو لها إسلاماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- ٣٠ - روى السيوطي الشافعي في (تعليقات تدریب الراوي في شرح تقريب النوادي ص ٤١٠ ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة) عن أبي ذر وسلمان قالا : أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال : إن هذا أول من آمن بي .
- ٣١ - روى ابن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦ ط حيدرآباد الدكن) ما لفظه : روى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم : أن علي بن أبي طالب عليه السلام أول من أسلم ، فضله هؤلاء على غيره . وفي (ص ٤٥٧ الطبع) ما لفظه : وقال ابن شهاب وعبدالله بن محمد عقيل وقتادة وأبو إسحق : أول من أسلم من الرجال علي .
- رواه بعينه سنداً و متنأ جماعة من أعظم العامة :
- ١ - ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٦ ط حيدرآباد)
- ٢ - ابن السيّد في (عيون الأثر ج ١ ص ٩٢ ط مكتبة القدسي بالقاهرة)
- ٣ - الدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٣٠٦) .
- ٤ - المولوي أبو محمد البصري في (إنتهاء الافهام ص ٧٦ ط لکهنو) وغيرهم ...
- ٣٢ - روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١٢٥ ط حيدرآباد) باسناده عن أبي إسحق قال : سئلت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله ﷺ دونكم ؟ قال : لأنه كان أولنا به لحوقاً و أشدنا به لزوقاً .
- ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد .
- رواه جماعة منهم :

- ١ - النسائي في (الخصائص ص ٢٨ ط التقدّم بمصر) .
- ٢ - الذهبي في (تلخيص المستدرک) المطبوع بذيّل (المستدرک) .
- ٣ - محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة ص ١٦٨ ط الخانجي بمصر) .
- ٤ - المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٤٢ ط الميمنية بمصر) .
- ٣٣ - روى الحافظ ابن عبد البرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الذکّن) بإسناده عن عمرو ومولى عفرة قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أوّل من أسلم عليّ أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله عليّ أوّلهما إسلاماً .
رواه جماعة من أعلامهم :
- ١ - ابن الأثير الجزري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٨ ط مصر سنة : ١٢٨٥ هـ) .
- ٢ - الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٤ ط مطبعة القضاء) .
- ٣ - المقرئ في (امتاع الاسماع ص ١٦ ط القاهرة) .
- ٣٤ - روى الثعلبي في (تفسيره) عن إسماعيل بن أبياس بن عفيف عن أبيه عن جدّه عفيف قال : كنت إمراً ناجراً فقدمت مكّة أيام الحج ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، وكان العباس لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم ، فبينما أنا والعباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبليها فلم يلبث حتّى جاء غلام ، فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت إمراة ، فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فخرّ الشاب ساجداً فسجد معه فرفع الشاب ، فرفع الغلام والمرأة ، فقلت : يا عباس ! أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ، فقلت : ويحك ما هذا ؟ قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولاً وان كنوز كسرى وقصر ستفتح عليه ، وهذا الغلام عليّ بن أبي طالب ، وهذه المرأة خديجة زوجة محمد تابعا على دينه ، وأيم الله ما ظهر الأرض كلّها أحد على هذا الدين

غير هؤلاء .

رواه جماعة منهم باختلاف يسير :

- ١ - النسائي في (خصائصه ص ٣) .
- ٢ - الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١) .
- ٣ - محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨) .
- ٤ - ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩) .
- ٥ - ابن السيث في (عيون الأثر ج ١ ص ٩٣) .
- ٦ - ابن الأثير في (الكامل ج ٢ ص ٢٢) و (ج ٣ ص ١٤٤ ط مصر) .
- ٧ - محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) .
- ٨ - ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥ ط السعادة بمصر) .
- ٩ - الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) .
- ١٠ - ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ١ ص ٣٩٥ ط حيدرآباد) .
- ١١ - ابن حجر العسقلاني في (الاصابة ج ٢ ص ٤٨٠ ط مطبعة مصطفى بمصر) .
- ١٢ - المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٣٩ ط مصر) .
- ١٣ - الكازروني في (السيرة النبوية) .
- ١٤ - ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ ط القاهرة) .
- ١٥ - الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٤٠٣ ط القاهرة) .
- ١٦ - ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٧ ط دار الصادر بيروت) .
- ٣٥ - روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨) قال

عليّ عليه السلام : أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين .

٣٦ - روى النسائي في (خصائصه ص ٣) قال عليّ عليه السلام : آمنت قبل الناس

سبع سنين .

٣٧ - روى ابن مزاحم في كتاب (صفين ص ١٦٨ ط مصر) : من كتاب له عليه السلام

كتبه إلى معاوية : « إن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً و حديثاً أقربها من رسول الله وأعلمها بالكتاب ، وأفقهها في الدين ، وأدولها إسلاماً وأفضلها جهاداً » .

٣٨ - روى ابن مزاحم في (صفين ص ١٠٠ ط مصر) : من كتاب كتبه عليه السلام

إلى معاوية : « إن محمداً صلى الله عليه وآله لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أول من آمن به ، وصدق بما جاء به ، فلبثنا أحوالاً مجرّمة (أي كاملة) وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا » .

٣٩ - ذكر ابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل ص ١١) لعليّ عليه السلام :

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي به ربيت و سبطاه هما ولدي

صدقته وجميع الناس في بهم من الضلالة والإشراك والنكد

قال : قال جابر : سمعت علياً ينشد بهذا و رسول الله يسمع ، فتبسم رسول

الله وقال : صدقت يا عليّ ؟

٤٠ - روى ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠١) - من

خطبة للإمام الحسن بن عليّ عليه السلام في مجلس معاوية قوله : - : « انشدكم الله

أيّها الرهط أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما ؟ وأنت

يامعاوية بهما كافر ، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزّى غواية ، وانشدكم الله هل

تعلمون أنّه بايع البيعتين كليهما : بيعة الفتح و بيعة الرضوان ؟ وأنت يامعاوية

ياحداهما كافر وباخرى ناكث ، وانشدكم الله هل تعلمون أنّه أول الناس إيماناً ؟ !

وإنك يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم » .

٤١ - روى ابن قتيبة في (الامامة والسياسة ج ١ ص ١٢٢) : انّ الخارجة

التي خرجت على عليّ بينما هم يسرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له
فعبروا إليه الفرات ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا رجل مؤمن ، قالوا : فما تقول
في عليّ بن أبي طالب ؟ قال : أقول : إنه أمير المؤمنين ، وأول المسلمين ايماناً بالله
ورسوله ، قالوا : فما اسمك ؟ قال : وأنا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب
رسول الله ﷺ .

٤٢ - روى الجاحظ أبو عثمان المصري في (العثمانية ص ٢٨٧ ط دار الكتب
بمصر) عن عبدالله بن مسعود : أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ
أنني قدمت مكة مع عمومة لي و ناس من قومي ، و كان من أنفسنا شراء عطر ،
فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم فبينما نحن
عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا ، و عليه ثوبان أبيضان و له وفرة إلى
إنصاف اذنيه جعدة أشم اقنى ادعج العينين كثر اللحية براق الثنايا أبيض تعلوه
حمرة كأنه القمر ليلة البدر و على يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه تفقوهم
امرأة قد سترت محاسنها حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه و استلمه الغلام ثم
استلمته المرأة ثم طاف بالبيت سبعاً ، و الغلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل
الحجر فقام و رفع يديه و كبّر و قام الغلام إلى جانبه ، و قامت المرأة خلفهما ،
فرفعت يديها ، و كبّرت فأطال القنوت ثم ركع و ركع الغلام والمرأة ، ثم رفع
رأسه ، فأطال و رفع الغلام والمرأة معه ، ثم سجدا و سجد الغلام معه يصنعان
مثل ما يصنع ، فلمّا رأينا شيئاً ننكره لا نعرفه بمكة اقبلنا على العباس ، فقلنا :
يا أبا الفضل ان هذا الدين ما كنّا نعرفه فيكم ؟ قال : أجل والله قلنا : فمن هذا ؟
قال : هذا ابن أخي ، هذا محمد بن عبدالله ، و هذا الغلام ابن أخي أيضاً ، هذا عليّ بن
أبي طالب ، و هذه المرأة زوجة محمد هذه خديجة بنت خويلد والله ما على وجه الأرض
أحديدين بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة .

رواه متناً و سنداً جماعة من أعلامهم :

- ١ - ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٦ ط القاهرة) .
- ٢ - الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣٢ ط تبريز) بأدنى تفاوت .
- ٣ - الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٢ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) .
- ٤ - المتقي الهندي الحنفي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٢٣٨ ط الميمنية بمصر) .
- ٥ - الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦١ ط إسلامبول) .
- ٤٣ - روى ابن عساكر في (تاريخه ج ٣ ص ٤٠٧) عن جنيد بن عبد الرحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي ، فصليت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج ، فإذا عليه شيخ يقال له : أبوشيبة القاص يقص على الناس ، فرغب فرغبنا ، وخوف فبكينا ، فلما انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فلعنوا أبا تراب ^{عليه السلام} فالتفت إلي من على يميني فقلت له : فمن أبو تراب ؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ و زوج ابنته ، و أول الناس إسلاماً وأبو الحسن والحسين ، فقلت : ما أصاب هذا القاص ؟ ! فقلت إليه وكان ذاوفرة ، فأخذت وفرة بيدي وجعلت ألطم وجهه ، وأبطح برأسه الحائط ، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتني و ساقوني حتى دخلوني على هشام بن عبد الملك وأبوشيبة يقدمني فصاح يا أمير المؤمنين؟ فاصك وقاص آباءك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم ، قال :
- من فعل ذلك ؟ فقال : هذا فالتفت إلي هشام و عنده أشراف الناس فقال : يا أبا يحيى ! متى قدمت ؟ فقلت: أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدر كتني صلاة الجمعة ، فصليت و خرجت إلى باب الدرج ، فإذا هذا الشيخ قائم يقص فجلست إليه فقرأ فسمعنا ، فرغب من رغب ، وخوف من خوف ، و دعا فأمنا ، و قال في آخر كلامه : اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فسئلت من أبو تراب ؟ فقليل : علي بن أبي طالب ، أول الناس إسلاماً ، و ابن عم رسول الله و أبو الحسن

والحسين ، و زوج بنت رسول الله فوالله يا أمير المؤمنين ! لو ذكر هذا قرابة لك
بمثل هذا الذكر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحملت به الذي أحملت ، فكيف لا
أغضب لصهر رسول الله و زوج إبنته ؟! فقال هشام : بئس ما صنع .
وفي زيارة أبي الفضل العباس سلام الله عليه - : « السلام عليك يا ابن أول
القوم إسلاماً و أقدمهم إيماناً و أقومهم بدين الله و أحوطهم على الإسلام . . . » .



* الامام علي عليه السلام اول من آمن *

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كلامه لأصحابه: «فأما البرائة فلا تتبرأ مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة».

في شرح ابن أبي الحديد: قال: المسئلة السادسة: في شرح كلامه عليه السلام لأصحابه (ج ٤ ص ١١٦ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) أن يقال: كيف قال: «وسبقت إلى الإيمان» وقد قال قوم من الناس: إن أبا بكر سبقه، وقال قوم: إن زيد بن حارثة سبقه؟

والجواب: أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة روي أنه عليه السلام أول من أسلم، ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البر المحدث في كتابه المعروف: «بالاستيعاب ص ٤٥٦» قال أبو عمر في ترجمة علي عليه السلام: المروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم أن علياً عليه السلام أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره.

قال أبو عمر: وقال ابن إسحق: أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال: «من الرجال بعد خديجة» قال أبو عمر: وروى عن سلمان الفارسي: أنه قال: أول هذه الأمة وروداً علي نبينا صلى الله عليه وآله الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب، وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أول هذه الأمة وروداً علي الحوض أولها»

إسلاماً: عليّ بن أبي طالب

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا الحسن بن حماد قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، قال: كان عليّ أول من آمن من الناس بعد خديجة.

قال أبو عمر: هذا الإسناد لامطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته.

قال أبو عمر: إتفق ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل و قتادة وابن اسحق عليّ أنّ أول من أسلم من الرجال عليّ، واتفقوا على أنّ خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به ثم عليّ بعدها. وروى عن أبي رافع مثل ذلك.

قال أبو عمر: وحدثنا عبد الوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا عبد السلام بن صالح، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدرداء وروى قال: حدثنا عمرو مولى غفرة، قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم: عليّ أم أبي بكر؟ فقال: سبحان الله! عليّ أولهما إسلاماً، وإنّما شبهه على الناس لأنّ عليّاً أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه.

قال أبو عمر: ولا شكّ عندنا: أنّ عليّاً أولهما إسلاماً، ذكر عبد الرزاق في جامعة عن معمر عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا: أول من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى معمر عن عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس قال: أول من أسلم عليّ بن أبي طالب.

قال أبو عمر: وقد روى سالم بن أبي الجعد قال: قلت لابن الحنفية: أبو بكر كان أولهما إسلاماً؟ قال: لا.

ثم قال ابن أبي الحديد: فهذه الروايات و الأخبار كلها ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر في الكتاب المذكور: «الاستيعاب» وهي كما تراها تكاد تكون إجماعاً.

ثم قال ابن أبي الحديد: في شرحه ج ٤ س ١٢٢ ط دار احياء الكتب العربية
سنة ١٣٧٩ هـ) ما لفظه: «واعلم أن شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن
أول الناس إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين
فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان لا
تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك.

ثم قال: «واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام مازال يدعي ذلك لنفسه، ويفتخر به و يجعله في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك، وقد قال غير مرة: أنا الصديق الأكبر والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل صلاته.

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب «المعارف» وهو غير متهم في أمره.

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أوتىها:
محمد النبي أخى وصهرى وحمزة سيد الشهداء عمى
ومن حملتها:

سبقتكم إلى الاسلام طراً
ثم قال ابن أبي الحديد: والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً لا يتسع
هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانها، ومن تأمل كتب السير والتواريخ عرف
من ذلك ما قلناه. ثم قال: فدل مجموع ما ذكرناه أن علياً عليه السلام أول الناس إسلاماً،
وأن المخالف في ذلك شاذ، والشاذ لا يعتد به.

وفى شرح الحديد: (ج ٢٠ ص ٢٦٢) - في الحكم المنسوبة إلى الامام علي عليه السلام: **«قال له عليه السلام عثمان في كلام نلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر و**

عمر خير منك، فقال: أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما.

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٢٤): «فأما ما احتج به الجاحظ بامامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً، لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح، وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا منهما من شئتم، ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وفي الله شرها، ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادّعى واحد من الناس لأبي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك على أن جمهور المحدثين لم يذكرُوا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال، منهم علي بن أبي طالب وجعفر أخوه وزيد بن حارثة وأبوذر الغفاري وعمر بن عتبة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت، وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً عليه السلام أول من أسلم.

وفيه: عن ابن عباس قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعلّي عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان» فكل من أسلم بعد علي عليه السلام فهو يستغفر لعلّي عليه السلام.

وفيه: عن ابن عباس قال: السباق ثلاثة: سبق يوشع بن نون إلى موسى، و سبق صاحب «يس» إلى عيسى، و سبق علي عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام.

وفيه: قال: فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها، فمنها ما روى شريك بن عبدالله عن سليمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود أنه قال: أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي وكان من أنفسنا شراء عطر فارشداً (فأرشد وناخ) إلى العباس بن عبد المطلب، فأنتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فبينما

نحن عنده جلوساً، إذ أقبل رجل من باب الصفا. وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة إلى أنصاف اذنيه، جمدة، أشم أفنى، أدعج العينين، كث اللحية، برّاق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهام امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام، ثم استلمته المرأة.

ثم طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبر وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع، فلما رأينا نكره لانعرفه بمكة أقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم قال: أجل والله قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً، هذا علي بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الأرض أحديدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

وفيه: عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال: كنت في الجاهلية عطاراً، فقدمت مكة، فنزلت علي العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة، وقد تحلقت الشمس في السماء، أقبل شاب كأن في وجهه القمر حتى رمى بصره إلى السماء، فنظر إلى الشمس ساعة، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصف قدميه يصلي، فخرج علي أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية. فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً، فر كما معه، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجداً معه فقلت للعباس:

يا أبا الفضل! أمر عظيم! فقال: أمر والله عظيم! أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا قال: هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لا قال: هذا ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أتدري من المرأة؟ قلت: لا قال: هذه ابنة

خويلد بن عبد العزيز، هذه خديجة زوج محمد هذا، وإن محمد أهدا يذكر أن إلهه إله السماء والأرض، وأمره بهذا الدين فهو عليه كما ترى، ويزعم أنه نبي، وقد صدقه على قوله علي ابن عمته هذا الفتى وزوجته خديجة، هذه المرأة والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة: قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع! يعني أبا طالب أخاه.

وفيه: وروى عبد السلام بن صالح عن إسحق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله ﷺ لما تزوج فاطمة دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله خطبك فلان وفلان، فردهم عنك، وزوجك فقيراً لا مال له، فلما دخل عليها أبوها ﷺ رأى ذلك في وجهها، فسئلهما فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة! إن الله أمرني فأني كحكتك أقدمهم مسلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حِلماً، وما زوجتك إلا بأمر من السماء أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة!

وفيه: وقد روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدته أم أبي رافع قال: أتيت أباذر بالربذة أودعه، فلما أردت الانصراف قال لي ولاناس معي: ستكون فتنة، فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتبعوه فأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «أنت أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة وأنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزير وخير من أترك بعدي تقضي ديني وتنجز موعدتي».

وفيه: وروت معاذة بنت عبد الله العدوية قالت: سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة، ويقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم.

وفيه: عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن علي بن أبي طالب، فأنني سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيه خصالاً، لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحب لي مما طلعت عليه الشمس،

كنت ذات يوم و أبو بكر و عثمان و عبدالرحمن ابن عوف و أبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ نطلبه ، فانتبهينا إلى باب أم سلمة ، فوجدنا علياً متكئاً على نجاف الباب ، فقلنا : أردنا رسول الله ﷺ فقال : هو في البيت ، رويدكم ! فخرج رسول الله ﷺ فسرنا حوله فأنكأ على علي عليه السلام ، و ضرب بيده على منكبيه ، فقال : أبشر يا علي ابن أبيطالب ! إنك مخاصم و انك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهم : أنت أول الناس إسلاماً و أعلمهم بأيام الله ... ، و ذكر الحديث .

قوله : «نجاف» : ما نبى فائتاً فوق الباب ، و «تخصم» : تغلبهم في الخصومة .
وفيه : و قال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين :

هذا علي و ابن عم المصطفى أول من أجابه فيما روى
هو الإمام لا يبالي من غوى و قال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

فحو طوا علياً و انصرده فانه وصى و في الاسلام أول
وإن تخذلوه و الحوادث جمّة فليس لكم عن أرضكم متحوّل
قال : و الأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجيئ القبيلين التواطؤ و الاتفاق كان
و رودهما حجة .

و في الجزء الاول من المغازي : عن عبدالله بن بريدة قال : أول الرجال إسلاماً علي بن أبيطالب ثم الرهط الثلاث : أبوذر و بريدة و ابن عم لأبي ذر .

و في كتاب صفين : لنصر عن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً منه : فكان أول من أجاب و أناب ، و صدق و وافق ، و أسلم و سلم أخوه و ابن عمه علي بن أبيطالب - إلى أن قال - : أول الناس إسلاماً و أصدق الناس نيّة - إلى قوله - : يا لك الويل ؟ تعدل لنفسك بعلي و هو وارث رسول الله و وصيه و أبو ولده ،

وأول الناس له إتباعاً و آخرهم به عهداً ، يخبره بسرّه و يشرّكه في أمره .
و في رسالة الاسكافي : كان سعيد بن قيس الهمداني يرتجز في صفتين
بقوله :

هذا عليّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا
هذا الامام لا يبالي من غوى
و ذكره غيره لقيس بن سعد بن عبادة.



﴿ كلمات العامة في أول من آمن وأسلم ﴾

وقد وردت كلمات أعلام العامة الكثيرة: أن أول من آمن وأسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام لا يسع مقام الاختصار بذكر جميعها، فنشير إلى نبذة منها:

١- قال ابن أبي الحديد في مقدمته على (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٨ هـ) ما لفظه: «وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبد، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويوجد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله عليه السلام».

٢- روى ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨) عن سالم بن أبي الجعد قلت لمحمد بن الحنفية: أبو بكر كان أولهم إسلاماً؟ قال: لا.

إذا ثبت أن أبا بكر لم يكن أول الناس إسلاماً فعلي عليه السلام هو المتعين سبق إسلامه
٣- روى ابن عبد ربه في (العقد الفريد ج ٣ ص ٤٣ ط مصر) احتجاج المأمون في حديث: قال المأمون في حديث احتجاجه علي أربعين فقيهاً ومناظرته إياهم في أن أمير المؤمنين أولى بالناس بالخلافة: يا إسحق أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الاخلاص بالشهادة، قال: أليس سبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم قال: إقر ذلك في كتاب الله يقول: «والسابقون السابقون أولئك المقربون»، إنما عني من سبق إلى الإسلام. فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين؟ إن علياً أسلم وهو حديث السنن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم، قال: أخبرني أيتهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحدائث والكمال.

قلت: عليّ أسلم قبل أبي بكر علي هذه الشريطة، فقال: نعم فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاً ما من الله قال: فاطرقت فقال لي: يا إسحق؟ لا تقل إلهاً ما فتقدّمه عليّ رسول الله ﷺ لأنّ رسول الله لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبرئيل عن الله تعالى قلت: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام، قال: يا إسحق! فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فاطرقت، فقال: يا إسحق لا تنسب رسول الله إلى تكلف فإن الله يقول: «وما أنا من المتكلفين» قلت: أجل يا أمير المؤمنين؟ بل دعاه بأمر الله قال: فهل من صفة الجبار جلّ ذكره أن يكلف رسوله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله.

فقال: افترأ في قياس قولك يا إسحق؟ إن علياً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوه الساعه ويرتدون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في إرتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ﷺ؟! قلت: أعوذ بالله ... الحديث.

٤- قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في كتابه: (النقض على العثمانية ص ٢٧٤- ٢٧٨): قد روى الناس كافة إفتخار عليّ عليه السلام، وإن النسي عليه السلام استنبيء يوم الاثنين وأسلم عليّ يوم الثلاثاء، وإنه كان يقول: صليت قبل الناس سبع سنين، وإنه ما زال يقول: أنا أول من أسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به وأولياؤه وماد حوه وشيعه في عصره وبعده فاته، والأمر في ذلك أشهر من كل شهير، وقد قدّ منامنه طرفاً، وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخفّ بإسلام عليّ عليه السلام ولا نهاون به، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غريب وطفل صغير - إلى أن قال - : وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية أن رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام و كلفه التصديق؟

ثم قال: وروى في الخبر الصحيح أنّه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وإنتشارها بمكّة: أن يصنع له طعاماً وأن يدعو له بنى عبدالمطلب، فصنع له

الطعام ودعاهم له فخر جوا ذلك اليوم ولم ينذرهم ﷺ لكلمة قالها عمته أبو طالب فكلفه اليوم الثاني: أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية فصنعه ودعاهم فاكلوا ثم كلمهم ﷺ فدعاهم إلى الدين، ودعاه معهم لأنه من بني عبد المطلب، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيته بعد موته وخليفته من بعده فأمسكوا كلهم وأجابوه هو وحده وقال: أنا أنصرك على ما جئت به واوزرك وأبايعك، فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة، وعاین منهم الإباء ومنه الإجابة: هذا أخي ووصيتي وخليفتي من بعدي، فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب: أطع إبنك فقد أمره عليك.

ثم قال الاسكافي: فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز؟! و غير عاقل؟! وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب؟! وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويطيعة صفقة يمينه بالاخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك؟! بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يرمع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدكم في طبقته كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟! فيقال: دعاه بعض الصبا، و خاطر من خواطر الدنيا، وعملته الغربة والحدثه على حضور لهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه، مصمماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، قد صدق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته وجاذب خواطره، صابر أعلى ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة.

٥- قال الحاكم النيسابوري صاحب (المستدرک) على الصحيحين في كتابه: (المعرفة ص ٢٢): ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو لهم إسلاماً، وإختلفوا في بلوغه.

- ٦- قال ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧): إتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به ثم علي بعدهما.
- ٧- قال المقرئ في (الإمتاع ص ١٦) ما ملخصه: وأما علي بن أبي طالب فلم يشرك بالله قط، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمته سيد المرسلين محمد ﷺ فعند ما أتى رسول الله ﷺ الوحي وأخبر خديجة وصدقته كانت هي وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة يصلون معه - إلى أن قال -: فلم يحتج علي رضي الله عنه أن يدعى، ولا كان مشركاً حتى يوحد فيقال: أسلم، بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله ﷺ عمره ثمانى سنين، وقيل: سبع، وقيل: إحدى عشرة سنة وكان مع رسول الله ﷺ في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله ... الخ



﴿الامام علي عليه السلام اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين : ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام هو اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد وقفت إلى الآن من كتب العامة في المقام نحو: (١٣٠) كتاباً من كتبهم المعتبرة عندهم فنشير إلى نبذة مما ورد عن طريقهم:

١- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١١١ ط حيدرآباد - الدكن) باسناده عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: إني عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- الحافظ الثعلبي في تفسيره: (الكشف والبيان).

٢- أبو نعيم في (حلية الأولياء).

٣- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ ط حيدرآباد الدكن).

٤- سبط ابن الجوزي في (التذكرة ص ٢٧ ط الغرى).

٥- أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة).

٢- روى الديلمي في (الفردوس في الجزء الأول في باب الألف) عن ابن

عباس : أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أول من صلى معي علي بن أبي طالب عليه السلام .

رواه جمع كثير من أعظم العامة:

- ١- الحموي في (فرائد السمطين).
- ٢- المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٣٩ ط الميمنية بمصر).
- ٣- المناوي في (كنوز الحقائق ص ٥١ ط بولاق بمصر).
- ٣- روى أبو داود الطيالسي في (المسند ص ٣٦٠ ط حيدرآباد الدكن) بإسناده عن ابن عباس قال: أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ بعد خديجة عليّ.
- رواه متناً وسنداً جماعة منهم:
- ١- أحمد بن حنبل الشيباني في (المسند ج ١ ص ٣٧٣ ط الميمنية بمصر).
- ٢- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن).
- ٣- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦ ط السعادة بمصر) و (ج ٧ ص ٣٣٤).
- ٤- الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٧٦ ط الصاوي بمصر).
- ٥- ابن الأثير الجزوري في (جامع الأصول ج ٩ ص ٤٦٨).
- ٦- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).
- ٧- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٣٥٦).
- ٤- روى أبو داود الطيالسي في (المسند ص ٩٣ ط حيدرآباد الدكن) بإسناده عن زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ عليّ.
- رواه بعينه سنداً ومتناً جم غفير من أعظم العامة:
- ١- أحمد بن حنبل في (المناقب).
- ٢- البلاذري البغدادي في (أنساب الأشراف ط دار المعارف بمصر ص ١١٢).
- ٣- النسائي في (الخصائص ص ٢ التقدّم بمصر).

٤- البيهقي الشافعي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدرآباد الدكن).

٥- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٣ ص ٤٥٩ ط حيدرآباد الدكن).

٥- روى أحمد بن حنبل في (المسند ج ١ ص ١٤١ ط مصر) بإسناده عن حبة العرنى قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أنا أول رجل صلى مع رسول الله ﷺ.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- أحمد بن حنبل في (المناقب)،

٢- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد الدكن).

٣- محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).

٤- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦) و (ج ٧ ص ٢٢٢ ط

السعادة بمصر).

٥- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٤ ص ١١٨ ط دار إحياء الكتب العربية

سنة: ١٢٧٩ هـ).

٦- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي

بمصر) عن الحكم بن عيينة قال: خديجة أول من صدق، وعلي أول من صلى إلى القبلة.

رواه:

محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر).

٧- روى الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٤٢ ط الأزهرية

بمصر) ما لفظه: وأنشد المرزبان لخزيمة في علي عليه السلام:

أليس أول من صلى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وقال كعب بن زهير من قصيدة يمدحها:

إِنَّ عَلِيًّا لَمَيِّمُونَ نَقِيبَتَهُ
 صهر النبي وخير الناس مفتخراً
 صَلَّى الطهور مع الامي أو لهم
 قبل المعاد ورب الناس مكفور
 ٨- روى أبو الفلاح الحنبلي في (شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠٨ ط القاهرة)
 ما لفظه: قال مسلم بن الوليد الأنصاري:
 أذكرت سيف رسول الله سنته
 وسيف أول من صلى ومن صاما
 يعني علياً رضي الله عنه إذ كان هو الضراب به.

٩- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣١ ط تبريز) باسناده عن
 ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ صلت الملائكة علي وعلى علي بن أبي طالب
 سبع سنين قالوا: ولم تلك يا رسول الله ﷺ؟ قال: لم يكن معي من أسلم من
 الرجال غيره.

رواه بعينه سنداً ومتمناً جماعة منهم:

- ١- القندوزي في (ينابيع المودة ص ٦١ ط إسلامبول).
- ٢- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور).
- ٣- الهروي في (الأربعين ص ١٥) وزاد بعد قوله: «سبع سنين» وذلك أنه لم
 ترفع شهادة أن لا إله إلا الله إلى السماء إلا مني ومن علي.
- ١٠- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية) المطبوع
 بهامش (العثمانية ص ٢٩١ ط دار الكتب بمصر) بالاسناد عن حكيم مولى زاذان
 قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: صليت قبل الناس سبع سنين وكنّا نسجد ولا
 نركع وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال:
 أمرت به.

رواه جماعة منهم:

- ١- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٥٨ ط مصر).

- ٢- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).
- ٣- الذهبي في (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢١٢ ط السعادة بمصر).
- ٤- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٤ ط السعادة بمصر) عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصاري.
- ٥- الدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٢٠٩).
- ١١- روى أحمد بن حنبل في (المناقب ج ٢ ص ٢٣٦) بإسناده عن علي عليه السلام في حديث إلى أن قال علي عليه السلام:- اللهم إني لا أعرف عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك صلى الله عليه وآله قال: ثلاث مرّات ثم قال: لقد صلّيت قبل أن يصلي أحد سبعا.
- ١٢- روى محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٦٠ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٩ ط الخانجي بمصر) عن حبة العرنى قال: رأيت علياً على المنبر يقول: اللهم لا أعرف لك عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك لقد صلّيت قبل أن يصلي الناس.
- رواه جماعة منهم:
- ١- الحموي في (فرائد السمطين).
- ٢- الزرندي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء).
- ٣- الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ مكتبة القدسي بالقاهرة).
- ٤- أبو عبد الله البغدادي في (المنتخب من صحيح البخاري ومسلم ص ٢١٦).
- ٥- المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٤٠ ط الميمنية بالقاهرة).
- ٦- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢١).
- ٧- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٠ ط إسلامبول).
- ٨- الدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٢١٢) وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

١٣- روى أحمد بن حنبل في (المناقب ص ٢٣٧) بإسناده عن عبد الله بن يحيى عن علي بن أبي حمزة قال: صليت مع النبي ﷺ ثلاث سنين قبل أن يصلي معي معه أحد. رواه محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر) والقندوزي في (ينابيع المودة ص ٦٠ ط إسلامبول).

١٤- روى ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٨ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩ هـ) ما لفظه: قال أبو عمر: وروى ابن فضيل عن الأجلح عن حبة بن جوين العرنى قال: سمعت علياً بن أبي حمزة يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة خمس سنين.

١٥- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١١٢ ط حيدرآباد الدكن) بالاسناد عن حبة بن جوين عن علي بن أبي حمزة قال: عبدت الله مع رسول الله ﷺ سبع سنين قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة. رواه يعينه سنداً وامتناً جماعة من أعلام العامة:

١- السيوطي الشافعي في (التعقيبات ص ٥٧ ط نول كشوريلدة لكنهو).
٢- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ٥ ط مصر) ما لفظه: وهذا يطابق قوله عليه السلام: لقد عبدت الله قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة سبع سنين وقوله: كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعة ورسول الله ﷺ حينئذ صامت ما اذن له في الانذار والتبليغ، وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة و تسليمه إلى رسول الله ﷺ من أبيه وهو ابن ستة، فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ستة تصح منه العبادة إذا كان ذا تميز.

٣- الذهبي في (تلخيص المستدرک) المطبوع بذييل (المستدرک ج ٣ ص ١١٢ ط حيدرآباد الدكن).

٤- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٤٠٥ ط لاهور).

١٦- روى ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٦ ط حيدر آباد الدكن) عن حبة بن جوين قال: سمعت علياً يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة خمس سنين.

رواه جماعة من أعلامهم:

- ١- الصفوري الشافعي البغدادي في (نزهة المجالس ط القاهرة).
 - ٢- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد).
 - ٣- المالكي في (الطبقات المالكية ط المطبعة السلفية بالقاهرة).
 - ٤- ابن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر).
 - ٥- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).
 - ١٧- روى ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١ ط القاهرة) بالاسناد عن محمد بن إسحق قال: كان رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب عليه السلام.
- رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

- ١- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٦٠ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٩ ط الخانجي بمصر).
- ٢- فتح الدين اليعمرى الاندلسي في (عيون الأثر ص ٩٣ ط مكتبة القدسي بمصر).

٣- أبو الربيع الحميري الاندلسي المالكي في (الاكتفاء في مغازي المصطفى ج ١ ص ٣٣٩ ط الجزائر).

- ٤- برهان الدين في (السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩ ط مصر).
- ٥- أحمد زيني دحلان في (السيرة النبوية ج ١ ص ١٧ ط القاهرة).
- ١٨- روى النسائي في (الخصائص ص ٣ ط التقدم بمصر) باسناد عن عبد الله

بن الهذيل عن علي عليه السلام قال: ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبد الله بعد نبينا غيري عبدت الله قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة تسع سنين.

١٩- روى الفقيه الشافعي ابن المغازلي في (المناقب ص ١٤) عن أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: صلت الملائكة عليّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي أحد غيره.

وفيه عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: صلت الملائكة عليّ، وعلى علي عليه السلام سبعاً وذلك أنه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا مني ومنه.

٢٠- روى الطبري في تفسيره (جامع البيان ج ١٠ ص ٩٦ ط بيروت): قال محمد بن كعب القرظي: إفتخر طلحة بن شيبة من بنى عبدالدار وعباس بن عبدالمطلب وعليّ بن أبيطالب فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه لوأشاء بت فيه، وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولوأشاء بت في المسجد، وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام... التوبة: ١٩».

٢١- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١١١) عن عبد الله ابن عباس: قال: لعليّ أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربيّ وأعجميّ صلى مع رسول الله ﷺ.

رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧).

٢٢- روى سبط ابن الجوزي في (التذکر ص ٨) عن عبد الله بن عباس قال: أوّل من ركع مع النبي ﷺ عليّ بن أبيطالب فنزلت فيه هذه الآية: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين».

٢٣- روى ابن مزاحم في كتاب (صفين ص ٣٦٠) عن عبد الله بن عباس قال في خطبة له: «إن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعواناً على عليّ»

بن أبيطالب ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلى معه... الخطبة.

رواه ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ٥٠٤).

٢٣- روى الطبرى في (تاريخه ج ٦ ص ٢٤) - فى كلام لهاشم بن عتبة يوم صفين -: إن صاحبنا هو أول من صلى مع رسول الله وأفقهه فى دين الله و أولاه برسول الله.

رواه ابن الأثير الجزوى فى (الكامل ج ٣ ص ١٣٥).

وقال هاشم يوم صفين:

مع ابن عمّ أحمد الملعّى	فيه الرسول بالهدى استهلاً
أول من صدّقه وصلّا	فجاهد الكفار أبلى

رواه ابن مزاحم فى كتاب (صفين ص ٣٧١ ط مصر).

٢٤- روى ابن أبي الحديد فى (شرح النهج ج ١ ص ٤٨٤) عن مالك بن الحارث الأشتر قال فى خطبة له: معنا ابن عمّ نبينا، وسيف من سيوف الله عليّ بن أبيطالب صلى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة، فقيه فى دين الله، عالم بحدود الله.

٢٥- روى الكنجى الشافعى فى (الكفاية ص ٤٨) ما قال الفضل بن العباس

مجيباً الوليد:

وإنّ ولىّ الأمر بعد محمد	علىّ و فى كلّ المواطن صاحبه
وصىّ رسول الله حقاً وصنوه	وأول من صلى ومن لان جانبه

وفى رسالة الاسكافى ذكرهما لعبد بن أبي سفيان مجيباً الوليد.

٢٦- روى الحاكم فى (المستدرک ج ٣ ص ١١٤) أنشد المرزبان فى علىّ:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا	أبو حسن ممّا نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنّه	أطبّ قريش بالكتاب وبالسنن
وصىّ رسول الله من دون أهله	وفارسه مذكّان فى سالف الزمن

وأول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو المنن
 ٢٧- روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٤٨) قال عبد الرحمن بن
 حنبل [جعل] الجمحي حليف بني الجمح في عليّ:

لعمري لئن بايعتم ذا حفيظة علي الدين معروف العفاف موقفاً
 عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجداً صدوقاً و للجبّار قدماً مصداً
 أبا حسن فارضوا به وتبايعوا فليس كمن فيه يرى العيب منطقاً
 عليّ وصيّ المصطفى ووزيره وأول من صلى لذي العرش واتقى

٢٨- روى ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨) وقال الحجاج
 للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكروا عليّ بن أبي طالب: ما تقول أنت يا حسن؟
 فقال: ما أقول: هو أول من صلى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله ﷺ، وإن
 لعليّ منزلة من ربّه وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها
 أحد فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت.

وقال رجل للحسن: مالنا لأنراك تثني على عليّ وتقرّظّه؟ قال: كيف؟! و
 سيف الحجاج يقطر دماً، إنّه أول من أسلم، وحسبكم بذلك.

٢٩- روى الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١٣) عن محمد بن إسحق قال: كان
 أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله عليّ
 بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشرين، وكان ممّا أنعم الله به على عليّ بن أبي-
 طالب إنّه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الاسلام. وقال: و ذكر بعض أهل
 العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج
 معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من عمّه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان
 الصلوات فيها فإذا أمسيار جما فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب
 عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي ما هذا الدين؟
 الحديث...

رواه جماعة من أعلام العامة:

- ١- ابن هشام في (سيرته ج ١ ص ٢٦٤-٢٦٥).
- ٢- ابن السيد في (عيون الأثر ج ١ ص ٩٣).
- ٣- ابن الأثير في (الكامل ج ٤ ص ٢٢) إلا أن فيه: «إحدى عشرة سنة» بدل: «عشر سنين».

- ٤- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٦٠).
- ٥- الحلبي الشافعي في (السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٧).
- ٣٠- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١١٢) عن علي بن النعمان أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى لقد صليت قبل الناس سبع سنين.

ثم صححه الحاكم.

رواه جماعة من أعظم العامة:

- ١- النسائي في (الخصائص ص ٣) بسند رجاله ثقات.
- ٢- ابن أبي عاصم في (السنة).
- ٣- أبو نعيم في (المعرفة).
- ٤- ابن ماجه في (سننه ج ١ ص ٥٧) بسند صحيح.
- ٥- الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١٢) باسناد صحيح.
- ٦- ابن الأثير الجزوري في (الكامل ج ٢ ص ٢٢).
- ٧- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧).
- ٨- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٦٠) و(الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٨ و١٦٧).

٩- الحمويني في (الفرائد في الباب التاسع والأربعين).

١٠- السيوطي في (الجمع) كما في (ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤).

وفي (طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥) قال علي رضي الله عنه: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب.

وفي الغدير قال العلامة الأميني حشره الله تعالى مع مواليه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: لعل الباحث يرى خلافاً بين كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المذكورة - في سني عبادته وصلاته مع رسول الله بين ثلاث وخمس وسبع وتسع سنين فنقول: أمّا ثلاث سنين، فلعل المراد منه ما بين أوّل البعثة إلى إظهار الدعوة من المدّة وهي ثلاث سنين، فقد أقام ﷺ بمكة ثلاث سنين من أوّل نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة، وأمّا خمس سنين فلعل المراد منها سنتا فترة الوحي من يوم نزول: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» إلى نزول: «يا أيها المدثر» وثلاث سنين من أوّل بعثته بعد الفترة إلى نزول قوله: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» وقوله: «وانذر عشيرتك الأقربين» سني الدعوة الخفية التي لم يكن فيها معه ﷺ إلا خديجة و علي وأحسب أن هذا مراد من قال: إن رسول الله ﷺ كان مستخفياً أمره خمس سنين. وأمّا سبع سنين فأنها مضافاً إلى كثرة طرقها وصحة أسانيدها - وهي سني الدعوة النبوية من أوّل بعثته ﷺ إلى فرض الصلاة المكتوبة، وذلك أن الصلاة فرضت بلا خلاف ليلة الإسراء وكان الإسراء كما قال محمد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين وقد أقام ﷺ في مكة عشر سنين، فكان أمير المؤمنين خلال هذه المدّة السنين السبع يعبد الله ويصلي معه عليه السلام فكان يخرجان رداً من الزمن إلى الشعب وإلى حراء للعبادة ومكثا على هذا ما شاء الله أن يمكثا حتى نزل قوله تعالى: «واصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» وقوله: «وانذر عشيرتك الأقربين» وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهر عليه السلام بإجابة الدعوة في منتهى الهاشميين المعقود لها ولم يلبثها غيره ومن يوم ذاك اتخذ رسول الله ﷺ أخاً ووصياً وخليفة ووزيراً ثم لم يلبث الدعوة إلى مدّة إلا آحادهم بالنسبة إلى عامّة قريش والناس المطرطين في تمرّدهم في حين العدم.

على أن إيمان من آمن وقتئذ لم يكن معرفة تامة بحدود العبادات حتى
تدرجوا في المعرفة والتهديب، وإنما كان خضوعاً للإسلام وتلفظاً بالشهادتين، و
رفضاً لعبادة الأوثان، لكن أمير المؤمنين خلال هذه المدة كان مقتصاً أثر الرسول من
أول يومه فيشاهده كيف يتعبّد ويتعلّم منه حدود الفرائض ويقيمها على ما هي عليه،
فمن الحق الصحيح إذن توحيده في باب العبادة الكاملة، والقول بأنه عبد الله وصلى
قبل الناس بسبع سنين، ويحتمل أن يراد السنين السبع الواردة - إن رسول الله ﷺ
أقام بمكة خمس عشرة سنة: سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثمان
سنين يوحى إليه، وأمير المؤمنين كان معه من أول يومه يرى ما يراه ﷺ ويسمع
إلا أنه ليس نبي.

وأما تسع سنين فيمكن أن يراد منها سنتا الفترة والسنين السبع من البعثة
إلى فرض الصلوات المكتوبة، والمبني في هذه كلها على التقريب لا على الدقة والتحقيق
كما هو المطّرد في المجاورات، فالكل صحيح لا خلاف بينها ولا تعارض هناك.



﴿ يوم بعثة النبي الكريم ﷺ ويوم صلاة الامام علي عليه السلام ﴾

وقد أوردنا روايات كثيرة آنفاً عن طريق العامة: أن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام أول من صلى مع النبي الكريم ﷺ وأنه عليه السلام صلى معه ﷺ بعد خديجة سلام الله عليها، وفي كثير من تلك الروايات أنه عليه السلام كان يصلي معه ﷺ قبل الناس بسبع سنين، وخمس سنين، وتسع سنين، وثلاث سنين وستة أشهر، وقد وردت روايات كثيرة أيضاً كالتالية: أن النبي الكريم ﷺ بعث يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام معه يوم الثلاثاء... فكيف التوفيق بين تلك الروايات؟

اجيب عنه: وقد وردت روايات كثيرة عن طريق الفريقين: أن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام كان يصلي مع محمد ﷺ قبل البعثة مستخفياً، وكان يصلي معه ﷺ من غير ركوع وكان يصلي معه ركعتين... فالاختلاف يقاس بالنسبة إلى ظهور البعثة المحمدية ﷺ ويوم الدعوة ويوم الانذار - وأنذر عشرتك الأقرين - وإقامة الصلاة مستعلنًا، وإتيانها مع ركوع، وإتيانها بأربع ركعات في ثلاث منها...

وأما الروايات الواردة في المقام فكثيرة لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

١- روى الحاكم النيشابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١٢ ط حيدرآباد الدكن) بإسناده عن أنس بن مالك قال: نبىء (بعث) النبي ﷺ يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء. وفي لفظ له: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء. رواه جمع كثير من أعظم العامة:

١- الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٤ ط القاهرة)

- ٢- ابن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر)
- ٣- الذهبي في (تلخيص المستدرک) المطبوع في ذيل (المستدرک ج ٣ ص ١١٢ ط حيدرآباد الدکن)
- ٤- القندوزي في (بنايع المودة ص ٢٠٣ ط إسلامبول)
- ٥- الدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٢٠٩)
- ٦- السيوطي في (تعليقات تدريب الراوي) في (شرح تقريب النواوي ص ٤١ ط مكتبة العلمية بالمدينة) بعد ما ذكره في (المستدرک) قال: وادعى الحاكم إجماع أهل التاريخ عليه ونوزع في ذلك وقال كعب بن زهير في قصيدة يمدحه فيها:
- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| إنّ علياً لميمون نقيته | بالصالحات من الأعمال مشهور |
| صهر النبي وخير الناس مفتخراً | فكل من رآه بالفخر مفخور |
| صلّى الطهور مع الأمي أو لهم | قبل المعاد و ربّ الناس مكفور |
- ٧- الشيخ سعدى اليماني الشافعي في (شرح ارجوزة ص ٢٦٨) بعد ما ذكر ما في (المستدرک) قال: وأنشد الخزيمه بن ثابت في عليّ رضي الله عنه:
- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ما كنت احسب ان الأمر منصرف | عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن |
| من فيه ما فيهم من كل صالحة | وليس في كلّهم ما فيه من حسن |
| أليس أو من صلّى بقبلتهم | وأعرف الناس بالقرآن والسنن |
- ٨- الترمذي في (جامعه ج ٢ ص ٢١٢)
- ٩- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٣ ص ٣٢)
- ١٠- ابن الأثير الجزوري في (جامع الاصول) كما في تلخيصه: (تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١)
- ١١- الحمويني في (فرائد السمطين الباب ٤٧)
- ١٢- العراقي في (التقريب ج ١ ص ٨٥)
- ١٣- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨ ط القديم)

- ١٤- سبط ابن الجوزي في (التذكرة ص ٦٣)
- ١٥- المناوي في (شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٤)
- ٢- روى البصري في (العثمانية ص ١٩١ ط مصر) عن أنس بن مالك: إسنبيء النبي ﷺ يوم الاثنين، وأسلم عليّ يوم الثلاثاء بعده.
رواه جماعة منهم:
- ١- الشيباني في (انباه الرواة على انباء النحاة ج ١ ص ١١ ط القاهرة)
- ٢- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و(الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر)
- ٣- الحمويني في (فرائد السطمين)
- ٤- الصفوري في (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٥ ط القاهرة)
- ٣- روى الحاكم في (المستدرک ج ٣ ط ١١٢ الطبع) عن بريدة الأسلمي قال: أوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين و صلى عليّ يوم الثلاثاء. ثم صحّحه هو وأقرّه الذهبي.
- ٤- روى العسكري في (الأوائل ص ٦٣) بإسناده عن حبة العرنى عن عليّ بن أبي قال: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء.
رواه بعينه سنداً ومتناً جم غفير منهم:
- ١- السمعاني النيشابوري في (الرسالة القوامية)
- ٢- الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بمصر)
- ٣- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٤٦ ط الميمنية بمصر)
- ٤- المقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٤٠ ط الميمنية بمصر)
- ٥- القرمانى في (اخبار الدول وآثار الأول ص ١٠٢ ط بغداد)
- ٦- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢١)

٥- روى ابن السید في (عيون الأثر ج ١ ص ٩٢) عن أبي رافع قال: صلى النبي ﷺ أول يوم الاثنين، وصلت خديجة آخره وصلى علي يوم الثلاثاء من الغد.
رواه جماعة منهم:

١- محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨)

٢- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨)

٣- أخرجه الطبراني كما في (شرح المواب ج ١ ص ٢٤٠)

٤- روى الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء.
رواه جماعة من أعلامهم:

١- ابن الأثير الجزوري في (الكامل ج ٢ ص ٢٢)

٢- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨ الطبع المتقدم) وعدّه أبو عمرو والعراقي والقسطلاني ممن روى أن علياً أول من أسلم.

٧- روى الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٧٤ ط الصاوي بمصر) بإسناده عن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء.
رواه بعينه سنداً ومتمناً جم غفير من أعظم العامة:

١- ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد الدكن)

٢- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ١٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر)

٣- الشيباني في (تيسير الوصول إلى جامع الأصول ج ٣ ص ٢٣٧ ط الحلبي بمصر)

٤- البغدادي في (المنتخب من صحيح البخاري ومسلم ص ٢١٦)

٥- الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٤٠١ ط لاهور)

٦- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٩ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩هـ)

٨- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية ص ١٩١ ط مصر، عن أبي رافع ان رسول الله ﷺ صلى أول صلاة صلاةً لها غداة الاثنين، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك، وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء غداة ذلك اليوم. رواه بعينه متناً وسنداً:

إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٨ ط القاهرة)

٩- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣٣٠ ط تبريز) باسناده عن أبي رافع قال: صلى النبي ﷺ أول يوم الاثنين وصلى خديجة آخر يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء صبيحة من الغد وصلى مستخفياً قبل أن يصلى مع النبي ﷺ وأحد سبع سنين وأشهرأ وقال عليه الصلاة والسلام: أنا ناصر الدين طفلاً وكهلاً. رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط مكتبة الخانجي بمصر)

٢- الحموي في (فرائد السمطين)

٣- الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء بمصر)

٤- الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بمصر).

١٠- روى الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ١١٢ ط حيدرآباد الدكن) عن بريدة قال: إنطلق أبوذر ونعيم ابن عم أبي ذر وأنا معهم نطلب رسول الله ﷺ وهو بالجبل مكتتم، فقال أبوذر: يا محمد أينناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعوا؟ فقال رسول الله ﷺ: أقول: لا إله إلا الله وإني رسول الله فأمن به أبوذر وصاحبه وآمنت به وكان علي في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها، وأوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.

ثم قال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

رواه بعينه سنداً ومتناً الذهبي في (تلخيص المستدرك) المطبوع بذييل (المستدرك

ج ٣ ص ١١٢ ط حيدرآباد الدكن

١١- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية ص ٢٩١) باسناده عن جابر بن عبد الله قال: صلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء بعده. رواه جماعة من أعلام العامة:

- ١- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ص ٢٥٨ ط مصر)
- ٢- ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦ ط السعادة بمصر)
- ٣- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور)



﴿ تولد الامام علي عليه السلام على الفطرة وايمانه قبل بلوغه ﴾

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في كلامه لأصحابه - : « فاني ولدت على الفطرة ، وسبقت إلى الايمان والهجرة » .

في شرح ابن أبي الحديد: قال : « و مراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية ، لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل ، والنبي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل ، وقد جاء في الأخبار الصحيحة : أنه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشرين يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه أحد وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله ، فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضة ، ففارقت حاله حال من يدعي له من الصحابة مما ثلثته في الفصل .

وقد روى : أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التي بدى فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله فاسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره فشهد أنواراً وأشخاصاً ، ولم يخاطب فيها بشيء ، وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبشّر والانقطاع والعزلة في جبل حراء فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة ، وأنزل عليه الوحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقيم بتلك السنة ، وبولادة علي عليه السلام فيها ، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة ، وقال لأهله ليلة ولادته ، وفيها

شاهد ما شاهد من الكرامات والقدره الإلهية ، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً : « لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة » وكان كما قال صلوات الله عليه ، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامى عنه ، وكاشف الغمائم عن وجهه ، وبسيفه ثبت دين الاسلام ، وأرست دعائمه وتمهّدت قواعده عليه السلام .

ثم قال ابن أبي الحديد : وفي المسئلة تفسير آخر وهو أن يعنى بقوله عليه السلام : « فأنى ولدت على الفطرة » أي على الفطرة التي لم تتغيّر ولم تحل ، وذلك أن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « كل مولود يولد على الفطرة » أن كل مولود فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل الذي خلقه فيه ، وبصحّة الحواس والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك ، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين والإلف لاعتقادهما وحسن الظنّ فيهما يصدّه عما فطر عليه ، وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ولد على الفطرة التي لم تحل ولم يصدّه عن مقتضاها مانع ، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما ، وغيره ولد على الفطرة ، ولكنّه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها .

ثم قال : ويمكن أن يفسّر بأنّه عليه السلام أراد بالفطرة العصمة ، وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً ، ولا كان كافراً طرفه عين قط ، ولا مخطئاً ولا غلطاً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين وهذا - أي التفسير الأخير - تفسير الامامية إنتهى كلامه .

وقال بعض المحققين : إن الإنسان يكون قبل بلوغه مسلماً بالفطرة ، فإذا بلغ يحكم عليه إمّا الاسلام ، وإمّا الكفر ، فالحكم قبل البلوغ تكويني ، وبعده تشريعي ، فأمن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قبل بلوغه لئلا يقع الفصل بين حكم التكوين وهو الايمان الفطري وحكم التشريع ، فالحكمة لايمان به عليه السلام قبل بلوغه لكيلا يتحقق منه الكفر أو التردد - كما زعم بعض الجهلة - ولو طرفه عين بعد بلوغه ، فلو آمن بعده فيتحقق منه الكفر ولو آنأماً ، ومن كفر فلا يليق أن يخلف الله تعالى في أرضه وقد قال جل وعلا لابراهيم عليه السلام : « إني جاعلك للناس

إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين « البقرة : ١٢٤) أو ليس الكفر ظلماً والكافر عدو الله سبحانه ؟ !

وفي شرح ابن أبي الحديد (ج ١٣ ص ٢٣٣ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) ما لفظه : « فان قلتم : و دعوتكم أنه أسلم و هو بالغ دعوى غير مقبولة إلا بحجة ! قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم و لو كان طفلاً لكان في الحقيقة غير مسلم لأن اسم الايمان والاسلام والكفر والطاعة والمعصية إنما يقع على البالغين دون الأطفال والمجانين ، و إذا أطلقتم و اطلقنا عليه اسم الاسلام ، فالأصل في الاطلاق الحقيقة ، كيف وقد قال النبي ﷺ : « أنت أول من آمن بي و أنت أول من صدقني » و قال لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلماً - أو قال - : إسلاماً » فان قالوا : إنما دعاه النبي ﷺ إلى الاسلام على جهة العرض لا التكليف . قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء ، وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف . ثم ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض و ليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء عن وجهه إلا لحجة .

ثم قال : على أنه ليس من سنة النبي ﷺ دعاء أطفال المشركين إلى الاسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم .

وفيه : (ج ١٣ ص ٢٤٠) قال : « فلو لا أنه أسلم إسلام عارف عالم مميز لماضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما ! وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثاباً عليه ولا معاقباً به لو تركه ، ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو ﷺ به على رؤوس الأشهاد ولاخطب على المنبر وهو بين عدو ومحارب و خاذل منافق فقال : أنا عبدالله وأخو رسوله و أنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل ايمانه ! فهل بلغكم أن أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلاً أسلمت على تربية محمد ﷺ ذلك وتلقينه

إِيَّاكَ ، كما يعلم الطفل الفارسيّة والتركية منذ يكون رضيعاً ! فلا فخر له في تعلم ذلك ، وخصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهران ، وقد اعتورته الأعداء و هجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد و سارع في الضلال أبو تراب
معاوية الامام و أنت منها على و تح بمنقطع السراب
وقال فيه أيضاً بعض الخوارج :

دسنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاء إذا ما جاء نفساً كتابها
أباحسن خذها على الرأس ضربة بكف كريم بعد موت ثوابها
وقال عمران بن حطان يمدح قاتله :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أو في البرية عند الله ميزانا
فلو وجد هؤلاء سبيلاً إلى دحض حجة فيما كان يفتخر به من تقدّم إسلامه
لبدؤا بذلك و تركوا ما لا معنى له .

و قد أوردنا ما مدحه الشعراء به سبقه إلى الاسلام ، فكيف لم يردّ على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه ، و لقد قال في أمّهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكره بذلك و عابوه فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به ممّا لا فخر فيه عندهم ، و عابوه بقوله في أمّهات الأولاد .

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٤٤) قال : « وقد روى الناس كافّة إفتخار عليّ عليه السلام بالسبق إلى الاسلام ، و أنّ النبي ﷺ استنّبى يوم الاثنين و أسلم عليّ يوم الثلاثاء ، و أنّه كان يقول: صلّيت قبل الناس سبع سنين ، و أنّه ما زال يقول : أنا أوّل من أسلم و يفتخر بذلك ، و يفتخر له به أولياؤه و مادحوه و شيعته في عصره و بعد وفاته ، و الأمر في ذلك أشهر من كل شهر و قد قدّمنا منه طرفاً ، و ما علمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخفّ بإسلام عليّ عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنّه

أسلم إسلام حدث غريب وطفل صغير .

ثم قال : « وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية أن رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام وكلفه التصديق !

وقد روى في الخبر الصحيح : أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام ، و انتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بني عبدالمطلب ، فصنع له الطعام و دعاهم له ، فخرجوا ذلك اليوم ، ولم ينذروهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها عمه أبولهب ، فكلفه في اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام ، وأن يدعوهم ثانية ، فصنعه و دعاهم فأكلوا ثم كلمهم ﷺ فدعاهم إلى الدين ، و دعاه معهم لأنه من بني عبدالمطلب ، ثم ضمن لمن يوازره منهم ، و ينصره على قوله ، أن يجعله أخاه في الدين ، ووصيته بعد موته ، و خليفته من بعده فأمسكوا كلهم وأجابوه وحده ، وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأؤازرك وأبايعك فقال لهم لما رآى منهم الخذلان ، ومنه النصر وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعابن منهم الإباء ومنه الإجابة :

هذا أخي و وصيي و خليفتي من بعدي فقاموا يسخرون و يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك ، فهل يكلف عمل الطعام و دعاء القوم صغير مميّز و غرّ غير عاقل ! وهل يؤتمن على سرّ النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب ! وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ، ويعطيه صفقة يمينه ، بالاخوة والوصية والخلافة إلا و هو أهل لذلك ، بالغ حدّ التكليف ، محتمل لولاية الله و عداوة أعدائه ! و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ، و لم يلصق بأشكاله ، و لم يرمع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه ، و هو كأحدهم في طبقته كبعضهم في معرفته ! وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته ، فيقال : دعاه داعي الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحملته الغربة ، والحدائث على حضور لهوهم والدخول في حالهم ،

بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه ، مصمماً في أمره ، محققاً لقوله بفعله ، قد صدق إسلامه بعفافه وزهده ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته ، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته ، وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابراً على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة ، وقد ذكر هو ﷺ في كلامه وخطبه بدء حاله ، وإفتتاح أمره ، حيث أسلم لما دعا رسول الله ﷺ الشجرة ، فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش : ساحر خفيف السحر ! فقال علي ﷺ : يا رسول الله ﷺ أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله ، تصديقاً لنبيوتك ، وبرهاناً على صحة دعوتك .

فهل يكون إيمان قطّ أصحّ من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرّة ! ولكن حنق العثمانية وغيظهم ، وعصبية الجاحظ وإنحرافه مما لاحيلة فيه ، ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانباً ليعلم نعمة الله على علي ﷺ بالإسلام حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فانه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها لما كان إلا كبعض أقارب محمد ﷺ وأهله ، فقد كان ممازجاً له كتمازجته ، ومخالطاً له كمخالطة كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلاً ، فان جعفرأ ﷺ كان ملتصقاً به ، ولم يسلم حينئذ وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمته وصهره زوج ابنته ولم يصدقّه ، بل كان شديداً عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ، ولم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ، ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة وكافله وناصره ، والمحامى عنه ، ومن لولاه لم تقم له قائمة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات ، وكان العباس عمته وصنو أبيه ، وكالقرين له في الولادة والمنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل ، وكان أبو لهب عمته وكدمه ولحمه ولم يسلم وكان شديداً عليه .

فكيف ينسب إسلام علي ﷺ إلى الإلف والتربية والقراية واللحمة والتلقين

والحضانة ، والدار الجامعة ، وطول العشرة والانس والخلوة ! وقد كان كل ذلك حاصلًا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر و سبق بالاسلام وجاء سكيئاً وقد فاز بالمنزلة غيره . وهل يدل تأمل حال علي عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم لأنه شاهد الأعلام ، ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة إلا فيما يتعلق بامور الآخرة .

وفيه : (ج ١٣ ص ٢٤٩) قال : « والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو فليجأ إلى ماظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية فقهر شهوته ، وغالب خواطره وخرج من عادته ، وما كان غدي به لصحة نظره و لطافة فكره ، وغامض فهمه فعظم إستنباطه و رجح فضله و شرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ، ولا تنعم فيها بنعيم حدثاً ولا كبيراً ، وحمى نفسه عن الهوى وكسر شريرة حدائته بالتقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، وأشغل هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فاسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكاً ولمنهاجهم متبوعاً .

وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام فان أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ و درج و عقل قال لامه : من ربّي ؟ قالت : أبوك ، قال : فمن ربّ أبي ؟ فزبرته ونهرته إلى أن طلع من شقّ السرب فرآى كوكباً فقال : هذا ربّي ، فلما أفل قال : لا احبّ الآفلين ، فلما رآى القمر بازغاً قال : هذا ربّي ، فلما أفل قال : لأن لم يهديني ربّي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رآى الشمس بازعة قال : هذا ربّي هذا أكبر فلما أفلت

قال: يا قوم إنني بريء مما تشركون إنني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين .

وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر عليه السلام نقول : إنه كان مساوياً له - لأبي بكر - في الفضيلة ولكن كان مقتدياً بطريقه على ما قاله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » إنتهى كلامه .

ثم قال ما لفظه : « وحسبك جهلاً من معاند لم يستطع حط قدر علي عليه السلام إلا بحطه من قدر رسول الله ﷺ » .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الهيثم بن التيهان قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجسام بألفى عام ، وعلقها بالعرش وأمرها بالتسليم علي والطاعة لي ، وكان أول من سلم علي وأطاعني من الرجال روح علي بن أبي طالب عليه السلام .

أقول : ومن هذه الرواية يستفيد المتدبر الخبير حكمة سبق الامام علي عليه السلام في الايمان على الناس في هذه الحياة الدنيا ، فتدبر جيداً واغتنم جيداً .

وفي روضة الكافي : باسناده عن سعيد بن المسيب قال : سألت علي بن الحسين عليه السلام : إنكم كنتم علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم ؟ فقال : أو كان كافراً قط ، إنما كان لعلي حيث بعث الله عز وجل رسوله ﷺ عشر سنين ، ولم يكن يومئذ كافراً ، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ وسبق الناس كلهم إلى الايمان بالله وبرسوله ﷺ وإلى الصلاة بثلاث سنين . . . الحديث .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة - : « أنا وضعت في الصغر بكلا كل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة

الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني به وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالافتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة ، وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة .

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت : يا رسول الله ماهذه الرنة ؟ فقال : « هذا الشيطان قد أيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلا أنك لست بنبي » ، ولكنك لوزير وإنك لعلي خير ، ولقد كنت معه ﷺ لما أتاه الملأ من فريش ، فقالوا له : يا محمد إنك قد أدعيت عظيمًا لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسئلك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأرقتناه علمنا أنك نبي ورسول ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب ، فقال ﷺ : وما تسألون ؟ قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال ﷺ : إن الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله لكم ذلك ، أتؤمنون وتشهدون بالحق ؟

قالوا : نعم قال : فأنني سأريكم ما تطلبون ، وإنني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير وإن فيكم من يطرح في القليب ، ومن يحزب الأحزاب ، ثم قال ﷺ : يا أيتها الشجرة ! إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بآذن الله ، فوالذي بيده بعثه بالحق لانقلعت بعروقها ، وجاءت ولها دوي شديد ، وقصف كقصف أجنحة الطير ، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة ، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ و

بعض أغصانها على منكبي ، و كنت عن يمينه ﷺ فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا - علواً وإستكباراً - : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشده دويّاً ، فكادت تلتف برسول الله ﷺ فقالوا - كفرأ وعتواً - : فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره ﷺ فرجع فقلت أنا :

لإله إلا الله ، إني أدل مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوته ، وإجلالاً لكلمتك فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب ، عجيب السحر خفيف فيه ، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا ! (يعنوني) و إني لمن قوم لاتأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصديقين ، و كلامهم كلام الأبرار ، عمار الليل و منار النهار متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله و سنن رسوله ، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغفلون ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل .

قوله ﷺ : « بكلا كل العرب » الكلا كل : الصدور عبث بها عن الأكابر و « نواجم قرون ربيعة » النواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة يريد بها أشرف القبائل ، و « عرفه » - بالفتح - : رائحته الذكيّة ، و « خطلة » الخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية ، و « الفصيل » : ولد الناقة ، و « علماً » - بالفتح - : فضلاً ظاهراً ، و « تفيئون » : ترجعون ، و « القلب » : البشر والمراد منه قلب بدر ، و « قصف » القصف : الصوت الشديد ، و « عمار الليل » : جمع عامر أي يعمر و الليل بالسهر للفكر والعبادة ، و « يغفلون » : يخونون .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الأعمش عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ عن أبيه عن آبائه ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ وعليه خميصة قد اشتمل بها فقيل : يا رسول الله من كساك هذه الخميصة ؟ فقال : كساني جبري و صفي و خاصتي و خالصتي والمؤدّي عني ، و وصيي و وارثي و أخي ، و أول

المؤمنين إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأسمح الناس كفّاً ، سيد الناس بعدي قائد الغر
المحجلين إمام أهل الأرض عليّ بن أبي طالب ، فلم يزل يبكي حتى ابتلّ الحصى من
دموعه شوقاً إليه .

وفي الزيارة المخصوصة بأمر المؤمنين عليّ عليه السلام - : « اللهم فكما لم يؤثر
في طاعتك شكاً على يقين و لم يشرك بك طرفة عين صلّ عليه صلاة زاكية نامية
يلحق بها درجة النبوة في جنتك ، وبلغه منّا تحية وسلاماً ، وآتنا من لدنك في
موالاته فضلاً وإحساناً ومغفرة و رضواناً إنك ذو الفضل الجسيم برحمتك يا أرحم
الراحمين » .

وفي دعاء الندبة : - : « والایمان مخالط لحمك ودمك كماخالط لحني
و دمي » الدعاء .

وفي زيارة الجامعة - : « بأبي أنت و أمي يا حجة الله لقد ارضعت بشدي
الایمان وفطمت بنور الاسلام ، وغذيت ببرد اليقين و البست حلل العصمة ... »
الزيارة .



آمن الامام علي عليه السلام وقد كان هو علي فطرة التوحيد وسنه يومئذ وأسلم أبو بكر وقد كان عابداً للصنم

وقد اختلفت الروايات والكلمات في سنّ مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أظهر إيمانه بالله جلّ وعلا ورسوله ﷺ وما جاء به بين الناس إختلافاً كثيراً حتى إنتهت إلى إثني عشر قولاً كالتالي:

١- أن علياً عليه السلام وهو ابن خمس سنين:

قال الزرندي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء) ما لفظه: «روى عن علي رضي الله عنه أسلم وهو ابن خمس سنين وقيل: ابن عشر سنين وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربعة عشرة، وقيل: ابن خمس عشر سنة، ثم قال: والله أعلم، والصحيح أنه أسلم قبل البلوغ كما ورد في شعره حين فاخر معاوية فقال:

سبقتمكم إلى الاسلام طرّاً
غلاماً ما بلغت أدان حلمي

وقال عمر الغزنوي في كتابه: (الغرة المنيفة ص ١٢٦ ط القاهرة) بعد ما ذكر شعره ما لفظه: فلولم يكن إيمانه صحيحاً لما افتخر به النبي ﷺ وقال أيضاً ما لفظه: «روى الخلال وهو ابن عشر سنين وقد صحّ النبي إسلامه وافتخر علي رضي الله عنه بذلك وتمدح به حيث قال الشعر.

٢- أنه عليه السلام آمن وهو ابن سبع سنين:

قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٣٤ ط السعادة بمصر) ما لفظه:

أسلم علي وهو ابن سبع سنين

رواه الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء) والشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (بنابيع المودة ص ١٥٧ ط مطبعة العرفان بيروت) ٣- أنه عليه السلام وهو ابن ثمان سنين.

روى الحافظ البيهقي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدرآباد الدكن) بإسناده عن عروة قال: أسلم علي رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين. رواه جماعة:

منهم: الحافظ ابن عبد البر في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن) والصفوري في (نزهة المجالس) والخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤ ط تبريز) وابن الأثير الجزوري في (إسد الغابة ج ٤ ص ١٨ ط مصر سنة ١٢٨٥)

وفي شرح ابن أبي الحديد: (ج ٤ ص ١٢٠ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩هـ) ما لفظه: قال أبو عمر - صاحب كتاب الإستيعاب -: «وإنما الاختلاف في كمية سنه عليه السلام، ذكر الحسن ابن علي الحلواني في كتاب «المعرفة» له قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا الليث بن سعد عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن أنه بلغه أن علياً والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين كذا يقول أبو الأسود يقيم عروة، وذكره أيضاً ابن أبي خيثمة عن قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عن أبي الأسود وذكره معمر بن شبة عن الحرامي عن أبي وهب، عن الليث، عن أبي الأسود، قال الليث: وهاجرا وهما ابنا ثمان عشرة سنة.

قال أبو عمر: ولا أعلم أحداً قال بقول أبي الأسود هذا.

٤- أنه عليه السلام وهو ابن تسع سنين:

روى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٤١ ط مصر) بإسناده عن عبد الرحمن بن زرارة قال: أسلم علي وهو ابن تسع سنين. وعن الحسن بن زيد: ولم يعبد الأوثان قط. رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: ابن كثير في (البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٥ ط السعادة بمصر) والحافظ
 ابن قتيبة الدينوري في (المعارف ص ٥٦ ط مطبعة الشرفية بمصر) وأبو الفداء في
 (المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١١٥ ط مصر) وفيه ما لفظه: ذكر صاحب السيرة
 وكثير من أهل العلم: أن أول الناس إسلاماً بعدها - خديجة - علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه، وعمره تسع سنين. وقيل: عشر سنين وقيل: إحدى عشر سنة وكان في
 حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. ومن شعر علي عليه السلام ذكره الشعر.

٥- أنه عليه السلام وله عشر سنين:

قال محمد بن محمد مخلوف المالكي في (الطبقات المالكية ج ٢ ص ٧١ ط القاهرة)
 ما لفظه: ولد علي قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وأسلم وهو ابن عشر سنين
 على الراجح.

وقال المورخ ابن هشام في (السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤٥ ط مصطفى الحلبي
 بمصر): قال ابن إسحق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى
 معه وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضوان الله
 وسلامه عليه وهو يومئذ ابن عشر سنين.

وروى ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢١ ط الصادر بمصر) بأسناده
 عن مجاهد قال: أول من صلى علي وهو ابن عشر سنين.

رواه الحاكم النيسابوري في (المستدرک ج ٣ ص ١١١ ط حيدرآباد الدكن)
 عن محمد بن إسحق، والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٠٦ ط حيدرآباد) وابن
 عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد)

وفي شرح الحديد: (ج ٤ ص ١٢١ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩هـ)
 ما لفظه: قال أبو عمر: قال ابن إسحق: أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام
 وهو يومئذ ابن عشر سنين. قال أبو عمر: والروايات في مبلغ سنه عليه السلام مختلفة: قيل:
 أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل: ابن خمس عشرة

سنة، وقيل: ابن ست عشرة سنة، وقيل: ابن عشر وقيل: ابن ثمان.

٦- أنه عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة:

روى البيهقي في (السنن الكبرى ص ٦ ص ٢٠٦ ط حيدرآباد الدكن) عن شريك قال: أسلم عليّ وهو إحدى عشرة سنة.

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبين ص ٢٦ ط القاهرة) ما لفظه: كانت سنّهُ يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصح ما ورد من الأخبار في إسلامه.

ومنهم: القاضي عبدالرحمن الحنبلي في (الانس الجليل ص ١٥٩ ط الوهبة بالقاهرة) ما لفظه: وأسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان عمره إحدى عشر سنة ثم أسلم زيد بن حارثة ثم أسلم أبو بكر.

ومنهم: البلاذري في (أنساب الأشراف)

وفي شرح الحديد: (ج ١٣ ص ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) ما لفظه: القسم الثالث: الذين قالوا: أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة رواه إسماعيل بن عبدالله الرقي عن محمد بن عمر عن عبدالله بن سمعان عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن محمد بن عليّ عليه السلام: أن عليّاً حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة. وروى عبدالله بن زياد المدني عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: أوّل من آمن بالله عليّ بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربعة وعشرين سنة.

٧- أنه عليه السلام وهو ابن اثنى عشرة سنة:

روى ابن عبدالبرّ الاندلسي في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد)

ما لفظه: وقيل: كان عليّ حين أسلم ابن اثنى عشرة.

رواه شهاب الدين في (نهاية الأرب ج ٨ ص ١٨١ ط القاهرة)

٨- أنه عليه السلام آمن وله ثلاث عشرة سنة:

روى ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد) باسناده عن ابن عمر قال: أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ثم قال: قال أبو عمر: هذا أصح ما قيل في ذلك.
رواه جماعة:

منهم: محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٦ ط مكتبة الخانجي بمصر) وابن الأثير الحلبي الشافعي في (احكام الاحكام ج ١ ص ١٩٠ ط القاهرة) وفي شرح الحديد (ج ٤ ص ١٢٢ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩ هـ) ما لفظه: قال أبو عمر: وروى أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا شريح بن النعمان قال: حدثنا الفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر قال: أسلم علي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.
قال أبو عمر: هذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم.
٩- أنه ﷺ آمن وهو ابن أربع عشرة سنة:

روى أبو هلال العسكري في (الأدائل ص ٦٣) عن نصر قال: أسلم علي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت له ذوابة.

وفي شرح الحديد (ج ١٣ ص ٢٣٤) ما لفظه: القسم الثاني: الذين قالوا: إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة، رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال: كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلي من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي ﷺ ليلاً ونهاراً، وقرش يومئذ تسافه رسول الله ﷺ ما يذب عنه إلا علي ﷺ وروى ابن أبي شيبه عن جرير بن عبد الحميد قال: أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة.

١٠- أنه ﷺ أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة:

روى أحمد بن حنبل في (المناقب) باسناده عن الحسن وغيره: أن علياً أوّل

من أسلم بعد خديجة وهو يومئذ ابن خمس عشر سنة أوست عشرة سنة.
رواه جماعة منهم:

ابن عبد ربّه الاندلسي في (عقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤ ط الشرفية بمصر) مالفظه:
قال أبو الحسن: أسلم عليّ وهو ابن خمس عشرة سنة وهو أوّل من شهد أن لا إله إلا الله
وأنّ محمداً رسول الله.

و ابن عبد البرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد)
والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدرآباد الدكن)

وفي شرح ابن أبي الحديد: (ج ١٣ ص ٢٣٤) مالفظه: القسم الأوّل: الذين
قالوا: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة حدّثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحق
بن بشر القرشي عن الأوزاعي عن زمرة بن حبيب عن شداد بن أوس، قال: سألت
خبّاب بن الأرت عن إسلام عليّ فقال: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، ولقد رأيته
يصلّي قبل الناس مع النبي ﷺ وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ. وروى عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة عن الحسن: أن أوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة.
وفيه: (ج ٤ ص ١٢٠) قال أبو عمر - صاحب كتاب الاستيعاب -: وروى الحسن
بن عليّ الحلواني قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: حدّثنا معمر عن قتادة عن الحسن
قال: أسلم عليّ وهو ابن ست عشرة سنة.

١١- أنه ﷺ أسلم وهو ابن ست عشرة سنة:

في شرح النهج: (ج ٤ ص ١٢١) عن الحسن قال: أسلم عليّ وهو أوّل من أسلم
وهو ابن خمس عشرة سنة أوست عشرة سنة.

١٢- أنه ﷺ أسلم وهو ابن عشرين سنة إلا ثلاثة أشهر:

روى أبو الحسن الشيباني في (انباه الرواة ج ١ ص ١١ ط القاهرة) عن ابن
إسحق قال: ثم كان أوّل من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشرين
سنة إلا ثلاثة أشهر.

رواه شهاب الدين في (نهاية الارب ج ٨ ص ١٨١ ط القاهرة)

أقول: أن أصح ما ورد من الأخبار في إيمانه عليه السلام وأشهر الأقوال وأصوبها هو السادس فأظهر إيمانه وله إحدى عشرة سنة وقد كان هو عليه السلام على فطرة التوحيد وتابعاً للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعبد لصنم ولم يشرك بالله سبحانه وثناً طرفه عين أبداً.

وأما إسلام أبي بكر فقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة: أنه كان بعد عدة من الرجال ... لا يسع مقام الاختصار بذكر جميعها فنشير إلى قليل من الكثير:

١- في (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٥) باسناد صحيح - رجاله ثقات عندهم - عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أو لكم إسلاماً؟ فقال: لا ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً.

٢- في (النقض على الثمانية لأبي جعفر الاسكافي المعتزلي المتوفى ٢٤٠) ما لفظه: «إن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال منهم: علي بن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبوذر الفاري، وعمر بن عتبة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الأرت، وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً عليه السلام أوّل من أسلم»

٣- في (شرح نهج البلاغة): عن محمد بن إسحق قال: أوّل ذكر آمن وصدق بالنبوة علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشرين، ثم أسلم زيد بن حارثة.

أقول: كيف أسلم أبو بكر في أوّل البعثة وقد وقع يوم الانذار - وأنذر عشيرته الأقرين - بعد ثلاث سنين من البعثة، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته وخليفته من بعده ولم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً.

٤- قال ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٦٢٦ ط حيدرآباد الدكن) في باب الباء ما لفظه: أبو بكر الصديق هو عبدالله بن أبي قحافة - إلى أن قال - :

روى حبيب ابن شهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم : أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: من أكبر أنا أو أنت ؟ فقال : بل أنت أكبر وأكرم وخير مني، وأنا أسن منك ... الخ
ولاريب أن النبي ﷺ قد بعث بتبليغ الديانة المقدسة وعمره قد بلغ أربعين عاماً وكان إسلام أبي بكر بعد سنين مضافاً إلى ما أفاده قده من عبادة أبي بكر الأصنام أزيد من أربعين سنة. إنتهى كلامه.



* شبّهات واهية و دفع قاطع *

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك » .
أقول: وهذا هو المراد بما تقول العامة عند ذكر اسم الإمام علي عليه السلام :
 « كرم الله وجهه » .

وفي تفسير روح البيان : قال الحقي في قوله تعالى : « فاستقم كما امرت ومن تاب معك » (هود : ١١٢) ما لفظه : « لعل التوبة في مثل هذا المقام هي : الرجوع عن الحالة الاولى ومفارقتها ، سواء صدر فيها الكفر كسجود الصنم وغيره وهو حال أكثر المؤمنين ، أو لم يصدر وهو حال الأقلين ، ومنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »
 وقد صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم شهد بأن علياً عليه السلام لم يكفر بالله قط طرفة عين .
أقول: ومع ذلك فقد أعمى المعاندون الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، إذا استشكل بعض المشككين منهم في صحة إيمان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قبل بلوغه كالبحاظ والفخر الرازي وأذنا بهما المبتورة عداوة ونفاقاً...
 ونحن لن نتعجب من تلك الشكوك والشبهات الواهية ، ولكن العجب عن بعض الجهلة السفلة الذين يدعون الولاية لأنفسهم وقد تقوّلوا بأن الإمام علي بن أبي طالب لم يؤمن بما دعاه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إليه يوم بعثته فمكث علي عليه السلام

ليلاً بدون إيمان ليتفكر فيما يدعوه إليه أهو حق أم باطل؟ فلماذا تفكر فيه وجده حقاً، فأمن به غداً .

متى كفر علي بن أبي طالب عليه السلام حتى يؤمن! متى عبد لغير الله تعالى حتى يعبد به وحده بعد الدعوة! ومتى شك في الدعوة المحمدية ﷺ حتى تفكر فيها ليستيقن! وقد كانت حقيقة كلامه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» عجيباً مع وجوده، ومن غير مرأى: أنه لم يرد خبر ولا أثر أن رسول الله ﷺ دعا علياً عليه السلام إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد أبداً لأن علياً عليه السلام كان مسلماً على فطرة الله جل وعلا، لم تصبه الجاهلية بأضرارها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها وكل الذي كان: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قد أطلعه النبي الكريم ﷺ - بعد أن تلقى ﷺ بيان التكليف الإلهي بحمل الرسالة وعوده إلى بيته - على أمر دعوته ومنهج رسالته فاستقبله ﷺ علي عليه السلام بالتصديق وأعلن يقينه برسالته ﷺ الخاتمة، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد... ولهذا يقال أيضاً: «كرم الله وجهه» .

فان علي بن أبي طالب عليه السلام كان مؤهلاً بتمام وجوده لاتباع رسول الله ﷺ في دعوته، مع أن رسول الله ﷺ كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبنانها الأساسية، فلم يفاجأ الإمام علي عليه السلام بأمر الدعوة المباركة، طالماً عاش في كنف النبي الكريم ﷺ ونفياً ظلاله، ومن البين الضرورة: أن محمد رسول الله ﷺ كان يعبد ربه جل وعلا، وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته... قبل أن ينزل عليه ﷺ وحي السماء بأول سورة من القرآن الكريم .

وقد كان علي عليه السلام مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله ﷺ وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية، وكان يتعبد معه، وينهج نهجه ويسلك سبيله في تلك السن المبكرة من عمره فلما أطلعه ﷺ رسول الله ﷺ بأمر الدعوة

الالهية لبى علي عليه السلام ندائه بروحه ووعيه و كل جوارحه دون أن يباغت في الأمر فقد كان علي عليه السلام مؤمناً جنيئاً ورضيعاً وفطيماً وبافعاً وغلماً وكهلاً وخليفة وأماً دفع شبهة المعاندين - لا يصح الإيمان من غير بالغ - من المشككين فبوجوه :
منها: أن من البداهة أن درجة النبوة أعلى من مرتبة الإيمان بها ، فإذا جاز نبوة الصبي كانت صحة إيمانه أجوز ، وقد قال الله عز وجل في نبوة يحيى عليه السلام : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » مريم : (١٢) .

و قال في عيسى بن مريم عليه السلام : « قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إنا نبينا آتاني الكتاب وجعلني نبياً » مريم : (٢٩ - ٣٠) .

وقال في شأن يوسف عليه السلام في حال صباه عند إلقائه في غياث الحب : « وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » يوسف عليه السلام : (١٥) .

وقال في سليمان بن داود عليه السلام : « ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ، الأنبياء : (٧٩) .

وقد صرح في كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير : أن عمر سليمان عليه السلام كان عند ما جعل نبياً إحدى عشرة سنة ، وإذا جاز أن يكون الصبي صاحب النبوة والوحي جاز أن يكون صاحب الإيمان بطريق أولى .

ومنها : ان المراد من إسلام الامام علي عليه السلام وإيمانه وأوليته فيهما وسبقه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام هو المعنى المراد من قوله جل وعلا في إبراهيم الخليل عليه السلام : « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » البقرة : (١٣١) .

وفي موسى عليه السلام : « قال سبحانه ثبت اليك وأنا أول المؤمنين » الأعراف : (١٤٣) .

وقال في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « آ من الرسول بما أنزل إليه من ربه » البقرة : (٢٨٥) .

وقال فيه صلى الله عليه وآله وسلم : « قل إني امرت أن أكون أول من أسلم - لاشريك له

وبذلك امرت وأنا أول المسلمين » الأنعام : (١٤ و ١٦٣) .

* الامام علي عليه السلام وامتحان قلبه بالايمان *

قال الله عز وجل: «اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» الحجرات: (٣) وقد أورد في ذلك جم غفير وجمع كثير من أعلام العامة ، وحملة آثارهم في ما أخذهم وأسفارهم المعتبرة عندهم بطرق عديدة باسانيد صحيحة نشير إلى ما يسعه المقام:

١- روى الحافظ محمد بن عيسى الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٦٦ ط الصاوي بمصر) باسناده عن ربيع بن حراش: حدثنا علي بن أيطالب بالرحبة قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وانا ناس من رؤساء المشركين ، فقالوا: خرج إليك ناس من أبناءنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين ، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا ، فقال النبي ﷺ: يا معشر قريش لتنتهن أو ليعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الايمان قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال له أبوبكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل ، وكان اعطى علياً نعله يخصفها ، قال: ثم إلتفت إلينا علي فقال: إن رسول الله ﷺ قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

رواه جماعة من أعظمهم:

١- الحافظ أبو عبد الله الحميدي الاندلسي في (الجمع بين الصحيحين).

- ٢- الحافظ أبو الحسن العبدري الاندلسي في (الجمع بين الصحاح).
- ٣- ابن الأثير في (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ ط مصر سنة: ١٢٨٥هـ).
- ٤- سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص ص ٤٥ ط الغرى).
- ٥- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٧٦ ط مكتبة القدسي بمصر).
- ٦- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢٢).
- ٧- الشيخ سليمان البلخي القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٥٩ و ٢٠٩ ط إسلامبول) وغيرهم تركناهم للاختصار.
- ٢- روى النسائي في (الخصائص ص ١٠ ط التقدّم بمصر) بإسناده عن ربي عن عليّ قال: جاء النبي ﷺ أناس من قريش، فقالوا: يا محمد أنا جيرانك وحلفاءك، وإن من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه، إنما فرّوا من ضياعنا وأموالنا، فارددهم إلينا، فقال لأبي بكر: ما تقول؟ فقال: صدقوا إنهم لجيرانك وحلفاءك، فتغيّر وجه النبي ﷺ ثم قال لعمر: ما تقول؟ قال: صدقوا إنهم لجيرانك وحلفاءك، فتغيّر وجه النبي ﷺ ثم قال: يا معشر قريش! والله يبعثن الله عليكم رجلاً منكم إمتحن الله قلبه للإيمان، فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله ﷺ؟ قال: لا قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكن ذلك الذي يخصف النعل، وقد كان اعطى عليّاً نعلًا يخصف.
- رواه سنداً ومتمناً جماعة من أعلامهم:
- ١- البيهقي البغدادي في (المحاسن والمساوي ص ٤١ ط بيروت).
- ٢- المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٣٨ ط الميمنية بمصر).
- ٣- الشيخ عبيد الله الحنفي الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٤٧٩ ط لاهور) وغيرهم.

٣- روى الحاكم النيسابوري الشافعي في (المستدرک ج ٢ ص ١٣٧ ط حيدرآباد الدکن) بإسناده عن ربعي بن حراش عن علي رضي الله عنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة أتاه ناس من قريش، فقالوا: يا محمد إننا حلفائك وقومك، وأنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام، وإنما فرّوا من العمل، فارددهم علينا، فشاؤنا أبابكر في أمرهم، فقال: صدقوا يا رسول الله فقال لعمر: ماترى؟ فقال: مثل قول أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش لبيعثن عليكم رجلاً منكم إمتحن الله قلبه للإيمان، فيضرب رقابكم على الدين، فقال أبوبكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه خاف النعل في المسجد، وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها، ثم قال: أما انتي سمعته يقول لا تكذبوا علي، فأنه من يكذب علي يبلج النار.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

رواه جماعة:

منهم: القاضي أبو الطحasin يوسف بن موسى الحنفي في (المعتصر من المختصر) للقاضي ابن الوليد الباجي المالكي (ج ١ ص ٢٢٠ ط حيدرآباد الدکن).

ومنهم: الذهبي في (تلخيص المستدرک ج ٢ ص ٣٧ المطبوع بهامش المسند ط حيدرآباد الدکن) وغيرهم ممن تركنا ذكرهم للاختصار.

٤- روى اليعقوبي في (تاريخه ج ٢ ص ١٠٧) وابن أبي الحديد في (شرح

نهج البلاغة ج ٣ ص ١٤) وغيرهما:

صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرفاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: إنني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمتم فاتبعوني وإن زغت فقوموني لا أقول: إنني أفضلكم فضلاً ولكنني أفضلكم حملاً، و أثنى على الأنصار خيراً وقال: أنا وإياكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فوليت

أبوا أن يملكونا ولو أن آمنّا تلاقى الذي يلقون منا لملت
فاعترلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش واحفظها ذلك فتكلم خطباً وهاو
قدم عمرو بن العاص، فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار ففعل
ذلك فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار إلى علي فأخبره وأنشده شعراً قاله،
فخرج علي مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير ورد على عمرو بن العاص
قوله، فلما علمت الأنصار ذلك سرّها، وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول
علي، واجتمعت إلى حسان بن ثابت، فقالوا: أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير
قوافيه فضحني فقالوا: فازكر علياً فقط، فقال:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه	أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله	فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنّت رجال من قريش أعزّة	مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كل منزل	بمنزلة الطرف البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قال عمر وبخلة	أما بها التقوى وأحيى بها الإحسان
وكنت المرجى من لوى بن غالب	لما كان منه والذي بعد لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده	إليك ومن أدلى به منك ومن؟
ألسن أخاء في الهدى ووصيته	وأعلم فھر بالكتاب والسنن؟
فحقك ما دامت بنجد وشيعة	عظيم علينا ثم بعد على اليمن

وفي (شرح الحديد): فقال له خزيمه بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفيك عن
كل شيء فقال: الأشعار.

قوله: «فصدرك مشروح» إشارة إلى ما ورد في قوله عز وجل: «أفمن شرح
الله صدره للإسلام» (الزمر: ٢٢) فانّها نزلت في علي وحزمة رواه جماعة من أعلام
العامّة:

منهم: الواحدي النيسابوري في (أسباب النزول) وفي كتابه (الوسيط).

ومنهم: القاضي البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل ج ٤ ص ٩٦ ط مصطفى
تجد بمصر).

ومنهم: القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٤٧ ط القاهرة
سنة ١٣٥٧ هـ).

ومنهم: محب الدين الطبري في (رياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ ط مجد أمين
الخانجي) عن الحافظين: الواحدي وأبي الفرج، وفي (ذخائر العقبى ص ٨٨ ط مصر
سنة ١٣٥٦ هـ) وغيرهم.

وقوله: «وقلبك ممتحن» إشارة إلى ما ورد عن النبي الكريم ﷺ في
الامام علي عليه السلام «انه امتحن الله قلبه بالإيمان» وفي بعض المصادر: «على الإيمان» وفي
بعضها: «للإيمان».

رواه جماعة من حملة آثار العامة في أسفارهم:

- ١- النسائي في (خصائصه ص ١١).
- ٢- الترمذي في (صحيحه ج ٢ ص ٢٩٨).
- ٣- الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٣).
- ٤- البيهقي في (المحاسن والمساوي ج ١ ص ٢٩).
- ٥- محب الدين الطبري في (رياض النضرة ج ٢ ص ١٩١).
- ٦- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٧٦) وقال: أخرجه الترمذي
وصححه.

٧- الكنجي الشافعي في (الكفاية ص ٣٤) وقال: هذا حديث عال حسن صحيح.

٨- الحمويني في (فرائده).

٩- السيوطي الشافعي في (جمع الجوامع) بعدة طرق كما في (كنز العمال

ج ٦ ص ٣٩٣ و٣٩٤).

١٠- البدخشي في (نزل الأبرار ص ١١) وغيرهم.

وفي مناجات العارفين - كما في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي
 رضوان الله تعالى عليه -: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليه في
 حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم - إلى أن قال -: قد كشف
 الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة
 الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم...» المناجات.
 وفي أعمال حرم الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام: «اللهم صل
 على سيدي ومولاي كما عمل بطاعتك ونهى عن معصيتك وبالغ في رضوانك وأقبل
 على إيمانك غير قابل فيك عذراً سرّاً وعلانية...»



الامام علي هو المعيار لمعرفة أهل الايمان

ورجح ان ايمانه علي ايمان غيره

وقد وردت روايات كثيرة في المقام بأسانيد عديدة عن طريق الفريقين :

أما ما ورد عن طريق العامة فنشير إلى نبذة منها:

١- روي الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لولاك ما عرف المؤمنون بعدي».

رواه بعينه الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٥٤٤ ط لاهور) عن ابن

عباس .

٢- روي الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤٠ ط تبريز) بأسناده عن علي بن أبي طالب

- في حديث- قال النبي ﷺ: قال الله في ليلة المعراج: لولا علي لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي.

٣- روي القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٨٦ ط إسلامبول) عن علي بن أبي طالب

قال النبي ﷺ: بمحبتك يعرف الأبرار من الفجار ويميز بين المؤمنين والمنافقين والكفار .

٤- روي الديلمي في (الفردوس) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

أنا ميزان العلم وعلي كفتهاء والحسن والحسين خيوطه وفاطمة علاقته، والأئمة من بعدي عموده يوزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين.

رواه بعينه سنداً ومتمناً جماعة منهم:

١- الدامغانى في (الأربعين)

٢- الكشفى الترمذى الحنفى في (المناقب المرتضوية ص ٧٩ ط بمبئي)

٣- عبدالله الشافعى في (المناقب ص ١٩٧)

ثم زاد الأخير بعد ذكر الحديث: «فأما من ثقلت موازينه بحب أمير المؤمنين عليّ فهو في عيشة راضية و أما من خفت موازينه فأمه هاروة » لمن أنكر ولايته وإمامته.

٥- روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ١٠٧ ط الغرى) بإسناده

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : أنا ميزان العلم و عليّ كفتاه و الحسن و الحسين خيوطه و فاطمة علاقته و الأئمة من أمّتي و عموده يوزن فيه أعمال المحبّين و المبغضين لنا.

رواه بعينه سنداً و متنأ جماعة منهم:

١- السيوطى الشافعى في (ذيل اللئالى ص ٦٠ ط لکنهو)

٢- البدخشى في (مفتاح النجا ص ١٦)

٣- القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٣٦ و ٢٤٥ ط إسلامبول)

٤- الأمرتسرى الحنفى فى (أرجح المطالب ص ٣١٢ ط لاهور)

٦- روى الخطيب البغدادي فى (موضح أو هام الجمع و التفريق ج ٢ ص ٣٦٨ ط حيدرآباد)

باسناده عن خالد بن عرفة أنه قال- يوم قتل الحسين عليه السلام :- هذا ما سمعت من النّبى ﷺ يقول: إنكم تبتلون من بعدي فى أهلى.

٧- روى الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى فى (مناقب أمير المؤمنين)

باسناده عن رتبة بن مصقلة بن عبدالله عن أبيه عن جدّه قال: أتى عمر رجلاً، فسأله عن طلاق العبد فأنهى إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: يا أصلع كم طلاق العبد؟ فقال: بأصبعه هكذا فحرك السبابة و التى تليها، فالتفت إليها، فقال: إننتين فقال أحدهما : سبحان الله جنّاك و أنت أمير المؤمنين ، فسئلناك فجئت إلى رجل

والله ما علمك فقال : ويليك وتدرى من هذا ؟ هذا علي بن أبي طالب سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أن السموات والأرض وضعتا في كفة ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي .

وأخرج الحافظ الدارقطني وابن عساكر : أن رجلين أتيا عمر بن الخطاب و سألاه عن طلاق الأمة ، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال : أيها الأصلع ماترى في طلاق الأمة ؟ فرفع رأسه إليه ثم أومى إليه بالسبابة والوسطى ، فقال لهما عمر : تطليقتان فقال أحدهما : سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين ، فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل ، فسألته فرضيت منه أن أومى إليك ؟ فقال لهما : تدرين من هذا ؟ ! قالوا : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب أشهد على رسول الله ﷺ سمعته وهو يقول : إن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعتا في كفة ثم وضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي بن أبي طالب .

روى أخطب خوارزم في المناقب ص ٧٨ ط تبريز الحديث وكلام عمر بن الخطاب هكذا : « قال عمر ابن الخطاب : أشهد على رسول الله ﷺ سمعته وهو يقول : لو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعت في كفة ميزان ووضع إيمان علي بن أبي طالب في كفة ميزان لرجح إيمان علي » .

و في لفظ الزمخشري : جئناك وأنت الخليفة فسئلناك عن طلاق فجئت إلى رجل فسألته ، فوالله ما كلمتك ، فقال له عمر : ويليك أتدرى من هذا ؟ الحديث . رواه جماعة من أعظم العامة :

١- الكنجي الشافعي في (الكفاية ص ١٢٩) نقله عن الحافظين : الدارقطني وابن عساكر . ثم قال : هذا حسن ثابت .

٢- رواه الخوارزمي في (المناقب ص ٧٨) عن طريق الزمخشري .

٣- السيد علي الهمداني في (مودة القربي) .

٤ - محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ١ ص ٢٤٤) و (ج ٢ ص

٢٢٦ ط محمد أمين بمصر)

- ٥- الصفوري في (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٤٠) و (ص ٢٠٧ ط القاهرة)
- ٦- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٠٠)
- ٧- الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المترضوية ص ١١٨ ط بمبئي)
- ٨- الشيخ سليمان البلخي القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٥٤ ط إسلامبول)

٩- الشيخ عبدالقادر الشفشاري المصري في (سعد الشمس والأقمار ص ٢١١ ط التقديم العلمية بالقاهرة)

١٠- الأمرتري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٤٧٦ ط لاهور)

٨- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٧٠ ط القاهرة) قال عمر: يا علي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم.

٩- روى المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦) و (ج ٥ ص ٣٣) عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن السموات والأرض موضوعتان في كفة وإيمان علي في كفة لرجح إيمان علي.

رواه البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢٢) والمولوي القلندر الهندي الحنفي في (روضة الأزهر ص ١٠٠ ط حيدرآباد الدكن)

١٠- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٤ ط إسلامبول)

عن علي بن الحسين عليه السلام قال رسول الله ﷺ: لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفة ميزان، ووضع عملك يوم أحد على كفة أخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق، وإن الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين ورفع الحجب من السموات السبع وأشرقت إليك الجنة وما فيها وابتهج بفعلك رب العالمين، وإن الله تعالى يعرضك ذلك اليوم ما يغبط كل نبي ورسول وصديق وشهيد.

رواه ابن المغازلي الشافعي في (المناقب) وغير ذلك تركناه للاختصار .
وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ طَرِيقِ الشَّيْخَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْإِسْنِي عَشْرِيَّةِ الْحَقَّةِ فَنَشِيرُ إِلَى
نَبْذَةِ مَنَها:

فِي أُمَالِي الطُّوسِي: قَدْ سُرَّه بِإِسْنَادِهِ عَنْ دَعْبِلِ الْخَزَاعِي عَنِ الْإِمَامِ الثَّامِنِ
عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَى بْنِ أَبِيطَالِبٍ
مَحَنَةٌ لِلْعَالَمِ، بِهِ يُمَيِّزُ اللَّهُ الْمَنَافِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَفِيهِ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النَّبِيِّ
ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ! أَمَا أَنْتَ الْمُبْتَلَى بِكَ، أَمَا أَنْتَ الْهَادِي لِمَنْ أَتْبَعَكَ وَمَنْ خَالَفَ
طَرِيقَكَ فَقَدْ ضَلَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَفِي أُمَالِي الصَّدُوق: رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: يَا عَلِيُّ! أَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي، وَأَنْتَ
مَنْشَى كَشِيثٍ مِنْ آدَمَ وَكَسَامٍ مِنْ نُوحٍ، وَكَاسْمَعِيلَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَكِيُوشَعَ مِنْ مُوسَى،
وَكَشَمْعُونَ مِنْ عِيسَى، يَا عَلِيُّ! أَنْتَ وَصِيَّتِي وَوَارِثَتِي وَغَاسِلُ جَسَدِي وَأَنْتَ الَّذِي تَوَارِثَنِي
فِي حَفَرَتِي وَتُؤَدِّي دِينِي وَتَنْجِزُ عِدَاتِي، يَا عَلِيُّ! أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامُ الْمُسْلِمِينَ
وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَيَعْسُوبُ الْمُتَّقِينَ.

يَا عَلِيُّ! إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِي
مِنْ صُلْبِكَ، يَا عَلِيُّ! مِنْ أَحَبِّكَ وَوَالَاكَ أَحَبِّتَهُ وَوَالَيْتَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ وَعَادَاكَ أَبْغَضَتَهُ
وَعَادِيَّتَهُ لِأَنَّكَ مَنْشَى وَأَنَا مِنْكَ، يَا عَلِيُّ! إِنْ اللَّهُ طَهَّرَنَا وَاصْطَفَانَا لَمْ يَلْتَقِ لَنَا أَبْوَانٌ
عَلَى سَفَاحٍ قَطُّ مِنْ لَدُنِ آدَمَ، فَلَا يَحْبِسُنَا إِلَّا مَنْ طَابَتْ وَلَادَتُهُ يَا عَلِيُّ! أَبْشِرْ بِالسَّعَادَةِ
فَإِنَّكَ مَظْلُومٌ بَعْدِي وَمَقْتُولٌ! فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟
قَالَ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ، يَا عَلِيُّ؟ إِنَّكَ لَمْ تَضِلَّ وَلَنْ تَزِلَّ، وَلَوْلَاكَ لَمْ يَعْرِفْ حَزْبُ اللَّهِ بَعْدِي.
وَفِي تَفْسِيرِ الْفَرَاتِ الْكُوفِيِّ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ خَمْسُ آيَاتٍ:
«أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً - إِلَى قَوْلِهِ - إِنْ كُنْتُمْ

صادقين» النمل : ٦٠-٦٤) وعليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى جنب النبي ﷺ فانتقض إنتقاض العصفور قال: فقال له رسول الله ﷺ: مالك يا عليّ؟ قال: عجبت من جرأتهم على الله وحلم الله عنهم.

قال: فمسحه رسول الله ﷺ ثم قال: أبشر يا عليّ فإنه لا يحببك منافق ولا يبغضك مؤمن ولولاك أنت لم يعرف حزب الله وحزب رسوله.

وفي العيون: باسناده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليّ لولاك لما عرف المؤمنون بعدي.

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في وصف آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم: «هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم، عاد الحق في نصابه وإنزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لأعقل سماع ورواية، هم موضع سر رسول الله ﷺ وحماة أمره وأوعية علمه، وموئل حكمه وكهوف كتبه وحبال دينه وكرائم الايمان وكنوز الرحمن إن قالوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا هم كنوز الايمان ومعادن الاحسان، إن حكموا عدلوا وإن حاجوا خصموا هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، هم مصاييح الظلم، وينابيع الحكم، ومعادن العلم ومواطن الحلم، هم عيش الحلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، فهو بينهم صامت ناطق، وشاهد صادق».

وفي الزيارة المطلقة لأمر المؤمنين عليه السلام: «السلام على أبي الأئمة وخليل النبوة والمخصوص بالاخوة، السلام على يعسوب الايمان وميزان الأعمال ...»

وفيها: أيضاً -: «كنت كما قال رسول الله ﷺ قوياً في بذلك متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً في السماء - إلى - وقوى بك الايمان و ثبت بك الاسلام ...» الزيارة

وفي أعمال مسجد الكوفة: «السلام على الإمام الحكيم العدل، الصديق الأكبر،
 الفاروق بالقسط الذي فرق الله به بين الحق والباطل والكفر والإيمان والشركو
 والتوحيد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ...»
 وفي دعاء الندبة - : «و لولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي وكان
 بعده هدى من الضلال و نوراً من العمى ...» الدعاء .
 ومن أدعية الصباح : «آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بالجبث و
 الطاغوت، وبسر آل محمد وعلايتهم، وظاهرهم وباطنهم وأولهم وآخرهم».



﴿ غرر حكيم و درر كلم في فضل الايمان و حقيقته ﴾

كلمات قصار في المقام عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين
نشير إلى نبذة منها :

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام : « على الإمام أن يعلم أهل ولايته حدود الإسلام والايمن » .

٢- وقال عليه السلام أيضاً : « أصل الايمان حسن التسليم لأمر الله » .

٣- وقال عليه السلام أيضاً : « فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك » .

٤- وقال عليه السلام أيضاً : « ما آمن المؤمن حتى عقل » .

٥- وقال عليه السلام أيضاً : « لا يدرك الله جلّ جلاله العيون بمشاهدة العيان ،

لكن تدركه بحقائق الايمان » .

٦- وقال عليه السلام أيضاً : « لا إله إلا الله عزيمة الايمان وفاتحة الإحسان ، ومرضاة

الرحمن و مدحرة الشيطان » المدحرة : المطردة يقال : « الشيطان مدحور من رحمة الله » أي مطروده .

٧- و قال رسول الله ﷺ : « دعائم الايمان أربعة : الاولى : أن تعرف

ربك ، الثانية : أن تعرف ما صنع بك ، الثالثة : ما أراد منك ، الرابعة : أن تعرف

ما يخرجك من دينك » .

٨- و قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة : حتى يشهد أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، وحتى يؤمن بالبعث

بعد الموت ، وحتى يؤمن بالقدر .

- ٩- وقال الامام علي عليه السلام : « الايمان قول باللسان وعمل بالأركان » .
 ١٠- وقال عليه السلام أيضاً : « إن محل الايمان الجنان وسبيله الاذان » .
 ١١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الايمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان » .

- ١٢- وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « القلوب أربعة : صدر و قلب و فؤاد و لب فالصدر موضع الاسلام : « أقمن شرح الله صدره للاسلام » والقلب موضع الايمان : « اولئك كتب في قلوبهم الايمان » والفؤاد موضع المعرفة : « ما كذب الفؤاد ما رأى » واللب موضع الذكر : « وليذكروا اولوا الألباب » .
 ١٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الإسلام علانية والايمان في القلب » .
 ١٤- وقال الامام علي عليه السلام : « كسب الايمان لزوم الحق ونصح الخلق » .
 ١٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الايمان : إقرار باللسان ، ومعرفة بالقلب ، وعمل بالأركان » .

- ١٦- « كان يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته و كتابه ولقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر » .
 ١٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الايمان : عقد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان » .

- ١٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الايمان في عشرة : المعرفة ، والطاعة ، والعلم ، والعمل ، والورع ، والاجتهاد ، والصبر ، واليقين ، والرضا ، والتسليم ، فأياًها فقد بطل نظامه » .
 ١٩- وقال الامام علي عليه السلام : « الايمان أعلى غاية » .
 ٢٠- وقال عليه السلام أيضاً : « الايمان أفضل الأمانتين » .
 ٢١- وقال عليه السلام أيضاً : « حسن العفاف والرضا بالكفاف من دعائم الايمان » .
 ٢٢- وقال عليه السلام أيضاً : « خشية الله جناح الايمان » .

- ٢٣- وقال ﷺ أيضاً : « غاية الدين الايمان » .
- ٢٤- وقال ﷺ أيضاً : « غاية الايمان الموالاة والمعاداة في الله والتبازل في الله والتوكل على الله سبحانه » .
- ٢٥- وقال ﷺ أيضاً : « ما من شيء يحصل به الآمال أبلغ من ايمان وإحسان » .
- ٢٦- وقال ﷺ أيضاً : « ملاك النجاة لزوم الايمان وصدق الايقان » .
- ٢٧- وقال ﷺ أيضاً : « لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يده الله أوثق بما في يده » .
- ٢٨- وقال ﷺ أيضاً : « يستدل على ايمان الرجل بالتسليم ولزوم الطاعة » .
- ٢٩- وقال رسول الله ﷺ : « خصلتان ليس فوقهما من البر شيء : الايمان بالله والنفع لعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء : الشرك بالله والضرر لعباد الله » .
- ٣٠- وقال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » .
- ٣١- وقال الامام علي عليه السلام : « أجدر الأشياء بصدق الايمان الرضا والتسليم » .
- ٣٢- وقال ﷺ أيضاً : « الايمان أربعة أركان : الرضا بقضاء الله ، والتوكل على الله ، وتفويض الأمر إلى الله ، والتسليم لأمر الله » .
- ٣٣- وقال رسول الله ﷺ : « الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن » .
- ٣٤- وقال الامام علي عليه السلام : « الايمان شجرة أصلها اليقين و فرعها التقى ونورها الحياء وثمرها السخاء » .
- ٣٥- وقال ﷺ أيضاً : « لا ايمان أفضل من الإستسلام » .
- ٣٦- وقال ﷺ أيضاً : « يحتاج الإسلام إلى الايمان ، ويحتاج الايمان إلى الايقان ، ويحتاج العلم إلى العمل » .

- ٣٧- وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين فوق الايمان ، والصبر فوق اليقين » .
- ٣٨- وقال رسول الله ﷺ : « الايمان : الصبر والسماحة » .
- ٣٩- وقال عليه السلام : « الايمان نصفان : نصف في الصبر ونصف في الشكر » .
- ٤٠- وقال عليه السلام : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » .
- ٤١- وقال الامام علي عليه السلام : « الصبر خير جنود المؤمنين » .
- ٤٢- وقال عليه السلام : « المؤمن بين نعمة وخطيئة لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار » .
- ٤٣- وقال عليه السلام : « إلزموا الصبر فإنه دعامة الايمان وملاك الامور » .
- ٤٤- وقال عليه السلام : « لا ايمان كالصبر » .
- ٤٥- وقال رسول الله ﷺ : « من كظم غيظاً و هو يقدر على إنقاذه ملأه الله أمانة و ايماناً » .
- ٤٦- وقال عليه السلام : « ليس بمؤمن من لم يهتمّ باصلاح معاده » .
- ٤٧- وقال عليه السلام : « لا يكون الرجل مؤمناً حتى لا يبالي ماذا سدّ فورة جوعه ولا بأيّ ثوبيه يتبدل » .
- ٤٨- وقال عليه السلام : « إرض بما قسم لك تكن مؤمناً » .
- ٤٩- وقال عليه السلام : « من أفضل الايمان الرضا بما يأتي به القدر » .
- ٥٠- وقال عليه السلام أيضاً : « قوّ ايمانك باليقين فإنه أفضل الدين » .
- ٥١- وقال عليه السلام أيضاً : « ملاك الايمان حسن الايقان » .
- ٥٢- وقال عليه السلام - أيضاً في حقّ من أثنى عليهم - : « هجم بهم العلم على حقيقة الايمان ، وبارشوا روح اليقين ، فاستسهلوا ما استوعب المترفون ، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان ، أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم » .
- ٥٣- وقال عليه السلام أيضاً : « لقاح الايمان تلاوة القرآن » أي تلاوة القرآن الكريم توجب زيادة ايمان المؤمن كما في قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً « الأنفال : ٢ » .

٥٤- وقال عليه السلام أيضاً : « ما آمن بما حرّمه القرآن من استحلّه » .

٥٥- وقال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسئلوا الله تعالى أن يجدّد الإيمان في قلوبكم » .

٥٦- وقال الإمام علي عليه السلام : « زينة القلوب إخلاص الإيمان » .

٥٧- وقال عليه السلام أيضاً : « يحتاج الإيمان إلى الإخلاص » .

٥٨- وقال عليه السلام أيضاً : « الإخلاص أعلى الإيمان » .

٥٩- وقال عليه السلام أيضاً : « الإيمان إخلاص العمل » .

٦٠- وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين عنوان الإيمان » .

٦١- وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين عماد الإيمان » .

٦٢- وقال عليه السلام أيضاً : « لا إيمان لمن لا يقين له » .

٦٣- وقال رسول الله ﷺ : « التقوى إجلال الله وتوقير المؤمنين » .

٦٤- وقال الإمام علي عليه السلام : « سبب صلاح الإيمان التقوى » .

٦٥- وقال عليه السلام أيضاً : « فاز من استصبح بنور الهدى ، و خالف دواعي

الهوى ، وجعل الإيمان عدة معاده والتقوى » .

٦٦- وقال عليه السلام أيضاً : « منح الإيمان التقوى والورع وهما من أفعال القلوب ،

وأحسن أفعال الجوارح ألا تزال مالتاً فاك بذكر الله سبحانه » .

٦٧- وقال عليه السلام أيضاً : « الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب

حيث ينفعك » .

٦٨- وقال عليه السلام أيضاً : « الصدق عماد الإسلام و دعامة الإيمان » الدعامة -

بالكسر - : الشرط ، و - بالفتح - : الاسطوانة ، و دعام البيت : عماده ، والخشب

المنصوب للتعريض .

٦٩ - وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الإيمان حسن الخلق والتحلي بالصدق » .

- ٧١- وقال عليه السلام أيضاً : « صدق الايمان وصنایع الاحسان من أفضل الذخائر » .
- ٧٢- وقال عليه السلام أيضاً : « الصدق جمال الانسان و دعامة الايمان » .
- ٧٣- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الصبر » .
- ٧٤- وقال عليه السلام - في ذكر الايمان - : « زلفى لمن ارتقب ، وثقة لمن توكل ، و راحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر » .
- ٧٥- وقال رسول الله ﷺ : « ولا ايمان كالحياء والصبر » .
- ٧٦- وقال الامام علي عليه السلام : « الايمان صبر في البلاء وشكر في الرخاء » أي من علامة الايمان ...
- ٧٧- وقال عليه السلام : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له » .
- ٧٨- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الإحسان إلى الناس » .
- ٧٩- وقال رسول الله ﷺ : « أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً » .
- ٨٠- وقال عليه السلام أيضاً : « من شرائط الايمان حسن مصاحبة الاخوان »
- ٨١- وقال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .
- ٨٢- وقال عليه السلام : « يا علي ! ثلاث من حقائق الايمان : الإنفاق في الاقتار وإنصاف الناس من نفسك ، وبذل العلم للمتعلم » .
- ٨٣- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الأمانة » .
- ٨٤- وقال عليه السلام أيضاً : « الأمانة ايمان » .
- ٨٥- وقال عليه السلام رسول الله ﷺ : « لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » .
- ٨٦- وقال رسول الله ﷺ : « حسن العهد من الايمان » .

- ٨٧- وقال الامام علي عليه السلام : « من لا أمانة له لا ايمان له » .
- ٨٨- وقال عليه السلام أيضاً : « من لا ايمان له لا أمانة له » .
- ٨٩- وقال عليه السلام أيضاً : « ذكر الله نور الايمان » .
- ٩٠- وقال عليه السلام أيضاً : « ذكر الله رأس مال كل مؤمن ، و ربحه السلامة من الشيطان » .
- ٩١- وقال عليه السلام أيضاً : « ذكر الله دعامة الايمان وعصمة من الشيطان » .
- ٩٢- وقال عليه السلام أيضاً : « من الايمان حفظ اللسان » .
- ٩٣- وقال رسول الله ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .
- ٩٤- وقال ﷺ : « أمسك لسانك فانها صدقة تتصدق بها على نفسك ، ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه » .
- ٩٥- وقال رسول الله ﷺ : « من سرته حسنته وسائته سيئته فهو مؤمن » .
- ٩٦- وقال ﷺ : « لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .
- ٩٧- وقال ﷺ : « ان لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .
- ٩٨- وقال ﷺ : « إذا سرّتك حسنتك ، وسائتك سيئتك فأنت مؤمن » .
- ٩٩- وقال ﷺ : « زين الايمان الاسلام كما أن زين الكعبة الطواف » .
- ١٠٠- وقال الامام علي عليه السلام : « قد أوجب الايمان على معتقده إقامة سنن الاسلام والفرض » .
- ١٠١- وقال رسول الله ﷺ : « يا أباذر لا يصيب الرجل حقيقة الايمان حتى يرى الناس كلهم حمقى في دينهم ، عقلاء في دنياهم » .
- ١٠٢- وعن ابن عباس : نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقال : « مرحباً

بك من بيت ما أعظمك وما أعظم حرمتك ! والله إن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك ، إن الله حرّم منك واحدة ، ومن المؤمن حرّم ثلاثاً : دمه وماله وأن يظنّ به ظنّ سوء .

١٠٣- وقال ﷺ : ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، ومن أحبّ عبداً لا يحبّه إلاّ الله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار .

١٠٤- وقال ﷺ : « يا عليّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله . »

١٠٥- وقال ﷺ : « ودّ المؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ومن أحبّ في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله . »

١٠٦- و قال الامام عليّ عليه السلام - في ذكر الملائكة عليه السلام - : « هم اسراء الإيمان لم يفكّهم منه زيغ ولا عدول . »



﴿ كلمات قصار حول أضرار الايمان وما يوجب فسادہ ﴾

غرض حکم و درر کلم نشیر الی مایسعه المقام :

۱- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :
« آفة الايمان الشرك ».

۲- وقال عليه السلام أيضاً: « من ارتاب للايمان أشرك ».

۳- وقال عليه السلام « الكفر يمحوه الايمان ».

۴- قال زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين: « فأي فقد أشد؟ قال عليه السلام:
الكفر بعد الايمان، وذلك ان العبد إذا كفر بعد ايمانه كان فقداه لايمانه هو الفقد
الحقيقي الذي لا عوض له بخلاف فقد ان ماله لأنه قد يجده عوضاً.

۵- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ما بين الكفر والايمان إلا ترك الصلاة ».

۶- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يزال الشيطان في ذعر من المؤمن ما حافظ على
الصلوات الخمس فإذا ضيعهن تجرأ عليه فأوقعه في العظائم الذعر - متحركة -
الفرع والخوف والدهشة.

۷- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبته إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر
بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ».

۸- قال عليه السلام: « لا ايمان مع سوء ظن » أي بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و
المؤمنين .

٩- وقال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الظن بالرزق».

١٠- وقال الامام علي عليه السلام: «لا ينفع الايمان بغير تقوى».

١١- وقال عليه السلام: «لا ينفع الايمان للآخرة مع الرغبة في الدنيا».

١٢- وقال عليه السلام: «لا يستدل على الايمان بكثرة التقى وملك الشهوة وغلبة الهوى».

١٣- وقال رسول الله ﷺ: «الا وإن أذى المؤمن من أعظم سلب الايمان».

١٤- وقال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا قال المؤمن لأخيه اف إنقطع ما بينهما، فإذا قيل له: أنت كافر كفر أحدهما، وإذا اتهمه انما الاسلام في قلبه كما ينماث المالح في الماء».

١٥- وقال عليه السلام: «ظلمة الظلم تظلم الايمان».

١٦- وقال عليه السلام أيضاً: «صن ايمانك من الشك، فان الشك يفسد الايمان كما يفسد المالح العسل».

١٧- وقال عليه السلام: «الشك يحبط الايمان».

١٨- وقال عليه السلام: «شر الايمان ما دخله الشك».

١٩- وقال عليه السلام: «شر القلوب الشاك في ايمانه».

٢٠- وقال عليه السلام: «ما آمن بالله سبحانه من سكن الشك قلبه».

٢١- وقال رسول الله ﷺ: «من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة».

٢٢- وقال عليه السلام: «للمؤمن إثنان وسبعون سرّاً فإذا أذنب إنهتك عنه ستر فإن تاب رده الله، وإن أبى إلاّ قدما في المعاصي تهتكت عنه أستاره وبقي بلا ستر».

٢٣- وقال عليه السلام: «على الباب الخامس - من أبواب النار - مكتوب ثلاث

كلمات: لا تتبعوا الهوى والهوى يخالف الايمان ، ولا تكثر منطقك فيما لا يعينك (يعنيك خ) فتسقط من رحمة الله، ولا تكن عوناً للظالمين، وقال ﷺ: «وعلى الباب الخامس منها مكتوب: لا تتبع الهوى فان الهوى يجانب الايمان ولا تكثر منطقك فيما لا يعينك فتسقط من عين ربك، ولا تكن عوناً للظالمين فان الجنة لم تخلق للظالمين»

٢٤- وقال ﷺ: «ولا تتحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب اليابس»

٢٥- وقال الامام علي عليه السلام: «الايمان برىء من الحسد»

٢٦- وقال عليه السلام أيضاً: «لا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، ولا تباغضوا فانها الحالقة»

٢٧- وقال عليه السلام أيضاً: «لا يكون المؤمن حسوداً»

٢٨- وقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الشح والايमान في قلب عبد أبداً»

٢٩- وقال الامام الصادق عليه السلام: «أربع خصال لا تكون في مؤمن: لا يكون مجنوناً ولا يسئل أبواب الناس، ولا يولد من الزنا، ولا ينكح في دبره»

٣٠- وقال رسول الله ﷺ: «خلقان لا يجتمعان في مؤمن: الشح وسوء الخلق»

٣١- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن منزّه من الزيف والشقاق»

٣٢- وقال عليه السلام أيضاً: «خلتان لا يجتمعان في مؤمن: سوء الخلق والبخل»

٣٣- وقال عليه السلام أيضاً: «صلاح الايمان الورع، وفساده الطمع»

٣٤- وقال عليه السلام أيضاً: «ما عقد ايمانه من بخل باحسانه»

٣٥- وقال عليه السلام أيضاً: «ما آمن بالله سبحانه من قطع رحمه»

٣٦- وقال عليه السلام أيضاً: «ما عقد ايمانه من لم يحفظ لسانه»

٣٧- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أخذ الله ميثاق المؤمن على أن لا يقبل قوله، ولا يصدق حديثه، ولا ينتصف من عدوه، ولا يشفي غيظه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم»

٣٨- وقال الامام علي عليه السلام: «النفاق يفسد الايمان»

٣٩- وقال عليه السلام: «الايمان يرى من النفاق»

٤٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما خلق الله الايمان قال: اللهم قوتي، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوتي، فقواه بالبخل وسوء الخلق»

٤١- وقال عليه السلام: «يا علي من منع قيراطاً من زكاة ماله، فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة»

٤٢- وقال عليه السلام: «يطبع المؤمن على كل خصلة ولا يطبع على الكذب ولا على الخيانة»

٤٣- وقال عليه السلام: «إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان»

٤٤- وقال الامام علي عليه السلام: «ما كذب عاقل ولا زناً مؤمن»

٤٥- وقال عليه السلام: «كذب من ادعى الايمان وهو مشعوف من الدنيا بخدع الأماني وزور الملامهي»

٤٦- وقال عليه السلام: «المكر والفيل مجانبان للإيمان»

٤٧- وقال عليه السلام: «جانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان»

٤٨- وقال عليه السلام: «صابروا أنفسكم على فعل الطاعات، وصونوها عن دنس السيئات، تجدوا حلوة الايمان»

٤٩- وقال عليه السلام: «نظر المؤمن من تراهته عن المحارم، ومباكرته إلى المكارم»

٥٠- وقال عليه السلام: «المؤمن لا يظلم ولا يتأتى»

- ٥١- وقال عليه السلام: «مجالس اللهو تفسد الايمان»
- ٥٢- وقال عليه السلام: «مجالسة أهل الدنيا منساة للايمان، وقائدة إلى طاعة الشيطان»
- ٥٣- وقال عليه السلام: «حسن الزهد من أفضل الايمان والرغبة في الدنيا تفسد الايقان»
- ٥٤- وقال عليه السلام: «لا ايمان لعدور»
- ٥٥- وقال رسول الله ﷺ: «الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل، و كما يفسد الخل العسل»
- ٥٦- وقال الامام علي عليه السلام: «ضادوا الفكر بالايمان» أي فكر المعصية.
- ٥٧- وقال عليه السلام: «المؤمن حذر من ذنوبه يخاف البلاء ويرجو رحمة ربه»
- ٥٨- وقال رسول الله ﷺ: «لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبداً»
- ٥٩- ومما أوصى النبي ﷺ علياً عليه السلام فقال: «يا علي خمسة تميت القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الضحك، وكثرة هم القلب، وأكل الحرام يطرده الايمان»
- ٦٠- وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بميزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع حليلة تخرج إلى الحمام»
- ٦١- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ستة لا تكون في المؤمن: الغش والنكد والملاحة والكذب والحسد والبغي»
- ٦٢- وقال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا أفلح رجع إليه»

٦٣- وقال ﷺ: «لو كنّا نأتى ما تأتون لما قام للدين عمود ولا إخضر»
للإيمان عود»

فانظر أيّها المؤمن! فإن كانت حالتك حالة ترضا لحلول الموت فاشكر الله تعالى على توفيقه وعصمته، وإن تكن الأخرى فانتقل عنها بصحة العزيمة، واندم على ما سلف من عمرك فى الغفلة، واستمع بالله على تطهير الظاهر من الذنوب وتنظيف الباطن من العيوب، واقطع زيادة الغفلة عن قلبك واطفئ نار الشهوة من نفسك.



﴿غرو حکیم و درر کلم فی درجات الایمان و کمال الانسان﴾

کلمات قصاری المقام نشیر إلى نبذة منها:

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان»

٢- وقال النسي الكريم صلى الله عليه وسلم: «إن أعلى منازل الإيمان درجة واحدة، من بلغ إليها فقد فاز وظفر، وهو أن تنتهي سريته في الصلاح إلى أن لا يبالي صوابها إذا ظهرت، ولا يخاف عقابها إذا سترت»

٣- وقال الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «المؤمنون على سبع درجات، صاحب درجة منهم في مزيد من الله عز وجل لا يخرجهم ذلك المزيد من درجة إلى درجة غيرهم: منهم شهداء الله على خلقه، ومنهم النجباء، ومنهم الممتحنة، ومنهم النجباء، ومنهم أهل العبر، ومنهم أهل التقوى، ومنهم أهل المغفرة»

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أدلى بكل مؤمن من نفسه، وعلي أدلى به من بعدي»

٥- وقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أهل الإيمان بالله ملاكته وتمامه حقاً وبناسد سداد

الأعمال الصالحة،

٦- وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من تمام إيمان العبد: أن يستثنى في كل حديثه»

٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشرف الإيمان أن يأمنك الناس، وأشرف

الاسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك»

٨- وقال ﷺ: «أفضل الإيمان أن تحب الله وتبغض الله، وتعمل لسانك، في ذكر الله وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت»

٩- وقال ﷺ: «أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً»

١٠- وقال ﷺ: «أحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً»

١١- وقال ﷺ: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»

١٢- وقال ﷺ: «أفضل الإيمان الإحسان»

١٣- وقال ﷺ: «أفضل الإيمان حسن الايقان»

١٤- وقال ﷺ: «أفضل الإيمان الأمانة»

١٥- وقال ﷺ: «أفضل الإيمان الإخلاص والاحسان وأفضل الشيم التجاني

عن العدوان»

١٦- وقال ﷺ: «إن أفضل الإيمان إنصاف المرء من نفسه»

١٧- وقال زيد بن صوحان العبدي لأمر المؤمنين ﷺ: «فأي الإيمان أفضل

عند الله؟ قال: التسليم والورع»

١٨- وقال رسول الله ﷺ: «بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين»

١٩- وقال ﷺ: «المؤمنون أعظم أحلاماً»

٢٠- وقال ﷺ: «ليس شيء أعز من الكبريت إلا ما بقي من عمر المؤمن»

٢١- وقال رسول الله ﷺ: «أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً»

٢٢- وقال ﷺ: «أفضل المؤمنين إيماناً الذي إذا سئل أعطى وإذا لم

يعط استغنى»

٢٣- وقال الإمام علي ﷺ: «أشرف المؤمنين أكثرهم كيساً»

٢٤- وقال الإمام علي ﷺ: «شرف المؤمن إيمانه وعزه بطاعته»

٢٥- وقال ﷺ: «لأشرف أعلى من الإيمان»

٢٦- وقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»

٢٧- وقال الامام علي عليه السلام: «أقوى الناس إيماناً أكثرهم توكلاً على الله سبحانه»
 ٢٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»
 ٢٩- وقال الامام علي عليه السلام: «أفضل المؤمنين إيماناً من كان لله سبحانه أخذه وعطاه وسخطه ورضاه»

٣٠- وقال الامام علي عليه السلام: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»

٣١- وقال عليه السلام: «المرء بإيمانه»

٣٢- وقال عليه السلام: «بلاء الرجل على قدر إيمانه ودينه»

٣٣- وقال عليه السلام: «إيمان المرء يعرف بإيمانه»

٣٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يبتلي المؤمن على قدر إيمانه وحسن عمله، فمن صح إيمانه وحسن عمله إشتدّ بلاؤه، ومن خفّ إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه»

٣٥- وقال عليه السلام: «العقل خليل المؤمن، والعلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والعمل قيمه»

٣٦- وقال عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه فقد كمل إيمانه: العقل والعلم والحلم»

٣٧- وقال عليه السلام: «أسعد الناس العاقل المؤمن»

٣٨- وقال عليه السلام: «كلما زاد عقل الرجل قوى إيمانه بالقدر واستخفّ العبر»

٣٩- وقال عليه السلام: «بالإيمان يرتقى إلى ذروة السعادة ونهاية العبور»

٤٠- وقال الصادق عليه السلام: «كمال المؤمن ثلاث: تفقه في دينه، والصبر على

النائية، والتقدير في المعيشة»

٤١- وقال الامام علي عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا رضى لم

يخرجه رضاء إلى باطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا قدر لم يأخذ ما ليس له»

٤٢- وقال عليه السلام : «ثلاث من كن فيه فقد أكمل الإيمان: العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغناء، وإعتدال الخوف والرجاء»
 ٤٣- وقال عليه السلام : «من أحب أن يكمل إيمانه فليكن حبه لله وبغضه لله ورضاه لله وسخطه لله»

٤٤- وقال عليه السلام : «من أعطى في الله سبحانه ومنع في الله وأحب في الله فقد استكمل الإيمان»

٤٥- وقال عليه السلام : «لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعد الرخاء فتنه والبلاء نعمة»
 ٤٦- وقال عليه السلام : «لا يكمل إيمان عبد حتى يحب من أحبه الله ويبغض من أبغضه الله»
 ٤٧- وقال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: من لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يراني بشيء من عمله، وإذا عرض له أمران أحدهما للدينيا والآخرة والآخرة على الدنيا»

٤٨- وقال عليه السلام : «ثلاث خصال من كن فيه إستكمل خصال الإيمان: الذي إذا رضى لم يدخله رضاء في إثم ولا باطل، وإذا غضب لم يخرج به الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»

٤٩- وقال عليه السلام : «لا يكمل إيمان العبد بالله حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على بلاء الله، والرضا بقضاء الله، والشفقة على خلق الله فقد استكمل الإيمان»

٥٠- وقال عليه السلام - في وصيته لـعلي عليه السلام - : «يا علي سبعة من كن فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان وأبواب الجنة مفتوحة له: من أسبق (أسبق خ) وضوئه، وأحسن صلاته، وأدنى زكاة ماله وكف غضبه، وسجن لسانه واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه ﷺ»

٥١- وقال عليه السلام : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»

٥٢- وقال عليه السلام : «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى: منهم من يولد

مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت
 كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً،
 وقال الامام علي عليه السلام: «معاشر الناس! إن النساء نواقص الايمان، نواقص العقول،
 نواقص الحظوظ، فأما نقص ايمانهن فقعودهن في أيام حيضهن عن الصلاة والصيام، و
 أما نقصان حظوظهن فميراثهن على نصف موارد الرجال، وأما نقصان عقولهن فشهادة
 إمرأتين كشهادة رجل، فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر»



* كلمات قصار حول الايمان والعمل *

- غرر حكم ودرر كلم في التلازم بين الايمان والعمل نشير إلى ما يسعه المقام:
- ١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الايمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان»
 - ٢- وقال عليه السلام أيضاً: «الايمان والعمل أخوان توأمان، ورفيقان لا يفترقان لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»
 - ٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الايمان والعمل قرينان لا يصلح كل واحد منهما إلا مع صاحبه»
 - ٤- وقال عليه السلام: «المؤمن يعمل لله كأنه يراه فان لم يكن يرى الله فان الله يراه»
 - ٥- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن بعمله»
 - ٦- وقال عليه السلام: «بالايمان يستدل على الصالحات»
 - ٧- وقال عليه السلام: «بالصالحات يستدل على الايمان»
 - ٨- وقال عليه السلام: «زين الايمان طهارة السرائر، وحسن العمل في الظواهر»
 - ٩- وقال عليه السلام: «سلوا الله سبحانه الايمان، واعملوا بموجب القرآن»
 - ١٠- وقال عليه السلام: «العمل شعار المؤمن»
 - ١١- وقال عليه السلام: «المؤمن كثير العمل، قليل الزلل»
 - ١٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس الايمان بالتحلي وبالتمني، ولكن الايمان ما خلص في القلب وصدفته الأعمال»

١٣- وقال ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته»

١٤- وقال ﷺ: «نية المؤمن أبلغ من عمله، وكذلك نية الفاجر»

١٥- وقال الامام علي عليه السلام: «إن المؤمن يرى يقينه في عمله، وإن المنافق يرى شكّه في عمله»

١٦- وقال عليه السلام: «علم المؤمن في عمله»

١٧- وقال عليه السلام: «إن المؤمن ليستحيي إذا مضى له عمل في غير ما عقد عليه إيمانه»

١٨- وقال عليه السلام: «المؤمن قريب أمره، بعيد همّه، كثير صمته، خالص عمله»

١٩- وقال عليه السلام: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله و

النصيحة لاولي الأمر ولزوم الجماعة إن دعوتهم تكون من ورائه»

٢٠- وقال عليه السلام: «إن ممّا يلحق المؤمن، من عمله وحسناته بعد موته:

علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»

٢١- وقال عليه السلام: «يا عليّ أنين المؤمن المريض تسبيح، وصياحه تهليل، و

نومه على الفراش عبادة، وتقلبه من جنب إلى جنب جهاد في سبيل الله، فان عوض مشى في الناس، وما عليه من ذنب»

٢٢- وقال عليه السلام: «عدة المومن كأخذ باليد»

٢٣- وقال الامام علي عليه السلام: «شكر المؤمن يظهر في عمله»

٢٤- وقال رسول الله ﷺ: «إذا كثرت ذنوب المؤمن، ولم يكن له من العمل

ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه»

٢٥- وقال عليه السلام: «إذا اشتكى المؤمن أخلصه من الذنوب كما يخلص الكير

خبث الحديد، الكير: زق ينفع فيه الحداد.

٢٦- وقال عليه السلام: «ان الله يتلى عبده المؤمن بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب»

٢٧- وقال ^{عليه السلام} «عامل سائر الناس بالإيناف وعامل المؤمنين بالإيناف»
 ٢٨- وقال رسول الله ﷺ: «يا علي للمؤمن ثلاث علامات: الصلاة والزكاة و
 الصيام»

٢٩- وقال ^{عليه السلام}: «يا أباذر تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى
 الجمعة في يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً كانت بينه وبين أخيه
 شحنة فيقال: اتر كوا عمل هذين حتى يسطلحا»



* غرر حكم و درر كلم في علائم الايمان و آثاره *

كلمات قصار في المقام نشير إلى نبذة منها:

- ١ - قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «خفف الصوت، وخفض البصر، ومشى القصد من أمارات الايمان وحسن التدين»
- ٢ - وقال عليه السلام: «من آمن آمن» وذلك لقوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (الأنعام: ٨٢)
- ٣ - وقال عليه السلام: «قوة القلب من صحة الايمان»
- ٤ - وقال عليه السلام: «الايمان شهاب لا يخبو»
- ٥ - وقال عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد إمتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة وأحلام رزينة»
- ٦ - وقال عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب خشن مخشوشن، سر مستسر» مقنع لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن إمتحن الله سبحانه قلبه للايمان»
- ٧ - وقال عليه السلام: «الايمان واضح الولايج» الولايج: البواطن والأسرار وهي واضحة لمن تدبر فيها، أو جمع الوليجة وهي: كل ما يتخذه الانسان معتمداً عليه.

٨ - وقال عليه السلام: «نعم وزير الايمان العلم»

٩ - وقال عليه السلام: «نعم دليل الايمان العلم»

- ١٠- وقال عليه السلام: «ثمره الايمان الرغبة في دار البقاء»
 ١١- وقال عليه السلام: «الايمان شفيع منجح»
 ١٢- وقال عليه السلام: «بالايمان تكون النجاة»
 ١٣- وقال عليه السلام: «ثمره الايمان الفوز عند الله»
 ١٤- وقال عليه السلام: «لا يفوز بالنجاة إلا من قام بشرائط الايمان»
 ١٥- وقال عليه السلام: «لأنجاة لمن لا ايمان له»
 ١٦- وقال عليه السلام: «الصبر ثمره الايمان»
 ١٧- وقال عليه السلام: «من كنوز الايمان الصبر على المصائب»
 ١٨- وقال عليه السلام: «ما دفع الله سبحانه عن العبد المؤمن شيئاً من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة إلا برضاه بقضائه وحسن صبره على بلائه»
 ١٩- وقال عليه السلام: «نعم قرين الايمان الرضا»
 ٢٠- وقال عليه السلام: «الصدق أقوى دعائم الايمان»
 ٢١- وقال عليه السلام: «الصدق أمانة اللسان وحلية الايمان»
 ٢٢- وقال عليه السلام: «الصدق رأس الايمان و زين الإنسان»
 ٢٣- وقال عليه السلام: «الاينار أعلى الايمان»
 ٢٤- وقال عليه السلام: «الاينار أحسن الإحسان وأعلى مراتب الايمان»
 ٢٥- وقال عليه السلام: «تحلّ بالسخاء والورع فهما حلية الايمان وأشرف خلالك»

- ٢٦- وقال عليه السلام: «زين الايمان الورع»
 ٢٧- وقال عليه السلام: «ثلاث من كنوز الايمان: كتمان المصيبة و الصدقة والمرض»

- ٢٨- وقال عليه السلام: «سو سوايمانكم بالصدقة»
 ٢٩- وقال عليه السلام: «العدل رأس الايمان وجماع الإحسان»

- ٣٠- وقال عليه السلام : «غيرة المؤمن بالله سبحانه»
- ٣١- وقال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى تغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه»
- ٣٢- وقال عليه السلام : «إن حسن العهد من الإيمان»
- ٣٣- وقال عليه السلام : «البذانة من الإيمان» البذانة: التواضع ورثانة الهيئة
- ٣٤- وقال رسول الله ﷺ : «إن الحياء والإيمان قرناً جميعاً، فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر»
- ٣٥- وقال عليه السلام أيضاً: «الإيمان والحياء في قرن واحد فإذا ذهب أحدهما تبعه الآخر»
- ٣٦- وقال عليه السلام : «ثمرة الإيمان ثلاثة أشياء: الحب في الله، والبغض في الله، والحياء من الله تعالى»
- ٣٧- وقال الامام علي عليه السلام : «إن الحياء والعفة من خلائق الإيمان، وإنهما لسجية الأحرار وشيمة الأبرار» - وقال عليه السلام : «ثلث الإيمان: الحياء وثلثه وفاء وثلثه سخاء»
- ٣٨- وقال عليه السلام : «حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان»
- ٣٩- وقال عليه السلام : «غيرة الرجل إيمان»
- ٤٠- وقال عليه السلام : «كثرة حياء الرجل دليل إيمانه»
- ٤١- وقال عليه السلام : «نعم قرين الإيمان الحياء»
- ٤٢- وقال عليه السلام : «لا إيمان كالحياء والسخاء»
- ٤٣- وقال رسول الله ﷺ : «الحياء من الإيمان»
- ٤٤- وقال عليه السلام : «الغيرة من الإيمان نصف»
- ٤٥- وقال الامام علي عليه السلام : «لكل دين خلق، وخلق الإيمان الرفق»
- ٤٦- وقال عليه السلام : «نعم الإيمان جميل الخلق»

- ٤٧- وقال رسول الله ﷺ: «الوضوء شرط الايمان، والسواك شرط الوضوء»
 ٤٨- وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت»
 ٤٩- وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل إذا وعد»
 ٥٠- وقال ﷺ: «تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الايمان»
 وقال ﷺ: «علمو الهمة من الايمان»
 ٥٢- وقال رسول الله ﷺ: «إن الايمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر
 الحية إلى جحرها» .



* كلمات قصار في صفات المؤمنين وخصالهم *

غرر حكم ودرر كلم نشير إلى ما يسعه المقام:

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
«المؤمن أخو المؤمن فلا يغشّه ولا يعيبه ولا يدع نصرته»

٢- وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخ المؤمن يكفّ
عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»

٣- وقال عليه السلام: «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم»

٤- وقال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبیان يشدّ بعضه بعضاً»

٥- وقال عليه السلام: «المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد»

٦- وقال عليه السلام: «المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»

٧- وقال عليه السلام: «المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى

عليه سائر جسده»

٨- وقال عليه السلام: «أيّها الناس إنّما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لمؤمن ماله أخيه

إلاّ عن طيب نفس منه»

٩- وقال رسول الله ﷺ: «إنّ حقّاً على المؤمنين أن يتوجّع بعضهم لبعض

كما يؤلم الجسد الرأس»

١٠- وقال الإمام علي عليه السلام: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم مثل الجسد

إذا اشتكى بعضه تداعى بـه بالسهر والحمى»

١١- وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة تتكا فأدماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم»

١٢- وقال ﷺ: «مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس يجول أخيه ثم يرجع إلى أخيه»

١٣- وقال الامام الصادق عليه السلام: «قال إبليس خمسة أشياء ليس لي فيهن حيلة ، و سائر الناس في قبضتي : من اعتصم بالله من نيّة صادقة فانكل عليه في جميع اموره ، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ومن رضى لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه ، و من لم يجزع على المصيبة حين يصيبه ، و من رضى بما قسم الله له و لم يهتم لرزقه»

١٤- وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة، يقضى بعضهم حوائج بعض ، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضى الله حوائجهم يوم القيامة»

١٥- وقال ﷺ: «إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن»

١٦- وقال الامام علي عليه السلام: «الرفق أخو المؤمن»

١٧- وقال عليه السلام أيضاً: «المؤمن إلف مألوف متعطف»

١٨- وقال عليه السلام: «لا يشبع المؤمن وأخوه جائع»

١٩- و قال رسول الله ﷺ: «أطعموا طعامكم الأتقياء وادلوا معروفكم

المؤمنين»

٢٠- وقال ﷺ: «لا يشبع المؤمن دون جاره»

٢١- و قال ﷺ: «خير المؤمنين من كان مألوفة للمؤمنين ، ولاخير فيمن

لايألف ولايؤلف»

٢٢- وقال ﷺ: «المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيّد انقاد»

٢٣- وقال ﷺ: «المؤمن يسير المؤنة»

٢٤- وقال ﷺ: «المؤمن آلف مألوف»

٢٥- وقال ﷺ: «هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه»

٢٦- وقال ﷺ: «في كل قضاء الله عز وجل خير للمؤمن»

٢٧- وقال ﷺ: «في سؤر المؤمن شفاء من سبعين داء»

٢٨- وقال ﷺ: «ومن التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه

المؤمن»

٢٩- وقال ﷺ: «ألا ومن أحب في الله جل وعز وأبغض في الله

وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى،

ألا وإن المؤمنين إذا تحابوا في الله عز وجل وتصافوا في الله كانوا كالجسد

الواحد إذا اشتكى أحد هما من جسده موضعاً وجدالاً خرا لم ذلك الموضع،

٣٠- وقال ﷺ: «يا علي! المؤمن من أمنه المسلمون على أموالهم ودمائهم،

والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»

٣١- وقال ﷺ: «أيها الناس إن العبد لا يكتب من المسلمين حتى يسلم

الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن أخوه بوائقه وجاره بوادره،

ولا يعد من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً عما به البأس»

٣٢- وقال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»

٣٣- وقال ﷺ: «إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمان إلى

الماء البارد»

٣٤- وقال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بالحلم واللين درجة العابد

المجتهد»

٣٥- وقال ﷺ: «إفتخار المؤمن بربه وعزه بطاعته، وإفتخار الجاهل

بماله وعزه بحسبه»

٣٦- وقال ﷺ: «المؤمن كيتس فطن حذر»

٣٧- وقال ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»

٣٨- وقال ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات، ف قيل: يا رسول الله و ما هادم اللذات؟ قال: الموت فإن أ كيس المؤمنين أكثرهم للموت ذكراً، و أحسنهم للموت إستعداداً»

٣٩- وقال الامام عليّ عليه السلام: «المؤمن كيس عاقل»

٤٠- وقال عليه السلام: «الكيس من قصر آماله»

٤١- وقال عليه السلام: «للمؤمن ثلاث علامات: الصدق واليقين وقصر الأمل»

٤٢- وقال عليه السلام: «للمؤمن عقل وفيّ، وحلم مرضي، ورغبة في الحسنات،

وفرا من السيئات»

٤٣- وقال ﷺ: «لا تصحب إلا عاقلاً، ولا تعاشر إلا عالماً زكياً، ولا تودع

سرك إلا مؤمناً وفيّاً»

٤٤- وقال ﷺ: «المؤمن يكون صادقاً في الدنيا»

٤٥- وقال رسول الله ﷺ: «يا أباذر! لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك

إلا تقي، ولا تأكل طعام الفاسقين»

٤٦- وقام إلى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله فمن تزوج؟ فقال:

الأ كفاء فقال: يا رسول الله و من الأ كفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أ كفاء بعض،

المؤمنون بعضهم أ كفاء بعض»

٤٧- وقال رسول الله ﷺ: «حبّ المؤمن حلويحبّ الحلاوة»

٤٨- وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ولا

تضع إلا طيباً»

٤٩- وقال ﷺ: «الحرّمات التي تلزم كل مؤمن رعايتها و الوفاء بها:

حرمة الدين و حرمة الأب و حرمة الطعام، وحرمة العالم العامل بعلمه كحرمة

الشهداء والصدّيقين»

٥٠- وقال الامام علي عليه السلام: «مثل المؤمن كالترجة طيب طعمها وريحها»

٥١- وقال عليه السلام: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الترجة ريحها

طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر»، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»

٥٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أباذر! المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت

صخرة يخاف أن تقع عليه، وإن الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه»

٥٣- وقال أبو حازم: «أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً

على نفسه وأرجاه لكل مسلم»

٥٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أباذر! إن نفس المؤمن أشد تغلباً وخيفة من

العصفور حين يقذف به في شركه»

٥٥- وقال عليه السلام: «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث»

٥٦- وقال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»

٥٧- وقال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل»

٥٨- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله

نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومنظره يوم القيامة إلى النور»

٥٩- وقال الامام الباقر عليه السلام: «إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال:

العزة في الدنيا، والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور الظالمين» قال الله تعالى:

«أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: (١٣٩) وعنه عليه السلام أيضاً: «إن الله عز وجل

أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزة في الدنيا، والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور

العالمين ثم قرأ: «فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين» وقرأ: «قد أفلح المؤمنون» إلى

قوله - هم فيها خالدون»

٦٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ولا يؤم فاجر مؤمناً إلا أن يقهره سلطان يخاف

سيفه أو سوطه»

- ٦١- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن يقظان ينتظر إحدى الحسنين»
 ٦٢- وقال عليه السلام: «المؤمن ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات فيها ببطن الاضطراب ويسمع فيها باذن الملقت والابغاض»
 ٦٣- قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بم يعرف المؤمن؟ فقال: بوقاره ودينه وصدق حديثه»
 ٦٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «علامة المؤمن خمسة: الورع في الخلوة، والصدقة في القلة، والصبر على المصيبة، والصدق عند الخوف، والحلم عند الغضب»
 ٦٥- وقال الامام علي عليه السلام: «ثلاثة هن زينة المؤمن: تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة»

- ٦٦- وقال عليه السلام: «ورع المؤمن يظهر في علمه، وورع المنافق لا يظهر إلا في لسانه»
 ٦٧- قال الامام علي عليه السلام: «التقوى حصن المؤمن»
 ٦٨- وقال عليه السلام: «تقية المؤمن في قلبه وتوبته في إعرافه»
 ٦٩- وقال عليه السلام: «سلاح المؤمن الاستغفار»
 ٧٠- وقال عليه السلام: «المؤمن منيب مستغفر تواب»
 ٧١- وقال عليه السلام: «المؤمن نفسه منه في تعب، والناس منه في راحة»
 ٧٢- وقال عليه السلام: «المؤمن من تحمل أذى الناس ولا يتأذى أحده»
 ٧٣- وقال عليه السلام: «المؤمن بالتحمل خليق»
 ٧٤- وقال عليه السلام: «جزية المؤمن كراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته»
 ٧٥- وقال الامام الباقر عليه السلام: «لهو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتع بالنساء، ومفاكهة الاخوان، والصلاة بالليل»
 ٧٦- وقال الامام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين: وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم» .

٧٧- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن ينصف من لا ينصفه»

٧٨- وقال عليه السلام: «المؤمن هين لين سهل مؤتمن»

٧٩- وقال عليه السلام: «المؤمن عفيف مقتنع متنزه متورع»

٨٠- وقال عليه السلام: «المؤمن عفيف في الغنى متنزه عن الدنيا»

٨١- وقال عليه السلام: «المؤمن حي غني موقن تقي»

٨٢- وقال عليه السلام: «الحلم نظام أمر المؤمن»

٨٣- وقال عليه السلام: «المؤمن غر كريم، مأمون على نفسه حذر محزون»

٨٤- وقال عليه السلام: «إن المؤمنين هينون لينون»

٨٥- «إن المؤمنين محسنون»

٨٦- وقال عليه السلام: «إن المؤمنين خائفون»

وقال بعض الزهاد: «إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف: أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذه بغتة، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عليه عمله، والرابع من قبل الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها فتشغله عن الآخرة، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشغل بهم فيشتغلوه عن ذكر الله»

٨٧- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن يقظان مترقب خائف ينتظر إحدى الحسينين، ويخاف البلاء حذراً من ذنوبه يرجو رحمة ربه عز وجل»

- وقال عليه السلام: «لا يعرى المؤمن من خوفه ورجائه يخاف مما تقدم ولا يسهو عن طلب ما وعده الله ولا يأمن مما خوفه الله عز وجل»

٨٨- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا سئل أسعف، وإذا سئل خفف»

٨٩- وقال عليه السلام: «المؤمن لين العريكة سهل الخليفة»

٩٠- وقال عليه السلام: «الوجل شعار المؤمنين»

٩١- وقال عليه السلام: «الحزن شعار المؤمنين»

٩٢- وقال عليه السلام: «المؤمن مغموم بفكرته، ضنين بخيلته»

٩٣- وقال عليه السلام: «إن المؤمنين مشفقون»

٩٤- وقال عليه السلام: «إن المؤمنين وجلون»

٩٥- وقال عليه السلام: «لا يكون المؤمن إلا حليماً رحيماً»

٩٦- قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً ملأ الله جوفه إيماناً»

٩٧- وقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقي

الحكمة»

٩٨- وقال الامام علي عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذوها ولوم من أفواه

المنافقين»

٩٩- وقال عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فاطلب ضالتك ولو في أهل الشرك»

أي إن الحكمة كالشيء الضائع من الإنسان يلزمه أن يطلبه حتى يجده.

١٠٠- وقال عليه السلام: «غنيمة المؤمن وجدان الحكمة»

١٠١- وقال: رسول الله ﷺ: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، و

منافق يبغضه، وكافريقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه»

١٠٢- وقال عليه السلام: «المؤمن كفارة لكل مسلم»

١٠٣- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن من كان حبه لله، وبغضه لله، وأخذه لله

وتركه لله»

١٠٤- وقال عليه السلام: «المؤمن غريزته النصيح، وسجيته الكظم»

١٠٥- وقال عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن على أن يبغضني ما أبغضني»

١٠٦- وقال عليه السلام: «المؤمن لا يحيف على من يبغض» أي لا يجور على

من يبغضه.

١٠٧- وقال رسول الله ﷺ: «لا يفتك مؤمن»

١٠٨- وقال ﷺ: «الايمن قيد الفتك»

١٠٩- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن شاكر في السرّاء، صابر في البلاء، خائف في الرخاء»

١١٠- وقال عليه السلام: «المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر، على النعماء شاكر، و في البلاء صابر»

١١١- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكت تفكر، وإذا تكلم ذكر وإذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر»

١١٢- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا وعظ إزدجر، وإذا حذر حذر، وإذا عبّر إعتبر، وإذا ذكر ذكر، وإذا ظلم غفر»

١١٣- وقال عليه السلام: «ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء قبل ورود البلاء، فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة البلاء أسرع إلى المؤمن من إحداد السيل من أعلا القلعة إلى أسفلها ومن ركض البرازين»

١١٤- وقال عليه السلام: «يمتحن المؤمن بالبلاء كما يمتحن بالنار الخالص» أي الذهب الخالص.

١١٥- وقال عليه السلام: «لا تفرح بالغنى والرخاء، ولا تنغم بالفقر والبلاء، فإن الذهب يجرب بالنار والمؤمن يجرب بالبلاء»

١١٦- وقال عليه السلام: «لا يقصر المؤمن عن احتمال ولا يجزع لرزية»

١١٧- وقال عليه السلام: «المؤمن لا تحتله كثرة المصائب، و تواتر النوائب عن التسليم لربه و الرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه»

١١٨- وقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه»

١١٩- وقال ﷺ: «سرعة المشي يذهب بيهاء المؤمن»

١٢٠- وقال ﷺ: «المؤمن ليسير المؤنة»

١٢١- وقال الامام علي عليه السلام: «قد لعمرى يهلك في لهب الفتنة المؤمن، ويسلم فيها

غير المسلم»

١٢٢- وقال الصادق عليه السلام: «ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يجرمها. قيل: وما هي؟ قال: المواساة في ذات يده، والانصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إننى لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولكن ذكر الله عند ما أحله وذكر الله عند ما حرم عليه»

١٢٣- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن سيرته القصد وسنته الرشد»

١٢٤- وقال عليه السلام: «على لسان المؤمن نور يسطع وعلى لسان المنافق شيطان

ينطق»

١٢٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»

١٢٦- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن محدث»

١٢٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عبي المؤمن في لسانه»

١٢٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن حرام كله عرضه وماله ودمه»

١٢٩- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن دعب ولعب والمنافق قطب وغضب»

١٣٠- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن، فإذا رآه مشيناً فليمط عنه»

١٣١- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن نفسه أصلب من الصلبد وهو أذل من

العبد»

١٣٢- وقال عليه السلام: «المؤمن أمين على نفسه مغالب لهواه وحسبه»

١٣٣- وقال عليه السلام: «إن المؤمن لا يمسى ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده، فلا

يزال زارياً عليها ومستزيداً لها»

١٣٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب المؤمنين من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح

لأمّة نبيّه وتفكر في عيوبه، وأصلحها وعلم فعمل وعلم»

١٣٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن ينضى شيطانه، كما ينضى أحدكم بعيره في

السفر» قوله ﷺ: «ينضي» من أنضي فلان بغيره: هزله بكثرة السير أو من أنضي ثوبه: أخلقه وأبلاه .

١٣٦- وقال ﷺ: «مثل المؤمن كمثل السنبلة تنخر مرة وتستقيم مرة، ومثل الكافر مثل الارزة لا يزال مستقيماً لا يشعر» الارزة: عصبه من حديد يقال لها بالفارسية: ميل آهن.

١٣٧- وقال الإمام علي عليه السلام: «المؤمن يعاف الله ويألف الجد» قوله عليه السلام: «يعاف»: يكره ويترك.

١٣٨- وقال رسول الله ﷺ: «يا أباذر! أزره المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين كعبيه»

١٣٩- وقال الإمام علي عليه السلام: «المؤمن من طهر قلبه من الدنية»

١٤٠- وقال عليه السلام: «بالورع يزكّي المؤمن»

١٤١- وقال عليه السلام: «نور المؤمن من قيام الليل»

١٤٢- وقال رسول الله ﷺ: «علامة المؤمن ثلاثة: قلة الأكل لاختيار الصوم، وقلة فضول الكلام لاختيار الذكر، وقلة النوم لاختيار الصلاة»

١٤٣- وقال عليه السلام: «الصلاة نور المؤمن»

١٤٤- وقال عليه السلام: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه إستغناؤه

عن الناس»

١٤٥- وقال الإمام علي عليه السلام: «عزّ المؤمن غناه عن الناس»

١٤٦- وقال عليه السلام: «المؤمن على الطاعات حريص، وعن المحارم عفّ»

١٤٧- وقال عليه السلام: «سرور المؤمن بطاعة ربّه وحزنه على ذنبه»

١٤٨- وقال عليه السلام: «غنا المؤمن بالله سبحانه»

١٤٩- وقال عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن يلزم الطاعة، و يلتحف الورع و

القناعة» قوله عليه السلام: «يلتحف» من لحف الثوب: لبسه.

- ١٥٠- وقال ﷺ: «نعم حظّ المؤمن القنوع»
 ١٥١- وقال رسول الله ﷺ: «ليس من خلق المؤمن الملق»
 ١٥٢- وقال ﷺ: «خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع»
 ١٥٣- وقال ﷺ: «يا عليّ ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الاخوان و
 الإفطار من الصيام، والتهجد من آخر الليل»
 ١٥٤- وقال ﷺ: «يا عليّ موت الفجّار راحة للمؤمن وحسرة للكافر»
 ١٥٥- وقال ﷺ: «اغتنموا دعوة المؤمن المبتلى»
 ١٥٦- وقال ﷺ: «بكاء المؤمن من خشية الله قرّة عينه»
 ١٥٧- وقال ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمنين وعمود الدين ونور السموات
 والأرض»

- ١٥٨- وقال الامام عليّ عليه السلام: «سلاح المؤمن الدعاء»
 ١٥٩- وقال ﷺ: «للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة
 يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلّي بين نفسه، ولذتها فيما يحلّ ويجمل»
 ١٦٠- وقال رسول الله ﷺ: «عجبا للمؤمن فوالله لا يقضى الله للمؤمن قضاء
 إلا كان له خيرا»

- ١٦١- وقال ﷺ: «إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم أعفاه الله منه كان
 كفارة لما مضى من ذنوبه، وموعظة له فيما يستقبل، وإن المسافر إذا مرض ثم
 أعفى كان كالبعير عقله أهله، ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه»
 ١٦٢- وقال ﷺ: «لا يزال الغمّ والهَمّ بالمؤمن حتّى لا يدع له ذنباً»
 ١٦٣- وقال ﷺ: «نظر المؤمن في وجه أخيه حباً له عبادة»
 ١٦٤- وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحبّ العبد المؤمن المحترف» أي
 صاحب حرفة .

- ١٦٥- وقال ﷺ: «إن الله يحبّ المؤمن المعترف المتحرف» أي الذي

يعترف بذنبه ويعدل عنه.

١٦٦- وقال عليه السلام: «ظهر المؤمن حمى إلا من حد»

١٦٧- وقال عليه السلام: «إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا

العيال

١٦٨- وقال الامام علي عليه السلام: «الفقر صلاح المؤمن، ومريجه من حسد الجيران

وتملق الإخوان وتسلط السلطان»

١٦٩- وقال عليه السلام: «المؤمن دأ به زهادته، وهمه ديانته، وعزه قناعته،

وجده لآخريته، قد كثرت حسناته، وعلت درجاته، وشارف خلاصه ونجاته»

١٧٠- وقال عليه السلام: «لن تلقى المؤمن إلا قانعاً»

١٧١- وقال عليه السلام: «إن المؤمن يأخذ بأدب الله إذا أوسع الله عليه إنسع

وإذا أمسك عنه أمسك»

١٧٢- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن من طاب مكسبه، وحسنت خليقته،

وصححت سريرته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، وكفى الناس من

شره وأنصف الناس من نفسه»

١٧٣- وقال الامام علي عليه السلام: «التجمل من أخلاق المؤمنين»

١٧٤- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن من وقى دينه بدنياه والفاجر من وقى

دنياه بدينه»

١٧٥- وقال عليه السلام: «إقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم، فإن المؤمن

البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه»

١٧٦- وقال عليه السلام: «أهروا من الدنيا واصرخوا قلوبكم عنها، فاتها سجن

المؤمن، حظها منها قليل، وعقلها بها عليل وناظره فيها كليل»

١٧٧- وقال رسول الله ﷺ: «يا علي الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»

١٧٨- وقال عليه السلام: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى

الهمَّ يَهْمُهُ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»

١٧٩- وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَبَى أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ»

١٨٠- وقال الصادق عليه السلام: «ثَلَاثٌ لِلْمُؤْمِنِ فِيْهِنَّ رَاحَةٌ: دَارٌ وَاسِعَةٌ تَوَارَى

عَوْرَتُهُ وَسُوءُ حَالِهِ مِنَ النَّاسِ، وَامْرَأَةٌ صَالِحَةٌ تَعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَابْنَةٌ

أَوْ اخْتُ يَخْرُجُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِمَوْتِ أَوْ تَزْوِيجِ»



﴿ كلمات قصار حول الايمان والجنة ﴾

- غفر رحكم و درر كلم في الايمان والجنة فنشير إلى ما يسعه المقام :
- ١- قال زين العابدين، سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام : « خمس خصال إذا اجتمعت في المؤمن كان على الله أن يوجب له الجنة : النور في القلب ، والفقه في الاسلام ، والورع في الدين ، والمودة في الناس ، وحسن السيمة في الوجه » .
 - ٢- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « الجنة جزاء كل مؤمن محسن » .
 - ٣- وقال عليه السلام : « الدنيا سجن المؤمن ، والموت تحفته ، والجنة مأواه » .
 - ٤- وقال عليه السلام : « المؤمن الدنيا مضاره ، والعمل همته ، والموت تحفته ، والجنة سبقته » .
 - ٥- وقال عليه السلام : « أفضل تحفة المؤمن الموت » .
 - ٦- وقال عليه السلام : « ما أرفع الموت لمن أشعر الايمان والتقوى قلبه » .
 - ٧- وقال رسول الله ﷺ : « يا أباذر إن الارض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً » .
 - ٨- وقال الامام علي عليه السلام : « نجى من صدق ايمانه وهدى من حسن إسلامه » .
 - ٩- وقال عليه السلام : « عليكم باخلاص الايمان فانه السبيل إلى الجنة والنجاة من النار » .
 - ١٠- وقال عليه السلام : « ملاك النجاة لزوم الايمان و صدق الايقان » .

- ١١- وقال عليه السلام : « غاية المؤمن الجنة » .
- ١٢- وقال عليه السلام : « غرض المؤمن إصلاح المعاد » .
- ١٣- وقال عليه السلام : « ليس بمؤمن من لم يهتم بإصلاح معاده » .
- ١٤- وقال عليه السلام : « لا يؤمن بالمعاد من لم يتحرّج عن ظلم العباد » .
- ١٥- وقال عليه السلام : « من آمن بالله لجأ إليه » .
- ١٦- وقال رسول الله ﷺ : « وما من مؤمن يموت في غربّة إلا بكت الملائكة رحمة له حيث قُلت بواكيه وإلا فسح له في قبره بنور يتلأأ من حيث دفن إلى مسقط رأسه » .
- ١٧- وقال الامام علي عليه السلام : « لاشيء يدّخره الإنسان كالايمان بالله سبحانه وصنائع الإحسان » .
- ١٨- وقال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الايمان : من صبر على الظلم ، وكظم غيظه ، واحتسب و عفى وغفر كان ممثّن يدخله الله عزّ وجلّ الجنة بغير حساب ويشفعه في مثل ريعة ومضر » .
- ١٩- وقال الامام علي عليه السلام : « النجاة مع الايمان » .
- ٢٠- وقال عليه السلام : « لانجاة لمن لا ايمان له » .
- ٢١- وقال عليه السلام : « كافر سخيّ أُرْجى إلى الجنة من مؤمن شحيح » .
- ٢٢- وقال الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام : « إنّ لله جنّة لا يدخلها إلا ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحق ، و رجل زار أخاه المؤمن في الله ، و رجل آثر أخاه المؤمن في الله » .
- ٢٣- وقال رسول الله ﷺ : « إنّ أبغض الناس إلى الله تعالى من يقتدى بسيئة المؤمن ولا يقتدى بحسنه » .
- ٢٤- وقال الامام علي عليه السلام : « والله لا يعذب الله سبحانه مؤمناً إلا بسوء ظنه وسوء خلقه » .

٢٥- وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا خوف عليهم يوم القيامة: المخلص في الايمان، والمجازى في الاحسان، والسلطان العادل» .
 ٢٦- وقال ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أبداً، ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أبداً» .
 ٢٧- وقال ﷺ: «إن ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته» .

٢٨- وقال رسول الله ﷺ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» .
 ٢٩- وقال ﷺ: «المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» .
 ٣٠- وقال ﷺ: «الله أكرم من أن يبتي عبده المؤمن بذهاب بصره، ثم لا يشبه الجنة» .
 ٣١- وقال ﷺ: «إن المؤمن يوجر في نفقته كلها إلا شيئاً جعله في التراب أو البناء» .

٣٢- وقال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة سالحة تعاونه وتحصن فرجه» .
 ٣٣- وقال عليه السلام أيضاً: «لأراحة مؤمن على الحقيقة إلا عند لقاء الله وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين بارتك، وخلوة تنجبها من آفات الزمان ظاهر أو باطناً، وجوع تميت به الشهوات والوساوس، وسهر تنور به قلبك وتصفى به طبعك وتركي به روحك» .
 ٣٤- وقال بعض الحكماء: «جنة المؤمن داره» .

٣٥- وقال رسول الله ﷺ: «فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عز وجل عليه أهوال يوم القيامة، ثم يأمر به إلى الجنة» .

٣٦- وقال ﷺ: «الحياء من الايمان، والايمان من الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار» .

٣٧- وقال رسول الله ﷺ : « أغبط الناس عندي ، مؤمن خفيف الحاذق ، ذو حظ من صلاة ، وكان رزقه كفافاً ، فصر عليه ، حتى يلقى الله ، وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضاً في الناس ، عجلت منيته ، وقل ترائه ، وقلت بواكيه » .

٣٨- وقال ﷺ : « مامن مؤمن يموت إلا وله باب يصعد منه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكيا عليه ، وذلك قول الله عز وجل : « فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

٣٩- وقال ﷺ : « ما من مؤمن يخرج من عينيه مثل رأس الذبابة من الدموع فيصيب حر وجهه إلا حرّمه الله على النار » .

٤٠- وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن ، والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه » .

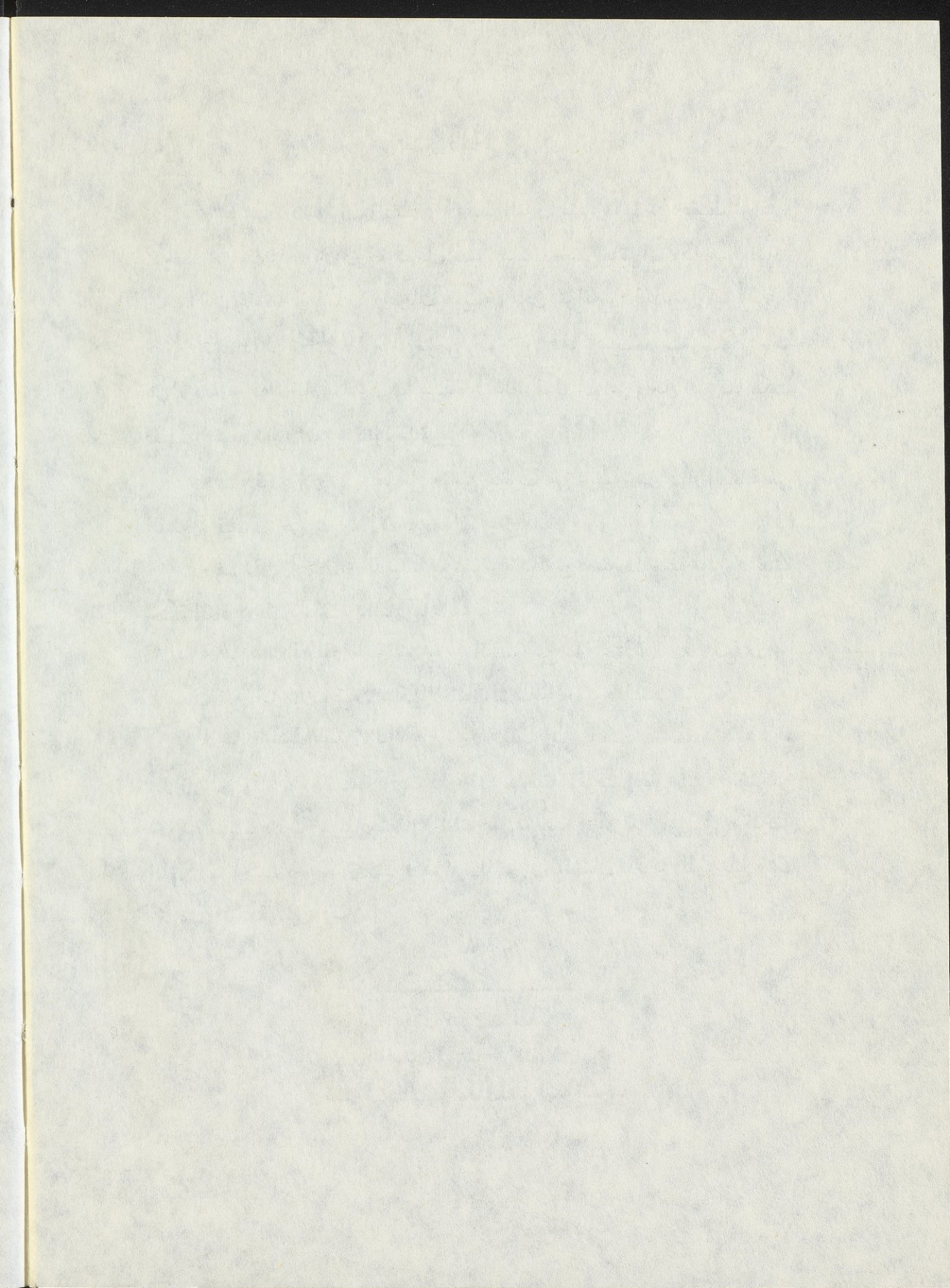
وفي دعاء الإمام سيد الشهداء : الحسين بن علي عليه السلام - : « يا من هداني للإيمان من قبل أن أعرف شكر الامتنان - فلك الحمد والشكر ... » .

وفي أدعية الصباح والمساء : - « اللهم إنني آمنت بمحمد وآله ولم أره فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته وارزقني صحبتته وتوفني على ملته واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً إنك على كل شيء قدير اللهم كما آمنت بمحمد ﷺ و لم أره فأرني في الجنان وجهه اللهم بلغ روح محمد عني تحية كثيرة وسلاماً » .

تمت سورة العصر

والحمد لله في الآخرة والأولى

وصلّى الله على محمد وأهل بيته النجباء



فهرس ماجاء فى تفسير سورة الزلزال يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

رقم الصفحة		الاولى
٤	فضل السورة و خواصها	الثانية
٨	غرض السورة و هدفها	الثالثة
٩	حول النزول	الرابعة
١٢	القراءة و وجهها	الخامسة
١٣	الوقف والوصل و وجههما	السادسة
١٤	حول اللغة	السابعة
٣٣	بحث نحوي	الثامنة
٣٨	بحث بياني	التاسعة
٤٤	إعجاز السورة	العاشرة
٤٧	حول التكرار	

رقم الصفحة		
٤٩	حول التناسب	الحادية عشر
٥١	بحث في النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	الثانية عشر
٥٢	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	الثالثة عشر
٦٤	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	الرابعة عشر
٧٣	ذكر جملة المعاني	الخامسة عشر
٧٥	بحث روائي	السادسة عشر
٨٤	بحث مذهبي	السابعة عشر

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الإسلامية المبثوثة عنها

في سورة الزلزال وفيه بصيرة واحدة وفيها خمسة أمور:

رقم الصفحة		
٨٧	تحقيق علمي " حول الزلزلة	الاول
٩١	نظرات القدماء والمتأخرين حول الزلزلة	الثاني
٩٦	بحث علمي: " إجتماعي " وأخلاقي " حول الزلزلة	الثالث
١٠١	تعداد الزلزلة وإختلافها في ممالك الدنيا طول السنة	الرابع
١٠٦	إختلاف آثار الزلزال في الأشياء الواقعة ليلاً و نهاراً في شهور السنة	الخامس

فهرس ماجاء في تفسير سورة العاديات

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة:

رقم الصفحة		
١١٠	فضل السورة وخواصها	الاولى
١١٢	غرض السورة	الثانية
١١٣	حول النزول	الثالثة
١٢١	القراءة ووجهها	الرابعة
١٢٢	الوقف والوصل ووجههما	الخامسة
١١٣	حول اللغة	السادسة
١٥١	بحث نحوي	السابعة
١٥٦	بحث بياني	الثامنة
١٦٤	إعجاز السورة	التاسعة
١٦٧	حول التكرار	العاشرة

رقم الصفحة	
١٦٩	الحادية عشر حول التناسب
١٧٣	الثانية عشر بحث في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه
١٧٤	الثالثة عشر تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها
١٨٦	الرابعة عشر تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل
١٩٤	الخامسة عشر ذكر جملة المعاني
١٩٦	السادسة عشر بحث روائي
١٩٩	السابعة عشر بحث فقهي
٢٠١	الثامنة عشر بحث مذهبي

الفصل الثاني: في مواضع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها

في سورة العاديات وفيه بصيرة واحدة وفيها امور تسعة:

رقم الصفحة		
٢٠٤	تحقيق علمي: قرآني وروائي في تجهيز القوى والدفاع عن الحق.	الاول
٢١٣	بحث عميق إستراتيجي في الدفاع عن حوزة الحق بقوتي المعنوية والمادية.	الثاني
٢٢٥	هدف الرسالة الاسلامية والسياسة العسكرية الاستراتيجية.	الثالث
٢٣١	كلام حول الدعوة الاسلامية العالمية والدفاع عنها.	الرابع
٢٣٥	الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وحكمة الجهاد في الدين الاسلامي.	الخامس
٢٤٠	بحث روائي فيما يتعلق بالجيش.	السادس
٢٤٧	التشجيع والدفاع عن الحق.	السابع
٢٥٥	تحقيق عميق علمي: قرآني وإجتماعي فيما يتعلق بالدفاع عن كيان الاسلام ونواميس المسلمين.	الثامن
٢٦٤	الحرب وتوحش عصر التمدن.	التاسع

فهرس ما جاء فى تفسير سورة القارعة يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

رقم الصفحة		
٢٧٠	فضل السورة و خواصها	الاولى
٢٧٢	غرض السورة و هدفها	الثانية
٢٧٣	حول النزول	الثالثة
٢٧٤	القراءة و وجهها	الرابعة
٢٧٤	الوقف والوصل و وجههما	الخامسة
٢٧٥	حول اللغة	السادسة
٣٠٣	بحث نحوي	السابعة
٣٠٧	بحث بياني	الثامنة
٣١٤	إعجاز السورة	التاسعة
٣١٥	حول التكرار	العاشرة

رقم الصفحة	حول التناسب	الحادية عشر
٣١٧		
٣٢٠	بحث في النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	الثانية عشر
٣٢١	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	الثالثة عشر
٣٣٢	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	الرابعة عشر
٣٤١	ذكر جملة المعاني	الخامسة عشر
٣٤٣	بحث روائي	السادسة عشر
٣٤٧	بحث مذهبي	السابعة عشر

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها

في سورة القارة وفيه بصيرة واحدة وفيها ستة امور:

رقم الصفحة		الاول
٣٤٩	تحقيق علمي عميق: قرآني و كلامي وفلسفي واجتماعي وأخلاقي في الموازين وحقيقتها.	
٣٦٠	بحث عميق في الموازين وأنواعها.	الثاني
٣٦٧	بحث روائي في الموازين	الثالث
٣٧٥	بحث روائي في الموازين والأعمال.	الرابع
٣٧٨	أهل بيت الوحي ﷺ وشيعتهم وموازين القيامة.	الخامس
٣٨٢	كلمات قصار حول الموازين.	السادس

فهرس ما جاء فى تفسير سورة التكاثر

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

رقم الصفحة		الاولى
٣٨٦	فضل السورة و خواصها	الثانية
٣٨٩	غرض السورة و هدفها	الثالثة
٣٩٠	حول النزول	الرابعة
٣٩٢	القراءة و وجهها	الخامسة
٣٩٢	الوقف والوصل و وجههما	السادسة
٣٩٣	حول اللغة	السابعة
٤١٣	بحث نحوي	الثامنة
٤١٧	بحث بياني	التاسعة
٤٢١	إعجاز السورة	العاشرة
٤٢٤	حول التكرار	

٤٢٧	حول التناسب	الحادية عشر
٤٢٩	بحث في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	الثانية عشر
٤٣٠	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	الثالثة عشر
٤٤٨	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	الرابعة عشر
٤٥٨	ذكر جملة المعاني	الخامسة عشر
٤٦٠	بحث روائي	السادسة عشر
٤٧٣	بحث فقهي	السابعة عشر
٤٧٤	بحث مذهبي	الثامنة عشر

الفصل الثاني : في مواضع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة التكاثر و فيه بصيرتان:

البصيرة الاولى : و فيها عشرون أمراً :

الاول	تحقيق في كلمات العامة و زيارة القبور ...	٤٧٦
الثاني	كلام في الوهابية و زيارة القبور ...	٤٨٤
الثالث	زيارة المشاهد المشرفة و نهى ابن تيمية عنها .	٤٩٢
الرابع	بحث روائي في ترغيب أهل السنة في زيارة قبر النبي الاقدر ﷺ .	٥٠٢
الخامس	أهل السنة و زيارة القبور ...	٥١٢
السادس	ترغيب علماء العامة في زيارة قبر النبي الكريم ﷺ .	٥١٨
السابع	جواز التبرك بقبر النبي الكريم ﷺ عند علماء العامة .	٥٣٨
الثامن	في استحباب زيارة أئمة البقيع و بقية المزارات فيها عند العامة .	٥٥٠
التاسع	تحريض علماء العامة على زيارة القبور ...	٥٥٨
العاشر	أعلام العامة و حكم زيارة القبور ...	٥٦٣
الحادي عشر	القبور المقصودة بالزيارة عند العامة .	٥٦٨
الثاني عشر	زيارة قبور أئمتنا المعصومين عليهم السلام عند العامة .	٥٧٢

رقم الصفحة		
٥٨٤	الشيعة وزيارة القبور ...	الثالث عشر
٥٩١	بحث علمي: "إجتماعي" وأخلاقي" في حكمة زيارة القبور ...	الرابع عشر
٥٩٨	غرر حكم و درر كلم حول القبر وأصحابه و زائريه ...	الخامس عشر
٦٠١	القبر أوّل منزل من منازل الآخرة ...	السادس عشر
٦٠٤	بحث روائي" في القبر وسؤال نكير ومنكر فيه .	السابع عشر
٦١٠	بحث روائي" : علمي" و أخلاقي" و إجتماعي في الأعمال والأصدقاء في القبر .	الثامن عشر
٦١٦	بحث روائي" في المعاصي و عذاب القبر .	التاسع عشر
٦٢٧	كلمات قصار حول القبر .	العشرون

البصيرة الثانية و فيها أمر واحد :

رقم الصفحة		
٦٣٠	بحث روائي" : إعتقادي" و إجتماعي" و أخلاقي" في النعيم والسؤال عن الولاية .	وهو

فهرس ما جاء فى تفسير سورة العصر

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

رقم الصفحة		
٦٤٢	فضل السورة و خواصها	الاول
٦٤٤	غرض السورة و هدفها	الثانى
٦٤٥	حول النزول	الثالث
٦٤٨	الوقف والوصل و وجههما	الرابع
٦٤٩	حول اللغة	الخامس
٦٩٨	بحث نحوي	السادس
٧٠٠	بحث بياني	السابع
٧١٠	إعجاز السورة	الثامن
٧١٤	حول التكرار	التاسع
٧١٦	حول التناسب	العاشر

٧١٩	بحث في النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	الحادية عشر
٧٢٠	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	الثانية عشر
٧٣٣	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	الثالثة عشر
٧٤٤	ذكر جملة المعاني	الرابعة عشر
٧٤٦	بحث روائي	الخامسة عشر
٧٤٩	بحث فقهي	السادسة عشر
٧٥١	بحث مذهبي	السابعة عشر

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة العصر وفيه خمس بصائر:

البصيرة الاولى: وفيها أمران :

رقم الصفحة	الاول	تحقيق عميق علمي: قرآني وروائي، أخلاقي وإجتماعي
٧٥٢		في الأقسام القرآنية ...
٧٥٩	الثاني	تحقيق علمي عميق حول الأقسام القرآنية .

البصيرة الثانية: وفيها ثلاثة امور:

رقم الصفحة	الاول	بحث علمي: قرآني في بيان أسباب الخسران
٧٦٨	الثاني	تحقيق علمي روائي وأخلاقي وإجتماعي في مراتب الخسران .
٧٧٣	الثالث	كلمات قصار في الخسران.
٧٧٨		

البصيرة الثالثة: وفيها عشرة امور:

رقم الصفحة	الاول	تحقيق عميق علمي: قرآني وروائي في حقيقة الايمان.
٧٨٠	الثاني	كلام في حقيقة الايمان.
٧٨٨		

رقم الصفحة		
٧٩٤	بحث في المايزين الايمان والاسلام.	الثالث
٨٠٠	تحقيق علمي "حول الاختيار والايمان .	الرابع
٨٠٧	بحث روائي في أركان الايمان ودعائمه ...	الخامس
٨١٠	بحث قرآني " في أقسام الايمان ...	السادس
٨١٨	بحث قرآني " وروائي " أخلاقي " وإجتماعي " في مراتب الايمان وكماله.	السابع
٨٣١	تحقيق عميق علمي " قرآني " وروائي " أخلاقي " وإجتماعي " في الايمان ودرجاته ...	الثامن
٨٤١	بحث علمي " في الايمان المستقر " والايمان المستعار.	التاسع
٨٥٠	كلام في تسمية المؤمن وروح الايمان.	العاشر

البصيرة الرابعة: وفيها أحد عشر أمراً :

رقم الصفحة		
٨٥٩	أن لا يذكر الايمان في القرآن الكريم إلا وعلي "عليه السلام" أميراً أهله.	الاول
٨٦٤	الإمام علي "عليه السلام" أوّل من آمن وأسلم.	الثاني
٨٨٠	الإمام علي "عليه السلام" أوّل من آمن .	الثالث

رقم الصفحة		
١٨٨	تحقيق في كلمات العامة في أوّل من آمن وأسلم.	الرابع
١٩٢	الإمام عليّ أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ .	الخامس
٩٠٥	يوم بعثة النبيّ الكريم ﷺ ويوم صلاة الإمام عليّ عليه السلام .	السادس
٩١١	تولّد الإمام عليّ عليه السلام على الفطرة وإيمانه قبل بلوغه .	السابع
	آمن الإمام عليّ عليه السلام وقد كان هو على فطرة التوحيد وسنّه	الثامن
٩٢٢	يومئذ وأسلم أبو بكر وقد كان عابداً للصنم.	
٩٣٠	شبهات واهية ودفع قاطع .	التاسع
٩٣٣	الإمام عليّ عليه السلام وإمتحان قلبه بالإيمان.	العاشر
	الإمام عليّ عليه السلام هو المعيار لمعرفة أهل الإيمان ورجحان	الحادي عشر
٩٣٩	إيمانه على إيمان غيره .	

البصيرة الخامسة: وفيها سبعة أمور:

رقم الصفحة		
٩٤٦	كلمات قصار حول فضل الإيمان وحقيقته.	الاول
	غرر حكم و درر كلم حول أصداد الإيمان وما يوجب	الثاني
٩٥٤	فساده .	

